

McGill University Library



3 103 912 559 J

AP

.M266

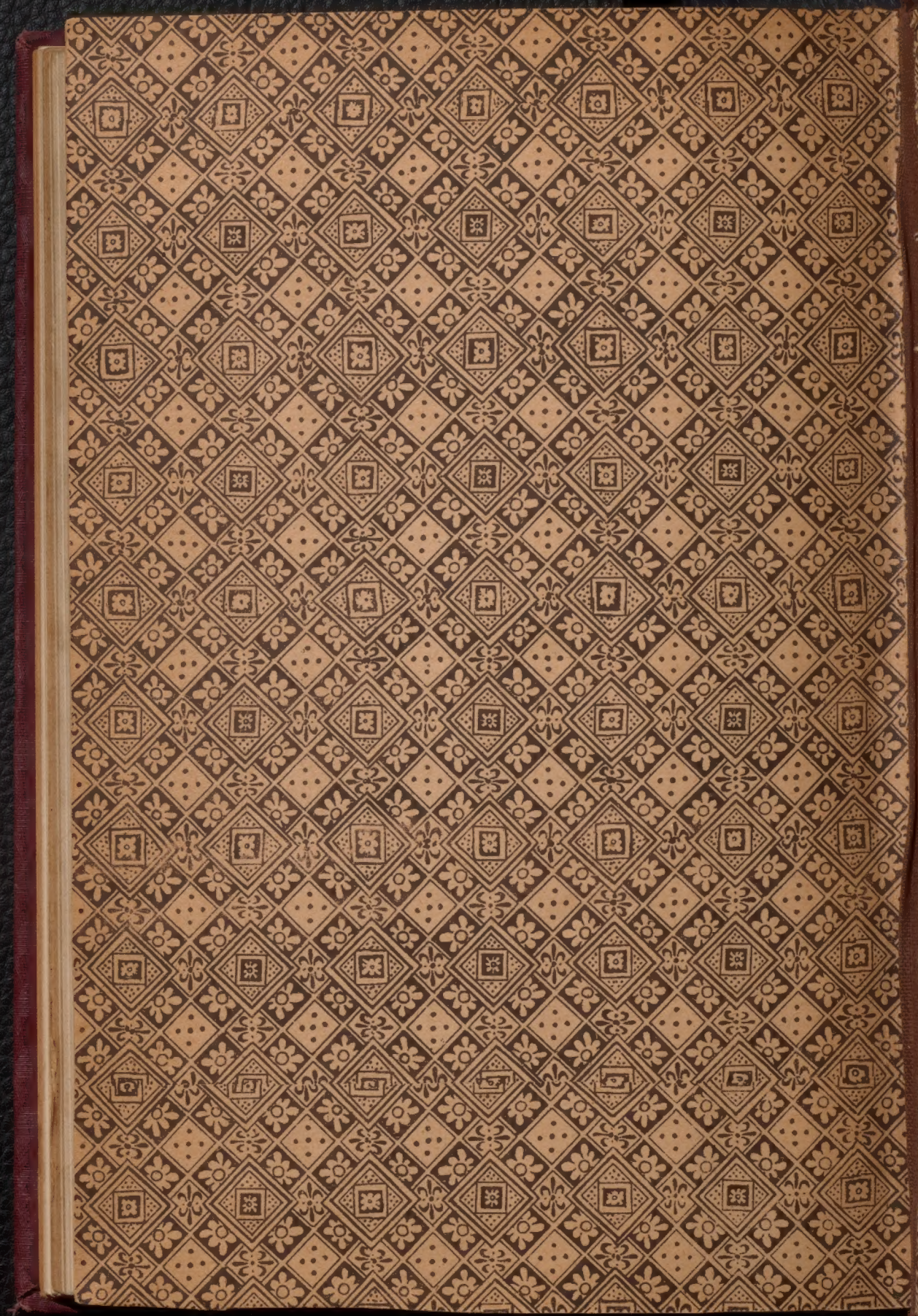
INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES

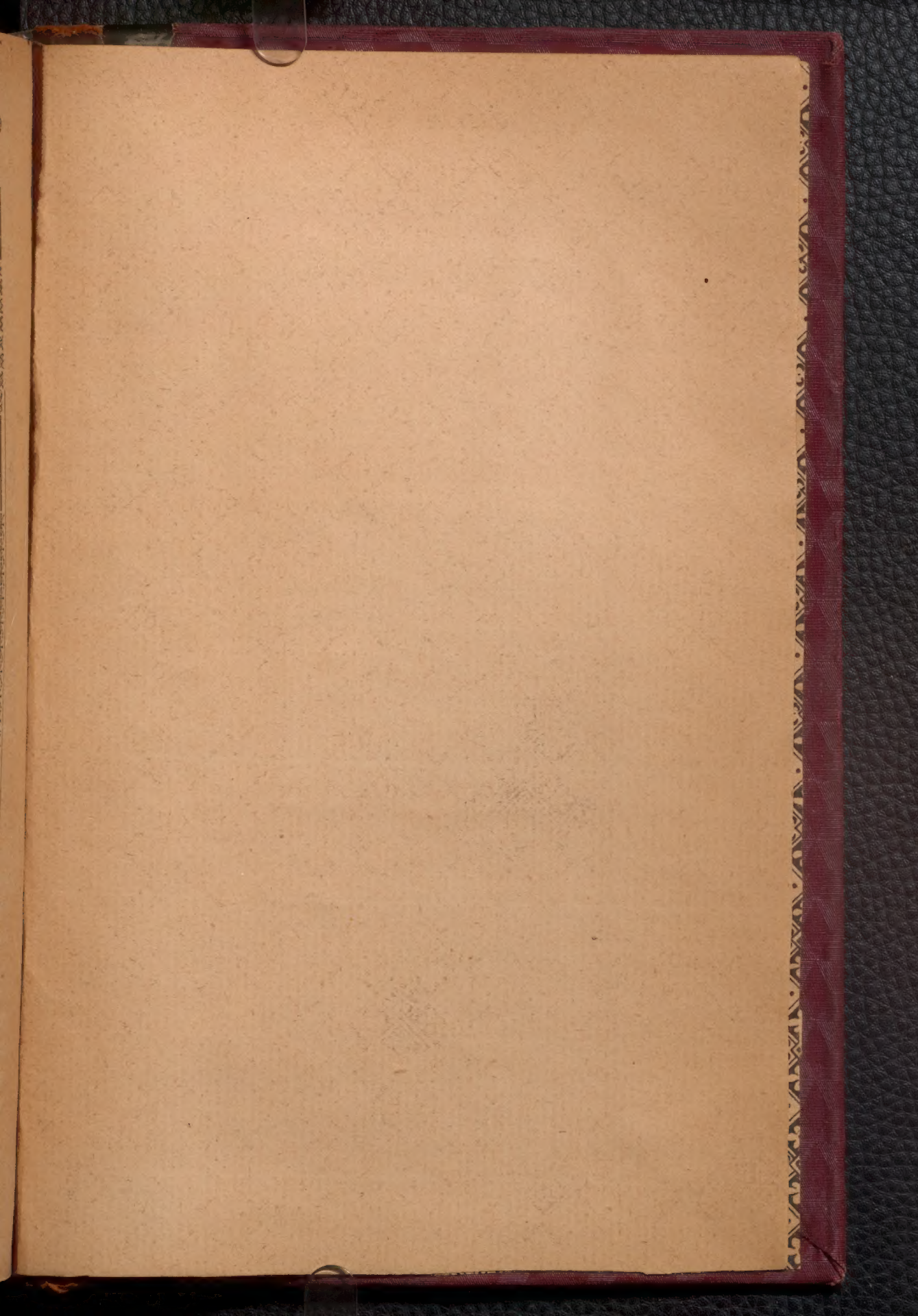
22372

★

v. 18

McGILL
UNIVERSITY





المنار

١٣١٥

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع وال عمران

لنشرها

السيد محمد بشير رضا

ناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

المجلد الثامن عشر

سنة ١٣٣٣ هـ ق ١٢٩٣ — ١٢٩٤ هـ ش

قيمة الاشتراك عن سنة ثمانون قرشاً صحيحاً في مصر والسودان
وفي المملكة العثمانية أربعة ريالات وفي الخارج ٢٣ فرنكاً و٥٩ ساتمياً
و١٤ روية في الهند و٩ روابل في روسيا والدفع سلفاً

الطبعة الاولى

حقوق إعادة الطبع والترجمة لكل أو البعض محفوظة لمنشئ المجلة

مطبع المنار بمصر

﴿ فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد الثامن عشر ﴾

هذا الفهرس يشمل أكثر المسائل المهمة في هذا المجلد . والاصفار التي عن يسار
الارقام فيه تشير الى أن المسألة مكررة في ذلك السياق . ويليه فهرس لارباب المجلة
وفهرس للمطبوعات وآخر لاسماء الكتاب ، وقد راعينا الترتيب الهجائي في الكلمة الثانية
اذا كانت الكلمة التي قبلها تماثلها وأهملنا الترتيب في حروف العطف والجروقدما المعروف

صفحة	مادة	صفحة	مادة	صفحة	مادة
٧٤٤	الكلام من أهل والتصوف	٣٤٢	والرأي	١	
٧٥٠	الاستاذ الامام . رأي في العلم	٣٢٨	ابن القيم ما تناز به على استاذ	صفحة	
٤٤٠	والدين	٤٥٦	أبو هريرة . ترجمته	٢٢٧	الآداب . فوضاها بمصر
٤٤٠	الاستحمام وفوائده	٥٣٧	اثارة من تاريخ العرب	٢٩٣	آداب الكسب والمعاش خطبة
	استفتاء أدباء العصر في بيت	٤٢٦	الاجتهاد . معناه ووجوبه	١٥٩	آغا خان امام الاسماعلية
١٢٠	من الشعر	٣٨٤	الاجماع اجماع الصحابة فقط	٤٣	آلة التصوير الفتوغرافية
٣٥٩	الاستملاء . مضاره	٤٢١	« الاستدلال به على القياس	٧٢٢	الآلهة . معنى اتخاذها
٦٠٣	الاسرائيليات وخرافاتها		الاحاديث في تحريم قليب		الآيات . الاشتباه في
١٣٦	الاسكربوط	٨٩	الخروكون كل مسكر خمر	٦٥٥	الكونية منها
٧٣	الاسلام في انكثرة	٧٨١	أحاديث العدوى	٦٦٣	« في الصلاة والزكاة
٧	« تأييده بغير أهله		« النهي عن السؤال عما لم		آيات تحريم الخمر ١٠ و ٨١ و ١٠٧
١٩٢	« التحري في رواية تاريخ	٣٢٩ و ٢٥٧	ينزل به وحى	٥٧٥	« الشهادة في السفر
٦٧٢	« الديني والجني	٤٨٨	الاحرام قبل الميقات	٧٠٥	« الصفات . تأويلها
٣٢٣	« الشورى فيه		الاحكام التي قيل انها على	٧٠٨	« المعاد »
٣٢٣	« العدل والميزان فيه	٤١١	خلاف القياس	٥٦١	آية الوصية في السفر
٠٦	« الفرور بالانتساب اليه	٤٨٩	« الديونية خمسة أقسام	٥٠٠	« عليكم أنفسكم
٢٧٩	« ما أخذه ودلائله وأصوله	٥١٧	الاحلام المزججة	٦٥٦	« نبوة نبينا . حكمة
	« مدنيته وأحكامه في السلم	٢٩٥ و ٢٩٣	الاحليل	٢٥٠	« النهي عن السؤال
	والحرب وتضييلها على	٦٦٠	الاحياء الطفيلية والتساقية	١٦٣	ابتلاء الله المؤمنين
١٨٢	المدنية الاوربية	٦٦٨	الاخلاص . علامته		ابن حجر العسقلاني .
٣٢٣ و ١٨٩	« المساواة فيه	١٢١	الارادة والروح والعقل	٣٢٨	خدمته للسنة
١٨٨	« والمسيحية في القوة والحق	٣٦٤	الارضة وعلاجها		« حزم . مجدد القرن
١٨٤	« منهيته في الحرب	٥٢٣	الارواح . استحضارها	٣٢٧	الخامس
	« وسط بين المسادية		الاسباب الطباع والفرائز		« القيم . تحقيقه مسألة القياس
١٨٨	والمسيحية		وجهل من أنكرها		

صفحة	ب	صفحة
٤٨٦	إمامة غير الامل ابتداء وادامها	٦٣٦
٢٣٤	أمراء المسلمين بالهند	الاسماء الانكليزية له
	الامراض من الاحياء	الاسماء الالهية . مقارنتها
٦٧٣ و ٦١	الغفيلية	لما يناسها من الافعال ٧٣٠
٢٠٧	الامعاء . أقسامها وطولها	أسماء الله تعالى . دلالتها على
٢٨٤ و ٢٧٧	الاملاح	أفعاله وأحكامه ٧١٠ و ٧١٣
٢٢٨	الامم بمقوماتها	الاستان . عملها وأمراضها ١٩٩
٧٤٧	أمم أوربة . اتفاقا على الحرب	الاسهال والقبض . سببها ٢١٥
١٩١	امتنا . نسبتها الى الامم اليوم	الاشعرية . توجيههم . مفردة
٢٣٥	أميرة بهوبال بالهند	الشرك بأنه مقتضى
٦٦٠	الانجيل . قصة المائدة فيها	الغزة والحكمة ٧٣١
٣٤	انتشار المادة وتحللها	أصناف الاقلام العربية
٢٩٨	الانثى . أعضاؤها التناسلية	وأنواعها
٣٠٦	الانجاس في فقه المحدثين	أصول فقه الظاهرية ٣٧٩ و ٤٢٣
	الاندلس . حضارة العرب	الاعصاب : المخ . التخاع ٥٠
٥٣٧	فيها	الاطعمة والاشربة ٢١٥
١١٩	الانسان ونشأته الاربع	الاعضاء التي لا قاة لها ٤٣٣
١٨	الانصاب والازلام	الاقرنج . تأليفهم الجميات
٧٧٣	الانقليوزا	لا بطلان الخمر ٩٢
٣٠٦	أهل البدع	أفعال الله وأسماءه تدل
	أهل الحديث . استفتاؤهم	على صفاته وأحكامه ٧١٠
٤٢٦	دون أهل الرأي	الاقلام العربية أنواعها ٤٦١
٣٠٥	» الحديث وعلامتهم	الاكسجين والكربون ١٩٥
٤٢٦	» الرأي . منع استفتاءهم	الالتفات السحائي ٧٧٣
	» الكتاب . الحكم	الالغاب الرسمية وغير الرسمية .
٥٧٧	بشهادتهم	بحث لغوي تاريخي ٧٥٣
	» خلاصة ما جاء في	الامان . تحريفهم للفضائل
	سورة المائدة من محاجتهم	المسيحية ١٨٨
٧٤١	وأحكامهم وبيان شأنهم	ألمانية وروسية . ما بينهما ١٥٣
٣٢٣	أولوا الامر . طاعتهم	» فلسفتها في الحق والقوة
	الايامن بالصفات شرط	وعصر وجوب العدل
٠٧٠٣	المعرفة وأساس العقيدة	والحجة والرحمة في الامة
	الايامن . تغليظها بالزمان	القابلة بقوتها ١٤١ - ١٥٢
٥٧٣	والمكان والصيغة	الالوان السبعة ٤٢
		ألوان الالباس ٤٥٥

صفحة	صفحة	صفحة
٣٠٥	جزيرة العرب . عدد سكانها ٦٨	وعدم الفرق بين تأويل
» المرسل والموقوف	الجسم . أنسجته ٥٢٦	الصفات وتأويل آيات
٣٨٠	نظامه الطبية والشرعية ٤٤٧	المعاد والاحكام
٤٣٠	الجفر . أصله ١٨١	التخصيص والتأويل للنصوص ٣٨٣
» اذا اجتهد الحاكم	الجند . تركيبه ووظيفته ٤٣٧	التخمر . سببه ٢٠٤
٤٣١	جلد عميرة ٣٥٩	التربية والتعليم للأطفال ٣٥٦
» اذا وقع الذباب	الجماع ومراعاة الصحة فيه ٣٥٨	التسبيح والتقديس . منهاها ٧٢
٤٥٦	الجمع بين العلم والحال ١١٤٠	التشاؤم والتطير ٦٣٠
» أعظم المسلمين جرماً ٢٢٢ و ٣٢٩	» وعين الجمع عند الصوفية ٧٨٢	التشريع الدقيق ٥٢٥
» ان أعظم المسلمين جرماً ٣٢٩	جمع الجمع والتهود والارادة ٧٨٨	التشريع ووظائف الاعضاء ٤٦
» ان الله قرض فرائض ٢٥٨	الجمعة . تمددها وما يس فيها ٥٥٩	التضمن . حقيقة معناه ١٨٠
٣٣٠ و	الجن والشياطين ٥٢٢ و ٦٠٧	تعليق تحريم الخمر والميسر ٢١
» ان بين الرجل وبين الشرك	الجن . أطواره في الرحم ٣٥٤	التفريع ومضاره ٢٢٨
٥٨٧	الجهاد الديني في الاسلام ٣٠	التفسير . غلط الصحابة فيه ٤٠٤
» اني لأحبس بالهدولا	الجهاز البولي ٢٩٢	تفسير آيات الوصية في السفر
٤٠١	» التناسلي ٢٩٥	بتحقيق لم نزل مثلاً ٥٦٢
» بين الرجل وبين	جهاز التنفس ١٣٧	» (ان تعذبهم فانهم عبادك ٧٢٨)
الشرك ترك الصلاة ٥٨٦	» الهضم ١٩٧	» بيت من الشعر ١٢٠ و ٢٩٦
» ذروني ما تركتكم ٢٥٨ و ٣٤١	الجمهورية . تعطيلهم للصفات ٧٠٤	» المنارة ترجمته بالانكليزية ٧٠٥
» السؤال عن الحج		التقليد . ابطاله ٤٢٥ و ٤٩٤
٣٤١ و ٢٥٣		» وبطلان شبهات أهله ٤٩٥
» كل عام		التنفس الصناعي ١٩٧
٧٨١		تنازع البقاء ١٤٢
» كان ينهى عن قيل وقال ٣٢٩		التلون والتسكن عند الصوفية ١٦٣
» لن يبرح الناس ساءلون ٣٣٠		التنويم المغناطيسي ٥٢٠
» لو قلت نعم لوجبت ٢٥٣		التيتانوس ٧٦٧
٣٤١ و		
» ما أحل الله في كتابه		
٣٣٠		
» معاذ في الرأي ٤١٩		
» نهينا عن التكلف ٣٢٩		
» الحرب . الاخبار والآراء فيها ٣٠٧		
» عاقبتها ٣٠٩		
» كذب روايتها وتناقضهم ١٩١		
» كونها حقاً وفضيلة ١٤٥		
١٥١ و		
» حرب أمم المدينة لا المنل		
٧٤٦		

ح

الحاجة والمصلحة المبيحة
للمحرم لسد الذريعة ٤١٤
حال المسلمين اليوم وجماعة
الدعوة والارشاد ٩٣
الحمل أو الملقوق وأطواره ٢٥٣
الحبوب واغذيتها وموادها ٢٧٨
المحجبات (راجع النساء المصريات)
الحج قيام لامر الدنيا والدين ٢٤٣
حدود الله الزمانية والمكانية
تحريم تعديها ٤٢٨
الحديث . الاستدلال به على
القياس ٤١٩
» استفتاء أهله ٤٢٦
» الجامع لاحكام الدين كلها ٣٤١

ج

الجذام . أسبابه وعلاجه ٧٧٨
» الاحاديث فيه ٧٨١
الجرائد والرواية ١٩٢
الجرب . ميكروبه وعلاجه ٣٦٣
الجزء فوطه بالعمل ٢٤٧
الجزء الثاني من كتاب سنن
السكانات ٥٣٠

صفحة	صفحة	صفحة
٦٩٣	٦٩٢	الحرب المدنية الاوربية.
» »	الجل . مسدته وسبب	أسبابها ١٥٣
٦٩٤	٣٥٣	» » البرقيات بين القيصرين
» »	الذكورة والانوثة	بمقدماتها ٦٢
٦٩٢	٤٤١	» » » العبرة بالله - الم - ٩-١
الخط الكوفي ٤٦٣	الحمامات . أنواعها	» » » الفلقة المنيرة لها ١٤١
خط التعليل الديواني ٤٦٦	الحرمة . أسبابها وعلاجها ٧٧١	» » » والمقارنة بينها
خلايا الاجسام وما يتركب منها ٥٢٧	الجلي الباراني فودية ٦٨٠	وبين المدنية الاسلامية
الجل ٢٨٥	» تعريفها ووصفها وأعراضها	واقترحات العربية ١٨٢
الحقاه الراشدون . خطبهم ٦٢٥	ودرجاتها والموت بها	الحرق . أعراضه وعلاجه ٤٥٩
الحلق الآخر بعد الولادة ٣٥٦	ومضاعفاتها ومعالجتها ٦١٤	حروف الهجاء العربية ٤٦٧
الحلق . أوله ١٨١	» التيفودية ٦٧٣	الحرير ووصف دوده وزيته ٤٤٣
الحليفة . استعمال هذا	» الماظية ٦٨١	حزب الاسلح الاسلامي ٢٣٣
اللقب لفة وشرعا ٨٥٨	» الخية الشوكية ٧٧٥	حسين كامل ناشا . الاحتفال
» اشتراط الاجتهاد فيه	الحنين الى الاوطان ٢٢٠	بجعله ساهانا لمصر ٥٣
ونصب المقلد لفتح المجندين ٤٨٦	الحواربون . مأخذ اسمهم	الحق والقوة والحرب
الحائر وأسبابها ٢٠٤	ومعناها وطلبهم المائدة —	الخاضرة ١١٤
خاتم المضمم الرابع ٢١٠	هل ينافي إيمانهم أم لا ١٤٩٧	» للقوة . قاعدة ذلك ١٤٧
الخمر . الاحاديث في تحريمها ٢٧	الحيض ١٣٠ و ٣٠١	» واحد لا يتعدد ٤٣٠
» استحلها بالتأويل ١٦	الحيوانات البرية والبحرية ٢٧٤	الحكم لا ينتفي بانتفاء حكمته ٨٦
» الاضطراب بالبيع لها ١٠٢	الحيوانات المنوبة ٢٩٦	حكم العدلين بجزاء الصيد ١٦٩
» أنواعها ٢٨	خ	حكم ما سكت عنه الشارع ٤٩١
» التداوي بها ١٠١	الحيث والطيب ٢٤٧	حكمه تحريم الربا ٤١٢
» ترجيحها على الصحة	الختان وفوائده ٢٩٦	» التدرج في تحريم الخمر ١١
والعقل والدين ١٠٤	خرافات وأوهام في قصور	» تشديد الاسلام في
» تحريمها بالتدرج ١١ و ٢٧	ملوك أوربة ٧١	الخمر وإباحتها قبله ٩٧
» تشديد الاسلام وحده فيها ٩٦	الخطأ والنسيان مرفوعان ٤٢٧	» جعل آية نبينا عامية ١٥٦
» تفسير آياتها وتفصيل أحكامها	الخطابة في الاحتفالات	» الزكاة ٥٠٩
والفصل فيما اختلف فيه	الرسمية بالاندلس ٥٣٨	» الصلاة ٥٠٦
من معناه لفة وشرعا ١٠	الخطب الدينية وانتقادها	حكيم الشرق والغرب محمد عبده
» الجمعيات لا بطلانها وضررها في	واصلاحها ٥٥٥	وسبب سر . تحاورها في
الحرب ٩٢	الخطب النبوية ٥٥٩ و ٦٢١	حال انكسار أوربة ٧٥٠
» حكمه تحريمها وعلته ودوران	خطب الحقاه الراشدين ٦٢٥	الحلال والحرام . الكذب
العلة مما عارضها وعاكسها ٨٦ و ٩٠	» القاسمي الجمعية ٦٢٩ و ٦٩٢	بها على الله ٤٩٣
» دحض شبهة لشانها ٨٦	الخطبة . سننها ومكرهااتها ٥٥٧	

صفحة	صفحة	صفحة
الرجل. ارسلهم بثلاثة أشياء ٧٠٤	الدولة العثمانية والامان ٤٧٢	الحجر. شبهات شاربيها على
» سؤالهم يوم القيامة عن	الديدان وأنواعها والامراض	طرها ١٠٤
٦٤٣	منها ٦١٣	» شبهة شرب الانبياء لها ٩٧
الرسول وظيفته البلاغ	ديوان خطب القاسمي ٥٥٦	» » مستعمل قلبها ٨٨
٢٥٠ و ٢٤٦	الدين. استمداده مسائله من	» البيرة فيها ٩١
١٣٦	القرآن وبيان السنة ٤٨٨	» علة تحريم قلبها ٧٩
الرعد والبرق والصاعقة ٣٨	» أصوله ٧٣٧	» مدة شرعا ١٢-١٦ و ٩٢
الرمم الصديدي والجبيدي ٤٥	» اكمله وسيره وأساسه ٣٢١	» احجم عن تحريمها ٩٤
الروح والقوى العقلية ١٢١	» تأثيره في ترك اللذائذ الضارة ٩١	» قفاها ٢٠
» له نشأتان ١١٩	» حصره في النصوص ٧٣٧	» نجمة أم لا ١٩
» والنفس وصفاتها ٢٧٧	» مضادته للحرب ٧٤٩	» نوحان: تقطير ونخمير ٩٣
روسية وألمانية. توادها	دين المسيح في الرحمة والايثار ١٨٨	» والميسر. آثارهما العداوة ٢٠
١٥٣		» » صدهما عن ذكر الله
الزائدة الدودية ٢٠٧	الذات والصفات ٧٨٢	والصلاة ٢٢
الزكاة. دلائل كفر تاركها ٥٩١	الذباب ومضاره ٤٥٥	» » مؤكيدات تحريمها ٢٤
٦٦٢	الذكر. أعضاؤه التناسلية ٢٩٥	الخمور. صنعاتها وضررها ٢٨٧
الزنا. مضاره الاجتماعية ٣٦٥	الذميون. توسعة المسلمين عليهم	الحناني (راجع دفثيريا)
» » الجسدية ٣٦٠	بتجاركهم الى رؤسائهم ٥٨٢	الحنيني ٣٠١
الزهرى - أو الافرنجي ٣٦٠	الذنوب لا تقتضي الكفر ٦٧١	الخوارق الكونية. اشتباه
الزواج. من الفتاة له ٣٦٦ و ٣٧١		الناس فيها ٦٥٥
الزبوت. أنواعها ومنافعها ٢٧٦		
	ر-ز	د-ذ
	الراحة والتعب ٥١٣	الداء الافرنجي ٣٦٠
س	الرازي. غلطه في تفسير	دار الدعوة والارشاد ٧٥
السؤال. النهي عنه في الكتاب	» ان تعذبهم ٧٣١	العضان (التبغ) وضرره ٢٨٧
والسنة بشرطه ٣٣٢ و ٢٥١	الرأي. اثباته وانكاره ٣٤٤	الدفثيريا. أسبابها وعلاجها ٦٨٢
سبحان الله. معناها ٧٢٥	» الباطل خمسة أنواع ٣٤٥	دلوكاسية. تأليه روسية على
سيفسره. رأيه في ضرر الفلاسفة	» في الشرع ٢٣٤ و ٣٤٢	ألمانية ١٥٦
المادية واضعافها للفضيلة في	» المحمود أربعة أنواع ٣٤٧	الدم. دورته وما يتركب منه
قومه. وكه ن أوربة لا تعرف	الرؤى وعلم الغيب ٥١٧	١٢٣ و ١٢٦
الحق الا للقوة وانه سيختبط	الربا. بطلان جعله في كل	» حكمة تحريم شربه ١٢٨
بعضها ببعض ليسود أبقواها	مكيل وموزون ٤١٥	» معاملة نزفه ١٣١
٧٥٠	» وحكمة تحريمه وعلة	الدهن. فائده في الغذاء ٢٩٠
سفور النساء واختلاطهن	حصره في ستة أشياء ٤١٢	دورة الدم وصفة القلب ١٢٣
بالرجال ٢٢٧	الرجس. معناه ١٨	الدول المتعاربة ومقاصدها ٣٠٧
سكتا الحديد الحجازية	الردة عن الاسلام. هم تكون ٦٧١	

صفحة	صفحة	صفحة
٣٣١	١٢٥	٤٧٢
عن السؤال	الشرابين والاوردة	والبغدادية
الصحابة. أصول الاحكام القضائية	٧٦٢	المكره. تقييح كتب المهددين له
عندهم	الشرطة في الدلة	٩٨
٣٤٣	الشرع . نيسان أن الزيادة على	السكر . فائدته في الغذاء
» تعذر الاجماع بعدهم	النصوص والتقطع باستعمال	٢٩٠
٣٨٥	الرأي محل يدر الاسلام	السلطان . تاريخ هذا القف
» تفضيلهم على الاوربيين	٣٥٢-٣٢١	٧٦٠
» ردهم الخراج لاهل حصص	وما استشكل منه لمخالفة	السل
١٨٣	٤١١	٣٦٤
» رأي علمائهم	القياس	السلوك بين العلم والخال
٣٤٧	» كشف شبهة لهم	١١٤
٨٤	» المانور عنهم في القياس	معموم الميكروبات
» والرأي	٣٣٩	٥٩٣
» ما أخطأوا في فهمه وأنكره	» ما أخطأوا في فهمه وأنكره	سنة الله في سيرة الانسان
الذي عليهم وتفاوتهم في	٤٠٩	٠٦
الفهم	» خلاف القياس	وإيادته
٤٠٤	» الشرع نفي . محرم أم لا	سن البلوغ للاناث
صدق به وصدق له معناه	١٧ و٢٣	٣٠٠ و٢٦٦
١٧٨	» الشرع والادب	٣٦٦
الصفات . ايمان العارفين بها	٧٨٩	» اليأس
وجحد الجمية وأرباب	» شر الحاسي في النجدة	٣٠٠
الشهوات لها	١٩١	السنه . أنصارها المجددون
٧٠٣	» الشفاعة في الكتاب والسنة	٣٢٦
» تبصير نور السربها	٢٤٧	» تشبهها في الحق
٧١٢	» لا تنال كافرا	٩٦
الصفراء . منافها	٧٣٣	» ما انفردت به دون القرآن
٢١١	» الشكولاته	وحي أم اجتهاد ورأي
» الصلاة . أدلة كفر تاركها	٢٨٦	سنة الله في انتشار الماددة وتخللها
٥٥٨٦	» الشمس ضرورية للحياة	٣٤
» الاتماع لها على المقاصد	٦٠١	» » » الاكسجين
٥٨٧	» الشهادة في الوصية	والسكربون
» بالحشوع	٥٦٤	١٩٥
٦٦٧	» شهادة غير المسلم على وصية المسلم	» » » رؤية الاجسام
» بدعة اسقاطها	٥٨٣-٥٧١	» » » السكر باموال والنور
٥٠٨	» الشهوات . المؤثرون لها على	السواك وفوائده
» تعريفها وحكماتها	» الأخيرة	٢٠٠
٥٠٦	» الشورى في الاسلام	سورة المائدة . خلاصتها من
» والزكاة . حكم ناركها	٣٤٧ و٣٢٣	أصول الدين وفروعه
٥١١	» الشوكاني تحقيقه . مسألة القياس	٧٣٧
» صلاة أهل عصرنا	٤١٦	» النصر . نعمها النبي
٥٨٨ و٥٠٩	» مجتهد الدين	٤٠٦
» الحاشين والمنافقين	٣٢٨	السيلان وسببه
٦٦٧	ص	٣٦٢
» الصوفية . بيعتهم وخزنتهم	» الصحابة . آراؤهم ليست	نش
٣٠٦	» تشريعا	الشارع . حكم ما كت عنه
» كلامهم في الوقت	٣٤٠	الشاطبي . ما حرره في مسألة
» الصين في الاحرام والابتلاء	» اجتهادهم في آبي الحق	المصالح
١٦٢	» اجماعهم على كون كل	٤٨٥
» صيد البحر وطعامه للمحرمة	» مسكر خرا	الشافعي . نبذة من شعره
١٧٥	٩٥	٧٩٠
» الصيام . منافقه وضرره	» أسئلتهم النبي ونبيه	(الشيخ) شمني النعماني . حبه
٢٩١	» أسئلتهم النبي ونبيه	للمنار وصاحبه
		٢٣٦ —
		ووفته وترجمته
		١٩٦ و٧٩ و٢٣٣

ض - ط - ظ

الضرورة تبيح المحرم لذاته ٤١٤	الطاعون. أسبابه وعلاجه
والوقاية منه ١٨٨	الطب. وصفات منه لقدمات
المصريين ٢٣٤ و ٤٢١	الطعام بعد المضغ ٢٠٥
الطعام ووظائفه ٤٣٤	طبعه وأوقاته وقوانينه
الطعام من النبات ٢٨٩	الطعم. تحقيق معناه ٨٢ و ٨٨
الطلاق. النهي عنه ٦٩٢	الطهارة والنجاسة عند المحدثين
الطوفي. توسعه في رعاية	٣٠٦
المصالح ٤٨٣	الطهارة. أصول الفقه
الطيرة والتشاؤم ٦٣٠	عندهم ٣٧٩ و ٤٢٣
الظاهرية. أصول الفقه	الظلمات الثلاث التي يخاف
عندهم ٣٧٩ و ٤٢٣	فيها الانسان ٣٥٧

ع

العارفون بالله. ضرب مثل لهم ٧٨٨	العامي ومن منع تقليده لأمه في ٤٢٦
عبد الرحمن الناصر. سيرته	وانكار القاضي عليه
وخضوعه للحق ٥٤١	وجمه بين الدين والدنيا ٥٣٧
العدسات والمنشورات البلورية ٤١	البدل في الاسلام ٣٢٣ و ١٨٩
والرحمة في أمة القوي ١٤٩	

العدل والقياس الصحيح ٤١٠	« والمعاهدات في الحروب ١٤٤ »
عدل الاسلام (مترجمة) ٦٣٦	العدوى. اثباتها طباو شرعا ٦٠٨
« الترجيح بين أحاديثها ٧٨١ »	عذاب الكفار. تفاوته ٦٥٧
« العرب. تفضيل حكمهم وخبرهم »	« على مثلها عند الأوربيين ١٨٢ »
« سيرتهم في الاندلس ٥٣٧ »	« ولقنهم في المدينة القديمة ٢٦٣ »
« ولقنهم في الجزيرة والولايات »	عرب الجزيرة والولايات
« العثمانية. عددهم ٦٨ »	العربية. وجوب تعلمها على كل
« المسيل ٧٦ »	« المرق. غدد ومواده ٤٣٩ »
« العزة والحكمة. ترتيب ٧٤٩ »	« المنفرة عليهما ٣٥٩ »
« العزل في الواقع ٢١٩ »	« المسمل ومنافعه ٤٩ »
« عضلات الانسان ٤٦ »	« عظام جسم الانسان ١٠٦ »
« المغفر والمنفرة. الفرور بهما ٢٦٢ »	« عفو الله بتخفيف الاحكام »
« العقاب. تقديمه على المنفرة ٢٤٦ »	« بالسكوت عنها »
« العقل وقواه وكونه عرش »	« الروح ١٢١ »
« المقم. أسبابه ٣٥٨ »	« الملققة في أطوار الجنين ٣٥٥ »
« الملة الجامعة في الربا ٤١٣ »	« العلم. استلزامه العمل ٦٦٤ »
« تأثيره في ترك التدخين الضار ٩١ »	« شعر فيه ٧٩٠ »
« مع الحال والفناء عند ١١٤ »	« الصوفية »

صفحة	العلم والمعرفة. الفرق بينهما ٦٩٠
٥٣١	« علم الاحياء الدقيقة »
٧٨٢	« الجمع والفناء والبقاء »
٥٢٥	« الانسجة »
« الله. الاستدلال بحمل »	« الكعبة فيما على احاطته ٢٤٥ »
« تعليمه بالابتداء ١٦٣ »	« الغيب في الرؤيا وغيرها ٥١٣ »
« العلماء المصلحون ٣٢٧ »	« علماء الاندلس. ارتجالهم »
« الخطب السياسية ٥٣٩ »	« عمر. احتجاده غير حجة على »
« وسارية الجبل ٥٢١ »	« قوله: خمينا عن التكلف ٣٢٩ »
« كتابة الى شريح ٣٤٣ »	« بن عبد العزيز. عدله »
« ورحمته ١٨٧ »	« عمل البشر. بناؤه على »
« جلب النعم ودفع الضرر ٦٦٦ »	« العناصر. ما خدأ سمائها العلمية ٣٦ »
« عيسى. تنزيهه لربه وتبرئته لنفسه »	« وتفويضه أمر جزاء قومه لربه »
« ودعوته الى التوحيد الخالص »	« وسؤاله عن اتخاذ وامه الهين »
« نعم الله عليه وعلى أمه وتأنيده »	« بالآيات وشأنه مع الحوارين »
« وطلبه المائدة من السماء ٦٤٥ »	« لا يشفع لمن اتخذوه إلهًا ٧٣٣ »
« العين تأثيرها ٥٢١ »	« طبقاتها وأراضها ٤٤ »
« عين الجمع عند الصوفية ٣٧٢ »	

صفحة

صفحة

صفحة

في ما أخذ الاسلام
ودلائله وأصول الفقه ٣٧٩
محمد شفيق رضا . تمثله به
وتاريخه ٦٣٧
» » » » ولادته ٥٦٠
» علي راجا محمود آباد ٢٣٤
غ الانسان كتلغراف
ماركوفي ٥١٩
المخلوقات . دلالتها على
الذات والصفات والافعال ٧١
مدرسة الدعوة والارشاد
والحكومة المصرية ٣١٣
» الدروس العلمية والطبية
فيها ٣٣ و ١٢١
المدنيتان المصرية والبابلية
عريبتان ٢٦٣
مدينة لقوة والاثرة . شروطها ٠٢
المدنيتان الروحية والمادية ٧٥٢
المراهنة في المسابقة والرمية ١٠٧
مرسم . عبادة التماثيل لها ٧٢٣
المساواة بين المسلم وغيره ١٨٨
المستضعفون . تقصيرهم مع
أنفسهم ٠٥
المسكر قليلة وكثيره حرام ٨٩
المسلمون . تركهم العمل
بالقرآن وما ترتب عليه ٥٨٣
» تقويض أمورهم اليهم ٣٢٣
» تقصيرهم في العبادات ٠٧٧
» توسعهم على أهل الذمة ٥٨٢
» ٣ أحزاب . جهود
وتفريخ وإصلاح ٢٣٣
» جنابهم على أنفسهم
وحالهم مع الأجانب
وما يجب عليهم ٩٠٥
» حالهم مع غيرهم في العصر

المرية أقدم لغات
المدنية ٢٦٣
الهيروغليفيه عريضة
الأصل ٢٦٥
اللغتان المصرية والعريضة
(مقارنة) ٣٨٧ و ٢٦٦
و ٤٣١ و ٥٤٨ و ٩٣٦
اللفظ واللاوية المقاربة ١٢٩
اللواط . مضاره ٣٦٥
الوزنان في الخلق ٢٠٤

م

الماء . تحريكه وفوائده ٢٨
» البارد قائمته في الحى ٦١٩
المائدة . اقتراح الخواريزم
إزالتها ومطلب المسيح له
والخلاف في نزولها
وهل لها أصل في كتبهم ٦٥١
مالك . مذهبه في التزام
النصوص في العبادات
واعتبار المصالح في
المعاملات ٤٨١

المثانة ٢٩٣
المجددون في الاسلام ٣٢٦
المجتهد المخطئ مخير من المقلد
المصيب ٤٢٩
المجلة الاسلامية والهند المسلمة ٧٣
المجهر (الميكروسكوب) ٥٢٥
المحرمات . قلم قبل تحريمها ٧٣
المحرم لذاته والمحرم لسبب
الذريعة ١١٤ و ١٠٣
الحبة والاحسان والايثار ١٤٤
الحلى لابن حزم . مقدمته

٤٤٥
كتب مصري ٤٤٥
الكتاب في اخبار العرب ٤٤٥
» على الله التحليل والتجريح ٤٤٥
السكران . أسبابه وعلاجه ٧٦٧
الكعبة ومعنى جعلها قياما
للناس في أمر دينهم
وذنياتهم ودلالة ذلك
على احاطة علم الله ٢٤٢
الكفر بالله وبتممه وعقابه
عليه في الدنيا ٠٢
» قولهم لا تكفر مسلما
بذنب ٦٧١

الكفار . الخلاف في شهادتهم
٥٧٧
كفارة الصيد في الاحرام ١٧٢
الكلالة واستشكال عمر
لايتها ٤٠٧
الكلوريل ضروري للحياة ٦٠١
الكتبتان ووظيفتهما ٢٩٢
كثير الحقائق في فقه خير
الخلايق (نموذج منه) ٣٠٥
كنيسة مسجد دمشق ٥٠٣
السكران . وطرائق تولدها ٣٧
٧٦٣
السكوليرة

ل

الباس ومرارة الصعقة فيه ٤٤٢
الابن الحائر أفضل غذاء
للمحموم ٦٢٠
الابن وما يمرض له ٢١٦
البحر . أنواعه ومقامه في
الفداء ٢٧٣ و ٢٧٧
الذات المعنوية من روحية
وخيالية وعقلية ٧٨٨

صفحة	صفحة	صفحة
١٦	٠٦٩٦	٥٨٢
المسرح . حقيقة	وصفات العارفين	الاول
٢١	٧٢٩	١٢٦
» مفاسده العنوية	العزير الحكيم	المسلمون . عدم اجتماعهم
٢٠٤	٢٤٦	١٩٢
الميكروبات أعمها في التخمر	» والعقاب	» على ضلالة
٦٠٤	٣٨	» عنايتهم بالرواية
» من الجن والملائكة	المفناطيس الارضي	سلمو زماننا لا يستحقون
٦١١	٤٨	الملك
» حياتها	مفاصل الانسان	» الهند أرحى للاسلام
» دراستها وتربيتها	مقام المشاهدة عند الصوفية	من مسلمي مصر
» وأشكالها وتربيتها	» العائنة	» الهند . هدمهم
٥٣٢	٣٧٢	المشاهدة والعائنة عند
» سمومها ويشتها ومدخلها	٣٧٥	الصوفية
» في الجسم وحياتها	مكاة الاسباب من الدين	المصالح . تقديم الطوفي اياها
» وتفرغها واختصاص	الملائكة . آراء الاولين	على النص
بعضها ببعض الامراض	» والاخرين فيهم	» الدينيوية . وجوب
ومصادرهما وتأثيرها	٥٢٢	الشورى فيها
» والوقاية منها	٢٨٤	» سبب القرار من
٥٩٣	٦٦	التصريح بها الى جملها من
» الطفيلية	المنازل . أسباب نشوء الانتقاد	مسائل القياس
٦١٢	٧٩٩	» مراعاتها في المعاملات
» النصرية	» تنمي ترجمة ما ينشر فيه	» الرسالة . أمثلة عشرة لها
٦٠١	٧٥	مصر . جعلها سلطنة تحت
ن	٧٩٨	حماية انكارتها
» أظمتها	» حق أصحاب الرسائل عليه	المصريون القدماء من العرب
٢٧٥	» خاتمة السنة وحالته في	المصالحون في الاسلام
» أملاحة	السنة بعدها	٢٣٣ و ٣٢٦
» والحيوان . الفرق بينهما	» الدعوة الى انتقاده	المطهرات الطبية
٥٣٣ و ٥٢٨	» دعوة صاحبه لرياسة مؤتمر	المعاصي . تأثيرها الذاتي والديني
النبذ والفرق بينه وبين الخمر	ندوة العلماء بالهند	المعجزات السكونية والعلمية
٢٨ و ١٥	» فاتحته وفيها بيان حال	المعدة . صفتها وعملها
» نينا . استشارته في المصالح	العالم والمسلمين خاصة	المعرفة بالله تعالى والدرجة
» دون الاحكام	في هذه الحرب وسن	العليا فيها
» أفعاله ومكانها من المشرع	الله فيها	» الفرق بينها وبين
» أمر الله له بالمشاورة	المناعة من الامراض	العلم وأقوال الصوفية
» انكاره فهم بعض أصحابه	المنهات كالبهم والاعصاب	فيها ودرجاتها عندهم
» تصديقه للرسال قبله	متن من سعيد البلوطي القاضي	وضلال الملاحدة فيها
» خطبه	الحيوانات	
» تعظيمه ومحبته	الموت ولائكتها	
» شمائله وأخلاقه	المياه الفائقة	
» رأيه واجتهاده في الاحكام	المران المقارن للقرآن	
» رحته في الحرب وعنايته		

فهرس لا بواب الحجة

ل

صفحة	صفحة	صفحة
٢٠٦	٧٤٢	١٨٤
٢١٣	٧٤٢	١٨٠
٧٠	٤٩٠	٩٩
١٩٠	٤٩٠	٣١٣
١٩٢	٤٨٨، ٤٨١	٧٣٨
٣٣	٤٠٣	٣١٣
١٩٤	٤٠٨	٢٠٦
٧٦٣	٤٥٤	١٨١
	٤٤٦	٤٠١
	٤٥١	٤٥٠
	٤٤٦	٢٣٦
	٧٣٤	١٧
	٤٦٩	١٣١
	٧١١	١٧٣
	٥١٣	
	٣٢٨	
	٥٥٧	
	٥٣٥	

و-ي

هـ

الفهرس الثاني لا بواب الحجة

المراسلة والمناظرة	التفسير: وهو في
٨٩	١٨١
١٣	١٧٨
٧٩٨، ٧٩٣	١٨١
٧٨٩	

المقالات

٥٣٧

فهرس المطبوعات

٢

صفحة	صفحة	صفحة
٦٨ احصاء جزيرة العرب	الدولة والامان والسكتان	الاحرف الخامة بالعربية ٤٨٦
٧٠ « شعوب الهند الانكليزية	المتضادان ٤٧٢	الاستعمار ١٥٠
أهم أخبار الحرب الاوربية	سفور النساء واختلاطن	أصناف الأقلام العربية ٤٦١
٣٠٧ والآراء فيها	٢٢٧ بالرجال	أصول فقه الظاهرية ٣٧٩ و ٤٢٣
(بن روسية وألمانية) أو	١ فحة السنة ١٨٨٠ للمعار	الإلقاب الرسمية وغير الرسمية ٧٥٣
وصية غليوم الاول	قصيدة شوقي في سلطان	انتشار الخط العربي ٤٦١
١٥٣ لحفيده غليوم الثاني	٥٩ مصر وحمايتها	البديعة وعلامة أهل الحديث
جعل مصر سلطنة تحت حاية	كلام الصوفية في الوقت ١٠٨	(من كنز الحقائق) ٣٠٥
٥٣ انكثرة	لغة العربية أقدم اللغات	البرهان على خروج تارك
٣٠ الجهاد الديني في الاسلام	الشرقية وألم الدينيتين	الصلاة ومانع الزكاة من الايمان
٩٢ التاريخ المجري الشمسي	٢٦٢ المصرية والبابلية	٥٠٦ و ٥٨٦ و ٦٦٢
٤٨٠ تصحيح خطأ	المعرفة بالله تعالى ٦٩٦ و ٧٨٢	بن روسية وألمانية ١٥٣
٨٠٠ خاتمة السنة ١٨٨٠ للمعار	مقارنة بين اللغة المصرية	الجهاد الديني والاسلام ٣٠
٣١ الدعوة الى انتقاد المعار	القديمة واللغة العربية	حرب أمم المدينة لا المال
الدولة والامان وسكتا الحجاز	٢٦٦ و ٣٨٧ و ٤٣١	الدينية ٧٤٦
٤٧٢ وبتداد	٥٤٨ و ٦٣٥	« المدينة الاوربية ١٨٢
٣٢ سنة المعار الجديدة	مقام المشاهدة وعين الجمع ٢٧٢	الحنين الى الاوطان ٢٢٠
الشيخ شبلى النعماني (وفاته)	٧٤٤ امكان الاسباب من الدين	الحق والقوة ١٤١
٢٣٣ و ١٥٦ و ٢٩	٢٧٥ منزلة المعاينة أو مقامها	خاتمة السنة ١٨٨٠ للمعار ٨٠٠
١٣٧ العرب في الاندلس	١٨٠ الوقت عند الصوفية	الخطب الدينية ٥٥٥ و ٦٢١
مدرسة دار الدعوة والارشاد		٦٩٢ و
٣١٣ نقفاتها وافتتاح سنتها		دروس سنن الكائنات
٢٢٧ فوضى الاداب بمصر		٣٣ و ١٢١ و ١٩٣٠ و ٢٧٠
مساحة المملكة العثمانية		٣٥٣ و ٤٣٣ و ٥٢٥
٦٦ وعدد سكانها		٥٩٣ و ٦٧٣ و ٧٦٣
ميلاد السيد محمد شفيق آل		الدعوة الى الانتقاد على المعار ٣١
٦٢٧ رضا		

الفهرس الثالث للمطبوعات

٢٣٨ خواطر في القضاء والاقتصاد	٣٩٩ (كتاب) الانساب لاسماني ٢٣٩	٣٩٩ ابن عقيل على الالفية
٢٣٨ والاجتماع	٣١٩ الحساب	الإحكام في أصول الأحكام
٤٠٠ دستور معالم الحكم	٣١٥ البيان والتبيين	الاول والثاني والثالث
٢٩٩ وما نور مكارم الشيم	٣١٩ تقرير السنوي للجمعية	والرابع
٢٩٩ ديوان الحاسة	٣١٩ الخيرية الاسلامية	الاعتصام - الاول والثاني
٣٢٠ ذكرى الماضي أوسياحة في	٣١٦ الحنين الى الاوطان	والثالث
الجبل	٤٧٧ الخصائص - الاول منه ٤٧٧	انتشار الخط العربي ٤٨٠

فهرس لاماء الكتاب

ن

صفحة

» حبيب الرحمن خان

١٥٦

الشرواني

» شبل النعماني ٢٣٥-٢٣٧

صالح مخلص رضا ٢٣٨ و ٣١٥

٣٩٩ و ٤٧٤ و ٦٣٨ و ٧١٥

عبد الميز الجرجاني ٧٨٨

» الفتاح عباده ٤٦١

الفتيح بن خاقان ٥٣٧

القلقشندي ٧٥٣

متأدب ٣٩٦

محمد عي أبو زيد ٥٠٥ و ٥٨٦

٦٦٢ و

محمد توفيق صدي ٣٣ و ١٢١

١٩٣ و ٢٧٣ و ٣٥٣ و ٤٤٣

٥١٣ و ٥٩٣ و ٦٧٣ و ٧٦٣

مسلم غير متفرنج ٧٣-٧٨

٧٩٣ م. ن

الفهرس الرابع

لاسماء من هم كتابات في هذا المجلد

٣٧٩ ان حزم

» القيم ٣٧٢ و ٦٩٦ و ٧٤٤

٧٨٢ و

حمد بن كل ٢٦٦ و ٣٨٧

٤٣١ و ٥٤٨ و ٦٣٤

» شوقي ٥٩

اسماعيل بك عاصم ٦٣٧

أمنية أ. بامفورلا ٧٤-٧٥

اسكيزة مائة ٦٢٦

جريدة الافكار البرازيلية

١٤١ و ١٥٣

» الزمان ٧١

الشيخ جمال الدين القاسمي ٥٥٧

٦٢١ و ٦٢٩ م. ن

صفحة

٢٤٠ رجال المعلقات المشر

٣٢٠ رواية الفلاح

شرح السيرة النبوية (ربرية

٢٤٠ ابن هشام)

صبح الاعشى - الاول

والثاني والثالث والرابع ٤٧٤

الطراز في علوم الانجاز ٤٧٥

كتاب الفوز بالمراد من

٣١٩ تاريخ بغداد

كثر الحقائق من فقه خير

٣١٥ الخلائق -

٤٠٠ المزهر

(كتاب) المسيح على

٣١٧ الجورين

٣١٨ نقابات التعاون الزراعية

٣٩٩ الواجب



جدول للخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤١	٤	والقلائد	والقلائد
٢٤٣	٤	الثمرات	من الثمرات
٢٤٥	٢٣	أعجبك	أعجبك
٢٤٦	١	يا ولي	يا ولي
٢٥٠	٥	يا بها	يا بها
٣٢١	٣	كون كثرة الزيادة	أن الزيادة
»	٤	مخل	مما يخل
٤٦٩		طبعت خطأ ٥٦٩	
٤٨٠	١٦	٢٣٢	٢٤٣
٤٩٠	١٩	سائبة	سائبة
٤٩٧	١٩	فَيَنْبِتْكُمْ	فَيَنْبِتْكُمْ
٦١٦	١	الحراة	الحراة
٧٢١	٣	أنت	أنت
»	٦	علم	علم
٧٩٩	٢١	صور يون	صورين

﴿ تنبيه ﴾

في السطر الاول من الجدول الثالث من الصفحة الاولى من الفهرس خطأ صوابه « من أهل الكلام والتصوف »

راجع التصحيح الموجود في آخر الجزء السادس ص ٤٨٠ مع ملاحظة أن العدد

٢٣٢ الموجود في السطر ١٦ خطأ صوابه ٢٤٣

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى وده منارا، كمنار الطريق

مصر ٢٩ ربيع الانور ١٣٣٣ ٢٥ الدلو (ش ٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٤ فبراير ١٩١٥

فاتحة السنة الثامنة عشرة للمنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، وجل
ثناؤك ، ولا إله غيرك ، (٢٦:٣) قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ،
وتنزعه الملك ممن تشاء ، وتُعزّض من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك
الخير إنك على كل شيء قدير

سبحانك اللهم وبحمدك ، ما أعدل حكمك ! وما أجلّ حكمتك !
وما أوسع علمك ! وما أنفذ مشيئتك ! (قل اللهم فاطر السموات

وَالْأَرْضِ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ

سبحانك اللهم وبحمدك، لأنحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على
نفسك، أسبغت النعم ظاهرة وباطنة، وأفضت أنوار الكرم بارزة وكامنة،
ووهبت العقول والمشارع، وبينت السنن والشعائر، وأكملت هداية
الدين، ببعثة محمد خاتم النبيين، فصل وسلم اللهم عليه وعلى آله الأئمة
الطاهرين، وأصحابه المهادين المهديين

اللهم ان نعمك لا تحصى وقد كفرها الكافرون، وان صراطك
المستقيم لا يخفى وقد تنكبته الضالون، وان حكمك هو الحق وان عمي
عنه المبطلون، وان عدلك هو القسطاس وان جهله الظالمون، (٧: ٣٣)
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ * ١٨: ٦٥ حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم
يَجَارُونَ ٦٦ لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ

ربنا إنك آتيت أقواما الغنى فطغوا وفسقوا عن أمرك، وآتيتهم
القوة فبغوا في أرضك، ربنا ليضلوا عن سبيلك، بما أعرضوا عن
دليلك، (١٠: ٨٨) ربنا اطمئن على أموالهم واشدد على قلوبهم، فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم * ١٧: ٤٤ بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى
طال عليهم العمر، أفلا يرون أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ؟
أفهم الغالبون ؟

يأياها الناس لاخير في الحضارة المدنية، اذا اقيمت على قواعد

الأثرة والقوة المادية ، ولا خير في العلم ولا في العمران ، اذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان ، أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وانه بعباده رؤف رحيم وإنما يرحم الراحمين ؟ وانه يأمر بالعدل والاحسان وخص بمحبته المحسنين ؟ (٤٠ : ٨٢ أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * ٢٩ : ٩ أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الارض وعمرؤها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (*) (٣٨ : ٩ آم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ١٠ آم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فبيّرتقوا في الاسباب ١١ جئنا ما هنالك مهزوم من الأحزاب)

(٤ : ١ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة * ٤٩ : ١٣ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) لا لتتناكروا وتتخالفوا ، (٤٥ : ١٢ وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) لتشكروا لا لتكفروا ، ولتصالحوا لا لتفسدوا ، وليس الإصلاح في الاستعانة بقوى المواد وخواص الاشياء ، على إفساد أمر الناس الذين خلق الله لهم جميع الاشياء ، وإنما الإصلاح كل

(*) لا يحول دون الاعتبار بهاتين الآيتين هنا نزولهما في قوم كانوا أقل من قبلهم قوة وكسبا وعمرانا وآثارا في الارض وكونهما لا تنطبقان من بعض الوجوه على بعض الامم المغرورة بقوتها وعمرانها في هذا العصر - فالعبارة واحدة

الإصلاح ، أن تستعينوا بما آتاكم الله من العلم والعرفان ، وما هذا كم
إليه من تسخير القوى السكّانة في الاجسام ، على جعل منافعها شرعاً
بين جميع الناس ، وجعل الغاية منها إيصال الشعوب كلها الى ما يمكن
من الكمال . وان الإفساد كل الإفساد ، ان تحتكر الشعوب العالمة
منافع العلم ، وتجعله ذريعة لبغي بعضها على بعض ، واستئلال الشعوب
الضعيفة في الارض ، وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الاعجم ، بل هم
اشد اهانة لمن كرم الله واكثر تذليلاً (١٧: ٧٠) ولقد كرّ منابني آدم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً*
- ١٦ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميراً)

يا أيها الانسان، اتق الله في أمر أخيك الانسان، ولا تستعمل على من
فضلك عليه بالعلم والمال، فقد خلت من قبلكم القرون والاجيال، (١٤: ٤)؛
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا
لكم الامثال - ٢٨: ٦٧ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناؤه من
الكنوز ما إن مفاعله لتنوء بالمصبة أولي القوة، إذ قال له قومه لا تفرح
إن الله لا يحب الفرحين (٧٧) واشغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا
تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ
الفساد في الارض إن الله لا يحب المفسدين (٧٨) قال إنما أوتيته على
علم عندي، أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من
هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً؟ ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون

(٧٩) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٨٠) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُقِيمُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨١) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨٢) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ وَيَكَآنَ لَهُ لَا يَفْخُ الْكَافِرُونَ (٨٣) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

يا أيها المغرورون بالعلم والقوة ، قد عرفتكم القوى المادية ، فلا تنسوا القوة المعنوية ، يا أيها المغرورون بعرفان السنن الكونية والاجتماعية ، لا تنكروا سنن العدالة الإلهية ، (٣ : ١٣٦) قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * ١١ : ١١٨ وما كان ربك ليهلك القرى ^(١) بظلم وأهلها مصلحون * ٢٨ : ٥٩ وما كنّا مُهلِكِي القرى الا وأهلها ظالمون ٧ : ٩٩ أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ، ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون

واما أنتم يا معاشر المستضعفين والمظلومين ، فما زاتم شرا على أنفسكم

(١) القرى والمدن العواصم والمراد هنا الامم

من الاقوياء العادين ؛ لا نعم الله شكرتم ، ولا دين الفطرة أقيم ؛ لا سنن الله في السكون عرقم ، ولا على سننه في ارتقاء البشر سرتهم ؛ لا بالقوى المادية انتفعتم ، ولا بالقوى المعنوية اعتصمتم ، فما ظلمكم الله ولا الناس ولكن أنفسكم ظلمتم . تطالبون ربكم بما وعد به المؤمنين ، ولا تطالبون أنفسكم بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، (٣ : ١٥٢) ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسبونهم ياذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر حرمكم بخالفه كتابه وسنته في عباده ذلك النصير ، (٨ : ٤٧) واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) (٣ : ١٣٨) وتلك الايام نداولها بين الناس * ٢٧ : ٥ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) يا قوم ! طالما أنذركم المنار على رؤوس السنين والاحوال ، سوء عاقبة ما أنتم عليه من التفريط والغرور والاهمال ، وطالما فصل لكم في أعقاب الشهور ، ما تخرجون به من الظلمات الى النور ، ميينا لكم بآيات القرآن ، وأقيسة الميزان ، وسنن الله في سيرة الانسان ، أن الامر ليس بالأُماني والاحلام ، ولا بمجرد الانتساب الى الاسلام ، وانما هو بالاخلاق والاعمال ، والعدل والاعتدال ، التي بالايان تبلغ درجات الكمال ، وانما الخلافة في الارض بالصلاح والاصلاح ، والمؤمن المصلح يرجع المصلح الكافر بالايان ، (٢١ : ١٠٥) ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِّكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون * ١٢ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم لنهلك الظالمين ١٤ ولنسكنكم الارض من بعدهم * ٧ : ١٢٧ وعِد الله الذين

آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ ١٢٧:٧ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

نعم طالما حذركم المنار وأنذركم ، بل طالما ذكركم بنذر ربكم ، وبسننه في الدين معكم والذين خلوا من قبلكم ، فماريتم بالنذر ، وتعلمتم بالقضاء والقدر ، وانما يعتذر بالقدر من يبرئ نفسه ، ويتهم ربه ، على أنكم تدعون ربكم ان يبدل فيكم سنته ، ويبطل لأجلكم حكمته ، وينصركم بالاستبداد الأنف ، وقطع أسباب القدر ، وقد تلوتم ما نزل في حنين وأحد ، إذ نزل بخير سلفكم ما نزل ، جزاء العجب والخلاف والفشل ، وفيهم خاتم الانبياء والرسول ، أإسلامكم خير من اسلامهم ، أم لكم براءة في الزُّبر ، (كلاً والقمر ، والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر ، إنها لا يحدى الكبر ، نذيراً للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر)

نعم ان الله في خلقه آيات ، وان لربكم في أيام دهركم نفحات ، وان له تعالى رحمة خاصة لذئبة ، تتخلل سننه الاجتماعية ، « وان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ^(١) « وان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال مأم من أهله » ^(٢) وليكن الله تعالى لا يؤيد بخوارق الآيات ، من أعرض عن السنن وآيات القرآن ، ولا يمد بالنفحات والرحمة الخاصة ، من استحق الحرمان من معظم الرحمة العامة ، ألا وان تأييد الله الاسلام

(١) حديث رواه الطبراني عن عمرو بن النعمان بن مقرن وعلم عليه السيوطي في جامعه بالصحة (٢) حديث رواه الطبراني عن عبدالله بن عمرو بسند ضعيف

بغير اهله ، اكبر حجة على جميع من يُمدون من اهله ، ولا سيما اذا أُصروا على خذل انفسهم بخذله ، افلا يعلم من لاخير له في نفسه من نفسه ، أن لاخير يرجي له من غيره ؟ (٣٦ : ٥٣) أم لم ينبأ بما في صحف موسى ٣٧ و ابراهيم الذي وفي ٣٨ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ٣٩ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

يجب علينا معاشر المسلمين أن ننصف من أنفسنا ، قبل أن ننصف أو نستنصف من الأجانب عنا - وأن نستجيب لله وللرسول اذا دعانا لما يحيينا ، قبل أن ندعوه أن يستجيب لنا ويؤتينا ما وعدنا - وأن نشكر نعم ربنا التي أعطى من غير استحقاق لها ، قبل أن نسأله حفظها أو المزيد منها بدون قيام بحقتها - وأن نعلم أن الله تعالى لا يستجيب الدعاء بلسان المقال ، الا اذا كان دعاء بلسان الاستعداد والحال ، (١٣ ١٢) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ)

إني أذكر في فاتحة السنة الثامنة عشرة للمنار ، بما طالما فصلت فيه القول في السنين الخوال ، إنا نحن مسلمي هذا العصر ، لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ، ولا خلافة في شيء من الارض ، لا بحسب سفنه في خلقه ، ولا بتمتضي وعده في كتابه ، فاذا أعطى شيئا أو أبقي ، فذلك عنايته تعالى وفضله لا مما جعله وعدا عليه حقا ، وإن الله تعالى ليلو عباده بالحسنات ، كما يلوهم بالسيئات ، ليلوهم أيهم أحسن عملا ، فيكون أحسن جزاء وخيرا أملا (١٨ : ٥٥) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَر شَيْءٍ جَدَلًا - ٥٩ وَرَبُّكَ

الغفور ذو الرحمة ، لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجلَ لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه مؤثلاً

هذا وإن آية المؤمن أن يحمد الله في السراء والضراء ، ولا ييأس من روح الله مهما اشتدت الأهوال والأرزاء ، ويعلم أن ما أصابه من حسنة فمن فضل ربه ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه وسوء كسبه، فيحدث عند الحسنة شكراً ، ويحدث عند السيئة توبة وذكرى (٢٢ : ١١) ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة ألقب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين (٢٢ : ٧) رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ - ١٠ : ٨٥ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٨٦ وَتَجْنِبْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ - ٢ : ٢٨٧ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا . . .

٢ : ٢٠٠ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ٣ : ١٩٤ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ

٧ : ٨٩ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

٣٩ : ٧٥ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

منشئ المنار ومحوره

محمد رشيد رضا

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الأزهر شيخنا الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٩٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأُزْلَمُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٤) إِنَّمَا
يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ . فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩٥)
وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى
رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٦) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا
ثُمَّ اتَّقَوْا وَأُخْسِنُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

تقدم في تفسير آية البقرة (٢: ٢١٩) يسألونك عن الخمر والميسر) أن الله
تعالى حرم الخمر بالتدريج وصدرنا الكلام هناك بحديث أبي هريرة عن الامام احمد
في ذلك كما رواه السيوطي في أسباب النزول مختصراً. وروي في سبب نزول آيات
المائدة ان سعد بن أبي وقاص (رض) قال: في نزل تحريم الخمر — صنع رجل من
الأنصار طعاماً فدعاه فأتاه ناس فأكلوا وشربوا حتى انتشوا من الخمر وذلك قبل
تحريم الخمر، فتفاخروا فقالوا الانصار: الانصار خير. وقالت قريش: قريش خير.
فأهوى رجل بلحي جزور^(١) فضرب على انفي ففزره — فكان سعد مفرور
الانف — قال فأتيت النبي (ص) فذكرت له ذلك فنزلت هذه الآية: « يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ (الآية) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم
(١) اللحي بفتح فسكون منبت الاسنان والجزور ما يحزر من النعم أي يذبح

ويحزأ. أي ضربه بفك رأس الشاة مثلاً

وابن مردويه وابن النحاس في ناسخه، وروى الطبراني عنه انه نادى رجلا فعارضه
فمر به عليه فشجبه فنزلت الآيات في ذلك

وعن ابن عباس قال: انما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار:
شربوا فلما ان عمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما ان صحوا جعل يرى الرجل منهم
الاثر بوجهه وبرأسه ولحيته فيقول: صنع بي هذا أخي فلان — وكانوا أخوة ليس
في قلوبهم ضغائن — والله لو كان رؤوفا رحما ما صنع بي هذا. حتى وقعت الضغائن
في قلوبهم فانزل الله هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر — الى قوله —
فهل أنتم متنبهون » فقال ناس من المتكلمين: هي رجس وهي في بطن فلان قتل
يوم بدر، وفي بطن فلان قتل يوم أحد؟ فانزل الله « ليس على الذين آمنوا وعمالوا
الصالحات جناح فيما طمعوا » رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابو الشيخ
والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي

وفي مسند احمد وسنن ابى داود والنسائي والترمذي ان عمر كان يدعو الله
تعالى: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فلما نزلت آية البقرة قرأها عليه النبي (ص)
فظل على دعائه، وكذلك لما نزلت آية النساء. فلما نزلت آية المائدة دعي فقرئت
عليه. فلما بلغ قول الله تعالى (فهل أنتم متنبهون) قال انتبهنا انتبهنا

والحكمة في تحريم الخمر بالتدريج ان الناس كانوا مفتونين بها حتى انها لو
حرمت في أول الاسلام لكان تحريمها صارفا لكثير من المدمنين لها عن الاسلام
بل عن النظر الصحيح المؤدي الى الاهتداء به لانهم حينئذ ينظرون اليه بعين السخط
فيرونه بغير صورته الجميلة، فكان من لطف الله تعالى وبالف حكمته أن ذكرها في
سورة البقرة بما يدل على تحريمها دلالة ظنية فيها مجال للاجتهاد ليتركها من لم تتمكن
فتمتها من نفسه (راجع ٣٣ ج ٢) وذكرها في سورة النساء بما يقتضي تحريمها في
الاقوات القريبة من وقت الصلاة، اذ نهى عن قرب الصلاة في حال السكر. فلم
يبق للمصر على شربها الا الاعتباق بعد صلاة العشاء وضرره قليل. وكذا الصبح
من بعد صلاة الفجر لمن لا عمل له ولا يخشى ان يمتد سكره الى وقت الظهر، وقليل
ماهم. وكان شيخنا يرى ان آية النساء نزلت قبل آية البقرة. ثم تركهم الله تعالى على

هذه الحال زمن قوي فيه الدين، ورسخ اليقين، وكثرت الوقائع التي ظهرت لهم بها إثم الخمر وضررها، ومنه كل ما ذكر في سبب نزول هذه الآيات

أخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت في البقرة « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » شر بها قوم لقوله « منافع للناس » وتركها قوم لقوله « إثم كبير » منهم عثمان بن مظعون . حتى نزلت الآية التي في النساء (٤: ٤٣) لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى (فتركها قوم وشر بها قوم يتركونها بالنهار حين الصلاة ويشربونها بالليل ، حتى نزلت الآية التي في المائدة « إنما الخمر والميسر » الآية قل عمر : أقرنت بالميسر والانصاب والازلام ؟ بعداً لك وسحقاً . فتركها الناس ، ووقع في صدور الناس من الناس منها ، فجعل قوم يمر (?) بالراوية من الخمر فتعرق فيمر بها أصحابها فيقولون : قد كنا نكرمك عن هذا المصروع . وقالوا ما حرم علينا شيء أشد من الخمر ، حتى جعل الرجل يلقي صاحبه فيقول : ان في نفسي شيئاً . فيقول صاحبه : اهلك تذكر الخمر ! فيقول نعم ، فيقول ان في نفسي مثل ما في نفسك ، حتى ذكر ذلك قوم واجتمعوا فيه فقالوا : كيف نتكلم ورسول الله (ص) شاهد (أي حاضر) وخافوا ان ينزل فيهم (أي قرآن) فأتوا رسول الله (ص) وقد أعدوا له حجة فقالوا : أرايت حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش . أليسوا في الجنة ؟ قال « بلى » قالوا : أليسوا قد مضوا وهم يشربون الخمر ؟ فحرم علينا شيء ، دخلوا الجنة وهم يشربونه ؟ فقال قد سمع الله ما قلتم فان شاء أجابكم » فأمر الله « إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متهمون ؟ » فقالوا انهم متهمون . ونزل في الذين ذكروا حمزة وأصحابه « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » الآية . ولاصحاب التفسير المأثور روايات أخرى في سبب النزول وما كان من اجتهد بعض الصحابة في آبي البقرة والنساء . وقد بينا وجهه في تفسير آية البقرة . ومنه حديث لابي هريرة وأثر سياتي بعضها في سياق تفسير الآيات :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ﴾ (الخمر) كل شراب مسكر ، وهذه التسمية لغوية وشرعية . وقيل شرعية

فقط . وهو قول ضعيف ، وقيل ان الخمر ما اعتصر من ماء العنب اذا اشتد . وهذا اضعف مما قبله ولا دليل على هذا الخصر من اللغة ولا من الشرع ، وقد بينا ذلك في تفسير آية البقرة (ص ٣٣١ ج ٢)

ومن احسن ما رد به على اصحاب هذا القول وأخصره قول القرطبي : الاحاديث الواردة عن أنس وغيره على حتمها وكثرتها تبطل مذهب الكوفيين القائلين بأن الخمر لا يكون الا من العنب ، وما كان من غيره لا يسمى خمرًا ولا يتناوله اسم الخمر ، وهو قول مخالف للغة العرب وللسنة الصحيحة وللصحابة ، لانهم لما نزل تحريم الخمر فهموا من الامر بالاجتناب تحريم كل ما يسكر ولم يفرقوا بين ما يتخذ من العنب وبين ما يتخذ من غيره ، بل سواوا بينهما وحرموا كل ما يسكر نوعه ولم يتوقفوا ولم يستفصلوا ولم يشكل عليهم شيء من ذلك . بل بادروا الى ائتلاف ما كان من غير عصير العنب ، وهم أهل اللسان ، وبلغتهم نزل القرآن ، فلو كان عندهم تردد لتوقفوا عن الازالة حتى يستفصلوا ويتحققوا التحريم . وقد أخرج احمد في مسنده عن ابن عمر عن النبي (ص) قال : « من الخنطة خمر ومن الشعير خمر ومن التمر خمر ومن الزبيب خمر ومن العسل خمر » وروى أيضا انه خطب عمر على المنبر وقال : الا ان الخمر قد حرمت وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والخنطة والشعير ، والخمر ما خمر العقل . — وهو في الصحيحين وغيرهما — وهو (أي عمر) من أهل اللغة اه وقد تعقب هذا بعضهم بأنه يحتمل ان يكون بيانا للاسم الشرعي لا اللغوي ، وهذا التعقيب ضعيف ولا يغني عن الحنفية شيئا ، لانهم لا يقولون ان المسكر من غير عصير العنب خمر داخل في عموم الآية شرعا ، ووجه ضعفه ان لفظ الخمر ليس اسما لعمل شرعي لم يكن معروفا قبل للشرع فلما جاء به الشرع اطلق عليه كلمة من اللغة تتناوله بطريق المجاز ، بل هو اسم لنوع من الشراب يمتاز عن سائر الاشربة بالاسكار . وهذه التسمية معروفة عنهم قبل نزول ما نزل من الآيات في الخمر . وقد نزلت آية البقرة جوابا عن سؤال سألوه عن الخمر ، ولم يقل أحد من مفسري السلف ولا الخلف ولا خطر على بال أحد انهم سألوه (ص) عن خمر عصير العنب خاصة ، وانها هي المقصودة بالجواب بأن فيها انما كبيرا ومنافع للناس ، وان غيرها ألحق بها في التحريم

بطريق القياس ، أو بتفسير النبي وصحابة للخمر الشرعية
 وقد بينا في أوردناه آلف من أسباب انزول انه لم يشق عليهم تحريم شيء
 كما شق عليهم تحريم الخمر، وان بعضهم كان يود لو يجد مخرجًا من تحريمها كما وجد
 المخرج من آية البقرة الدالة على تحريم الخمر بتسميتها إنما مع تصريح القرآن قبل ذلك
 بتحريم الإثم ، ولا جله تركها بعضهم ، وتفصى منه آخرون بتخصيص الإثم بما كان
 ضررًا محضًا لا منفعة فيه ، والنص قد أثبت ان في الخمر منافع وقد اهرقوا ما كان
 عندهم من الخمر عند الحزم بالنهي عنها كما رأيت وكما ترى بعد وقل كان يوجد عندهم
 من خمر العنب شيء . فلو كان مسمى الخمر في لغتهم ما كان مسكرًا من عصير العنب
 فقط لما بادروا الى اهلاك ما كان عندهم

روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر انه قال : نزل تحريم الخمر وان بالمدينة
 يومئذ خمسة اشربة مافيا من شراب العنب شيء . وروى احمد والبخاري ومسلم في
 صحيحهما عن أنس قال : كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح وأبي بن كعب وسهيل بن
 بيضاء ونفراً من أصحابه عند أبي طلحة (هو زوج أم أنس) حتى كاد الشراب يأخذ
 منهم فأتى من المسامين فقال : أما شعرت ان الخمر قد حرمت ، فقالوا حتى ننظر
 ونسأل . فقالوا يا أنس اسكب ما بقي في إنائك ، فوالله ما عادوا فيها ، وما هي الا التمر
 والبسر ، وهي خمرهم يومئذ . هذا لفظ احمد . وزاد أنس في رواية أخرى أبا دجانة ومعاذ
 ابن جبل في رهط من الانصار . وفي روايات الصحيحين انه كان يسميهم الفضيخ ، وهو
 شراب البسر والتمر يفضخان أي يشدخان^(١) وينبذان في الماء ، فاذا اشتدوا ختموا كان
 خمرًا وكان هذا أكثر خمر المدينة كما صرح به أنس . وفي رواية لمسلم عنه : كنت ساقى
 القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة - وما شربهم الا الفضيخ البسر والتمر - فاذا
 مناد ينادي ، فقال اخرج فانظر ، خرجت فاذا مناد ينادي : ألا ان الخمر قد حرمت .
 قال فجرت في سكك المدينة . فقال ابو طلحة اخرج فأهرقها ، فبرقتها . الحديث
 نعم قد روى النسائي بسند رجاله ثقات عن ابن عباس مرفوعاً « حرمت الخمر
 قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب » وقد اختلف في وصله وانقطاعه وفي رفعه ووقفه .
 (١) الفضيخ كسر الشيء الاجوف والشدخ كسر الشيء الرطب والاجوف وباهما منع

وبين النسائي علله ومن خالف فيه. ومعناه على تقدير صحته والاحتجاج به أن الاشربة التي شأنها أن يسكر قليلا وكثيرها محرمة لذاتها بالنص سواء كانت من العنب أو الزبيب أو التمر أو البسر أو غير ذلك، وأما سائر الاشربة التي ليس من شأنها الاسكار كالتبذ^(١) الذي لم يشتد ولم يختمر وهو ما ينبذ من تمر أو زبيب أو غيرها في الماء حتى ينضج ويحلو ماؤه فشر به حلال ما لم يصل الى حد الاسكار، ومن المعلوم أن التبذ يسرع اليها الاختمار في بعض البلاد كالخارة وبعض الاواني كالقرع والمزفت، وأن من الناس من يسكر بها عند أدنى تغير يعرض لها أو إذا أكل كثير منها وان لم تختمر، ولاجل هذا اختلف العلماء في التبذ فذهب الجمهور الى انه اذا صار يسكر الكثير منه فشرب القليل منه يكون حراما استدريعة السكر، وهو انما يسكر كثيره اذا تغير ولو بمحموضة قليلة. وذهب بعضهم الى انه لا يحرم منه حينئذ الا المقدار المسكر، لانه لا يسمى خمرًا فيتناوله النص، فاذا كان ما يشرب منه لم يسكر فلا وجه لقياسه على الخمر، فان صار بحيث يسكر فهو خمر لغة وشرعا كما هو المتبادر من فهم الصحابة للآية ومن تعليل عمر في خطبته اسمية الخمر بأنها ما خامر العقل، أو شرعا فقط، ودلالة الحقيقة الشرعية أقوى من دلالة الحقيقة اللغوية في الاحكام. وقد قال النبي (ص) «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام» رواه مسلم وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر. وفي رواية لمسلم والدارقطني «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» وقد غلط ابن سيده في اقتصاره على قول صاحب العين: الخمر عصير العنب اذا أسكر، ولعل سبب ذلك أن خمر العنب كانت كثيرة في زمن تدوين اللغة فصار الاطلاق ينصرف اليها لكثرتها وجودتها. ونقل الصحيحين والمسانيد والسنن بيان معنى الخمر عن الصحابة أصبح من نقل جميع اللغويين للغة

ولما لم يجد من اطلع من الحنفية على الاحاديث السابقة ونحوها تفصيلا منها للاتفاق على صحة الكثير منها حملوا إطلاق لفظ الخمر فيها على المسكر من غير العنب على مجاز التشبيه كما في فتح القدير، واستدلوا على ذلك بما رواه البخاري عن ابن

(١) هو ما يسمى في مصر بالخشاف وفي سورية بالجلاب - والصواب النقيع -
واما ما يسمى بالتبذ الآن فهو الخمر المجمع على تحريمها

عمر قال لقد « حرمت الخمر وما بالمدينة منها شيء » وهذه العبارة مبهمة لا يعرف لمن قالها وبأي مناسبة قالها ، فيحتمل ان يكون بعض الناس قد ذكر خمرة العنب فقال ابن عمر ما معناه ان الخمر لما حرمت لم يكن يوجد في المدينة شيء من خمرة العنب وانما كانت خمور أهلها من التمر والبسر في الغالب . وبهذا يجمع بين سائر الأحاديث والآثار التي تقدم بعضها حتى عنه وعن أبيه ، والا كانت متعارضة ، ويحتمل ان يكون معنى كلامه ان الله حرم الخمر ولاجل هذا لا يوجد في المدينة منها شيء . ولما كانت العبارة محتملة لعدة وجوه سقط الاستدلال بها على ما قالوه . ولا يمكن الجمع بينها وبين ما عارضها بحمل ما خالفها على المجاز ، لان تلك العبارات تأتي ان تكون تشبيها كقول عمر في خطبته : ونزل تحريم الخمر وهي من خمسة - العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير ، والخمر ما خامر العقل . فهل يمكن ان يقال نزل تحريم خمرة العنب وهي من خمسة أشياء الخ ؟ أم يمكن أن يقال : نزل تحريم ما يشبه الخمر في الاسكار وهو من خمسة أشياء العنب والتمر ؟ ألا إن هذا لا يقوله أحد يفهم العربية ، وان كان يحيز الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو ما لا يحيزه الحنفية

اطلنا هذه الاطالة في بيان حقيقة الخمر ، لانه قد ظهر في الناس من عهد بعيد مصداق ماورد في الحديث من استحلال أناس اشرب الخمر بتسميتها بغير اسمها . وقد اخترع الناس بعد زمن التزليل أنواعا كثيرة من الخمر أشد من خمرة العنب ضررا في الجسم والعقل باتفاق الاطباء ، وأشد ايقاعا في العداوة والبغضاء وصدا عن ذكر الله وعن الصلاة . والقول بأنه لا يحرم منها قطعا الا ما كان من عصير العنب ، وأنه انما يحرم القدر المسكر منه فقط . يجرى الناس على شرب القليل من تلك السموم المهلكة ، والقليل يدعو الى الكثير فالأدمان فالأهلاك ، ففي هذا القول مفسدة عظيمة ، وليس في تضعيفه وترجيح قول جمهور السلف والخلف عليه الا المصلحة الراجحة ، وسد ذرائع شرور كثيرة .

وأما الميسر فهو في أصل اللغة القمار بالقдах في كل شيء كما نقله لسان العرب عن عطاء . وقد بينا الأقوال في اشتقاقه في تفسير آية البقرة (ص ج ٣٣٢ ج ٢) وبيننا هنالك معنى القдах التي كانوا يتقارون بها وهي الأزام والأقلام والسهام

ولذلك عدنا الى بيانها والفرق بين القداح العشر التي يتقمارون بها وبين ما كانوا يستقسمون به للتناول والتشاؤم في تفسير الآية الثالثة من سورة المائدة (ص ٤٧-٥١ ج ٦)

كل قارميسر محرم بالنص الا ما أباحه الشرع من المراهنة في السباق والرماية. وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض) انه قال الشطرنج من الميسر. رواه ابن ابي حاتم. وروى أيضا عن عطاء ومجاهد وطاوس وأثنين منهم - قالوا كل شيء من القمار فهو من الميسر حتي لعب الصبيان بالجوز. وروى عن رشدين^(١) بن سعد وضمرة بن حبيب قالوا: حتى الكعاب والجوز والبيض التي تلعب بها الصبيان، وعن ابن عمر: الميسر هو القمار، وعن ابن عباس: الميسر هو القمار كانوا يتقمارون في الجاهلية الى مجيء الاسلام ففاهم الله عن هذه الاخلاق التبيحة. وعن سعيد بن المسيب: كان ميسر أهل الجاهلية يبيع اللحم بالشاء والشاءتين (أي من ميسرهم) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره

ثم ذكر حديث أبي موسى الأشعري عند ابن ابي حاتم « اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر بها زجرا فانها من الميسر » وقال حديث غريب وفسر الكعاب بالنرد. وأقول: الحديث ضعيف، وهو من طريق عثمان بن ابي العاتكة عن علي بن يزيد، وعلي هذا ضعيف وضعفوا عثمان في روايته عنه

ثم ذكر حديث بريدة بن الحصيب الاسلمي « من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه » رواه مسلم: وأعل الحكمة في تشبيه اللعب بما ذكر ان المقامرة به كالمقامرة على لحم الخنزير لاعلى لحم الانعام الذي كانت العرب تقامر عليه في الجاهلية. وأيد هذا بحديث ابي موسى عند مالك واحمد وأبي داود وابن ماجه « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » وقد روي مرفوعا وموقوفا على ابي موسى من قوله

ثم ذكر ان ابن عمر قال في الشطرنج انه من النرد، وان عليا قال انه من الميسر،
(١) رشدين بكسر الراء وسكون الشين المعجمة كان رجلا صالحا فأدر كته غفلة الصالحين فخلط في الحديث فحكموا بضغفه لذلك

قال : ونص على تحريمه مالك وابو حنيفة واحمد وكرهه الشافعي رحمهم الله تعالى
أقول: ان ما روي عن علي كرم الله وجهه هو الذي بين لنا وجه ما ورد في النرد
(وهو المسمى الآن بالطاوة) من الحديث ، وهو انه كان من لعب القمار . ويؤيده
التشبيه الذي بينا حكمته في حديث مسلم . والظاهر ان من حرم الشطرنج حرمه من
حيث كونه قمارا ، ومن كرهه كرهه لكونه مدعاة الغفلة عن ذكر الله لان أكثر
لاعبيه يفرطون في الاكثار منه ، وسنزيد المسألة بيانا في تفسير الآية التالية

وأما الانصاب فقل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وغير واحد :
هي حجارة كانوا يذبحون قوايينهم عندها . ذكره ابن كثير أيضا . وروي انهم
كانوا يعبدونها ويتقربون اليها . وتحقيق ذلك تقدم في تفسير (وما ذبح على النصب)
في أول السورة (ص ١٤٦ ج ٦)

وأما الازلام فهي قدام أي قطع رقعة من الخشب بهيئة السهام كانوا يستقسمون
بها في الجاهلية لاجل التفاؤل أو التشاؤم وقد شرحنا معناها وطريقة الاستقسام بها
في أوائل السورة (ص ١٤٧ - ١٥٣ ج ٦) وبيننا الفرق بين خرافة الاستقسام
وسنة الاستخارة فيراجع هنالك

وأما الرجس فهو المستقذر حسا أو معنى . وقال الزجاج الرجس في اللغة اسم
لكل ما استقذر من عمل ، فبالغ الله في ذم الاشياء المذكورة في الآية فسمها
رجسا . أقول وقد ذكر في تسع آيات من القرآن ليس فيها موضع يظهر فيه معنى
القذارة الحسية الا قوله تعالى (٦ : ١٤٥ قل لا أجد فيما أوحى اليّ محرما على
طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس) بناء على
أن قوله « فإنه رجس » عائد الى جميع ما ذكر ، أي فان ذلك أو ما ذكر رجس .
ومثله « وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعذب وفجورا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره »
أي من ثمر ذلك أو ما ذكر ، واستشهد الزمخشري لهذا الاخير بقول رؤبة :

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق

وذكر ان رؤبة سئل عن ذلك فقال : أردت كأن ذلك . ويحتمل ان يراد به كونه
قدرا معنويا من حيث كونه ضارا . وقد فسر بعضهم الرجس في الآية التي نفسرها

بالمآثم وهو ما كان ضارا

وقال الراغب . الرجس الشيء القذر . يقال رجل رجس ، ورجال ارجس . قال تعالى « رجس من عمل الشيطان » والرجس يكون على أربعة أوجه : اما من حيث الطبع وإما من جهة العقل واما من جهة الشرع ، وإما من كل ذلك ، كالميتة فان الميتة تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً . والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر ، وقيل ان ذلك رجس من جهة العقل . وعلى ذلك نبه بقوله « وإثمهما أكبر من نفعهما » لان كل ما يوفي إثمه على نفعه فالعقل يقتضي تجنبه . وجعل الكافرين رجسا من حيث ان الشرك بالعقل أقبح الاشياء ، قال تعالى « وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم » الخ

وقوله تعالى « رجس من عمل الشيطان » نص في كون الرجس معنوياء وهو محمول على جميع ما ذكر من الخمر والميسر والانصاب والازلام ، كما قال في آية أخرى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) وكان من لوازمها الانصاب والازلام ، وأما رجس الخمر والميسر فبيانه في الآية التالية .

وقد استدلل بعض الفقهاء بالآية على كون الخمر نجاسة العين فتكفوا كل التكلف اذ زعموا ان « رجس » خبر عن الخمر وخبر ما عطف عليها محذوف . ولو سلم لهم هذا لما كان مفيداً لنجاسة الخمر لنجاسة حسية . فان نجس العين ما كان شديد القذارة كالبول والغائط ، والخمر ليست قذرة العين ، والصواب ان « رجس » خبر عن الخمر والميسر والانصاب والازلام كما قلنا تبعاً للجمهور ، لان هذا هو المتبادر الى الفهم من العبارة ، ولانه الاصل في الاخبار عن المبتدأ وما عطف عليه ، ولأنه في الانصاب والازلام يوافق قوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) وأما إفراده مع كونه خبراً عن متعدد فلا أنه مصدر يستوي فيه القليل والكثير ، كقوله تعالى (انما المشركون نجس) أولان في الكلام مضافاً تقديره ان تعاطي ما ذكر رجس من عمل الشيطان . فقوله تعالى « من عمل الشيطان » تفسير وايضاح لكون ما ذكر رجساً . ومعنى كونها من عمل الشيطان انها من الاعمال التي زين لاعدائه بني آدم ابتداءها وإيجادها ، ثم هو يوسوس لهم بأن يعكفوا عليها ، ويزينها لهم ، لما

فيها من شدة الضرر بهم

﴿ فاجتنبوه أعلكم تفلحون ﴾ أي فإذا كان الأمر كذلك فاجتنبوا هذا الرجس كله - أوفجتنبوا ما ذكرناه، أي ابدوا عنه وكونوا في جانب غير الجانب الذي هو فيه ، رجاء ان تفلحوا وتفوزوا بما فرض عليكم من تزكية أنفسكم ، وتحسينها بذكر ربكم ، ومراعاة سلامة أبدانكم ، والتواد والتآخي فيما بينكم . وتعاطي ما ذكر يصد عن ذلك ويحول دونه . كما بينه تعالى بقوله :

﴿ إنما يريد شيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ بين حظ الشيطان من الناس في الخمر والميسر دون ما قرن بهما في الآية الأولى من الانصاب والازلام ، لان بيان تحريمهما هو المقصود بالذات ، وقد تقدم في أول السورة (أي في الآية الثالثة منها) تحريم ما ذبح على النصب والاستقسام بالازلام وكون ذلك فسقا ، وكان المؤمنون قد تركوها لانهما من أعمال الجاهلية ، وخرافات الوثنية ، والخطاب هنا للمؤمنين الذين طهرهم التوحيد من خرافات الشرك كلها ، ولذلك قال عمر عند نزول الآية : اقرنت بالميسر والانصاب والازلام بعد لك وسحقا . فعلم من ذلك ان ذكر الانصاب والازلام - - وهما من الخرافات الاعتقادية - - ولزهما مع الخمر والميسر - - وهما من الرذائل المالية والاجتماعية - قد أريد به ان كل ذلك من رجس الجاهلية ، وانه لا يليق شيء منه بأهل الخيفة

والعداوة ضرب من التجاوز الذي هو أصل معنى مادة (عدا يعدو) وهو تجاوز الحق الى الايذاء . قل في لسان العرب : والعادي الظالم ، يقال : لا أشمت الله بك عاديك - أي عدوك الظالم لك ، قل أبو بكر : قول العرب : فلان عدو فلان . - معناه فلان يعدو على فلان بالملكوه ويظلمه . اه وقالوا أيضا : العدو ضد الصديق وضد الولي ، أي الموالي . فعلم من ذلك ان العداوة سيئة عملية . والبغضاء انفعال في القلب وأثر في النفس فهو ضد المحبة . فالعداوة والبغضاء يجتمعان ويوجد احدهما دون الآخر أما كون الخمر سببا لوقوع العداوة والبغضاء بين الناس حتى الاصدقاء منهم معروف وشبه اهده كثيرة ، وعلمته أن شارب الخمر يسكر فيفقد العقل الذي يعقل

الإنسان ، ويمنعه من الاقوال والاعمال القبيحة التي تسوء الناس ، ويستولي عليه حب الفخر الكاذب ، ويسرع اليه الغضب بالباطل ، وقد جرت عادة محبي الخمر على الاجتماع للشرب ، فقلما تكون رذائلهم قاصرة عليهم ، غير متعدية الى غيرهم ، وكثيرا ما تقوى الى غير من يشرب معهم ، كالأهل والجيران ، والخطاء والعشراء ، وقد تقدم في أسباب نزول الآيات بعض الشواهد على ذلك . ومن أغرب أخبار شذوذ السكرى الذي يفضي مثله عادة الى العداوة والبغضاء والهرج والقتال حديث علي كرم الله وجهه في الصحيحين ، وملخصه انه كان له شارفان (ناقتان مستتان) . أراد أن يجمع عليهما الإذخر (نبات معروف في الحجاز) مع صائغ يهودي ويبيعه للصواعين ليستعين بثمنه على ولية فاطمة عليها السلام عند ارادة البناء بها ، وكان عمه حمزة يشرب الخمر مع بعض الانصار ومعه قينة تغنيه . فأشدت شعرا حشته به على نحر الناقتين وأخذ أطاييهما ليأكل منها الشرب ، فثار حمزة وجبّ اسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما . فلما رأى علي ذلك تألم ولم يملك عينيه ، وشكا حمزة الى النبي (ص) فدخل النبي على حمزة - ومعه علي وزيد بن حارثة - فتغيط عليه وطفق يلومه ، وكان حمزة ثملا قد احرمت عيناه ، فنظر الى رسول الله (ص) وقال له ولئن معه : وهل أنتم الا عبيد لأبي ؟ فلما علم النبي (ص) انه يمل نكص على عقبيه القهقري وخرج هو ومن معه . والحديث في الصحيحين . ولولا حلم الرسول وعصمته وعقله ، وأدب علي وفضله ، وبلاء حمزة في إقامة الاسلام وقربه ، لما وقعت هذه الحادثة عند الحد الذي وقفت عنده .

وان حوادث العداوة والبغضاء التي يثيرها السكر ، وما ينشأ عنها من القتل والضرب ، والعدوان والسلب ، والفسق والفحش ، ومن افشاء الاسرار ، وهتك الاستار ، وخيانة الحكومات والاطوان ، قد سارت بأخبارها الركبان ، وما زالت حديث الناس في كل زمان ومكان .

وأما الميسر فهو مشار للعداوة والبغضاء أيضا ولكن بين المتقارنين ، فان تعدهم فالى الشامتين والعائنين ، ومن تضيع عليهم حقوقهم من الدائنين وغير الدائنين . وان المقامر ليفرط في حقوق الوالدين والزوج والولد . حتى يوشك ان يمقتة كل أحد .

قال الفخر الرازي : رأيا ليسر ففيه إزاء التوسعة على المحتاجين الاجفاف بأرباب الاموال ، لان من صار مغلوبا في القدر مرة دعاه ذلك الى اللجاج فيه عن رجاء انه ربما صار غالبا فيه ، وقد يتفق ان لا يحصل له ذلك الى ان لا يبقى له شيء من المال ، والى ان يقامر على حياته وأهله وولده !! ولا شك انه بعد ذلك يصير فقيرا مسكينا ، ويصير من أعدى الأعداء لأولئك الذين كانوا غلبين له . اهـ

وأما كون كل من الخمر وليسر يصد عن ذكر الله وعن الصلاة - وهو مفسدتهما الدينية - فهو أظهر من كونهما مشار للعداوة والبغضاء - وهو مفسدتهما الاجتماعية - لأن كل سكرة من سكرات الخمر ، وكل مرة من لعب القمار ، تصد السكران ولاعب وتصرفه عن ذكر الله الذي هو روح الدين ، وعن الصلاة التي هي عماد الدين ، اذ السكران لا عقل له يذكر به آلاء الله وآياته ، ويقتي عليه بأسى له وصفاته ، فضلا عن الصلاة التي هي ذكر لله ، وزيادة أعمال تؤدي بنظم لغرض وقصد ، ولو ذكر السكران ربه ، وحاول الصلاة لم تصح له ، والمقامر تتوجه جميع قواه العقلية الى اللعب الذي يرجو منه الربح ويختشى الخسارة فلا يبقى له من نفسه بقية يذكر الله تعالى بها ، أو يتذكر أوقات الصلاة وما يجب عليه من المحافظة عليها ، ولعله لا يوجد عمل من الأعمال يشغل القلب ويصرفه عن كل ما سواه ويحصر همه فيه مثل هذا القمار ، حتى ان المقامر يقع الحريق في داره ، وتنزل المصائب بأهله وولده ، ويستصرخ ويستغاث فلا يصرخ ولا يغيث ، بل يمضي في لعبه ، ويكل أمر الحريق الى جند الإطفاء ، وأمر المصابين من الأهل الى المواسين أو الاطباء ، وما زال الناس يتناقلون النواذر في ذلك عن المقامرين ، من الاولين والمعاصرين . على ان المقامر اذا تذكر الصلاة أو ذكره غيره بها ، وترك اللعب لاجل أدامها ، فانها لا يكاد يؤدي منها الا الحركات البدنية بدون أدنى تدبر أو خشوع ، ولا سيما اذا كان يريد ان يعود الى اللعب . نعم ان المقامر يأتي بأفعال الصلاة تامة فيفضل السكران بهذا اذ لا يكاد يأتي منه ضبط أفعالها ، ولكن السكران قد يفضلها بأعمال القلب والخشوع ولو بغير عقل . فكم من سكران يذكر الله تعالى ويدكر ذنوبه حتى سكره ويبيكي ويدعو الله تعالى أن يتوب عليه ؟ اقيمت مرة سكرانا في أحد شوارع القاهرة فأقبل علي يقبل يدي ويبيكي

ويقول ادع الله لي بأن يتوب علي من سكر ويغفر لي ، أنت ابن الرسول ، ودعاؤك مقبول . وأمثال هذا الكلام ، وإذا كان الله تعالى لا يقبل صلاة السكران لأنه لا يعقل ما يقول وما يفعل ، فهو بالأولى لا يقبل صلاة المقامر الذي لا يتدبر ولا يخشع ، وهو عاقل مكلف قادر على مجاهدة نفسه ، وتوجيهها الى مراقبة ربه . ولا يفيد مثل هذا المصلي الساهي عن صلاته افتاء الفقهاء بصحتها ، اذا كملت شروطها وفروضها ، فما كل صحيح عند علماء الرسوم بمقبول ، (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)

قد يقال ان الله تعالى قد بين بهذه الآية علتين لتحريم الخمر والميسر - احدهما اجتماعية والاخرى دينية ، والدينية تصدق على الالاب التي اشتد ولوع كثير من الناس بها كالشطرنج ، فالظاهر ان تعد بذلك محرمه كالميسر لانها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وان كان اللعب بها على غير مال ؟ فقد قال السيد الآلوسي في هذا المقام من تفسيره (روح المعاني) : وقد شاهدنا كثيرا ممن يلعب بالشطرنج يجري بينهم من اللجاج والحلف الكاذب والغفلة عن الله تعالى ما ينفر منه الفيل ، وتكبو له الفرس ، ويصوح من همومه الرخ . بل يتساقط ريشه ، ويحار لشناعته يندق الفهم ، ويضطرب فرزين العقل ، ويموت شاه القلب ، وتسود رقعة الاعمال . اهـ

وأقول ان اللعب بالشطرنج اذا كان على مال دخل في عموم الميسر وكان محرما بالنص كما تقدم ، واذا لم يكن كذلك فلا وجه للقول بتحريمه قياسا على الخمر والميسر الا اذا تحقق فيه كونه رجسا من عمل الشيطان ، موقعا في العداوة والبغضاء ، صادقا عن ذكر الله وعن الصلاة ، بأن كان هذا شأن من يلعب به في الغالب . ولا سبيل إلى اثبات هذا ، واننا نعرف من لاعبي الشطرنج من يحافظون على صلواتهم وينزهون أنفسهم عن اللجاج والحلف الباطل ، وأما الغفلة عن الله تعالى فليست من لوازم الشطرنج وحده ، بل كل لعب وكل عمل يشغل صاحبه في أثنائه عن الذكر والفكر فيما عداه الا قليلا ، ومن ذلك ما هو مباح وما هو مستحب أو واجب . كلعب الخيل والسلاح والاعمال الصناعية الدقيقة التي تعد من فروض الكفايات ، وبما ورد

النص فيه من اللعب لعب الخبشة في مسجد النبي (ص) بحضرته . وإنما عيب الشطرنج من أنه أشد الألعاب إغراءً باضاعة الوقت الطويل ، ولعل الشافعي كرهه لأجل هذا ، ونحمد الله الذي عافانا من اللعب به وبغيره ، كما نحمده حمداً كثيراً أن عافانا من الجرأة على التحريم والتحليل ، بغير حجة ولا دليل .

ولما بين جل جلاله علة تحريم الخمر والميسر وحكمته أكد بقوله ﴿فهل أنتم منتهون﴾ فهذا استقواء يتضمن الأمر بالانتهاء . قال الكشاف : من أبلغ ما ينهى به ، كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون ؟ أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم ترجعوا ؟ -

قال هذا بعد بيان ما أكد الله تحريم الخمر والميسر في هاتين الآيتين وتبعه في ذلك الرازي وغيره ، ونحن نبين المؤكدات بأوضح مما بينوها به وأوسع فنقول (أحدها) أن الله تعالى جعل الخمر والميسر رجسا وكلمة الرجس تدل على منتهى القبح والخبث ولذلك اطلقت على الاوثان كما تقدم فهي أسوأ مفهومها من كلمة الخبيث ، وقد علم من عدة آيات أن الله أحل الطيبات وحرم الخبائث . وقد قال النبي (ص) «الخمر أم الخبائث» رواه الطبراني في الاوسط من حديث عبدالله ابن عمرو . وقال «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر» ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته «رواه الطبراني في الكبير من حديث عبدالله ابن عمر ، وكذا من حديث ابن عباس بلفظ «من شربها وقع على أمه» الخ وليس فيه ترك الصلاة . وقد علم السيوطي على هذه الاحاديث في جامعها بالصحة (ثانيها) أنه صدر الجملة بإنما الدالة على الحصر للمبالغة في ذمها ، كأنه قال ليست الخمر وليس الميسر الا رجسا فلا خير فيهما البتة

(ثالثها) انه قرنهما بالانصب والازلام التي هي أعمال الوثنية وخرافات الشرك وقد أورد المفسرون هنا حديث «شارب الخمر كعابد وثن وشارب الخمر كعابد اللات والعزى» عزاه السيوطي في الجامع الصغير الى الحارث ابن عمرو وأشار الى تحسين سنده

(رابعها) انه جعلهما من عمل الشيطان ، لما ينشأ عنهما من الشرور والطفيان ،

وهل يكون عمل الشيطان ، الا موجبا لسخط الرحمن ؟

(خامسها) انه جعل الامر بتركهما من مادة الاجتناب وهو البلع من الترك لانه يفيد الامر بالترك مع البعد عن المتروك بأن يكون التارك في جانب بعيد عن جانب المتروك كما تقدم . ولذلك نرى القرآن لم يعبر بالاجتناب الا عن ترك الشرك والطاغوت الذي يشمل الشرك والاثوث وسائر مصادر الخفيا ، وترك الكبار عامة وقول الزور الذي هو من أكبرها ، قال تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) وقال (واجتنبوا الطاغوت) كما قال (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) وقال (الذين يجتنبون كباثر الآثم والفواحش الا اللهم)

(سادسها) انه جعل اجتنابهما معدا للفلاح ومرجاة له ، فدل ذلك على ان ارتكابهما من الخسران والخيبة في الدنيا والآخرة

(سابعها وثامنها) انه جعلهما ماثرا للعداوة والبغضاء وهما شر المقاسد الدنيوية المتعدية الى أنواع من المعاصي في الاموال والاعراض والانفس ، ولذلك سميت الخمر بأم الخبائث وأم الفواحش . وقد قيل ان امرأة فاسقة راودت رجلا صالحا عن نفسه فاستعصم فسقته الخمر فزنا بها وأغرته بالقتل فقتل . حكوا هذا عن بعض الامم الفائرة ، ومثله كثير في هذا الزمان . وقد قال بعض الفساق في مصر : انه لولا السكر لقتل ان يوجد في الناس من يقرب من هؤلاء البغايا العموميات . وقد علم مما تقدم ان هاتين مفسدتان منفصلتان ، لان العداوة غير البغضاء فيجتمعان ويفترقان

(تاسعها وعاشرها) انه جعلهما صادين عن ذكر الله وعن الصلاة وهما روح الدين وعماده ، وزاد المؤمن وعтаده ، وقد علم مما تقدم أيضا ان الصد عن ذكر الله غير الصد عن الصلاة

(حادي عشرها) الامر بالانتهاء عنهما بصيغة الاستفهام المقرون بفاء السببية ، وهل يصح الفصل بين السبب والمسبب ؟ وفي الآية التالية ثلاثة مؤكدات أخرى نوردها معدودة مع ما قبلها :

(ثاني عشرها) قوله عز وجل ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أي أطيعوا (المنار ج ١) (٤) (المجلد الثامن عشر)

الله تعالى فيما أمركم به من اجتناب الخمر والميسر، كما تجتنبون الانصاب والازلام أو أشد اجتناباً وفي كل شيء، وأطيعوا الرسول فيما بينه لكم مما نزل الله عليكم، ومنه قوله « كل مسكر خمر، وكل خمر حرام » وقد تقدم قريباً

(ثالث عشرها) قوله عز وجل ﴿ واحذروا ﴾ أي احذروا عصيانها، أو ميصيكم إذا خالقتكم أمرها من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، فانه ما حرم عليكم الا ما يضركم في دنياكم وآخرتكم، قال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

(رابع عشرها) الانذار والتهديد في قوله ﴿ فان توليتم فاعلوا انما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ أي فان توليتم وأعرضتم عن الطاعة، فاعلموا انما على رسولنا ان يبين لكم ديننا وشرعنا، وقد بلغه وأبانه، وقرن حكمه بأحكامه، وعلينا نحن الحساب والعقاب وسترونه في إبانته، كما قال (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وانما الحساب لاجل الجزاء

لم يؤكد تحريم شيء في القرآن مثل هذا التأكيذ ولا قريباً منه، وحكمته شدة افتتان الناس بشرب الخمر وكذا الميسر. وتأولهم كل ما يمكن تطرق الاحتمال اليه من أحكام الأديان التي تخالف أهواءهم، كما أولت اليهود أحكام التوراة في تحريم أكل أموال الناس بالباطل كالربا وغيره. وكما استحل بعض فساق المسلمين شرب بعض الخمر بتسميتها بغير اسمها، اذ قالوا: هذا نبيذ أو شراب لا يسكر الا الكثير منه وقد أحل مادون القدر المسكر منه فلان وفلان. يقولون ذلك فيما هو خمر، لاحظ لهم من شربه الا السكر

بل تجرأ بعض غلاة الفساق على القول بأن هذه الآيات لا تدل على تحريم الخمر لان الله قال « فاجتنبوه » ولم يقل حرمة فتركوه، وقال « فهل أنتم منتهون » ولم يقل فاتنبوا عنه، وقال بعضهم: سألنا هل أنتم منتهون فقلنا: لا، ثم سكت وسكتنا، ويصدق على هؤلاء قوله تعالى (اتخذوا دينهم هزواً ولعباً) ويمكن ان يقال ان هذا الغلو قلما يصدر عن كان صحيح الايمان — والعياذ بالله تعالى

أما المؤمنون فقد قالوا: اتبهينا ربنا. وقال بعضهم: اتبهينا اتبهينا. أكدوا الاستجابة

والطاعة كما أكد عليهم التحريم وكان فيهم المدمنون للخمر من عهد اجاهلية، حتى شق عليهم تحريمها فكان أشد من جميع التكاليف الشرعية. وكانوا قد اجتهدوا في آية البقرة لان الدلالة على التحريم فيها ظنية غير قطعية كما بيناه غير مرة، فلما جاء الحق اليقين والتحريم الجازم، انتهوا وأهرقوا جميع ما كان عندهم من الخور في الشوارع والازقة، حتى ظل أثرها وريحها زمنا طويلا، وقد قدح بعض أذكائهم زناد الفكر عسى أن يهتدوا الى شيء يجدون فيه بعض الرخصة من النبي (ص) فلم يجدوا الا أن من قد مات من أهل بدر وأحد كسيد الشداء حمزة عم الرسول (ص) وغيره ماتوا وهم دائبون على شربها، فلم تغن عنهم هذه الشبهة شيئا. لأن الله لا يكلف الناس العمل بأحكام الشريعة قبل نزولها. وهالك بعض ماورد في ذلك زائدا على ما أوردنا من قبل

روى البيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة قال: قام رسول الله فقال «يا أهل المدينة ان الله يعرض عن الخمر تعريضا، لا أدري لعله سينزل فيها أمر» — أي قاطع — ثم قام فقال «يا أهل المدينة ان الله قد أنزل الى تحريم الخمر، فمن كتب منكم هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشربها»

وأخرج مسلم وأبو يعلى وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا رسول الله (ص) فقال «يا أيها الناس ان الله قد عرض بالخمر فمن كان عنده منها شيء فليبعه وليتفع به» فلم نلبث الا يسيرا حتى قال «ان الله قد حرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبيع» قال فاستقبل الناس بما كان عندهم منها ففسكوها في طرق المدينة

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الربيع قال: لما نزلت آية البقرة قال رسول الله (ص) «ان ربكم يقدم في تحريم الخمر» ثم نزلت آية النساء فقال النبي (ص) «ان ربكم يقرب في تحريم الخمر» ثم نزلت آية المائدة فحرمت الخمر عند ذلك. وأخرج عبد بن حميد عن عطاء قال: أول ما نزل من تحريم الخمر (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) الآية. فقال بعض الناس نشرها لمنافعها وقال آخرون: لا خير في شيء فيه إثم، ثم نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة

وأتم سكرى) الآية قتال بعض الناس نشرها ونجس في بيوتنا، وقال آخرون: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة مع المسلمين، فنزلت (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) الآية فنهاهم فتنهوا. وأخرج أيضا عن قتادة في تفسير آية النساء انه قال: ذكر لنا أن نبي الله (ص) قال حين نزلت هذه الآية «ان الله قد تقرب في تحريم الخمر» ثم حرمها بعد ذلك في سورة المائدة بعد غزوة الأحزاب،^(١) وعلم أنها تسفه الاحلام وتجدد الاموال وتشغل عن ذكر الله وعن الصلاة وروى احمد عن أبي هريرة قال: حرمت الخمر ثلاث مرات. ثم ذكر نزول الآيات الثلاث وما كان من شأن الناس عند كل واحدة منهم، وقال في آية النساء: ثم انزل الله آية غط منها. أي من آية البقرة، وقال مثل ذلك في آية المائدة

في هذه الاخبار والآثار وغيرها، تقدم في تصريح بالقطع بتحريم الخمر تدل دلالة قاطعة على ان النبي (ص) وصحابه كافة فحوا من آية المائدة ان الله تعالى حرم الخمر تحريما باتا لا هوادة فيه، وأن الخمر عندهم كل شراب من شأنه ان يسكر شاربه، وقد صرحوا فيها بلفظ التحريم، وأنه كان تعريضا، فجعلته آية المائدة تصريحا، وأن آية البقرة والنساء كانتا مقدمة لتحريمها او مفيدتين له افادة ظنية كما قلنا من قبل. وان جميع المؤمنين أهرقوا ما كان عندهم من الخمر وعند نزول الآية، وكان كها أو أكثرها من التمر والبسر الذي يكثر في المدينة، وانهم لم يجدوا لهم مخرجا من ذلك بتأويل ولا رخصة.

نعم انهم كانوا يسمون بعض الانبذة بأسماء خاصة وقد سألوا عنها النبي (ص) ما حكمها اذا صار يسكر كثيرها أو مطلقا. قال أبو موسى الاشعري: قلت يا رسول

(١) كانت غزوة الاحزاب سنة أربع كما قال موسى بن عقبة ومال اليه البخاري. وقال ابن اسحق في شوال من سنة خمس وعليه أهل المغازي أي بعد غزوة أحد بسنة كاملة. وذكر ابن اسحق ان تحريم الخمر كان في غزوة بني النضير. وكانت سنة أربع على الراجح. وقال الدمياطي في سيرته كان تحريمها عام الحديبية أي سنة ست

الله أفنتا في شرابين كنا نصنعهما باليمن - البيوع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد - والمزور - وهو من الذرة والشعير، ينبذ حتى يشتد. قال وكان رسول الله (ص) قد أوتي جوامع الكلام بخواتمه فقال « كل مسكر حرام » رواه احمد والشيخان. وفي حديث علي كرم الله وجهه: ان رسول الله (ص) نهاهم عن الجمعة. رواه أبو داود والنسائي وغيرهما. والجمعة بكسر ففتح نبيذ الشعير. وتسمى بالافرنجية « يبرا » والاصل في النبيذ ان يتقع الشيء في الماء حتى ينضج فيشرب بعد يوم أو يومين ولم يقصد به ان يترك ليختمر ويصير مسكرا كما تقدم، ونزيد عليه ان النبي (ص) نهى عن النبيذ في الاواني التي يسرع اليها الاختمار لعدم تأثير الهواء فيها كالختم أي جرار الفخار المطلية، والنقير أي جذوع النخل المنقورة، والمزفت وهو المتير أي المطلي بالقار وهو الزفت، والدباء وهو القرع الكبير. ثم بين ان الظروف لا تحل ولا تحرم وأذن بالنبيذ في كل وعاء مع تحريم كل مسكر. رواه مسلم واحباب السنن

وعن ابن عباس ان النبي (ص) كان ينبذ له الزبيب فيشربه اليوم والغد وبعد الغد الى مساء الثالثة، ثم يؤمر به فيسقى الخادم أو يهراق. رواه احمد ومسلم. أي يصير بعد ثلاثة أيام مظنة الاسكار، فهذه نهاية المدة التي يحل فيها النبيذ. وفي آخرها كان يحطاط النبي (ص) فلا يشربه بل يسقيه الخادم أو يريقه لئلا يختمر ويشد فيه بر خمر

وقد علم من الروايات التي أوردناها أننا ان بعض الصحابة فهم من آتي البقرة والنساء تحريم الخمر فتركها، واسكن عشاقها وجدوا منها مخرجاً بالاجتهاد. وكان من سنة النبي (ص) ان يعذر المجتهدين في اجتهادهم وان كان بعضهم مخطئاً فيه، وقد يجيزه له اذا كان قاصراً عليه أجنب جل فأخر الصلاة اذ لم يجد الماء فذكر ذلك للنبي (ص) فقال « أصبت » وأجنب آخر قتيمة صلى اذ لم يجد الماء فذكره له كالأول، فقال له ما قال للأول « أصبت » رواه النسائي. واجاز عمل عمرو بن العاص اذ وجود الماء خوفاً من البرد صلى اماماً فسأله عن ذلك فاحتج بقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) رواه احمد والبخاري تعليقا وأبو داود والدارقطني، ولكنه

قل لمن ترك الصلاة مع الجماعة وسأله عن ذلك فاعتذر بالجنازة وفقد الماء « عليك بالصعيد فإنه يكفيك » رواه البخاري

ويؤخذ من هذه الاحاديث ومن تلك أن التعريم الذي يكلفه جميع الناس هو ما كان نصاً صريحاً ، فإن النبي (ص) لم يكلف الناس إراقة ما كان عندهم من الخمر الا عند ما نزلت آية المسائدة الصريحة بذلك ، مع كونه فهم من آتي البقرة واتساء بحريم الخمر بالتعريض ، والمراد من التعريض عين المراد من التصريح ، الا ان التعريض حجة على من فهمه خاصة ، والتصريح حجة على المكلفين كافة . ومن هنا تعرف سبب ما كان من تساهل السلف في المسائل الخلافية وعدم تضليل أحد منهم لمخالفه ، وتعلم ايضا ان ما قال العلماء بتعريمه اجتهاداً منهم لا يعد شرعاً يعامل الناس به ، وانما يلتزمه من ظهر له صحة دليلهم من قياس او استنباط من آية او حديث دلالتها عليه غير صريحة . وان في تعريض كلام الله ورسوله حكماً ، وسيأتي لهذا المبحث تنمة في تفسير (لا تسألوا عن اشياء ان تبدلواكم تسوءكم) لتفسير الآيات بقية)

﴿ الجهاد الديني في الاسلام ﴾

ان أحكام القتال في الاسلام أعدل وأرحم من احكام القوانين الاوربية فهي الاصلاح الاعظم لهذه المصيبة الاجتماعية . ويظن كثير من نصارى الشرق - تبعاً لاعتقائهم في الغرب - ان الجهاد الديني في الاسلام عبارة عن تصدي المسلمين لقتل كل من يخالفهم في الدين . وقد يندأ خطأ هؤلاء وهمهم بالأدلة والآيات البينات . وبدهشنا ان نرى أجدر الناس بالفهم والحفظ والذكر لما كتبناه - كاستجاب الجرائد - قد نسوه وظلوا على رأيهم الموروث بدليل ما كان من توقعهم قيام المسلمين في البلاد العثمانية بذبح إخوانهم في الجنس والوطن ، واستغرابهم اتحاد الدولة العثمانية مع دولتين من غير دينها

أعانت الدولة العثمانية الجهاد الديني فكان المسلمون في بلادها السورية وغيرها أشد اتفاقاً مع غير المسلمين منهم قبل هذا الجهاد . وما ينقل من تعدي الترك والاكراذ على الأرمن فسببه - على فرض صحته - المنازعات الجنسية والسياسة ، والانتقام منهم ليلهم الى الدولة الروسية

وأما الجهاد العام في الاسلام فلا يكون الادفاعاً ولا يجوز فيه قتال غير المقاتلين المعتدين (٢ : ١٩٠) وقالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

الدعوة الى انتقاد المنار

جرت عادتنا بأن نذكر قراء المنار في كل عام بما يجب من الانتقاد الذي هو ضرب من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساعدة على الدعوة الى الخير، وبث النصيحة ونشر العلم، فنحن نطالب كل من قرأ في المنار شيئاً يرى أنه خطأ أن يبين لنا ذلك قولاً أو كتابة مؤيداً لنقده بما عنده من الدليل، وأما من سنع الانكار على المنار من بعض الناس سمعاً فينبغي له ان يتثبت ولا يجعل بمواقفة المنكر ومجاراته، حتى يرى ذلك بعينه، أو يقرأه الثقة عليه، فان من الناس من يقترى الكذب عمداً، ومنهم من يحرف ما يقرأ حسداً وضعفاً، ومنهم من يستنبط من الكلام لوازم لا تلزم، على ان لازم المذهب ليس بمذهب

وانا وایم الله لا نرغب الى أهل العلم والفهم ان ينتقدوا ما نكتب غروراً منا بنفسنا، وثقة بأن النقد ينكشف عن خطأ الناقد وصوابنا، بل نعلم اننا كغيرنا من البشر عرضة للخطأ والنسيان، ولجهل الحقائق وضعف البيان، ولا نبرئ أنفسنا الا من سوء القصد، واتباع الهوى عن عمد، وان لنا في هذه الدعوة أربعة أغراض:

الاول التوصل بها لإصلاح خطأنا، وتقويم عوجنا
الثاني التعاون على البر والتقوى والاصلاح بضم رأي غيرنا الى رأينا والاستفادة من علم أهل العلم

الثالث اقامة الحجة على المفتابين والكذابين الذين يقولون علينا ما لم نقل، وينسبون الينا ما نحن برآء منه، ويعيبون المنار بما ليس فيه

الرابع التوصل الى تصحيح خطأ المنتقد اذا كان هو المخطئ
هذا. ومن شاء ان ينشر ما يكتبه الينا من غير تصريح باسمه فله أن ياعرنا بكنى اسم. ووضع ما شاء أو شئتاً من الاسماء والالقباب في مكانه

وانا نشترط على المنتقدين ما نشترطه لهم على أنفسنا من الادب في العبارة. ونزيد التزام الموضوع وعدم الخروج عنه الى ما ليس منه، ومراعاة الاختصار بقدر الحاجة

التاريخ الهجري الشمسي

يعلم القراء أننا شرعنا من بضع سنين باحياء التاريخ الهجري الشمسي بذكر
سنينه في المنار بعد التاريخ الهجري القمري وقبل التاريخ الميلادي وقد كنا نكتفي
أولاً بذكر السنة تابعة للشهور الافرنجية الشمسية، بدأت بهذا في المجلد الثاني عشر
(سنة ١٣٢٧) ثم ارتأينا في أول السنة الخامسة عشر سنة - سنة ١٣٣٠ - أن
نذكر الشهور الشمسية الهجرية ونعتمد في تسميتها ما اخبره احمد مختار باشا الغازي
في تقويم لهين فيه ذلك. وذلك أن تسمى الشهور بأسماء الفصول مع الوصف بالعدد،
يأن يقال: الخريف الأول - الخريف الثاني الخ لان حفظ هذه الشهور يسهل على
العامة التأخوأس، ومن أسهل ما يعرفون موقعها من السنة من أول العهد باستعمالها. وقد
جربنا على هذا الحساب في جماعة الدعوة والارشاد ومدرستها. وكنا عازمين على
طبع تقويم خاص للسنة الهجرية الشمسية

ثم اننا رأينا ان بعض اخواننا من الفارسيين والافغانيين يستعملون التاريخ الهجري
الشمسي ولكنهم يسمون شهور السنة بأسماء بروج الشمس، فالشهر الاول من السنة
هو شهر الميزان وهو اول فصل الخريف الذي وصل النبي (ص) في أول يوم منه
الى المدينة المنورة. ولما نبهنا الناس الى احياء هذا التاريخ في مصر صار بعض اصحاب
التقاويم المصرية يذكرونه في تقاويمهم، وتبعوا الفرس والافغان في تسمية الشهور
لاجل هذا رأينا الآن ان نجاري هؤلاء وأولئك في هذه التسمية، وأن نكتفي
بالاشارة الى تسمية الشهور بأسماء الفصول بالحروف المقطعة من أولها، وذلك بجعل
حرف خ رمزاً للخريف وحرف ش للشتاء وحرف ر للربيع وحرف ص للصيف،
ونضيف الى هذه الحروف الارقام الدالة على الاول والثاني والثالث. فلقارى يرى
هذا الجزء مؤرخاً في ٢٥ من شهر الدلو (ش ٢) اي الشتاء الثاني

﴿ سنة المنار الجديدة عشرة أشهر ﴾

بيننا في جزء آخر السنة الماضية أن ما أحدثته حرب المدينة الاوريسية من
الضيق وقلة الورق اضطرنا الى جعل سنة المنار الجديدة عشرة أشهر كما كثير المجلات
المصرية، مع ابقاء جزء كل شهر ثمانين صفحة. واذا طال الحرب وزاد هذا
الضيق فربما نضطر الى تقليل عدد الاوراق أيضاً

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٣

(الهواء)

يفهم مما تقدم في الكلام على المطر ان الهواء يشتمل دائما على بخار الماء (الرطوبة) وهذا البخار يقل أو يكثر بحسب درجة حرارة الهواء، فإذا كان الهواء ساخنا كان أكثر رطوبة من الهواء البارد

وأهم ما يوجد فيه من الاجسام الاخرى فهو : —

النيتروجين ٧٩ و ٠٢

الاكسجين ٢٠ و ٩٤ | في المائة تقريبا وذلك بالحجم لا بالوزن

غاز ثاني أكسيد الفحم ٠٠٤ و ٠

وهي مختلط بعضها ببعض وليست متحدة اتحادا كيمياويا كما سبق . وفي الهواء غير ذلك آثار من عناصر أخرى ومركبات لاحاجة هنا لتفصيلها أما أنواع الهواء بحسب الامكنة فهي ما يأتي :

١- هواء البحار — وهو يشتمل على كثير من بخار الماء النقي ومن اكسجين كثيف يسمى (الاوزون)^(١) وهو عبارة عن أكسجين خائر (مركز) تشمل كل ذرة منه ثلاث جواهر فردة من الاكسجين . وهواء البحار البعيد عن البرخال من الميكروبات تقريبا ومن العفونات والروائح السكرية ويكون في الشتاء دافئا وفي الصيف باردا وذلك لأن الماء يبرد ببطء ولا يسخن بسرعة فيبقى أشد سخونة أو برودة من الاشياء المحيطة به فيعدل درجة حرارة الجو

(١) كلمة يونانية معناها « الفواح » لوجود رائحة له خاصة وهو يتولد من أكسجين الهواء بسبب السكر بقاء وهو مما يطهر الهواء من العفونات

(المنار ج ١) (٥) (المجلد الثامن عشر)

فهواء البحار من أنفع الالهوية للصحة ومفيد لكثير من الامراض ولو انه يشتمل على رطوبة كثيرة فان ذلك لا يضر فيها

٢- هواء الصحاري - ورطوبته أقل كثيرا وهو أيضا خال من الميكروبات تقريبا ومن العفونات وغيرها، وأكسجينه يوجد فيه أيضا النوع المسمى (أوزون) كهواء البحار وأما درجة حرارته فهي عالية في الصيف منخفضة في الشتاء وهو أيضا نافع للصحة ومفيد لبعض الامراض الاخرى

٣- هواء المدن - وهو يشتمل على كثير من الميكروبات^(١) والغازات الضارة والعفونات وغيرها مما يخرج مع نفس الحيوان ومما يتصاعد من النيران وغيرها، ويشتمل أيضا على رطوبة كثيرة ولكنها ليست نقية بل مختلطة بكثير مما يتبخر من سطح الارض من اقاذورات والروائح الكريهة المنبعثة من المراحض ونحوها أو من المياه الرا كدة الآسنة، ولذلك كان هواء المدن من أفسد الالهوية وأضرها بصحة الانسان

٤- هواء الحدائق والغيطان [الحقول] - ونحوها وهو من جهة الرطوبة بين هواء الصحاري وهواء البحار، وميكروباته قليلة جدا، وفي النهار يقتل منه غاز ثاني أوكسيد الفحم بسبب تنفس الاشجار فهي تستنشق منه غاز الفحم الضار وتترك الأكسجين للانسان والحيوان . وفي الليل يكون هذا الهواء فاسدا لأن الاشجار والنباتات تنفس فيه تنفس الحيوان فان لم يكن المكان طلقا أضر هذا الهواء الانسان ضررا كبيرا واذا لم يتجدد الهواء ربما يقتله

الانتشار والتخلل أو (الاختراق)

علم مما تقدم أن ذرات المادة تحت مؤثرين عظيمين الاول قوة الانضمام والثاني قوة الاندفاع وهي المعبر عنها فيما سبق بالحرارة الكامنة

فاذا زادت قوة الانضمام عن قوة الاندفاع كان الجسم صلبا واذا تساوت القوتان

(١) تعيش في الهواء مددا مختلفة بحسب ما تجده فيه من الغذاء فانها تعلق بذرات مخاطية أو خلايا بشرية أو نحو ذلك، وبحسب قوة مقاومتها للعوامل الطبيعية كنور الشمس وغير ذلك. وبعد المطر الشديد تقل كثيرا من الهواء لانه يغسله منها

كان سائلا واذا زادت قوة الاندفاع عن قوة الاضام كان غزا
ففي الغازات تميل ذراتها الى الانتشار في جميع الجهات بقوة الحرارة الكامنة
فيها وهذا هو المسمى في علم الطبيعة بالانتشار، وتلك القوة تحدث ضغطا على الاجسام
الحبيطة بالغاز فهي أيضا من أسباب الضغط الجوي الذي تقدم ذكره (راجع صفحة
٧ من هذا الكتاب) ^(١)

وكما كان الغاز خفيفا كانت قوة الانتشار فيه أشد فالهيدروجين — وهو أخف
من الأكسجين — ينتشر بسرعة أكثر من الأكسجين

واذا وجد في طريق الغاز المنتشر غشاء مما له مسام نفذ الغاز من خلاله
وقوة النفوذ هذه تسمى قوة التخلل أو الاختراق وتسميها الأفرنج Osmosis
وكما أن الغازات تحترق بهض الأغشية كذلك من الاجسام الصلبة ما يحترقها
أيضا اذا كان ذاتيا، والاجسام بالنسبة الى قوة الاختراق نوعان:

(الاول) أجسام تتشكل بشكل البلورات كالاملاح وهي سهلة النفاذ (الثاني)
أجسام لا تتشكل كالواد الزلاية والغروية والصمغية وهي يتعسر نفاذها أو يتعذر
فالا اجسام الاولى اذا كانت ذاتية في سائل مع الاجسام الاخرى نفذت خلال
الأغشية وحدها دون الاجسام الاخرى وبذلك يمكن فصل هذه عن تلك
وأظهر فوائد سنة الانتشار والتخلل الخمس الآتية :

(١) انه بسبب قوة الانتشار يدرك الانسان جميع المشومات

(٢) التنفس لجميع الحيوانات البرية والبحرية فلا كسعين المنتشر في الهواء
والذائب في الماء يندفع بهذه القوة الى مجاري التنفس [الرئة] في الحيوانات البرية
ولى خياشيم الحيوانات البحرية فيثقب أغشيتها حتى يصل الى الدم فيتحد به
وكذلك الغاز الذي في الدم المسمى (ثاني أكسيد الفحم) يتركه ويندفع الى الخارج
خلال أغشية الاعضاء التنفسية

والسبب في اتجاه الأكسجين الى الداخل هو كون ما يوجد منه في الهواء
أكثر مما يوجد منه في الدم. — والغازات تميل في انتشارها الى الموازنة والمساواة كما

(١) المراد ما يطبع منه على حدة

تميل السوائل الموجودة في مستويات مختلفة إلى الموازنة أيضا كما سبق .
وكذلك اتجاه ثاني أكسيد الفحم إلى الخارج يكون لهذا السبب بعينه . ويسمى
الاندفاع إلى الخارج Exosmosis ويسمى الاندفاع إلى الداخل Endosmosis
(٣) امتصاص الأغذية من القناة الهضمية في الحيوان وامتصاصها من جدار
الرحم بالأجنة الحيوانية يحصل أيضا بقوة التخلل مع مساعدة الخلايا البشرية للبطنة
للأغذية ولذلك تمتص الأملاح مع المواد الزلالية في مثل الجائين بسبب فعل هذه
الخلايا ولولا ذلك لتعسر نفاذ غير الأملاح أو تعذر
(٤) تجدد الهواء وذلك أنه إذا قل الأكسجين في حجرة اندفع الأكسجين
الهواء الخارجي إلى هذه الحجرة من جميع المنافذ الممكنة حتى لا يتخلو الهواء
الداخلي من الأكسجين والامات الحيوانات فيه ولا نطفات المصايح
(٥) فصل بعض المواد الكيميائية عن بعضها في المعامل يكون أحيانا
بطريقة التخلل

(مأخذ أسماء أشهر العناصر المذكورة آنفا ومعانيها)

- (١) النيتروجين : لفظ يوناني مركب من كلمتين معناهما (مولد النيتروجين) لأنه
يدخل في تركيبه والنيتروجين (Nitro) اسم لنترات البوتاسيوم وهي ملح البارود
المسمى أيضا (الملح الصخري) (Saltpetre) وكان النيتروجين يسمى قديما
(أزوت) وهي يونانية أيضا معناها «عديم الحياة» لأن الحيوانات لا تعيش فيه
- (٢) الأكسجين : لفظ يوناني مركب من كلمتين معناهما «مولد الحامض» لأنهم
كانوا يظنون أنه هو السبب الوحيد في الحموضة أو أنه داخل في تركيب جميع
الحوامض ولكنهم علموا بعد ذلك خطأهم وبقي الاسم بدون تغيير إلى الآن
- (٣) الهيدروجين : لفظ يوناني أيضا مركب من كلمتين معناهما «مولد الماء»
لأن كل ذرة من الماء مركبة من جوهريين فردين من الهيدروجين متحدتين مع جوهري
واحد من الأكسجين . وعبارة أخرى جثمان من الأول مع حجم واحد من الثاني

الكهرباء

الكهرباء احدى قوى المادة العظيمة وهي عبارة عن حركة مخصوصة في ذراتها وكان أول الاهتمام اليها في حجر الكهرمان (ويسمى أيضا الكهربياء) فبداهته تولد هذه القوة فيه فيجذب اليه بعض الاجسام ولذلك سميت باسمه . وأول من شاهد ذلك فيلهوف يوناني يسمى ثيلس (Thales) سنة ٦٠٠ ق . م وهي تولد بطرائق عديدة أهمها أربع : —

(١) الاحتكاك فإذا ذلك الزجاج بالحرير تولد فيه كهرباء من النوع المسمى «بالكهربية الزجاجية» وإذا ذلك الراتنج (وهو يتولد من الزيوت الطيارة بالتأكد ويشبه الصمغ) بتماش الصوف المسمى (فلانلا) تولدت فيه قوة كهربية من نوع آخر تسمى بالكهربائية الراتنجية

(٢) التفاعل الكيماوي فإذا وضع عمود من الزنك (الخارصين) وعمود آخر من النحاس في حامض الكبريتيك الخفف ووصل بينهما بسلك حصل التفاعل الكيماوي بين الحامض وبين الزنك وتولدت قوة كهربية تسري من النحاس الى السلك ومنه الى الزنك ومنه الى الحامض حتى تعود الى النحاس ثانية فكانها تجري في دائرة كاملة، ويسمى مجموع ذلك بالخلية الكهربية

واجتماع عدة خلايا كهذه بحيث يتصل بعضها ببعض ويتكون منها دائرة تجري فيها الكهرباء تسمى بالبطارية الكهربية

وكلمة بطارية مشتقة من كلمة (Battre) الفرنسية ومعناها الضرب أو القرع ، وعليه فيمكننا تسمية البطارية بالعربية (اقارعة) ويشترط في كل خلايا أن يوجد فيها عمود لاينفعل بالحامض وعمود آخر ينفعل به. فمن الأشياء التي لا تنفعل بالحامض النحاس — كما قلنا — والفحم والبلاطين (الذهب الايض) والجسم المتفاعل المعتاد هو الزنك

وجميع الاجسام تشتمل على نوعين من الكهرباء متميزين معا وهما الزجاجية والراتنجية ويسميان أيضا الموجبة والسالبة، فإذا اختلف النوعان اتحدا وإذا اتحدا

اختلفا وتنافرا، ففي كل خلية يتولد كهرباء سالبة في أعلى الزنك وموجب في أسفله وفي النحاس يتولد موجب في اعلاه وسالب في أسفله فيتحد موجب النحاس مع سالب الزنك في السلك خارج الخلية، ويتحد موجب الزنك مع سالب النحاس داخل الخلية. ولكن للتسهيل اصطلاح العلماء على أن يقولوا إن التيار الكهربائي يسري من العمود غير المنفعل إلى العمود المنفعل، ويسمى الأول عندهم بالقطب الموجب والثاني بالقطب السالب

(٣) التأثير، ومن ذلك أنه إذا وضع قطب موجب بجوار جسم متعادل (أي فيه الدوعان ممتزجان كجميع الاجسام) انفصل السالب واتحد مع القطب الموجب وتولدت شرارة كهربائية من اتحاد النوعين، وبقي في الجسم الذي كان متعادلا نوع واحد فقط وهو الموجب

ومثل هذا الاتحاد المولد للشرارة اتحاد كهربائية السحاب المختلفة النوع بعضها مع بعض أو مع كهربائية الأرض السالبة فيتولد من اتحادها نار عظيمة (الصاعقة) وصوت مزعج (الرعد) بسبب تماوج الهواء، وضوء شديد (البرق) وتولد الكهرباء على سطح الأرض بما يحصل عليه من الاحتكاك والتبخر والتكاثف والاحتراق ونمو النبات

المغناطيس الأرضي

دوران هذه التيارات الكهربائية حول الأرض يكسبها قوة المغناطيس (١) فيجذب قطباها قطبي قطع المغناطيس الأخرى المغايرين لها (كناموس الكهرباء السابق) فالقطب الشمالي يجذب الجنوبي والجنوبي يجذب الشمالي؛ وذلك هو سبب اتجاه (أبرة الملاحة المغناطيسية) المسماة باللغة العربية «بيت الأبرة» وباللغة الفرنسية «بوصلة» (Boussole)

وكأن الكهرباء تولد بالتفاعل الكهربائي كذلك تولد في الأجسام الحية

(١) المغناطيس كلمة يونانية مأخوذة من اسم مغنيسيا Magnesيا في ليديا بآسية الصغرى حيث ردت بكثرة أول قطع من الحديد لها هذه القوة ولكنها وجدت فيما بعد كثيرا في المرونيج والسويد وبعض بلاد أمريكا وغيرها

من نبات وحيوان، فالعضلة العاملة المتحركة في جسم الانسان تكون سلبية بالنسبة للعضلة الساكنة

ويوجد من السمك ما فيه كهربائية عظيمة يحس بها الانسان بمجرد لمسه له كالسمك المسمى (بالرعاد)

(٤) تسخين قطب مصنوع من معدنين مختلفين كالبرموت والانيمن يولد فيه كهرباء . فهذه هي الطرائق التي يهمننا معرفتها

النور

النور عرض معروف من أعراض المادة يتولد من حركة أجزائها الاثيرية حركة مخصوصة وهذه الحركة الاثيرية تنبعث من جميع جهات الجسم المضيء في خطوط مستقيمة، ولا يلزم لتنتشر النور في الجو سوى هذه المادة الاثيرية بخلاف بعض الاعراض الاخرى كالصوت مثلاً فإنه يلزم له مادة محسوسة كالهواء لنقله ولذلك يصل النور الينا من الشمس والقمر والنجوم مع العلم بان هذه الاجرام مفصول بعضها عن بعض بمسافات شاسعة خالية من الهواء أو أي جسم آخر سوى الاثير

وسرعة النور في سيره تساوي نحو ٣٠٠٠٠٠٠ كيلو متر في الثانية (١٨٦ الف ميل)

مصادر النور قسمان :

(١) صناعي :-

(١) الاحتراق كاحتراق الزيت والشمع وغيرها

(ب) الكهرباء

(٢) طبيعي كالشمس ، ومن هذا المصدر يتولد النور أيضا بالاحتراق وغيره فالاجرام السماوية المضيئة بذاتها هي اجرام مشتعلة بالنيران، وأما المضيئة بغيرها كالقمر فتعكس عليها الأشعة من نور الشمس كما تنعكس في المرآة ولذلك قال تعالى (فبحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وقد يتولد النور بتحريك ذرات

بعض الاجسام فيتلوج بها الاثير فيضي
والنور الابيض مركب من سبعة ألوان وهي (١) البنفسجي (٢) والبنيلي (٣)
والازرق (٤) والاخضر (٥) والاصفر (٦) والبرتقالي (٧) والاحمر
أما السواد فهو عدم النور مطلقا. وكل لون من هذا الالوان السبعة يتولد من
حركة مخصوصة في الاثير أسرعها التي تولد البنفسجي وأبطؤها التي تولد الاحمر
فاذا توالى سقوط هذه الحركات المختلفة على شبكية العين أدرك الانسان نورا
أبيض ، ومن ذلك يفهم أنه اذا أتى بقرص مستدير وقسم الى سبعة أقسام ولون
كل قسم منها بلون من هذه الالوان السبعة وأدير هذا القرص بسرعة شديدة رأينا
لونه أبيض ويسمى هذا القرص في علم الطبيعة (قرص نيوتن)
سنة الله في رؤية الاجسام

رؤية جميع الأجسام تحصل بسقوط أشعة النور عليها ثم انعكاسها عنها الى العين
فيصيرها الانسان وان كان هو في مكان مظلم اذ شرط الرؤية أن يكون المرئي في
مكان مضيء لا لرائي ، فهو يراه ون كانت في مكان مظلم فلا يراه ، ولو كان الابصار
ناشئا عن نور يستط من العين نفسها لراى الانسان الأشياء التي في الأماكن المضيئة
ولمظلمة على حد سواء . هذا اذا لم يكن الجسم مما يولد النور بنفسه كالفسفور
وكبريتيد الكلسيوم فانه يجمع أشعة الشمس في أثناء النهار ويحفظها الى الليل ،
وكذلك عنصر الراد يوم فانه يولد نورا في الظلام وفي بعض حيوانات البر والبحر نور
ينبعث منها في الظلام ومنها ذباب معروف يسمى « الحباحب »

واذا انعكست جميع التماوجات التي في النور الابيض من الجسم الى العين
رأيت لونه أبيض ، ومن ذلك تفهم حكمة لبس الملابس البيضاء في الصيف فانها
تعكس جميع أشعة النور والحرارة الى الخارج وأما الاجسام السوداء فهي تمتص
جميع الأشعة ولا تعكس منها شيئا

وأما الاجسام الاخرى كنزرق مثلا فهي تمتص جميع امواج النور ماعدا التي
تحدث اللون الازرق ، وهكذا يقال في باقي الالوان الاخرى
واذا سقط النور على أي سطح فان زاوية السقوط (وهي الحاصلة من الشعاع

الساقط مع عمود وهمي على سطح العاكس (تساوي زاوية الانعكاس) وهي
الحاصلة من الشعاع المنعكس مع العمود الوهمي المذكور)

وإذا كان الجسم الذي سقط عليه النور في الماء مثلاً انبعث منه الشعاع فخرج
من الماء وانكسر ومال بعيداً عن الخط الوهمي المفروض

وإذا كان الجسم لمضيء في الهواء انبعثت منه الأشعة ونفذت إلى الماء
فينكسر اشعاعاً أيضاً ويميل إلى الخط الوهمي المفروض

فهذه سنن الإلمية مطردة في انعكاس النور وانكساره. وبمقتضى سنة الانكسار
ترى الأجسام الموضوعة في الماء في مكان أعلى من مكانها الحقيقي ومثل ذلك أيضاً
رؤية اقضبان كالعصي مثلاً معوجة إذ وضعت في الماء.

وكذلك ترى أشياء على الأرض كأنهم معلقة في السماء، فيشاهد في بعض الجهات
أنس وخيل وحير وغير ذلك مشية في سماء بين الغيوم، وأصلها أشياء موجودة
على الأرض ولا ينكسر أشعة النور في طبقات الهواء المختلفة الكثافة تشاهد هذه
المنظر وهي كلها من خطي الجسم

ورؤية لأجسام في المرآة تنصل بانعكاس أشعة النور المنبعثة من الجسم عن
المرآة فتصل منها إلى العين

ومن السنن الإلمية في هذه المسئلة أن تكون المسافة بين الجسم الحقيقي
والمرآة تساوي تماماً المسافة بين المرآة والجسم الموهوم خلفها.

انكسار النور في المنشور والعدسات

بسبب انكسار الأشعة في الأجسام المختلفة الكثافة تنكسر الأشعة في المنشور
(الزجاج المثلث السطوح) وتميل إلى قاعدته فإذا وضع منشوران قاعدة كل منهما
على الأخرى انكسرت الأشعة أيضاً نحو قاعدة، واجتمعت في نقطة معينة. ومثل
المنشورات في جمع الأشعة العدسات فلها تجمع الأشعة أيضاً نحو مركزها ولذلك
تستعمل هذه العدسات في جمع أشعة الشمس للاحرق وتستعمل أيضاً في جمع أشعة

النور في التصوير كما في الآلات المتوغرافية (١)

علمنا مما سبق ان النور مركب من سبعة ألوان فاذا انكسر النور الابيض في المنشور تحلل الى ألوانه الاصلية ويكون اللون البنفسجي اقربها الى القاعدة ويليهِ النيلي فالازرق فالأخضر فالأصفر فبرتقالي فالأحمر . وأشد ألوان انكسارا البنفسجي وأقلها في ذلك الأحمر

فالمشورات وان كانت تجمع أشعة النور كلها الا أنها مع ذلك تفرقها الى ألوانها الاصلية ، ويتقضى هذه السمة تنكسر أشعة نور الشمس في نقط الماء الساقط من السحاب فينشأ من ذلك ما يسمى (قوس قزح) وهو مركب من ألوان النور السبعة

أما اذا مر النور خلال جسم ، وكان هذا الجسم مما يمتص بعض الاشعة فان لون هذا الجسم المدرك لنا هو ما يحصل من الاشعة باقية . مثل ذلك الزجاج الازرق اذا نفذ فيه النور امتصت (محيية) جميع الالوان معدا اللون الازرق وهكذا يقال في الألوان الاخرى

وأشهر العدسات اثنان (١) محدبة من الجانبين (٢) والمقعرة من الجانبين أما العدسة الاولى فيمكن اعتبارها كأنها منشوران اجتماعا وكانت قاعدتهما نحو المركز وأما العدسة الثانية فيمكن اعتبارها كأنها منشوران اجتماعا ورأسهما نحو المركز

ومن ذلك يفهم ان العدسات المحدبة تجمع الاشعة نحو المركز (أي نحو قاعدتي المنشورين)

وأما العدسات لمقعرة فنمّا تفرق الاشعة بعيدا عن المركز (أي تميل فيها الاشعة نحو القاعدتين)

واذا مر نور أبيض من مصباح عادي خلال منشور رأينا هذه الألوان السبعة كما تقدم - واذا كان هذا النور المار في المنشور صادرا من احتراق عنصر واحد رأينا

(١) فتوكلمة يونانية معناها نور وغراف يونانية أيضا معناها الرسم فعناهما « رسم النور » أو التصوير الشمسي

لونا واحدا فقط كنور السوديوم مثلا ، أو نغزو في المنور لم يتغير
وإذا مرت هذه الألوان السبعة خلال السوديوم مثلا في حته الغازية
امتص منها اللون الأصفر وبقيت الألوان الأخرى ومن ذلك يفهم أن العناصر
في حالتها الغازية تمتص من الألوان السبعة اللون الذي تولده هي . وعلى هذه القاعدة
وضع المنظار القرصي (Spectroscope)

فذا نظرنا بهذا المنظار إلى نور الشمس ، تبين الألوان السبعة زفصة ونرى ما ينقصها
من الأجزاء كأنها خطوط سوداء . وهي نشئة من وجود عدة عناصر في الحالة الغازية
محيطة بنجم الشمس وبسبب نفوذ الأشعة خلال هذه العناصر الغازية فقد بعضها
والسبب في كون هذه العناصر غازية هو شدة حرارة نر الشمس

وبهذا المنظار أمكن العلماء معرفة تركيب الأجرام السماوية وعناصرها ، ولم
طريقة أخرى لمعرفة هذه العناصر وهي تحليل ما يستط منها إلى الأرض (كالشبه
والنيارك) وهذا المنظار فائدة أخرى عظيمة في المباحث الطبية الشرعية وغيرها
ومن الأشعة الشمسية نوعان آخران سوى أشعة النور وهما (١) أشعة الحرارة
و (٢) أشعة الفعل الكيماوي وهما غير مدركين بالعين

أما أشعة الحرارة فيوجد أشدها بعد اللون الأحمر وما الأشعة الكيماوية
فيوجد أشدها بعد اللون البنفسجي

وهذه الأشعة الكيماوية هي التي تنص الملاح الفضة في لوح الآلة الفوتوغرافية
وتحدث عليها الصور

أما الآلة الفوتوغرافية فهي عبارة عن غرفة مظلمة تدخل الأشعة فيها من فتحة
صغيرة في جدارها الأمامي وفي هذه الفتحة عدسة محدبة من الجانبين لجمع الأشعة
حتى تكون الصور لمرسومة داخلها على المدر المنقبي جاية واضحة ، فذا وضع لوح
من الزجاج مغطى بمواد فيها ملح من أملاح الفضة أمام هذا الجدار المنقبي رسمت الصور
عليه وأحدثت الأشعة تغييرا كيميائيا في المادة . موضوعة على هذا اللوح وبذلك أمكنهم
أخذ صور المراتب ورسمها بهذه الطريقة

وهذه الآلة الفوتوغرافية تشبه العين الباصرة في تركيبها

العين الباصرة

العين كرة مظلمة في دخلها . ويصل اليها النور من فتحة صغيرة تسمى انسان العين وهذه الكرة (لمقلة) موضوعة في تجويف من لوجه يسمى (الحاجاج) ويغطيها في هذا التجويف الجفنان . وحكمة لاهاب أن تمنع التراب وغيره بقدر الامكان وتقلل من ضرر أشعة شمس الشديدة

وتغسل العين بماء يسمى الدمع تفرزه غدة موضوعة في الجهة العليا الخارجية من الحاجاج داخل الجفن الاعلى ويتصرف الدمع بعد غسل العين بقناتين موضوعتين في الجفنين بقرب الانف متصلتين بكيس صغير في أعلى قصبة الانف يسمى الكيس الدمعي ومنه يجري الدمع بقناة تصب في أسفل الانف أما طبقات العين فهي من الامام الى الخلف كما يأتي : —

(١) الملتحمة وهي التي تبطن الجفون وتغطي لمقلة من الامام وهي شفافة في جزئها المتوسط لدخول النور

(٢) قرنية وهي الرء الشفاف المستدير الذي يرى كسواد أو غيره

(٣) الصلبة وهي في مستوى واحد مع القرنية فكأنهما غشاء واحد كروي

الشكل تقريبا

(٤) القرحية وهي التي تحيط بانسان العين من جميع الجهات

(٥) المشيمية وهي أيضا في مستوى واحد مع القرحية ولونهما ومادتهما واحدة فيها أوعية كثيرة ومادة ملونة . وهذه الطبقة هي أعظم ما يجعل العين مظلمة من الداخل

(٦) الشبكية وهي تبطن ثلثي العين من الداخل . وهي الطبقة العصبية الحساسة المتصلة بالعصب البصري لواصل الى المخ وعلمها ترسم صور المرئيات التي يدركها الانسان

ولجمع أشعة نور ورسم الصور عليها يوجد عدة أجسام كثيفة شفافة في العين لكسر أشعة النور وهي بعد القرنية ١ المائبة وأكثرها بين القرنية والقرحية ٢ ويليهما البلورية، وهي بعد القرحية ونسكها كعدسة مستديرة ومحدبة من الجانبين ٣

ويليهما الزجاجية وهي مادة هلامية (كما نوضح) شفافة تملأ بطن العين بعد البلورية ثم ان قرنية قد تتسع وتضيق بألياف عضلية فيها بحسب حاجة العين الى النور ومما تقدم يفهم ان شدة النور تجتمع على الشبكية في العين الطبيعية ولكن من الناس من أعينهم صغيرة أو كبيرة عن الحجم المعتاد فتحتاج الاعين الصغيرة الى عدسات (نظارت) محدبة، وتحتاج الكبيرة الى عدسات مقعرة . ولولا ذلك لما اجتمعت الاشعة في العين الصغيرة الا خلف الشبكية (هذا على فرض انه لا يحجبها شيء) وفي العين الكبيرة أمام الشبكية . وما دامت جميع أوساط العين التي يمر فيها النور شفافة فالكان في إنبصار العين لسلامة ضعف فاعاب ان يكون سببه صغر حجم العين أو كبرها فنصلح بالنظارات
الرمد الصديدي والحبيبي

ومن أعظم أسباب عتامة بعض هذه الاوساط (كالترنية) هو اصابة العين بالرمد الصديدي أو الرمد الحبيبي المنتشر في مصر
والاخراس من هذين الرمد يجب تنظيف العين نظافة تامة وعدم مسها بأي شيء فيا تفل ويسخ

أما ميكروب الرمد الصديدي فهو ميكروب (السيلان) أيضا ويصل الى العين بلاصانع أو بالادى أو بالابن أو غير ذلك وهو مرض فلك بالعين لانه كثير ما يسبب قرحة في قرنية تؤهل للرضمة حتى لا يفد نور منها فتصبح عمياء وتسمى هذه الرضة بالقط أو ببيضات

وأما الرمد الحبيبي فميكروبه ينتقل من شخص لاخر كما ينتقل ميكروب الرمد الصديدي فلذا يجب الاحتراس منه بالنظافة والبعد عن الارمد

وأبسط دواء بعد الماء لتنظيف عين كل شخص محلول حامض البوريك المشبع ويجب طرد كل حشرة تقترب من العين كالذباب وغيره فانه من أعظم الاسباب لنقل أنواع الرمد، ويجب تقاء التراب اذا ثارت الرياح بوضع نظارات لوقاية العين منه . ومما يقى الطفل شر الرمد الصديدي أن يغسل عيناه عقب الولادة مباشرة بمحلول السليمانى (افى ٥٠٠٠) ويوضع فيها قط من محلول نترات الفضة (٢ في ١٠٠)

النبذة الثانية في التشريح ووصف الأعضاء

وما يلزمها من قواعد الصحية

التشريح نوعان نوع تدرك فيه جميع أعضاء الجسم بالعين مجردة ويسمى بالتشريح العادي ونوع تستعمل فيه الميكروسكوب (المنظار الدقيق) لأدراك جميع دقائق الجسم ويسمى هذا النوع بالتشريح الدقيق (التشريح الدقيق)

فلنبداً الآن بكلام على النوع الأول

يتركب الجسم البشري أولاً من العظام فهي كالأساس الذي تبني عليه جميع الأجزاء الرخوة والاحشاء ولذلك يسمى مجموع هذه العظام بالميكال البشري

العظام

العظام نوعان : (النوع الأول) العظام الصلبة كعظام الأطراف ، وصلابتها كصلابة العاج ، وهي جوفاء تمر في وسطها قناة ممتلئة بمادة كالدهن تسمى (تقو العظام) أو (نقيه) وأم النوع الثاني فيسمى بالاسفنجي ، كفقرات الظهر والضلع ، وهو أيضاً مغزى بطبقة رقيقة من العظم الصلب وبداخله تجاويف عديدة صغيرة غير منتظمة تشبه الاسفنج وهذه التجاويف ممتلئة أيضاً بنقي يميل إلى الحمرة ، وهو أعظم مكان تتولد فيه كريات الدم الحمراء خصوصاً التي تخرج من نقي الضلع أما عظام الميكال البشري فهي كثيرة والميكال عددها : —

(١) المجموعة (مجموعة عظام الرأس والوجه) وهي مركبة من ٢٢ عظماً منها ١٤

للوجه و ٨ للرأس

(٢) — الفقرات — وهي المسماة بالصلب وعندها مئة سلسلة الظهر وهي مركبة

من ٣٣ قطعة كل منها تسمى فقررة وفقارة : منها سبع ٧ فقرات للعنق و ١٢ للظهر و ٥

للظن و ٥ للعجز و ٤ للعصعص المسمى بعجب الذنب

(٣) الضلع وهي عادة في الذكر ^(١) ولانثى ١٢ في كل جانب وهي متصلة

(١) أما خلق حواء من أحد أضلاع آدم فظاهر أنها خرافة يهودية وإن كان

لها مغزى عظيم

من الخلف بالمفترقات ٦ ومن الامام بقص (عصب الصدر)

(٤) القص مركب من ثلاث قطع . وكيفية اتصال الضنوع به كما يأتي : -

سبع ضلوع متصل كل منها به بغضروف على حدة وتسمى بالضلوع الصادقة ، أما الثلاث التي بعدها فمتصلة معا بغضاريف تتصل بغضروف الضلع السابعة وأما الاثنتان الباقيتان فهما غير متصلتين من الامام بشيء مطلقا ويسميان بالضلعين العائتين . وهذه الضلوع الخمس الاخيرة تسمى بالضلوع الكاذبة

(٥) عظام الاطراف العليا ويتركب كل طرف من عظم العضد ثم الساعد (وهو مركب من عظمين : الكبيرة وهي العظم الخارجي ، والزند وهو العظم الداخلي) ثم رسغ اليد وهو مركب من ثمانية عظام صغيرة ، ثم عظام المشط وهي خمسة لكل أصبع عظم يحملها ، ثم عظام الاصابع الخمس وهي ثلاث لكل أصبع ، ماعدا لابهام فله عظامان

(٦) عظام الاطراف السفلى وكل منها مركب من عظم فخذ ، ثم الساق وهو مركب أيضا من عظمين : الشظية من الخارج والقضبة من الداخل ، ثم عظام رسغ القدم وهي مركبة من سبعة عظام صغيرة أيضا ، ثم عظام المشط وهي خمس لكل أصبع واحدة تحملها ، ثم عظام الاصابع ، وهي ثلاث لكل منها ماعدا لابهام القدم فله عظامان فقط

ومن العظام أيضا غير ما تقدم (١) التراقي وهما عظامان كل منهما يسمى ترقوة موضوعان في أعلى الصدر من الامام

(٢) اللوحان وهما عظامان عرضيان موضوعان بأعلى الصدر من الخلف

(٣) الداغستان وهما الموضوعتان أمام الركبتين ويسميها بعض الاطباء

الحديثين بالرضفتين ولكن ما اخترناه هنا هو الاصح لغة

(٤) عظاما الخوض وهما اثنان يكونان مع العجز والعصعص تجويفا كالطست يوجد فيه المستقيم والثمانية في الذكر والرحم والمبيضان وغيرها في الانثى . ويوجد غير ذلك عظام أخرى صغيرة جدا كما بين بعض عظام الرأس وفي الاذن وعظام صغيرة توجد بقرب بعض المفصل تسمى « السمسية » والعظم اللامي للعنق ولالسنان

أما الأسنان فهي في الطفل عشرون في كل فك عشر . ويتبدى ظهورها من الشهر السادس الى الرابع والعشرين ، ولذلك كانت مدة ارضاع كاملة حوالي كامين ، وفي الكبير ثلثان وثلاثون سناً يتبدى ظهورها من السنة السادسة ويتم في الخامسة والعشرين على الاغلب بظهور أربعة أضراس في آخرها تسمى أضراس العقل لان ظهورها يتم بلوغ الانسان رشده وهي التواجذ أو أضراس الحلم

والفرق بين منسوج عظام وغيرها من الاجزاء الأخرى للجسم من الوجهة الكيميائية إنما هو في وجود ملاح عديد في مد أي بين خلاياه مثل فوسفات الكالسيوم و كربونات الكالسيوم وفوسفات المغنسيوم وهذه الاملاح جميعا يوجد منها كمية كبيرة في العظام ، وهي السبب في يلبسها فإذا ذابت من العظام ببعض الأحوال صار العظم رخوا طوي

المفاصل

وجميع هذه العظام متصل بعضها ببعض بمفاصل . ومفاصل ثلاثة أنواع :

(١) مفاصل متحركة حركة تامة كالكتف و (٢) مفصل غير متحركة كما بين عظام الجمجمة و (٣) مفصل بين بين أي ان حركتها متوسطة فلا هي معدومة بلرة ولا هي متحركة حركة كبيرة وذلك كما فصل التي بين الفقرات

والفرق بين المفاصل المتحركة حركة كاملة (وهي الاولى) وبين غيرها أنها عبارة عن تجويف محاط بمندوج ليفي وبعض أربطة أخرى وهي مبطنة بغشاء أملس يفرز مادة مصفرة قليلا تشبه زلال البيض والغرض منها تسهيل الحركات فهي كالزيت للآلات الحديدية (فسيحان الخالق الحكيم)

وجميع العظام مغطاة (١) بغشاء ملتصق بها التماسق شديدا وفيه نوعية الدم ومنه تغذى بحيث إذا ألتف هذا الغشاء أو أزيل بمرض أو غير مرض يموت العظم الذي تحته ، وهذا الغشاء يسمى بالسمحق . وموت العظم يسمى انخر أو التآكل وهو المسمى عند العامة بالتسويس . والفرق بينهما أن لاول (انخر) تموت فيه قطع

(١) ماعدا أطرافها العضروفية

كبيرة من العظم بمجملتها ، والثاني — التأكل — تموت فيه أجزاء صغيرة
تفصل عن باقي الجسم شيئاً فشيئاً

العضلات

جميع حركات الجسم تكون بالعضلات، وهي المسماة باللحم
وبعض هذه العضلات أبيض اللون، كما في بعض الحيوانات مثل السمك
والارانب، وبعضها لونه أحمر، كما في الانسان وغيره من الحيوانات. والسبب في حمرتها
اشتمالها على جزء في منسوجها من حمرة الدم المسماة بالهيموجلوبين ومن غيرها ولذلك
كان اللحم الاحمر أكثر تغذية من اللحم الابيض ولكنه أعسر هضما

والعضلات تأتي عملها في تحريك الجسم بالانقباض، وهي ثلاثة أنواع :

(١) العضلات الاختيارية، وهي الموجودة حول عظام الهيكل كله، وأكثرها
يوصل بين عظمين فأكثر، وينتهي غالبا بما يسمى بالاو تار، وهي منسوجة ليفي أبيض
اللون متين جدا يشبه الحبال ويندغم في العظام المتحركة، فاذا قصرت العضلة أو
انقبضت انثنت العظام بعضها على بعض، وحركة هذه العضلات هي باختيار الحيوان،
وهي التي قسمناها الى يضاء وحمراء، والبيضاء أرقى شكلا وأسرع عملا

(٢) العضلات غير الاختيارية، وهي التي توجد في جدر الامعاء وأوعية الدم
وغیرها كالحالب^(١) ويختلف شكلها عن القسم الاول اذا نظرت بالمجهر الميكروسكوب
اختلافا كبيرا، وحركتها ليست بارادة الحيوان ولكن للأعصاب تأثيرا فيها. ادامت
مرتبطة بها فاذا انفصلت عنها استقلت بعملها كالامعاء بعد قطع جميع أعصابها فان
الطعام كاف لتغنيها

وكل انقباض للعضلات اختيارية كانت أو غير اختيارية لا يحصل الا بمنبه. وأنواع
المنبهات خمسة (١) المواد الكيميائية (٢) الحرارة (٣) الافعال الآلية (الميكانيكية)
كالضرب على العضلات أو القرص (٤) الكهرباء (٥) التيار العصبي، فالاربعة
الاولى ممكن حصولها خارج الجسم بعد ذبح الحيوان. أما المنبه العصبي فان كان

(١) مجري البول الواصل من الكلية الى المثانة

(المجلد الثامن عشر)

(٧)

(المنار — ج ١)

منشؤه من المخ كان فعلا اختياريا ولا كان غير اختياري
ومصدر التنبيه العصبي هو - كان من المخ - من الخاع هو من الخارج أيضا - كما يرى
الآن جمهور الفسيولوجيين - ويرى بعض الناس أن المخ يمكنه أن يبدأ التنبيه من ذاته
وإذا وصل التنبيه الخارجي إلى مركز العصبية ومنه ارتد إلى الاعضاء أو
العضلات فحركها سمي ذلك بالفعول المتعكس

(٣) عضلة القلب . وهذه العضلة تختلف أيضا في شكلها الميكروسكوبي عن
النوعين السابقين ، وهي غير خاضعة للتنبيه عصبي لأن حيث الكثرة أو القلة أو
الضعف أو القوة أو نحو ذلك . وإنما تقبضها فيحصل بقوة فيها خاصة بها ليست
ناشئة عن منه خارجي

وعليه فالفرق بين هذه الأنواع الثلاثة يلخص في الكلمات الآتية :-
تقبض العضلات الاختيارية بعلم المخ وتأثيره ؛ وغير الاختيارية بدون علمه ،
ولكنها خاضعة للاعصاب مادامت في الجسم ولا بد من تنبيهها بشيء ولو غير عصبي
والأولما اتقبضت ؛ وأما القلب فينقبض بنفسه بدون سبب خارجي ، وسواء اتصلت
به أعصاب أم لم تتصل ، وإنما يمكن للاعصاب أن تزيد في ضرباته أو تنقص منها
أو نحو ذلك ، أما منشأ الحركة فلا علاقة لها به ولا يعلمه إلا الله تعالى

الاعصاب

مركز لا إحساس والحركة في الجسم لأنساني محصورة في المخ والنخاع وحوله .
فالخ عبارة عن جسم كبير موضوع في الجمجمة ، وهو مركب من فصين عظيمين
متصل أحدهما بالآخر من أسفلهما ، وفي كل فص من الفصين تجويف ممتلئ بحجز من
سائل ، ويسمى هذا التجويف بالبطيخ ، والمخ مغلف بثلاثة أغشية تسمى جميعها
السحايا وكل منها يسمى الام

وجوهر المخ نوعان (النوع الأول السنجاني) وهو المغلف سطحه ، وهو مركب
من خلايا عصبية لها وظائف مختلفة . ويقسم سطح المخ إلى عدة أقسام ، فمنه جزء
للإبصار ، وهو في الخلف ، وجزء للحركات الاختيارية ، وهو في جانبه ، وجزء للكلام
وهو في الجهة اليسرى الجانبية ، وجزء للسمع وغير ذلك . وكل جانب من المخ متصل

بالأب الخائف له من الجسم فحركات العضلات التي في الأطراف اليسرى منفصلة
بالأب الأيمن من المخ وبالعكس ، ما عدا قوة الكلام فانها في الجانب الأيسر في
غالب الأشخاص . أما العُسر وهم الذين يعملون بشمالهم فيوجد مركز الكلام
عندهم في الجهة اليمنى من المخ

(النوع الثاني الأبيض) ومكانه تحت القشرة السنجابية ، وهو عبارة عن ألياف
عصبية توصل أجزاء المخ بعضها مع بعض وتوصله بالخزع

الخبيخ : موضعه مؤخر الجمجمة في أسفل المخ ، وهو أيضا مركب من فصين صغيرين
ليس بهما تجويف بخلاف فصي المخ ، ويبنهما جسم كالوددة يربطهما وهو أهم منهما .
ووظيفته حفظ التوازن في الجسم

النخاع : يتدنى من الجمجمة الى الحافة السفلى للمقرة الاولى القطنية وذلك في
الكمول ، أما في الاجنة فانه يملأ القناة الفقرية كلها الى الشهر الثالث . وهو جسم
اسطواني مغطى أيضا بثلاثة أغشية كغشية المخ من كل وجه . ويتركب من
جوهرين أيضا أبيض وسنجابي ، ولكن الجواهر الأبيض منه في الخارج والجواهر
السنجابي في الداخل ، والأبيض عبارة عن ألياف عصبية كما في المخ ، والسنجابي
عبارة عن خلايا عصبية كما في المخ أيضا

والجزء السنجابي مركب من هلالين تحدييهما أنسي وقرنا كل منهما الى الامام والخلف
ويجمع بين الهلالين عند جزئهما المحدث ، وفي مجموعهما قناة صغيرة دقيقة تمتد
في طول النخاع كله وتتصل في أعلاها بتجاويف المخ (البطينات)

يتصل بالمخ اثنا عشر زوجا من الاعصاب لها وظائف عديدة : فمنها ما يحرك بعض
العضلات في الوجه وغيره ، ومنه ما يحصل به الاحساس ، ومنها ما هو خاص بنوع من
الاحساس كالعصب البصري الذي يحصل به ادراك المرئيات ، وكعصب السمع وغيرها
ويتصل بالنخاع ٣١ زوجا من الاعصاب : ٨ منها تخرج من بين فقرات
العنق ، و ١٢ من بين فقرات الظهر ، و ٥ من بين فقرات القطن ، و ٥ من بين فقرات
والعجز ، و ١ من العصعص . وهذه الاعصاب يتركب كل فرد منها من قسمين : أمامي
وخلفي ، فالأمامي لحركة العضلات والخلفي للاحساس . أما الخلايا التي تصدر

منها الجزء الامامي فتوجد في القرون الامامية للمادة السنجابية في النخاع. وأما خلايا الجزء الخلفي فتوجد خارج النخاع ويتكون منها عقد صغيرة موضع أكثرها في الثقوب التي بين الفقرات ولكنها خارج سحايا النخاع. وبعد هذه العقد مباشرة يتحد الجزء الامامي المحرك مع الجزء الخلفي الحساس فيتكون منهما عصب واحد فيه الوظيفتان، ثم ينقسم هذا العصب الى قسمين أيضا: قسم امامي للحس والحركة، وقسم خلفي لهما أيضا، فالألياف الخاصة بالحركة في القسمين (التي أصلها من القرون الامامية للنخاع) تنتهي بالعضلات وهي التي تحدث فيها الحركة (أي تسبب انقباضها) والألياف الخاصة بالحس (وهي الآتية من العقد التي خارج النخاع) تنتهي بالجلد وغيره وهي التي يحصل بها الاحساس في الحيوان عند مس أي شيء. وجميع هذه الاعصاب ترى في الجسم الانساني عند تشريحه كجبال بيضاء منها الدقيق ومنها الغليظ، وأغظها عصب عظيم يوجد داخل الورك ويوزع على الساق كلها، وهذا العصب اذا أصابه مرض ما حدث عنه ألم شديد في الفخذ يسمى بعرق الدسا

ويوجد مجموعة أخرى من الاعصاب تسمى الاعصاب السمباتوية وهي مركبة من عقد وألياف أيضا وموزعة على جميع الاحشاء وعلى جميع أوعية الدم، ومتصلة أيضا بالمجموعة الاولى المركبة من المخ والنخاع، والاعصاب السمباتوية وظيفة هامة جدا في عمل جميع الاحشاء وحركة عضلات جدر الشرايين في انقباضها وانبساطها الا أنها ليست مستقلة في وظيفتها عن المجموعة الأولى. ومعنى «سمباتيا» المشاركة في الشعور أو الاحساس، وهي لفظ يوناني، وسميت بذلك لان بها ترتبط الاحشاء بعضها مع بعض، ومع الأوعية الدموية فكان كلا منها يشعر بالآخر، وعليه فيمكننا تسميتها بلقنتنا العربية « مجموعة الارتباط العصبي »



التاريخ

جعل مصر سلطنة تحت حماية انكلترة

كان أول عواقب دخول الدولة العثمانية في الحرب الأوربية أن أعلنت انكلترة ازالة سيادتها الرسمية عن مصر وجعلها تحت الحماية البريطانية وتسميتها سلطنة وتسمية الامير حسين كامل باشا أرشد أسرة محمد علي باشا سلطانا عليها

في ١٩ دسمبر الماضي ذهب المستر ملن شيتهم متولي أعمال الوكالة البريطانية والمستر ستورس سكرتيرها الشرقي الى القصر الذي يقيم فيه الأمير حسين كامل باشا وقدا اليه بلاغ الحكومة البريطانية المؤذن بجعل القطر المصري تحت حمايتها وبجعله سلطانا من قبلها لمصر وهذه ترجمته بالعربية كما نشر في الجرائد :

البلاغ البريطاني

يا صاحب السمو ! كلقتي جناب ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى ان أخبر سموكم بالظروف التي سببت نشوب الحرب بين جلالته وبين سلطان تركيا وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير في مركز مصر

كان في الوزارة العثمانية حزبان أحدهما معتدل لم يبرح عن باله ما كانت بريطانيا العظمى تبدله من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الإصلاح في تركيا ومقتنع بان الحرب التي دخل فيها جلالته لاتمس مصالح تركيا في شيء ومرتاح لما صرح به جلالته وحلفاؤه من ان هذه الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح لاني مصر ولا في سواها . وأما الحزب الآخر فشرذمة جنديين افاقين لاضير لهم أرادوا اثاره حرب عدوانية بالاتفاق مع أعداء جلالته معللين أنفسهم أنهم بذلك يتلافون ما جروه على بلادهم من المصائب المالية والاقتصادية . أما جلالته وحلفاؤه فع انتهاك حرمة حقوقهم قد ظلوا الى آخر لحظة وهم يأملون أن

تغلب النصح الرشيدة على هذا السرب لذلك فتعدوا عن مقابلة العدوان بمثلته حتى
أرغموا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة الحدود المصرية ومهاجمة الاسطول
التركي بقيادة ضباط مائتين نفورا رئيسية غير محصنة

ولدى حكومة جلالة الملك دة وفرة على أن سمو عباس حامي باشا خديوي
مصر السابق قد انضم انضمام قطيعا إلى سدا جلالتة منذ أول نشوب الحرب
مع المانية

وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا وللخديوي السابق على
بلاد مصر قد سقطت عنهم وآت إلى جلالتة

ولما كان قد سبق حكومة جلالتة أنها أعلنت بلسن قائد جيوش جلالتة في
بلاد مصر أنها أخذت على عاتقها مسؤولة الدفاع عن القطر المصري في
الحرب الحاضرة فقد أصبح من الضروري الآن وضع شكل للحكومة التي ستحكم
البلاد بعد تحريره كما ذكر من حقوق السيادة وجميع الحقوق الاخرى التي كانت
تدعيها الحكومة العثمانية

فحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة تحت يدها اسكان القطر المصري جميع
الحقوق التي آت اليها باصفة المذكورة وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في
البلاد مدة سني الاصلاح الثلاثين الماضية . ولذا رأت حكومة جلالتة ان أفضل
وسيلة لقيام بريطانية العظمى بالمسؤولية التي عليها نحو مصر أن تعلن الحماية
البريطانية اعلانا صريحا وان تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من
أمراء العائلة الخديوية طبقا لنظام وراثي يقرر في بعد

بناء عليه قد كتفتي حكومة جلالة الملك ان أبغ سموكم انه بالنظر ان سموكم
وخبرتكم قد رأي في سموكم أكثر الامراء من سلالة محمد علي أهلية لتقلد منصب
الخديوية مع لقب « سلطان مصر » واتني مكلف بان أؤكد لسموكم صراحة عند
عرضي على سموكم قبول عب هذا المنصب ان بريطانية العظمى أخذت على عاتقها
وحدها كل المسؤولية في دفع أي تعد على الاراضي التي تحت حكم سموكم مهما
كان مصدره . وقد فوضت لي حكومة جلالتة ان أصرح بانه بعد اعلان الحماية

البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين ايما كانوا الحق في أن يكونوا مشمولين بحماية حكومة جلالة الملك

وبزوال السيادة العثمانية تروى أيضا قيود التي كانت موضوعة بمقتضى الفرمانات العثمانية لعدد جيش سموك وللحق الذي لسموك في لانعم بالرتب والنياشين

اما في يختص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالاته ان المسؤولية الجديدة التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعي أن تكون التغييرات منذ الآن بين حكومة سموك وبين وكلاء الدول الاجنبية بواسطة وكيل جلالاته في مصر وقد سبق لحكومة جلالاته انها صرحت مرارا بان المعاهدات الدولية المعروفة بالامتيازات الاجنبية المقيدة بها حكومة سموك لم تعد ملائمة لتقدم البلاد ولكن من رأي حكومة جلالاته أن يؤجل النظر في تعديل هذه المعاهدات الى ما بعد انتهاء الحرب

وفما يختص بادارة البلاد الداخلية علي أن أذكرو سموك ان حكومة جلالاته طبقا لتقاليد السياسة البريطانية قد دأبت على الحد بالاتحاد مع حكومة البلاد وبواسطتها في ضمان الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وأعمال مصاد ثروة البلاد الطبيعية والتدرج في اشراك المحكومين في الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الامة من الرقي السياسي . وفي عزم حكومة جلالاته المحافظة على هذه التقاليد بل انها موقنة بان تحديد مركز بريطانيا العظمى في هذه البلاد تحديدا صريحا يؤدي الى سرعة التقدم في سبيل الحكم الذاتي

وستحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً كما تحترم الآن عقائد نفس رعايا جلالاته على اختلاف مذاهبهم . ولا أرى لزوماً لأن أؤكد لسموك ان تحرير حكومة جلالاته لمصر من ربة أولئك الذين اغتصبوا السطة السياسية في الاستانة لم يكن ناتجا عن أي عداة للخلافة، فان تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على ان اخلاص المسلمين المصريين للخلافة لاعلاقة له ابنة بالروابط السياسية التي بين مصر والاستانة، وان تأييد الهيئات النظامية الاسلامية في مصر والسير بها في سبيل

التقدم هو بالطبع من الامور التي تهتم بها حكومة جلالة الملك مزيد الاهتمام،
وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة، ولسموكم أن تعتمدوا في اجراء ما يلزم لذلك
من الاصلاحات على كل انعطاف وتأييد من جانب الحكومة البريطانية. وعلي
أن أزيد على ما تقدم ان حكومة جلالة الملك تعمل بكل اطمئنان على اخلاص
المصريين ورويتهم واعتدالهم في تسهيل المهمة الموكولة الى قائد جيوش جلالته
المكلف بحفظ الامن في داخل البلاد ويمنع كل عون للعدو. واني انتهز هذه الفرصة
فاقدم لسموكم أجل تعظيماتي

ملن شيتهم

تحريرا في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

(الاحتفال بنصب الامير حسين كامل سلطانا لمصر)

جرى هذا الاحتفال في يوم الاحد ثالث شهر صفر الماضي الموافق ٢٠ ديسمبر
وكانت معداته مهينة قبل ذلك بأيام أو أسابيع، ورقاع الدعوة اليه قدوزعت في جميع
أرجاء القطر. وهذا مقدمة نص البلاغ الرسمي الصادر من قصر عابدين في ذلك:
«برح صاحب العظمة مولانا السلطان في منتصف الساعة العاشرة في يوم الاحد
٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٤ سراي دولة الامير كمال الدين باشا في موكب فخيم محفوا
بحراسه ومن ورائه أحاب السعادة الوزراء تقلبهم مركبتان من مركبات المعية السنية
فأطلقت مدافع القلعة واحدا وعشرين مدفعا ايذانا وأدت طلبة المدرسة الحربية
والجند التحية. وكان الشعب يهتف لعظمته طول الطريق هتافا مواصلا. ولما أقبل
عظمته على ميدان عابدين ضج له جماهير المدعوين الموجودين بالصيوان المنسوب
أمام السراي وهم مندوبو المديريات وكبار موظفي الحكومة وحضرات العلماء والرؤساء
الروحانيين وكبار ضباط الجيش الانكليزي والمصري. ولما وصلت المركبة السلطانية
الى باب السراي استقبله كل من أحاب الدولة امراء العائلة السلطانية وصاحبي

الفضيلة شيخ الاسلام ومفتي الديار المصرية وحضرات رئيس ووكيل الجمعية التشريعية والمستشارين ووكلاء الوزارات ورئيسي محكمة الاستئناف الاهلية والمختلطة والنائبين العموميين لدى المحاكم الاهلية والمختلطة ومحافظ وكبار رجال المعية» وتلى ذلك بيان كيفية المقابلات، وما تخللها من الخطب والمحادثات

ترجمة برقيات التهاني بين لندرة ومصر

البرقية الاولى من ملك الانكليز — تهنئة

الى صاحب العظمة السلطانية سلطان مصر بالقاهرة

في الوقت الذي ترقى فيه عظمتكم السلطانية منصبها السامي أرغب أن أقدم الى عظمتكم السلطانية عواطف الوداد المنبثقة عن أكل اخلاص مع تأكيدي لكم بأنني لا أنفك عن تأييدكم في سبيل المحافظة على كيان مصر وضمان رفاهيتها في المستقبل وسعادتها. واقدم دعيتم عظمتكم السلطانية الى تحمل مسؤولية منصبكم السامي إبان أزمة خطيرة في الحياة الاهلية بمصر. واني على يقين انه بمعاونة وزرائكم وبمحمية بريطانية العظمى يتسنى لكم التغلب على كل المؤثرات التي يراد بها العبث باستقلال مصر وبرفاة أهاليها وحريةهم وسعادتهم

جورج

ملك وامبراطور

البرقية الثانية من سلطان مصر — شكر

أقدم لجلالتكم فائق الامتنان على ما تفضلتم به من شعائر الوداد التي شرفتموني بها وعلى ما أكرمتموه لي من نفيس التعضيد للمحافظة على كيان مصر واستقلالها. ولما كنت على علم تام بالمسؤولية التي أخذتها على عاتقي وقد عقدت النية على تخصيص كل مافي وسعي لتقدم أمتي وسعادتها سالكا مع الحماية في ذلك سبيل

(المجلد الثامن عشر)

(٨)

(المنار ج ١)

الوهم فنتي اعتبر من حسن حظي أن يباح إلى الإشراف في القيام بهذا العبء على
جميل عواطف جلالكم وعلى معاونة مكممكم

حسين كامل

البرقية الثالثة من لورد كيتشنر - تهنئة

إلى صاحب العظمة السلطانية سلطان مصر بمصر

أتشرف بتقديم أجن مراسم تهنئة ولا احترام إلى مقام عظمتكم السلطانية
بمناسبة ارتقائكم عرش سلطنة مصر وأسأله تعالى أن يوفق مصر في ظل عظمتكم
السلطانية ومعاونة وانصاح أصدقكم لي جعل مستقبلها مفرنا بالطمأنينة والسعادة
كيتشنر

البرقية الرابعة من سلطان مصر - شكر

لندن

إلى لورد كيتشنر

كان تهنائكم الودية بمناسبة ارتقائي عرش السلطنة أجمل وقع في فؤادي
فأشكركم شكرًا جزيلًا على ما أبدىتموه من عواطف والاماني نحو بلادي . وان
ما أعلمه من عظيم اهتمامكم بمصر يجعلني على يقين بأنه يتسنى لها الاعتماد عليكم كما
تعتمد على خير أصدقائها

حسين كامل

البرقية الخامسة . أمنية

من اللورد كيتشنر إلى رئيس الوزارة حسين رشدي باشا
أبادر بأبلاغ عطوفتكم أمانتي المنبئة من أكل عواطف الاخلاص والوداد
نحو مستقبل النظام الذي انفتح عصره في هذا الصباح وان تقي بحكمة عطوفتكم
وبوطنيتكم تجعل لي الأمل الوطيد باستمرار مصر في طريق السعادة والقدم

البرقية السادسة من رئيس الوزارة - شكر واغتراب

أشكر جنابكم على جميل تآلفكم . وأنا على يقين مثلكم بأن مصر في عهد
نظامها الجديد ستتابع خطاها في طريق النظام والارتقاء
واني لمرتاح إلى ما عندي من الأمل بإمكان الاعتماد على مودتكم الثمينة أثناء
قيامى بأعباء وظيفتي ما

تهاني الشعراء

نظم أشهر شعراء مصر قصائد في التهاني السلطانية . وفي مقدمتهم اسماعيل باشا صبري واحمد شوقي بك ومحمد حافظ بك ابراهيم . وامتازت قصيدة شوقي بأنها لم تكن مدحا وثنا مجردا كغيرها بل تمثيلا لشعوره ووجدانه الخاص من حيث هو ربيب بيت الخديو اسماعيل باشا وغرس نعمته ، ووجدانه العام من حيث هو مسلم مصري ، ويشاركه في هذا جمهور المصريين . فإذا أثبتناها بنصها أثرا تاريخيا لا نخرج عن سنة المنار في عدم نشر المدائح الشخصية . وها هي ذه :

الملك فيكم آل اسماعيل	لا زال ينتكمو يظل النيل
لطف القضاء فلم يمل أوليكم	ركن ولم يشف السود غليلا
هذي أصولكم وتلك فروعكم	جاء الصميم من الصميم بديلا
الملك بين قصوركم في داره	من ذا يريد عن الديار رحيل ^(١)
(عابدين) شرف يا ابن رافع ركنه	عزنا على النجم الرفيع وطولا
مادام مغناكم ^(٢) فليس بسائل	أحوى فروعا أم أقل أصولا
أنتم بنو المجد المؤثر والندى	لكم السيادة صبية وكهولا
النيل إن أحصى لكم حسناتكم	ملا الزمان محاسنها والجلا
أحيا أبوكم شاطئيه وابتلى	مجددا لمصر على الزمان أثيلا
نشر الحضارة فوق مصر وسوريا	وامتد ظلا للحجاز ظليلا
وأعاد للعرب الكرام بينهم	وحى الى البيت الحرام سيلا

حفظ الآله على (الكنانة) عرشه	وأدام منكم للبال كفيلا
بنين (عمرو) أمته عناية	من أن يزغزع ركنه ويميلا
وتدارك الباري لواء محمد	فرعى له غررا ومن حجولا

(١) قيل انه أشار الى نفي ما اشيع من خبر نفيه من مصر

(٢) أي مادام قصر عابدين مقاما لكم يا آل اسماعيل

في برهة يذر الاسرة نحسها مثل النجوم طوالها وأفولها
الله أدركه بكم وبأمة كالمسلمين الاولين عقولها
حلفاؤنا الاحرار الا أنهم أرقى الشعوب عواطفها وميولها
أعلى من الرومان ذكرا في الوري وأعز سلطانا وأمنع غيولها
لما خلا وجه البلاد لسيفهم ساروا سماحا في البلاد عدولها
وأثوا بكابرها وشيخ ملوكها ملكا عليها صالحا مأمولها
تاجان زانهما المشيب بثالث وجد الهدى والحق فيه مقيلا

سبحان من لا عز الا عزه يبقى ولم يك ملكه ليزولا
لا تستطيع النفس في ملكوته إلا رضى بقضائه وقبولا
الحير فيما اختاره لعباده لا يظلم الله العباد فتيلا
يألت شعري هل يحطم سيفه للبغي سيفا في الوري مسلولا
سلب البرية سلمها وهناءها ورمى النفوس بألف عزائلا
زال الشباب عن الديار وخلفوا للباقيات الشكل والتميلا
طاحوا فطاح العلم تحت لوأهم وغدا التفوق والتبوغ قتيلا
الله يشهد ما كفرت صنعة في ذا المقام ولا جحدت جميلا
وهو العليم بأن قلبي موجه وجعا كداء الثاكلات دخيلا
مما أصاب الخلق في أبنائهم ودهى الهلال ممالكها وقبولا
آخون اسماعيل في أبنائه ولقد ولدت ياب اسماعيلا
ولبت نعمته ونعمة بيتيه فلبست جزلا وارادت جميلا
ووجدت آباي على صدق الهوى وكفى بآباء الرجال دليلا
رؤيا (علي) يا (حسين) تأولت ما أصدق الاحلام والتأويلا
واذا بُناة المجد راموا خطة جعلوا الزمان محققا ومنيلا
القوم حين دها القضاء عقولهم كسروا بأيديهم لمصر غلولا
هدموا بوادي النيل ركن سيادة لهمو كركن العنكبوت ضئيلا

أرقه^(١) سرير أبيك وابس تاجه
مرت أويقات عليه موحشا
ليست معالي الأمر شيئاً غائباً
كم يستموه في الشبية مضاعها
وحيتو زرع البلاد وضرعها
يا أكرم الاعمام حسبك أن ترى
من عثرة ابن أخيك تبكي رحمة
ولو استطعت أقالة لعثاره

و كرم على (تقصير شديد) نزيلا
كارمس لا خلوا ولا مأهولا
عنكم وليس مكانكم مجهولا
وحلموه في المشيب ثقيلا
وهززعو للمكرمات بخيلا
للعبرتين بوجنتيك مسيلا
ومن الخشوع آمن حباك جزيلا
من صدمة الاقدار كنت مقيلا

يا أهل مصر كلوا الأمور لرؤسكم
جرت الأمور مع القضاء لغاية
أخذت عنا منا غير عناها
هل كان ذاك العهد الا موقعا
يعتز كل ذليل أقوام به
دفعت بنا فيه الحوادث وانقضت
وانفض ملعبها وشاهده على
فأدمتمو الشحاء فيما بينكم
كل يؤيد حربه وفريقه
حتى انطوت تلك السنون كملعب
واذا أراد الله أمرا لم يجد

فأله خير موثلا ووكيلا
وأقرها من يملك التحويلا
سبحانه متصرفا ومدبلا
للساطنين والبلاد ويبلا
وعزيز كم يلقي القياد ذليلا
الا نتائج بعدها وذيولا
أن الرواية لم تتم فصولا
ولبثتمو في المضحكات طويلا
ويرى وجود الآخرين فضولا
وفرغتمو من أهلها تمثيلا
لقضائه ردًا ولا تبديلا

(١) كتب الكلمة في بعض الجرائد «أرقاً» وهو غلط لانه امر رقي الناقص لارقاً المهموز، ولعل سببه كتابتها في الاصل بالالف فجعلوها همزة. والمقام هنا مقام وصل الفعل بهاء السكت كما فعلنا

آثارة تاريخية

من مقدمات الحرب المدنية الاوربية

وهي البرقيات التي تبودلت بين العاهلين العظميين

قيصر الألمان وقيصر روسيا (١)

١

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٢٨ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ مساءً)

لقد علمت بمزيد القلق خبر الوقوع الذي وقعته زحف الجنود النموية على سرية في امبراطوريتكم . ان التحريض العظيم الذي توالى في سرية منذ سنوات افضى الى جناية فظيعة اغتيل فيها الارشودوق فرنس فرديند ، فالروح الذي حمل السريين على اغتيال ملكهم وقرينته لا يزال سائدا تلك البلاد ، ولا ريب في انكم توافقوني اننا أي أنت وأنا كسائر الملوك لنا مصلحة مشتركة في الاصرار على معاقبة مرتكبي جناية القتل هذه العقاب الذي يستحقونه

على أنني أعلم أيضا انه يصعب جدا عليكم وعلى حكومتكم مقاومة مظاهرات الرأي العام ، فانا نذكركم بالصدقة القلبية التي بيني وبينكم منذ زمان طويل أبذل كل نفوذي في اقناع النمسة بالاتفاق مع سرية ، واني أعتمد على تأييدكم في مساعي لازالة جميع الصعوبات التي يحتمل ان تنشأ صديقكم المخلص وابن عمكم ولهم

٢

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهم

قصر برهوف في ٢٩ يوليو ١٩١٤ (الساعة واحدة بعد الظهر)

سرتني خبر عودتكم الى ألمانيا واني أطلب مساعدتكم في هذه الآونة الحرجة

(١) نقلت من ملحقات الكتاب الاصفر الفرنسي الرسمي

فقد أعلنت حرب معية على أمة ضعيفة وأنا أشاطر روسية سخطها العظيم
واني أرى اني سأعجز قريبا عن دفع الضغط الواقع علي واضطر الى اتخاذ
تدابير تؤدي الى الحرب
فاجتنبنا لنسكة حرب أوربية أرجو منكم باسم صداقتنا القديمة ان تفرغوا كل
جهدكم في منع حليفكم من الافراط في الخطوة التي سارت عليها تقولا

٣

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور تقولا

٢٩ يوليو ١٩١٤ (الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ مساءً)

تلقيت برقيتكم وأنا أشاطركم الرغبة في حفظ السلام
ولكن لا أرى ان زحف النمسة على سرية حرب معية كما قلت في تلغرافي
الاول، فقد علمت النمسة بالاختبار انه يستحيل تصديق مواعيد سرية ما دامت
محصورة في الكتابة على الورق

وعندي انه ينبغي النظر الى ما تنفعه النمسة كأنه سعي للحصول على الضمان
الكافي بان سرية تقوم بمواعيدها ، وقد تأيد اعتقادي بما صرح به النمسة من
انها لا تبغي الاستيلاء على شيء من أملاك سرية

ولذلك أرى ان روسية تستطيع أن تقف موقف المتفرج فلا تجر أوربة الى
أعظم حرب رآها العالم

وأعتقد أن الاتفاق بين حكومتكم وفينة مستطاع ومرغوب فيه لاسيما وان
حكومي باذلة الجهد للتوصل الى هذا الاتفاق كما أخبركم في تلغرافي السابق
ولا يخفى ان اتخاذ روسية لتدابير حربية تعدها النمسة تهديدا لها يعجل وقوع
النسكة التي نحاول كلانا اجتنابها ويحول دون قيامي بمهمة الوسيط التي قبلتها بلا
تردد لما استعجرت بصدقتي ومعونتي ولهم

٤

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور تقولا

٣٠ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١ صباحا)

صدرت التعليمات الى سفيري أن يوجه نظر حكومتكم الى الاخطار والعواقب
الوخيمة التي تنشأ عن تعبئة الجيش وهذا الذي قلته لكم في تلغرافي الاخير
ان النمسة عثت جيشها ضد سرية فقط ولم تعي، سوى جانب من جيشها
فاذا عثت روسية جيشها ضد النمسة كما يتضح من برقيتكم و بلاغ حكومتكم تعذر
عليّ القيام بمهمة الوسيط بل استحل وهي المهمة التي نطمحوها في بروج المودة وقبلتها
بناء على طلبكم المعجل
فعبء البت في الامر واقع على عاتقكم وأنتم تتحملون عبء تبعه الحرب أو
السلام

٥

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهم
قصر بترهوف في ٣٠ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١ والدقيقة ٢٠ بعد الظهر)
أشكركم من صميم الفؤاد على جوابكم السريع واني مرسل تاتيشف اليوم
مساء مزودا بالتعليمات. أما التدابير الحربية التي تتخذ الآن فقد قرأنا عليها منذ
خمسة أيام لمقابلة استعداد النمسة
واني أتمنى من صميم الفؤاد ان لا تؤثر هذه التدابير في قيامكم بمهمة الوسيط
وهي المهمة التي اقدرها حق قدرها فاننا نحتاج الى توسطكم بالحزم مع النمسة لحملها
على الاتفاق معنا
نقولا

٦

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهم
٣١ يوليو ١٩١٤
أشكركم من صميم الفؤاد على ما تبدونه من انية اني تدل على وجود بارقة
أمل بان الامور تنتهي على مايرام. اما توقف استعدادنا الحربي فغير مستطاع
فنيا وقد اضطررنا تعبئة النمسة الى هذا الاستعداد
اتنا أبعد الناس عن الرغبة في الحرب وما دامت المفاوضات في موضوع

سرية دائرة مع النمسة فجنودي لا تقدم على عمل ما من أعمال التحرش وأؤكد
لكم ذلك بشرفي
أني موقن تمام الايقان بنعمة الله واثق بأن توسطكم في فينا يكلل بالنجاح
لخير بلادينا وسلم أوربة
تقولا

٧

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور تقولا

٣١ يوليو ١٩١٤ (الساعة ٢ بعد الظهر)

لما استجرتكم بصدائتي وطلبتكم معوتي قبلت أن أتوسط بين حكومتكم وحكومة النمسة
وبينما كنت قائما بهذا العمل عبأتكم جيوشكم ضد حليفتي النمسة فأحبطتم
الرجاء بنجاح توسطي ومع ذلك فأنني ظلت متابعا له
وقد تلقيت الساعة علما من مصدر جدير بالثقة بأنكم شرعتم تتخذون تدابير
حرية عظيمة على حدودي الشرقية، ولما كنت مسئولا عن سلامة امبراطوريتي
فأنني مضطر ان اتخذ تدابير مماثلة دفاعا عنها
ولقد بذلت أقصى ما استطاع سعيًا لحفظ السلم فاذا وقعت النكبة الهائلة التي
تهدد عالم المدنية بأسره فان تبعثها لا تقع علي
ولا يزال منع وقوع النكبة في يديكم اذ لا أحد يهدد شرف روسية وقوتها
وكان في طاقة روسية ان تنتظر نتيجة توسطي . ان صدائتي لكم ولا امبراطوريتكم
التي أورثتها جدي على فراش الموت ظلت مقدسة عندي، وقد كنت أمينا لروسية
في محنها ولا سيما في الحرب الاخيرة . فسلم أوربة محفوظ حتى الآن اذا قر قرار
روسية على الكف عن التدابير الحربية التي تهدد بها ألمانيا والنمسة. ولهم

٨

من الامبراطور تقولا الى الامبراطور ولهم

١ اغسطس ١٩١٤ (الساعة ٢ بعد الظهر)

جاءتني برقيتكم وإني أعلم انكم مضطرون الى التعبئة، ولكنني أطلب منكم
(المنار ج ١) (٩) (المجلد الثامن عشر)

الضمان الذي أعطيتكم إياه وهو أن هذه التدابير لا تنذر بوقوع الحرب وأننا نأمل
 في تعيين مفاوضاتنا لخير البلادين ومصلحة السلم العام العزيز على قلوبنا
 أن صداقتنا القديمة العهد والوطيدة الأركان يجب بمساعدة الله أن تفوز بمنع
 إراقة الدم فانا انتظر جوابكم بملء الثقة .
 نقولا

٩

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

برلين في ١ اغسطس ١٩١٤

أشكركم على برقيتكم وقد دلت حكومتكم أمس على الطريق الوحيد
 لاجتناب الحرب

ومع أني طلبت أن يأتيني الجواب الظهر فلم يأتني حتى الساعة برقية من
 سفيري تتضمن جواب حكومتكم لذلك اضطرت الى تعبئة جيشي

فالتريق الوحيد لمنع وقوع نكبة لا توصف هي ورود جواب صريح جلي
 من حكومتكم. ولا يسعني أن أهتم بموضوع تلغرافكم قبل أن يأتيني هذا الجواب،
 واني مضطر أن أطلب بالاختصار أن تصدروا أوامركم الى جنودكم بلا إبطاء بان
 لا تهجم أقل هجوم على حدودنا
 ولهم

فصل الاحصاء من باب التاريخ

(مساحة المملكة العثمانية وعدد سكانها)

أصدرت الحكومة العثمانية في العام الماضي احصاء لأملاكها وعدد سكانها
 نشرته جريدة « الاهرام » قائلة انها أخذته عن خريطة أركان الحرب العثمانية
 وهو كما ترى في الجدول الآتي :

اسم الولاية	كيلومتر	نفس
استامبول	٧٠٠٠	١١٣٦٠٠٠
خداوند كار	٧٣٨٠٠	١١٦٢٦٩٠٠

اسم الولاية	كيلومتر	نفس
آيدين	٥٤ر٠٠٠	٩٦ر٥٠٠
قونية	١٠٢ر٨٠٠	٠٠٨ر٥٠٠
اطنة	٣٧ر٢٠٠	٤٠٣ر٤٠٠
اقره	٦٧ر٥٠٠	٠٠٠ر٥٠٠
قسطنطيني	٤٩ر٧٠٠	٠٠٠ر٥٠٠
سيواس	٦٢ر٨٠٠	٠٠٠ر٥٠٠
طرابزون	٣٠ر٧٠٠	٧٧ر٠٠٠
ارضروم	٥١ر٠٠٠	٩٧ر٠٠٠
معمورة العزيز	٣٤ر٣٠٠	٧٥ر٣٠٠
بتليس	٢٦ر٨٠٠	٣٩٨ر٦٠٠
ديار بكر	٣٥ر٥٠٠	٤٧١ر٥٠٠
وان	٤٠ر٢٠٠	٤٣٠ر٠٠٠
حلب	٧٨ر٦٠٠	٩٩٥ر٨٠٠
بيروت	٣٠ر٥٠٠	٥٣٣ر٨٠٠
سوريا	٦١ر٧٠٠	٩٥٥ر٧٠٠
بغداد	١٤١ر٢٠٠	٨٥٠ر٠٠٠
الموصل	٧٥ر٧٠٠	٧٠٠ر٣٠٠
البصرة	٤٢ر٧٠٠	٣٠٠ر٠٠٠
الحجاز	٢٥٠ر٥٠٠	٣٠٠ر٠٠٠
اليمن	٢٠٠ر٥٠٠	٧٥٠ر٠٠٠
جزائر البحر الابيض	٧١ر٠٨	٣٢٥ر٩٠٠
ازميد	١١ر٢٠٠	٢٢٢ر٨٠٠
يفي	٦ر٨٠٠	١٢٩ر٤٠٠
الزور	٨٥ر١٠٠	١٠٠ر٠٠٠

٣٩٩٥٠٠	٦٥٠٠	لبنان
٣٣٣٠٠٠	٢١٣٠٠	س
٥٢٨٠٠	٤٦٨	
٢٢١٨٠٠	٩٦٠٠	قبرص
١٩٣٤٠٠٠	١٧٠١٧٧٧	

ب. الأهرام) فعدد الاهالي العثمانيين اذن هو ١٨ مليون و ٨٣٩ الف و ٨٠٠
ج. منهم أهالي قبرص وهم حسب الاحصاء ٢٢١٨٠٠ و سيسيام وهم ٥٢٨٠٠
د. وهم ٣٩٩٥٠٠ والحجاز وهم ٣٠٠ الف واليمن وهم ٧٥٠ الفا وجزر البحر الابيض
٣٢٥٩. لان هذه البلاد اما انها لا تكلف بالتجنيد واما انها غير خاضعة لحكم
ولة كالجزر وعدد اهاليها مليونان ٧٤١ الف فيكون الباقي ١٦٧٦٥٧٠٠ فاذا
اخرجنا منهم الكرد واليزيدية والطوائف التي تدفع البدل والتي تعفى يكون
الاهالي الذين يجندون نحو ١٤ مليوناً على الاكثر فاذا حسبنا ان الذين يجندون
هم ٦ بالمئة يكون عدد الجيش الممكن جمعه من الامة العثمانية ٨٤٠ الف مقاتل في
وقت الحرب اه

احصاء جزيرة العرب والولايات العربية

[المنار] كنا رأينا هذا الاحصاء في الأهرام ثم نقلناه عن جريدة أخرى نقلته
عنها ولكن رأينا الجمع غير صحيح فأرسلنا الجدول الى رئيس تحرير الأهرام فصححه
فلم يكن الجمع بعد تصحيحه صحيحاً أيضاً بل بلغ عدد النفوس ١٩ مليوناً و ٣٤٠ الف نفس
ان الدولة لم تحصى سكان بلادها إحصاء دقيقاً الى اليوم ، وهي تعني
بهذا الاحصاء أهالي البلاد الحضرية الخاضعين لقوانينها كلها أو بعضها الا ما يستثنى
كقبرص. أي ما تيسر لها معرفة عدده منهم، ولذلك لم تذكر بلاد نجد مع انها تعدّها
تحت سيادتها. وجعلت أهل اليمن ثلاثة ارباع المليون على أن بعض وزرائها الذين
تولوا اليمن كحسين حامي باشا كانوا يقولون ان أهلها ستة ملايين أو يزيدون.

ورأيت بعض أهل اليمن يعتقدون ان سكان بلادهم وبلاد حضرموت أكثر من سكان القطر المصري

هذا وان سكان الولايات والمتصرفيات العربية وهي ١٢ ولاية ومتمتع بلغوا بحسب هذا الاحصاء ... ٦٩٢ ر ٦ فاذا كان في ديار بكر

زهاء مئتي الف من غير العرب كالترك والكرد والارمن يكون مجموع للدولة فعلاً نحو من ستة ملايين ونصف أو أقل . وهذا العدد أقر

العرب في جزيرتهم وحدها دع ملحقاتها من العراق وما بين النهرين وسورية وقد ويمكن أن يعيش في هذه البلاد أكثر من مئة ألف الف بالسعة ، فان

أوسع من مساحة الهند الانكليزية التي يعيش فيها أكثر من ثلاث مئة ألف ألف : بل مساحة جزيرة العرب وحدها تقرب من مساحة الهند إذ كل منهما تزيد على ثلاثة ملايين كيلو متر

وقد قدر صاحب (النخبة الازهرية في تخطيط الكرة الارضية) سكان جزيرة العرب وحدها بأثنى عشر مليون نفس ، وهو انما يعتمد على كتب التقويم الاوربية القديمة التي تعتمد على قاعدة البناء على الاقل ، وحسبك نموذجاً من ذلك انه يقول ان سكان دمشق الشام ستون ألفاً ، والمشهور انهم أكثر من مئتي الف ، وان سكان طرابلس الشام ١٣ ألفاً وهم أكثر من تسعة وعشرين .

ويمكننا ان نقول ان عرب الولايات والمتصرفيات العربية ماعدا اليمن والحجاز لا تقل عن خمسة ملايين ونصف بحسب احصاء الدولة . واذا قيل ان عدد الاعاجم فيها أكثر مما قدرنا بنصف مليون قلنا ان البدو فيها لا يقلون عما نفرضه من زيادة هؤلاء . فاذا أضفنا الى البدو المكتومين من الحضرة زاد عدد العرب في تلك الولايات على ستة ملايين . وقد نشر في عدد الاهرام الذي صدر في ٣ نوفمبر احصاء آخر لحد المحررين فيها (ا.س.ن) عد فيه أهل ولاية بيروت ٧٠٠.٥٠٠ وبغداد ٩٥٠.٠٠٠ وبالبصرة ٢٥٠.٠٠٠ والقدس ٥٥٠.٠٠٠ ولبنان ٥٠٠.٠٠٠ وهذه زيادة تبلغ زهاء نصف مليون . فاذا فرضنا بعد ذلك ان سكان الجزيرة ١٢ مليوناً فقط كما يقول صاحب النخبة الازهرية

على سبيل التقريب كان عدد العرب وحدهم في هذه البلاد كلها كعدد سكان المملكة
العثمانية من جميع الاجناس كما رأيت في الجدول
الذي ذكرته من العارفين عدد العرب في تلك البلاد بعشرين مليوناً ولكنهم
أهل حضرموت ونجد وعمان

إحصاء شعوب الهند الانكليزية

نشرت الحكومة الانكليزية خلاصة إحصاء شعوب الهند في عام ١٩١٤
ويؤخذ من هذا الإحصاء ان عدد أهالي الهند الانكليزية ٣١٥١٥٦٣٩٦
بم ٥٧٨٠٥ بالمئة من الهنود و ٥٢٢٠٥ من رعايا الامارات الهندية
ومساحة بلاد الهند تعادل مساحة أوربة كلها ما عدا روسيا ولكن عدد أهالي الهند
يزيد على أهالي أوربة ما عدا روسيا وهو يعادل ثلاثة أضعاف أهالي الولايات المتحدة
ومنذ ٣٩ سنة الى اليوم زاد عدد أهالي الهند ٥٠ مليوناً. أما الذين يدينون
بدين الهند الاصليين (؟) فعددهم ٢٨٩٢٠٨٦٥٨٠٢١٧٠٤ وعدد المسيحيين ٢٠٤٠٢٧٨٨٠٢
والباقون من المسلمين

(المنار) نشرت هذا الإحصاء جريدة الاهرام في أثناء السنة الماضية وتلك
عبارة تقلناها بنصها. واذا نحن طرحنا عدد الوثنيين والنصارى من المجموع بقي
٣٠٠٠٢٦٩٢٠٩٤ وهو عدد المسلمين. وقد كنا سمعنا من بعض كهراء الهند في أثناء
سياحتنا فيها عام ١٣٣٠ (١٩١٢ م) ان عدد المسلمين فيها تسعون مليوناً ونيف.
ولكنني لا ازال اسمع الناس يقولون ويكتبون ان عددهم سبعون مليوناً، حتى ان
مثل هذا القول ينقل عن بعض رجال السياسة من الانكليز أنفسهم. ولما جاء هذا
الإحصاء مطابقاً لما سمعناه من أهل المعرفة في الهند ترجح عندنا ان هذه الاقوال
اما مبنية على إحصاء قديم علق بأذهان اولئك القائلين، واما ان الانكليز منهم
يستثنون بعض الامارات المستقلة عند ذكر رعاياهم من مسلمي الهند وغيرهم
يقدمون في أقوالهم

البدع والخرافات وَالْبَقَالِيدُ

خرافات وأوهام في قصور الملوك *

يعتقد القراء أن الخرافات والأوهام التي تتخوف منها الطبقة العامة من بلدان الممالك المتقدمة (?) كوجود الجان وظهور الأرواح والاشباح لا عقول الطبقة المتقدمة من الشعب الأوروبي والحقيقة أن هذه الأوهام التي لا يـ من العلماء غير شيعة الروحانيين (مناجاة الأرواح) واتباعهم مائة قصور الملوك في كل رأس من رؤوس سكان القصور ثغرة واسعة. وهما نحن (أولاء) موردون عن الاعتقادات الشائعة بالجان والأرواح في قصور ملوك أوربة

تعتقد عائلة « هوهنزولرن » المالكة في ألمانيا أن لها جنتين إحداهما بيضاء والثانية سوداء واليهما تشير الراية الألمانية، بمعنى أن البيضاء هي جنية الشر، والسوداء جنية الخير

ففي عام ١٨٠٦ « على ماتفيد الكتب والأوراق القديمة » ظهرت الجنية البيضاء في إحدى نوافذ القصر الملكي، وما كادت تختفي حتى ورد إلى الإمبراطور نبأ يفيد انكسار الجيش الألماني « في « اورستاد »

وقد ظهرت أيضا عام ١٨٨٤ قبل وقوع تلك الحوادث المشؤومة في ألمانيا - في حديقة القصر الملكي في برلين

وظهرت أيضا ثلاث مرات في « انتردنلدين » وفي كل مرة كانوا يحاولون اغتيال غليوم الأول

ولمات الإمبراطور الشيخ شعبانا من السنين وكان قد بلغ من المجد حظا كبيرا ظهرت الجنية البيضاء في إحدى أروقة القصر الملكي، وما كادت تختفي حتى جاءت الأنباء مفيدة ما قاساه فردريك الثالث من أنواع العذاب وأصناف البلايا والمحن (*) منقول من جريدة الزمان العربية التي تصدر في بونس ايرس (الأرجنتين)

القصر الملكي مكشوفة اليدين وأنبات عن موت
ول في «شار لوتنبورغ» بعد تولية الحكم بثلاثة أشهر
فقد ظهرت الامبراطور احمالي في «برانبرغ» في أيام
التي له «ستكون امبراطورا قبل ان تتم الثلاثين ريعا» وهكذا كان.
يكترة الملكي جنية بيضاء وظيفتها نقل أخبار الموت فقط «ناعية»
عند ما ماتت الملكة فكتوريا الشهيرة أخذت (الجنية) تصيح -

ض أشخاص موثق بصدقهم - في داخل القصر الملكي
ويوجد مثل هذه الارواح والجنيات في القصور التاريخية القديمة، وكثيرا
مع الملوك والامراء والاشراف عن سكنها خوفا من تلك الارواح الخبيثة الهائلة
ففي قصر «باري يوماروي» توجد هذه الارواح بكثرة وطائما أعلنت
نصائب قبل وقوعها. وعدد كبير من سكان هذا القصر أنباتهم هذه الارواح عن
انقضاء آجالهم

وبهذه المناسبة نذكر الحادثة التالية التي جرت في القصر المذكور من مضي مئة سنة
كان الدكتور «ولتر» يطبب زوجة مدير القصر، وفي أحد الايام سأل المدير
المذكور عن تلك المرأة الجميلة الحسنة الملابس التي تلوح على محياها امائر الحزن،
وانتي رآها عند دخوله الى القصر، فبغت الرجل وصاح لالا. لا أريد ان تموت
امرأتي. فعجب الدكتور مما ظهر له واستوضحه عن العلاقة بين المرأة وموت زوجة
المدير المذكور، فأطلعه على حقيقة هذه السيدة البيضاء الجميلة، ومع انه لم يكن يرى
في مرض زوجة مدير القصر خطرا على حياتها، فقد ماتت في ذلك اليوم

هذا مارأينا ان ننقله تفككة للقراء. ولا يمكننا نفي هذه الحوادث وغيرها مما
نظامه يوميا عن استحضار الارواح وافعال الارواح ولا تصديقه، لان بين المعتقدين
جماعة من العلماء الاعلام كالمسترستيد وغيره، وبين المكذبين العلماء الطبيعيين
على الاطلاق وغيرهم من المشاهير، ولا تزال خان العلماء والفلاسفة في أميركة ولندن
وباريس وغيرها تبحث بحثا دقيقا متوصلا متوصلا للحقيقة.

باب امر اسئلة

الاسلام في ان

فضيلة (١) صاحب « المنار » الاغر

يسرني جدا أن أبلغ سيادتكم ان مساعي اخواننا المسلمين
سائرة في طريق النجاح بدرجة فوق المأمول . ولقد تعود معظمنا آخر
الدين الحنيف بل أهملنا حتى في مقاومة دعاة المسيحية في نفس بلادنا
أتحيل ان ذكر وجود مبشرين مسلمين في انكلترا كاف وحده لا
من القراء . ولا شك في أنه يدهشهم (دهشا) أكثر أن يعلموا أن هؤلاء
على قلة عددهم قد نجحوا في نشر نور الاسلام بين عدد ليس بالضئيل من
السيدات والرجال الانكليز .

يوجد في (ووكنج woking) احدى ضواحي مدينة لندن جامع صغير
يمثل المركز الرئيسي للجمالية الاسلامية في بريطانيا العظمى ، ويصدر امام ذلك
الجامع مجلة شهرية تدعى « المجلة الاسلامية والهند المسلمة » — ومع أني لست ممن
يرتاحون الى هذه المجلة نظرا لخطها في كثير من الاحايين الدين بالسياسة ، فانه
لا يسعني الا الاعتراف بالخدمة الاسلامية الجليلة التي قامت بها في زمن لا يتجاوز
ثلاث سنوات . والفضل كل الفضل يرجع الى حضرة رئيس تحريرها امام الجامع
المشار اليه والى اعوانه .

ولقد تلقيت العدد الاخير منها (عدد يناير سنة ١٩١٥) فوجدت فيه الخبر
المفرح الآتي :

(١) حذفنا من مكان النقط لقب « الاستاذ الامام » الذي صار كالعلم لشيخنا
رحمه الله تعالى وان كنا جرينا على نشر الرسائل والاسئلة بنصها لاسباب تاريخية
وغير تاريخية

سبتمبر ١٩٤٤ . المجلة الاسلامية

سيد الرحمن اللورد هدي وقد اعتنقت الاسلام
آني ساكسي ، ومنذ الاسبوع الماضي قد أضفنا
استمرار اسماء ثلاثة أشخاص من الانكليز .

صان عن اعتناق الدين الاسلامي أحدهما من سيدة
هورد ، والآخر من أحد افاضل الانكليز وهو المستر إرنست

ما ممتلي . عبارات تستحق التأمل والدرس وخصوصا من سادتنا
حين ينسون تعاليم دينهم العالية بمجرد امتزاجهم بالافرنج . ونظرا لضيق
الاجر ولعدم سعة وقفي اكتفي بترجمة كتاب السيدة المشار اليها .
به :

« سيدي محرر صحيفة المجلة الاسلامية والهند المسلمة .

لقد صرت في العهد الاخير بفضل مودة صديق مسلم اقرا بانتظام أهم المؤلفات
الاسلامية وأذكر بينها الكتب الشائعة التي وضعها السيد أمير علي وخصوصا نشرته
عن حقوق النساء في الاسلام فإنها ذات قيمة كبيرة عندي .

ومما يستحق الذكر من المؤلفات الاخرى الممتعة التي شاقني كثيرا كتاب
« الهلال والصليب » تأليف خليل بك خالد ، وكتاب « اسرار مصر والاسلام
الخفية » تأليف المستر ليدر ، وكذلك فصل « البطل كنجي » ^(١) من قلم كارليل .
فكانت صفوة ونتيجة دراستي الدقيقة هذه آني امتلأت اعجابا بمحمد (ص)
باعتباره نبيا ومصلحا عظيما وبديانته الديمقراطية السمحة التي يهني ويبرحني الآن
اعتناقها

هذا واني اعترف بأن الديانة المسيحية المذبذبة ديانة جليسة ، الا اني مع
ذلك لا يمكنني بأية حال أن أتجاهل ان الاسلام لا يعلم الناس أسس مبادئ المسيحية
فقط بل هو يمتاز أيضا بدون أدنى شك بمزايا عظيمة لا توجد في المسيحية ،

(١) المراد من هذه العبارة : البطل النبي ، أو البطل بصفة النبي أو من حيث هو نبي .

وذلك في مرمى
اجتماعي أدق وأصح .
لقد خطر في بالي أن أبعث بهذا الكتاب
وعلم قراء مجلتكم الغراء بذلك من الفائدة .
وختما أتشرف بالامضاء باسمي الإسلامي

كم كانت تكون هذه النتيجة السارة مضاعفة ياسيدي الاسند
الجامع الكبير المعوي بناؤه في عاصمة الامبراطورية الانكليزية التي
الملايين من المسلمين في عدة من أنحاء العالم ، ولست أدري لاي
المسلمين في مصر والهند وغيرهما من الاقطار الاسلامية عن مواصلة
المشروع الجليل حتى يمكن تحقيقه في المستقبل العاجل .

وكم تكون النتيجة مضاعفة اذا وجد بين سراتنا من يعضد « دار ال
والارشاد » التعضيد الملائق بكلفة عظيمة المقصد كئذه حتى يتيسر لكم ارسال الدعاء
الى هذه البلاد . وبفضل علمهم ومعرفتهم بالانكليزية يرجى لهم حينئذ نجاح
كبير هنا ، وخصوصا اذا تيسر لهم انشاء مجلة بالانكليزية تشمل صفوة ترجمة
ما يصدر في كل عدد من « المنار » الزاهر .

وكم تكون النتيجة مضاعفة اذا هزت الاربحية الدينية أحد امراء أو أغنياء
المسلمين فوهب نحو من خمسمائة جنيه أو أكثر في سبيل نقل « تفسير المنار » الى
الانكليزية ، فانه مما يؤسف له جدا أن تنتشر بهذه اللغة المؤلفات العديدة ضد
الاسلام ولا ينقل اليها كتاب جليل هو دائرة معارف اسلامية مثل « تفسير المنار »
وما هذا بعزيز على امراء المسلمين الذين نراهم من أجل الحرب الحاضرة يجودون
بمئات الآف من الجنيهات ، أفلا يوجد بينهم من يجود بجزء من مائة من ذلك
في سبيل نشر نور السلم والاسلام ؟

ان من المغالطة أن يقال أن الانكليز مثلا يمنعون امراء الهند من عمل كهذا ،
فان انكلترا معروفة بمنحها الحرية الدينية الكاملة لجميع رعاياها ، وهذا ما لا ينكره

، فلا يعقل

أن في الهند في شأن ديني محض كهذا أو يمنحوا
شأن لما فيه صالح دينه .

، في مصر أو في غيرها من الممالك الإسلامية
رحبنا بالماضية تؤكد ذلك .

نتمنى على أن تعلم العربية واجب على كل مسلم ، وأن من
يعلمها إجبارياً في جميع المدارس والكلية والجامعات الإسلامية
حتى يتيسر لكل مسلم أن يعرف دينه من منبعه الأصلي ، بغض النظر
باللغة العربية الشريفة التي هي لغة القرآن الكريم ، ولكن إذا
تسألت من وجهة التبشير فأننا نجد أن من الضروري أن ينقل إلى اللغات
بسيطة خبرة المؤلفات الإسلامية وخصوصاً تفاسير القرآن الحلية المشهود بسعة العلم
وقيمة فيها ، فإن هذا عماد المبشر المسلم في نشر دينه بين الأفرنج . ومن العبث أن
يقول المبشر الذي يريد اجتذاب القوم إليه : تعلموا يا قوم العربية أولاً وبعدها اطلعكم
على القرآن وأذ كر لكم أصول الدين الإسلامي ...

أما نقل القرآن الشريف إلى الانكليزية أو غيرها من اللغات الأوروبية فاني
أعده جرماً من حيث أن ذلك يؤدي إلى إخفاء ما في لغة القرآن الشائقة من إعجاز
البيان ، فضلاً عن أن الترجمة تظهر بشكل مشوه غريب يجعل الأوربي الذي
لا يعرف آداب العربية يعجب من كوننا نعتقد أن القرآن هو كلام الله جل شأنه !!!
وان أي مسلم يطلع على ترجمة القرآن لا يسهه إلا الضحك مع الأسف على الوقت الذي
أنفق هباء في هذه الترجمة التي لا تؤدي إلى شيء مأمون مرامي القرآن العالية الحكيمة ...
اني أعتقد أن الرجل المحسن الذي يهب مبلغاً كافياً لترجمة تفسير عصري
مثل تفسير « المنار » — ويعلم الله أنني لا أقول هذا مجاملة لكم فاني لست من
يخلط الخصوصيات بالعموميات — الذي هو خلاصة كل علم راجح من دماغي
إمامين كبيرين ، إنما يؤدي خدمة إسلامية وإنسانية فوق كل تقدير . ويعلم أن

هذا أمر حيوي

نشر الدين القويم الداعي الى الله
واني أعد من الاعتراضات الغريبة

ليست بنتيجة مرضية، لان كثيرين ممن يعتقدون الا

مثلا، وهما من فرائض الاسلام، ويفوت المعترض

الاسلام قد يجهل العربية، وربما لا يجد من يعلمه تعاليم دينه تفه

مبنيا على نتيجة مطالعته وبحثه كما هو الغالب، أو قد يكون الباعث له

أداء فريضة الصلاة أو الصوم هو نفس الباعث للمسلم الأصلي على اغفال د

بياني هذا ليس معناه أنني أبرر ذلك التهاون

هذا واني على كل حال أعتقد أن الايمان بمبادئ الاسلام

المؤمن في بعض الفرائض - ليس بخسارة للاسلام^(١) وبعبارة أخرى انا

اغراء الاجانب بالاقناع والدليل (وحملهم) على اعتناق الدين الاسلامي

منهم ايمانا كلياً بمبادئه وسيرا على فرائضه ورأينا منهم بعد ذلك اهمالا في

بعض الفرائض كما نرى من كثيرين من المسلمين الاصليين أنفسهم فلسنا مع ذلك

الارابحين فلا ينبغي أن يحملنا هذا على الاستياء المتناهي لدرجة أن يقول قائل ان

نتيجة كهذه للتبشير الاسلامي غير مرضية أولا فائدة منها ...!

ان رجال الاصلاح كثيرون وفضيلتكم في مقدمتهم، وقد بسطت لكم فيما

تقدم بعض آراء لا أشك في أنه يشاركني فيها جميع أعضاء الجالية الاسلامية في

انكلترا، ولكن إنفاذكم وإنفاذ غيركم من المصلحين لها يحتاج الى « المال »، فهل

نعيش نحن المسلمين الى الابد نعلل أنفسنا بالنجاح والخير حينما نكتشف بابا

جديدا لذلك ثم نفشل لاننا لا نجد مفتاحه وهو غيرة وكرم امرأتنا وسرراتنا ??

لقد صحت الحكمة القائلة : « ان الله لا يساعد الدين لا يساعدون أنفسهم »

ولو وضعها كل مسلم نصب عينيه وعمل بها - كان لنا من المنفعة والعز ما نحسد عليه،

(١) يريد الكاتب ان ترك المهتدي الى الاسلام لبعض العبادات وان كان

فرائض ليس بخسارة اذا كان صحيح الايمان بعقائد الاسلام واصوله

سبح وبركاته

« مسلم غير متفرنج »

غير... به وحسن ظنه بنا ، ونوافقه على آرائه

والعمل يحتاج الى تفصيل وتمحيص ، وأرى ان

سلام من مسلمي مصر ، وان كان يظن بعض الناس

أقوى منه في الهند علما وعملا . فسلمو الهند يعملون لنشر

، وينعاون العلماء والاغنياء منهم على ذلك على ضعف فيه يرجي ان يقوى

في ولم يوجد في مصر غني بذل مالا لخدمة دينية محضة ، ولا وجد عالم

دينية محضة جديدة الا شيخنا الاستاذ الامام في تصديه لاصلاح التعليم

ملحقاته — الى ان قام من قام بتأسيس الدعوة والارشاد . وقد لقي هذا

عظيم في مصر أشد المقاومة . وكانت مصلحة الاوقاف الاسلامية قد

عانة قليلة ٥٥٠ جنيا في السنة مع الوعد بمضاعفتها ولكن وزارة الاوقاف

بيدة قد قطعت هذه الاعانة في هذا العام بعد ان منعت نصف ما كان مقررا

للعام الماضي . ويظن كثير من المسلمين ان هذا بايعاز من الانكليز وأنا لا أظن

هذا ، بل أنا على رأي القدي في الانكليز وهو أن المسلم يستطيع ان يخدم دينه في

بلادهم ومستعمراتهم بحرية قلما يجد مثلاً عند غيرهم . وما آفة الاسلام الا منافقوا أهله

وجبنائهم . سيفضح ماكتبه في تاريخ مشروع الدعوة والارشاد كثيرا من هؤلاء

المنافقين ، ومنهم الذين لا يزالون يكيدون في الخفاء ليحولوا دون مساعدة القصر له .

وسيرى مسلمو العالم وغيرهم في هذا التاريخ الذي هو تاريخ الاصلاح الاسلامي

في هذا العصر مقارنة غريبة بين باشوات الاستانة وباشوات مصر

أما اقتراحكم ترجمة تفسير المنار بالانكليزية فيقل في المسلمين من يبذل المال

له لأن أكثر أغنياء المسلمين أغنياء أخساء ، وإنما يبذل بعضهم المال في

المشروعات العامة لاجل الجاه عند الحكام والامراء ولا يكاد هؤلاء يلتبسون في

مثل هذا العمل جاها . والافراد العقلاء النبهاء منهم كثرت عليهم طرق البذل في

الحاضر ، ولعل هذا المشروع ينفذ في الهند يوما ما . واني أكاد أجزم بأن

هذا الاقتراح لو
 آباد ممن يثق هو بقوله في بيان .
 المدارس بالالوف من الجنهات .
 لي ولو كان لغيري لسعيت
 ولا أذهب بك بعيدا فهذا

الهندية قد تبرع بمئة مجلد من كل جزء من هذه التفسير
 البلاد العربية فإذا اعان الله على آتمام التفسير وانفاذ تب
 ما اقترحت للترجمة . والله الموفق وبيده ملكوت كل شيء

مصاب الهند والعالم الاسلامي

بالشيخ شبلي النعماني

نعي الينا بريد الهند اشهر علمائها وأبعدهم شهرة وصيتا صديقا
 الملقب بشمس العلماء ، صاحب المصنفات النافعة واليد
 ختم الله تعالى حياته السعيدة في خاتمة العام الماضي (٢٨ ذي الحجة) وله من
 ٥٨ سنة ، على ما يؤخذ من ترجمته في بعض الجرائد ، فان صح هذا فقد مات في
 مثل سن الاستاذ الامام التي مات فيها ، الا انه كان لتخافة بدنه وشيخته يظن انه
 من أبناء السبعين ، ولم يكن يظهر على الاستاذ الامام مثل هذا الكبر وان عاجله
 الشيب في سن الشباب ، ولعل رائيه كان يظن انه لم يتجاوز الخمسين ، على ان كلا
 من الشيخين اللذين تساوياف في العمر مات وهو شاب في علو الهمة وقوة العزيمة
 والنشاط في السعي الى الاصلاح .

كان الشيخ شبلي عالما مستقلا لا عالما رسميا مقدا ، وكان كأكثر العلماء المستقلين ،
 والحكام المصلحين ، استاذ نفسه ، وتلميذ همته ، تلقى قليلا عن الاساتذة ولكنه مجده
 واجتهاده صار أشهر نوايف علماء الهند في هذا العصر . نعم ان فيهم من يعدون أ
 منه علما واطلاعا في علوم الحديث والفقه والأصول ، ولكن قلما .

بها . ولا نعرف له

بن الذوق في فهم منشورها ومنظومها

بها . فأكثر علماء الهند وغيرهم من

ة الفصيحة الا قليلا . وانما قصارى

المشهورة أو يؤلفوا رسالة أو كتابا

والاصول والمنطق والحديث ،

سهمه من كتب المؤلف في ذلك . ومن تجاوز

كثير غلظه وتكلفه وجاء بالغث الذي لا يكاد يفهم . وأما

بوادر المجيدين منهم : كان قادرا على الكتابة العربية

في المعجمة في العلوم والفنون والادب والتاريخ ، كما يعلم من قد

سلامي وغيره

الله تعالى أمة وسطا بين أولى التفريط الجامدين على التقاليد القديمة ،

ط من المفتونين بالتقاليد الحديثة ، إذ كان صاحب مشاركة صالحة في

كنه من التدريس والتأليف فيها بطريقة استقلالية إذا شاء ،

في العلوم الكونية من رياضية وطبيعية واجتماعية عرف بها حال

إليه المسلمون فيه ، وقد اتقن علم التاريخ اتقاناً لعله لا يوجد في

يساويه فيه الآن . وقد دخل في أعمال الحكومة ثم تركها ،

عمل به في مدرسة العلوم الشكية في عهديه على عهد مؤسسها السيد احمد خان

الشهير وكان من أصدقائه ، واشتغل بأمر الجمعيات العلمية ، وساح في الممالك والاقطار ،

فكان بعلومه وأعماله ، وسعة تجاربه واختباره ، وبما أوتي قبل ذلك من ذكاء الذهن

وعلو الهمة ومضاء العزيمة ، جديراً بأن يكون من زعماء الاصلاح . وأن يقوم في وجهه

من الخصوم من ينزهه بلقب الافساد ، ويرميه بالكفر والاحاد . كما هي سنة الله

تعالى في العباد . وسيعرف أهل وطنه من قيمته بعد وفاته ، ما لم يعرفوه له أو يعرفوا

به في حال حياته . وسنذكر في الجزء الثاني ما وصل اليه من ترجمته وما يعين لنا

من البحث فيها والاعتبار بها ، رحمه الله تعالى واحسن عزاء البلاد الهندية والامة

الاسلامية عنه

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى ود مناراً ، كمنار الطريق ﴾

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٣ ٢٥ الحوت (ش ٣) ١٢٩٣ هـ ١٦ مارس ١٩١٥

تفسير القرآن الحكيم

﴿ تمة ما في الجزء الاول ﴾

﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا ، والله يحب المحسنين ﴾ ورد في عدة روايات تقدم بعضها ان بعض الصحابة استشكلوا عند نزول هذا التشديد في الخمر والميسر حال من مات من المؤمنين الذين كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر ، ولا سيما من حضر منهم غزوتي بدر واحد ، وكان امر الخمر عندهم اهم ، ومنهم من كلم النبي (ص) في ذلك . وفي رواية انهم سألو عمن ماتوا وعن الغائبين الذين لم تبلغهم آية القطع بالتحريم . وان هذه الآية نزلت جواباً لهم ، وقيل ان الآية نزلت فيمن كانوا يشددون على انفسهم في الطيبات من الطعام والشراب ، ختما للسياق بما يتعلق بحال من بدئ بهم ، واروايات المأثورة على الاول

(المجلد الثامن عشر)

(١١)

(المنار : ج ٢)

الطعام . أيؤكل ، والطعم (بالفتح) ما يدرك بذوق الفم من حلاوة ومرارة وغيرها . يقال : طعم (كعلم وغنم) فلان بمعنى أكل الطعام . وطعم الشيء يطعمه ذاق طعمه أو ذاقه فوجد طعمه منه ، استعمال في ذوق طعم الشيء من طعام وشراب بأخذ قليل منه بمقدم الفم . ومن الاول قوله تعالى (فذا طعمتم فانشروا) أي أكتم ، ومن الثاني (فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني) أي لم يذق طعم مائه . قال الجوهري : الطعم بالفتح ما يؤديه الذوق ، يقال طعمه مر أو حلو . وقال : طعم يطعم طعم (بالضم) فهو طاعم إذا أكل أو ذاق . - مثل غنم يغنم غنما فهو غنام - فالطعم بالضم مصدر . وأنشد ابن الاعرابي :

فأما بنو عامر بالنسار - غداة لقونا فكانوا نعاما

نعاما بخطط صعر الحدو - د لا تطعم الماء الا صياما

شبههم بالنعام التي لا ترد الماء ولا تذوقه . وصرح في لسان العرب بأن طعم بمعنى أكل الطعام وأنه إذا جعل بمعنى الذوق جاز فيما يؤكل وبشرط . واستشهد المفسرون له بقول الشاعر

فان شئت حرمت النساء سواكم - وان شئت لم أطعم تقاخا ولا بردا

التقاخ بالضم الماء البارد ، والبرد النوم . قال الزمخشري : ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ، ويقال : ما ذقت غماضا . اهـ

قال الآكوسي في تفسيره : وأما استعماله (أي طعم الماء) بمعنى شربه واتخذه طعاما فقيح الا ان يقتضيه المقام ، كما في حديث « زمرم طعام طعم وشفاء سقم » فانه تنبيه على انها تغذي بخلاف سائر المياه . ولا يخدش هذا ما حكى ان خالدا القسري قال على منبر الكوفة وقد خرج عليه المغيرة بن سعيد : اطعموني ماء . فعابت عليه العرب ذلك وهجو به ، وحملوه على شدة جزعه وقيل فيه :

بل المنابر من خوف ومن وهل - واستطعم الماء لما جد في الهرب

وألحن الناس كل الناس قاطبة - وكان يولع بالتشديق في الخطب

لان ذلك انما عيب عليه لانه صدر عن جزع فكان مظنة الوهم وعدم قصد

المعنى الصحيح ، والا فوقع مثله في كلامهم مما لا ينبغي ان يشك فيه . اهـ

أقول أما الحديث فرواه ابن أبي شيبة والبخاري بسند صحيح وهو على تشبيه ماؤها بالغذاء فليس مما نحن فيه . وأما كلام خالد فهو لحن إلا أن يريد به اذيقوني طعم الماء - مبالغة في طلب القليل منه . ولا يقع مثله في كلام الفصحاء إلا بهذا المعنى . فاذا لا يمكن أن يكون طعم في القرآن بمعنى شرب مطلقا ، ولا يجوز أن يفيد هذا المعنى إلا بالتبع لمعنى الأكل تغليبا له ، فيجعل « طعموا » هنا بمعنى أكلوا الميسر وشربوا الخمر . كالتغليب الأكل في كل استعمال في مثل النهي عن أكل أموال اليتامى وعن أكل أموال الناس بالباطل . ولم أر أحدا هدي إلى هذا الايضاح بهذا التدقيق

والجناح ما فيه مشقة أو مؤاخذة . أنشد ابن الأعرابي :
ولا قيت من جمل وأسباب حبا جناح الذي لا قيت من تربها قبل
وقال ابن حنبل :
أعلمنا جناح كندة أن يفد نهم غازيهم ومنا الجزاء

ويفسرونه غالبا بالإثم وهو ما فيه الضرر والضرر يكون دينيا ودنيويا ولم يستعمل في القرآن إلا في حيز النفي بمعنى رفع الحرج والمؤاخذة

ومعنى الآية على رأي الجمهور « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات » من الأحياء والميتين ، والشاهدين والغائبين « جناح » إثم ولا مؤاخذة « فيما طعموا » أكلوا من الميسر أو شربوا من الخمر فيما مضى قبل تحريمهما - ولا في غير ذلك مما لم يكن محرما ثم حرم « اذا ما اتقوا » أي اذا هم اتقوا في ذلك العهد ما كان محرما عليهم - ومنه الاسراف في الأكل والشرب من المباح « وآمنوا » بما كان قد نزل الله تعالى « وعملوا الصالحات » التي كانت قد شرعت كالصلاة والصيام والجهاد « ثم اتقوا » ما حرمه الله تعالى بعد ذلك عند العلم به « وآمنوا » بما نزل فيه وفي غيره - كما قال (واذا ما انزلت سورة فهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا ، فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون . واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) وكما قال (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) « وعملوا الصالحات » التي هي من لوازم الايمان ، « ثم اتقوا » أي ارتقوا عن ذلك فاتقوا الشبهات تورعا وابتعادا عن

الحرام ، «واحسنوا» أعمالهم الصالحات بان أتوا بها على وجه الكمال ، وتمموا نقصها بنوافل الطاعات « والله يحب المحسنين » فلا يبقى في قلوبهم أثراً من الآثار السيئة التي وصف بها الخمر والميسر من الايقاع في العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهما صقال القلوب وزيتها الذي يمد نور الايمان

وطالما استشكل المفسرون اشتراط ما اشترطته الآية لنفي الجناح من التقوى المثلة والايمان المتق والاحسان الموحد ، وطالما ضربوا في بيداء التأويل واستنباط الآراء ، وطالما رد بعضهم ما قاله الآخرون في ذلك ، وسبب ذلك اتفاقهم على ان الله تعالى لا يؤخذ يوم القيامة أحدا بعمل عمله قبل تحريمه كما قال تعالى بعد ذكر محرمات النكاح (الا ما قد سلف) ف قيل ان ما ذكر ليس بشرط لرفع الجناح بل لبيان حال من نزلت فيهم الآية . واما تكرار التقوى ف قيل إنه لمجرد التأكيد ، أو للازمة الثلاثة ، أو لاختلاف ما يتق من الكفر والكبائر والصغائر ، أو من مطلق ومقيد ، أو بعضها للثبات والدوام .

وغفل هؤلاء عن معنى الشبهة التي وقعت لبعض الصحابة ونزلت الآية جواباً عنها . وبيانها من وجهين : (احدهما) ان الله تعالى حرم الخمر والميسر في الآية الاولى من هذه الآيات وبين في الثانية علة التحريم من وجهين ، وهذه العلة لازمة لهما ، فاذا لم تكن مطردة في العداوة والبغضاء ، فهي مطردة في الصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ونهيك بما ينقص من دين من صد عنهما . وانما كمال الدين ومناط الجزاء في الآخرة ما يكون من تأثير الايمان والعمل الصالح في تزكية النفس ، وإثارة القلب .

(ثانيهما) ان الله تعالى قد عرض بتحريم الخمر قبل نزول آيات المائدة بما بينه في سورة البقرة والنساء — واللييب تكفيه الإشارة — فكان من لم يفتن لذلك مقصراً في اجتهاده ، وربما كان ذلك لا يثار الهوى أو الشهوة

هذا وجه الشبهة ، وتلخيص الجواب عنها أن من صح ايمانه وصلح عمله وعمل في كل وقت بالنصوص القطعية المنزلة ، وبحسب ما اداه اليه اجتهاده في الظنية ، واستقام على ذلك حتى ارتقى الى مقام الاحسان — فلا يحول دون تزكية ذلك لنفسه

وصقله لقلبه ، ما كان قد أكل أو شرب مما لم يكن محررا عليه بحسب اعتقاده ،
وان كان في ذلك من الإثم ما حرم بعد لاجله

ذلك بأن الله تعالى ما حرم شيئا الا لضرره في الجسم أو العقل أو الدين أو المال أو العرض ، والضرر يختلف باختلاف الاشخاص والاوقات والاحوال وقد يتغلف أحيانا ، اذ يكفي في التحريم أن يكون ضارا في الغالب ، فمن عمل عملا من شأنه الضرر في الجسم فرما ينجو من ضرره بقوة مزاجه اذا هو لم يسرف فيه ، ومن عمل عملا من شأنه نقص الدين - وهو غير محرم عليه أو غير عالم بتحريمه - فرما ينجو من سوء تأثيره الذاتي بقوة إيمانه و يقينه وكثرة أعماله الصالحة ، بحيث يكون ذلك الضرر كنقطة من القدر وقعت البحر أو النهر ، ولكن قوة الايمان ورسوخ الدين بالعمل الصالح ينافي الاقدام على ارتكاب المحرم ، الا ما يكون من اللوم والنفوات التي لا يصر المؤمن عليها . فالجنح العظيم والخطر الكبير من ارتكاب المعصية بعد العلم بتحريمها ليس فيما عساه يصيب مرتكبها من ضررها الذاتي التي حرمت لاجله فقط لان هذا قد يتخاف أو يكون ضعيفا أو مغلوبا ، بل الجنح والخطر الديني في الاقدام على مخالفة أمر الله تعالى وترجيح هوى النفس على مقتضى الايمان والاعتقاد . وهذا شيء قد حفظ الله منه من كانوا يشربون الخمر من أهل بدر وأحد . بل حفظهم الله تعالى من ضرر الخمر الاجتماعي الذنيوي أيضا ، لانهم لم يسرفوا فيها ولا سيما بعد نزول آية سورة النساء التي لم تبق لهم الا وقتا ضيقا لشربها . والآية تدل على ذلك . ويؤيده ان الله تعالى قد ألف بين قلوبهم فكانوا بنعمته اخوانا . بل كان ذلك شأن الصحابة عامة ، كان يكاد الشقاق يقع بينهم كما مر في أسباب نزول الآيات ، ولكن لا يلبث ان يغلبه الايمان ، فيكونوا مصداقا لقوله تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فالمعصية لا تفسد الروح الا اذا كان فاعلها غير مبال بحرمة الشرع ، ولا يكون تأثيرها الذاتي قويا الا بالاسراف فيها والاصرار عليها

وقد سألتني بعض الباحثين في علم الاخلاق وفلسفة الاجتماع من المصريين عن السبب في سوء تأثير الزنا في افساد اخلاق فساق المصريين وإذلال أنفسهم وإضعاف

بأسهم وعدم تأثيره في اليابانيين مثل هذا التأثير ، فأجبت على الفور : إن اليابانيين لا يدينون الله بجرمة الزنا كالمصريين ، فمعظم ضرره فيهم بدني وأقله اجتماعي ، ولكن ليس له ضرر روحي فيهم . وأما المصريون فمعظم ضرره فيهم روحي لأنهم يقدمون على شيء يعتقدون ديناً وعرفاً بقبحه وفحشه ، فهم بذلك يوطنون أنفسهم على دنية الفحش والاتصاف بالقبح ، فلذلك كان من أسباب المهانة والفساد فيهم . فأعجب بالجواب وأذن له

شبهة لشاق الخمر ودحضها

قال الامام الرازي : زعم بعض الجهال انه تعالى لما بين في الخمر أنها محرمة عند ما تكون موقعة في العداوة والبغضاء وصادة عن ذكر الله وعن الصلاة - بين في هذه الآية انه لا جناح على من طعمها اذا لم يحصل معه شيء من تلك المفسدات ، بل حصل معه أنواع المصالح من الطاعة والتقوى والاحسان الى الخلق . قالوا : ولا يمكن حمله على أحوال من شرب الخمر قبل نزول آية التحريم ، لانه لو كان المراد ذلك لقال : ما كان جناح على الذين طعموا ، كما ذكر مثل ذلك في آية تحويل القبلة (وما كان الله ليضيع أعمالكم) ولكنه لم يقل ذلك بل قال (ليس على الذين آمنوا ووعوا الصالحات جناح - الى قوله - اذا ما اتقوا وآمنوا) ولا شك ان اذا للمستقبل لا الماضي . واعلم ان هذا القول مردود باجماع كل الامة . وقولهم ان كلمة اذا المستقبل لا الماضي - فجوابه ما روى أبو بكر الاصم انه لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر : يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار ؟ وكيف بالغائبين عنا في البلدان لا يشعرون ان الله جرم الخمر وهم يطعمونها ؟ فأنزل الله هذه الآيات (الصواب الآية) وعلى هذا التقدير فالحل قد ثبت في الزمان المستقبل عن وقت نزول هذه الآية لكن في حق الغائبين الذين لم يبلغهم هذا النص . اهـ كلام الرازي بحروفه

وأقول ان جوابه ضعيف من كل وجه ، وقد كان رحمه الله على سعة اطلاع فيما عدا الحديث من العلوم العميقة والنقلية غير دقيق في البلاغة وأساليب اللغة حتى إن عبارته نفسها ضعيفة . والصواب ان يقال في الرد على احتجاج أصحاب هذا التحريف

(أولاً) ان قوله تعالى « ليس على الذين آمنوا » الخ ليس خبراً عن نزلات بسبب السؤال عنهم الآية ، وإنما هي قاعدة عامة انشائية المعنى يعلم منها حكم من مات قبل القطع بتحريم الخمر وحكم من نزلات الآية في عهدهم وتليت عليهم وحكم غيرهم من عصرهم الى آخر الزمان . وهذا أبلغ وأعم فائدة من بيان حكم السؤال عنهم خاصة .

(ثانياً) ان قول المشتبهين : لو كان المراد من الآية بيان حكم الذين ماتوا لقال « ما كان جناح على الذين طعموا » - باطل ، وقوله تعالى (وما كان ليضع إيمانكم) الذين احتجوا به لا يدل على ما زعموا ، فان مثل هذا التركيب يدل على نفي الشأن لا على نفي حديث مضى ، فعنه ما كان من شأنه تعالى ولا من مقتضى سنته أن يضع إيمانكم . وقد بيناهذا من قبل غير مرة وقلناه عن الكشف ، فهو يعلم الماضي والمستقبل . ومثله (ما كان لنا ان نشرك بالله) ويشبه العبارة التي قالوها قوله تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) ولم يقل أحد انها لنفي الحرج في الزمن الماضي ، بل تعم نفيه في الحال والاستقبال وهو موضع الفائدة له (ص) منها .

(ثالثاً) لو كان معنى الآية ما ذكره لاخذ به من شق عليهم تحريم الخمر من الصحابة ومن كان يميل اليها بعدهم

نعم انه لولا ماورد من سبب نزول الآية لكان المتبادر من معناها انه ليس على المؤمنين الصالحين تضيق وإعانت فيما أكلوا [وان شئت قلت اوشربوا] من اللذائذ - كما توهم الذين كانوا حرموا على أنفسهم طيبات ما أحل الله لهم مبالغة في النسك - اذا كانوا معتمدين بعزى التقوى في جميع الاوقات والاحوال ، راسخين في الايمان متحلين بصالح الاعمال محسنين فيها ، لان الله تعالى لم يحرم عليهم شيئاً من الطيبات ، وإنما حرم عليهم الخبائث ، كالميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله والخمر والميسر . وا كل اموال الناس بالباطل ، وإنما الجناح والخروج في الطعام والشراب على الكافرين والفاسقين ، الذين يسرفون فيها ، ويجعلونها اكبر همهم من حياتهم الدنيا ، ولا يجتنبون الحيث منها . فالعبرة في الدين بالايمان والتقوى والعمل الصالح والاحسان فذلك هو النسك كله ، لا بالطعام

والشراب وتعذيب النفوس وارهاقها . ولعل شيخنا لو فسر الآية لجزم بان هذا هو المعنى المراد ، وان ماورد في سبب نزولها اذاصح يؤخذ الجواب عنه من نحوى الآية . وهو انه لا جناح على من كانوا يشربون الخمر قبل تحريمها لأن العمدة في الدين هو التقوى لا أمر الطعام والشراب الذي لا يحرم منه شيء الا لضرره

واذا لم يراع سبب النزول في تفسير الآية فلا يمكن ان يقال ان معناها « ايس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اثم فيما يشربون من الخمر » بعد القطع بتحريمها وتأكيد بما في سياق آيات التحريم من المؤكدات : لأن كلمة (طعموا) لامدلول لها في اللغة لا على أكل الطعام في الماضي أو تذوق كل ما له طعم من طعام وشراب بمقدم الفم في الزمن الماضي أيضا ، ولو صح ان يكون معنى الآية ما ذكره لكان نسخا لتحريم شرب الخمر متصلا بالتحريم المؤكد ، وتخصيصا له بغير هل التقوى الكاملة من المؤمنين الصالحين . وليس لهذا نظير في الاسلام ، ولا في غيره من الشرائع والأديان ، ولا يتفق مع بلاغة القرآن

فان قيل ان الافعال الماضية اذا وردت في سياق الاحكام التشريعية والقواعد العلمية تفيد التكواري الذي يعم المستقبل ، بمعنى ان هذا الفعل كلما وقع كان حكمه كذا - فلم لا يجوز على هذا ان يكون معنى الآية رفع الخرج والمؤاخذه عن المؤمن اذا شرب قليلا من الخمر بالشرط الشديدة المينة فيها ، ويدخل في عموم التقوى منها ان لا يسكر ولا يكون بحيث توقع الخمر بينه وبين احد من الناس بغضا ولا عداوة ولا بحيث تصده عن ذكر الله وعن الصلاة ؟

قلت : ان الطعم في اللغة لا يدل على الشرب القليل ولا الكثير بل على ذوق المشروب بمقدم الفم ، أو إدراك طعمه من ذوقه بهذه الصفة كما حرره الجوهري وتبعه ابن الاثير في النهاية ، وقد مر بيان ذلك . وانت ترى الفرق الجلي بين الشرب الكثير والشرب القليل وبين طعم الماء بتذوقه في قصة طالوت قال (٢ : ٢٤٩) إن الله مبتليكم بنهر - فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فانه مني ، الا من اغترف غرفة بيده . فشربوا منه الا قليلا منهم) فقد جعل هذا الابتلاء على ثلاث مراتب : الاولى البراءة ممن شرب حتى روي ، والثانية الاتحاد التام بمن لم يذق

طعمه البتة، والثالثة بين بين وهي لمن أخذ غرفة بيده فكسرها سورة الظل ولم يكرع فيروه. هذا ماجرنا عليه في تفسير الآية (ص ٤٧٨ ج ٢) وهو ما تعطيه اللغة وجرى عليه جهابذتها في تفسير اللفظ كالزمخشري وتبعه اليمضاوي وأبو السعود والرازي والأكوسي وغيرهم، وقالوا إن قوله «الا من اعترف غرفة» استثناء من قوله «فمن شرب منه» الا أن بعضهم خلط، وأدخل في تفسير الآية ما لا يدل عليه لفظها، تبعاً للروايات أو لاصطلاحات الفقهاء فيما يحتمل به من حلف أنه لا يشرب من هذا النهر مثلاً. وإذا كان هذا هو معنى طعموا فلا فائدة من إباحة تذوق طعم الخمر بمقدم الفهم لاحد، فيكون لغوا يتره كتاب الله عنه

ولو كان المراد من الآية ما ذكره لكان نصها: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في شرب القليل من الخمر — أو ما لا يسكر ولا يضر من الخمر — إذا ما اتقوا — الخ، ولكن أجدر الناس بفهم ذلك منها من أنزلت عليه (ص) ومن خطبوا بها أولاً من فصحاء العرب، ولم يؤثر عن أحد منهم ذلك بل صح عنهم ضده :

روى أحمد وأبو داود والترمذي — وقال حديث حسن — عن عائشة قالت: قال رسول الله (ص) «كل مسكر حرام وما أسكر الفرق منه فله الكف منه حرام» الفرق بفتح الراء وسكونها مكيال يسع ستة عشر رطلاً حجازياً. وقيل إن ساكن الراء مكيال آخر يسع ١٢٠ رطلاً. ورواة هذا الحديث كلهم محتج بهم في الصحيحين إلا أبو عثمان عمر — أو عمرو — بن سالم قاضي مرو التابعي فهو مقبول كما قال الحافظ في تقريب التهذيب، ونقل في أصله توثيقه عن أبي داود وابن حبان وروى أحمد وابن ماجه والدارقطني وصححه عن ابن عمر عن النبي (ص) قال «ما أسكر كثيره فقليله حرام» وروى مثله أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث جابر. قال الحافظ ابن حجر رواه ثقات، وفي إسناده داود بن بكر بن أبي الفرات قال في التقریب صدوق. ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا بأس به ليس بالمتين. وسئل عنه ابن معين فقال ثقة

وروى النسائي والدارقطني عن سعد بن أبي وقاص عن النبي (ص) قال «أنها كم عن قليل ما أسكر كثيره» وفي رواية أخرى : ان النبي (ص) نهى عن قليل ما أسكر كثيره . واكثر رجل هذا الحديث قد احتج بهم البخاري ومسلم في الصحيحين ، وفيهم الضحاك بن عثمان احتج به مسلم في صحيحه ، فلم يبق الا شيخ النسائي محمد بن عبدالله بن عمار نزيل الموصل . قال الحافظ في تقريب التهذيب : ثقة حافظ ، فهذا حديث صحيح لا مطعن فيه . ولا عبرة بما يوهمه كلام مثل العيني في هذا المقام . فتحريم قليل كل مسكر وكثيره صح في عدة أحاديث وثبت بالاجماع قال الحافظ النسائي بعد رواية حديث سعد وما في معناه : وفي هذا دليل على تحريم المسكر قليله وكثيره وليس كما يقول المخادعون لأنفسهم بتحريمهم آخر الشربة وتحليلهم ما تقدمها الذي يشرب في الفرق قبلها ، ولا خلاف بين أهل العلم أن ان السكر بكليته لا يحدث على الشربة الآخرة دون الاولى والثانية بعدها ، وبالله التوفيق اه أي ان السكر يكون من مجموع ما يشرب لامن الشربة التي تعقبها النشوة .

(شبهة أخرى على تحريم قليل المسكر وعلة تحريمه)

ويعلم من هذه الاحاديث فساد قول من عساه يقول : ان القليل من الخمر لا تتحقق فيه علة التحريم والقياس ان الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً . ومتى فقدت العلة ، كان اثبات الحكم مضافاً للحكمة . ووجه فسادها انه لا قياس مع النص ، وان قاعدة سد ذرائع الفساد الثابتة في الشريعة تقتضي منع قليل الخمر والميسر لانه ذريعة لكثيره . ولعله لا يوجد في الدنيا ما يشابههما في ذلك

بيننا في تفسير آية البقرة التعليل العلمي الطبيعي لكون قليل الخمر يدعو الى كثيره

— وكذلك الميسر — وكون متعاطيها قوماً يقدر على تركها (ص ٣٤١ ج ٢) ولهذا يقل أن يتوب مدين الخمر ، لأن ما يبعثه على التوبة من وازع الدين أو خوف الضرر ، يعارضه تأثير سم الخمر — الذي يسمى الغول (الكحول) — في العصب الداعي بطبعه الى معاودة الشرب ، وهو ألم يسكن بالشرب مؤقتاً ثم يعود كما كان أو أشد . ومتى تعارضت الاعتقادات والوجدانات المؤلمة أو المستلذة

في النفس رجحت عند عامة الناس ثمانية على لأولى ، وإنما يرجح الاعتقاد عند الخواص وهم أصحاب الدين تقوي والإيمان راسخ ، وأصحاب الحكمة والعزيمة القوية . وهذا الأمل الذي أشرنا إليه قد ذكره أهل التجربة في أشعارهم كقول أبي نواس :
« وداوني بالتي كانت هي الداء »
وقول الشاعر :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
وانا نرى جميع المتعلمين على الطريقة المدنية في هذا العصر وأكثرت الناس في البلاد التي تنشر فيها الجرائد والمجلات العلمية يعتقدون ان الخمر شديدة الضرر في الجسم والعقل والمال وآداب الاجتماع ولم نر هذا الاعتقاد بعث على التوبة منها الا الافراد منهم ، حتى ان الأطباء منهم - وهم أعلم الناس بمضارها - كثيرا ما يعاقرونها ويدمنونها ، واذا عدلوا في ذلك أجابوا بلسان أهل أواسان المقل بما أجاب به طبيب عدله خطيب على أكله طعاما غليظا كان ينبغي عن أكله اذ قال : ان العلم غير العمل فكما أنك أيها الخطيب تسرد على المنبر خطبة طويلة في تحريم الغيبة والخوض في الأعراض ثم يكون جل سمرك في سبك اغتياب الناس ، كذلك يفعل الطبيب في نهيه عن الشيء لا ينتهي عنه اذا كان يستلذه

وقد مضت سنة الله تعالى بأن تكون قوة تأثير الدين على أشدها واكملها في نشأته الأولى ، كما يفيد قوله تعالى (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ولهذا ترك جمهور المؤمنين الخمر في عصر التنزيل ، ولكن بقي من المدمنين من لم يبقو على احتمال آلام الخمر ، وما يعتري الشارب بعد تنبهه العصب بنشوة السكر ، من الفتور والحمود الداعي الى طلب ذلك التنبيه ، فكان أفراد منهم يشربون فيجلدون ويضربون بالجريد وكذا بالنعال ، ثم يعودون راضين بأن يكون هذا الحد الذي يحدونه ، أو التعزير الذي يعزرونه ، مطهرا لهم من الذنب الديني عند الله تعالى ، ولا يبالون بعد ذلك ما تحموا في سبيل الخمر من اذى وإهانة .

وقد كان من هؤلاء المدمنين أبو محجن الثقفي (رض) ولما أبلى في وقعة

القادسية ما أبلى وكان نصر المسلمين على يده ، وترك سعد بن أبي وقاص (رض) إقامة الحد عليه وكان قد اعتقله أسكره ، تاب الى الله تعالى ، وعلل توبته في بعض الروايات بأنه كان يشرب علماً أن العقاب الشرعي يطهره ، واذ حابوه به - كما ظن - تاب الى الله تعالى خوفاً من عقاب الآخرة . ولم يترك سعد عقابه محاباة كما ظن بل لأن الحدود لا تقام في حال الغزو ولا في دار الحرب والتعزير يرجع الى الاجتهاد . والتحقيق ان عقاب السكر تعزير ، وأن سعداً أداه اجتهاده الى ترك تعزير أبي محجن بعد ان بذل نفسه في سبيل الله وأبلى يومئذ ما أبلى ، ولا مطهر من الذنب أقوى من هذا . وهل يوجد في هذا العصر كثير من الناس يشابهون أبا محجن في قوة إيمانه وقوة عزيمته في دينه ؟

(غريبة) زعم بعض عشاق الخمر أن خمرة العنب حرمت تعبدًا لالكونها تسكر وكون السكر رجساً يترتب عليه ما ذكر في الآية ، ولما فيها من الانم الكبير ، فلا يصح ان يقاس عليها كل مسكر . وهذا القول من هذيان السكارى وهو من أكبر آثامها لعنها الله .

﴿ بعض العبر في الخمر ﴾

من آيات العبرة ان الافرنج الذين يستيحيون شرب الخمر ديناً ويسحتسونه أدباً ومدنية ويصنعون منه أنواعاً كثيرة يربحون منها ألوف الألوف من الدنانير في كل عام - قد ألفوا جمعيات للنهي عن الخمر والسعي لابطالها . وأقوى هذه الجمعيات نفوذاً وتأثيراً في الولايات المتحدة الامريكية ، ومن عجائب وقائع تقليد متفرنجي المسلمين للافرنج ميل بعضهم الى الدخول في هذه الجمعيات وتأليف الفروع لها في البلاد الاسلامية ، وما أغنى المسلمين عن تقليد غيرهم في هذا ! وما أجدرهم بأن يكونوا هم الأئمة المتبوعين

ومن آيات العبرة فيها ان العرب كانوا يعدون من منافع الخمر الحماسة في الحرب وقوة الاقدام فيها - وقد ثبت عند الافرنج ان السكر يضعف الجنود عن القيام بأعباء

الحرب واحتمال أفعالها ، فقررت بعض الدول إبطال الخمر الوطنية الشديدة الرواج في بلادها - وأكثر انتفاعها المالي منها - مدة الحرب ، ولعل الدول كلها تجمع على هذا بعد ، ومع هذا كله لا يزال بعض المسلمين الجغرافيين يتعلمون من تحريم الاسلام للخمر ، (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق)

﴿ استدراكا على بيان حقيقة الخمر المحرمة بالنص والاجماع ﴾

﴿ الاستدراك الاول ﴾ الخمر نوعان نوع يخمر تخميرا ، ونوع يقطر تقطيرا ، وأقوى الخمر سما وأشدها ضررا ما كانت مقطرة ، ويعبرون عنها بالاشربة "الروحية". وهذا من مرجحات اختيارنا لقول سيدنا عمر بن الخطاب في تعليل تسمية الخمر ، وأنه مخمرتها العقل ، وقد بينا جميع ما قيل في ذلك في تفسير آية البقرة (ص ٣٣١ ج ٢) والمرجع الثاني كون هذا القول لإمام من أفصح العرب الخلفاء ، وأما غيره فهو مما استنبطه المولودون من كلام العرب الخلفاء . والثالث أن نقله أصبح فهو مروي في الصحيحين وكتب السنن كما تقدم .

وقد استدلل بعضهم على كون الخمر مما يعصر ، أي لا ينبذ ويقطر ، بقوله تعالى حكاية عن أحد صاحبي يوسف (ص) في السجن (أني أراني أعصر خمرا) وهو استدلال ضعيف وسخيف ، فإن اتخاذ الخمر من العصير لا ينافي اتخاذها من غيره ، وليس في العبارة ما يدل على الحصر ، دع ما يمكن أن يقال من أن هذا القول حكاية عن أعجمي في بيان مآرأه في نومه مما هو معهود في بلاده ، فليس بحجة في لغة العرب ولا صناعتهم للخمر ، وبالأولى لا يكون حجة في الشرع

وقد اشتبه على بعض الناس ما طبخ من العصير قبل وصوله إلى حد الاسكار أو بعده هل يسمى خمرا أم لا ؟ كما اشتبه على الكثيرين أمر النبيذ . ومن المطبوخ الطلاء وهو الدبس ، والباذق — وهو ما طبخ من عصير العنب أدنى طبخ حتى صار شديدا ، وهو اسم أعجمي ، وقيل أول من صنعه وسماه بذلك بنو أمية . وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن الباذق فقال : سبق محمد (ص) الباذق ، فما أسكر فهو حرام . أي أن العبرة بما يسكر من الشراب ولا عبرة بالأسماء ، فالعسل حلال

ولكنه يمزج به ماء ويرام حتى يخمر ويسكر فيصير خمرًا . وكل من عصير العنب
ونبيذ الزبيب وغيره حلال ، فإذا خمر وصار يسكر حرم قطعا ، وسمي خمرًا ، لا
عصيرًا ولا نبيذًا .

على أن من قال من أهل اللغة « ن الخمر هو المسكر من عصير العنب »
إطلاقًا هو الغالب في عصر تدوين اللغة — لم يمنع ذلك ولا تسميتهم لبعض
الخمر من غير اسم أخرى أن يصطلحوا باسم الخمر على جميع الاشربة المسكرة .
فإن من سيده نقل ذات الإطلاق في المختص عن صاحب كتاب العين كما
اشتهر بالله في مدخله ، وأطال في بيان أسماء الخمر بحسب صفاتها ، ثم عقد بابًا للنبيذة
التي تتخذ من تمر وأحب والعسل قال فيه ما نصه :

« أبو حنيفة (أي الدينوري الغوي) : فما خور الحبوب فما اتخذ من الخنطة
فيه نزر وما اتخذ من شعير فهو الخصة ، ومن الذرة السكر كة والسقرة —
عجمي ، أبو نبيذ : الغيرة السكر كة — إلى أن قال — ابن دريد : البتع ضرب من
شرب العسل . وقد تقدم أنها الخمر بعينها » أشار إلى قوله في باب الخمر : « أبو علي
عن السكري : البتع الخمر ، يمانية . وقد بتعنا بتعا — خمرنا خمرًا ، البتاع الخمار » اه
(فائدة لغوية) ذكرنا فيما سبق من التفرقة بين الخمر والنبيذ أن أهل بلاد
الشام يسمون النبيذ « نقوعا » وأن الصواب أن يقال تنقع ، ثم رأيت في المختص
نقلًا عن صاحب العين : النقوع والنقيع (بفتح النون فيهما) شيء ينقع فيه الزبيب
وغيره ثم يصفى مؤه ويشرب

﴿ الاستدراك الثاني ﴾ يحتاج القائلون بكون الخمر المحرمة بنص القرآن هي
ما كان من عصير عنب بأنه هو القطعي المجمع عليه ، وغيره ظني مختلف فيه ، وهذه
العبارة قد تذكر في كثير من كتب الفقه وشروح الحديث مسلمة من غير بحث ،
وفيها أن أول من قال بهذا القول (من الكوفيين) لاحتج له فيه فإن أهل الاجماع
الذين لا خلاف في اجماعهم هم الصحابة رضوان الله عليهم وهم لم يختلفوا في تحريم
ما كان عندهم من خمر البسر والتمر والخنطة والشعير وغيرها . وقد خطب عمر على
منبر رسول الله (ص) بحضرة كبار علماء الصحابة وجمهورهم فقال : « أيها الناس إنه

نزل تحريم الخمر وهي من خمسة - من العنب والتمر والعسل والحنظل والقوت - والخمر ما خامر العقل - فصرح بأن الخمر كانت من هذه الخمسة عندهم ، وإن مراد الشرع تحريم ما كان من غيرها أيضاً ، وإن حقيقة الخمر ما خمر العقل ، أي خالطه فأفسد عليه إدراكه وحكمه ، ومنه الداء الخامر ، ومن قل خامره غناه فقد راعى أصل معنى خمر الشيء والمراد واحد . والحديث متفق عليه ، ولم ينقل أن أحداً من الصحابة أنكر على عمر قوله هذا ، ولذلك قال من قل من أهل الحديث والأصول أن هذا القول له حكم الحديث المرفوع إلى النبي (ص) من حيث هو تفسير حكم شرعي لا يقوله الصحابي برأيه ، فإن قال قائل أنه يمكن أن يقوله باعتبار فهمه للقرآن والسنة . قلنا إذا كان هذا ما فهمه هذا الإمام في اللغة والدين ووافقته عليه جمهور الصحابة ولم ينقل عن أحده أن خالفه فيه - فهل يمكن أن نجد لنص شرعي تفسيراً أصح وأقوى من تفسير يصرح به أمير المؤمنين على منبر الرسول ويوافقته عليه علماء الصحابة وعامة منهم ؟ وهل نقل عن الصحابة إجماع مستند إلى دليله أقوى من هذا الإجماع ، فظهر بهذا أن كون كل شراب من شأنه الاسكار محرماً ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة المقرون بدليله وبالقياس . فإن قيل أن هذا من الإجماع السكوتي المختلف فيه - قلنا أنه ليس منه ، إذ السكوتي عبارة عن قول المجتهد ينتشر في مجتهد عصره فلا ينقل عنهم موافقة له ولا إنكار - وإن إقرار جمهور الصحابة بقول عمر في حكم الموافقة القولية ، وقوله على المنبر جدير بأن ينقل ويشيع ، وإن راجعه فيه البعيد إذا بلغه ، ولو راجعه أحد في ذلك لعاد إلى ذكر المسألة على المنبر كما فعل عند ما أنكرت عليه المرأة ما كان أرادته من الأمر بتحديد المهر ، ثم إن إجماعهم العملي على ترك جميع المسكرات منذ نزلت الآية يؤيد ذلك - وإذا لم يكن مثل هذا إجماعاً فلا سبيل إلى إثبات إجماع قولي قط

فالحاصل أن أول من قال بهذا القول في الخبر لا حاجة له فيه ، بل هو من جعل الدليل عين المدلول ، فإنه هو الخالف وحده فكيف تكون دعواه الخلاف حجة لخلافه ؟ هذه مصادرة بديهية . نعم يصح أن يقال إن هذه شبهة عرضت لمن لم يبلغه النقل عن الصحابة فهو معذور فيها إلى أن يبلغه النقل ، فحتى بلغه زالت الشبهة بالحجة

وأما من جاء بعد المخالف الاول و بلغه خلافه فشبهته أقوى عند أهل التقليد، وهؤلاء ليسوا من أهل الحجة والبصيرة في الدين ، فالكلام معهم لغو مالم يحكموا الدليل ويرضوا بحكم قوله تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) الآية — فان رضوا به ينفاهم ما صح من فهم الصحابة لقوله تعالى وعلمهم به بغير خلاف ، وما صح من قول رسوله « كل مسكر خمر »

﴿ تشديد السنة في شرب الخمر ﴾

روى البخاري ومسلم وأصحاب السنن — الا الترمذي — من حديث ابن عمر ان النبي (ص) قال « من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرما في الآخرة ، زاد مسلم في رواية « فلم يسقها »

قيل معناه انه لا يدخل الجنة فيشربها فيها ، وقيل لا يشربها فيها وان مات مؤمنا ودخلها لانه استعجل شيئا فجوزي بحرمانه ، قيل الا ان يعفو الله عنه . والقول الاول لا يصح الا بالحمل على المستحل لشربها لانه راد للشرعة غير مدعنها . ورواية مسلم « فلم يسقها » ظاهرة في رده

وروي هذا الحديث بلفظ « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة » وقد عزاه الحافظ المنذري الى الشيخين وأبي داود والترمذي والنسائي والبيهقي — قال — ولفظه في احدى رواياته . قال رسول الله (ص) « من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب لم يشربها في الآخرة وان دخل الجنة » وهذا يرد ذلك التأويل أيضا ولكنه لم يمنع المنذري من حكايته كغيره

وروى احمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » وفي رواية البخاري تقديم الخمر على السرقة . قيل هذا في المستحل ، وقيل النفي لكل الايمان ، وقيل هو خبر بمعنى النهي . وقيل ان الايمان يفارق مرتكب امثال هذه الكبائر

مدة ملابسته لها وقد يعود اليه بعدها ، وحقق الغزالي في كتاب التوبة من الإحياء ان مرتكب ذلك لا يكون حال ارتكابه متصفا بالايان الادعائي بجرمة ذلك وكونه من أسباب سخط الله وعقوبته ، لأن هذا الايمان يستلزم اجتناب العصيان

وروى احمد باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم — وقال صحيح الاسناد — عن ابن عباس قال سمعت رسول الله (ص) يقول « أتاني جبريل فقال : يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وساقيا ومسقاها » وروى أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر حديثا بمعناه وليس فيه ذكر جبريل . والترمذي وابن ماجه من حديث أنس « لعن رسول الله (ص) في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيا وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتري له » قال الترمذي : حديث غريب .

﴿ حكمة تشديد الاسلام في الخمر دون الاديان السابقة ﴾

ورد شبهة على تحريمها

إذا قيل : ان دين الله في حقيقته وجوهره والحكمة منه واحد لا خلاف فيه بين الرسل المبلغين له ، وإنما يختلف بعض الشرائع في امرين أصليين (أحدهما) ما يختلف باختلاف الزمان والمكان ، واحوال الشعوب والاجيال (وثانيهما) ما اقتضته حكمة الله تعالى من سير أمور البشر كلها على سنة الترقى التدريجي الذي من مقتضاه ان يكون الآخر أكمل مما قبله ، وبهذه السنة أكمل الله تعالى دينه العام ، بانزال القرآن وعموم بعثة محمد عليه الصلاة والسلام . وقد قلت ان في الخمر من الضرر الذاتي ما كان سببا للقطع بتحريمها وما ذكرت من التشديد فيها ؛ وهذا يقتضي ان تكون محرمة على السنة جميع الانبياء عليهم السلام ، والمنقول عن أهل الكتاب انها لم تكن محرمة عليهم ، وان الانبياء انفسهم كانوا يشربونها — فهذه شبهة على تحريم الخمر تحدث بها المحبون لها ، واستدل بها بعضهم على حل مادون القدر المسكر مما سوى خمرة العنب التي زعموا ان نص القرآن قاصر عليها تعبدا ، كما نقل ذلك

(المنا — ج ٢) (١٣) (المجلد الثامن عشر)

صاحب العقد الفريد وأمثاله من الأدباء الذين يعنون بتدوين أخبار الفساق والمجان وغيرهم . وانت ترى أن هذه الشبهة أقوى من شبهة بعض الصحابة التي تقدمت ولا يدفعها جوابك عنها ، بل زعموا أن النبي (ص) شرب من نبيذ مسكر ولكنه مزجه فلم يسكر به . فما قولك في ذلك ؟

فاجواب عن هذا من وجهين (أحدهما) أن ثقل أهل الكتاب ليس حجة عندنا ولم يثبت عندنا في كتاب ولا سنة ما ذكروه . وإذا كان قد وجد في المسلمين من حاول إثبات حل شرب ما دون القدر المسكر من الخمر كلها — إلا ما اتخذ من عصير العنب وهو أقلها ضرا وشرا — مع ثقل القرآن بالتواتر ، وحفظ السنة وسيرة أهل الصدر الاول بضبط واتقان لم يتفق مثله لأمة من الأمم في ثقل دينها أو تاريخها — فهل يبعد أن يدعي أهل الكتاب مثل هذه الدعوى وينسبونها إلى انبيائهم وهم لا يقولون بعصمتهم ؟

(الوجه الثاني) إننا إذا سلمنا ما ينقلونه في العهدين القديم والجديد من الاخبار الدالة على حل الخمر وعدم التشديد الا في السكر ، نقول (أولا) ان هذا التحريم من إكمال الدين بالاسلام ، وقد مهد الانبياء له من قبل بتقييح السكر وذمه ، ولم يشددوا في سد ذريعته بالنهي عن القليل من الخمر لما كان من افتتان البشر بها ومنافعهم منها ، كما فعل الاسلام في أول عهده . — (وثانيا) ان الله تعالى ما اكمل دينه العام بالاسلام الا وهو يعلم أن البشر سيدخلون في طور جديد تتضاعف فيه مفاسد السكر ، وان مصلحتهم وخيرهم ان يتسلح المؤمنون بأقوى السلاح الأدبي لاتقاء شرور ما يستحدث من أنواع الخمر الشديدة الفتك بالاجساد والأرواح ، التي لم يكن يوجد منها شيء في عصور أولئك الانبياء عليهم السلام ، وما ذلك الا سد ذريعة هذه المفسدة بتحريم قليل الخمر وكثيرها . وهاك بعض ما يؤثر عن كتبهم في ذمها :

جاء في نبوة اشعيا عليه السلام (٥ : ١١) ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر للمتأخرين في القمة تلهيهم الخمر ١٢ وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم . والى فعل الرب لا ينظرون ، وعمل يديه لا يرون ١٣ لذلك سبي شعبي —

لعدم المعرفة ، وتصير شرفاؤه رجال جوع وعامته يابسين من العطش ١٤ لذلك وسعت الهاوية نفسها وفغرت فاها بلا حد) يشير الى ما استحقوه بذنوبهم تلك من عذاب الدنيا والآخرة

ثم قال (٢٨ : ١) ويل لا كيل فخر سكارى أفوايم ولا زهر الذابل جمال بهانه الذي على رأس وادي سمائن المضر وبين بالخمر - الى ان قال - ولكن هؤلاء ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر ، السكاهن والنبي ترنحا بالمسكر ، ابتلعتها الخمر ، تاهوا من المسكر ، ضلوا في الرؤيا - واعلم أن النبي عندهم لا يشترط فيه ان يكون موحى اليه . ومن شواهد العهد الجديد في ذلك قول بولس في رسالته الى أهل افسس (٥ : ١٨) ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة) ونهيه عن مخالطة السكير (١ كو ٥ : ١١) وجزمه بأن السكيرين لا يرثون ملكوت السموات (غلا ٥ : ٢١ و ١ كو ٦ : ٩ و ١٠)

نبينا « ص » لم يشرب الخمر

أما نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن يشرب الخمر في الجاهلية ولا الاسلام كما صرحوا به في سيرته . ولكنه كان يشرب النبيذ قبل تحريمها وبعده ، فاذا اشتهه في وصوله الى حد الاسكار لم يشرب منه كما تقدم . وقد روى الحميدي عن أبي هريرة ان رجلا كان يهدي الى النبي (ص) راوية خمر فأهداها اليه عاما وقد حرمت فقال النبي (ص) «انها قد حرمت» فقال الرجل : أفلا أبيعها ؟ فقال « ان الذي حرم شربها حرم بيعها » قال أفلا أكرم بها اليهود ؟ قال « ان الذي حرم شربها حرم ان يكرم بها اليهود » قال فكيف أصنع ؟ قال « شنها على البطحاء » وهذا الحديث لا يدل على شربه لها ، على أنه لم يصح هكذا ، ولكن له أصلا في صحيح مسلم وسنن النسائي من حديث ابن عباس قال « ان رجلا أهدى لرسول الله (ص) راوية خمر فقال له رسول الله (ص) « هل علمت ان الله تعالى حرمها ؟ » قال لا . فسار (اي الرجل) انسانا ، فقال له رسول الله (ص) « بم ساررت » قال : امرته ببيعها فقال « ان الذي حرم شربها حرم بيعها » قال ففتح المزادة حتى ذهب ما فيها . ورواه احمد بن زيادة ان المهدي كان من ثقيف أو دوس وأن ذلك كان عام الفتح . وروى احمد والبخاري عن طريق ابن لهيعة وسليمان بن عبد الرحمن عن نافع

ابن كيسان الثقفي عن أبيه انه كان يتجر في الخمر وانه أقبل من الشام فقال يارسول الله اني جئتك (في الاصابة جئت) بشراب جيد فقال « يا كيسان انها حرمت بعدك » قال أفأبيعها ؟ قال « انها حرمت وحرم ثمنها » وفي ابن لهيعة وسليمان مقال وروى احمد وأبو يعلى من حديث تميم الداري انه كان يهدي لرسول الله (ص) كل عام راوية خمر فلما كان عام حرمت جاء براوية فقال « اشعرت انها قد حرمت بعدك ؟ » قال أولا أبيعها واتفع بثمنها ؟ فنهاه . قال الحافظ في الفتح : ويستفاد من حديث كيسان تسمية المبهم في حديث ابن عباس ، ومن حديث تميم تأييد الوقت المذكور فان اسلام تميم كان بعد الفتح . وأقول : يعترض على هذه بتعذر إهدائه الخمر كل عام الى النبي (ص) لانها حرمت قبل اسلامه وقد أسلم سنة تسع كما نقله في الاصابة فلم يدرك من حياة النبي (ص) الا سنة واحدة كانت الخمر محرمة فيها قطعاً ، فهذا الحديث منكراً لا يحتاج به

ومن العجيب ان صاحب المنتقى أورد حديث أبي هريرة وترك حديث ابن عباس الصحيح ، وأن الشوكاني لم يتكلم على سنده وما رواه النسائي من شربه من نبيذ السقاية بمكة وهو ما يشرب منه الناس في الحرم ومن كونه شمه أولاً فقطب ودعا بذنوب من ماء زمزم فصب عليه ثم شرب ، فقد ضعفه احمد والنسائي راويه وغيرها لتفرد يحيى بن يمان برفعه وهو ضعيف . على انه لا يدل على كونه كان مسكراً ولا على كون شربه منه كان نسخاً لتحريم كل مسكر كما زعم بعض المفتونين بالنبيذ ، اذ لو كان الامر كذلك لكانت الرواية دالة على انهم كانوا مصرين على شرب المسكر وعلى إسقائه للحجاج جهرًا في الحرم . وهذا زعم لم يقل به أحد بل هو منقوض بالروايات المنقولة عليها وبما تواتر من انهم تركوا بعد نزول آيات المائدة كل مسكر - وانما يفسر ذلك ما قاله (ص) لوفد عبد القيس اذ أذن لهم بالابتداء في الاسقية (أي قرب الخلد) قال « فان اشتد فأكثروه بالماء فان أعياكم فأهريقوه » وفي رواية ابن عباس انهم سألوه ماذا يفعلون اذا اشتد في الاسقية فقال « صبوا عليه الماء - فسألوه - فقال لهم في الثالثة أو الرابعة أهريقوه » الحديث - رواه أبو داود . وهو يفسر لنا أمره بكسره ما في سقاية الحجاج بالماء اذ

شبه فعل أنه بدا فيه التغير وقرب أن يصير خمرًا ، هذا اذا صح الحديث وما هو بصحيح . وكما أنه لم يصح شربه (ص) من النبيذ المسكر لم يصح أيضا ما رواه الدارقطني وابن أبي شيبة من أن رجلا شرب من إداوة عمر فسكر فجلده وقال : جلدناك للسكر ، أي لا لمجرد الشرب . وقد روى الترمذي أيضا والبيهقي أن عمر أتى في سفر بنيند فذاقه وقطب وأمر بأن يكسر بالماء . وعبارة النسائي : فلما قرب به الى فيه كرهه فدعا به فكسره بالماء . قال نافع والله ما قطب عمر وجهه لأجل الاسكار حين ذاقه ولكنه كان تخلل . وروى عن عتبة بن فرقد أيضا أنه قد تخلل . وروى الأثرم عن الازاعي والعمرى أن عمر إنما كسره بالماء لشدة حلاوته . ذكر ذلك الحافظ في فتح الباري وحمل الروایتين على حالتين أي أنه كسر الشديد الحلاوة بالماء ، وأما الذي تخلل فلم يمزجه لأن الخل لا يشرب شرابا .

ويقول بعض النصارى : إن النبي (ص) شرب الخمر مع بغيرا الراهب وبعض الصحابة ، وإن بعض من سكر من الصحابة قتل الراهب بسيف النبي (ص) فكان ذلك سبب تحريم النبي (ص) للخمر — وهذا قول مختلف لا أصل له البتة فلم يرو من طريق صحيح ولا ضعيف ولا موضوع ، وبغيرا الراهب لم يجز الحجاز وأما روي أنه رأى النبي (ص) مع عمه أبي طالب وغيره من تجار مكة في بصرى بالشام ولما اختبر حاله علم أن سيكون هو النبي الذي بشره عيسى والانبياء عليهم السلام) وأوصى به عمه وحذره من اليهود أن يكيدوا له . وكانت سن النبي (ص) اثنتي عشرة سنة . ولم يثبت أن بغيرا أدرك البعثة . وليس النبي (ص) هو الذي حرم الخمر كما حرم المدينة وخلاها . بل كان ذلك بوحي تدريجي كما تقدم

(التداوي بالخمر)

اختلف العلماء في التداوي بالخمر والنجاسات والسموم لحديث طارق بن سويد الجمفي في الخمر — وسيأتي — وحديث أبي هريرة : نهى رسول الله (ص) عن الدواء الخبيث ، يعني السم . رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه ، وحديث أبي الدرداء مرفوعا : أن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداؤوا ولا تداؤوا

بحرام » رواه أبو داود من طريق اسماعيل بن عياش - وهو ثقة في الشاميين كما هنا ضعيف في الحجازيين - وثبت في الصحيحين اذن النبي (ص) للعربيين بالتداوي بأبوال الابل . قال بعضهم بعدم الجواز مطلقا ، وقال آخرون : يجوز بشرط عدم وجود دواء من الخلال يقوم مقام احرام . وقال شيخنا محمد عبده : يشترط في التداوي بالخمر أن لا يقصد المتداوي بها اللذة والنشوة ولا يتجاوز مقدار ما يحدده الطبيب ، وقد جاء في فتاوى المجلد السابع عشر من المنار في السؤال والجواب الآتيين :

(السؤال) هل يحل التداوي بالخمر اذا ظن نفعها بخبر طبيب أخذنا من آية (ما جعل الله عليكم في الدين من حرج) ومن القاعدة المتفق عليها : الضرورات تبيح المحظورات . واذا جوزتم فماذا ترون في حديث « إنها داء وليست بدواء » أو كما ورد ؟

[الجواب]

التداوي بالخمر لمن ظن نفعها شيء . والاضطرار الى شربها شيء آخر . فاما الاضطرار فاما يعرض لبعض الافراد في بعض الاحوال ، وهو يبيح المحرم من طعام وشراب بنص قوله تعالى (وقد بين لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) وبنفي الحرج والعسر وغير ذلك من الادلة (أي كالنهي عن الإلقاء بالنفس الى التهلكة) . وقد مثل الفقهاء له في شرب الخمر بمن غص بلقمة فكاد يحتنق ولم يجد ما يسفها به سوى الخمر . ومثله من دق من البرد وكاد يهلك ولم يوجد ما يدفع به الهلاك بردا سوى جرعة او كوب من خمر ، ومثله أو أولى منه من أصابته نوبة ألم في قلبه كادت تقضي عليه وقد علم أو أخبره الطبيب بأنه لا يجد ما يدفع عنه الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر القوية كالنوع لافرنجبي الذي يسمونه (كونيكا) فاننا نسمع من الاطباء أنه يتعين في بعض الاحيان لعلاج ما يعرض من مرض القلب ودفع الخطر وقد ثبت ذلك بالتجربة . وهذا النوع من العلاج لا يكاد يكون شرا بالخمر وانما يؤخذ منه نقط قليلة لا تسكر . واما التداوي المعتاد بالخمر لمن يظن نفعها ولو بإخبار الطبيب كتقوية المعدة أو الدم ونحو ذلك مما نسمعه من كثير

الناس فهذا هو الذي كان الناس يفعلونه قبل الاسلام ونهى عنه النبي (ص) ونص الحديث الذي أشار اليه السائل « انه ليس بدواء ولكنه داء » رواه احمد ومسلم وابو داود والترمذي وسببه ان طارق بن سويد الجعفي سأل النبي عن الخمر وكان يصنعها فنهاه عنها ، فقال إنما اصنعها للدواء . فقال له . وقوله « ولكنه داء » هو الحق وعليه اجماع الاطباء ، فان المادة المسكرة من الخمر سم تتولد منه امراض كثيرة يموت بها في كل عام الوف كثيرة ، والسموم قد تدخل في تركيب الادوية ، ولكن الذين يشربون الخمر ولو بقصد التداوي بها لا يلبثون أن يؤثر في أعصابهم سمها ، فتصير مطلوبة عندهم لذاتها ، أي لا لمجرد التداوي بها ، فينضرون بسمها ، فلا يفترون مسلم بأمر احد من الاطباء بالتداوي بها لمثل ما يصفونها له عادة ، والله الموفق اه هذا ما أجبنا به عن ذلك السؤال ونزيد في إيضاحه بالقواعد الشرعية واعتبار القياس فنقول : ان المقدار المسكر من الخمر محرم لذاته أي لما فيه من الضرر والمفاسد التي بينا أنواعها في تفسير آية البقرة — وما دون ذلك محرم لسد الذريعة كما بيناه في تفسير هذه الآيات . والقاعدة ان ما حرم لذاته يباح للضرورة ان كان مما يضطر اليه كأكل الميتة ولحم الخنزير ، ومنه شرب الخمر كما تقدم في الفتوى آفا (وليس منه مثل الزنا كما لا يخفى) ويعبرون عن هذه القاعدة بقولهم « الضرورات تبيح المحظورات » واذا وصل التداوي بالخمر الى حد الاضرار اليه بشهادة الثقة من الاطباء يجب ان يراعى فيه قاعدة « الضرورات تقدر بقدرها » فلا يجوز الزيادة على ما يقوله الطبيب حتى اذا حدده بالنقط امتنع زيادة نقطة واحدة . وأما المحرم لسد الذريعة فقد يباح للحاجة كروية الطبيب لعورات الرجال والنساء لأجل التداوي ، فالقياس أن هذا جائز مطلقا أو اذا لم يوجد غيره يقوم مقامه ، وعده بعضهم كتداوي العرنين بأبوال الإبل بناء على ان كلا منهما نجس عند القائلين بذلك من الفقهاء كالشافعية . وظاهر حديث طارق بن سويد ان الخمر لا يجوز ان يكون دواء فيكون مستثنى من القاعدة ولا قياس مع النص . هذا اذا كان التداوي بالخمر مباشرة لغير اضطرار ، أما دخول نقط من الخمر في علاج مركب تكون أجزاء الخمر فيه مغلوقة غير ظاهرة ولا من شأنها أن تسكر فلا يدخل في ذلك فهو كالقليل من الحرير في الثوب والله أعلم

(اسباب ترجيح شرب الخمر الضار على حفظ الصحة والعقل والدين)

ثبت بالاختبار والاحصاء الذي عني به الافرنج ان أكثر من يتلون بشرب الخمر لا يقدمون على شربها الا باغراء القرناء والمعاشرين من الاهل والاصحاب، وانهم لا يمتسئون بها في أول العهد الا كرها، ابشاعة طعامها ولاعتقاد الكثيرين منهم أنهم يقدمون على عمل منكروا ضاره، ولكن غريزة التقليد في الانسان وضعف ارادة أكثر الناس عن مخالفة العشراء والحلان، هما اللذان يمهدان السبيل لطاعة الشيطان. أما الشبهة التي يرجح بها العالمون بضرر الخمر داعيتا التقليد ومواتاة العشراء أولا — وطاعة غول الخمر آخرأ — على داعية المحافظة على صحة الجسم والعقل فهي ظنهم ان الضرر المتيقن انما يكون بالاسراف في الشرب، والانهمالك في السكر، وأن شرب القليل من الخمر إما ان ينفع وإما ان لا يضر، فلا ينبغي ان يترك ما فيه من لذة النشوة والذمول عن المسكدرات ومن مجاملة الاخوان، اتوهم ضرر نجا منه فلان وفلان، ولو سأل هؤلاء المخدوعون من سبقهم الى هذه الخنة واسرفوا في السكر حتى أفسد عليهم صحتهم وعفتهم ويوتهم وثروتهم: هل كنتم يوم بدأتهم بشرب الاتم تتوون الاسراف فيه وادمانه؟ لاجابهم جميع من سألهم أو أكثرهم: لا لا، انما كنا ننوي ان نشرب القليل، وما كنا نعلم ان القليل يقسرنا على الكثير، ويرمينابعد ذلك بالداء الويل. حتى لا نجد الى الخروج من سبيل. ومن هنا تعلم ان ما ذكرناه من قبل في تعليل شرب بعض المعلمين والاطباء للخمر من ان العلم لا يستلزم العمل — مبني على التسامح والاخذ بالظاهر، فالعلم يستلزم العمل مالم يعارضه ما هو أرجح منه

وأما المؤمنون بتحريم الخمر فلم يشبهات متعددة لاشبهة واحدة، — فمنهم من تعلق بقول من ذهب الى ان الخمرة المتخذة من عصير العنب هي المحرمة لذاتها وان ماعداها من المسكرات لا يحرم منه الا القدر المسكر بالفعل، أو الحسوة الاخيرة التي تعقبها نشوة السكر، وأولوا ماورد في الاحاديث الصحيحة من النص على تحريم كل مسكر بأن لفظ المسكر وصف لموصوف محدوف وأن المراد ان المقدار المسكر من الشراب بالفعل هو الحرام. وقد بينا رد هذا فيما سبق وان لفظ مسكر في تلك الاحاديث

اسم جنس يعم كل شراب من شأنه الاسكار ولذلك ورد في الصحيح مقرونا بكل كقوله (ص) « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » كما تقدم ، ولا يمكن ان يكون المعنى كل مقدار مسكر بالفعل يسمى خمر ، كما هو بديهي عند كل من له شمة من هذه اللغة . ولا يزال بعض الناس يبحث عن بعض الاخبار والآثار حتى الضعيفة والموضوعة ليستدل بها على ان شرب القليل من المسكر غير محرم وان كانت وقائع أحوال لا يحتاج بها على فرض صحتها ، ويجعل ذلك مرجعا على نص القرآن والاحاديث المفق عليها وعمل أهل الدين من السلف والخلف ، وقد تقدم تفنيد المزاعم ودحض الشبهات التي يتوكل عليها هؤلاء الناس وأمثالهم كالذين زعموا ان تحريم كل مسكر قد نسخ ، فلا نعيده . نعم روى الطحاوي من طريق حجاج بن أرطاة ان ابن مسعود قال في حديث « كل مسكر حرام » : هي الشربة التي تسكر . وحجاج هذا ضعيف ومذلس

وانما نريد ان نشير الى تعللات من يقدمون على شرب أي نوع من أنواع الخمر لأجل السكر وهم يعتقدون ان ذلك من كبار المعاصي ، فقد فات زمن الذين كانوا يغشون أنفسهم والناس بترك النبيذ الذي هو قبيح الزبيب والتمر ونحوهما زمنا يسكر فيه كثيره ثم قليله ويشربونه على أنه حلال ، فان سكروا أحالوا على غفلتهم عن الكثرة او على جور السقاة عليهم ، وكابروا أنفسهم بأنهم لم يكونوا يقصدون السكر ، كما كان يقع من بعض المترفين في القرون الأولى ، حتى عزى الى بعض خلفاء العباسيين ، وبعض رجال العلم والدين ^(١)

من اختبر حال المبتدئين بشرب الخمر على اعتقاد ضررها في الدنيا والمبتدئين بشربها على اعتقاد ضررها في الآخرة يرى بينها شبيها في ان كلا منها ينوي في أول الامر أن يقتصر على القليل الذي لا يترتب عليه فساد يذ كر . فأما الذين

(١) بالغ بعض المؤرخين والادباء حتى عزوا مثل ذلك الى مثل هرون الرشيد والمأمون والقاضي يحيى بن اكرم وفند كلامهم في هؤلاء المحقق ابن خلدون واحتج بتوثيق رجال الجرح والتعديل ليحيى وبسيرة هرون في الدين والتقوى (المنار: ج ٢) (١٤) (المجلد الثامن عشر)

يقلدون من قالوا ان القليل من غير خمر العنب ليس كالكثير فيكون اطمئنانهم اشد ، وأما الذين يتبعون النصوص ويوافقون الجمهور في تحريم قليل ما أسكر كثيره فمنهم المتفقه وغير المتفقه - فالمتفقه يعلنون أنفسهم أولا بمسألة علة التحريم وحكمته ، وقد فندنا شبهتهم هذه فيما سبق ، وغير المتفقه يعتمدون على عفو الله تعالى قبل التعود والادمان كما يعتمدون عليه هم والمتفقه بعده عند ما يعلمون بالاختبار والعمل ان قليل الخمر يفضي الى كثيرها ، ويرون أنفسهم قد انغمست في شرورها ومفاسدها .

فالتسكاة الاخيرة لمن يشرب الخمر من أهل الدين هي تسكاة أكثر المرتكبين لسيئات المعاصي - وهي الغرور بكرم الله وعفوه ، إما بضميمة الاعتماد على بعض الاعمال الصالحة ولا سيما ما يسمى منها بالمكفرات ، أو على الشفاعات ، وإما بدون ضمنية . ومن مكفرات الذنوب ما له أصل في السنة ومنها ما لا أصل له ، وما له أصل قيده بالصغائر أو بمقارنة التوبة له ، وقد فندنا جهل هؤلاء وغرورهم في مباحث التوبة والكفارة من تفسير سورة النساء [راجع تفسير (٤ : ٦) إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب] في ص ٤٢٠ ج ٤ وتفسير (٤ : ٣٠) إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) في ص ٤٦ ج ٥ من التفسير] وهذا الجهل والغرور يرسخ في قلوب هؤلاء ، بما نظمه وينظمه لهم فساق الشعراء ، كقول أبي نواس الشهير بالسكر والفجور

تكثرت ما استطعت من المعاصي فانك واجد ربا غفورا

تعض ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السورورا

وقوله من قصيدة يذكر بها استعانتة بالخمر على الفجور بغلام نصراني هرب منه الى الدير :

ورجوت عفو الله معتمدا على خير الأنام محمد المبعوث

واذا صح ما يهذي به هؤلاء الفجار ، فالدين كله لغو وعبث لا حاجة اليه

— حاش الله —

﴿فائدة في المشروع من المسابقة والرماية﴾

ذكرنا في الكلام على الميسر ان أخذ المال في المسابقة والرماية جائز شرعا . وقد يتوهم بعض العامة منه ان مسابقة الخيل المعروفة في مصر وغيرها من ذلك الجائز، وما هي الا من القمار المحرم ، أما الجائز شرعا فهو ما كان من الاستعداد للقتال في سبيل الله . وقد اشترط فيه ان يكون السبق (بفتح السين والباء) - وهو الجعل الذي يكون لصاحب الفرس السابق - إما من الإمام (أي الخليفة) وهذا لا خلاف فيه ، وإما من أحد المتسابقين ، وعليه الجمهور - ولا يجوز أن يكون مال السبق من كل منهما ، وإذا دخل بينهما ثالث اشترط أيضا أن لا يخرج من عنده شيئا . وبهذا الشرط تخرج المسابقة من معنى الميسر والقمار . وما اشترطه الفقهاء من كون المسابقة معروفة الابتداء والانتها ، وكون الجعل والمسافة التي يستحق بها معلومين ، وكون الفرسين أو الافراس معينة ، وكون كل منهما أو منها يحتمل ان يسبق - كل ذلك مما يشترطه المقامرون أيضا ويزيدون عليه

روى أحمد بسند رجاله ثقات عن ابن عمر ان النبي (ص) سبق بالخيل وراهن . وفي لفظ : سابق بين الخيل وأعطى السابق . وروى بسند رجاله ثقات أيضا من حديث أنس - وقيل له : أ كنتم تراهنون على عهد رسول الله (ص) أ كان رسول (ص) يراهن ؟ قال : نعم والله لقد راهن على فرس يقال له (سبعة) فسبق الناس ، فبهش^(١) لذلك وأعجبه . وروى الشافعي وأحمد وأصحاب السنن الاربعة والحاكم من طرق عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « لا سبق الا في خوف أو نصل أو حافر » ولم يذكر ابن ماجه « أو نصل » صححه ابن القطان وابن حبان وحسنه الترمذي . والمراد بالنصل السهام عبر عن السهم بمحيدته الجارحة . ويقاس على الرمي بالسهم الرمي ببندق الرصاص وقذائف المدافع . وأجاز الشافعية المسابقة على الاقدام بعوض

(١) قالوا معناه هش وفرح . (وهو بوزن فتح) وأشهر معناه الاقبال على ما يشتهي والاسراع للتمتع به ، ويتعدى بالى فيقال : بهش الطفل الى الثمرة أو اللعبة

كلام الصوفية في الوقت

من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين . قال :

ومنها الوقت . قال صاحب المنازل (باب الوقت)

﴿ قال الله تعالى (ثم جئت على قدر ياموسى) الوقت اسم لظرف الكون ،

وهو اسم في هذا الباب لثلاثة معان على ثلاث درجات ^(١) : المعنى الاول ^(٢)

حين وجد ^(٣) صادق لا يناس ضياء فضل جذبه صفاء رجاء ، أو ^(٤) لعصمة

جذبها صدق خوف ، أو تلهب شوق جذبه اشتعال محبة ﴿ وجه استشهاده بالآية

ان الله سبحانه قدر مجيئ موسى أحوج ما كان الوقت اليه ، فان العرب تقول :

جاء فلان على قدر . اذا جاء وقت الحاجة اليه ، قال جرير :

نال الخلافة اذ كانت على قدر كما أتى ربه موسى على قدر

وقال مجاهد : على موعد . وهذا فيه نظر لأنه لم يسبق بين الله سبحانه وبين

موسى موعد للمجيئ حتى يقال انه أتى على ذلك الموعد ، ولكن وجه هذا ان المعنى

جئت على الموعد الذي وعدناه أن ننجزه ، والقدر الذي قدرناه أن يكون في

وقته . وهذا كقوله تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون

الاذقان سجدا ، ويقولون : سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لان الله

سبحانه وتعالى وعد بارسال نبي في آخر الزمان يملأ الأرض نورا وهدى ، فلما سمعوا

القرآن علموا ان الله أنجز ذلك الوعد الذي وعد به . واستشهاده بهذه الآية

يدل على محله من العلم ، لأن الشيء إذا وقع في وقته الذي هو أليق الاوقات

بوقوعه فيه كان أحسن وأنفع وأجدر ، كما إذا وقع الغيث في أحوج الأوقات اليه ،

وكما اذا وقع الفرج في وقته الذي يليق به

(١) قال في المتن « وهو على ثلاث درجات » (٢) وقال فيه : الدرجة الاولى

(٣) وفيه « وجد وجه » الخ (٤) سقطت هذه الجملة من نسخة المتن

ومن تأمل أقدار الرب تعالى وجريتها في خلق علم انها واقعة في أليق الاوقات بها ، فبعث الله سبحانه موسى أحوج ما كان الناس الى بعثته ، وبعث عيسى كذلك ، وبعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عليهم أجمعين أحوج ما كان أهل الارض الى ارسله ، فهكذا وقت العبد مع الله يعمره بانفع الاشياء له أحوج ما كان الى عمارته

قوله « الوقت ظرف السكون » الوقت عبارة عن مقارنة حادثين . عند المتكلمين ، فهو نسبة بين حادثين ، فقوله ظرف السكون أي وعاء التكوين فهو الوعاء الزماني الذي يقع فيه التكوين ، كما ان ظرف المكان هو الوعاء المكاني الذي يحصل فيه الجسم ، ولكن الوقت في اصطلاح القوم أخص من ذلك . قال أبو علي الدقاق : الوقت ما أنت فيه ، فان كنت في الدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعقبى فوقتك العقبى ، وان كنت بالسرور ، فوقتك سرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن . يزيد أن الوقت ما كان الغالب على الانسان من حاله ، وقد يريد أن الوقت ما بين الزمانين الماضي والمستقبل ، وهو اصطلاح أكثر الطائفة ، ولهذا يقولون : الصوفي والفقير ابن وقته . يريدون أن همته لاتعدى وظيفة عمارته بما هو أولى الاشياء به وأنفعها له ، فهو قائم بما هو مطالب به في الحين والساعة الراهنة ، فهو لا يهتم بماضي وقته وآتيه ، بل بوقته الذي هو فيه ، فان الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يضيع الحاضر ، وكلما حضر وقت اشتغل عنه بالطرفين فتصير أوقاته كلها فوات .

قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم الا بكلمتين : سمعتمهم يقولون الوقت سيف فان قطعه والا قطعك ، ونفسك ان لم تشغلها بالحق والا شغلتك بالباطل

قلت : يالها كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلها على علو همة قائليها ويقظته !
ويكفي هذا ثناء من الشافعي على طائفة هذا قدر كلماتهم
وقد يريدون بالوقت ما هو أخص من هذا كله ، وهو ما يصادفهم في تعريف الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم . ويقولون : فلان يحكم الوقت . أي مستسلم

لما يأتي من عند الله من غير اختيار ، وهذا يحسن في حال ويحرم في حال وينقض صاحبه في حال ، فيحسن في كل موضع ليس لله على العبد فيه أمر ولا نهي ، بل في موضع جريان الحكم الكوني الذي لا يتعلق به أمر ولا نهي كالفقر والمرض والغربة والجوع والالام والحرق والبرد ونحو ذلك ، ويحرم في الحال التي يجري عليه فيها الامر والنهي والقيام بحقوق الشرع ، فان التضيق لذلك والاستسلام والاسترسال مع القدر انسلاخ من الدين بالكلية ، وينقص صاحبه في حال تقتضي قياما بالنوافل وأنواع البر والطاعة ، واذا أراد الله بالعبد خيرا أعانه بالوقت وجعل وقته مساعدا له ، واذا أراد به شرا جعل وقته عليه وناكده وقته فكلما أراد التأهب للمسير لم يساعده^(١) الوقت ، والاول كلما همت نفسه بالعود أقامه الوقت وساعده وقد قسم بعضهم الصوفية أربعة أقسام : أصحاب السوابق ، وأصحاب العواقب ، وأصحاب الوقت ، وأصحاب الحق ، قال :

(فما أصحاب السوابق) فقلوبهم أبدا فيما سبق لهم من الله ، لعلمهم ان الحكم الازلي لا يتغير باكتساب العبد ، ويقولون : من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل . ففكرهم في هذا أبدا ، ومع ذلك فهم يجدون في القيام بالامور واجتناب النواهي والتقرب الى الله بأنواع القرب غير واثقين بها ولا ملتفتين اليها ، يقول قائلهم : من أين أرضيك الا أن توفقي هيات هيات ما التوفيق من قبلي ان لم يكن لي في المقدور سابقة فليس ينفع ما قدمت من عملي وأما (أصحاب العواقب) فهم متنكرون فيما يختم به أمرهم ، فان الامور بأواخرها والاعمال بخواتيمها ، والعاقبة مستورة كما قيل :

لا يفرنك صفا الاوقات فان تحتها^(٢) غوامض الآفات

فكم من ربيع نورت أشجاره ، وظهرت أزهاره ، وزهت ثماره ، لم يلبث ان

(١) سقط من ن قوله « واذا أراد به شرا » الى هنا - فنقلناه من ب

(٢) لعل الاصل « ففتحها » فيه يستقيم الوزن ، أو ان كلمة صفاء ممدودة وربما كانت العبارة سجعا ولكنها كتبت في ب كما يكتب الشعر

أصابته جائحة سماوية فصار كما قال الله عز وجل (حتى اذا أخذت الارض زخرفها وأزمنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها — الى قوله — يتفكرون) فكم من مريد كبابه جواد عزمه [فخر صريعاً للدين والفم] وقيل لبعضهم وقد شوهده منه خلاف ما كان يعهد عليه : ما الذي أصابك ؟ فقال حجاب وقع ، وأنشد

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاعتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا

[تعجيبين من سقمي صحتي هي العجب] النا كصون على أعقابهم
أضعاف أضعاف من اقتحم العقبة :

خذ من الالف واحدا واطرح الكل بعده

وأما (أصحاب الوقت) فلم يشغلوا^(١) في السوابق ولا في العواقب ، بل اشتغلوا
بمراعاة الوقت وما يلزمهم من أحكامه ، وقالوا : العارف ابن وقته^(٢) لا ماضي له ولا
مستقبل ، ورأى بعضهم الصديق رضي الله عنه في منامه فقال أوصني ، فقال له :
كن ابن وقتك

وأما (أصحاب الحق) فهم مع صاحب الوقت والزمان ومالكهما ومدبرهما ،
مأخوذون بشهوده عن مشاهدة الأوقات ، ولا يتفرغون لمراعاة وقت وزمان
كما قيل :

لست أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعي النجوم كنت مخلي

ان للعاشقين عن قصر الليل وعن طوله من العشق شغلا

قال الجنيد : دخلت على السري يوما فقلت له : كيف أصبحت ؟ فأنشأ يقول :

ما في النهار ولا في الليل لي فرج فلا أبالي أطال الليل أم قصرا

ثم قال : ليس عند ربكم ليل ولا نهار . يشير الى انه غير متطلع الى الأوقات ،

بل هو مع الذي يقدر الليل والنهار

(١) قال في ب بالفكر في السوابق ٢ وفيها « الفقر لا ماضي له » الخ

فصل

قال صاحب المنازل « الوقت اسم في هذا الباب ثلاث معان : المعنى الاول حين وجد صادق » أي وقت وجد صادق . أي زمن من وجد يقوم بقلبه وهو صادق فيه غير متكاف له ولا متعمل في تحصيله « يكون متعلقه ايناس ضياء فضل » أي رؤية ذلك ، ولايناس الرؤية قال الله تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا) وليس هو مجرد الرؤية ، بل رؤية مايناس به اقلب ويسكن اليه ، ولا يقال لمن رأى عدوه أو مخوفا « آنسه » ومقصوده ان هذا الوقت وقت وجد صاحبه صادق فيه لرؤية ضياء فضل الله ومنه عليه ، والفضل هو العطاء الذي لا يستحقه المعطى أو يعطى فوق استحقاقه ، فاذا آنس هذا الفضل وطالعه بقلبه أثار ذلك ^(١) فيه وجدا آخر باعثا على محبة صاحب الفضل والشوق الى لقائه ، فان النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها . ودخلت يوما على بعض أصحابنا وقد حصل له وجد أبكاه فسأته عنه فقال : ذكرت ما من الله به على من السنة ومعرفتها والتخلص من شبه التوهم وقواعدهم الباطلة ومواقفة العقل الصريح والفطرة السليمة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فسرني ذلك حتى أبكاني . فهذا الوجد أثاره ايناس فضل الله ومنه

قوله « جذبه صفاء رجاء » أي جذب ^(٢) ذلك الوجد أو الايناس أو الفضل رجاء صاف غير مكدر ، والرجاء الصافي هو الذي لا كدر يشوبه ^(٣) بوهم معاوضة منك ؛ وان عملك هو الذي بعثك على الرجاء ، فصفاء الرجاء يخرج ^(٤) من ذلك بل يكون رجاء محضا لمن هو مبتدئ بالنعم من غير استحقاق ، والفضل كله له ومنه ، وفي يده أسبابه وغاياته ووسائله وشروطه وصرف موافقه ، كل بيد الله لا يستطيع العبد أن ينال منه شيئا بدون توفيقه واذنه ومشيئته

(١) في ب « بذلك » ٢ وفيها « جذبه » (٣) كانت العبارة عندنا ناقصة فصححت على ب (٤) في ب « يخلصه »

ويلخص ذلك ان الوقت في هذه الدرجة الاولى عبارة عن وجد صادق سببه رؤية فضل الله على عبده ، لان رجاءه كان صافيا من الاكدار قوله « أولعصمة جذبها صدق خوف » الالم في قوله أولعصمة معطوف على الالم في قوله أولایناس ضياء فضل ، أي وجد لعصمة جذبها صدق خوف ، فالالم ليست للتعليل بل هي على حدها في قولك : ذوق لكذا ، ورؤية لكذا . فتعلق الوجد عصمة ، وهي منعة وحفظ ظاهر وباطن جذبها صدق خوف من الرب سبحانه ، والفرق بين الوجد في هذه الدرجة والتي قبلها ان الوجد في الاولى جذبه صدق الرجاء وفي الثانية جذبه صدق الخوف ، وفي الثالثة التي تذکر جذبه صدق الحب ، فهو معنى قوله « أولتلهب شوق جذبه اشتعال محبة » وخدمته التورية في اللهب والاشتعال ، والمحبة متى قويت اشتعلت نارها في اقلب فحدث عنها لهيب الاشتياق الى لقاء الحبيب ، وهذه الثلاثة التي تضمنتها هذه الدرجة وهي الحب والخوف والرجاء هي التي تبعث على عمارة الوقت بما هو الاولى لصاحبه والافنع له ، وهي أساس السلوك والسير الى الله ، وقد جمع الله سبحانه الثلاثة في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة - أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا) وهذه الثلاثة هي قطب رحي العبودية وعليها دارت رحي الاعمال والله أعلم

فصل

قال والمعنى الثاني ^(١) اسم لطريق سالك يسير بين تمکن وتلون، لكنه الى التمكن ما هو يسلك الحال ، ويلتفت الى العلم ، فالعلم يشغله ^(٢) في حين ؛ والحال يحمله في حين ، فبلاؤه بينهما يذيقه شهوداً طورا ، ويكسوه عبرة طورا ، ويريه غيره تفرق طورا ﴿ هذا المعنى هو المعنى الثاني من المعاني الثلاثة من معاني الوقت عنده ، قوله « اسم لطريق سالك » هو على الاضافة أي لطريق عبد سالك ؛ قوله

(١) في المتن « الدرجة الثانية » (٢) في ب « يستعمله »

(المجلد الثامن عشر)

(١٥)

(المنار : ج ٢)

« يسير بين تمكن وتلون » أي ذلك العبد يسير بين تمكن وتلون ، والتمكن هو الاتقياد الى أحكام العبودية بالشهود والحال ، والتلون في هذا الموضع خاصة هو الاتقياد الى أحكام العبودية بالعلم ، فالحال يجمعه بقوته وسلطانه فيعطيه تمكينا ، والعلم يلونه بحسب متعلقاته وأحكامه ؛ قوله « لسكنه الى التمكن ما هو يسلك الحال ويلتفت الى العلم » يعني ان هذا العبد هو سلك الى التمكن مادام يسلك الحال ، ويلتفت الى العلم ^(٣) فاما إن سلك العلم والتفت الى الحال لم يكن سالكا الى التمكن ، فالسالكون ضربان : السالكون على الحال ملتفتون الى العلم وهم الى التمكن أقرب ، والسالكون على العلم ملتفتون الى الحال وهم الى التلون أقرب . هذا حاصل كلامه وهذه الثلاثة هي المفرقة بين أهل العلم وأهل الحال حتى كأنهم ما غيران وحرمان ، وكل فرقة منهما لا تأنس بالأخرى ولا تعاشرها إلا على اغراض ونوع استكراه ، وهذا من تقصير الفريقين حيث ضعف أحدهما عن السير في العلم وضعف الآخر عن الخال في العلم ، فلم يتمكن كل منهما من الجمع بين الحال والعلم ، فأخذ هؤلاء العلم وسعته ونوره ورجحوه ، وأخذ هؤلاء الحال وسلطانه وتمكينه ورجحوه ، وصار الصادق الضعيف من الفريقين يسير باحدهما ملتفتا الى الآخر ، فهذا مطيع للحال ^(٢) وهذا مطيع للعلم ، لكن المطيع للحال متى عصى به العلم كان منتظعا محجوبا وان كان له من الحال ما عساه أن يكون ، والمطيع للعلم متى أعرض به عن الحال كان مضيعا منقوصا مشتغلا بالوسيلة عن الغاية ، وصاحب التمكن يتصرف علمه في حاله ويحكم عليه فينقاد لحكمه ، ويتصرف حاله في علمه فلا يدعه أن يقف معه ، بل يدعوه الى غاية العلم فيجيبه ويلبي دعوته ، فهذه حال الكمل من هذه الامة ومن استقرأ أحوال الصعابة وجدها كذلك ، فلما فرق المتأخرون بين الحال والعلم دخل عليهم النقص والخلل والله المستعان (يهب لمن يشاء إنانا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا وإنانا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير) فكذلك يهب لمن يشاء علما ومن يشاء حالا ، ويجمع بينهما لمن يشاء ويخلي من

(١) سقطت هذه الجملة من ن فائمتاها من ب

(٢) في ن « الى الحال » وهو غلط

يشاء منهما

قوله « فالعلم يشغله في حين » أي يشغله عن السلوك الى تمكن الحل ، لان العلم متنوع التعلقات فهو يفرق ، والحال يجمع ، فانه يدعوه الى الفناء وهناك سلطان الحال ؛ قوله « والحال يحمله في حين » أي يغلب عليه الحال تارة فيصير محمولا بقوة الحال وسلطانها على السلوك فيشتد ^(١) سيره بحكم الحال ، يعني واذا غلبه العلم شغله عن السلوك ، وهذا هو المهود من طريقة المتأخرين [ان العلم يشغل عن السلوك] ولهذا يعدون السالك من سلك على الحال ملتفتا الى العلم ، وأما على ما قررناه من أن العلم يعين على السلوك ويحمل عليه ويكون صاحبه سالكا به وفيه فلا يشغله العلم عن سلوكه وان أضعف سيره على درب الفناء ، فلا ريب ان العلم لا يجمع الفناء ، فالفناء ليس هو غاية السالكين الى الله بل ولا هو لازم من لوازم الطريق وان كان عارضا من عوارضها يعرض لغير الكمال — كما تقدم تقرير ذلك — فبينما ان الفناء الكامل الذي هو الغاية المطلوبة للفناء عن محبة ماسوى لله وارادته فيفنى بمحبة الله عن محبة ماسواه ، وبارادته ورجائه والخوف منه والتوكل عليه والاناة اليه عن ارادة ماسواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه ، وهذا الفناء لا ينافي العلم بحال ، ولا يشغل عن العلم ولا يحول بين العبد وبينه ، بل قد يكون في أغلب الاحوال من أعظم أعوانه ، وهذا أمر غفل عنه أكثر المتأخرين بحيث لم يعرفوه ولم يسلكوه ، ولكن لم يخل الله الارض من قائم به داع اليه

قوله « فبلاؤه بينهما » أي عذابه وألمه بين داعي الحال وداعي العلم ، قائمانه يحمله على اجابة داعي العلم ، ووارده يحمله على اجابة داعي الحال ، فيصير كالغريم بين مطالبين ، كل منهما يطالبه بحقه وليس بيده الا ما يقضي أحدهما ، وقد عرفت ان هذا من الضيق والافع السعة يوفي كلا منهما حقه

قوله « يذيقه شهوداً طوراً » أي ذلك البلاء الحاصل بين الداعيين يذيقه شهوده طوراً ، وهو الطور الذي يكون الحالك عليه فيه هو العلم قوله « ويكسوه عبرة طوراً » الظاهر انه عبرة بالباء الموحدة والعين ، أي اعتبارا

بأفعاله واستدلالاته عليه بها ، فانه سبحانه دل على نفسه بأفعاله ، فالعلم يكسو صاحبه اعتباراً واستدلالاتاً على الرب بأفعاله

ويصح أن يكون غيرة بالغين المعجزة^(١) والياء المثناة من تحت ومعناه ان العلم يكسو غيرة^(٢) من حجابته عن مقام صاحب الخال ، فيعار من^(٣) احتجابه عن الخال بالعلم وعن العيان بالاستدلال وعن الشهود الذي هو مقام الاحسان بالايان الذي هو ايمان بالغيب

قوله « ويريه غيرة تفرق طوراً » هذا بالغين المعجزة ليس الا ، أي ويريه العلم غيرة تفرق في أوديته فيفرق بين أحكام الخال وأحكام العلم وهو حال صحو وتميز . وكأن الشيخ رحمه الله يشير الى ان صاحب هذا المقام يغار تفرقه^(٤) من جمعيتها على الله فنفسه تفر من الجمعية على الله الى تفرق العلم ، فانه لأشق على النفوس من جمعيتها على الله ، فهي تهرب من الله الى الخال تارة والى العمل تارة والى العلم تارة ، هذه نفوس السالكين الصادقين ؛ وأما من ليس من أهل هذا الشأن فنفسهم تفر من الله الى الشهوات والراحات ، فأشق ما على النفوس جمعيتها على الله وهي تناشد صاحبها أن لا يوصلها اليه وان يشغلها بما دونه ، فان حبس النفس على الله شديد وأشد منه حبسها على أوامره وحبسها عن نواهيها ؛ فهي دائماً ترضيك بالعلم عن العمل وبالعمل عن الخال وبالخال عن الله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر لا يعرفه الا من شد منزر سيره الى الله وعلم ان كل ماسواه فهو قاطع عنه

وقد تضمن كلامه في هذه الدرجة ثلاث درجات - كما أشار اليه - : درجة الخال ، ودرجة العلم ، ودرجة التفرقة بين الخال والعلم ، وهذه الثلاث درجات^(٥) هي المختصة بالغنى الثاني من معاني الوقت والله أعلم

(١) في ب زيادة « بالغين المعجزة » (٢) وفيها « غيرة » (٣) وفيها « فيعار » حتماً احتجابه « الخ (٤) وفيها « تفرقه » (٥) كان الظاهر أن يقال : الثلاث الدرجات

فصل

قال ﴿ والمعنى الثالث ^(١) قالوا : الوقت الحق . أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي لكنه اسم ^(٢) في هذا المعنى الثالث حين تتلاشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضا ، وهو فوق البرق والوجد ، وهو يفارق ^(٣) مقام الجمع او دام وبقي ، ولا يبلغ وادي الوجود لكنه يلقي ^(٤) مؤنة المعاملة ، ويصفي عين المسامرة ، ويشم روائح الوجود ﴿ هذا المعنى الثالث من معاني الوقت أخص مما قبله وأصعب تصورا وحصولا ، فان الاول وقت سلوك يتلون ، وهذا وقت كشف يتمكن ، ولذلك أطلقوا عليه اسم الحق لغلبة حكمه على قلب صاحبه ، فلا يحس برسم الوقت بل يتلاشى ذكر وقته من قلبه لما قهره من نور الكشف

فقوله « قالوا الوقت هو الحق » يعني ان بعضهم أطلق اسم الحق على الوقت ، ثم فسر مرادهم بذلك وانهم عنوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، ومعنى هذا ان السالك بهذا المعنى الثالث اذا شهد استغراق وقته في وجود الحق يتلاشى عنه وقته بالكيفية ، وتقريب هذا الى الفهم انه اذا شهد استغراق وقته الحاضر في ماهية الزمان فقد استغرق الزمان رسم الوقت الى ما هو جزء يسير جدا من أجزائه ، وانعمر فيه كما تنعمر القطرة في البحر ، ثم ان الزمان المحدود الطرفين يستغرق رسمه في وجود الدهر وهو ما بين الأزل والابد ، ثم ان الدهر يستغرق رسمه في دوام الرب جل جلاله ، وذلك الدوام هو صفة الرب ، فهناك يضمحل الدهر والزمان والوقت ولا يبقى له نسبة الى دوام الرب جل جلاله البتة ، فاضمحل الزمان والدهر والوقت في الدوام الإلهي كما تضمحل الانوار المخلوقة في نوره ، وكما يضمحل علم الخلق في علمه وقدرهم في قدرته وجمالهم في جماله وكلامهم في كلامه ^(٥) بحيث لا يبقى للمخلوق

(١) وفي المتن « الدرجة الثالثة » (٢) وفيه « لكنه هو اسم » (٣) وفيه وفي ب وفيه « يشارف » وهو الصواب (٤) وفيها وفيه « يكفي » (٥) لعل الاصل : وكلامهم في كماله

نسبة ما إلى صفات الرب جل جلاله

واقوم إذا أطلق أهل الاستقامة منهم [مافي الوجود الا الله] أو [ماني
وجود على الحقيقة الا الله] أو [هناك يفتى من لم يكن ويبقى من لم يزل] ونحو
ذلك من العبارات ، فهذا مرادهم لاسيما إذا حصل هذا الاستغراق في الشهود كما
هو في الوجود ، وغلب سلطانه على سلطان العلم ، وكان العلم ^(١) مغشورا بوارده ، وفي
قوة التمييز ضعف وقد توارى العلم بالشهود وحكم آخا ، فهناك ثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت ، ونزل أقدام كثيرة إلى الخضيض الأدنى ، ولا ريب ان وجود
الحق سبحانه ودوامه يستغرق وجود كل ماسواه ووقته وزمانه ، بحيث يصير كأنه
لا وجود له ، ومن هنا غلط القائلون بوحدة الوجود وظنوا انه ليس لغيره وجود البتة ،
وغيرهم كلمات مشتهيات جرت على السنة أهل الاستقامة من الطاقة فجعلوها عمدة
لكفرهم وضلالهم ، وظنوا أن السالكين سيرجعون اليهم وتصير طريقة الناس
واحدة . (ويأتي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

قوله « وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي » يريد ان الحق سابق ^(٢)
على الاسم ^(٣) الذي هو الوقت ، أي هو منزعه عن أن يسمى بالوقت فلا ينبغي
اطلاقه عليه ، لأن الأوقات حادثة

قوله « لسكرته اسم في هذا المعنى الثالث حين تتلاشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا
محضاً » تلاشي الرسوم اضمحلالها وفنائها ، والرسوم عندهم ماسوى الله ، وقد صرح
الشيخ انها إنما تتلاشى في الكشف لافي الوجود العيني الخارجي ، فان تلاشيها
في الوجود خلاف الحس والعيان ، وإنما تتلاشى في وجود العبد الكشفي بحيث
لا يبقى فيه سعة للاحساس بها لما استغرقه من الكشف ، فهذه عقيدة أهل
الاستقامة من القوم

وأما الملاحدة أهل وحدة الوجود فعندهم انها لم تزل متلاشية في عين وجود
الحق ، بل وجودها هو نفس وجوده ، وإنما كان الحس يفرق بين الوجودين فلما

(١) في ب « وكان القلب » (٢) وفيها « سبحانه » بدل « سابق » وهو غلط

(٣) وفيها « هذا اسم » الخ

غاب عن حسه بكشفه تبين ان وجودها هو عين وجود الحق ، ولكن الشيخ كأنه عبر بالكشف والوجود عن المقامين اللذين ذكرهم في كتابه ، والكشف هو دون الوجود عنده ، فان الكشف يكون مع بقاء بعض رسوم صاحبه فليس معه استغراق في الفناء ، والوجود لا يكون معه رسم باق ، ولذلك قال « لا وجودا محضاً » فان الوجود المحض عنده يفني الرسوم ، وبكل حال فهو يفنيها ^(١) من وجود الواحد لا يفنيها في الخارج

وسر المسئلة ان الواصل الى هذا المقام يصير له وجود آخر غير وجوده الطبيعي المشترك بين الموجودات ، ويصير له نشأة أخرى لقلبه وروحه نسبة النشأة الحيوانية اليها كنسبة النشأة في بطن الام الى هذه النشأة المشاهدة في العالم ، وكنسبة هذه النشأة الى النشأة الأخرى

فلعبد أربع نشآت : نشأة في الرحم حيث لا بصير يدركه ولا يد تناله ، ونشأة في الدنيا ، ونشأة في البرزخ ، ونشأة في المعاد الثاني ، ^(٢) وكل نشأة أعظم من التي قبلها ، وهذه النشأة للروح والقلب أصلاً ، وللبدن تبعاً ، فالروح في هذا العالم نشأتان (احدهما) النشأة الطبيعية لمشاركة (واثانية) نشأة قلبية روحانية يولد لها قلبه وينفصل من مشيمة طبعه ، كما ولد بدنه وانفصل من مشيمة البطن ، ومن لم يصدق بهذا فليضرب عن هذا صفحا وليشتغل بغيره . وفي كتاب الزهد للامام أحمد ان المسيح عليه السلام قال للحواريين : انكم لن تلجوا ملكوت السماء حتي تولدوا مرتين . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : هي ولادة الارواح والقلوب من الابدان وخروجها من عالم الطبيعة كما ولدت الابدان من البدن وخرجت منه ، والولادة الأخرى هي الولادة المعروفة والله أعلم

قوله « وهو فوق البرق والوجد » يعني ان هذا الكشف الذي تلاشت فيه الرسوم فوق منزلي البرق والوجد ، فانه أثبت وأدوم ، والوجود فوقه لانه يشعر بالدوام ؛ قوله « وهو يشارف مقام الجمع لو دام » أي لو دام هذا الوقت لشارف مقام الجمع وهو ذهاب شعور القلب بغير الحق سبحانه وتعالى شغلا به عن غيره فهو

(١) وفيها « ينشئها » وهو غلط (٢) كلمة الثاني من زيادة ب

١٢٠ المسامرة هي المناجاة. استفتاء أدباء العصر في بيت من الشعر [المنار : ج ٢ م ١٨]

جمع في الشهود . وعند الملاحظة هو جمع في الوجود ، ومقصوده انه لو دام الوقت بهذا المعنى الثالث لشارف حضرة الجمع لكنه لا يدوم .

قوله « ولا يبلغ وادي الوجود » يعني ان الوقت المذكور لا يبلغ السالك فيه وادي الوجود حتى يقطعه ، ووادي الوجود هو حضرة الجمع ، قوله « لكنه يلقي مؤنة المعاملة » يعني ان الوقت المذكور وهو الكشف المشارف لحضرة الجمع يخفف عن العامل اقبال المعاملة مع قيامه بها اتم القيام بحيث يصير هي الحاملة ، فانه كان يعمل على الخبر فصار يعمل على العيان ، هذا مراد الشيخ . وعند الملحد انه يفتي عن المعاملات الجسمانية ، ويرد صاحبه الى المعاملات القلبية ، وقد تقدم اشباع هذا المعنى قوله « ويصفي عن المسامرة » المسامرة عند القوم هي الخطاب القلبي الروحي بين العبد وربه ، وقد تقدم ان تسميتها بالمناجاة أولى ، فهذا الكشف يخلص عن المسامرة من ذكر غير الحق سبحانه ومناجاته

قوله « ويشتم رائحة الوجود » أي صاحب مقام هذا الوقت الخاص يشتم روائح الوجود وهو حضرة الجمع فاهم يسمونها بالجمع والوجود ، ويعنون بذلك ظهور وجود الحق سبحانه وفناء وجود ماسواه . وقد عرفت ان فناء وجود ماسواه باحد اعتبارين : إما فناؤه من شهود العبد فلا يشهده ، وإما اضمحلاله وتلاشيته بالنسبة الى وجود الرب ، ولاتلفت الى غير هذين المعنيين فهو الحاد وكفروا لله المستعان ؟

استفتاء أدباء العصر في بيت من الشعر

ذهب ذاهب بل كتب كاتب يقول في البيت المشهور الجامع لعيوب الخطيب في أول كتاب البيان والتبيين للجاحظ

جديرٌ بِبُهرٍ والتفاتٍ وسَعلةٍ ومسحةٌ عُشونٍ وقتل الاصابع

: ان ضبط التفات وما عطف عليه بالجر غلط صوابه الرفع فيها كلها على ان « التفات » مبتدأ حذف خبره وما بعده معطوف عليه . فان كان يوجد أحد يميز فهمه وذوقه لغة هذا الضبط فليفضل ببيان ذلك لنا ؟

مَدَامْ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِنشَاءُ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

والحق أن الاعصاب كلها تربط أجزاء الجسم بعضها ببعض كما تربط أسلاك
التلغراف بعض الممالك ببعض الآخر

٤

﴿ تذييل لما تقدم ﴾

في الارادة والروح والقوى العقلية

قلنا إن سبب حركة القلب لا يعلمه أحد إلا الله تعالى ، فهي من الخواص
التي وهبها له ، وكذلك وهب مثل هذه الحركة الذاتية للخلايا ذات الاهداب
المبطنة لبعض الاغشية كالشعب الرئوية ، وللخلايا المتحركة ككريات الدم البيضاء
وغيرها ، ولكن هناك فرقا بين حركة هذه وتلك ، فان حركة الكريات لانظام
لها بخلاف حركة الاهداب فانها في غاية النظام ، وسريعة جدا ، وهي في انتظامها تشبه
انتظام ضربات القلب . فكل هذه الخلايا تتحرك حركة ذاتية لا يعلم لها سبب
مطلقا ، وإن كان للبيئة تأثير فيها بمثل الزيادة أو النقصان ، ولكن نفس الحركة كأنها
بارادة هذه الخلايا الحية . والحق أنها من أعظم مظاهر إرادتها وحياتها ، وهي عامة
في كل الخلايا ، نباتية كانت أو حيوانية ، ولكنها تكون أظهر في بعضها من البعض
الآخر أو تكون كامنة فيه ، وهي أدل على إرادة بعضها من بعضها

ومعنى كون هذه الحركة بارادة الخلية أنها من عملها الذاتي الذي لا يظهر أن
للبيئة تأثيرا في إيجادها وإنشائها ، فمثلا تشاهد الكريات البيضاء أو بعض الميكروبات
تتحرك في السائل الواحد ثم تسكن ثم تتحرك بدون أي سبب خارجي وأحيانا

(المجلد الثامن عشر)

(١٦)

(المنار ج ٢)

تتجه الى جهة ثم تعدل عنها الى غيرها وهكذا ، أي إن عملها يختلف في البيئة الواحدة ، ولا معنى للارادة سوى هذا

وكذلك المخ قد يبدأ العمل ثم يتركه بدون أي سبب خارجي لا في الحال ولا في الماضي بحسب ما نعلم ، بل بمحض الارادة والاختيار ، وإن عارض ذلك كثير من الفسيولوجيين

فالحق أن الارادة وحرية العمل هي أكبر خواص الاحياء وهي أعظم ما يميزها عن الجماد ، وأما زعم بعضهم أن الاعمال كلها ليست إلا أفعالا منعكسة فهو لا يمكن اثباته ، وما هذا الزعم إلا أثر من آثار التعاليم المادية في نفوسهم

هذا ولما كانت حياة الجسم كله متوقفة على حياة القلب فلا يبعد أن تكون الروح شيئا مستقرا فيه ، ولا يبعد أن تكون من عالم الاثير ، وبموت القلب تنفصل عنه . ولا تقول ان الخلايا الاخرى حية بغير شيء كهذا ، بل تقول ان حياة القلب أو روحه هي أكبرها وأعظمها ، ولذلك قلنا ان روحه هي روح الانسان لأن عليها مدار حياته ، فهي الروح الرئيسة وغيرها تابع لها

واعلم ان القشرة السنجابية للمخ هي مركز الشعور العام والارادة والتعقل وان كان لكل الخلايا الحية مثل هذه الصفات إلا أنها فيها في الحالة الاثرية ، كما أن الانقباض هو من خواص الخلايا الحية كلها ولكنه في خلايا العضلات أظهر منه في غيرها ، وهكذا يقال في سائر الخواص الاخرى للحياة

وهناك علاقة كبرى بين قوة المخ فيما ذكر وبين حجمه ، وإذا قارنا وزنه بوزن الجسم كله وجدنا أن مخ الانسان أكبرها بالنسبة الى جسمه . أما أن أكبر الانخاخ على الاطلاق فهو مخ النيل والخوت

ثم إنك تجد أن مخ الذكي أثقل من مخ البليد والابله ، ومخ الرجل أثقل من مخ المرأة ، وقل مثل ذلك في الراقي في العلم والادب مع المنحط ، ألا ما يستثنى من ذلك وكذلك كثرة التلافيف في القشرة السنجابية وتعقد تعاريجها وعمق الميازيب التي بينها كلها أشياء تختلف باختلاف القوى العقلية فهي تكثر في الانسان وتقل أو تنعدم في الحيوانات التي هي دونه رقيا . وعند ولادة الطفل يكاد المخ يكون غفلامها

ثم تكثر الى زمن الشباب والسكرورة وبعده تقل تدريجيا حتى تقارب في أرذل العمر شكل مخ الاطفال

ويلي مخ الانسان في كثرة التلافيف وتعقدتها مخ بعض أنواع القرودة ففي المخ روح الادراك والشعور وفي القلب روح الحياة ، ولا يبعد أنهما أجزاء من روح واحدة. وهذه الروح في الاحياء ذات الخلية الواحدة (وتسمى الاولى) موزعة على جميع أجزائها بالتساوي وكلما ارتقينا في سلم الاحياء وجدنا أنها موزعة على الجسم بدرجات متفاوتة كما ترى في الانسان ، والله أعلم (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

المجموع الدوري للدم

ليس الدم في أجسام الحيوانات واقفا بل هو دائر فيها والله في ذلك حكمتان رئيستان ، عليهما مدار حياة الحيوان : —

(أولها) توزيع المواد الغذائية وغيرها كالأدوية على جميع أجزاء الجسم وكذلك توزيع الأكسجين الذي هو ضروري للاحتراق الداخلي (التفاعل الحيوي) (وثانيتهما) حمل جميع المواد المتخلفة عن التفاعل الحيوي الى الأعضاء المختصة بإخراجها من الجسم لضرر بقائها فيه كالكليتين . ومن ذلك أيضا حمل ثاني أكسيد الفحم الى الرئتين لإخراجه الى الهواء

والاعضاء المختصة بحركة الدم هي القلب والشرايين والاعوية الشعرية والأوردة أما القلب فهو جسم مخروطي الشكل موضوع في الصدر بين الرئتين على الحجاب الحاجز وقاعدته الى الجانب الأعلى الأيمن ، وقته الى الأسفل الأيسر ، وهو محاط بغلاف مصلّي يسمى بالشغاف ويسميه الأطباء المتأخرون من العرب بالثناور وفي القلب أربع غرف اثنتان علويتان واثنتان سفليتان ، فالأوليان تسميان أذنين والأخريان تسميان بطينين

أما الأذنين الأيمن ففيه ينفتح (الاجوف الأعلى) و(الاجوف الأسفل) وهما وريدان عظيمان يجتمع فيهما الدم من الجسم كله

ومن البطين الايمن يخرج شريان كبير يحمل الدم الى الرئتين
وفي جذر الأذين الايسر أربع فتحات لأربعة أوردة : اثنان منها آتيان من
الرئة اليمنى، واثنان من الرئة اليسرى

ومن البطين الايسر يخرج شريان عظيم يسمى بالافرنجية Aorta
(أورطى) وبالعربية الأبهري وهو أكبر شريان في الجسم يحمل الدم في فروعه
الى جميع أجزاء الجسم

وبين الاذين الايمن والبطين الايمن فتحة لها صمام (غطاء) يسمح
بمرور الدم من الاولى الى الثانية ولا يسمح بالعكس
وبين الاذين الايسر والبطين الايسر فتحة لها صمام أيضا ولكنها أصغر من
الفتحة المتقدمة ووظيفتها كوظيفة تلك

وكل من الشريان الرئوي والابهري له ثلاث صمامات تسمح بمرور الدم من
القلب الى الشريان ولا تسمح بالعكس

وأعظم أمراض القلب هي التي ينشأ عنها تلف هذه الفتحات بحيث تضيق
عن المعتاد أو تسمح برجوع الدم الى عكس المجرى الطبيعي

والقلب ينقبض من أعلى الى أسفل فينقبض أولا الاذنان فيندفع الدم منهما
الى البطينين . ثم ينقبض البطينان فيندفع اندم منهما الى الشريان الرئوي من الجهة
اليمنى للقلب ويندفع الدم الى الأبهز من الجهة اليسرى للقلب

وإذا اجتمع الدم الفاسد في الاوردة سار الى الاجوف الاعلى والاجوف
الاسفل وانصب في الاذين الايمن ومنه الى البطين الايمن ومنه الى الشريان
الرئوي فالرئتين لينصلح هنالك (بخروج ثاني أكسيد الفحم منه ودخول
أكسجين فيه من الهواء) ثم يعود الدم من الرئتين في الاوردة الاربعة التي تصب
في الأذين الايسر ومن الاذين الايسر يندفع الدم الى البطين الايسر ومنه الى
الابهري (الاورطى) ومن الابهري يوزع على جميع أجزاء الجسم كافة فيحمل اليها
دما صالحا . وتنتهي جميع فروع الابهري بعروق دقيقة جدا يتصل بعضها ببعض كشبكة
وهذه العروق هي المسماة بالشعرية تشبيها لها بالشعر وينشأ منها أوردة صغيرة

(وهي العروق التي يتجمع فيها الدم الفاسد بعد مروره على جميع أجزاء الجسم ولونه أسود) وهذه الاوردة الصغيرة يجتمع بعضها ببعض فيتألف منها أوردة أكبر فأكثر حتى تنتهي الى الاجوف الاعلى والاجوف الاسفل وهما أعظم وريدين في الجسم ومن ذلك يعلم أن الشريان هو العرق احامل للدم الصالح، والوريد هو العرق احامل للدم الفاسد، وهذه التسمية صحيحة في الجسم كله ماعدا الشريان الرئوي فإنه يحمل دما فاسداً، وماعدا الاوردة الاربعة الرئوية فإنها تحمل دما صالحا، ولذا رأى المشرحون تعريفاً آخر أصح، وهو أن الشريان هو كل عرق يحمل الدم الخارج من القلب، والوريد كل عرق يحمل الدم الذاهب الى القلب بقطع النظر عن صلاحه أو فساده

ومما تقدم يعلم أن الدم في دورته في الجسم كله لا يخرج مطلقا عن العروق (الشرايين والاعوية الشعرية والاوردة) الا اذا أصابها حادث تمزقت بسببه فيخرج اذاً منها وينسكب حولها ويسمى ذلك بالرض أو الكدمة ^(١) وهو الزرقه التي تشاهد في الجسم عند ضربه أو اصطدامه بجسم صلب

ويستثنى من ذلك موضعان ليس فيهما أوعية شعرية فيسير الدم من الشرايين الى تجاويف فيهما ومنها الى الاوردة وهما الذك والطحال، وانصباب الدم في هذه التجاويف بكثرة في الذك تحدث انتصابه

أما الاشياء الصالحة التي في الدم فتخرج مع مائة الدم من خلال جدار الاعوية الشعرية لتغذية جميع خلايا الجسم

وأما الكريات الدموية فهي التي تبقى دائماً في داخل العروق الا في الاحوال الاتهابية . والمواد المائية الخارجة من الاعوية الشعرية تفعل ذلك بطريقة الاسموز الذي سبق بيانه في علم الطبيعة

عدد ضربات القلب والنبض

انقباضات قلب الانسان تبلغ في الدقيقة الواحدة نحو ٧٠ أو ٧٢ مرة في الذك،

«١» الرض لغة الدق والكدم العض، وفي اصطلاح أطباء هذا العصر يطلق الاول على النزف تحت الجلد من الاعوية الكبيرة والثاني عليه من الاعوية الصغيرة

ونحو ٨٠ في الأثني، وهي في الأجنة والأطفال أكثر منها في غيرهم، وتقل في الشيوخ، وقد تزيد هذه الانقباضات في كثير من الأحوال كما في الخوف الشديد وفي الحيات وغير ذلك، وقد تكون هذه الانقباضات أو ضربات قليلة في بعض الأشخاص بدون مرض، وهي تضعف في بعض الأمراض وخصوصاً قبيل الموت. والدورة الدموية تتم في أقل من نصف دقيقة

وكما انقبض القلب اندفع الدم منه إلى الشرايين فيحدث فيها امتلاء فجائياً وهو المسمى بالنبض وهو الذي يحسه الطبيب فوق الرسغ وغيره لمعرفة حالة ضربات القلب، والنبض لا يشعر به عادة في الأوردة لأن قوة الضغط إذا وصلت إلى الإوعية الشعرية التي بين الشرايين والأوردة تكون قد قلت حتى لا يشعر الإنسان في الأوردة بضغط جديد متكرر كما في الشرايين. وعدد مرات النبض في الشرايين تعادل تماماً مرات ضربات القلب وتحدث بعدها مباشرة إلا أنها في الشرايين البعيدة تتأخر فترة قصيرة جداً عن ضربات القلب

الدم

يوجد في جسم الإنسان عادة $\frac{1}{10}$ من وزن جسمه دماً، فيكون القدر الذي في جسم الكهل المعتاد من ٥ إلى ٦ لترات من الدم. وهو سائل أحمر اللون غليظ يتركب ميكروسكوبياً من قسمين: الأول الكريات، والثاني ماء الدم وهو المسمى بالافرنجية (Plasma)

أما الكريات فهي نوعان: كريات حمراء وهي عبارة عن غشاء رقيق ممتلئ بمادة حمراء زلالية فيها جزء من الحديد تسمى «الهيموجلوبين» ويختلف شكل هذه الكريات الحمراء باختلاف الحيوانات: ففي ذوات الثدي تكون أقراصاً مستديرة مقعرة من الجانبين ولا نواة لها، ماعدا الجمال فإن كراتها محدبة من الجانبين وهو الفرق الوحيد بينها وبين الحيوانات الأخرى الثديية

أما في الطيور والزواحف والأسماك وذوات الحياتين وهي التي تعيش في الهواء والماء^(١) «١» تسمى باليونانية وغيرها Amphibia ومعنى «كلتا» وBios «حياة» وهي تعيش في البر والبحر

كالضفادع فكرياتها جميعا بيضاوية الشكل محدبة من الجانبين ولها نواة. وحجم هذه الكريات كلها يختلف باختلاف الحيوانات. وأعظم منشأ للكريات الحمراء هو العظام الاسفنجية كما سبق وخصوصا عظام الضلوع وهي أهم مصدر لها وأما الكريات البيضاء فهي خلايا حيوية ولها نواة واحدة أو أكثر وحركة ذاتية بحيث يمكن أن تنتقل من مكان الى مكان بنفسها، وهي تنشأ من الغدد اللمفاوية ونحوها كالطحال. وأعظم وظيفة لها أنها تقتل الميكروبات وتكافئ الدم منها فإذا أصاب جزء من الجسم عارض أحدث فيه التهابا ودخل فيه بعض الميكروبات أسرع هذه الكريات البيضاء اليها فالتصقتها وقتلتها فان تغلبت الميكروبات مرض الجسم وان نجحت الكريات في قتلها وقت الجسم من شر هذه الميكروبات، وما يموت منها في أثناء هذا القتال يتجمع في موضع الالتهاب مختلطا بغيره ويسمى بالمدة أو الصديد، فأكثر كريات المدة عبارة عن شهداء هذي الحرب أي كرات بيضاء ميتة أما عدد الكريات الحمراء في الجسم فهو ٥ ملايين كرية في كل ملليمتر مكعب من الدم تقريبا، وأما البيضاء فهي من سبعة آلاف الى عشرة. وسيأتي في فصل التنفس الكلام على وظيفة الكريات الحمراء.

وإذا خرج الدم من العروق تجمد، وتجمده يحصل هكذا :-

ينفصل من مائة الدم مادة تسمى الفبرين أو الليفين لأنها كخيوط الليف فتحيط هذه الالياف بالكريات البيضاء والحمراء وتنقبض عليها وتكون اجزاء المتجمد الذي يسمى بالعريية العلقية^(١) (Clot) وما بقي من ماء الدم يسمى المصل وفي الدم مواد زلالية وسكر (جلوكوز) وأملاح عديدة ومواد دهنية وماء وغير ذلك، أما مائة الدم اذا خفت بماء أكثر أو قل زلالتها فتسمى اللف

ومما تقدم يعلم أن الدم في دورته يحمل معه جميع المواد المغذية التي يحتاجها الجسم، وكذلك يأخذ معه من الجسم المواد النافعة التي تخلفت عن الاحتراق الجنائي ليوزعها على الاعضاء المختصة باخراجها من الجسم كالجلد والكليتين. وأهم هذه

« ١ » يسمى أول طور من أطوار الجنين أيضا بالعلقة لانه مركب من عدة خلايا « كريات » ناشئة من انقسام البويضة وتكون قطعة جامدة كعلقة الدم

المواد الثاقفة البولينيا وحامض البوليك والكرياتينين وغير ذلك

حكم تحريم شرب الدم في الشرائع الالهية

(أله) أن الدم عسر الهضم جدا حتى انه اذا انصب جزء منه في المعدة تقاياه الناسن أو يخرج مع البراز بدون هضم على صورة مادة لزجة سوداء والسبب في عسر هضمه هذا هو وجود المادة الحراء الحديدية التي فيه . وفي أثناء مرور الدم في القناة الهضمية يتحلل ويتعفن وبذلك يضر الجسم أيضا . ومثثلة عسر هضمه المذكورة هنا مشاهدة كثيرا كلما انصب دم في المعدة بسبب جرح أو غيره

(ثانيه) أن الدم - كالمسوق - يحمل كثيرا من المواد المتخلفة عن الجسم وهي فضلات له فلا يصح اعادتها اليه مع أن الطبيعة اقتضت خروجها منه ، نعم قيل أن البولينيا نافعة في السل الرئوي ولكن ذلك لم يثبت الى الآن وهي ليست موجودة وحدها بل معها أشياء أخرى ضارة

[ولعله اذا ثبت ان البولينيا نافعة يكون ذلك احد أسباب شرب العرب بول الابل وهو يختلف بعض الاختلاف عن بول الحيوانات آكلة اللحم . فلماذا ربما كان نافعا في بعض الامراض كما ورد في بعض الاخبار النبوية وأعظم اختلاف بين هذا البول وبين الأبول الأخرى أنه هو وغيره من أبوال آكلات النباتات قلوي التأثير مشتمل على كثير من الكربونات وهي لاشك نافعة للمعدة وغيرها ، مدرة للبول]

(ثالثها) انه في كثير من الامراض العفنة المعدية يوجد في الدم ميكروبات ضارة جدا وكذا سموها القتالة فانها تدور في الدم . فان قيل لم لا يطبخ الدم ويؤكل بعد قتل هذه الميكروبات بالغلي ؟ قلت (١) إن الغلي يجمد جميع المواد الزلالية التي في الدم وبذلك تصير أشد عسرا مما كانت (٢) إن من هذه السموم ما لا يتغير بالغلي تغيرا يجعلها صالحة للجسم (٣) إن بعض الميكروبات اذا تجمدها حولها من المواد الزلالية التي في الدم وقتها من فعل النار لانها موصلة رديئة للحرارة ، وأيضا فان حبيبات (أي يزور) الميكروبات تقاوم درجة الغليان بضم دقائيق فاذا لم تمت نمت في جسم آكل الدم وأمرضته

أما حقن دم اليمين في وريد الإنسان ففيه أنه قد ينقل لمض إليه، أو يجمد الدم في عروته، فإن التقيح هذا وذلك بالدرق عنمية تحت كريات الدم الحمراء لاختلاف كثافة الدمين ولغير ذلك ونزلت حمرة الدم في البول وذلك ضياع له . ولذلك لا يحقن الأطباء الآن الدم ويحقنون عادة محلول ملح الطعام . على أن حقن الدم خارج عن موضوع التحريم

اللف والاعوية المفاوية

إذا خرجت مائة الدم من الاعوية الى أنسجة الجسم عادت الى الدم ثانية بطريق الاعوية المفاوية وهذه الأعوية عبارة عن قنوات دقيقة شعرية منتشرة في جميع أجزاء الجسم وفيها صمامات عديدة فتحمل جميع مائة الدم التي خرجت منه وتعيدها اليه

أما هذه المائة المخففة^(١) والمائة لجميع أجزاء الجسم فهي المسماة (بالمادة المفاوية) و«لفا» كلمة لاتينية معناها الماء

وجميع الاعوية المفاوية التي في الذراع الايمن ونصف الصدر الايمن وما حوى ونصف الرأس والعنق الايمن وأعلى سطح الكبد كلها تجتمع وتصب في قناة واحدة تسمى «القناة المفاوية اليمنى» وهذه تصب في أحد الاوردة التي في داخل الصدر من أعلى اجانب الايمن

أما الاعوية المفاوية الباقية فتصب في قناة أخرى عظيمة تسمى «القناة الصدرية» وهي أيضا تصب في أحد الاوردة في أعلى الصدر من الجهة اليسرى ويوجد في طريق جميع هذه الاعوية المفاوية غدد من مادة مخصوصة تسمى «الغدد المفاوية» ووظيفتها تكوين كريات بيضاء للدم وتصفية جميع المادة المفاوية المارة بها من كل ما فيها من الميكروبات وغيرها ، فاذا أصاب أحد أصابع اليد جرح مثلا فسد بسبب وجود ميكروبات فيه أحسن الإنسان بانتفاخ وألم في إبطه ،

(١) نظرا لمرور المواد الزلالية خلال الأغشية بطريق الاسموز - كما سبق بيانه - كانت هذه المائة مخففة لقلة الزلال فيها لذلك السبب

وذلك ناشئ من كبر حجم هذه الغدد وانفعها انفعالا شديدا لقتل الميكروبات
الواصلة اليها ، فان تغلبت عليها ولا تحوات الى خراج بسبب موت كثير من
الكريات البيضاء التي فيها من عراكها مع الميكروبات كما سبق
وهذه المادة اللعفاوية تندفع نحو القلب بسبب ضغط المواد اللعفاوية المتجددة
خلفها ، وبسبب حركات العضلات ، وأيضا بسبب انقباض بعض هذه الاوعية
اللعفاوية على ما فيها وغير ذلك . ويمنع رجوع هذه المادة الى الانسجة ما في هذه
الاعوية من الصامات العديدة

ويوجد في بعض الحيوانات التي تحت رتبة الانسان (وهي الواطئة)
كالضفادع مثلا قلوب لتحريك هذه المادة اللعفاوية كقلب الدم الموجود في
الانسان وغيره
دم الحيض

ينشأ دم الحيض من تمزق في أوعية الدم الموجودة في الغشاء المخاطي المبطن
للرحم في كل شهر قري مرة على الغالب ويختلط هذا الدم في أثناء نزوله بمواد
مخاطية وأحماض وغير ذلك من مفرزات الرحم وغيره . ولا يعلم سبب هذا التمزق
الشهري الى الآن . ومن ذلك يفهم انه ليس دما صافيا تقيا بل مختلطا بمفرزات
الرحم والمبيضين وغيرهما . وتأثيره في ورق عباد الشمس يدل على حموضته
وانما حرم الجماع في زمن الحيض للأسباب الآتية : —

- (١) إن تهيج أعضاء الانثى بالجماع في هذا الوقت قد يحدث احتقانا فالتهابات
رحمية أو مبيضية أو حوضية تضر بصحتها ضرارا بليغا . وربما نشأ عن هذا
الالتهاب تلف في المبيضين أو مجاري البويضات يؤدي الى العقم . وأيضا فان تعريض
الانثى للهواء في هذا الوقت يضر بأعضائها الداخلية وقد يحدث فيها التهابا
 - (٢) إن دخول مواد الحيض في مجرى قضيب الرجل قد يحدث فيه التهابا
صديديا في بعض الاحيان ، وهذا الالتهاب يشبه السيلان ، وقد يمتد الى الخصيتين
فيؤذيهما وربما نشأ عن ذلك أيضا عقم الرجل
- فجملة القول ان الجماع في الحيض قد يحدث عقما في الذكر والانثى ويؤدي الى

التهاب أعضائهما الذي يفسد محتتهما . وكفى بذلك ضرر . ولذلك تهب أطباء العالم المتمدن الآن يهنون عن الجماع في ذلك الوقت كما نهى القرآن عنه فإنه لا شك أذى للرجل والاثني

النزف والنزيف

النزف معناه خروج الدم من أوعيته (الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة) والنزيف هو الدم المنزوف . والنزف ثلاثة أنواع : —

(١) نزف الى خارج الجسم كأن ينصب الدم على الارض مثلا
(٢) نزف في تجاويف الجسم كأن ينصب في البطن
(٣) نزف في داخل الانسجة كأن ينصب تحت الجلد أو في العضلات
وهذا النوع الاخير هو المسمى بالرض أو الكدم كما سبق
وسبب النزف هو تمزق العروق بسبب ما كحادث يقطع العرق أو مرض يفجره كالدرن أو الزهري أو مرض القلب

أما النزيف الذي يكون خارج الجسم أو في تجويف من تجاويفه فالغالب أنه ينتهي بالموت اذا كان غزيرا بشرط أن لا يعوقه عائق يسد العرق الذي يخرج منه الدم ، ففي هذه الحالة لا يموت الشخص وإنما يصاب بدوار شديد واصفرار . وبعد ذلك تعود اليه صحته شيئا فشيئا كما تجدد دم بدل الجزء المفقود

وأما النوع الثالث وهو الذي ينسكب في أنسجة الجسم فهذا في الغالب لا يورث ضررا كبيرا لان كمية الدم تكون عادة قليلة بسبب ممانعة أنسجة الجسم للنزيف ، وقد يحدث في مكان الدم خراج

أما في الحالة الاولى والثانية فإذا تقدم كثير من الجسم اشتد الدوار والاصفرار كما قلنا ، ويصاب الانسان بما يسمى في علم الطب بالهبوط (أو الهمود) فيغى عليه ويضعف نبضه ، ويصاب الجسم بعرق بارد ، وتبرد الاطراف ، وبعد ذلك يموت الشخص ، وقد يتشجع جسمه قبيل الموت

وأما في النزف داخل الانسجة فيزرق الجلد إذا كان الدم المنسكب قريبا منه ، وبعد بضعة أيام تأخذ هذه الزرقة في التلاشي تدريجيا حتى يعود الجسم كما

كان، وذلك بأن يمتص الدم المنسكب شيئا فشيئا حتى يعود إلى العروق وأن كان منعجلا إلا أنه يترك مرة أخرى في نهاية فون عناصره لا تقدر

المعالجة

إذا قطع عرق انكمش بسبب مرونته وانقبض فيه بسبب الألياف العضلية الموجودة في جداره، فيمتنع بذلك النزف إذا كان العرق المقطوع صغيرا، أما إذا كان عظمي فلا بد من عمل الإنسان لايقاف النزيف وإلا هلك الشخص ويوجد عدة طرق لايقاف النزيف بعضها مؤقتة وبعضها دائمة

أما المؤقتة فتتصرف في الضغط على المكان الذي يخرج منه الدم أو ربط العضو ربطا شديدا، مثال ذلك أنا إذا رأيت رجلا طعن بسكين في ذراعه وشاهدنا دما كثيرا ينزف منه وجب علينا في الحال أن نبعث في الجرح عن مكان خروج هذا الدم ونضغط عليه ضغطا شديدا بإصبعنا أو بيده أو نربط الذراع فوق الجرح ولا يترك الضغط أو الربط حتى يحضر الطبيب لايقاف النزيف بالطرق العلمية، ولا ضرر إذا استمر الضغط بضع ساعات فإن العضو لا يموت من الضغط إلا إذا امتنع عنه الدم فوق أربع أو ست ساعات

وأما الطرق العلمية لايقاف النزيف فأعظمها، وأهمها ما يأتي :-

- (١) أن يمسك العرق المفتوح بجفت مخصوص الذاك (أي مقبض) ^(١) ويربط العرق بخيط من حرير أو نحوه مطبرا تطبرا تاما بالغلي في الماء
- (٢) أن يمسك العرق بالجفت ثم يلوى الجفت عدة مرات حتى ينقطع العرق وبهذه الوسيلة يقف النزف ما لم يكن الشريان عظيما فيفضل ربطه
- (٣) أن يمسك العرق إن كان صغيرا بالجفت ويترك عليه بضع دقائق ثم يرفع الجفت فيقف أيضا النزيف

- (٤) وما يستعمل في الأوعية الشعرية أو الصغيرة جدا هو أن يوضع على مكان النزف قطعة من الثلج أو شيء آخر يبرد فتتكش الأنسجة والعروق فيبطئ النزف
- (٥) أن يوضع على مكان النزف ماء حميم (شديد الحرارة) أو يكوى بشيء محمي

«١» أرى أن الأحسن تسمية مثل هذا المقبض بالحاسم لأنه يقطع الدم

بالنار، وقد كان القدماء يرققون النزيف في الأضراس باليد، ونسبوا إلى النزف
حيناً يغلي، ولكنها طريقة وحشية

(٦) أن يحشي المكان الذي ينبعث منه الدم حشو جيداً بقل أو زبد
ويربط ربطاً شديداً وهذه الطريقة تستعمل كثيراً في إيقاف النزف من الأضراس
الغائرة التي لا يمكن ربط عروقها كإرحم مثلاً

(٧) أن يوضع على الجرح مواد قبضية، أم مسحوقة أو محنونة بلماً أو
بغيره، كالشب و القرض ومغلي الشاي ومغلي قشر الرمان والعنصر وماء الجير
وأما ملاح المعدن كالنديد ونحوه فغير هذا كثير. وهذه الطريقة قد تستعمل
الآن إلا في الأوعية الصغيرة أو الشعرية

(٨) إذا كان النزف من داخل الأحشاء كالرئة أو المعدة يجب أن يساقى
المريض على ظهره ويتمنع عن كل حركة حتى يكمل الكلام ويوضع الثلج على العضو
الذي ينزف منه الدم، يستدعى الطبيب في الحال

وأحسن ما يعطيه الطبيب في مثل هذه الأحوال من مركبات الفين
والجويدار (وهو مادة فطرية تساقية تنمو على نوع من الشجر يسمى الشبيل)
وكلوريد البكاسيوم وغيره، وهذه الأدوية توقف النزف إما بتنعف ضربات
القلب، أو بقبض أوعية الدم، أو بجعل الدم أثرب إلى التجلط كما كان

أما النزف في داخل تجاويف الجسم كالبنان مثلاً إذا تمزق عضو فيه فيعرف
ذلك بحصول هبوط شديد عقب الإصابة مباشرة أو بعدها بقليل، استمرار زل في
جميع الجسم وصفر في النبض، ومعنى ذلك أن يشعر الإنسان مشتمراً بأن الأوعية
الدموية ليست بمتانة بالدم كالعناد، وإذا جسد البطن في مكان الإصابة وجد
فيه اتفاخاً وألماً وأصمية يعرفها الطبيب عند التقرع. وإذا كانت المدة أو الأمعاء
هي المصابة تقاياً الشخص دماً أو وجد في برازه. وإذا كانت الإصابة في السكينة وما
يتبعها بال الشخص دماً

فهذه العلامات وأمثالها تدلنا على النزف الداخلي. فلا سهاف الواجب
في مثل هذه الحالة أن يلتجئ الشخص على الأرض وترفع كل الوسائد من تحت

رأسه وتدفع أطرافه السفلى ويؤمر بالامتناع عن كل حركة حتى الكلام ولا بأس من وضع شيء بارد على البطن اذا كانت الاصابة فيه

ثم يستدعى الطبيب في الحال . ولا حيلة للطبيب في مثل هذه الحالة الا عمل عملية عظمى بأسرع ما يمكن وفيها يفتح البطن وتربط الاوعية النازقة وتحاط جميع الجروح وينظف البطن من الدم الذي انسكب فيه

أما علاج النزف تحت الجلد أو في العضلات فيكون بوضع أشياء مبردة على موضع الاصابة فانها تقبض الاوعية وتعوق النزف أو تمنعه ، واذا لم توجد هذه الاشياء لمبردة فالاحسن ربط العضو فان ذلك أيضا يوقف النزف بسبب الضغط ويجب اراحة العضو المروض كمال الراحة

ومن الخطأ وضع الاشياء الدافئة على المكان المروض والدالك في أول الامر فان ذلك مما يزيد في النزف . ولا بأس من وضع الاشياء الدافئة بعد مضي عدة أيام لمساعدة امتصاص الدم المنسكب

أما علاج البنية بعد ايقاف النزيف فيكون كما يأتي : —

يوضع الشخص بحيث يكون الرأس منخفضا عن باقي الجسم ، ويدفع تدفئة تامة وتذلك أطرافه ، ويستحسن أن تلف بلفائف من أسفل الى أعلى ، والغرض من ذلك كله دفع الدم الى الدماغ فان أعظم أسباب الاغماء بل الموت هو نقصان توارد الدم الى الدماغ ، ثم يعطى كميات كبيرة من المرق أو اللبن أو الماء ليشربه وتعطى له أيضا بعض المنعشات وأحسنها الخمر والقهوة والشاي أو محلول النوشادر المخفف (من ١٠ الى ٢٠ نقطة) أو الاثير (من ١٠ الى ٣٠ نقطة) ويحترس من تصاعد الاثير في الهواء فانه اذا وصلت اليه النار أحدث فرقة عظيمة خطرة وكذلك اذا استنشقه شخص بمقدار عظيم تحصل له غيبوبة تامة

والطبيب في هذه الحالة أن يحقن المصاب تحت الجلد بمادة الاستر كنين (بمقدار مليجرام الى ثلاثة) أو بسترات القهوين أو البنين (بمقدار ربع أو نصف جرام) ويحقن أيضا بمحلول ملح الطعام بنسبة سبعة جرامات ونصف في كل لتر (أي قدر ملعقتين صغيرتين في رطلين من الماء تقريبا) ويحقن برطلين الى ثلاثة فاكثر من

هذا المحلول تحت الجلد أو في الشرج أو في الاوردة . والغرض من هذا الحقن ملء أوعية الدم بسائل بدل الدم المنزوف ليستمر القلب في عمله وليتغذى الدماغ بما بقي من الدم في الجسم ، ويسمى ذلك المحلول بمحلول الملح الطبيعي أو بالمصل الصناعي ويجب الاحتراس من عمل هذه الادوية المنعشة والحقن المائية للعروق قبل إيقاف النزيف بالطرق العلمية السابقة والآ فان النزف يعود ثانية اذا امتلات العروق بالسوائل وانتعش القلب ، ويكون في هذه الحالة أشد خطرا على الشخص

ويقسم النزف باعتبار وقت حصوله الى ثلاثة أقسام : —

(١) ابتدائي وهو الذي يحصل من الإصابة نفسها

و (٢) انتعاشي وهو ان الذي يحدث بعد انتعاش الجسم اذا لم تربط الاوعية

و (٣) ثانوي وهو الذي يحصل بعد مضي ٢٤ ساعة من حصول الإصابة

بسبب أن الطرق التي أجريت لإيقاف النزيف لم تكن محكمة أو كانت عفنة أو كان الشخص مصابا بالزهري أو غيره ، فيفك الخيط الذي ربط به الشريان أو يسقط ، أو يتقرح الشريان المربوط بسبب عدم تطهير الخيط ، أو يحدث غير ذلك أما النزف من الاوردة فانه في الاطراف يكون صادرا من أسفلها الى أعلاها غالبا ، ولا يتدفق تدفق النزف الشرياني ولون الدمين مختلف فالشرياني أحمر والوريدي يميل الى السواد . ويعالج قبل حضور الطبيب بربط العضو من أسفل الجرح لامن أعلاه ، وباقي العلاج هو كما في النزف الشرياني

الرعاف

الرعاف نزف يحصل من باطن الانف وأسبابه عديدة تنحصر في نوعين : —

(١) أسباب عارضية وهي التي تحدث من إصابة الانف بصدمة أو غيرها

تجرعها أو تكسر عظامها

(٢) أسباب مرضية وهي أيضا نوعان :

(أ) موضعية وهي إصابة الانف نفسه بموض كالزهري أو الدرن أو

التهاب غشائها المخاطي التهابا حادا شديدا (وهو المسمى بالزكام)

و (ب) عمومية وهي كثيرة منها أمراض الدم كلاسكربوط^(١) والارجوانية
(مفرودة)^(٢) والصفرى الانيميا وبعض سميت غفنة (مثل الخى الراجعة)
وكذلك ضرب قلب والسكبد والكل

وقد يحصل رعاف في الاطفال ونفتيان ونفتيات ولا يعلم له سبب سوى رقة
شجرة جسمه فكثير ما تشهد بعض بنت في سن البلوغ يحصل لها رعاف
كثير ويتكرر ذلك عدة سنين حتى اذا كبرت زال من نفسه

وهي جميع تلك الاحوال السابقة سواء كانت موضعية أم عامة يحصل
النف تررق لمرتين^(٣) ورية صغير في غشاء الانف الباطن له. ويكثر تمزق عرق
صغير يشاهد في الجزء الامامي للأسفل من الجوزين المنخرين

المعالجة: تختلف باختلاف سبب النزيف - ففي رعاف العادي للطفل
وتشبهن يجلس الشخص وترفع ذراعه حتى تكون أعلى من رأسه ويوضع الثلج على
قفاؤه ويستنشق الماء البارد أو تمر محلوله بضم كاشب أو مغلي اشاي باردا وغير
ذلك كثير، فن تعاض رعاف بعد ذلك يحقن راعف بشي قليل من خلاصة الجو يدار
تحت الحنك أو يحشى الانف حشوا جيدا بالموصلي (شاش) المغموس في شي قبض
كالدمعول^(٤) أو الشب وغيره اذا لم يوجد شي من ذلك وكان النزف من
جزء قريب أمكن إيقافه بالضغط على الانف نفسه أو بإدخال قطعة من القطن
بجفت أو نحوه والضغط بها على العرق النازف

(١) الاسكربوط مرض يحصل من عدم أكل النباتات والخضروات أو أكل
الاشياء المتعفنة واعراضه ضعف دم وتقرح في اللثة ونزف من أجزاء كثيرة من الجسم
وفي منسوجها

(٢) مرض يشبه الاسكربوط ويختلف عنه بعدم تقرح اللثة وقلة فساد
الصحة وبسببه وغير ذلك

(٣) مادة مطهرة قابضة صفراء، وهي تحت عفصات الزموت. والكلمة
يونانية معناها الجلد لنفع هذه المادة في بعض أمراضه

جهاز التنفس

الغرض من التنفس دخول هواء صالح الى الرئتين ليتحد أكسجينه بالدم فيها فينصلح بذلك ويخرج بعض أشياء ضارة منه أهمها غاز ثاني أكسيد الفحم فاذا دار الدم في الجسم حمل إليه هذا الأكسجين فانه ضروري جدا للاحتراق اللازم لحياة الجسم
ومجري الهواء هي الأنف ثم الحلق ثم الخنجرة ثم القصبة الهوائية ثم الشعبتين ثم الشعب الكبيرة ثم الشعب الصغيرة ثم التجاويف القمعية والخلايا الهوائية أو الحويصلات الرئوية

وانما بدأنا بالأنف لانه هو المسلك الطبيعي للتنفس لا الفم ، وذلك لان في الأنف شعرا ينقي الهواء من بعض قاذوراته وميكروباته، وفيه أيضا أجزاء مخصوصة ممتلئة بالدم فتسخن الهواء قبل وصوله الى الرئتين، أما إذا كان التنفس من الفم فان الهواء يكون حاملا لكثير من الميكروبات والقاذورات الضارة بالرئتين وبالجسم كله، ولا يسخن الهواء بمروره من الفم كسخنوته اذا مر بالأنف فيكون أبرد فيحدث سعالا اذا وصل الى الرئتين أو التهابا في الخنجرة أو الشعب الرئوية
ولذلك يجب حتما تعويد الناس عدم التنفس إلا من الأنف خصوصا وقت نومهم في الليل

أما الحلق أو الحلقوم فهو تجويف متصل بالأنف والفم والخنجرة والمريء (البلعوم) وموضعه خلف تجويف الفم ويمر به الطعام والشراب وهواء التنفس
وأما الخنجرة فهي جهاز الصوت وموضعها في أسفل الحلقوم وفي الجزء الامامي من العنق، وهي محاطة بغضاريف تحمل جيلين يسميان «الجيلين الصوتيين» وهما أقصر في النساء منها في الرجال ، وينتهيما فتحة ضيقة لمرور الهواء منها ، وفي أعلاهما قطعة كاللسان تشبه الغطاء تسمى «لسان المزمار» تساعد على منع دخول أي شيء في الخنجرة أثناء البلع

والجبلان المذكوران هما اللذان يحدثان الصوت بسبب اهتزازهما اذا اندفع الهواء من بينهما، ويتنوع الصوت بمروءه في تجويف الخلق والفم والأنف. والكلام عبارة عن تقطيع هذا الصوت المتولد من اهتزازهما، فيتمقطع بالشفيتين واللسان وغيرهما. وهذا الاهتزاز يحدث تماوجا في الهواء ^(١) يتصل الى طبله الاذن فيسمعه الانسان وتجذ في أسفل الخنجره اقصبه الهوائية وهي منفصلة عن المريء انفصالا تاما وتمتد من الفقرة الخامسة العنقية الى نقطة امام الفقرة الثالثة الطهرية وهناك تنقسم الى قسمين لكل رئة قسم، وهما الشعبتان

وكل شعبة منهما تمتد الى الرئة وتنقسم الى عدة أقسام وكل قسم الى أقسام أخرى كالشجرة، الى أن تنتهي بشعب صغيرة جدا وهذه الشعب الصغيرة تنتهي بتجاويف صغيرة قمعية الشكل، وهي المسماة بالتجاويف القمعية، وفي حيطان هذه التجاويف أبواب للخلايا الهوائية أو الحويصلات الرئوية، ومن هذه الابواب مايوصل الى خلية واحدة، ومنها مايوصل الى عدة خلايا مجتمعة معا وهو الاكثر وجميع المجاري التنفسية مبطنة بغشاء مخاطي، لخلاياه السطحية أهداب (ماعداء الحويصلات والتجاويف القمعية) تتحرك من أسفل الى أعلا، ووظيفتها طرد ذرات التراب وغيره الى الخارج. ومن التجاويف القمعية تتكون فصيصات الرئة

وصف الرئتين

الرئة اليسرى مكونة من جزئين عظيمين يسميان الفصين، واليمنى مكونة من ثلاثة فصوص كبيرة، وهذه الفصوص مركبة من الفصيصات المذكورة وكل رئة مغطاة بغشاء مضلي يسمى «البليورا» كأنه كيس مختوم من جميع جهاته أنبعج بدخول الرئة فيه، ولذلك يغطي سطحها بطبقة منه والطبقة الاخرى تغطي الصلوع. والبليورا كلمة يونانية معناها الجنب أما الدم فيصل الى الرئتين بواسطة الشريان الرئوي الذي سبق ذكره وهناك

(١) لا بد لانتقال الصوت من وسط مادي غير الاثير يجري فيه، ولذلك لا يسمع الصوت في الفراغ فلا ينتقل من كوكب الى كوكب كالنور، وهو أسرع سيرا في الجامد منه في السائل وفي السائل منه في الغاز

ينقسم الشريان الى عدة فروع حتى تصير شعرية وهذه الاوعية الشعرية منتشرة في
 حيطان جميع اخويصلات الرئوية وتتجاويف التمعمية وليست متصلة بالهواء وانما
 يصل إليها الاكسجين ويخرج منها غاز ثاني أكسيد الفحم وغيرهما بطريقة
 الاندوسموز والاكسوسموز وقد سبق تفصيلهما (في صفحة ٢٤ من هذا الكتاب) *
 فاذا انقطع ما بين الدم الذي في هذه الأوعية الشعرية والهواء حدث نزف رئوي
 واعلم أن الرئتين في الصدر كأنهما في صندوق مغلق من جميع جهاته ما عدا
 فتحة واحدة وهي الخنجرة المتصلة بالفم والأنف. وليبان كيفية حصول التنفس نقول:
 اذا فرض أن هذا الصندوق كان كيسا من جلد أو نحوه وشدت جوانب هذا
 الكيس حتى اتسع تحويفه دخل الهواء بقوة الضغط الجوي ليملا هذا التجويف
 المستعبد فاذا حال بينه وبين أمام غرضه شيء آخر تمدد أمام الهواء والا انفجر
 وهذا هو عين ما يحصل في الصدر فانه يتسع فيدخل الهواء إلى الرئتين فيمددهما في
 أثناء الزفير (وهو جذب الهواء الى الصدر) فاذا انتهت حركة الزفير عادت الرئة
 الى حجمها الاصلي بسبب مرونتها فخرج الهواء منها ويسمى خروجه منها بالشهيق
 كيفية تمدد الصدر واتساعه

اعلم أن الضلوع متصلة بالعمود الفقري من الخلف ومتجه كل منها الى الامام
 والاسفل فاذا انقبض ما بينهما من العضلات ارتفعت هي والقص فاتسع بذلك
 تجويف الصدر من جميع جوانبه

وهناك عضلة شبيهة بفصل الصدر عن البطن تسمى «بالحجاب الحاجز» وهي
 مقعرة من أسفلها ومحدبة من أعلاها كالقبة

فاذا انقبضت هذه العضلة تحول تقعرها الى مسطح ونزلت الى البطن فضغطت
 على الاحشاء كالكبد والطحال والمعدة، وبذلك يتسع الصدر في قطره الرأسى
 ومما تقدم يفهم أن الصدر في التنفس يتسع من جميع جهاته بارتفاع الضلوع
 وبانخفاض الحجاب الحاجز فيضغط الهواء - كما قلنا - على الرئتين فيتسعان أمامه
 فترى من هذا أن الرئتين لا تتسعان بنفسهما بل بحركة الصدر، فاذا فرض

(*) أي ما يطبع منه على حدة

أن الصدر اخترق من أحد الجنبين مثلاً بطل عمل رئة هذه الجهة لدخول الهواء من الخرق . فإذا اخترق الجنبان مات الشخص في الحال بانطباق الرئتين وبطلان التنفس وحركة التنفس هذه وإن كانت تابعة للإرادة إلا أن لها أعصاباً تفعلها بدون إرادة الإنسان أو علمه ، ومركز هذه الاعصاب في « البصلة أو النخاع المستطيل » وهي الجزء الذي بين النخاع الشوكي والمخ ويسمى هذا المركز بمركز الحياة. وتنبعث إليه منبهات من أجزاء كثيرة من الجسم كالجلد والرئتين نفسيهما وغير ذلك، وتنعكس جميع هذه المنبهات في هذا المركز فتجري في الأعصاب المحركة لعضلات الصدر. ولذلك نرى أنه إذا صب الماء البارد على الجسم اشتدت حركة التنفس وكذلك إذا مس الهواء جسم الطفل المولود ابتداءً تنفسه

أما الذي يحمل مركز التنفس على العمل الدائم في الحالة الطبيعية فأمران :-
(١) حالة الدم، فإذا كثراً أكسجينه استراح المركز من العمل، وإذا زاد في الدم غاز ثاني أكسيد الفحم تهيج المركز للعمل. وقيل إن الذي يهيجه هو نقص الأكسجين من الدم. وهذا القول الأخير هو الراجح الآن عند علماء الفسيولوجيا
(٢) تمدد الرئتين بالهواء يحمل هذا المركز على إيقاف عمله فتقضي العضلات، وارتخاء العضلات الذي يتبعه هبوط الرئتين يحمل المركز على العمل فتقبض عضلات التنفس وهلم جرا

وهذا وما قبله هو السبب في حصول التنفس ولو كان الإنسان نائمًا أو نخذراً بالكلوروفورم أو غيره

ومما تقدم يفهم معنى الحديث القائل « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً قتل أطعاه وثلت لشرا به وثلت لنفسه »

فإن امتلاء المعدة يعوق نزول الحجاب الحاجز ويضغط عليه وعلى القلب وبذلك يحصل عسر في التنفس وضيق في الصدر وخفقان في القلب
أما عدد مرات التنفس في الدقيقة الواحدة فيختلف من ١٤ إلى ١٨ مرة في الشبان ، وحركة التنفس تختلف في الأطفال عنها في الرجال وفي النساء، ففي الأطفال

يحصل تنفسهم على الأكثر بنزول الحجاب الحاجز فيضغط على الأحشاء وبذلك يرتفع البطن ويسمى هذا الضرب من التنفس « بالتنفس البطني » أما في الرجال فأكثر حركة التنفس تشاهد في الجزء الأسفل من الصدر مع بروز البطن أيضاً وفي النساء تشاهد الحركة على الأكثر في الجزء العلوي من صدورهن ويختلف أيضاً عدد مرات التنفس باختلاف الأعمار وبالراحة والتعب وبالصحة والمرض، فيكون في الصغار وفي الحيات وغيرها أكثر، وكذا بعد التعب الجسماني أو الانفعال النفساني (يتبع)

الحق والقوة^{*}

وبحث فلسفي عنهما بمناسبة الحرب الحاضرة

أودرس ضروري لنا نحن السوريين

خصوصاً والشرقيين عموماً

الجنرال فون برنهاردي قائد مجرب له مكانة سامية في الجيش الألماني كما أنه عالم طبيعي شهير له مصنفات شتى في علم الأحياء (بيولوجيا) يرجع إليها ويستقى منها. وقد أصدر هذا الجنرال كتاباً في سنة ١٩١٣ دعاه « المنطق والمبادئ في الحروب » ضمنه آراءه في الحرب وجوب الالتجاء إليها عادة أياها فضيلة، فكان هذا المؤلف موضوع الأحاديث في الأندية العلمية والسياسية في العالم بأسره وزادت أهميته بعد إعلان الحرب العسكرية الحاضرة لأن كثيراً من الأعمال الألمانية فيها أتت مصداقاً لما ورد في ذلك الكتاب — كأن أركان حرب ألمانية كلهم هم الذين انشأوه لا فرداً واحداً من قوادهم

ولما كثرت المجالات العلمية والسياسية من البحث في هذا الكتاب وتعاليمه تصدرت مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة لنقده فنشرت مقالة بليغة مسبهة في عددها الأخير عنوانها « الحق والقوة » أردنا تعريبها والتعليق عليها لأننا نحن الشرقيين صرنا أحوج أمم الأرض إلى تعاليم الجنرال فون برنهاردي وأشدهم افتقاراً إلى من (*) نقل عن جريدة الأفكار التي تصدر في البرازيل (٩٠٢٥٤)

يذيعها بيننا بعد ان شعبنا من التعاليم الاكبريكية والمبادئ الخيالية التي اذلينا
وغير عز ، واقفرتنا وغيرنا اغنى ، واضعفتنا وغيرنا قوي وافلح .

قالت مجلة القرن التاسع عشر :

اشتهر كتاب الجنرال فون برنهاردي الاخير لانه لم يتضمن ابحاثا سياسية فقط
بل تضمن ايضا ابحاثا فلسفية وعمرانية واجتماعية تشهد له باخراة وطول النام . وانا
في نقدنا فلسفة الاجتماع ومبادئها الواردة في ذلك الكتاب نحصر كلامنا فيها له
علاقة بالحرب الحاضرة من تلك المبادئ . وايضا حالما نحن بصدد الان نشر أولا
أهم تلك التعاليم التي نرى برنهاردي يبشر بها وهي مقتطفات من كتابه الآنف الذكر :

١ - تنازع البقاء

قال ان التنازع لاجل البقاء هو الناموس الاول الذي لا مفر منه ، لا في
المجتمع الانساني فقط بل في العالم الحيواني بأسره . وبموجب هذا الناموس لا يمكن
حراز النجاح والارتقاء من دون استئصال العضو الضعيف من المجتمع . فالضعيف
اذن يجب ان يهلك ويقتل . بيد ان المجتمع البشري يختلف عن غيره من المجتمعات
الحيوانية في ان الانسان له حياة فردية وحياة عمومية معا وهذه الاخيرة مرتبطة
بالوطن الذي ينتمي الفرد اليه ولذلك كان ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب لا ينطبق
تمام الانطباق على الانسان كما ينطبق على الحيوان ، لان الواحد من الحيوان لا ينظر
الا الى مصلحته الخاصة فقط ، أما الفرد البشري المرتبط بمجموع الامة المتشعب هو
اليها فعليه نوع من المسؤولية نحو تلك الامة من حيث هي مجموع منتظم . والامم وهي
مجموع أفراد - لاحياة لها الا بالتنازع ايضا ولكنها في هذا الجهاد يجب ان تلجئ
الى نظام موافق او شريعة عادلة تسري على الكل من دون تمييز حتى اذا تعارضت
مصلحة الفرد ومصلحة الامة كان على الفرد ان يضحي بمصلحته الخاصة اذا اقتضت
المصلحة العمومية تضحيته (١) أي ان المنفعة الشخصية يجب ان تضحي على مذبح

(١) الافكار: كما تمينا مرة ان يطبع خطاب روزفلت في «الاخلاق» ويوزع
منه مليون نسخة في سورية والاستانة كذلك نتمنى الآن ان يترجم كتاب برنهاردي
هذا ويوزع على جميع العثمانيين وعموم الشرقيين لان الشرق كله بحاجة ماسة الى
مبادئ هذا الكتاب العملية دون المبادئ النظرية التي كانت علة انحطاطه

المنفعة العمومية عند الحاجة وفي الهيئات الراقية المنظمة

٢ — القوة المحسوسة واجبة لحفظ المجتمع

هذا من النظرة الشخصية الفردية، أما من النظرة العمومية فالمسألة فيها نظر لان الامة الواحدة في أثناء معاملاتها مع سائر الامم لا يجوز لها ان تسير بموجب المبدأ الآنف الذ كرأي مبدأ تضحية الواحد لاجل الخير العام عند الحاجة الى ذلك، بل يجب على الامة كمجموع منظم ان تفسر الحق والعدالة تفسيراً آخر يلائم مصلحتها كما سترى

لا يمكن تنظيم أمة مالم يجتمع عدد كبير من أفراد تلك الامة تحت لواء المصلحة المشتركة بينهم، ومن العبث اجتماع البشر كلهم في أمة واحدة تحت نظام واحد لان هذه النظرية لا يمكن تطبيقها. وتأليف أم صغيرة ضعيفة غير مستحيل غير ان حالة مثل هذه الامم الصغيرة تستوجب الشفقة لان وجودها يخالف للناموس الطبيعي أي ان ليس لها حق الوجودي، ودونك البرهان الحسي العملي المقول: المقدمة المنطقية الاولى: ان البشر مضطرون بحكم نمو عددهم المضطرد الى تأليف جماعات طبقا للناموس التعاون ولكن هذه الجماعات تكون متباينة لا في الكمية فقط بل في الكيفية أيضاً

المقدمة المنطقية الثانية: ان اختلاف العناصر وعوامل الاقليم والمناخ وجدت منذ الازل وسوف تبقى بحكم الطبع الى الابد

النتيجة المنطقية الثابتة: لذلك وجب تباين الامم بعددها وأنواعها بسبب تباين الاجناس والالوان والاخلاق والعوامل الطبيعية من جيوغرافية وغيرها من العوامل الخارجية أي انه وجب وجود أم ضعيفة بين أم قوية بحكم الطبع. ولما كان ناموس تنازع البقاء — وهو ناموس طبيعي ثابت — يجبر الامم على حفظ كيانها وعلى تقوية ذلك الكيان على حساب الضعيف من جيرانها^(١) كان من الضروري وجود ذلك التنازع بين الامم الضعيفة والامم القوية. لذلك قلت ان الامم الضعيفة

(١) المنار: يعني ان سنة تنازع البقاء تدفع الامم بما يشبه الاجبار الى حفظ وجودها الاممي وتنميته مما تسلبه من الامم الضعيفة المجاورة لها

تستوجب الشفقة لانه لاحق لها بالوجود — ومن المستحيل دوام وجودها وهي عرضة لخطر الاضمحلال في كل حين بسبب التنازع الطبيعي بينها وبين القوي من جيرانها . ولا بد للقوي من استعمال قوته وهذا الاستعمال هو الحرب بأبسط معانيه . وأقول بعبارة أوضح: ان كل أمة يجب ان تعتمد على القوة، على القوة وحدها، في اثناء معاملاتها العمومية مع سائر الامم والا كانت أمة ضعيفة عرضة للفناء في كل حين اتقدهم الفيلسوف التلياني ماشيا فلي مثل هذا التعليم بحجة انه يرمي الى اعتبار القوة غاية الوجود لا واسطته . ولكن غاية الوجود « هي حماية مصالح الفرد وترقيتها حتى يصل الى الدرجة المطلوبة من السعادة والكمال » وهذه لا يمكن الحصول عليها من دون مساعدة الامة، والامة لا يمكن أن تقوم بالحماية والترقية مالم تكن قوية، وقوتها لاتأتي إلا من حصر محبة بنينا لها وحدها أولاً، والا فاني لأفهم كيف ان زيدا يحب خير العالم أجمع وهو لا يحب خير أمته ووطنه وجنسه وعائلته أولاً . فالواجب الانساني إذن يقضي على المرء بمحبة جنسه أولاً

إذن أرى أن الناموس المسيحي القائل بالمحبة والاحسان والغيرية هو أشرف ناموس في الكون لكنه وضع لاجل العلاقات الفردية في الامة الواحدة فقط، ولا يمكن تعميمه على الانسان والانسانية، لان التعميم يخالف للنواميس الطبيعية الثابتة، والتخصيص أولى، إذن الذي لا يحب أخاه القريب، لا يقدر على أن يحب البعيد الغريب وعلى هذا الرسول بولس ذاته فيلسوف الكنيسة المسيحية وواضع أهم تعاليمها

٣ — فلسفة العدالة في المعاهدات والحروب

ليست الحرب مقتصرة على اقتتال الجيوش فقط بل الحرب اصطلاح سياسي يعني وجود أمة تنازع أمة أخرى سواء كان باستخدام السلاح أو باستخدام السياسة . والحروب السياسية تعني مضايقة فريق لفريق آخر بواسطة المعاهدات التجارية أو المعاملات الاقتصادية من صناعية وتجارية وزراعية وما أشبه . وإذا لم يذعن أحد الفريقين للآخر بحرب السياسية يصير الالتجاء الى السلاح أمراً لازماً، غير ان مسؤولية رجال الحكومة في أثناء الحروب السياسية تقضي عليهم بالمحافظة على مصالح الشعب وإبعاده عن ثروته . هذه هي الغاية الاولى لهم . أما

الواسطة فخاضعة لحكم الظروف. فإذا كانت الظروف تحوجهم الى اضراح المبادئ النظرية الادبية جانباً فلم ذلك لانهم بهذا الانحراف يخدمون المصلحة العمومية لا المصلحة الفردية. وإذا رأوا الخطر محققاً بالشعب فعليهم مباغتة العدو والغدر به قبل أن يتم معداته حتى يقضوا على قواه الهجومية والدفاعية ويأمنوا شرّ تنازعه اياهم منافع البلاد وثمار أراضيها ومعاملها وهذا لا يأتي إلا بانحاء القوة المحسوسة وازديادها. ولذلك كانت القوة مظهراً من مظاهر العدالة لان الحروب عدل وبها وحدها تثبت العدالة على أساس متين. وبرهان ذلك أقول:

لنفرض ان أمة إبان ضعفها خضعت بحكم السيف الى جارتها القوي وسلمت معه بشروط مكتوبة على ورق سموها معاهدة، ولنفرض أن تلك الامة الصغيرة صارت قوية على تمامي السنين فرأت أن تلك الشروط التي كانت قد رضيت بها أولاً في أيام ضعفها صارت ثقيلة عليها تضر بمصالح الشعب في أيام قوتها. فالشعب في هذه الحالة الاخيرة صار يرى ذاته مغدوراً مغبوناً. واذا هب الى تمزيق المعاهدة الاولى المجحفة بحقوقه فعمله هذا هو العدل بعينه. ولا يمكن ان ترضى العدالة المجردة بغبن شعب كامل وغدره. ليس ذلك فقط بل اننا لا نقدر أن ندعو الاذعان لشروط مجحفة عدالة وفضيلة. بل ان العدالة تقضي بتمزيق المعاهدة المضرة الجائرة بواسطة المفاوضات السياسية أولاً التي ادعوها حرباً بطيئة كامنة، فاذا نجحت فيه والا فاستعمال السيف والمدفع يصبح أمراً واجباً — ولا يمكن أن يوجد الحق ويثبت ما لم يكن مؤيداً بالسيف ومدعوماً بالمدفع وقوة الساعد ولذلك كانت الحرب فضيلة. أي ان الحرب أمر ضروري للمجتمع الانساني لانه رمز العدالة ومنشئ الشجاعة والجرأة في الامة ورفيق الحق والمطالبين به. واذا تركت الحرب تجبن الامة عن المطالبة بحقوقها فتبقى مغبونة مقهورة ذليلة ومثلاً لا يثبت في ميدان تنازع البقاء لان ناموس بقاء الانسب يقضي عليها إن عاجلاً أو آجلاً والانسب هو الاقوى في كل حال

هذه هي زبدة تعاليم اجنرال فون برنهاردي المدونة في كتابه الجديد « المنطق

والمبادئ في الحروب» ودونك مجمل الانتقاد العلمي للفلسفي البديع الذي نشرته مجلة القرن التاسع عشر الطائفة الصينية في عددها الأخير قالت :

تعليق مجلة القرن ١٩ على الكتاب الألماني

ليس الجنرال فون برنهاردي وحده القائل هذا القول ولا هو من وضع هذه الفلسفة أي فلسفة القوة والاعتماد عليها وحدها لاجل تثبيت الحق والعدالة . بل اننا اذا أمعنا النظر نرى أن معظم علماء الالمان وفلاسفتهم قالوا بهذا الرأي ونشروا مثل هذه التعاليم من ارنست هكل العالم الطبيعي المعروف زميل شارلس دارون الى نياش المادي الشهير وغيرهما كثير . وليس من العدل والانصاف ان نقل من أهمية هذه التعاليم لمجرد أنها صادرة عن أعدائنا فإن « العلم مشاع بين جميع الامم وليس لوطنه حدود » فلندرس إذا مبادئ الجنرال برنهاردي وتعاليمه بكل نزاهة ولمحصها في بوتقة التحري بقطع النظر عن قائلها

قال ارسطو الفيلسوف اليوناني القديم : ان الفضيلة هي الوسط بين متضادين . أي ان الشجاعة مثلاً هي فضيلة لانها وسط بين الجبن والتهور . فالجبن رذيلة لانه دليل الذل وصغر النفس ، والتهور رذيلة أيضاً لانه دليل حماقة والكبرياء — وكل هذه العيوب الاخلاقية تدل على وجود مرض بعقل المصابين بها وخصوصاً الغرور والكبرياء ^(١) وقس على ذلك الصدق والكذب والحق والباطل وما أشبه ذلك من المتضادات

(١) الافكار : انفق ونحن نقرأ هذه المقالة البديعة ان وصلتنا الصفاء الغراء فوجدنا فيها ما يأتي : — قال أحدهم : المتكبر أجدر الناس بالشفقة لان الكبرياء مرض في العقل » أي ان صاحب الصفاء يتالم من كثرة ما يرى من المتكبرين حوله . وقد تذكرنا خطبة مطبوعة باللغة الانكليزية عندما للدكتور دانيال باس رئيسنا العلامة الكبير قالها امام صف المنتهين مرة فراجعناها واذا في احدى صفحاتها ما يأتي :

« واني أوصيكم بالاعتدال في كل شيء . لان الاعتدال من أهم الاخلاق التي يحتاج اليها الشرق . ومن أعظم المصاعب أمام عملنا نحن المربين والمهذبين في هذه البلاد اننا نرى أفراداً بين السوربين هم مهذبون بكل معنى الكلمة تمام التهذيب — وبالأصل gentleman ، وافراداً غيرهم على غاية من التأخر والانحطاط والحلقة الوسطى بينهم تكاد تكون مفقودة . وبينما نرى الكرم لحد التبذير في البعض نرى =

وكم ضل أفضل من الرجال سواء السبيل لأنهم اتخذوا التطرف ديدناً لهم فكانوا باهالهم اصدق مثلاً يكذبون. وهم لا يدرون، وبتطرفهم بالتمسك بالحق حسب اعتقادهم يخدمون الباطل وهم لا يقصدون. والحقيقة أن تعاليم الجنرال برنهاردي مطابقة تمام المطابقة لتعاليم ارسطوطاليس كبير الفلاسفة أولاً ما بها من تجسيم يبلغ حد الغلو أحياناً فضلاً عن خلوها من رابط متين يربط الحق بالقوة كما سترى

٢

ان الاساس الذي بنى عليه الجنرال برنهاردي كتابه هو التعليم القديم القائل ان « الحق للقوة » والدعامة التي دعم بها ذلك الاساس هي تعليمه القائل بأن كل الآراء المتعلقة بالحياة الاجتماعية والسياسية تكون آراء مضرّة اذا تجاهلت كون الحق للقوة لأنها أي الآراء ليست في هذا التعاهل سوى رياء وتضليل

وبموجب تعاليم برنهاردي يكون الاشتراكيون مرائين ويكون الراديكاليون المتطرفون أكثر رياء وخداعاً، ليس ذلك فقط بل ان كل الفلاسفة الذين يخالفون مذهب دارون القائل ببقاء الانسب بعد التنارع لاجل البقاء قد اضرروا الحياة الاجتماعية لأنهم دلّوها على التواكل والاستسلام وعلموها الخيلة والرياء وأبعدوها عن القوة - وهي الفضيلة المقدسة التي هي أساس كل الفضائل

وللجنرال برنهاردي فضل عظيم في انه شرح هذه التعاليم العملية وحاول تطبيقها على حالة أوربا السياسية الحاضرة. ولا شك في انه صادق فيما يقول عن القوة وتقديسها - تلك القوة التي صار الشعب الانكليزي (تذكر ان الكتاب عالم انكليزي) يستخف بها وينسبها الى قبائل الزولوس المتوحشة حتى انه أصبح في الآونة الاخيرة يبالغ في تحقيرها وتحقير كل أمة تعتمد عليها. ولكن لما نشبت الحرب الحاضرة أدرك الشعب خطأه وعلم ان من دون الاعتماد على القوة خطر الغزوة

— أيضاً البخل لحد الشح في البعض الآخر. وكذلك ينرى الذل والجبن في طبقة نرى الفرور فاشياً والكبرياء لحد الادعاء الممقوت في طبقة ثانية. واذا قدرت هذه المدرسة « أي المدرسة الكلية » على إيجاد حلقة وسطى توجد الاعتدال في مشارب السوريين وأخلاقيهم نكون قد عملنا عملاً تهذيبياً عظيماً »

الالمانية وبالنسبة لخطر فناء انكثرة من عائلة اسباسبية الكبرى
ولا جدال في ان القوي تغلب يوما على الضعيف جاره واحتفظ بمركزه المتفوق
بالقوة الوحشية وهذا ينطبق على الامم كما على الافراد . ولا جدال أيضا في ان كل
حكومة رقية تضمن لاسمائها المتفردين بالقوة أفضل المراكز ولو على حساب المجموع
لان مجموع الامة يستفيد منها . وكما ان الامم يجب ان تكون قوية جدا حتى تتمكن
من الاعتناء بطفائها الضعيف كذلك يجب على رجالها ان يضمن لها التقوية محافظة
عليها وعلى صغيرها . هذا الشطر الاول من كتاب برنهاردي واظن ان الاندية
العلمية والسياسية عندنا سامت بصحته فورا

أما الشطر الثاني الذي أقام العلماء وأقعدهم فهو كلام ذلك الجنرال الالماني عن
علاقة الامة الواحدة بغيرها من الامم الاخرى فان ذلك الكلام يقرر ان افراد
الامة الواحدة يجب عليهم التضامن والتكاتف وتبادل الصدق والولاء والعطف
والمحبة بعضهم مع بعض فقط حسبما ورد في مثل الزوج والزوجة ومسؤوليتهما
نحو طفلها الضعيف . أما في علاقة الشعب بغيره من الشعوب القريبة فالجنرال
برنهاردي يقول بصراحة ان لارحمة ولا شفقة ، بل ويل للضعيف في تنازع البقاء ،
لان القوة وحدها هي الحكم الاخير في العلاقات العمومية ، وبقاء الانسب يقضي
باتقراض الضعيف ان لم يكن اليوم فغدا

وبجملة أوضح أقول ان أركان حرب ألمانية يقولون بالحق والعدالة والرحمة
بين أبناء العائلة السياسية الواحدة ، ولكن يقولون بمعاملة الغريب على قاعدة بقاء
الانسب - أي على قاعدة الحق للقوة . وعند درس هذا المذهب بزامة وانصاف
نرى انه ليس مذهبا جديدا ولا مخالفا لما نراه جاريا في الكون ، سواء اردنا
ذلك أم لم نرده . إذن لا أرى ان الذين خطأوا برنهاردي هم من القوم المصيبين
المنصفين (١)

نعم ان عندنا شرائع تضمن العدالة وتجبر الحكومة على اجرائها حفظا لحقوق
«١» الافكار: ان قائل هذا الكلام هو مستر مالوك من علماء الانكليز اعداء
الامان الالقاء وكلام الخصم حجة

الضعيف من جاره القوي ، ولكن هذه الشرائع وثلاث عدالة تسري على أبناء
الامة الواحدة فقط أما على غيرنا من الامم والحكومات فننكر اننا لانعاملهم بما
يعامل به بعضنا بعضا ، ان نكران هذا الامر هو الرياء بعينه ، وهذا هو مبدأ
برنهاردي أيضا ، وهاك نص احدي عباراته حرفيا بهذا الصدد قال :

« لا يوجد في الكون حكومة تجري على غيرها من الحكومات ذات القوانين
وذاات النوع من العدالة الذي تجريه على افرادها هي . كذلك ليس من الواجب
على أي حكومة ان تعني بالغريب وتعطف عليه وتساعد ، ولكن من أوجب
الواجب عليها الاعتناء بأولادها وتقوية الضعفاء منهم فقط واجراء العدالة بتمام
النزاهة والتدقيق بين المتخاصمين منهم وحدهم . واذا قلنا ان محكمة دولية عمومية
يجب ان تنشأ لاجل فض الخلافات بين الدول على مبدأ الحق والعدالة المجردة
نعود ونرجع الى القوة الوحشية المحسوسة لاجل تأييدها ، واليك البرهان :

« هب ان خلافا نشب بين أمتين أو أكثر ورفع أمره الى تلك المحكمة الدولية
العمومية العليا (الموهومة) وهذه بموجب الحق والعدالة المجردة أصدرت حكما
ضد الامة القوية المتعدية ، ورفضت تلك الامة القوية ان تخضع لحكم المحكمة اماحل
فاذا علينا ان نفعل ؟ علينا ان نلتجئ الى جيش قوي جدا يرغم تلك الامة القوية على
قبول حكم المحكمة العليا وتنفيذه . والا كانت العدالة والحق والحكم حبرا على ورق
من الوجهة العملية . ولما لم يكن تنظيم جيش عمومي ممكننا كان من المستحيل ان
اجراء الحق بين الامم المتباينة في العدد والقوة اجراء فعليا كما يجري في الامة الواحدة في
لها من قوة جندها ما يجعل الحق نافذا والعدالة المجردة ممكنة — ولكن بين أفرادها
فقط . ومجمل القول ان الناموس الطبيعي المعقول هكذا يأمر أي ان العدالة المجردة يجب
ان تجري ولكن بين أبناء الامة الواحدة فقط لان ذلك ضروري لحفظ كيانها
وتقويتها أما مع الامم الاخرى فالحق للقوة في كل حال وويل للضعيف والمستضعف^(١) »

(١) المنار : حقا انه لم توجد شريعة تأمر بالمساواة والعدل العام غير الاسلام
ولكن كانت الدول الاوربية تراعي العدل فيما بينها في الجملة حتى جاءت هذه
الفلسفة الجديدة بهذه الحرب العامة التي لا بد ان تعود عليها بالتقض ولو بعد حين

الاستعمار

تنازع ألمانية وانكلترا بسببه

وبعد هذا يوضح الجنرال برنهاردي مسألة الاستعمار بقوله: ان كل أمة قوية لا بد لها يوما من طلب اتوسع في املاكها لان أفرادها المتزايد عددهم يحتاجون أولا الى المواد الغذائية وثانيا الى المواد الاصلية في الصناعة حاجة تزيد بالنسبة الى عددهم المتكاثر ، وهذه لا يجدونها الا في الخارج . واذا زادت مصنوعاتهم تراه يضطرون الى ايجاد أسواق جديدة لاجل تصريفها - أي الى ايجاد مستعمرات، فالمستعمرات إذن من لوازم الأمم الراقية

والاستعمار يتم بطرق ثلاث : (١) المهاجرة واختلاط المهاجرين تدريجاً مع السكان الاصليين والامتزاج بهم امتزاجاً سلمياً حتى يتغلبوا عليهم بفضل تفوقهم على الوطنيين بالقوى البدنية والعقلية والاخلاقية ، (٢) بانشاء مستعمرات منظمة في بلاد أهلها من نصف المتمدنين أو من غير المتمدنين وامتلاك مثل هذه المستعمرات غير صعب البتة ، (٣) بالحرب واغتصاب المستعمرات من أيدي أهلها عنوة إذا كان أولئك الاهلون على جانب من المنعة والتمدن . وهذه الطرق الثلاث تدعى المهاجرة والاستعمار والاعتصاف وهي لا تتم إلا باستعمال القوة في احدى مظاهرها وبمعاملة سكان البلاد الاصليين حسب ناموس تنازع البقاء لاحسب الحق والعدالة .

والحق كل الحق مع الجنرال برنهاردي في هذا التصريح ، لان كل أمة قوية استمكنت بلادها وبلاد غيرها بقوة السيف يوماً لم تعامل الاهلين الاصليين قط بالمساواة والعدالة كما يدعون. وليس في هذه التعاليم شيء جديد كما قلت آنفاً ولكن الذي زادها أهمية هو اشتباك ألمانيا منفذة هذه المبادئ بحرب كبرى مع غيرها من الأمم ووجود حزب قوي عندنا (أي في انكلترا) شعاره « السلم مهما كلفه الامر » ومذهبه هو أن الذي يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ . وسها عن بال هذا الحزب المتخنت ان الذي لا سيف عنده يكون أول من يسقط بسيف الغير ، وخصوصاً في هذه الايام أيام المنازعات والمناظرات والمسابقات الهائلة

ولا أصدق من كلام الجنرال برنهاردي عن السوسيا ليست والرايكا لين (الاشتراكيين والمتطرفين) الذين يزعمون أن الحكومة ليست سوى شركة ضمانة عملها توزيع المنافع والمرافق بالسواء - ان هذه الاراء لا يمكن العمل بموجبها أبدا لانها آراء نظرية بحتة وكل أمة تسير بموجبها تضعف فتتخط وتفتي على تمامي الاجيال . والشواهد العديدة التي اقتبسها برنهاردي من دارون وكنت وهكل وفشت وشر وغوث تؤيد هذا المذهب، وحبذا لو أنه ذكر اسم كروب ومدافعه أيضاً حتى يصير الاقتباس تاماً، لان كروب واختراعاته لا تقل أهمية عن تعاليم أولئك الفلاسفة

فضائل الحرب - نقد برنهاردي

انني من المعجبين بتصريح برنهاردي القائل ان للحرب فضيلتين هما الشجاعة والعدالة ، فالشجاعة فضيلة لانها رائد الاستقلال ، والعدالة فضيلة لانها رائد الصدق والصدق رفيق القوي دائماً ، ولكن العدالة والصدق يجب أن ينحصرا في الامة الواحدة وافرادها فقط دون غيرهم حسب تعليم برنهاردي، أما في العلاقات مع الغرباء وبين الامم الاخرى فللقوة المركز الاول دائماً ، وكل من يقول بخلاف ذلك فهو خادع أو مخدوع

الى هنا انتهى اعجابي بالتعاليم العملية التي دونها الجنرال برنهاردي في كتابه الاخير، ولكن موضوعاً اجتماعياً فلسفياً كهذا لا يخلو من التعقيد والصعوبة لذلك لألوم برنهاردي إذا رأته يناقض نفسه في بعض الاحايين ، ويخلط في تدوين المبادي وشرحها في البعض الآخر

فمن جملة المتناقضات في تعاليمه عدم شقيقته على الامم الضعيفة حالة كونه لم يضمن لنا طريقة ثابتة بها تبقى الامة القوية قوية الى ماشاء الله - وهذا من أهم الاعتراضات أيضاً على مذهب دارون القائل ببقاء الانسب . ومن جملة مواضع الخلط والخطب في شرح مبادئه عدم جمعه بين العدالة والقوة جمعاً علمياً ترتاح النفس اليه، بل أراه أبقي هوّة عميقة بين القوة الوحشية التي عبر عنها بالحرب وبين العدالة المجردة التي لا يجوز لها أن تخضع للقوة

ليس ذلك فقط بل إن الجنرال برنهاردي اعتمد على علم الاحياء (بيولوجيا) في مصنفه الأخير وهو موع بهذا العلم لكنه تجهل وجود ناموس التعاون والتضامن في النوع الواحد ونعني أو تنامي أن لا انسان مهما تعددت أممه وأجناسه وعناصره وألوانه لم يخرج عن كونه نوعاً واحداً من أنواع الاحياء هو نوع الانسان يتطلب كيانه ناموس التعاون والتضامن وهو باحد أشكاله البسيطة

ونحوجني الوقت والمجال لأبين أن العلاقة بين الحق والقوة هي علاقة شديدة موجودة فعلاً وهي مثل الارتباط المتين الموجود بين الحرية والمسؤولية وبين الحق والواجب فكما أن الحرية توجد المسؤولية والحق يوجد الواجب والعكس بالعكس كذلك أرى أن ناموس « الحق للقوة » الذي ينادي به الجنرال برنهاردي وأركان حرب المانيا عمومًا يقتضي وجود علاقة متينة بين الحق والقوة لم يشر اليها برنهاردي ولا عرضاً في سياق كلامه . لذلك نرى أن المانيا في هذه الحرب مغمضة عين الحق في بعض تصرفاتها المخالفة ومجسمة فضيلة القوة الوحشية المحسوسة في سائر اجراءاتها مما جعلها عرضة للنقد العادل

أما ما خلا هذه النقط القليلة القابلة الانتقاد فكلام الجنرال برنهاردي صحيح لاغبار عليه، ويجدر بالحزب السلمي في انكلترا أن يدرسه بمزيد التدقيق والتروي عليه يقلع عن تعاليمه النظرية الضاربة ويساعد القائلين منا بوجود تنظيم جيش قوي دائم وتعويد الامة على تربية رجال أشداء أقوياء البدن وعلى غاية من النشاط والبسالة اهـ

[المنار] نقلنا ما تقدم عن جريدة افكار البرازيلية بنصه مع تصحيح لفظي قليل والقارئ يرى أن غرض صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية من تلخيص ملخصه من الكتاب الألماني هو إقناع قومه بأن يحدو حذر الألمان في شدة العناية بالقوة الخربية ومنه جعل الخدمة العسكرية اجبارية ، والظاهر أن شر عاقبة لهذه الحرب هو زيادة عناية الامم الاوربية كلها بالاستعداد للحرب وإن كان بعض الناس يظنون انها سترجع الى رشدنا بما تقاسي من خسارة النفس والاموال

بين روسيا والمانيا*)

(وفيه وصية غليوم الاول لخفيده غليوم الثاني)

يذ كر قراء « الافكار » ما عر بناه من مدة من تلغراف الامبراطور غليوم الى القيصر نقولا إذ قال له يومئذ انه موسى على فراش موت جده بالمحافظة على صداقة روسيا . وقد قرأنا مؤخرا تلك الوصية المشهورة التي أوصى بها الامبراطور غليوم الاول خفيده امبراطور المانيا الحالي في الساعات الاخيرة من حياته إذ استدعاه وزوَّده بنصائح ووصايا وما يفرض عليه عمله والسياسة التي يجب عليه اتباعها إذا تبوأ العرش . وهذا ملخص نص الوصية :

« إذا كتب لك الحق سبحانه وتعالى أن تملك على عرش أجدادك القياصرة فاعتق الحق والعدل وبثها في الرعية . واعتن بالجيش مزيد العناية . واجهد في اكتساب ميل العامة وحب الشعب الالماني بأسره . واسع في تقرير السلام العسكري والسياسي في داخل المملكة وخارجها مع مراعاة قوانينها وشرائعها . وساعد الضعيف ، واعضد العاجز ، وساو كليهما بالقوي ، حتى لا يكون امتياز ولا حيف ، و (حتى) تكون حرية مطلقة في جميع الاديان والمذاهب . تودد الى الامم الغربية على خلاف نزعاتها ، وحافظ على اتحاد أوستريا والمجر خليفة جرمانيا الامينة ، لان في هذا الاتحاد موازنة للسياسة الاوربية ورابطاً بين الدولتين من قديم التاريخ . ولا تحرم البلاد من فوائد السلم وثماره الطيبة المذاق إذا لم تكن الحرب أمراً واجباً فيما لو تعدت على المانيا دولة ورامت مهاجمتها أو مهاجمة حليفتها . ولا تستخدم قوة ألمانيا لإثارة حرب عدائية تكون أنت البادئ فيها ، فان المانيا ليست في حاجة الى مجد عسكري جديد ولا الى افتتاح حديث . حاذر الحرب قدر استطاعتك وإياك ، ودولة الشمال . ثابر على اتباع خطة المودة الوطيدة نحو قيصر روسيا اسكندر الثالث ودع المانيا ان تسير على خطة السلام والوفاق الحبي مع روسيا ، وابذل كل نفيس

(*) منقولة عن جريدة الافكار البرازيلية

(المجلد الثامن عشر)

(٢٠)

(المنار: ج ٢)

في سبيل مرضاتها واستماله ودها اليك ، وايد الصلات السلمية التي كانت لنا في مدة المائة سنة الماضية في مملكة روسيا جارتنا . فهذه كانت حاساتي (?) الشخصية التي تنطبق على مصالح المانيا » انتهى

هذا بعض ما وقفنا عليه من وصايا الامبراطور غليوم الاول الى حفيده الامبراطور غليوم الثاني الذي بذل جهده في اتباع وتحقيق أماني جده من توثيق عرى الصلات مع جارته والممالك المتحالفة معه حتى تبقى العلائق الودية على سابق حالها غير واهية ولا منفصلة

وقد عرف العالم أجمع ما كان لروسيا من الشأن المهم في حربي عام ١٨٦٦ مع النمسا وعام ١٨٧٠ مع فرنسا ، والخدمة الجلى التي قام بها اسكندر الثاني قيصر روسيا في تسهيل الوحدة الالمانية ، وقد عرف ذلك غليوم الاول كما عرفه وزيره البرنس بسمارك . ولهذا أوصى حفيده غليوم الثاني بتحسين صلاته مع روسيا . ولا يزال العالم يندد بـ تلغراف غليوم الاول الى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٧٠ إذ قال له « أعتز بأن جل الفضل في فوزي ونجاحي عائد اليك » فضلا عما كان من أعمال بسمارك في حياة غليوم الاول وفردريك الثالث في تسهيل التقرب الى روسيا بالرغم من التحالف الثلاثي ومن مبادئ أوستريا وسياستها البلقانية . وقد كان بسمارك لا يطيّب له عيش الا يوم يأمن نفوذ روسيا . والامبراطور غليوم الثاني ذاته بعد قبضه على صولجان الامبراطورية زار القيصر الروسي قبل أن يزور حليفه النمسا وايطاليا ، كما زار جده غليوم الاول قيصر روسيا يوم تبوأ عرش أجداده ، وعمل على تأييد التحالف الشمالي واهتم في زيادة التقرب من روسيا لتحسين صلات الدولتين ، إذ لم يشأ أن يتعد عنها لما بين الاسرتين المالكيتين في روسيا والمانيا من صلة القربى ، فضلا عن ضرورة الاحترام للوصية السابقة المذكورة

ولكن ذلك كاسه الداهية وزير خارجية فرنسا حالا مشهور بعداوته لالمانيا فعين منذ سنة ونصف سفيراً لدولته في بطرسبرج واستطاع بدهائه الغريب أن يفهم روسيا أن النمسا ليست بالعدوة الرهيبة لو لم تكن تعضدها المانيا وان خير طريقة لكسر شوكة النمسا هي اضعاف المانيا ، وساعدته الظروف والحنكة

السياسية، فابان لروسيا مطامع المانيا وما صنعته مع روسيا في معاهدة برلين وغيرها . وقد نجح دللكسه في سياسته نجاحاً باهراً إذ أضاف الى الحقد الكامن في قلوب الشعب حقد الحكومة الروسية ، قتراخت العلائق بين الحكومتين وسعى القيصر للتملص من ربة نفوذ امبراطور المانيا عليه ، وخصصت حكومته عشرة مليارات ليرة لنظارة الحرية لسنة ١٩١٣ واشترت بتسعة وعشرين مليوناً من الليرات أوتوموبيلات حربية ، وأضافت عددا عظيماً الى جيشها الهائل ، وجعلت الخدمة العسكرية في بعض الفرق أربع سنوات ، وازادت تغيير المعاهدة التجارية بينها وبين المانيا ، وضربت رسماً باهظاً على القمح الوارد من المانيا الى فنلندا ، وأطلقت سراح الصحافة فاثارت على حكومة برلين عواطف السلافيين ، ومكنت الحقد بين الشعبين . وكان المسيو دللكسه العامل في كل ذلك الذي وصل الى هذه النتيجة

وكانت الامة الروسية قد رأت خيلاً الامة الالمانية فبالها أمرها لاسيما وهي تنظر اليها نظرة جار يود ضرر الآخر تجارة وصناعة وسياسة . أضف اليه الحقد المتولد في قلوب السلافيين ضد الجرمانيين وتصرف بسمارك نحو روسيا في معاهدة برلين كما قلنا بعد ان كان حليفها سنة ١٨٧٨ وقلما ترى الآن في روسيا من يحب المانيا حتى من أولئك الذين يجري في عروقهم الدم الالمانى أو النمساوي كالبولونيين في بوزين وفسوفيا والتشك في برات والصرب والكروات في اغرام وبلغراد حتى في طيات قلوب البلغاريين في صوفيا . وهذا الحقد المنفجر في جميع جوارح السلافيين أرغم حكومة بطرسبرج على الانتصار للصربيين وشهر الحرب على النمسا . وقد أرادت حكومة القيصر أولاً ان تمخذ من السلافيين حقدهم لرشق نباله في صدور النمساويين فقط ، وذلك لان المانيا قد لعبت دوراً مهماً في بلاط روسيا لوجود عدد عظيم من الدوقات الالمانيات في القصر الامبراطوري ككاريا بافلونا قرينة الغراندوق فالديمر واليزابت فيودوروفنا شقيقة القيصر ورئيسة دير كبير الراهبات ودوقات أولدنبرغ وليستمبرغ والامبراطورة الكسندرا — وعدد عظيم من القواد والضباط وولاة الامور الالمانية الاصل الذين يشتغلون بجميع قواهم لزيادة متانة العلاقات بين روسيا ومانيا ، عدا عن العلائق الوطيدة الشخصية

بين القيصر والامبراطور ولان ، حرباً عواناً تقع بين المانيا وروسيا لاتفيد الثانية كثيراً

أما فقد حكومة القيصر على النمسا فكان ولا يزال هائلاً جداً لان فيها الأقل من ١٦ مليوناً من السلافيين تابعين خمسة عشر مليوناً من الجرمانيين . لذلك ليس من الصعب على حكومة بطرسبورج الضرب على وتر نصرتهم الجنسية فضلاً عن ان النمسا مازالت تعرقل سياسة روسيا في البلقان ، وكانت الحرب بينها بين روسيا أمراً طبيعياً لا مفر منه اهـ

ترجمة الشيخ شبلي النعماني

﴿ بقلم الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ﴾

مترجمة من جريدة (عليكده إنستيتوت غازت) بقلم عبد الرزق من تلاميذ دار الدعوة والارشاد

انتهت السنة الثانية والثلاثون الهجرية على حادثة فجائية ستذكر في تاريخناال زمن بعيد : أذيع خبر وفاة الشيخ شمس العلماء شبلي النعماني في صبيحة ٢٨ ذي الحجة أي في الوقت الذي تنير فيه الشمس العالم ، ولكن وآسفاه غربت فيه شمس العلم وأظلم العالم العلمي .

(ثم بين الكاتب محمد المسلمين القدماء وكثرة وجود العلماء والنافعين فيهم الذين كانوا يخلفون السلف ، وانحطاط المسلمين الآن وفقدان الرجال الذين يحلون محل موتاهم . وقال)

ان في سيرة الشيخ عبداً ودروساً للطبقتين - طبقة النابتة الحديثة وطبقة العلماء ، فلو كتب تاريخه لكان نافعاً للمسلمين . وتوخياً للفائدة نلمح الى تاريخه فنقول :
الشيخ شبلي النعماني من بلدة أعظم كدة الشهيرة وهو من أسرة كبيرة وابن رجل عظيم . لا أعلم سنة ولادته ولكنني قرأت ما كتب في الجرائد من انه ولد سنة ١٨٥٧ أي سنة الثورة . وكان من أسباب تقدمه العلمي ذهنه الثاقب وطبعه السليم وحرص والده على تثقيفه وتربيته ، ووجود أستاذ كامل له كمحمد الفاروق الذي كان ماهراً في العلوم العربية والاداب الهندية . أخذ الشيخ شبلي علم الحديث عن العلامة أحمد علي الشهير ، وبعد فراغه من التحصيل دخل خدمة

الحكومة ولكنه لم يلبث أن تركها من تلقاء نفسه . ثم قرر معلما للغة العربية في كلية علي كره فاتخذ له بيتا بجوار السيد أحمد خان رئيس الكلية . وكان السيد يبحث في العلوم المختلفة فاقنبتس منه ومن المعلم آرنلد الاستاذ في الكلية معلومات في الفلسفة والعلوم الحديثة ، وهو الذي علم الاستاذ المذكور عليه كثيرا من العلوم الاسلامية واللغة العربية ، لهذا كان في تأليف كتاب « الدعوة الاسلامية » Preaching of Islam للاستاذ آرنلد يد كبيرة للشيخ .

وخرج من الكلية سنة ١٨٩٨ بعد أن توفي السيد أحمد وذهب الى حيدرآباد وهناك كانت قد أسست الجمعية العلمية المسماة « السلسلة الاصفية » فتوظف فيها براتب ٢٠٠ روبية في الشهر (والآن قد زيد فيها مائة فصارت ٣٠٠ روبية) وألف بضعة كتب باسمها ثم رتب مشروع كلية حيدرآباد .

ولما رجع من حيدرآباد طلبه محسن الملك رئيس الكلية لها ولكنه لم يقبل ورجح ندوة العلماء عليها ، وأقام في مدينة لاهور فكان فيها عضوا كبيرا عاملا . وفهم مقاصدها حق الفهم وأراد أن يشرها فنظم شؤونها وأصدر مجلة كبيرة باسمها كانت من أبر المجلات الهندية وأرقاها . وهي لا تزال نورا في اللغة الهندية . ولكنه لما انتخب رئيسا للجمعية بعد اعتزال رئيسها الشيخ محمد علي لم يقدر على استخدام الاعضاء كلهم كما استخدمهم سلفه ، لانه اشتهر بحرية الرأي والاجتهاد في كل شيء ، فخالقه العلماء وظنوا به الظنون ، حتى قال بعضهم أنه دهري ويريد افساد الجمعية . فلم ينجح في عمله هذا كما ينبغي ، ولكنه استطاع تنفيذ كثير من مقاصدها .

وساح في البلاد الاسلامية في زمن اقامته في الكلية للاستعانة على تأليف تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمطالعة الكتب التي لا توجد في الهند فكان الكتاب من أحسن الكتب التاريخية على طريقة حديثة وسيكون فخرا له الى الابد . وبعد رجوعه من السفر ذهب الى رستميد فرض هناك مرضا شديدا ذهب بصحته الجيدة فلم تعد الى الموت .

ومن الحوادث المؤلمة في حياته اصابة رجله بالرصاص . وسبب ذلك انه كان جالسا في حرمه والبندقية في يده فوجه ابنه فسقطت على الارض فاصابت ساقيه . وآخر حياته ملوثة بمخالفة العلماء له في الندوة ولكنه مع هذا كله مازال مشغولا بتأليف تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم . وأرسل الى خطايا قبل وفاته بقليل وصف فيه تأثير موت أخيه في نفسه ثم قال : أريد تأسيس دار للمصنفين ودار لتكميل العلوم أدرس فيها بنفسي التفسير والحديث ويدرس فيها غيري من العلماء

الآخرون اعلي أنجح في هذا بعد العجز عن العمل في الندوة التي أضعت وقتي فيها . ولكن جاءت المنية قبل تحقق رجائه . جزاه الله خير الجزاء لأعماله النافعة للمسلمين

ترجمة الشيخ شبلي النعماني

بقلم عبد الرزاق أحد طلبة دار الدعوة والارشاد
كان الشيخ شبلي النعماني من أكبر علماء الهند قدرا وأوسعهم علما وأشدهم
غيرة على الدين والامة . خدم المسلمين زمنا طويلا بدون تعب ولا نصب ولا
مبالاة بحوادث الدهر . ومن مزاياه الكثيرة انه كان نابغا في علوم عديدة . مجتهدا
في الدين والعلوم العقلية . ماهرا في تاريخ الشرق والغرب . أدبيا بارعا في اللغة العربية
والفارسية ، ينشد الشعر بالفارسية مثل أعظم شعراء العجم . وهو بعد من أئمة اللغة
الهندية وأفصح كتابها . له كتب كثيرة جدا في الفلسفة والتاريخ وآداب اللغتين
الفارسية والهندية وفي علوم شتى . وآخر كتاب كان يعني بتأليفه هو « سيرة النبي صلى
الله عليه وسلم » ولم يكبد يتمم جزءا منه حتى عاجلته منيته وهو ابن خمس وستين
سنة تقريبا . هذا الكتاب ليس مثل سائر الكتب التاريخية بل أراد رحمه الله
أن يكتب باستقصاء لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من آثار النبي وأقوال المتخربين (؟) إلا
أحصاها وبحث فيها بحثا تاريخيا فلسفيا ليس من ورائه بحث . وكان من اهتمامه
بالكتاب المذكور أنه قبل الاشتغال فيه أعلن في الجرائد الهندية انه يحتاج الي
خمسين ألف روية (٣٣٢٥ جنيا) لیسافر الى الممالك الاسلامية والافرنجية
و يطالع في مكاتبها الكتب المؤلفة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتساعل عن
يساعده بذلك ؟ فأجابت طلبه « أميرة بهوبال » التي اشتهرت بالأعمال الخيرية والعلمية ،
غير انها لم تأذنه بالسفر الكبير سنة وما أصابه من العرج بل وعدت بان تطلب له
جميع الكتب المحتاج اليها وتعطي ٢٠٠ روية شهريا للمترجمي الكتب الافرنجية منها
(لان الشيخ لم يكن عالما بلغات الغرب) فاشتغل الشيخ بالكتاب ثلاث سنوات
وكمل منه جزء واحد كما ذكر آنفا .

وكان ينتهز الفرص لينفع المسلمين . ومن مآثره أنه نجح في مسألة الوقف على
الاولاد عند الحكومة فجازته بعد ان كانت أبطلته .

ربما يظن ظان أن هذا الشيخ الجليل كان من متخرجي المدارس العالية ومن
أصحاب الشهادات العليا . وليس الامر كذلك . فانه لم يتعلم في مدرسة ما قط بل
كان يتلقن بعض العلوم المتروكة القديمة في بيوت بعض العلماء . ولم يكن يعلم شيئا

من أحوال العالم المدني ولكن علامات الذكاء كانت تنطق على سماه بعظيم مستقبله. ولما كمل دروسه غير المنظمة انتظم في سلك المعلمين في كلية على ككرة الشهيرة وهناك ظهر له انه يوجد عالم غير عالمه وعلوم غير الفقه والكلام والفلسفة اليونانية فانخذ يطالع العلوم حتى عد من أكبر علماء الهند . وفي هذا الاثناء ساح في البلاد الاسلامية كلها ليعرف داء المسلمين ودواءه . وبعد رجوعه الى وطنه ابتداء دوره الذهبي ، لانه ترك الوظيفة ولم يعمل شيئاً بعد إلا لأصلاح المسلمين. ولهذا الغرض أخذ على عاتقه مشروع ندوة العلماء ، وهي لم تكن شيئاً يذكر قبله وبهمته العالية ترقى في مدة قصيرة حتى سمع صوته في العالم المدني ونخرج فيها العلماء والمربون . وكانت له آماني كثيرة حالت منيته دونها اذ وافته بعد ان مرض نصف شهر فسقطت بذلك حلقة كبيرة من سلسلة المصلحين ، وانطفأ مصباح الهند ، فليحزن على فقده المصلحون والهنود المسلمون ، انا لله وانا اليه راجعون

(المنار) فقدنا الاستاذ النعماني في عهد هذه الحرب التي حرمتنا رؤيته ما عدا جريدة عليكده من جرائد الهند فلم تقف على شيء من تأيينها وترجمتها له . والشيخ حبيب الرحمن الذي كتب تلك النبذة الوجيزة في جريدة عليكده من أهل العلم والدين ، وحزب المصلحين المعتدلين ، ولكنه أوجز واختصر حتى انه لم يذكر لنا مصنفات الشيخ : ولعل أهل مصر وغيرها من البلاد العربية لا يعرفون منها الا رده الوجيز علي كتاب تاريخ اتحدن الاسلامي ، وما هو الا عجالة جعلها نموذجاً لبيان ما أنكره من ذلك الكتاب ولم يرد به الاستقصاء . وكنت رأيت له رسالة في الجزية نشرت بعضها في المجلد الاول من المنار وهي تدل على اجتهاده في التاريخ وعلوم الدين . ومن سوء حظ المسلمين أن يقوم حزب الجود في وجوه هؤلاء الأفراد من المصلحين كالشيخ النعماني ويحولوا بينهم وبين خدمتهم لملتهم وأمتهم . ويضعف أنصار الاصلاح عن احباط أعمالهم ، ومما يذكر بالاعجاب في ترجمته أنه لم يوجد في أمراء الهند وعظماؤها رجل عرف قيمة هذا الاستاذ الكبير المصلح كما عرفته أميرة بهوبال فضلى نساء تلك الاقطار وأقيالها

وسننشر في الجزء التالي كلمة وجيزة من صلة المودة بيننا وبين الفقيد وكتاباً منه يعلم منه شيء من صلته العلمية الدينية بصاحبة بهوبال أدام الله النفع بها .

السر محمد سلطان آغا خان

زار مصر في أوائل هذه السنة السر محمد سلطان آغا خان زعيم طائفة الاسماعيلية أقدم طوائف الباطنية بل إمامهم ومعبودهم . جاءها عائداً من لندرة عاصمة انكلترا

حيث يقيم معظم سنته - الى وطنه بمجي أول تغور الهند حيث يقيم مدة فصل الشتاء عادة . وقد نزل ضيفا على الجنرال غرانفيل مكسويل القائد العام للجيش البريطاني بمصر فلقى من الحفاوة والاكرام من الحكومة المصرية وكبراء الانكليز ما يليق بمقامه ومكانه من ثقة الدولة البريطانية به وإخلاصه في خدمته لها

وقد اجتمعت به في دار (مستر ستورس السكرتير الشرقي لدار الحماية الانكليزية) وتحدثنا أكثر من ساعة في الشؤون المصرية وأحوال المسلمين في مصر وفي غيرها من الاقطار . وكان أكثر الحديث أسئلة منه وأجوبة مني ، وكنت أحب أن أسأله عن أمور فلم يتسع الوقت لذلك ، وتحدثنا بمعنى اجتماع آخر فلم يتيسر ولعل من أسباب ذلك كثرة تنقله في البلاد المصرية وعدم لبثه في القاهرة بعد ذلك الا قليلا

وقد كان أول حديثه الشكوى من قلة عناية المسلمين بالعلم وسألني عن سبب ذلك فشرحت له رأيي فيه ، ومما ذكرته له في ذلك أن العلم لا يرتقي وترتقي الامم به الا بالعمل ، ولا سيما العلوم الطبيعية والآلية (الميكانيكية) التي يشعر عقلاء المسلمين بشدة حاجاتهم اليها ، وتوقف مجاراتهم للافرنج عليها ، وان أسبابا سياسية واجتماعية حالت دون السير في هذه العلوم على الطريقة العملية التي تتوقف على إيجاد المعامل ودور الصناعة في البلاد ، وان الحكومات هي ذات الشأن الأول في إيجاد ذلك وأكثر حكام المسلمين ليسوا منهم . وأما الحكومات الاسلامية المستقلة فقد كانت الدولة العثمانية والامارة المصرية - وهما أقربهن الى الحضارة - شرعنا في اقتباس العلوم والفنون الأوروبية منذ مئة سنة أو أكثر ، أي قبل شروع اليابان في ذلك ، ولكن حال استمرارها على الطريقة العملية مالا سعة في الوقت لشرحه فرألت المعامل ودور الصناعة التي شرع فيها محمد علي باشا كما اضمحل ما أنشئ من ذلك في الاستانة مع كون الحاجة اليها أشد والقدرة عليها أتم ، واكتفى الترك والمصريون باقتباس المبادئ الناقصة من هذه العلوم والفنون ، وانما يتوسع قليل منهم بما هم أقل حاجة اليه من غيره كالقوانين وتاريخ الامم الأوروبية ولغاتها ، مع جهلهم بشريعتهم وتاريخ ملتهم وآدابها ، ولأجل هذا كان ضرراً أكثر المتعلمين أكبر من نفعه . ولما كان الطب لا يكون الا عمليا كان هو أنفع ما اقتبسناه من العلم الحديث ، ففي مصر والبلاد العثمانية كثير من الاطباء الذين يخدمون البلاد أجل خدمة . وكذلك الهندسة فانها قد أفادت بقدر الحاجة اليها في الاعمال كالري وسكك الحديد فالمهندسون المصريون لا يقصرون عن الأوربيين الذين يعملون معهم في هذه البلاد

أما حديثنا عن حالة مصر ومسألة الحماية الانكليزية الجديدة فلا يجوز نشره

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

المعجزة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى وده مناراه كنار الطريق

مصر ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣٣ ٢٣ الحبل (١) ١٢٩٣ هـ ش ١٤ إبريل ١٩١٥

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الأزهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٩٧) يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَيَلُوْا نَفْسَكُمْ اللّٰهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ اَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّٰهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن اَعْتَدَىْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ اَلِيْمٌ (٩٨) يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَاَنْتُمْ حُرْمٌ، وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هٰذَا بَلٰغُ الْكُفْبَةِ، اَوْ كَفْرَةٌ طَعَامُ مَسْكِيْنَ، اَوْ عَدْلٌ ذٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوْقَ وَبَالَ اَمْرِهٖ . عَفَا اللّٰهُ عَمَّا سَلَفَ، وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللّٰهُ مِنْهُ وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ ذُوْ اِنْتِقَامٍ (٩٩) اَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ

(المنار - ج ٣) (٢١) (المجلد الثامن عشر)

وَطَعَامُهُ مَتَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ، وَحَرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

بينا في تفسير الآية (٩٠) ان هذه السورة افتتحت بآيات من أحكام الحلال والحرام في الطعام وأحكام النسك (ومنها الصيد في أرض الحرم او في حال الاحرام) وتلاها سياق طويل في بيان أحوال أهل الكتاب ومحاجتهم ، ثم عاد الكلام الى شيء من تفصيل تلك الاحكام الح وتقول الآن : إن الله جات آلاؤه نهى عباده المؤمنين عن تحريم الطيبات وعن الاعتداء فيها وفي غيرها ، وأمرهم بأكل الحلال الطيب ، ولما كان بعض المبالغين في النسك قد حلفوا على ترك بعض الطيبات ، بين لهم بهذه المناسبة كفارة الايمان ، ثم بين لهم تحريم الخمر والميسر لأنهما من أخبث الخبائث ، فكان هذا وذاك متما لما في أول السورة من أحكام الطعام والشراب . وناسب ان يتم أحكام الصيد في الحرم والإحرام أيضا : فجاءت هذه الآيات في ذلك

وقال الرازي في مناسبة هذا لما قبله مانصه : ووجه النظم انه تعالى كما قال (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ثم استثنى الخمر والميسر عن ذلك — فكذلك استثنى هذا النوع من الصيد عن المحلات وبين دخوله في المحرمات . اه وما قلناه خير منه وأصح ، وليست الخمر والميسر من الطيبات فيستثنيان منها بل رجس خبيث

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُؤْخَذَ مِنْكُمْ الْبَرُّ ﴾ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم (الابتلاء الاختبار ، والصيد مصدر أطلق على ما يصطاد من حيوان البحر مطلقا ومن حيوانات البر الوحشية لتؤكل ، وقيل مطلقا فيدخل فيه غير الماء كالحلوى الا ما أبيح قتله كما يأتي . وتقدم تفصيل الكلام في الصيد في تفسير أول السورة . وسيتأتي في تفسير الآية التالية الخلاف فيما يكفر به المحرم عن صيده . ووصف الصيد بكونه تناله الأيدي والرماح يراد به كثرتة وسهولة أخذه ، وامكان الاستخفاء بالتمتع به . وروي عن ابن عباس ومجاهد ان ما يؤخذ بالأيدي صغاره وفراخه وبالرماح كباره . وقال مقاتل بن حيان : انزلت هذه الآية في عمرة الحديبية فكانت الوحش

والطير تغشاهم في رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا ، فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون ووجه الابتلاء بذلك ان الصيد أذ الطعام وأطيبه وناهيك باستطابته وبشدة الحاجة اليه في السفر الطويل كالسفر بين الحرمين ، وسهولة تناول اللذيذ تغري به ، فترك ما لا ينال الا بمشقة لا يدل على التقوى والخوف من الله تعالى كما يدل عليه ترك ما ينال بسهولة ، وقد قيل ان من العصمة ان لا تجرد ، وهل يعد ترك الزنا ممن لا يصل اليه الا بسعي وبذل مال وتوقع فضيحة كترك يوسف الصديق له إذ غلقت امرأة العزيز الابواب دونه وقالت : هيت لك ؟

والمعنى يا أيها الذين آمنوا ان الله تعالى يقسم بأنه سيختبركم بأرسال شيء كثير من الصيد — أو ببعض من أنواعه — يسهل عليكم أخذ بعضه بأيديكم وبعضه برماحكم ﴿ ليعلم الله من يخافه بالغيب ﴾ أي يتليكم به وأنتم محرمون ليميز من يخافه غائبا عن نظر الناس غير مرأ لهم ولا خائف من انكارهم ، فيترك أخذ شيء من الصيد ، ويختار شغف العيش على لذة اللحم ، خوفا من الله تعالى وطاعة له في سره — أو يخافه حال كونه متلبسا بالايان بالغيب الذي يقتضي الطاعة في السر ، والجهر ، فاذا وقع ذلك منكم علمه الله تعالى لأن علمه يتعلق بالواقع الثابت ، وترتب على علمه به رضاه عنكم وثابتهم عليه ، كما يعلم حال من يعتدى فيه ، وقد بين جزاءه في الجملة الآتية فدل ذلك على ما حذف من جزاء من يخافه . والمشهور : ان المراد بمثل هذا التعبير انه تعالى يعاملكم معاملة المختبر الذي يريد ان يعلم الشيء وان كان علام الغيوب ، لان هذا من ضروب تربيته لكم ، وعنايته بتركيتكم ، وقد تقدم تفسير مثل هذا التعليل بعلم الله تعالى (في ص ٨ ج ٢ وص ١٤٨ ج ٤)

﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ﴾ أي فمن اعتدى بأخذ شيء من ذلك الصيد بعد ذلك البيان والإعلام الذي أخبركم الله تعالى به قبل وقوعه فله عذاب شديد الالم في الآخرة — قيل وفي الدنيا بالتعزير والضرب — لانه لم يبال باختبار الله له ، بل سجل على نفسه انه لا يخاف الله تعالى بالغيب . ولكنه قد يخاف لوم المؤمنين وتعزيرهم ، اذا هو أخذ شيئا من الصيد بمراى منهم ، وهذا شأن

المناققين الذين هم في الدرك الاسفل من النار ، لا شأن المؤمنين الصادقين الابرار ،
﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد واتم حرم ﴾ هذا بيان لما يجب على
المحرم المعتدي في الصيد من الجزاء والكفارة في الدنيا ، سبق في أول السورة
تحريم الصيد على من كان محرما بحج أو عمرة ومن كان في أرض الحرم ، وقد
اعاده هنا ليرتب عليه جزاءه . وتقدم هنالك ان الحرم بضمين جمع حرام وهو
المحرم بحج أو عمرة وان كان في الحل

﴿ ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ أي ومن قتل شيئا
من الصيد وهو محرم قاصدا لقتله فجزاؤه - او فعله جزاء - من الانعام مماثل لما
قتله في هيئته وصورته ان وجد ، والا ففي قيمته ، وقيل في قيمته مطلقا . وسيأتي
تحقيق الخلاف في ذلك . قرأ عاصم وحزمة والكسائي « فجزاء » بالرفع والتنوين ،
و « مثل » بالرفع والاضافة لما بعده وهو ظاهر . وقرأ الباقر باضافة جزاء الى مثل ،
وهو مخرج على ان مثل الشيء عينه على حد « ليس كمثل شيء » أو هو من قبيل
خاتم فضة أي من فضة وأي المعنى فعليه جزاء الذي قتله أي جزاء عنه . وقال
الزمخشري : أصله « فجزاء مثل ما قتل » بنصب مثل بمعنى فعله أن يجزي مثل ما قتل
من النعم ، ثم أضيف كما تقول : عجبت من ضرب زيداً ، ثم من ضرب زيداً
قتل المحرم بحج أو عمرة للصيد حرام بالاجماع لنص الآية . ولكن أكل
المحرم مما صاده من ليس بمحرم مختلف فيه فقيل يحرم مطلقا عملا بظاهر الآية
الآتية وحديث الصعب بن جثامة عند احمد ومسلم وغيرهما . وقيل يجوز مطلقا لما
ورد من ان النبي (ص) واصحابه أكلوا مما أهدي اليهم من لحم الحمار الوحشي .
والجمهور على جواز الاكل مما يصيده غير المحرم لنفسه ويهدي منه للمحرم ، وهو
التحقيق الذي يجمع به بين الروايات كما يدل عليه حديث أبي قتادة في الصحيحين
وغيرهما وهو الذي صاد الحمار الوحشي واكل منه النبي (ص) واصحابه في الحديبية
وقد اختلفوا في الصيد الذي نهت الآية عن قتله فقال الشافعي : هو كل حيوان
وحشي يؤكل لحمه ، فلا جزاء في قتل الاهلي وما لا يؤكل لحمه من السباع والحشرات ،

وهي كثيرة في مذهبه ، ومنها الفواسق الخمس التي ورد الأذن في حديث عائشة في الصحيحين وغيرهما بقتلها في الحل والحرم — وهي الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور . وأخرجاه أيضا من طريق مالك وأيوب عن نافع عن ابن عمر . قال أيوب : قلت لنافع فالحية ؟ قال الحية لا شك فيها ولا يختلف في قتلها . وألحق مالك وأحمد وغيرهما بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد لأنها أشد ضررا منه . وقال زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة : الكلب العقور يشمل هذه السباع العادية كلها . وذهب أبو حنيفة الى وجوب الجزاء في قتل كل حيوان الا الفواسق الخمس وجعل الذئب منها لانه كلب بري . والمراد بالغراب الأبقع الضار لا الاسحم الذي يؤكل فانه صيد . والحاصل ان الحيوانات الضارة التي تقتل اتقاء ضررها ، لا جزاء على المحرم اذا قتلها ، أطلق ذلك بعضهم ، قال الحافظ ابن كثير وقال مالك رحمه الله : لا يقتل الغراب الا اذا صال عليه وآذاه ، وقال مجاهد بن جبر وطائفة : لا يقتله بل يرميه ، وروي مثله عن علي كرم الله وجهه . وقد روى هشيم : حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد عن النبي (ص) انه سئل عما يقتل المحرم فقال « الحية والعقرب والفويسقة (اي الفأرة) — ويرمي الغراب ولا يقتله — والكلب العقور والحدأة » ، رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل والترمذي عن أحمد بن منيع كلاهما عن هشيم » ثم ذكر ان الترمذي حسنه .

واختلفوا في اشتراط التعمد لوجوب الجزاء فذهب أكثرهم الى أنه لا يشترط التعمد . وقالوا ان الكتاب دل على جزاء المتعمد وسكت عن جزاء الخطي وسكن السنة مضت بأن عليه الجزاء أيضا . قاله الزهري

والجمهور على ان المتعمد هو القاصد لقتله مع ذكره لاحرامه وعلمه بحرمة قتل ما يقتله . ومنهم من يشترط نسيان الإحرام . ولم نر للجمهور حديثا مرفوعا يدل على تغريم الخطي ولا رواية صحيحة صريحة في كون ذلك كان من عمل النبي (ص) وخلفائه الراشدين ، الا ما رواه الحكم عن عمر انه كتب بذلك . وروي الشافعي وابن المنذر عن عمرو بن دينار قال : رأيت الناس أجمعين يغرمون في الخطي ، وما قاله الزهري أصرح منه . ولكن لا يعد مثل هذا من أقوال التابعين دليلا شرعيا .

ويشبه ان يكون قول عمرو بن دينار حكاية للاجماع ، ولكن لا يصح فالخلاف في المسألة مروى عن ابن عباس وطاوس وسعيد بن جبير — كلهم صرحوا باشتراط العمد . وعبرة طاوس : لا يحكم على من أصاب صيدا خطأ إنما يحكم على من أصابه عمداً ، والله ما قال الله الا « ومن قتله منكم متعمدا » وروى عن ابن عباس ومجاهد وابن سيرين اشتراط التعمد للقتل مع نسيان الاحرام . والروايات في الخلاف مفصلة في الدر المنثور . واشتراط العمد مذهب داود الظاهري ، وقد شرح الرازي استدلاله بالآية شرحاً يؤذن باختياره له .

وروى عن سعيد بن جبير ما يصح ان يكون بياناً لسبب الخلاف لولا اجمال فيه ، وذلك قوله : إنما كانت الكفارة فيمن قتل الصيد متعمداً ، ولكن غلط عليهم في الخطأ كي يتقوا . اهـ ولم يبين من أين جاء التعليل ، فان صحت الرواية عن عمر انه : كتب أن يحكم عليه في الخطأ والعمد — جاز ان يكون هذا اجتهدا منه في أحوال خاصة لسد ذريعة صيد العمد في حال الاحرام ، كما فعل في امضاء الطلاق الثلاث باللفظ الواحد لمنع الناس منه ، ثم تبعه الجمهور في هذا وذاك من غير بحث في السبب الباعث له على ذلك ومراعاة المصلحة التي أرادها وعدم تعديها . ومن لم يتبعه في ذلك يقول إن اجتهدا ليس شرعا ولا دليلا من أدلة الشرع ، فكيف يؤخذ على علته فيما كان كمسألة من المسائل المنصوصة في القرآن والتي مضت فيها السنة قبله وفي صدر خلافته كمسألة الطلاق الثلاث ؟ هذا مع علمنا بأنه كان يخطئ فيراجع فيعترف بخطئه ويرجع عنه .

فان قيل ان العلماء المجتهدين قد اتبعوه في ذلك لإقرار الصحابة إياه عليه وعدم معارضتهم له كعادتهم فيما يرونه خطأ — قلنا انه لم يثبت أنه عرض مسألة تغريم من قتل الصيد خطأ على الصحابة وأقرروه عليه . وانما قال الحكم انه كتب ، ولم يقل لمن كتب ، والظاهر — ان صح — أنه لبعض عماله ، ويحتمل ان يكون في واقعة حال اقتضت ذلك ، ونص كتابته لم يذكر في الرواية . والحكم الذي روى هذا الاثر هو ابن عتيبة الكندي الكوفي كما يظهر من اطلاق اسمه وهو على توثيق الجماعة له من المدلسين كما قال ابن حبان في الثقات . وقال فيه ابن مهدي : الحكم بن عتيبة ثقة

ثبت ولاكن يختلف معنى حديثه . ولم تقف على رجال السند اليه عند الذين رووا الاثر عنه — وهم ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم كما في اندر المنثور — نعرف درجة روايتهم . وجملة القول ان هذا الاثر ليس بحجة ، وسيأتي ما صبح من حكم عمر

بعد كتابة ما تقدم راجعت تفسير شيخ المفسرين ابن جرير الطبري فاذا به قد أورد في رواياته قول من قالوا ان المراد من التعمد في الآية هو العمد لقتل الصيد مع نسيان قاتله لاحرامه حال قتله إياه ، وقول من قالوا انه العمد لقتله مع ذكر قاتله لاحرامه — ولكنه ذكر في هذه الروايات قول من قالوا بالجزاء في العمد بالكتاب وفي الخطأ بالسنة أولسد الذريعة وحفظ حرمت الله أي بالقياس — ثم قال :

« والصواب من القول في ذلك عندنا ان يقال : إن الله تعالى حرم قتل صيد البر على كل محرم في حال احرامه مادام حراما بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) ثم بين حكم من قتل ما قتل من ذلك في حال احرامه متعمداً لقتله — ولم يخص المتعمد قتلته في حال نسيانه إحرامه ولا الخطي في قتله في حال ذكره إحرامه ، بل عم في إيجاب الجزاء على كل قاتل صيد في حال احرامه متعمداً ، وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل الى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نص كتاب ولا خبر لرسول الله (ص) ولا إجماع عن الامة ، ولا دلالة من بعض هذه الوجوه — فاذا كان كذلك فدواء كان قاتل الصيد من المحرمين عامداً قتلته ذا كرا لاحرامه او عامداً قتلته ناسيا لاحرامه ، او قاصدا غيره فقتله ذا كرا لاحرامه ، في أن على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى وهو (مثل ما قتل من النعم) الخ »

أقول هذا هو الاستدلال الصحيح البين ولكن لا يظهر دخول القسم الاخير من التفصيل فيه ، وهو قوله « او قاصدا غيره فقتله ذا كرا لاحرامه » لان هذا من قتل الخطأ لا العمد الا أن يريد صورة معينة وهي ان يقصد قتل صيد فيصيب صيدا غيره وهو ذا كرا لاحرامه ، اذ يصدق عليه انه قصد قتل الصيد باطلاق وأنه متتهك لحمة الاحرام. ولعل هذا هو المراد ، وأما اذا رمى غرضا لا حيوانا او حيوانا

يباح قتله كالكلب العقور فأصاب سهمه أو رصاصه صيدا لم يكن يراه مثلا — فلا جزاء عليه في هذا بمقتضى الدليل الذي قرره ، وسيأتي أن عمر قال في مثله أنه أشرك فيه العمد بالخطأ

ثم قال ابن جرير : وأما ما يلزم بالخطأ قاتله فقد بينا القول فيه في كتابنا (كتاب لطيف القول في أحكام الشرائع) بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع ، وليس هذا الموضع موضع ذكره ، لأن قصدنا في هذا الكتاب الإبانة عن تأويل التنزيل ، وليس في التنزيل بالخطأ ذكر فنذكر أحكامه . اهـ

واختلفوا في المثل المراد من الآية فذهب الجمهور إلى اعتبار مثل المقتول في خلقه كصورته وفعله ، وذهب إبراهيم الفخعي إلى اعتبار القيمة وتبعه أبو حنيفة وأبو يوسف . والاول مؤيد بحكم الرسول (ص) وحكم علماء الصحابة . روى أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان والحاكم عن جابر قال : جعل رسول الله (ص) في الضبع يصيبه المحرم كبشا وجعله من الصيد . أي لانه يؤكل لحمه كما ثبت في غير هذا الحديث أيضا . وقد روي مرفوعا وموقوفا . وذكر الترمذي أنه سأل البخاري عن هذا الحديث فصحه . ورواه الدارقطني عن الأجلح بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر عن النبي (ص) قال « في الضبع إذا أصابه المحرم كبش وفي الظبي شاة وفي الأرنب عناق وفي اليربوع جفرة » قال والجفرة التي قد ارتعت . والأجلح هذا قال أبو حاتم لا يحتاج بحديثه وثقه يحيى بن معين وقال ابن عدي صدوق . وقال الحافظ في تريب التهذيب : صدوق شيعي من السابعة . فاعتمد توثيقه . وقال الشوكاني في نيل الأوطار : وحديث جابر أخرجه البيهقي وأبو يعلى وقال : عن عمر رفعه . وأما الدارقطني فرواه من طريق إبراهيم الصائغ عن عطاء عن جابر يرفعه وكذلك الحاكم ، ورواه الشافعي عن مالك عن أبي الزبير موقوفا على جابر وصححه وقفه الدارقطني من هذا الوجه . وقال السيوطي في الدر المنثور : وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن جابر قال قال رسول الله (ص) « الضبع صيد فاذا أصابه المحرم ففيه جزاء كبش مسن وتوكل »

أقول والحديث يدل على اعتبار السنن في المماثلة فالعنز بالتحريرك اثني المعز

كالنعجة من الضأن ، والعناق (بالفتح) الاثنى من ولد المعز قبل استكمالها السنة —
والجفرة بفتح الجيم الاثنى من ولد الضأن التي بلغت أربعة أشهر .

﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ اى يحكم بالجزاء من النعم ، وكونه مثل المقتول من الصيد ، رجلا من أهل العدالة والمعرفة منكم أيها المؤمنون ، ووجه الحاجة الى الى حكم العدلين ان الماثلة بين النعم وهي الابل والبقر والغنم بأنواعها — وبين الصيد الوحشي وأنواعه كثيرة مما يخفى على أكثر الناس . قال ابن جرير : ووجه حكم العدلين اذا أرادوا ان يحكما بمثل المقتول من الصيد من النعم على القاتل ان ينظرا الى المقتول أو يستوصفاه فان ذكر انه أصاب ظيبا صغيرا حكما عليه من ولد الضأن بنظير ذلك الذي قتله في السن والجسم ، فان كان الذي أصاب من ذلك كبيرا حكما عليه من الضأن بكبير — وان كان الذي أصاب حمار وحش حكما عليه ببقرة ، ان كان الذي أصاب كبيرا فكبيرا من البقر وان كان صغيرا فصغيرا ، وان كان المقتول ذكرا فثله من ذكور البقر ، وان كان أثنى فثله من البقر أثنى . ثم أورد من الشواهد على ذلك ما حكم به عمر وعبد الرحمن بن عوف على اللذين قتلا الظبي وقصد رواها من عدة طرق ولا يبعد ان تكون القصة متعددة ، وقد حكما بشاة ، وسيأتي

وأما مالا مثل له من النعم بوجه من وجوه الشبه فيحكم العدلان فيه بالقيمة . قال الحافظ ابن كثير : وأما قوله «جزاء مثل ماقتل من النعم» حكى ابن جرير ان ابن مسعود قرأ : «جزاء مثل ماقتل من النعم» (*) وفي قوله «جزاء مثل ماقتل من النعم» على كل من القرائتين دليل لما ذهب اليه مالك والشافعي واحمد والجمهور من وجوب الجزاء في مثل ماقتله المحرم اذا كان له مثل من الحيوان الانسي خلافا لابي حنيفة رحمه الله حيث أوجب القيمة سواء كان الصيد المقتول مثليا أو غير مثلي . قال وهو مخير ان شاء تصدق بقيمته وان شاء اشترى به هديا . والذي حكم به الصحابة في المثلي أولى بالاتباع ، فانهم حكموا في النعامة ببدة وفي بقرة الوحش ببقرة وفي الغزال بعنز . وذكر قضيا الصحابة وأسانيدها مقرر في كتاب الاحكام . وأما اذا لم يكن الصيد مثليا فقد حكم ابن عباس فيه بثمنه يحمل الى مكة . رواه البيهقي (*) لم تثبت هذه القراءة بالتواتر فلعله قال الجملة على طريقة التفسير فظنها السامع قراءة

ثم قال وقوله تعالى : « يحكم به ذوا عدل منكم » يعني انه يحكم بالجزاء بالمثل أو بالقيمة في غير المشلي عدلان من المسلمين . واختلف العلماء في القاتل هل يجوز أن يكون أحد الحكمين على قولين (أحدهما) لا ، لانه قد يتوهم في حكمه على نفسه وهذا مذهب مالك (والثاني) نعم ، لعموم الآية وهو مذهب الشافعي واحد . واحتج الاولون بأن الحاكم لا يكون محكوما عليه في صورة واحدة . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا جعفر هو ابن برقان عن ميمون بن مهران ان اعرابيا أتى أبا بكر فقال : قتلت صيدا وأنا محرم فما ترى علي من الجزاء ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه لأبي بن كعب وهو جالس عنده : ما ترى فيما قال الاعرابي ؟ فقال الاعرابي أتيتك وأنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك وأنت تسأل غيرك ؟ فقال أبو بكر وماتنكر ؟ يقول الله تعالى (فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) فشاورت صاحبي اذا اتفقنا على أمر أمرناك به . وهذا اسناد جيد لكنه منقطع بين ميمون والصدّيق . ومثله يحتمل ههنا . فبين له الصدّيق الحكم برفق وتؤدة لما رآه أعرابيا جاهلا وانما دواء الجهل التعليم . فاما اذا كان المعارض منسوباً الى العلم فقد قال ابن جرير : حدثنا هناد وأبو هشام الرفاعي قالا حدثنا وكيع بن الجراح عن المسعودي عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال : خرجنا حجاجا فكنا اذا صلينا الغداة أقفنا وواحلنا فتماشي نتحدث ، قال فبينما نحن ذات غداة اذ سنع لنا ظبي أو برح ، فرماه رجل كان معنا بحجر فإخطأ حشاه . فركب وودعه ميتا ، قال فعظمنا عليه ، فلما قدمنا مكة خرجت معه حتى أتينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقص عليه القصة ، قال وإلى جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة . يعني عبد الرحمن بن عوف . فالتفت عمر الى صاحبه فكلمه ، قال ثم أقبل على الرجل فقال أعمدا قتلته أم خطأ ؟ فقال الرجل لقد تعمدت رميه وما أردت قتله ، فقال عمر : ما أراك الا أشركت بين العمد والخطأ ، اعمد الى شاة فاذبها وتصدق بلحمها وانتفع باهابها . قال فقمنا من عنده فقلت لصاحبي أيها الرجل عظم شعائر الله فما درى أمير المؤمنين ما يقنيك حتى سأل صاحبه ، اعمد الى ناقتك فانحرها

فلعل ذلك، يعني أن يجرى عنك^(١) قال قبيصة: ولا أذكر الآية من سورة المائدة «يحكم به ذوا عدل منكم» فبلغ عمر مقالتي فلم يفجأنا منه إلا ومعه الدرة قال فعلا صاحبي ضربا بالدرة^(٢) أقتلت في الحرم وسفهت في الحكم^(٣) قال ثم أقبل علي، فقلت يا أمير المؤمنين: لا أحل اليوم شيئا يحرم عليك مني. فقال يا قبيصة بن جابر أني أراك شاب السن، فسيح الصدر، بين اللسان، وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيئ فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الحسنة، فإياك وعثرات الشباب. ثم ذكر ابن كثير طرقا أخرى لأثر قبيصة. ثم نقل عن ابن جرير الطبري أن ابن جرير البجلي قال: أصبت ظبيا وأنا محرم فذكرت ذلك لعمر فقال ائت رجلين من أخوانك فليحكما عليك فأنت عبد الرحمن وسعدا فحكما علي بتيسر أعفر. ثم نقل عنه أيضا أن رجلا رمى ظبيا فقتله وهو محرم فأتى عمر ليحكم عليه فقال له عمر: احكم معي. فحكما فيه بجدي قد جمع الماء والشجر. ثم قال عمر (يحكم به ذوا عدل منكم) قال ابن كثير: وفي هذا دلالة على جواز أن يكون القاتل أحد الحكمين كما قاله الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى

(ثم قال) واختلفوا هل تستأنف الحكومة في كل ما يصيبه المحرم فيجب أن يحكم فيه ذوا عدل وإن كان قد حكم من قبله الصحابة؟ يرجع فيه إلى عدلين؟^(٤) وقال مالك وأبو حنيفة بل يجب الحكم في كل فرد فرد سواء وجد للصحابة في مثله حكم أم لا

- (١) هذا التفسير من الحافظ ابن كثير يفيد أن الرواية «فلعل ذلك» بحذف خبر لعل وهي كذلك في الدر المنثور. وفي نسخة ابن جرير المطبوعة بالمطبعة الميمنية «ففعّل ذلك» وهذه الطبعة كثيرة الغلط
- (٢) سقط من هنا قوله «وجعل يقول» كما في تفسير ابن جرير. أو «وهو يقول» كما في الدر المنثور
- (٣) وفي ابن جرير «وسفّهت الحكم» وعبارة الدر المنثور «أقتلت الصيد في الحرم وسفّهت الفتيا»
- (٤) في العبارة تحريف وسقط ويقرب أن يكون الأصل: فقال الجمهور ما حكم فيه الصحابة لا يرجع فيه إلى عدلين - أي بل يعمل بحكمهم

وقد استدل الحنفية بتحكيم العدلين على كون المراد بالمثل القيمة قالوا لأن التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد دون المائلة . والظاهر خلاف ذلك لان قيم هذه الاشياء مما يعرفه كل الناس في الغالب ، وانما يحتاج الى الاجتهاد والنظر في دقائق المشابهة بين الحيوانات الوحشية على كثرتها واختلاف صورها وطباعها وبين الانعام على قلتها وتقارب صفاتها . ومال الآلوسي الى جعل كل من القولين محتاجا الى هذا الاجتهاد من الحكمين ، جمعا بين مذهبه الاول ومذهبه الثاني ، إذ كان من قهاء الشافعية، ثم صار مقيي الحنفية .

أما قوله تعالى ﴿ هديا بالغ الكعبة ﴾ فعناه أن ذلك الجزاء الواجب على قاتل الصيد يجب ان يكون هديا يصل الى الكعبة ويذبح هنالك أي في جوارها حيث تؤدي المناسك ويفرق لحمه على مساكين الحرم . وقد تقدم في أول تفسير الآية الثانية من السورة ان الهدي لا يكون الا من الانعام فهو يؤيد ما ذهب اليه الجمهور من كون المائلة في الجزاء انما تعتبر في الصفات والهيئات . وكلمة (هديا) حال من (جزاء) بناء على انه خبر ، أو من الضمير في قوله (يحكم به) أو منصوب على المصدر أي يهدي هديا

﴿ أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ﴾ قرأنا فع وابن عامر بإضافة « كفارة » الى « طعام » أي كفارة طعام لا كفارة هدي ولا صيام ، والباقون بتنوين كفارة . أي فعلى من قتل الصيد وهو محرم معتمدا جزاء من النعم مماثل له أو كفارة طعام مساكين أو ما يعادل ذلك الطعام من الصيام . والعدل بالفتح المعادل للشيء المساوي له مما يدرك بالبصيرة والعقل كالعدل في الاحكام ، وبالكسر المعادل والمساوي مما يدرك بالحس كالغراطين من الاحمال على جانبي البعير يسمى كل منهما عدلا ، هذا معنى ما قاله الراغب . وقال الزمخشري بعد ذكر القراءة الشاذة بالكسر : والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام ، وعدله ما عدل به في المقدار ، ومنه عدلا الحمل لان كل منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا ، كأن المفتوح تسمية بالمصدر ، والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ، ونحوهما الحمل والحمل . وهذا القول هو المروي عن أئمة اللغة

وهذه الانواع الثلاثة هي التي ذكرت في فدية الحاق بقوله تعالى (٢ : ١٩٦) من كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) فالنسك هناك بمعنى الهدي هناه وقد ثبت في الصحيح ان النبي (ص) أمر كعب بن عجرة بحلق رأسه لما آذته القمل وان يطعم ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام . فعلم بذلك أن صيام اليوم الواحد يعدل اطعام مسكينين . وان اطعام ستة مساكين وصيام ثلاثة أيام يعدل ذبح شاة في النسك ، فان قيل ان هذا مخالف لجعل صيام ثلاثة أيام معادلة لاطعام عشرة مساكين في كفارة اليمين — قلنا ان الصيام في كفارة اليمين لم يجعل مساويا للطعام بل تخفيفا على من لم يستطع الاطعام والا لخير بينهما . وقد علم من كفارة الظهار ان صيام شهرين أعظم من اطعام ستين مسكينا ، اذ فرض الاطعام ، على من لم يستطع الصيام ، وهي على الترتيب لا التخيير . وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه جعل كفارة المجامع في نهار رمضان ككفارة الظهار

والمروي عن ابن عباس في تفسير الآية موافق لما أمر به النبي (ص) كعب ابن عجرة في المعادلة والتقدير ، ولسكنه جعل الثلاثة هنا على الترتيب لا التخيير ، وكذلك قال مجاهد والسدي بالترتيب في الثلاثة ، وعن مجاهد رواية أخرى بأنها على التخيير وهو يرويها عن ابن عباس . وعلى هذا القول جمهور الفقهاء ومنهم أبو حنيفة وصاحبه ومالك والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنهما .

روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس انه قال : اذا قتل المحرم شيئا من الصيد فعليه فيه الجزاء ، فان قتل ظبيا أو نحوه فعليه ذبح شاة تذبح بمكة ، فإن لم يجد فاطعام ستة مساكين ، فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام . فان قتل أيلأ أو نحوه فعليه بقرة ، فان لم يجدها صام عشرين يوما . وان قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل ، فان لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا ^(١) فان لم يجد صام ثلاثين يوما . والطعام مد مد يشبعهم

وروى ابن جرير عن ابن عباس أيضا انه قال : اذا أصاب المحرم الصيد حكم

(١) هكذا وجدنا الرواية في تفسير ابن جرير وابن كثير والقياس ان تكون العبارة : ستين مسكينا ، والا فهي على غير القياس

عليه جزاءه من النعم فإن وجد جزاءه ذبحه فتصدق به ، وإن يجد جزاءه قوم الجزاء دراهم ثم قومت الدراهم حنطة ثم صام مكان كل صاع يوما .

ثم ذكر في رواية أخرى عنه أنه قال : فإن لم يجد جزاء قوم عليه الجزاء طعاما ثم صام لكل صاع يومين . والظاهر أن رواية صيام يوم عن كل صاع مبنية على القول بأن يطعم كل مسكين نصف صاع أي مدين وهو المروي عن تلميذه مجاهد — وإن رواية صيام يومين عن كل صاع مبنية على القول بأن يُطعم كل مسكين مد واحد كما سبق في الرواية الأولى عنه .

واختار ابن جرير أن كل مسكين يطعم مدا . وعليه علماء الحجاز كمالك والشافعي . وأبو حنيفة وأصحابه يوجبون مدين لكل مسكين . وقال أحمد مدين حنطة ، ومدان من غيره . وقد أطال الشافعي في بيان التفرقة بين كفارة الصيد وفدية الأذى وتكلم في سائر الكفارات وأثبت بدقائق القياس التي لا يغوص عليها إلا مثله أن صيام يوم يعدل طعام مد . وقد عقد الربيع بابا خاصا لهذه المسألة في الام كما أطال في جميع فروع هذه المسائل ، مقرونة بالشواهد والدلائل .

وذهب الجمهور إلى أن التقويم يكون في المكان الذي قتل فيه الصيد وقيل بل يقوم بمكة حيث تكون الكفارة وهو مروي عن الشعبي . وذهب الجمهور القائلون بالتخيير بين الثلاثة إلى أن الخير بينها هو قاتل الصيد . وقيل بل التخيير للحكمين ، وحكى هذا عن محمد بن الحسن

واختلفوا في مكان الاطعام فقال بعضهم مكانه مكان الهدي أي مكة لانه بدله وقال آخرون بل هو مخير فيه

﴿ليذوق وبال أمره﴾ هذا تعليل لا يجاب الجزاء . وفسر الوبال بسوء العاقبة وهو من الوبل والوبال الذي هو المطر الثقيل . قال الراغب ولمراعاة الثقل قيل للامر الذي يخاف ضرره وبال . ويقال طعام وبيل . والذوق مستعمل في الأداك العام ، غير خاص بإدراك اللسان ، وقد استعمله القرآن في إدراك ألم العذاب والوبال ولم يستعمله في إدراك الطعوم إلا في قوله تعالى (فلما ذاقا الشجرة) وفي قوله (لا يذوقون فيه برذا ولا شرابا إلا حميا وغساقا) وكل استعماله فيما يكره ويذم .

ولا شك في أن الجزاء والعقوبة من أثقل الأشياء وأشقها على الناس سوءاً كانت مالية أو بدنية

﴿ عفا الله عما سلف ﴾ أي لا يؤاخذكم الله تعالى بما سلف قبل التحريم أو قبل الجزاء وقيل عما سلف في الجاهلية لأن الإسلام يجب ما قبله ويظهر نفس صاحبه من الأدران السابقة فلا يبقى لها أثراً في النفس ترتب عليه مؤاخذه

﴿ ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ﴾ أي ومن عاد إلى قتل الصيد بعد تحريمه وإيجاب الجزاء والكفارة عليه -- أو من عاد إلى قتله مرة ثانية بعد أن كفر عنه في المرة الأولى -- فإن الله ينتقم منه في الآخرة، لأن الجزاء في الدنيا لم يزرعه ولم يزرجه عن الإصرار على المخالفة . والله عزيز أي غالب على أمره فلا يغلبه العاصي ، ذو انتقام ممن أصر على الذنب . والانتقام المبالغة في العقوبة . وظاهر الآية أن الجزاء في الدنيا إنما يمنع العقاب في الآخرة إذا لم يتكرر الذنب ، فإن تكرر استحق صاحبه الجزاء في الدنيا والعقاب في الآخرة ، وبهذا قال الجمهور . وروي عن سعيد بن جبير وعطاء أن الانتقام هنا هو الكفارة . وهو خلاف الظاهر . وروي عن ابن عباس أن من قتل شيئاً من الصيد خطأ وهو محرم يحكم عليه فيه كلما قتله ، فإن قتل عمداً يحكم عليه مرة واحدة فإن عاد يقال له : ينتقم الله منك ، كما قال الله عز وجل . والمراد أنه لا تجتمع عليه عقوبتا الدنيا والآخرة ، وبهذا قال شريح ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وإبراهيم النخعي كما رواه ابن جرير

﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم والسيارة ﴾ المراد بالبحر الماء الكثير المستبحر الذي يوجد فيه السمك وغيره من الحيوانات المائية التي تصاد فيدخل فيه الأنهار والآبار والبرك ونحوها . وصيد البحر ما يصطاد منه مما يعيش فيه عادة وإن أمكن أن يعيش خارجه قليلاً أو كثيراً كالسرطان والسلحفاة . وقيل هو ما لا يعيش إلا فيه . وطير الماء ليس فيما يظهر على القولين لأنه ليس من الحيوانات المائية وإنما يلزم الماء ليصيد طعامه منه . قال الشافعي في الأم بعد بيان معنى البحر بمعنى ما تقدم : ومن خوطب باحلال صيد البحر وطعامه عقل أنه أحل له ما يعيش في البحر من ذلك وأنه أحل كل ما يعيش في مائه لأنه صيده . وطعامه عندنا

ما ألقى وطفأ عليه والله أعلم ، ولا أعلم الآية تحتل الا هذا المعنى . او يكون طعامه في دواب تعيش فيه فتؤخذ بالأيدي من غير تكلف كتكلف صيده ، فكان هذا داخلا في ظاهر جملة الآية والله أعلم اهـ .

وعن أبي هريرة ان النبي (ص) قرأ الآية وقال « ما لفظه ميتا فهو طعامه » رواه ابن جرير عنه . وروى مثله عن أبي بكر وعمر وابن عباس ، وذكر ان أبا بكر قاله على المنبر . وفي لفظ لابن عباس : ما قذف به ميتا . وقال جابر بن عبد الله : ما حسر عنه . وعن أبي أيوب : ما لفظ البحر فهو طعامه وان كان ميتا . فهو لاء يرون ان المراد بطعامه في الآية ما لا عمل للانسان ولا كلفة في اصطياده كالذي يطفو على وجهه والذي يقذف به الى الساحل والذي ينحسر عنه الماء في وقت الجزر أو لأسباب أخرى ، لا فرق بين حيه وميته . وعن ابن عباس في رواية أخرى قال : صيده الطري وطعامه المالح للمسافر والمقيم . وأخذ بهذا بعض العلماء . ولولا هذه الروايات لكان المتبادر من الآية عندي — أحل لكم أن تصطادوا من البحر وان تأكلوا الطعام المتخذ من حيوانه سواء صدموه أنتم أو صاده لكم غيره أو ألقاه البحر اليكم . وسواء كنتم حلالا أو محرمين . وأما قوله « متاعا » فمعناه لاجل تمتيعكم به او متعكم الله به متاعا حسنا . والسيارة جماعة المسافرين يتزودون منه ، فهو متاع للمقيم والمسافر

﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ﴾ هذا أعم من تحريم قتل الصيد فانه يشمل أخذه من غير قتل . وقيل يشمل أكله وان صاده غير المحرم مطلقا ، والتحقيق التفصيل ، فما صاده غير المحرم لاجل المحرم او باعائه او اذنه لا يحل للمحرم الاكل منه ، وما صاده غير المحرم لنفسه او لمثله ثم أهدي منه للمحرم فهو حل له . وقد قلنا في تفسير الآية السابقة ان هذا ما يجمع به بين الروايات . وفيه أنه تخصيص للكتاب بأخبار الآحاد . وقد أجازة الجمهور ومنعه بعض المناطقة مطلقا . وبعض العلماء تفصيل فيه لا محل لذكره هنا

روى احمد والشيخان عن أبي قتادة قال : كنت يوما جالسا مع رجال من أصحاب النبي (ص) في منزل في طريق مكة ورسول الله (ص) امامنا والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية ، فأبصروا حمارا وحشيا وأنا مشغول اخصف

نعلي فلم يؤذوني وأحبوا لو أني أبصرته ، فالتفت فأبصرته فقامت الى الفرس فأسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح ، فقالوا : والله لانعينك عليه . فغضبت فنزلت فأخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فمقرته ثم جئت به وقد مات ، فوقعوا فيه يأكلونه ، ثم إنهم شكوا في أكلهم إياه وهم حرم ، فرحنا وخبأت العضد معي فأدر كنا رسول الله (ص) فسألناه عن ذلك فقال « هل معكم منه شيء ؟ » فقلت نعم . فناولته العضد فأكلها وهو محرم . وفي رواية لهم « هو حلال فكلوه » وفي رواية لمسلم « هل أشار اليه انسان أو أمره بشيء ؟ » قالوا : لا . قال « فكلوه » ولفظ البخاري « هل أشار اليه أحد ان يحمل عليها أو أشار اليها ؟ » قالوا لا . قال « فكلوا ما بقي من لحمها » ورواية التائث مبنية على أن مصادره أبو قتادة كان أتاناً لا حماراً . ففي رواية البخاري : فرأينا حمر وحش فحمل عليها أبو قتادة ففقر منها أتاناً الخ وهذا هو الصواب الا ان تكون الواقعة متعددة خلط الرواة بعضها ببعض . وفي رواية لأحمد وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وابن خزيمة أن أبا قتادة قال للنبي (ص) : وإني انما صدته لك . فأمر أصحابه فأكلوا ولم يأكل . وسنده جيد وقد استغربوا هذه الزيادة وشكوا في كونها محفوظة ، فلخالفها رواية الصحيحين ، وحاول بعضهم الجمع بكونه أكل قبل ان يخبره بأنه اصطاده له وامتنع بعد العلم بذلك . وهو تكلف ظاهر ، ولا يظهر الجمع الا اذا ثبت أو احتمل تعدد الواقعة . وفي هذه الرواية شدوذ آخر وهو ان أبا قتادة قال : خرجت مع رسول الله (ص) زمن الحديبية فأحرم أصحابي ولم أحرم فرأيت حماراً فحملت عليه فاصطدته فذكرت شأنه لرسول الله (ص) وذكرني اني لم أكن أحرمته واني انما اصطدته لك الخ ما تقدم . واستشكلوه بأنه كيف جاز ان يترك الاحرام وهو معهم . والصواب كما قال ابن عبد البر ان النبي (ص) كان وجهه على طريق البحر مخافة العدو فلذلك لم يكن محرماً . فعلى هذا لا يكون لتعبيره عن خروجه وعدم إحرامه هنا وجه ظاهر .

وروي احمد والشيخان عن الصعب بن جثامة انه أهدى الى رسول الله (ص) حماراً وحشياً وهو بالأبواء أو بؤدان (كلاهما في طريق مكة) فردّه عليه . فلما

رأى ما في وجهه قال « انا لم نردّه عليك الا أنا حرّم »
 وروى الشافعي وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث جابر
 ان النبي (ص) قال « صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يُصد لكم » وله طرق
 لا يخلو واحد منها من علة. قال الشافعي هذا أحسن حديث روي في هذا الباب وأقرب
 ﴿ واتقوا الله الذي اليه تحشرون ﴾ فلا تحلوا ما حرمه عليكم من الصيد وغيره
 مخافة ان يعاقبكم يوم تحشرون اي تجمعون وتساقون اليه يوم الحساب

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

افتتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة. وينبغي
 للسائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه
 بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا
 وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير
 مشترك لمثل هذا ، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة
 فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(صدق به وصدق له)

(س ١) من صاحب الامضاء مدير مجلة الأديان في بنجاب بالهند

سيدي العزيز !

كتبت في أحد أعداد المنار (كما سمعت) أن هناك فرقا بين قولنا « صدق له »
 « وصدق به » وقلت أن الاخير يفيد معنى التحقق والامضاء ، والاول يفيد معنى
 الإتيان (أي تحقق مضمون الشيء) وما استعمله القرآن بالنسبة الى التوراة
 والانجيل هو التعبير الاول . وهذا التفسير هو الجدير بالاعتبار ويحل الاشكال الذي
 بين المسلمين والنصارى في مسألة شهادة القرآن لكتبهم . واني أعد لكم فضلا كبيرا

علي اذا أقمت لي الدليل على صحة هذا الفرق بين العبارتين حتى يتيسر للإنسان ان يقتبسه كلما قام جدال بيننا وبينهم في هذه المسألة وأملئ ان تبادروا بالجواب

عبدكم (?) المخلص

شرالي

مدير مجلة الاديان

(ج) إن ما أشرت اليه من التفرقة بين صدق به وصدق له وقع في رسالة الدكتور محمد توفيق صدقي لا في كلام المنار. وما ينشر في المنار لغیرنا لا يصح أن نطالب بالدليل عليه بل نستل عن رأينا فيه. والذي يؤخذ من استعمال القرآن لكلمة التصديق وما اشتق منها ومن استعمال العرب هو ان «صدق» فعل يتعدى بنفسه كما قال تعالى (٣٧: ٣٧) بل جاء بالحق وصدق المرسلين) وأن التصديق يكون بالقول كقولك: صدق فلان فيما أخبر به. ويكون بالفعل، ومثاله أن تقول: ان فلانا سيفعل كذا، او يقول كيت وكيت - فيفعل ذلك الفعل او يقول ذلك القول، فهذا يسمى تصديقا لما قلته عنه، سواء أراد به ذلك أم لا، كل جائز في اللغة مستعمل فيها. فتصديق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم للمرسلين عليهم السلام ولكتبهم يصح فيه الوجهان - يصح أن يراد به إخباره بصدقهم فيما بلغوه عن الله تعالى، وان يراد به ان بعثته وصفاته وأفعاله دلت على صدقهم في البشارة به، وبكل من القولين قال أهل التفسير المأثور والمعقول، والقرائن ترجح أحدهما على الآخر في المواضع المختلفة ولم يرد صدق متعديا باللام فيما نعلم. اما مثل قوله تعالى (٢١: ٢) وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم) وقوله (٩١: ٢) وهو الحق مصدقا لما معهم) فاللام فيه للتقوية لا للتعدية، وهو بمعنى قوله (٩٣: ٦) وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) ومعنى ذلك أنه دال على صدق تلك الكتب فيما بشرت به من بعثة النبي (ص) او ناطق بصدق أولئك المرسلين فيما جاؤا به عن الله تعالى. فان أريد بالتصديق القولي منه فهو لا ينافي ما أثبتته في آيات أخرى من تحريف القوم لبعض تلك الكتب الصادقة ونسيانهم حظانها. ومثاله ان يقول قائل لقوم ان فلانا المؤرخ صادق وان ما كتبه لكم من تاريخكم أو تاريخ كذا صحيح، ولكنكم نسيتم بعض ما جاءكم

به فلم تحفظوه ، وحرقت بعض كلمه فلم تبينوه ولم تستبينوه . هذا هو التحقيق في تفسير الآيات الواردة في هذه المسألة . وقد فصلنا القول فيها في مواضعها من التفسير وأيدناه بالدليل

وأما قولهم : صدق بكذا أو بفلان ، — فهو ليس من التصديق الذي معناه مجرد إثبات الصدق بالقول أو الفعل ، فان التصديق بمعنى إثبات الصدق يتعلق بالاقوال لا بالأشخاص والأشياء ، فاذا اسند الى الأشخاص فانما يسند اليهم باعتبار مضاف محذوف ، « فمعنى صدق المرسلين » صدق أقوالهم . فاذا عدي التصديق بالباء كان متضمنا لمعنى الايمان فكان تصديق اعتقاد محلله القلب ، فالتصديق بالانبياء هو الايمان بنبوته لا قولك بلسانك إنه صادق ؛ ولا فملاك فعلا يدل على صدق كلامه . وأما تصديقه فيشمل هذا وذاك . والمصدق باللسان قد يكون غير مصدق بالقلب . وحقيقة معنى تضمنين فعل معنى آخر هو أن تضم معناه الى معنى الفعل الاصلى بتعديته الى ما يتعدى اليه لكي يدل على معناه أولا وبالذات . وتبقى دلالاته على معناه الاصلى مرادة ولو على سبيل اللزوم والا كمال . كقوله تعالى (ولأن تأكلوا أموالهم الى أموالكم) أي لا تأكلوها بضمها الى أموالكم لتكون ربحا لكم كسبكم . وهذا لا ينافي الاكل منها بمخالطة اليتيم وإشراكه مع الوصي في المعيشة مع اتقاء الوصي قصد الرج منه ، كما أنه لا ينافي ضمها الى أمواله لحفظها معها لليتيم لانفسه وقد استعمل التصديق في القرآن متعديا بالباء في أربعة مواضع — ١ — قوله تعالى حكاية لبشارة الملائكة لذكرى (٣ : ٣٩) ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله — ٢ — قوله تعالى (٣٩ : ٣٢) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون — ٣ — قوله (٦٦ : ١٢) وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي السيدة مريم عليها السلام — ٤ — قوله (٩٢ : ٥) وصدق بالحسنى) فكل موضع من هذه المواضع يراد بالتصديق فيه الايمان المستلزم للتصديق اللساني . والحسنى صفة محذوف قيل هو كلمة التوحيد ، واختار شيخنا انه الشريعة والملة

والايمان يتعدى بنفسه بالباء واذا تعدى باللام كان متضمنا لمعنى الاتباع كما لا يخفى على من استقرأ استعماله في الكتاب العزيز وكلام فصحاء العرب والله أعلم

أول الخلق وكونه نور النبي (ص) (تأخر كثيرا)

(س ٢) من صاحب الامضاء في الجامع الازهر
فضيلة الاستاذ ! بعد تقديم اللائق بمقامكم أعرض على حضرتكم مسألة
طلما تكررت على مسامعنا ولم نفقه لها معنى وسألت عنها بعض مشايخي بالازهر
فأجابوا بأنها من مواقف العقول فأرجو من فضيلتكم الشرح عنها
سمعنا أن الاشياء خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم ، وأنه موجود قبل
الكائنات. فما معنى النور الذي خلقت منه الكائنات، وكيف يقبل القسمة مع أنه
من المكيفات ؟ وكيف يكون النبي أولا وآخر ؟ أجيئوا لازلتم للدين منارا
كاتبه احمد مصطفى اسقى

(ج) ما يذكرك في الموالد وبعض الكتب من كون أول الخلق نور النبي (ص)
لا يصح منه شيء ، فما يبنى عليه من الاشكال ساقط يصدق عليه ما قلناه في الامر الثاني
من جواب السؤال عن عدد صفات الله تعالى وعلمه بها (في ص ٧٣٩ م ١٧) .
وتجدون البحث في مسألتكم مفصلا في (ص ٨٦٥ - ٨٦٩) من مجلد المنار الثامن

﴿ كتاب الجفر . وحديث الاستعاذة من الحور بعد الكور ﴾

(س ٣ و ٤) من صاحب الامضاء في جهة أبي كبير « الشرقية »

حضرة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير
السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فنرجو اولا التكرم بافادتنا عن كتاب الجفر
المنسوب للإمام علي كرم الله وجهه هل هو صحيح أو باطل وما هي أدلة المثبتين
وما هي أدلة النافين وما هو رأيكم الخاص

ثانيا ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من الحور بعد الكور »
هذا وتنازلوا بقبول فائق احترامي
ابو هاشم علي قريظ

« ج » أما كتاب الجفر فلا يعرف له سند الى امير المؤمنين وليس على النافي
دليل وإنما يطلب الدليل من مدعي الشيء ولا دليل لمدعي هذا الجفر

وأما معنى الحديث فقد قال ابن الاثير في النهاية : « نعوذ بالله من الحور بعد
الكور » اي من التقصان بعد الزيادة ، وقيل من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وقيل
من الرجوع عن الجماعة بعد ان كنا منهم . وأصله من تقص العمامة بعد لفها . اه
وفي لسان العرب : يقال كار عمامته على راسه اذا لفها ، وحادر عمامته اذا نقضها .

حرب المدينة الاوربية

والمقارنة بينها وبين المدينة الاسلامية ، والفتوحات العربية

لقد آرتنا هذه الحرب من ضروب العبر ، ما لم يكن يخطر قبلها على قلب بشر ، وهتكت لنا من أستار الرياء ، ما أرانا كثيرا من حقائق الاشياء ، التي لم يكن يلمحها الا أفراد الحكماء ، فظهر للذكي والبليد ، والغويي والرشيد ، ان هذه لمدينة المادية ، مدينة قوة وحشية ، وشهوات بهيمية ، كانت تمخدع الابصار وتقن البصائر ، بما يدعيه أهلها في زمن السلم من حب الحق والتحلي بلباس الفضائل ، واقامة ميزان العدل ، وثل عروش أئمة الجور والظلم ، حبا في سعادة الناس ، ورغبة في المساواة بين الافراد والاجناس

وقد كان من مقدمات هذه الحرب بين الدول الكبرى حربان في البلقان ، اقتترف فيهما البلقانيون من ضروب القسوة وفظائع العدوان ، وتقتيل الشيوخ والولدان ، وهتك الاعراض ونهب الاموال ، ما لم يعرف التاريخ أقبح منه منظرا ، ولا أسوأ عاقبة وأثرا ، ولم يكن يخطر في بال أحد أن هذه الموبقات يمكن ان يقع مثلها من دولة من الدول الكبرى ، دول العلم والفنون والمدينة الرائعة في هذا العصر الذي يفضلونه على جميع العصور ، ويسمون عصر الحضارة والنور ، نعم ان أنواره المادية يكاد شعاعها يذهب بالابصار ، ويمكن ان يفضل بها الليل على النهار ، ولكن يتمثل لك في هذا الضوء عالم المدينة ، هيكلا من هياكل الوثنية ، قد نصب في محرابه تمثال القوة الحربية ، واضعا إحدى قدميه على الحق والاخرى على الفضيلة ، رافعا يمينه راية القهر والسلطة وبشمالها راية الشهوة واللذة ، والناس ما بين راعه له وساجد ، ومحرق للبخور ومقدم للذبايح

قلما كان أحد من الناس يظن ان دول العلم والحضارة تقترب مثل ذلك الظلم والعدوان ، وتجترح تلك السيئات التي اجتريحتها شعوب البلقان ، فجاءت هذه الحرب مكذبة لظن الخير فيها ، وأحققت من القضاء بالقسوة والفظاعة عليها شر ما أحقت على من قبلها ، اذ كانت أقدر على التشكيل والتدمير من البلقانيين الذين

هم عالة عليها ، بقدر ما آتاهها العلم من أسبابها وآلاتها ، فقد جعلت العلم الجدير بأن يكون مصدر العدل والرحمة والسعادة ، مصدرا للظلم والقسوة والشقاوة ، فهذه دولة ألمانية الممتازة بسعة العلوم واتقان الفنون ، قد امتازت بما اخترعته من آلات التخريب وأسباب المنون ، وينقل لنا عنها محاربوها ما تقشعر منه الجلود ، ويتصدع من هولاء الحجر الجلود ، من مدافع تدرك الحصون والمعازل ، وغواصات تنسف البوارج والبواخر ، وغازات سامة يتكون منها دخان أخضر ، يقتفي آثاره الموت الأحمر ، فهو مصداق قول الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب اليم)

وضعوا للحرب قوانين لتخفيف نكباتها ومصائبها مستمدة محاسنها من الشريعة الإسلامية شريعة العدل والرحمة ، ولكن ثبت أنهم مارعوها حق رعايتها ، وإنما يعملون بها في بعض الأمور الظاهرة المشتركة بين كل من المتقاتلين كعاملية الأسرى ، ومن أمن منهم ان يعاقب بمثل عاقب به لعجز خصمه أو لا مكانه إخفاء جنايته ، لم يلتزم أحكام قوانين الحرب وحقوق الدول ولا معاهداتها احترامها ، أو جبا في الحق والعدل اللذين توضع القوانين والعهود لاجلها .

فأين حرب هذه الأمم والدول التي خدع الناس كلهم حتى المسلمون بها ، وصاروا يباهون بفضائلها ، وارتقائها في معارج المدنية الانسانية بعلومها وفنونها ، — من حرب الصحابة الذين كان أكثرهم أميين ؟ تلك الحرب التي لم يعرف التاريخ البشري مثلها في رعاية الحق والعدل والورع ، واستعمال الرأفة والرحمة في السر والعلن ، بل شهد فيلسوف التاريخ والاجتماع (غوستاف لوبون) للعرب كلهم بذلك فقال : ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب . فبذلك العصر النوراني فليفاخر المفأخرون ، لا بعصر الوحشية المنظمة التي جاء بها القرن العشرون

هل نقل ناقل أو قال قائل ان أحدا من الصحابة عليهم الرضوان أو ممن حارب معهم من التابعين انتهك عرضا ، أو قتل شيئا أو امرأة أو غلاما أو سلب لأحد من أعدائه مالا ، أو هدم كنيسة أو دير أو قتل راهبا أو قسيسا ؟ أو مثل بقتيل ،

أو أجهز على جريح ؟ كيف وقد كان الرسول (ص) يوصيهم بمثل قوله « انطلقوا باسم الله وبالله (ص) ولا تقتلوا شيخا فانيا^(١) ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضمو غنائمكم ، (واحسنوا ان الله يحب المحسنين) » رواه أبو داود من حديث انس بن مالك - وروى احمد من حديث ابن عباس قال كان رسول الله (ص) اذا بعث جيوشه قال « اخرجوا باسم الله تعالى تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا^(٢) ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع »

ومن وصايا الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض) المقتبسة من مشكاة النبوة مارواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد ان ابا بكر بعث جيوشا الى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان - وكان يزيد أمير ربيع من تلك الارباع - فقال اني موصيك بعشر خلال : لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هراما ، ولا تقطع شجرا مشرأ ، ولا تحرب عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا لما كله ، ولا تعقرن نخلا ولا تحرقه ، ولا تغلل ولا تحجن^(٣)

نعم قد كان يقع قليل من الشذوذ يقابل بالانكاره الا اذا دفع اليه الاضرار ، والنادر لا حكم له . روى الشيخان وأصحاب السنن ما عدا النسائي وغيرهم عن ابن عمر قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي (ص) فنهى رسول الله (ص) عن قتل النساء والصبيان .

وروى احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن رياح بن ربيع انه خرج مع رسول الله (ص) في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد فمر رياح وأصحاب رسول الله (ص) على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة فوقفوا ينظرون اليها

(١) المراد بالشيخ الفاني من لا يقاتل وقد كان الناس كلهم مقاتلة الا هؤلاء الذين نهى الحديث عنهم والقاعدة الاسلامية العامة انه لا يقاتل الا من يقاتل (٢) الغلول الحيانة والغنائم . والتمثيل تشويه الأعضاء بنحو قلع العين وجذع الانف وصلم الاذن . وقد حرم الاسلام بالتمثيل بالقتلى فضلا عن الاحياء ، وقد ثبت وقوع التمثيل في حرب المدينة الاورية وفي الحرب البلقانية قبلها

(٣) أخبن الرجل خبأ في خبنة ثوبه أو سراويله شيئا . والخبنة بالضم طية الثوب وثنيته . وفي نسخ الموطأ المطبوعة وأكثر الكتب التي نقلت عنه : ولا تحجن بالجيم

حتى لحقهم رسول الله (ص) على راحلته فأفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله (ص) وقال « ما كانت هذه لتقاتل — وقال لأحدهم — الحق خالدا قتل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا » (٢) وروى أبو داود في مراسيله عن عكرمة ان النبي (ص) مر بامرأة مقتولة يوم حنين فقال « من قتل هذه » ؟ فأخبره رجل انه كان غنمها فلما رأت الهزيمة أهوت الى قائم سيفه لتقتله به فقتلها قبل ان تقتله . ولا أتدكر قتل امرأة في مغازي النبي (ص) غير هاتين الا تلك المرأة اليهودية التي أمرها زوجها ان تلقي الرمح على بعض المسلمين في غزوة بني النضير ليقتلوها فلا تعيش بعده اذ كان موطنها نفسه على ان يقاتل حتى يقتل ففعلت

وقد كان رفيق النبي (ص) بالنساء أعظم من ذلك فقد روى ابن اسحق ان بلالاً مر بصفية وابنة عم لها على قتلى يهود بعد سقوط حصن بني أبي الحقيق فلما رأت المرأة القتلى صكت وجهها وصاحت وحشت التراب على وجهها فقال النبي (ص) لبلال « أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما » ؟

ومن ضروب العبرة في حرب المدينة الاوربية كثرة ما يتقاضونه من البلاد التي يفتحونها من الغرامات ، وما يفرضونه عليها من الأتاوات ، وقد كان المسلمون الاولون يكلفون أهل البلاد ضيافة ثلاثة أيام ، الضرورة الحاجة الى القوت وعدم تيسر أسبابه بالطرق النظامية المتبعة في هذه الايام ، وأما الجزية والخراج اللذان يفرضونهما على أهل البلاد فهما أقل مما تفرضه كل حكومة من حكومات الارض على أبناء جنسها في بلادها ، دع ما تفرضه الحكومات الاوربية في مستعمراتها ، فهو يستغرق معظم غلات أرضها ، فلا يبقى لأكثر أهلها منها الا ما يسد الرمق ، ويستعين به على مداومة العمل ، وقد قرأنا في الصحف ما فرضه الألمان على أهل بلجيكة من الغرامات وما حملوهم من الاثقال ، بعد ما حل بهم ما حل من الخزي والنكال ، فاذا هو مما تعجز عن حملة الجبال لالجمال ، ولا غرو فان كل حظ أهل هذه المدينة المادية

(١) العسيف الاجير

من الحياة والدافع لها الى القتال ، انما هو الاستكثار من جمع الاموال ، والتمتع بالذلة والعظمة والسلطة والجاه ، ولو ظفر البلجيكيون بالالمان ، لأنزلوا بهم الخزي والهوان ، وعاملوهم كما عاملوا أهل الكونغو منذ أعوام ، فأين هذا من عفة المسلمين ولا سيما الصحابة الكرام .

روى البلاذري في فتوح البلدان عن سعيد بن عبد العزيز قال : بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجوع وبلغ المسلمين اقبالهم عليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم . فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : كولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان نغلب ونجهد . فأغلقوا الابواب وحرسوها . وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا ان ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه ، والا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد . فلما هزم الله الكفرة (يعني الروم أي الرومانيين) وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلسين وأدوا الخراج . اهـ

وفي رواية احفظها ولا أتذكر موضعها الآن أن الصحابة لما ردوا ما كانوا أخذوا من الجزية قالوا انا كنا أخذناها جزاء حمايتكم والدفاع عنكم وقد عجزنا الآن عن ذلك ، خلف الاهالي ان أبناء دينهم ما كانوا يرجعوا مالا أخذوه الخ

فهل عهد من فاتح في الاولين والآخريين ان يرد الخراج الى أهل البلاد التي يفتحها ، بناء على ان الخراج لا يباح أخذه الا لأجل حفظ البلاد والدفع عنها ، وان العجز عن ذلك وان كان في سبيل الدفاع عن تلك البلاد يوجب رد الاموال الى أصحابها ؟ لا لا ، ان هذا العدل والورع لم يعرفه البشر الا من الصحابة رضي الله عنهم ، فان كان من وليهم من خلفاء العرب وامرائهم دونهم ، فهم يفضلون سائر الامم في رقتهم وقناعتهم

كان بنو أمية أحرص العرب على نعيم الملك وسعة العيش ، فخرجوا في كثير من أمر السلطة والتصرف في بيت المال عن السنة المتبعة وسيرة الخلفاء الراشدين

وانما استقام عليها منهم عمر بن عبد العزيز . أما سيرتهم في الغزو والقضاء بين الناس وإدارة البلاد فكانوا يتحرون فيها العدل والرحمة ، وكذلك كانت سيرة العباسيين في الشرق ، والامويين في الغرب (أي الاندلس) ومن شذ عن ذلك لغير سبب حفظ المالك كان مذموما وعرضة للعقاب ، وقد تضاعفت ثروة الممالك واستبحر عمرانها بعد أن انتزعوها من الروم والفرس . بما كانوا يسوسونها به من الرحمة والعدل ، ولم يفظن لهذا بعض الكتاب الذي انبرى في هذه الايام الى ذم ولاية العرب بكونهم لم يكن لهم هم إلا جباية الخراج ، وقوله في أفراد منهم إنهم لم يفعلوا شيئا للبلاد ، أو لم يقل فلان المؤرخ انهم فعلوا شيئا — وهو يعلم علما ضروريا ان عدم القول لا يستلزم عدم الفعل ، وان ماسكت عنه زيد يجوز ان لا يسكت عنه عمرو ، ويعلم علما نقليا أن مزية الفاتحين الاولين من العرب هي العدل والرحمة لا الصناعة التي امتاز بها مؤسسو الاهرام وأمثالهم ، وكانت ولا تزال شاهدة على استبدادهم وظلمهم كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يشكو اليه قلة دخل بيت المال بمصر بكثرة دخول الناس في الاسلام ، ويستأذنه في ضرب جزية على المسلمين . فكتب اليه عمر هذه الكلمة العالية « ان محمدا (ص) بُعث هاديا ، ولم يبعث جابيا » وكتب اليه عدي بن أرطاة : أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين فان قبلي أناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيما لست أرجو استخراجهم (وفي رواية : لست أقدر على استخراجهم) من أيديهم الا أن أمسهم بشيء من العذاب . فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في ذلك فعل » فأجابه بقوله :

« أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر ، كأني لك جنة من عذاب الله . وكأن رضائي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه ينة عدول فخذها بما قامت عليه به البيئة ، ومن أقر لك بشيء فخذها بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم وخل سبيله . وأيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم ، أحب الي من ألقى الله بدمائهم . والسلام »

وروي عن يحيى الفسائي أنه قال : لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقا ونقبا ، فكتبت الى عمر أعلمه حال البلد وأسأله :

أخذ الناس بالظنة ، وأضربهم على التهمة ، أم أخذهم بالينة ، وما جرت عليه السنة ؛ فكتب الي أن خذ الناس بالينة وما جرت عليه السنة ، فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله . قال يحيى ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقا وتقبا .

ومن ضرر وب العبرة في هذه الحرب ماتراه في كلام كثير من الكتاب من بنائها على قاعدة من قواعد المدنية الحديثة قررها الالمان وتوسعوا في فلسفتها وألفوا فيها الكتب ، ووافقهم عليها من وافقهم بالقول والفعل أو بالفعل دون القول - وهي قاعدة « الحق للقوة » - وقد نشرنا في الجزء الذي قبل هذا مقالا في شأن الكتاب الذي ألفه أحد قواد الالمان وعلمائهم (الجنرال فون برنهاردي) في ذلك وسماه (المنطق والمبادئ في الحروب) وفي نقد مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية له ، ومنه تعلم أنهم جعلوا الأثرة وتفضيل الأقوياء على الضعفاء حتى في الحقوق المدنية مما تقتضيه الفضيلة والحكمة بل زعموا أنه من أصول الديانة المسيحية وأحكامها ، وان مساواة الشعب الغالب للشعب للمغلوب لا يجوز في نظر العلم والفلسفة ولا في حكم الدين

ندع لعلماء اللاهوت ورجال الكنيسة حكمهم فيما عزاه الجنرال الالماني وغيره الى الديانة المسيحية مع اعتقادنا ان من آداب دين المسيح عليه السلام المبالغة في الايثار (الذي يعبر عنه القوم بانكار الذات) وهو ضد الأثرة التي يدعيها هذا الفيلسوف الالماني وغيره ، فهو ينافي طلب السلطة وانتزاع ملك الناس وملكهم بالقوة ، لاجل التمتع بالجاه واللذة ، لان من قواعد الانجيل ان يعطي المؤمن ماله لغيره ، فكيف يتفق هذا مع انتزاعه من غيره ما يملكه ؟ وأما الاسلام فهو وسط بين هذه المدنية المادية ، وبين زهد المسيحية ، فهو دين سيادة وسلطة مدنية ، وفضيلة أدبية روحية ، فالايثار فيه فضيلة مندوبة ، وهو في المسيحية فريضة مطلوبة ، قال الله تعالى في وصف المؤمنين (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) . وأما قاعدة الاسلام في الاحكام فهي العدل والمساواة في الحقوق بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والقريب والبعيد ، والحبيب والبغض ، قال تعالى (٥ : ٨) ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) والآيات في هذا

المعنى كثيرة أوردنا طائفة منها في الرد على الكاتب الأمريكي الذي زعم - فيما كتبه بمناسبة إلغاء الدولة العثمانية الامتيازات الاجنبية - ان الشريعة الاسلامية جاءت بعدم المساواة بين المسلم وغيره ، وبيننا هنالك انه لاتعرف شريعة في الارض قررت هذه المساواة غير الشريعة الاسلامية . وقد جرى على ذلك الخلفاء الراشدون على وجه الكمال ، وكان هو الاصل والقاعدة عند الامويين والعباسيين في القضاء . وانما وقع الشذوذ والخروج عنه في بعض الاحكام السياسية والعسكرية

واقعة مساواة عمر بن الخطاب بين علي صهر الرسول وابن عمه وبين رجل من عامة اليهود ، وغلط عمر في تسمية اليهودي وتكنية علي ، واستياء علي منه لتفضيله اياه على خصمه بالتكنية ، واعترافه هو بأن ذلك خطأ - واقعة مشهورة معروفة . وقد جرى لعمر بن عبد العزيز ما يقرب منها :

قال الحكم بن عمر الرعي : شهدت مسلمة بن عبد الملك يخاصم اهل دير اسحق عند عمر بن عبد العزيز بالناعورة ، فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي . ولسكن وكل بخصومتك من شئت والا فخائي ^(١) القوم بين يدي . فوكل مولى له بخصومته ففضى عمر عليه بالناعورة . ذكره الحافظ ابن الجوزي في سيرته

قلت أن هذه الواقعة تشبه واقعة علي مع اليهود . وأعني بالتشبيه المساواة في التكريم والاحترام بين الرفيع وان كان بيت النبوة أو الملك وبين سائر الناس حتى من غير المسلمين ، فعلي كان سيد آل بيت الرسول وعمادهم ، ومسلمة كان من بيت الملك فهو ابن عبد الملك بن مروان ، وناهيك بما كان لبني عبد الملك من العز والسلطان .

أما المساواة في الحقوق نفسها فكانت هي الاصل الذي يجري عليه كل الحكم الا من شذ لا سباب عارضة أو لفساد في خلق الشخص ووقائعها في عهد عمر بن عبد العزيز لا تحصى . وقد كان أول مظلمة رفعت اليه يوم توليته مظلمة ^(١) اي اجلس بازانهم جائئا على ركبتيك مثلهم اذلا تميز في الخصومة بين ابناء الخلفاء والامراء وبين دهماء الناس كاهل الدير وغيرهم

ذمي من أهل حصص ادعى ان العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبه أرضه ، قال عمر : يا عباس ماتقول ؟ قال أقطعنيها — أي الارض — أمير المؤمنين الوليد بن الملك وكتب لي بها سجلا . فقال : ماتقول يا ذمي ؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق ان يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، اردد عليه يا عباس ضيعته . فردها عليه

وقد كان أهل بيت الملك من بني أمية تأثلوأضياعاومزارع كثيرة من بيت المال ، وكان لبعض الناس في بعضأحق أو مقال ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ردها ، وكان أول ما بدأ به رد ما كان له ولولده من ذلك

وروى انه استشار مولاة مزاحما في ذلك فقال : يا مزاحم ان هؤلاء القوم اعطونا عطايا والله ما كان لهم ان يعطونا اياها وما كان لنا ان قبلها ، وان ذلك قد صار الي ليس عليّ فيه دون الله محاسب . فقال له مزاحم يا أمير المؤمنين هل تدري كم ولدك ؟ انهم كذا وكذا . قال فذر فت عيناه فجعل يستدمع ويقول . أكلهم الى الله تعالى . ثم ذهب مزاحم وذ كر ذلك لعبد الملك بن عمر عسى ان يكف أباه عن ذلك . فقال له عبد الملك : بئس وزير الدين أنت يا مزاحم . ثم وثب فانطلق الى بيت أبيه عمر فاستأذن عليه فقال له الآذن : ان أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة . قال استأذن لي . قال : أما ترحمونه ليس له من الليل والنهار الا هذه الوقعة . قال عبد الملك : استأذن لي لا أم لك . فسمع عمر الكلام فقال : من هذا ؟ قال هذا عبد الملك . قال ائذن له . فدخل عليه وقد اضطجع للقائلة فقال : ما حاجتك يا بني في هذه الساعة . قال : حديث حدثنيه مزاحم . قال فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال وقع رأيي على انفاذه . قال فرفع عمر يديه وقال : الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني . نعم يا بني ، أصلي الظهر ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس . فقال عبد الملك : ومن لك بالظهر يا أمير المؤمنين ! ومن لك ان بقيت الى الظهر ان تسلم لك نيتك الى الظهر ! فقال قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة . فقال عبد الملك تأمر مناديك ينادي : الصلاة جامعة . فيجتمع الناس (قال اسماعيل بن أبي حكيم الراوي لهذه الواقعة وهو من رجال صحيح مسلم) فنادى المنادي : الصلاة

جامعة. فخرجت فأتيت المسجد فجاء عمر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا والله ما كان لهم ان يعطوناها ،
وما كان لنا ان نقبلها ، وان ذلك قد صار اليّ ليس عليّ فيه دون الله محاسب . ألا
واني قد رددتها وبدأت بنفسي واهل بيتي . اقرأ يا مزاحم .

قال الراوي : وقد جيء بسفط قبل ذلك - او قال جونة - فيها تلك الكتب .
فقرأ مزاحم كتابا منها فلما فرغ من قراءته ناوله عمر - وهو قاعد على المنبر ويده
جلم (أي مقص) فجعل يقصه بالجلم ، واستأنف مزاحم كتابا آخر فجعل يقرؤه فلما فرغ
منه دفعه الى عمر فقصه ، ثم استأنف كتابا آخر ، فما زال حتى نودي بصلاة الظهر
هذه هي أحكام الاسلام فن خالفها كان خارجا عن هديه ، استعملوا القوة ، في
اقامة العدل مع الرحمة ، وبذلك ساد من ساد من خلفائهم ودولهم ، فقاعدتهم
« القوة للحق » وقاعدة المدينة الحديثة « الحق للقوة » واما المتأخرون منافهم
مذبذبون بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، وما رأيت أصدق في وصف
القوم ووصفهم من قول شاعر بني العنبر أول شعراء الحماسة :

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لؤثة لانا
قومٌ اذ الشرُّ أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زَرَقاتٍ ووُحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندُبهم في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن اساءة أهل السوء احسانا
كان ربك لم يخلق خلشيته سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا شنو الإغارة فرسانا وركبانا

ومن ضرر العبوة في هذه الحرب ما نراه في أخبارها من الكذب والتناقض
والتعارض والتهاوتر والتمويه والتدليس وسوء التحريف وفساد التأويل ، يشترك في

ذلك أصحاب الشركات البرقية . والجرائد السياسية ، حتى سرى الى المجالات التاريخية والعامة ، بل لم يعد أحد من الناس يثق كل الثقة بالتقارير والبلاغات الرسمية ، لانهم يرون كل خصم يكذب خصمه في أخباره الرسمية . ولو سئل أصحاب الجرائد في كل قطر من الاقطار عن سبب ما ينكر عليهم مما ذكر — لا جابوا: ان سببه الاول تضيق حكوماتنا علينا ، والزامها ايانا عوض كل ما نكتبه على رقائنا الذين سلبوا حرية الكتابة منا ، مع اجتهادنا في جعل ما نكتبه موافقا لمصلحتها ، وتجنبنا من تلقاء أنفسنا كل ما نرى ان نشره يخالف سياستها .

هذا عذر عارض ، والمشهور بين الناس ان الجرائد لا تتحرى الصدق فيما تنشره لافي أيام السلم وعهد الحرية ، ولا في أيام الحرب وعهد المراقبة ، وانها تتعمد الكذب والتمويه اذا كان لها في ذلك منفعة . والحق انها تواريخ فيها الصادق والكاذب ؛ والحق والباطل ، تجمع بين الدرة والبعرة ، وتأتي بالذرة واذن الجرّة ؛ وانني لا أشهد جريرة من الجرائد التي أعرفها في الشرق انها تمثل حال البلاد التي تصدر فيها والامة التي تسكّم عنها تمثيلا صحيحا كما يعرفه المختبر للبلاد والامة . ولو كانت هذه الجرائد في عصر رجال الجرح والتعديل من المحدثين ، لجعلوا أصحابها في عداد الوضاعين ، ولم يرتقوا بهم الى درجة الضعفاء أو المدلسين . كيف وقد ضعف بعضهم القاضي الواقدي وبعضهم قال انه كذاب وانه كان يضع الحديث . وهو من اكبر الحفاظ واشهر المؤلفين ، كتب عنه سليمان الشاذكوني كتابا ثم اتاه فسأله عما كتبه عنه قبل ان يخرج به ، فاذا هو لم يغير حرفا منه .

لم تُعن أمة من أمم العلم بمثل ما عني به المسلمون من ضبط الرواية في القرون الاولى . فان كانوا دونوا في تواريخهم كل ما قيل ماصح منه وما لم يصح لاجل الجمع والاحصاء ، فالعمدة عندهم على الاسانيد ، فما كان محل الشبهة منها أمكن تمحيص الرواية فيه بالبحث عن رجال سنده . فاذا انفرد بعض الرواة أو المؤرخين بطعن في العلويين أو الامويين أو العرب — مثلا — يمكننا بالنظر في السند أن نعرف هل فيه أحد المتعصبين غير الثقات من النواصب أو الروافض أو الشعوية فنتهمه بوضعه أم لا؟ وتحرير هذه المسألة لا يمكن الا بمقال طويل ، وعلى الله قصد السبيل .

مَدَامَ
دَارُ الدَّعْوَةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

الفرق بين الهواء الداخل الى الرئتين والخارج منها

الهواء الداخل الى الرئتين تركيبه عين تركيب هواء الجو أعني هكذا : —

أ كسجين ٢٠.٩٦ في المائة (١)

» » ٧٩ نيتروجين

» » ٠.٠٤ غاز حامض الكربونيك (وهو غاز ثاني أكسيد الفحم)

بخار الماء كميته مختلفة

وحارة هذا الهواء تختلف باختلاف الجهات والأوقات وغير ذلك

أما الهواء الخارج من الرئتين فتركيبه كما يأتي : —

أ كسجين ١٦.٠٣ في المائة

» » ٧٩ نيتروجين

» » ٤.٠٤ غاز ثاني أكسيد الفحم

الهواء مشبع به بخار الماء

كحارة الجسم الحرارة

يفهم من ذلك أن النيتروجين لا تتغير كميته لعدم حاجة الجسم اليه من طريق التنفس فيذوب في الدم كما يذوب في الماء ولا عمل له في الجسم مطلقا. وفائدة النيتروجين في الهواء تخفيف مقدار الأكسجين فيه ، فاننا اذا استنشقنا أكسجين

(١) هذه المقادير بالحجم لا بالوزن

(المنار - ج ٣) (٢٥) (المجلد الثامن عشر)

خالصا احترق جسمنا بسرعة كبيرة ونحف واحتجنا الى مقادير عظيمة من الطعام لتعويض هذا النقص الكبير فلذا اقتضت الحكمة الالهية تخفيفه بالنيروجين نعم ان النيروجين ضروري لتركيب جميع الخلايا الحية ولكنه يصل الى الجسم في الطعام وفي الشراب (كاللبن) لا بطريق التنفس — كما قلنا —

أما الاكسجين الداخل مع الهواء فكميته أكثر من كمية الخارج معه ، لانه يتحد مع هيموجلوبين الكريات الحمراء ويدور مع الدم فاذا وصل الى أنسجة الجسم جذبته اليها واتحدت به وهذا ما يسمى « بالاحتراق الداخلي » أو « التنفس الداخلي » اللازم لحياة الجسم

وإذا اتحد الاكسجين مع أجزاء الجسم تولدت مواد أخرى بقاءها ضار بالجسم ، فتدور مع الدم لتفرزها الاعضاء المختصة بذلك كالكليتين والجلد في البول والعرق

ومن هذه المواد الناشئة من الاحتراق الداخلي غاز ثاني أ كسيد الفحم والماء وهذا هو السبب في زيادة غاز ثاني أ كسيد الفحم والماء في الهواء الخارج من الرئتين وقد وجد علماء الفسيولوجيا أن الهواء الخارج من الصدر يشتمل أيضا على بعض مواد نيتروجينية عضوية ولكنهم لم يكتشفوا الى الان ماهيتها ولا تركيبها وهي السبب في رداءة رائحة هواء الغرف المسكونة ، وإذا تنفسها الانسان مرة أخرى أضرت بصحته ضررا بليغا يفوق ضرر استنشاق القليل من غاز ثاني أ كسيد الفحم ، فان هذا الغاز لا يفسد تركيب أي جزء من أجزاء الجسم ، ولكنه اذا ملأ الجو مات الانسان اختناقاً لعدم وجود الاكسجين فيه

المواد المختلطة بالهواء

ويوجد في الاهوية الفاسدة غير ذلك أيضا مواد أخرى غازية ضارة بالانسان ضررا بليغا ومن أهمها الهيدروجين المكبروت وهو الذي يتولد من المراحض وغيرها ، وهذا الغاز يفسد الدم ويضر بالجسم أيضا وكذلك أول أ كسيد الفحم فانه سام جدا ، وهو يتولد من الاحتراق الناقص للفحم ويوجد في الهواء أيضا ميكروبات وذرات مختلفة من التراب والمعادن والفحم

وغير ذلك، فالميكروبات تحدث أمراضا عديدة في الجسم الانساني، وتلك الأمراض تحدث أيضا نزلات شعبية والتهابات رئوية مزمنة

لهذا كله يجب أن يكون الهواء المستنشق نقيا من كل ما تقدم فلا يكثر فيه أكسيد الفحم الناشئ من أنفاس الحيوانات والنباتات ليلا ومن استعمال النيران، ويجب أن يكون هواء الامكنة المسكونة بعيدا عن المراحض، دائم التجدد، معرضا للشمس فانها تقتل كثيرا من ميكروباته، بعيدا عن الأتربة والمصانع التي تثير غبارا من المعادن وغيرها
سنة الله في الأكسجين والكربون

ولا يتوهم القارئ مما سبق أن كمية الأكسجين في الهواء آخذة في النقص شيئا فشيئا بسبب التنفس وبسبب النيران، فإن الله تعالى وضع لذلك سنة حكيمة بها يبقى الأكسجين في الهواء الى ما شاء الله، وذلك بأن جعل الورق الاخضر لجميع النبات يحلل (بتأثير أشعة الشمس فيه) غاز ثاني أكسيد الفحم فيمتص منه الفحم ويخرج الأكسجين. وهذا الفحم باتحاده مع عناصر أخرى اتركب منه أخشابها وما فيها من صموغ وسكر وزيت وغير ذلك. فكأن الفحم الخارج من الانسان وغيره من الحيوانات ضروري للاشجار فاذا أكل الانسان شيئا من هذه الأشجار عاد الى جسمه ثم يحترق فيه فيخرج في الهواء فيعود الى الشجر، وهكذا كالدائرة

وبحركة الرياح (وهي ناشئة من اختلاف درجة حرارة الهواء) وبتماوج ذراته وانتشارها توجد حركة دائمة في هواء الارض فتبخر الأكسجين وتنشره في جميع الجهات، ولولا ذلك لما تمت الحيوانات التي في البقاع الخالية من الاشجار ومن الخطأ العظيم تغطية الوجه أثناء النوم وكذلك غلق منافذ العرفات مع وجود أشخاص فيها أو مصابيح وغيرها فان ذلك قد يقتل الانسان

أما ثاني أكسيد الفحم المتكون من الاحتراق الداخلي فانه يوجد في الدم لاذائبا فيه بل متحدا مع عنصر الصوديوم بصورة كربونات الصوديوم أو بيكر بونات الصوديوم، فاذا وصل هذان الملحان الى الرئتين خرج من البيكر بونات ثاني أكسيد الفحم

بطريق الأكسوسموز، ومما يساعده في خروجه الخلايا المبطنة للحويصلات الرئوية فتفرزه. وسبب حصول الأكسوسموز هو نقصان كمية ثاني أكسيد الفحم في الهواء، كما أن السبب في دخول الأكسجين من الهواء في الدم هو أيضا قلة الأكسجين في الدم عنها في الهواء. وقبل دخول الأكسجين للدم يذوب في الرطوبة التي تغطي جدران الحويصلات الرئوية ومنها يدخل للدم. ويجب أن لا يتوهم القارئ أن كل الهواء الذي في الحويصلات الرئوية يخرج منها أثناء الشيق، فالواقع أنه يخرج جزء منه ويبقى جزء آخر، وبطريقة الانتشار يسرع أكسجين الهواء إلى الداخل لكثرتة وغاز ثاني أكسيد الفحم إلى الخارج لكثرتة أيضا — كما سبق بيانه —

ثقل غازات الهواء

من تأمل في تركيب الهواء والفرق بين درجات ثقل غازاته وجد أن النيتروجين من أخفها، وغاز ثاني أكسيد الفحم من أثقلها، فلذا يتكاثر هذا الغاز الأخير بقرب سطح الأرض وفي الحفر وكلما ارتفع الإنسان نقصت كمية هذا الغاز وزادت كمية النيتروجين، ولذا كثيرا ما سمعنا بموت أشخاص هبطوا إلى أماكن منخفضة كالآبار وغيرها

أما الأكسجين فلكونه أثقل من النيتروجين يكثر في الهواء المجاور للأرض ويقل في جو السماء، يشعر بذلك من تَوَقَّل [صعد] في جبل عال أو حلق في الجو بطيارة وأعظم علو أمكن للإنسان أن يصل إليه في القباب الطائرة أو المناطيد أو الجبال هو ٨٨٣٨ مترا. أما الصعود بعد ذلك فيؤدي إلى هلاك الإنسان إما لنقص الأكسجين أو لانفكك غازات الدم منه فتحدث أعراض خطيرة، ويتعسر التنفس أو يتعذر بسبب نقص كمية الأكسجين نقصا عظيما فلا يحدث الاندوسموز. زد على ذلك أنه إذا عاش الإنسان بضع دقائق في ذلك المكان المرتفع حصل له نزف من الأنف أو الرئتين أو غيرها لثقل ضغط الهواء الجوي على جسم الإنسان. وتعلم أن الصعود إلى نحو ٥٠٠ مترا لا يوافق جمهور الناس حتى المتعودين لذلك من سكان الجبال.

أما ارتفاع هواء الجو فلا يقل عن ٣٠٠ كيلو مترا

التنفس الصناعي

إذا بطل تنفس الانسان بسبب ما كاستنشاق الكالور وفورم أو الفرق في الماء، أو استنشاق غازات الاحتراق أو غير ذلك مما يبطل التنفس أمكن إعادة الحياة الى المصاب بطريقة « التنفس الصناعي » واستعمال المنعشات ونحوها بشرط أن لا تكون المدة قد طالت ، وأن لا تكون أنسجة الجسم قد بدأ فيها أقل شيء من الفساد

أما طريقة التنفس الصناعي فهي أن تزيل كل ما أمكنك إزالته مما قد يوجد في مجاري التنفس كالماء في الغريق مثلا بان تقلب المصاب على وجهه وترفع رجله الى أعلاه ثم تضعه على مكان عال لتتمكن منه وتخفض رأسه وتخرج لسانه بشده بمقبض (جفت) أو نحوه ثم تمسك بعصديه وتجذبها الى أعلا رأسه ثم تخفضها الى جنبيه وتضغط بهما على صدره، ويستحسن أن يساعدك شخص آخر في ذلك الوقت بان يضغط على بطنه أيضا ليرتفع الحجاب الحاجز فيحصل الشيق بسبب ذلك، أما الزفير فإن الذي يحدثه هو جذب الذراعين المذكور هنا . ويتكرر هذا العمل في الدقيقة الواحدة نحو خمس عشرة مرة ، ولا يصح اليأس من عودة الحياة الا بعد مضي نحو ساعة على الأقل . وفي أثناء هذا العمل توضع خرق مبتلة بالماء الحار على القلب أو بينه الحجاب الحاجز بالضرب بمثل المنشفة على قسم المعدة وينشق المصاب (كبسول الأمل نيتريت) ويحقن بالاستركنين أو الأثير أو غيرهما تحت الجلد ويحقن بمحز من الخمر أو الكحول في الشرج الى غير ذلك . فاذا فعلت جميع هذه الاشياء باستمرار عادت الحياة غالبا خصوصا اذا كانت ضربات القلب موجودة . ومن أحسن المستنشقات في ذلك الوقت غاز الاكسجين إن وجد

جهاز الهضممقدمة في الغدة

قبل البدء في الكلام على هذا الجهاز ينبغي أن نبدا بتعريف كلمة « الغدة » لشدة الاحتياج اليها فيما سيأتي

تطلق هذه الكلمة على ثلاثة أنواع من أجزاء الجسم :-

(١) الغدة اللمفاوية وهي عبارة عن شيء كعقدة مركبة من عدة كريات تشبه كريات الدم البيضاء ، يمسك بعضها بجانب بعض مادة تسمى بالمنسوج الضام ، ووظيفتها تنقية المواد اللمفاوية من الميكروبات وغيرها ولذلك نجد كثيرا منها موضوعا في طريق الأوعية اللمفاوية بحيث تصب فيها ثم تخرج منها - كما سبق -

(٢) غدة الافراز وهي التي تخرج مواد كثيرة من الجسم بعضها له منفعة خاصة والبعض الآخر لا نفع له وإنما تخرجه لضرر بقائه في الجسم . مثال الاول اللعاب والبن ومثال الثاني البول والعرق، وقد يكون الشيء الخارج له نفع في الجسم ويضر ببقوه فيه كاللثة وهي المادة الصفراء التي يفرزها الكبد

وتتركب الغدد الافرازية من غشاء مجهري [ميكروسكوبي] يوجد على سطحه خلايا الافراز وتكون طبقة واحدة في الغالب، وتوجد عدة طبقات منها في مكان شبيه بالجسم وهو الخصية، وعلى الجانب الاخر من هذا الغشاء المذكور توجد أوعية الدم ومنها تخرج المواد بطريق الاكسوسموز فتصرف فيها الخلايا وتخرج منها مواد كيميائية عجيبة التركيب

أما أشكال هذه الغدد فمنها الكيسي وذلك بأن ينبعج الغشاء الى جهة الأوعية الدموية فيتكون كيس صغير مبطن بالخلايا وله فوهة يخرج منها الافراز ومنها الأنبوبي وهي التي يكون لها تجويف كالأنبوبة لا كالكيس، ومنها الأنبوبي المتفرع، ومنها عنقودي الشكل، ومنها الملتوي

ويلاحظ أن في هذا النوع من الغدد قناة في داخل الغدة الافرازية وفيها تجري مفرزاتها كالبن والعرق وغيرها

أما الضرب الاول من الغدد فلا قناة لها

وأما الضرب الثالث فهو أيضا لا قناة له وهو يشمل عدة أعضاء في الجسم كالطحال (وهو نوع من الغدد اللمفاوية) والغدة الدرقية والغدة السعترية في صدور الاطفال ، وغير ذلك مما سيأتي الكلام عليه في فصل خاص والذي يهمنا في الكلام على الهضم هو الضرب الثاني

تشرح الجهاز الهضمي ووظيفته

يبتدىء هذا الجهاز بالفم ثم المريء ثم المعدة ثم الأمعاء الصغيرة والكبيرة وينتهي بالدبر. ويصب فيه عدة إفرازات من غدد متنوعة لهضم الطعام ولغير ذلك، وتعمل فيه الأغذية والاشربة في مدة تختلف من يوم الى يوم ونصف وقت. تكون أقل من ذلك بكثير كاحوال الاسهال وقد تكون أكثر من ذلك في أحوال الإمساك

أما الفم ففيه اللسان والاسنان وغدد اللعاب وفي نهايته توجد اللوزتان ووظيفة اللسان هي تحريك الطعام ليمتزج باللعاب ويمكن مضغه وبلعه، ومن وظائفه أيضا الكلام كما سبق، وإدراك طعوم الأشياء وعليه مدار معرفة ما ينفع الانسان وما يضره من المأكولات والمشروبات. وإدراك الطعوم المذيعة يحرك شهوة الطعام فيجيد هضمها

أما الاسنان فهي عادة نوعان: الاسنان اللبنية أو المؤقتة، والاسنان الدائمة، وقد نبتت للشيوخ أسنان مرة ثالثة ولكنها مسألة نادرة الحصول

أما الاسنان اللبنية فهي ٢٠ والاسنان الأخرى ٣٢ منها ١٦ في الفك الأعلى و ١٦ في الفك الأسفل

وعلى الاسنان مدار جودة هضم الطعام لأنها تهشمه وتسحقه الى قطع صغيرة لتتمكن الأعصرة الهاضمة من الوصول الى جميع أجزائه، فمن ازدرد طعامه بلامضغ أضر بجهاز الهضم خصوصا وبالجسم عموما، فيجب إطالة المضغ وإبقائه. ويجب علينا أيضا المحافظة على الاسنان وإلا أصابها العطب وفقدناها فنخسر جزءا عظيما من أجزاء جهاز الهضم. وأعظم شيء للمحافظة عليها هو تنظيفها جيدا وعدم استعمال شيء بارد على شيء ساخن في الفم أو بالعكس فان ذلك من أعظم ما يفسدها وأشهر أمراض الاسنان نوعان: —

(١) النوع الاول ان يصيبها الحفر (القسويس) وهو عبارة عن ثقت جزء من عظم السن وانكشاف لبه والتهاب هذا اللب فيحصل بسبب ذلك ألم شديد يحرم الانسان لذة النوم والطعام وتموت السن لفساد أوعية الدم المغذية لها التي في داخل اللب. والميكروب المسبب لذلك يسمى (Leptothrix Buccalis) اي

«الشعرة الدقيقة الفمية» ويوجد في هذا المرض أيضا الاميبا^(١) الفمية [Amoeba] وعلاجه يكون باعدام العصب الذي في داخل اللب بمادة كاوية كحامض الفنيك أو الكريوزوت، وذلك يطهر اللب ويسكن الألم. والاولى أن يعدم اللب بأ كسيد الزرنيخوز - كما هي العادة - ثم يحشا التجويف بالذهب أو بمواد أخرى يعرفها أطباء الاسنان كالخزف، وهو أحسن من غيره

(٢) النوع الثاني داء ريج (Rigg) وهو مرض كثير الانتشار بين الناس يبدأ بالتهاب حول جذر السن في سمحاق العظم فتتكون مواد صديدية وبضغظها على جذر السن يرتفع شيئا فشيئا حتى تسقط ، وهذا الداء هو سبب سقوط أسنان كثير من الناس ، وسببه دخول ميكروب خاص الى جذر السن من أي تفرح صغير في اللثة وهذا الميكروب يسمى (الاستربتوكوك^(٢) اللعابي) [Streptococcus] وهو يوجد عادة في أفواه جميع الناس، لأنه في بعض أحوال مخصوصة كضعف البنية بسبب ما - يتمكن من ايداء الانسان فيدخل الى جذور الاسنان وهناك يفعل فعلته الشنعاء

ولا علاج ناجما لهذا الداء سوى الحقن بميكروب المرض^(٣) المأخوذ من نفس المريض كما سيأتي توضيحه والا فالمبادرة الى قلع ما يصاب به من الاسنان والاستعاضة عنها بأسنان صناعية واستعمال المطهرات المتنوعة والنظافة التامة للفم مع تقوية البنية بالاغذية الجيدة والهواء النقي وغير ذلك . ومما يسكن الألم في هذا المرض استعمال مضمضة من الخل، وهي فائدة شائعة بين العامة

وأحسن طريقة لنظافة الاسنان هي استعمال السواك خصوصا بعد كل طعام. وهو يؤخذ من شجرة الاراك، وفيه مواد عطرية مطهرة بعض التطهير للفم ومعطرة

(١) اسم يوناني معناه « المتغير » يطلق على حيويين دقيق ذوقية واحدة ، وهو دائم التغير لشكله ، وله حركة ذاتية

(٢) أي البزور السلسلية لوجودها بهيئة سلاسل حينما يراها الانسان بالجمهر . والسكلمة يونانية

(٣) ذلك يشبه ان يكون مصداقا لقول الشاعر « وداوني بالتي كانت هي الداء »

له وتساعد على الهضم أيضا وهو يشد اللثة تقبض فيه . ويسمى الارحاء بعض الافرنج (شجرة محمد) تحت الشريعة الاسلامية على استعمال السواك كما هو معنوم ، ولا يغني عنه الا استعمال المسفرة (الفرشة) مع بعض أدوية عطرية مطهرة قابضة ، ويجب عليها بعد كل استعمال والا تكاثرت فيها الميكروبات الضارة بالاسنان ، وكذلك يجب تجديد طرف السواك بعد كل استيائك

أسماء الأسنان ووقت ظهورها

أما أسماؤها فهي : — ثنيتان في الوسط وبجانبيهما رباعيتان ثم نابان ثم ضاحكتان ثم ست أرحاء ، ثلاث في كل جانب ، ثم ناجذان ، واحد في اليمين وآخر في اليسار وهما آخر الاضراس . وذلك في كل من الفكين الأعلى والأسفل

وقت ظهور الأسنان

الاسنان المبنية تظهر في الطفل من الشهر السادس الى الرابع والعشرين على

هذا الترتيب : —

الثنيتان السفليتان	٦ - ٩ أشهر
الثنيتان العلويتان والرباعيتان العلويتان	٨ - ١٠ أشهر
الرباعيتان السفليتان والضواحك	١٥ - ٢١ شهرا
الأنياب	١٦ - ٢٠ شهرا
الارحاء	٢٠ - ٢٤ شهرا

وليس للطفل سوى أربع أرحاء في فمه ، وأسنانه كلها عشرون فقط وهذه المدد تقريرية فانها تختلف كثيرا بحسب بنية الاطفال واختلاف أمزجتهم وغير ذلك ، فمنهم من يولد وفيه الثنايا ظاهرة ، ومنهم من يتأخر ظهور أسنانه الى نهاية السنة الثانية أو الى عدة سنين بعدها

وفي وقت ظهور الاسنان تصاب الاطفال عادة ببعض اعراض مرضية كالاسهال والقيء والحُمى فالضعف . ومتى كملت اسنان الطفل العشرون يمكث بها الى السنة السادسة أو السابعة ثم يظهر ضررس (رحي) خلفها في السنة السادسة أو السابعة وتسقط (المنار ج ٣) (٢٦) (المجلد الثامن عشر)

باقي الأسنان واحدة بعد الأخرى ويظهر مكانها غيرها على هذا الترتيب : —

في السنة	السادسة : الأرحاء الثانية
» »	السابعة : الثنايا
» »	الثامنة : الرباعيات
» »	التاسعة : الضواحك
» »	العاشر : الأرحاء الأولى
» »	١١ - ١٢ : الأنياب
» »	١٣ - ١٤ : الأرحاء الثالثة
» »	١٧ - ٢٥ : النواجذ

فترى من هذا أن الأسنان التي تظهر في السنة ١٢ أو ١٣ يمكث الشاب بها الى السنة ١٧ فيظهر ضرر العقل أو الحلم وهو الناجذ إما في هذه السنة أو فيما بعدها الى ٢٥ أو ٣٠ وفي النادر أن يتأخر عن ذلك

أما أسنان الشيوخ — ان ظهرت — فيكون ظهورها بين السنة ٦٣ و ٨١
وجوب أكل الانسان اللحم والنبات

بالتأمل في أسنان الحيوانات المختلفة نرى ان آكلة اللحوم اسنانها حادة جدا ، أما أسنان الحيوانات الآكلة للنباتات ونحوها فهي كليلية ، وأسنان الانسان متوسطة في حدتها بين الطرفين . وكذلك اذا نظرنا في مقياس أمعاء الحيوانات المختلفة نجد أن أمعاء آكلة اللحوم قصيرة وآكلة الخضروات ونحوها طويلة وأمعاء الانسان وسط بينهما ، وذلك يدلنا على أن الانسان بطبيعته يجب أن يأكل اللحم والخضروات جميعا ، وفي ذلك اعظم دليل على خطأ مذهب النباتيين فانه مخالف للطبيعة البشرية ، هذا وقد وجد ان الفيران البيضاء وهي التي لا يؤثر فيها ميكروب الجرمة الخبيثة تتأثر به اذا غذيت بالنباتات فقط . فلا يبعد أن يكون الانسان كذلك بمعنى أنه يصير عرضة لبعض الامراض إذا اقتصر على الخضروات (راجع صفحة

١٧٩ من كتاب Manual Of Bacteriology تأليف Hewlett)

اللعاب

يتولد اللعاب من غدد مخصوصة وهي ثلاث: الغدة لسكفية وموضعها تحت الاذن وأمامها، وتسمى أيضا الاذنية، ولها قناة تمتد منها الى الفم تسمى قناة ستنسون (Stenson) وفتحتها بقرب الرحي الثالثة للفك الاعلا

والغدة الثانية تحت الفك الأسفل ولها قناة تسمى قناة هوارتون (Wharton) تصب بجانب قيد اللسان، وفتحتها مرتفعة قليلا كحلمة صغيرة

والغدة الثالثة تسمى « الغدة التي تحت اللسان » لأنها تحت الغشاء المخاطي المتكون منه قيده، ولها عدة قنوات بعضها ينفتح في الفم مباشرة وهو الأكثر والبعض الآخر تتكون منه قناة أكبر تصب في قناة هوارتون المذكورة

واللعاب مركب من ماء وزلال وأملاح متعددة ومادة مخصوصة تسمى « اللعابين » وهي أهم مافيه. « واللعابين »^(١) من الحماض التي سيأتي توضيحها في الفصل التالي. وفي لعاب الانسان أيضا آثار من مادة سامة جدا لا تعرف فائدتها الآن، وربما كانت مما يقتل الميكروبات. ووظيفة اللعاب أن يرطب الطعام حتى يسهل مضغه وازدراده ويذيب بعض مواده ليدرك طعمها وهو ضروري للنطق الفصيح ويهضم المواد النشوية التي في الطعام فيحولها الى سكر يسمى الملتوز (أو سكر الشعير)^(٢) ويستمر تأثير اللعاب في المواد النشوية حتى بعد وصولها الى المعدة بنحو ربع أو نصف ساعة حتى يفسد عصير المعدة الحمضي مادة اللعابين فيبطل تأثيرها في النشاء. واللعابين لا يهضم النشاء غير المطبوخ لانه لا يؤثر في مادة « السللولوز » المحيطة بذراته، وهي مادة الخشب أيضا

(١) في اصطلاح علم الكيمياء كثيرا ما يتركب اسم المادة الفعالة في الشيء باضافة (ين) إليه فتلا (البنين) هو اسم المادة الفعالة في البن أو القهوة ولذلك يسمى أيضا (القهوين) وهكذا. فاللعابين مادة اللعاب الفعالة في الهضم وقد جاربنا هنا الافرنج في هذا الاصطلاح كما جاربناهم في غيره مما سبق بيانه لسبقهم لنا في العلم والاختراع والاكتشاف

(٢) سمي بذلك لانه يتولد في الشعير النابت (Malt) وغيره لتغيرات كيمياوية تحصل في نشائه اذا ابتل بالماء

الوزتان

أما الوزتان فهما غدتان مفروقتان موضعهما على جانبي الحلق في منتهى الفم يخرج منهما كريات بيضاء تخرج باللعاب أو تسير في الدم . وفائدتهما قتل بعض الميكروبات بهذه الكريات البيضاء وقتل ما يقف عليهما من الميكروبات أيضا أو يدخل فيهما ، فهما كحصنين يقتلان ما اقترب منهما ويبعثان بجنودهما في اللعاب لقتل بعض الأعداء التي تحل في أجزاء الفم المتنوعة . وهذان الجسمان كثيرا ما يحصل فيهما التهاب تحدث عنه الحمى ويمرض الجسم بسببها ، وعلّة حصول هذا الالتهاب ضعف البنية ودخول ميكروبات كثيرة فيهما فيزداد حجمهما وتكثر كرياتهما ليتغلبا على هذه الميكروبات ، فإن نجحنا حفظا الجسم من خطر عظيم - وإن كان الإنسان يمرض بضعة أيام أثناء هذه الحرب - وإن غلبا تكون فيهما خراجات أو أفلت بعض الميكروبات منهما إلى الدم فتنشأ عن ذلك أمراض متنوعة كالروماتزم (الرثية) وآفات القلب وغير ذلك . ويقل التهابهما في الأقوياء لأن كريياتهم البيضاء تكون قوية فتقتل الميكروبات بسهولة بدون حاجة إلى إثارة حرب عامة

كلمة في الخمر

يحصل تخمر الأشياء بسبب وجود ميكروبات مخصوصة ، ومن أشهر أنواع هذه الميكروبات ما يحول السكر إلى غول (كحول) ^(١) وغاز ثاني أكسيد الفحم ، ولهذا التخمر سميت الخمر خمر في أحد الأقوال . وهو السبب في فورانها وحرارة طعمها ومن الميكروبات ما يحول بعض أنواع السكر (سكر اللبن) إلى حامض اللبنيك ، وهو السبب في حموضة اللبن فإذا أمكننا منع الميكروبات من الوصول

(١) يسمى الكحول بالفرنسية (Alcohol) وهو روح الخمر أو المادة الفعالة فيها وهي سبب جميع شرورها ومضارها ، ويقول الأفرنج إنهم أخذوا هذه الكلمة عن اللغة العربية ، فالظاهر أنها مأخوذة من كلمة « غول » الواردة في وصف خمر الجنة في قوله تعالى (لا فيها غول) وهو ما يغتال العقول ويفسد الصحة (ولا هم عنها ينزفون) أي لا يسكرون منها لعدم وجود تلك المادة الضارة في خمر الآخرة وعليه فسنتعمل في كتابنا هذا كلمة (غول) بدل كلمة كحول أو (Alcohol) والمراد بها ما يسمونه (السبرتو) (Spirit)

إلى الأشياء أو قتلها فيها بطل كل تخمر وتعفن ، فذا أردت حفظ اللبن مثلاً من أن يخنث وجب أن تغليه غلياً جيداً ونضعه في زجاجات معقمة (مضهرة) بحيث لا يصل إليه أي ميكروب ، فيبقى سليماً من الفساد طول الدهر ، وهذه الطريقة مستعملة في جلاب الألبان المينا من البلاد الأجنبية كسويسرة وغيرها

ومن هذا يتضح أن السبب في الفساد والتعفن هو هذه الميكروبات ، وتسمى بالخائثر أما فعل هذه الميكروبات فهو بإفراز مواد مخصوصة لها تأثير كيميائي في الأجسام ، وهذه المواد المفردة يسمونها أيضاً بالخائثر . وعلى ذلك فالخائثر نوعان : الميكروبات نفسها ومفرزاتها ، وكما أن إفراز هذه الميكروبات سمي بالخائثر كذلك يسمى بعض إفرازات الجسم بالخائثر أيضاً لأنها تؤثر في الأجسام تأثيراً كيميائياً فتحدث فيها تغييراً بالتركيب والانحلال كتأثير إفراز الميكروبات ، وذلك مثل اللعاب الذي سبق ذكره في الألعاب . وسيأتي ذكر غيره في بحث مفرزات (عصارات) المعدة والأمعاء . وهذه الخائثر كلها تقريباً مواد آزوتية ، إما زلالية أو قارية من الزلالية — بحسب ما نعلم الآن — ما عدا البيسين فيقال أنه لا يتزوجين فيه

ومن الغرائب أن إفراز الميكروبات إذا كثرت يقتل نفس الميكروبات التي تولده كما في الخمر مثلاً فإن غولها يقتل ميكروباتها وغيرها ، وإذا غلي الشيء الذي فيه هذه الخائثر بنوعها ماتت الميكروبات وفسدت الخائثر فيبطل عملها . ومن الخائثر المشهورة مادة تستخرج من غشاء المعدة الرابعة للحيوانات المجتررة كالعجول تسمى بالأثفحة ، وفائدتها تحويل اللبن إلى جبن

والميكروبات هي نباتات مجهرية ، بعضها يحتاج لأكسجين مطلق ^(١) يعيش فيه ، والبعض الآخر يعيش بغير أكسجين مطلق

بقية الكلام على جهاز الهضم

يندفع الطعام بعد الفم إلى الحلقوم ، وهو تجويف ينفتح فيه تجويف الأنف والفم ثم الخنجرة ، وفي أسفله المريء وفي جدران الحلقوم غدد إفراوية تشبه في منسوجها اللوزتين ، ووظيفتها

(١) أي غير متحد بشيء يتقيد به

كواضعتهما أي أنها تقتل الميكروبات كما سبق
أما المريء فهو أنبوبة خفية تمتد من الحلقوم إلى المعدة وطولها من ٩ إلى ١٠
بوصات ، ويدخل في تركيب جداره أنسجة عضلية تكون في نحو ثلثه الأعلى اختيارية
وفي الباقي غير اختيارية ، وهو مبطن بغشاء مخاطي كالمعدة ، وفي المريء يمر الطعام
إلى المعدة

وأما المعدة فهي كيس كثر الشكلى تحت الحجاب الحاجز في البطن ،
وهذا فتحتان : الأولى منهما متصلة بالمريء وتسمى « بالفؤاد » لقربها من القلب ،
والفتحة الثانية تسمى « بالبواب » والمعدة مركبة من ألياف عضلية ومبطنة بغشاء مخاطي
وسطحها الخارجي مغطى بغشاء مبطلي وهو جزء من البريتون (١)

وفي الغشاء المخاطي عدة غدد لإفراز العصير المعدي . وتتحرك المعدة حركة
غير اختيارية بما فيها من الألياف العضلية وهذه الحركة تشبه مخض اللبن ويراد بها
مزج الطعام بالعصير المعدي حتى ينضجهم الهضم الأول

أما العصير المعدي فأهم ما فيه من المواد هو حامض الهيدروكلوريك (٢)
(بنسبة ٢ في الألف) ومادة يسميها الأفرنج (Pepsin) ونسبها بالعربية
« الهاضوم » وهي خميرة تفرزها الغدد المعدية ، ويقال إنها خالية من النيتروجين
— كما سبق — وعلى ذلك فهي ليست من المواد الزلائية . ووظيفتها تحويل
المواد الزلائية إلى مادة أخرى تسمى بالافرنجية (Peptone) (أي المهضوم) وذلك
بضم عناصر الماء إلى ذرات المواد الزلائية ثم انقسامها فتحدث هذه المادة البيبتونية ،
وهي سهلة الذوبان سهلة الامتصاص لكون ذراتها أصغر من ذرات الزلال

وأما الطعام فإنه يمكن في المعدة نحو أربع ساعات فيها يحصل هذا الهضم
المذكور في المواد الزلائية ، ويتحول سكر القصب إلى مادة أخرى سكرية ، وتقتل
جميع الميكروبات تقريباً بما في هذا العصير المعدي من الحامض فيصير الطعام
طاهراً لكيلا يضر بالجسم ، فإذا حدث للمعدة ما يقلل إفراز هذا الحامض أو يمنعه

(١) هو الغشاء المغشي بالأحشاء البطنية ، ومنه جزء كالنديل يسمى بالرب ، ويمكننا
أن نسمي البريتون بالعربية (الغشاء المحيط) (٢) مركب من هيدوجين وكورين

أمكن دخول ميكروبات أو ديدان الى الامعاء ، أو الى الجسم نفسه هذا كله هو وظيفة المعدة ، ولا تأثرها في المواد النشوية ولا في المواد الدهنية الا باسالتها وبهضم ما أحاط بها من الغلاف الزلالية . والعصارة المعدية لا تنفرز الا وقت الطعام

وأول انفتاح للبواب يحصل بعد نحو ٢٠ دقيقة من نزول الطعام في المعدة فيمر الى الامعاء جزء مما في المعدة ، ثم ينفلق البواب ، ثم يتتابع هذا الفتح والانغلاق في البواب وتأخذ مدة انغلاقه في القصر ومدة انفتاحه في الطول حتى يمر الطعام الذي في المعدة شيئاً فشيئاً الى الامعاء بحيث يمر كله في نهاية الساعة الرابعة تقريباً

وبعد المعدة توجد الامعاء الصغيرة أو الدقيقة ثم الامعاء الكبيرة أو الغليظة أما الامعاء الصغيرة فطولها نحو من ٢٠ قدماً ، وتقسم الى ثلاثة أقسام : -
(١) الاثنا عشري ، وطوله ١٢ أصبعا أو ١٠ بوصات وفيه يحصل الهضم الاعظم للطعام كما سيأتي تفصيله (٢) الصائم ، سمي بذلك لوجوده فارغاً بعد الوفاة عند تشريح الجثة ، يبلغ طوله خمسي الامعاء الصغيرة الباقية بعد الاثني عشري (٣) اللعائف ، وهي الثلاثة الأخماس الباقية من الامعاء الصغيرة

وأما الامعاء الكبرى فتبتدى من الحفرة الحرقفية اليمنى بما يسمى (بالاعور) وفي أسفله مصير صغير كالوددة يسمى بالزائدة الدودية ، وفيها يحصل مرض مشهور هو التهابها الذي قد يكون سبباً في وفاة الشخص ان لم يتداركه الاطباء بالعلاج الفعال . وهذه الزائدة هي أحد الاعضاء الاثرية الشهيرة في جسم الانسان التي لما ينته الناس الى حل لمعانها أحسن مما ذهب اليه دارون ^(١) وقيل ان لها افرازا

(١) هو العلامة الانكليزي (تشارلس دارون) عاش بين سنة ١٨٠٩ و ١٨٨٢ ميلادية . وقد ذهب الى أن الانواع الحية ليست ثابتة ، ولم يخلق كل منها مستقلاً عن غيره بل نشأ بعضها عن بعض بالتغير التدريجي البطيء مع طول الزمان لاعوامل طبيعية بينها بيانا شافيا . وقد توسع العلماء في هذا المذهب حتى طبقوه على كل شيء في هذا الوجود فصار يشمل الجاد والامور المعنوية كالأفكار واللغات =

يحدث لنا فَمَطَرَد المواد ابرازية وترتفع في القولون مضادة للجذب الارضي في الحيوانات المنتصبة القامة (القرد والانسان) ولذلك لا توجد في الحيوانات الأخرى، واذا استئصلت حدث امساك متعاض مستديم يؤدي الى ضعف الجسم ومرضه كما دلت عليه تجاربهم على ما قالوا

وبعد الاعور يوجد القولون ^(١) وهو أربعة أقسام القولون الصاعد والقولون المستعرض والقولون النازل والتعريض السيني

ثم المستقيم الذي ينتهي بالشرح وهو فتحة الدبر وطول الامعاء الكبيرة يختلف من ٥ الى ٦ اقدام

والامعاء مركبة من الطبقات الآتية (١) طبقة مصلية وهي من البريتون الذي سبق ذكره (٢) طبقة عضلية مركبة من طبقتين : مستطيلة وحلقية ، فالمستطيلة في الخارج والحلقية في الداخل (٣) الغشاء المخاطي ويفصله عن الطبقة العضلية (٤) طبقة رابعة فيها تتفرغ أوعية عديدة دموية ولمفاوية وأعصاب دقيقة . وفي الطبقة المخاطية غدد كثيرة لافراز العصير المعوي ، منها نوع في الاثني عشري يسمى بغدد (برُونَر) ^(٢) ونوع آخر في الامعاء كلها يسمى بغدد (ليركن) وهي من الشكل الأنبوبي البسيط . ويوجد غير ذلك في الغشاء المخاطي وتحت منسوج لمفاوي ، بعضه يتكون منه غدد صغيرة تسمى (بالغدد المنعزلة أو الوحيدة) والبعض الآخر يتجمع على شكل بيضاوي يحدث بقعا في طول جدران المصران تسمى يقع بايبر (Peyer) ^(٣) وهي توجد بكثرة في اللقائف

وفي هذه الغدد اللمفاوية بنوعها يحصل التهاب بسبب ميكروب مخصوص فتحدث

= والمعتقدات والشرائع وغير ذلك . فمحصل هذا المذهب أن السكون بما فيه لمخلق دفعة واحدة بل خالق أطوارا طبقا لسنة التدرج والتزقي . فالمذهب في الجملة حسيح لاشك فيه ، ويكفي في إثباته قوله تعالى (وقد خلقكم أطوارا) وانما النزاع في بعض تفاصيله ، وسنعود الى بيان ذلك في فرصة أخرى ان شاء الله تعالى

(١) القولون اسم هذه الامعاء الغليظة باليونانية ، والكلمة من تعريب المتقدمين

(٢) نسية لعالم ألماني يدعى « فون برون »

(٣) مشرح سويسري عاش بين سنة ١٦٥٣ و ١٧١٢

عنه الحى المعروفة بالتيفودية أو الحى المعوية وهذه البقع المنسوبة لباير لا توجد في الامعاء الغليظة وإنما توجد فيها الغدد المنعزلة فقط — وهي التي تكثر جد في الأعور والزائدة الدودية —

وبالتهاب هذه الغدد التي في الامعاء الغليظة مع الأغشية المخاطية وتقرحها يحصل المرض المسمى بالدوسنتاريا (الزحار) سمي بذلك في العربية لانه يحدث منه زحير شديد متكرر ، ومن أعراضه أيضا الغض الشديد والحى والاسهال مع نزول مواد مخاطية دموية صديدية متكررة بمقادير صغيرة في كل دفعة وفي الغشاء المخاطي للامعاء الصغيرة ما يسمى بالخممل وهو كالأهداب لهذا الغشاء ، وهو أعظم آلات امتصاص المواد الغذائية . وفيه أيضا غير ذلك ما يسمى بالصمامات الهلالية اسكر كرنج (Kerkring) وهي عبارة عن ارتفاعات تتكون من ثنيات الغشاء المخاطي على نفسه ، وفائدتها ان تعوق سير الطعام حتى يهضم وأن تكبر سطح الغشاء المخاطي للامعاء ليكثر افرازه وامتصاصه للمواد المهضومة ، ولذلك يبتدىء وجودها بعد البواب بأصبعين أو ثلاثة وتكثر شيئا فشيئا خصوصا في الاثني عشري والصائم وكذلك تكبر تدريجا ، ثم تأخذ في القلة والصغر حتى تنتهي في منتصف اللقائف . ولا وجود لها في الخلل في الامعاء الكبيرة لقلة الامتصاص وعدم الهضم فيها .

والحكمة في وجود الغدد اللعفاوية المذكورة آنفا هي حفظ الجسم من دخول الميكروبات فيه ولذلك تكثر في اللقائف وفي الامعاء الغليظة حيث يكثر التعفن والفساد لخلو هذه الاجزاء من العصارات المطهرة ، بخلاف المعدة فان عصيرها مطهر كالمسبق ، والصغراء في الاثني عشري من وظائفها أيضا تقليل تعفن الطعام وصب في الامعاء الصغيرة قناتان عظيمتان : إحداهما من عضو يسمى باليونانية (البنكرياس) ويمكننا أن نسميه بالعربية (الغدة الجسدية) والاخرى هي قناة الكبد تحمل المرة (الصغراء) الى الأمعاء ، وهاتان القناتان تجتمعان معا عند نهايتهما وتصبان بفتحة واحدة غالبا في الجزء النازل من الاثني عشري في الجهة الانسية منه

(المنار : ج ٣) (٢٧) (المجلد الثامن عشر)

أما البنكرياس (الغدة الجسدية) فهي أهم غدة في الجهاز الهضمي كله ، طولها نحو ٦ الى ٨ بوصات ، وموضعها خلف المعدة وموضعها مستعرض بالنسبة للجسم امام القمرة القطنية الاولى . وتفرز عصيرا فيه مخاض أربع هامة جدا كل منها يهضم جزءا مخصوصا من الطعام (أحدها) الهاضوم الزلالي ^(١) لهضم جميع المواد الزلالية كاللحم والبيض فيحولها الى المادة المسماة (بيتون) وهو أقوى من الهاضوم المعدة المسمى ببسين بكثير (الثانية) الهاضوم النشوي وهو الذي يحول المواد النشوية الى سكر شعير وهو أيضا أقوى بكثير من [البعاين] حتى انه يؤثر في النشاء غير المطبوخ . ولا يوجد هذا الهاضوم في أمعاء الاطفال ارضع قبل الشهر السادس ولذلك كان من اخطر عليهم أن يطعموا أي مادة نشوية كالبطاطس والخبز ؛ فان ذلك يفسد جهازهم الهضمي ويضعف صحتهم فيصابون كثيرا بالاسهال وغيره وبداء الكساح (Rickets) (الثالثة) الهاضوم الشحمي ووظيفته أن يحدث مستحلبا مع المواد الشحمية أو الدهنية ويحللها أيضا الى جاسرين ^(٢) وحوامض شحمية ، وكلاهما سهل الامتصاص . وقد يتحد بعض هذه الحوامض مع البوتاسيوم أو الصوديوم فيتكون من ذلك الصابون ، والصابون أيضا سهل الامتصاص ؛ فاذا امتصت هذه الاشياء عادت الى شحم كما كانت (الرابعة) خيرة تشبه الانفحة وظيفتها تحويل اللبن الى جبن ، وهذه أقل المخاض المذكورة تأثيرا في الهضم

والعصير البنكرياسي قروي التأثير بخلاف العصير المعدي فانه حمضي أما الكبد فهي أكبر عضو في الجسم ، موضعها الجهة اليمنى من البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة . ولها وظائف عديدة فهي تفرز المرّة (الصفراء) وتخزن فيها أكثر المواد السكرية وبعض الزلالية بعد ان تتحول الى النشاء الحيواني (جليكوجين) حين الحاجة اليها فتحولها ثانية الى سكر يخرج منها مع الدم ليحترق في الجسم خصوصا في عضلاته ، وهذه الوظيفة هي من أكبر وظائفها ، وتكون أيضا حامض البولييك والبولينا لتفرزهما الكلى ولولا ذلك اتراكت بعض المواد الضارة بالجسم

(١) اذا أطلقنا هذه الكلمة أردنا بها الهاضوم المعدي المسمى باليونانية ببسين

(٢) كلمة يونانية معناها حلو

ومن وظائفها أيضا أنها تصفي المواد التي تهضمت في الأمعاء وتنفق من
الميكروبات ومن بعض السموم وذلك أثناء مرورها فيها وذلك فتمت
الحكمة الإلهية أن تجتمع جميع الأوردة الآتية من القناة الهضمية ويتكوّن منها
وريد واحد هو الوريد الذي يسمى (الباب ^(١)) الذي يجتمع فيه ما أنهضم من
الزلال والسكر وبعض الشحم فيوصل إلى الكبدة وهناك تفرز منه الصفراء وينقى
أما المرة (الصفراء) فهي إفراز ضار بقاؤه بالجسم ، فلذا تنصب في الأمعاء
لتخرج مع البراز وهي السبب في تلون البراز باللون المعهود ، وجزء من الصفراء
لا يخرج مع البراز وإنما يمتص ثانية في الجسم فتفرزه الكلى وهو السبب في تلون
البول باللون المعروف . وفي الأجنة تتجمع الصفراء في أمعائهم حتى إذا ولدوا نزل البراز
من أمعائهم أسود اللون ويسمى (بالعمقي)

ولا يتوهن القارئ مما ذكر أن الصفراء لا فائدة لها في الهضم بل هي أكبر
ما يعين العصير البنكرياسي على هضم جميع المواد المذكورة سابقا وخصوصا المواد
الدهنية ، والصفراء تقلل التعفن والفساد كما قلنا ، وهي أيضا منبهة للحركة الدودية
للأمعاء ، ولذلك يعرض لمن احتبست فيه الصفراء - بأن انسدت - مجاريها ما يسمى
(باليرقان) فيضفر جميع جسمه ويحصل له امساك متكرر ويرى في برازه شحم
غير مهضوم وتكون له رائحة كريهة جدا

أما مجاري الصفراء فهي في مبدئها مجهرية (ميكروسكوبية) وتبتدى من
داخل الخلايا الكبديّة وتجري فيما بينها وتتجمع هذه القنوات بعضها مع بعض حتى
تكبر شيئا فشيئا إلى أن تنتهي بقناتين عظيمتين : أحدهما تخرج من الفص الايمن
للكبد ، والاخرى من الفص الايسر لها وتجتمعان معا فيحدث منهما قناة واحدة .
وفي أسفل الكبدة كيس صغير يسمى بالحويلة الصفراوية (المرارة) لها قناة
أيضا تتحد مع قناة الكبدة وتتكون منهما القناة الكبرى المسماة (بالقناة المشتركة)
التي قلنا أنها تنصب في الاثني عشري . وفائدة هذه الحويلة أن تكون مستودعا

(١) سمي بذلك لأنه يحمل الأغذية والاشربة بعد الهضم إلى الكبدة ومنها
إلى الجسم ، فكأنه باب لدخول الطعام والشراب إلى البدن

للمرة في وقت عدم الحاجة اليها

واذا انسدت القناة الكبدية وحدها حصل البرقاق وكذلك اذا انسدت القناة الكبرى ، أما اذا انسدت قناة الحويصلة فقط كبرت هذه بسبب افراز مواد مخاطية من باطنها وحدث كيس تحت الكبد ، و بانسداد هذه القنوات السالفة الذكر بحصيات كبدية تتكون غالبا في الحويصلة يحصل المغص الكبدي

وإذا انعكست حركة الامعاء بحيث تعود الصفراء الى المعدة من البواب حصل القيء الصفراوي ، وهو مر الطعم

أما لون المرة فسببه اشتغالها على مواد ملوثة لا تختلف عن هيموجلو بين الدم إلا بعدم وجود الحديد فيها ، وذلك لان الكبد من المواضع التي تباد فيها الكريات الحمراء القديمة فتأخذ الكبد منها الهيموجلو بين وتفصل منه الحديد وتلقي بالباقي في افرازه وهو السبب في تلون المرة باللون المعروف . أما الحديد فإن الكبد تركبه مع غيره من العناصر ويخرج منها في الدم فإذا وصل الى تقو العظام امتزج بكريات (خلايا) هناك فتنشأ منها الكريات الحمراء

ولوجود مادة الحديد في خلايا الكبد كانت الكبد من أحسن المآكل للمعدة المجردة ، للدم غير أنها أعسر هضما من اللحوم البيضاء

أما جميع المواد النشوية والسكرية المهضومة فإنها تمتص في الدم بعد أن تتحول الى سكر العنب ، فإذا وصلت الى الكبد حجز منها مؤقتا ما زاد عن حاجة الجسم بصورة النشاء الحيواني المذكور (الجليكوجين) وهذا النشاء يتحول شيئا فشيئا كلما احتاج الجسم اليه الى سكر العنب مرة أخرى ويسير في الأوردة الكبدية ويدور مع الدم فيغذي أنسجة الجسم وعضلاته وفيها يحترق فيتحول الى ثاني أكسيد الفحم والى الماء — كما سبق —

واعلم ان الطعام الذي تم هضمه في المعدة وسار منها الى الاثني عشري يسمى (الكيموس) وهي كلمة يونانية معناها العصير

أما الأمعاء فإنها تفرز عصيرا آخر أهم وظيفة له تحويل سكر القصب وسكر الشعير الى سكر العنب ، ولها أيضا بعض التأثير في المواد النشوية فتحولها الى سكر

ومما تقدم يفهم أن أجزاء الطعام الأصلية تتحول قبل امتصاصها كما يأتي - :

(١) الماء والأملاح لا تتحول إلى شيء وتمتص كما هي
(٢) المواد الزلالية ^(١) تحولها عصارات المعدة والبنكرياس إلى بيتون
ولكنها عند امتصاصها تحولها خلايا الغشاء المخاطي للأمعاء إلى مواد زلالية أخرى
مثل التي في الدم

(٣) المواد الشحمية والدهنية يتمتص جزء منها كما هو ، وأكثرها ينحل بالعصير
البنكرياسي إلى جلسرين وحوامض شحمية - كما تقدم - وكل من هذه
الحوامض والجلسرين سهل الامتصاص ، ولكن في أثناء مرورها خلال الغشاء
المخاطي للأمعاء تحولها خلاياها إلى شحم أو دهن كما كانت من قبل انحلالها ، وبعض
الحوامض يتحد مع صوديوم المرة فيشكون صابون وهو سهل الامتصاص ويساعد
أيضا على امتصاص الشحم كما هو ، فالشحم يهضمه عصير البنكرياس مع المرة بعد
أن يحولها إلى (مستحلب) وذلك مما يعين أيضا على هذا الهضم والامتصاص
(٤) أما المواد النشوية فإنها تتحول باللعاب والعصير البنكرياسي إلى سكر
الشعير ، ثم يتحول هذا السكر وسكر القصب - أن وجد - بواسطة العصير
المعوي إلى سكر العنب ، وهذا السكر سهل الامتصاص ويبقى في الدم كما هو غير
أنه يخزن الزائد منه مؤقتا في الكبد على صورة الجليكوجين - كما قلنا - أما سكر
اللبن فيتحول أثناء امتصاصه إلى سكر العنب أيضا ، ولا تأثير للعصارات الهاضمة فيه

امتصاص الاغذية

أما الامتصاص فانه يحصل في القناة الهضمية من أولها إلى آخرها أي من
الفم إلى المستقيم ، ولكن الامتصاص في الفم قليل جدا كالمثل في المعدة والأمعاء خصوصا
في الصائم من الأمعاء الصغيرة

ولما كلن بعض المواد الزلالية يمكن امتصاص القليل منها وإن لم تهضم ^(٢)

(١) تسمى أيضا الاولية (Proteids) لان لها المنزلة الأولى بين الاغذية ،
والنيروجين من لوازم تركيبها (٢) المراد بالهضم هنا التغير الكيماوي المخصوص
الذي يحصل في الاغذية قبل امتصاصها -

وكذلك الشحم والزيوت فانما يستعمل الأطباء في بعض الأمراض الحتن الشرجية المغذية لأمراضى وإن كان أكثر هذه الحقن يهضم هضمًا صناعيًا قبل حقنه لتسهيل امتصاصه لعدم وجود عناصر هاضمة في المستقيم أما الماء والأملاح والمواد السكرية والزلالية فكما تمتص من الأمعاء بواسطة فروغ المرريد الباب ليحملها إلى الكبد — كما سبق — مع بعض أجزاء من الدهن قليلة جدًا، ولكن أكثر المواد الدهنية تمتصها أوعية لمفاوية مخصوصة موجودة في الأمعاء، وهذه الأوعية تسمى (بالوعية اللبنة) لأن هذه المواد الدهنية التي تجري فيها تشبه اللبن وتسمى (بالكيلوس) وهي كلمة يونانية أيضا معناها العصير؛ وهذه الأوعية اللمفاوية تصب في غدد لمفاوية مشورة في طريقها لتفتيتها من الميكروبات ونحوها، وكل من الأوعية وهذه الغدد موجود بين طبقتي المساريقا (Mesentery) ^(١) وهي عبارة عن غشاء من البريتون يعلق الأمعاء الصغيرة بالظهر ويحيط بها

والغدد اللمفاوية التي بين طبقتي المساريقا يحصل فيها التهاب فضخامة عند تفرح الأمعاء في الحمى التيفودية وغيرها
واعلم أن الزلال المبهضوم المسمى (بيتون) إذا دخل الدم من غير أن تحوله الخلايا المخاطية إلى زلال كزلال الدم كان سما زعافا فلذا كان تحويله قبل امتصاصه واجبا

ومن المعلوم أن سم الثعابين ونحوها هو مواد زلالية تقرب من البيتون فلذا كان أكله مغذيا لا ضرر فيه لأن خلايا الغشاء المخاطي تشكفل بتحويله إلى ما يصلح للجسم قبل امتصاصه، أما إذا حقن في الدم أو تحت الجلد بدون هذا التحويل كان خطرا على الحياة

وفي الأمعاء ميكروبات عديدة، وهذه الميكروبات تحدث تغيرا وتحليلا في الأغذية فوق الذي تحدثه العصارات الهاضمة فينشأ عن ذلك غازات وغيرها، بعضها يضر امتصاصه وبعضها لا ضرر فيه، وهذه الغازات هي التي تحدث القراقر (١) كلمة يونانية معناها (وسط الأمعاء) لأن هذا الغشاء متصل بوسط الأمعاء

في البطن وخروج الأرياح ، ويكثر تكون هذه الغازات بأكل المواد النباتية . وقد تؤثر العصارات الهاضمة في بعض المواد المأكولة فتخرج منها مواد سامة لجسم اذا امتصت في الدم ، ولكن هذه الميكروبات تحللها الى اجسام أخرى وبذلك تبطل ضررها ، فوجودها في الامعاء ضروري ، ومن الخطأ محاولة قتلها بالأدوية المطهرة أما البراز فهو فضلات جميع الاغذية والاشربة التي لم تمتص ، ومفرزات الخناز الهضمي ، وغير ذلك

والسبب في حصول الاسهال أحد ثلاثة أمور (١) إما اضطراب حركة الامعاء حتى تكون أسرع من الحالة الطبيعية فيمر فيها الطعام والشراب بسرعة زائدة قبل ان يحف بالامتصاص (٢) وإما زيادة العصارات الهاضمة وخصوصا افرازات الامعاء بسبب مرضها كالتبها (٣) وإما قلة امتصاص خلايا الغشاء المخاطي للاطعمة والاشربة لمرض ما فيها . وهذه الاسباب في الغالب تكون مجتمعة في الاسهال العادي وقد تحصل بالمسهلات ، ولذلك كان الاسهال الزائد عن الحد ضارا جدا لانه ينهك القوى

والسبب في الامساك عكس ما تقدم ، وضرره يكون بامتصاص بعض المواد الضارة في الدم وبضغطه على بعض الاعضاء كالأوردة أو الاعصاب فيعوق وظيفتها وقد تنشأ عنه البواسير والصداع والضعف وآلام عصبية في الفخذ اليسر لضغط المواد البرازية في التعريج السيني والمستقيم على الاعصاب . أما مدة مرور الطعام في الامعاء فهي عادة من ٢٤ — ٣٦ ساعة ، منها نحو ١٢ ساعة للامعاء الدقيقة

(فصل في الاطعمة والاشربة وغيرها)

المواد الضرورية للجسم سبق ذكرها مرارا وهي باختصار : المواد الزلالية (الأولية) والسكرية والنشوية (السكر بوهيدراتية) والدهنية والماء والاملاح وهذه المواد يأخذها الانسان اما من الحيوانات أو من النباتات ، والحيوانات المأكولة تأخذها أيضا من النباتات ، فصدر غذاء الانسان كله هو النباتات . وهذه المواد كلها توجد في أنواع مختلفة من الاطعمة أهمها : —

(١) اللبن

هو غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد السابقة وعلى الدهن المعروف (السمن) والازبداء والقمشة) ويستخرج منه اللبن وهو جل المواد الزلالية والدهنية مع بعض أملاح تضاف إليه من الخارج

وإذا تعرض اللبن لحوادث ما هبطت إليه بعض ميكروبات مخصوصة تحول سكره إلى حامض اللبنيك وهذا يترسب الزلال الذي في اللبن فيغالب ويكون كاللبن المعروف في مصر (بالبزبادي) المسمى بالعربية (اللبن الخائر والرائب) وقد توضع في اللبن خميرة فيها بعض ميكروبات أخرى فتحول سكره إلى غول فينشأ نوع من الخمر بسبب ذلك يعرف في بلاد انتشار الكفير أو الكوميس وكل من الكفير (١) أو الكوميس (٢) سهل الهضم مغذ للانسان منبه للدورة الدموية بما فيه من الغول بمقادير قليلة ونفع في السيل الرئوي - كما يقال - ولكن الاكثر والادمن عليه له بعض الاثر السيء الذي للخمر عامة

أما اللبن الخائر فهو أيضا سهل الهضم لقلته مائه ووجود الحامض فيه ، مغذ للانسان ولكن اذا طالت مدة تخمره تولدت فيه مواد سمية ضارة، وهذا النوع نافع في الحيات لقلته افراز المعدة للحمض أثناء الحيات وهو مفيد أيضا في نزلات المثانة واللبن قد يختلط بميكروبات أخرى محدثة للأمراض بعضها يصل إليه من الانسان كميكروب الحمى التيفودية ، والبعض الآخر قد يصل إليه من غيره كميكروب الحمى المالطية في لبن بعض المعز وكالدقيريا فانها تصيب البقر والضأن . وكثير من البقر يصاب بالتدرن فيكون اللبن سببا في الدرن الانساني وان لم توجد فيه ميكروبات الدرن نفسها اذ يكفي وجود سمومها فيه فان ذلك يضعف البنية ويهبطها لقبول ميكروب الدرن. فلذا يجب أخذ اللبن من الحيوانات السليمة في أوان نظيفة جدا وبأيد كذلك . ولثقة بطهارته من جميع الميكروبات يجب غليه قبل تعاطيه مدة خمس دقائق على الأقل

(١) يصنع من لبن البقر والمعز والغنم (٢) يصنع من لبن الفرس

واذا منعنا وصول سائر الميكروبات الى اللبن أمكننا حفظه دهرًا بدون فساد كما سبق
وللانفعال النفساني الشديد تأثير في افراز اللبن حتى إنه قد يسم الصغار
ومن السهل أخذ زبدة اللبن أو القشدة بالآلة المبعدة عن المركز المسماة
باللاتينية [Centrifuge] فإذا أديرت بسرعة أبعدت جميع المواد التي في اللبن
عن المركز لتقلها ماعدا زبدة اللبن فانها تأتي نحو المركز لحفتها ، وبسبب خفتها أيضا
تصعد الى سطح اللبن اذا سخن بالنار كما هو معلوم

واذا أخذت زبدة اللبن صار ثقله النوعي أزيد من المعتاد فاذا أضيف إليه
جزء من الماء عاد ثقله الى المعتاد (وهو في لبن البقر ٢٨ ١٠ الى ١٠٣٤)

ومن طرق غش اللبن أن يضاف عليه الماء مع النشاء لإكثار كميته ولكن
النشاء تمكن معرفته بطريقة كيمياوية سهلة جدا وذلك بوضع جزء من صبغة اليود
عليه فيتلون في الحال باللون الازرق اذا كان فيه نشاء

ويصنع من زيوت النباتات وشحم الحيوانات زبدة كاذبة تسمى باللاتينية
وغيرها المرغرين (ومعناها حرفيا مادة اللؤلؤ سميت بذلك للمعانها) يستعملها
التجار كثيرا بقصد الغش وهي في الحقيقة لا ضرر فيها الا أنها أرخص ثمنًا
ومن أكثر الالبان تغذية لبن الجاموس والعنز، وأسهلها هضمًا لبن المرأة والأتان
(أنثى الحمير) وأكثرها سكرًا لبن المرأة ويقرب منه في ذلك لبن الأتان

(جدول تركيب الالبان المختلفة)

نوع اللبن	المواد الزلالية	الدهن	السكر	الاملاح	الماء
لبن المرأة	٢٦٢٩	٣٦٨١	٦٥٢٠	٠٠٣٠	٨٧٦٤٠
» البقرة	٣٦٥٥	٣٦٦٩	٤٦٨٨	٠٠٧١	٨٧٦١٧
» الفرس	٢٦٠٠	١٦٢٠	٥٦٦٥	٠٠٣٦	٩٠٦٧٩
» الأتان	٢٦٢٥	١٦٦٥	٦٦٠٠	٠٠٥٠	٨٩٦٦٠
» العنز	٤٦٣٠	٤٦٧٨	٤٦٤٦	٠٠٧٥	٨٥٦٧١
» الجاموسة	٦٦١١	٧٦٤٥	٤٦١٧	٠٠٨٧	٨١٦٤٠

(المجلد الثامن عشر)

(٢٨)

[المنار: ج ٣]

(٢) البيض

وهو يؤخذ من أنواع مختلفة من الطيور ، وأكبره بيض النعام ، وهو أيضا غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد اللازمة للجسم ، ولذلك تتكون منه أجنة الطيور فتخرج منه كاملة الاعضاء والاجزاء . وطبقاته مؤلفة كما يأتي : —

القشيرة (القشرة) مركبة من مواد جيرية أهمها كربونات الكالسيوم ، وبها ثقب عديدة لازمة لدخول الهواء الى البيضة وخروجه منها لتنفس جنين الطير ، فاذا سدت جميع هذه الثقوب اختنق ما في داخلها ومات . وسدها أيضا بمثل الشمع أو الصمغ يحفظ البيضة من الفساد ، فانه يمنع دخول الميكروبات اليها . ويلي هذه القشرة طبقة أخرى رخوة ، ثم بياض البيض (الغيرقي) وهو يتركب من مواد زلالية مع قليل من الدهن والملح ، ووظيفته تغذية جنين الطير ، وهو محيط بالملح (الصفار) من جميع الجهات ، أما (الملح) فهو عبارة عن خلية حية كبقية الخلايا الحيوانية ولها نواة يتبدى فيها تكون الجنين باقتسامها وتغذيها بما حولها من المواد الغذائية . والملح يتركب أكثره من مواد دهنية وأملاح مع قليل من الزلال المسمى جلوبيولين ، ولا يحصل هذا الانقسام في النواة الا اذا كانت ملقحة بالحيوان المنوي للذكر ، ومدة التفريخ للدجاج ٢١ يوما أي ثلاثة أسابيع

والبيض مغذ جدا سهل الهضم الا اذا طبخ طبخا شديدا فان ذلك يجمد مواده ويجعلها عسرة الهضم ، واذا شرب منه جزء بدون طبخ أو مع طبخ قليل أفاد الجسم وغذاه ، غير أن الإفراط فيه مما يتعب السكلى ، وقد ينزل جزء من زلاله في البول ولمعرفة البيض الجيد من البيض الفاسد تذاب أوقيتان من ملح الطعام في نصف لتر ماء فاذا غرقت البيضة في هذا السائل دل ذلك على جودتها ، والا كانت فاسدة مشتملة على غازات ناشئة من الفساد هي السبب في خفتها

(٣) العسل

هو في الاصل ما تجمع به النحل من رحيق الازهار ، ثم تحوله في معدتها الى هذه المادة المخصوصة ثم تلقيه من أفواهها في خلاياها مصداقا لقوله تعالى (يخرج من

بطلونها شراب مختلف ألوانه (وفائدة العسل للنحل تغذية صغارها ^(١)) به
والعسل يشمل أنواعا من السكر أهمها سكر العنب مع مواد عطرية ، وفيه أيضا
جزء من الأبور (وهو المادة التي تسميها الافرنج (Pollen) وهي عبارة عن عنصر
الذكر في الأزهار الذي تلقح الانثى به ، والابور مادة يروتو بلا زمية حبة أي
مشملة على زلال وغيره ، ولذا كان العسل مشتملا على كثير من العناصر الضرورية
للحيوانات . أما شمعها فلا يهضم ولا يكتسب منه الجسم شيئا

والعسل مغذ جدا سهل الهضم للغاية بل ان سكر العنب الذي فيه لا يحتاج
الى العصارات الهاضمة فانه يمتص بدونها . والعسل ملين مقو للجسم ، وبسبب سهولة
هضمه وتقويته للجسم واحداثة اللين كان نافعا في كثير من الامراض فيجعل الجسم
قوي المقاومة لانواع كثيرة من الميكروبات ، وقد يتغلب عليها بسبب ذلك ، فهو
نافع في سائر الامراض التي تنهك القوى كالسل والسرطان والانيما والبلغم وفي
الحميات وغير ذلك حتى قال بعضهم انه نافع في البول السكري ، ولكن ذلك لم
يثبت الآن عند الجمهور

وهو يحرض شهوة الطعام أيضا ويكثر من إفراز المعدة ومن اللعاب فيرتب
الحلق ، ولذا كان نافعا في التهاب اللوزتين والحلقوم وفي السعال . كل ذلك يؤيد قوله
تعالى (فيه شفاء للناس) وقد يجوز اعطاؤه أيضا في أحوال الاضطرابات المعدية
المعوية لانه سهل الهضم جدا يساعد عليه — كما قلنا — فلذا ينفع المصابين بعسر
الهضم ، ويجوز اعطاؤه في أول الامر للمصابين بالذرب كما يعطى زيت الخروع بقصد
تنظيف القناة الهضمية من المواد التي تحدث تهيجها ، ويحسن اعطاؤه ملينا للاطفال
بدل زيت الخروع فانه ملين لذيد الطعم تشبهه أنفسهم . ومن ذلك تعلم حكمة وصف
رسول الله (ص) العسل لمن أصيب باطلاق بطنه بقصد تنظيف القناة الهضمية وتغذية
المريض به لسهولة هضمه ، ويشبه ذلك وصف الاطباء غذاء اللبن في الذرب مع
أنه سهل كثيرا من الناس

(١) تسمى صغار النحل اللوث (بالضم) والطردي (بالفتح) والرصع بالتحريك
والديسم (بوزن جعفر)

ومن أحسن الاغذية النافعة للحميات العسل مع اللبن ، فان العسل يحترق في الجسم ويوفر احتراق أجزائه الاخرى بسبب الحنى . وذلك مما يعين الجسم على التغلب عليها . هذا وإن عسل النحل الذي يجمعه من أزهار سامة يحدث أعراض التسمم لمن يطعمه ، وكذلك الحال في ألبان الانعام التي تأكل نباتات سامة ، فيجب الاحتراس من ذلك ما أمكن ما

الحنين الى الاوطان

كتاب مختصر من احسن كتب الادب طلاوة ، واشدها حلاوة ، وارشفها عبارة واجودها اختيارا للآئى الكلام المنشورة والمنظومة ، واطبعها للملكة البيان في نفس الطالب ، وذوق البلاغة من الشاعر والكاتب . وحسبك انه لامام ائمة الادب ابي عثمان الجاحظ ، الذي نوه الزمخشري بمكانته العليا من البيان ، في خطبتي كتابيه اساس البلاغة والكشاف . وهالك هذا النموذج من اوله . قال بعد البسملة

إن لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الادب —
سببا يدعو الى تأليف ما كان فيه مشتتاً ، ومعنى يحدو^(١) على جمع ما كان
متفرقاً ، ومتى أغفل حملة الادب وأهل المعرفة تمييز الاخبار ، واستنباط
الآثار ، وضم كل جوهر نفيس الى شكله ، وتأليف كل نادر من الحكمة
الى مثله ، بطلت الحكمة ، وضاع العلم ، وأميت الأدب ، ودرس
مستور كل نادر . ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر ، ونقرهم آثار
الاولئل في الصخر ، — لبطل أول العلم وضاع آخره ، ولذلك قيل :
لا يزال الناس بخير ما بقي الاول يتعلم منه الآخر

وان السبب على جمع نتف من أخبار العرب في حنينها الى أوطانها ،

(١) يحدو — حده على الامر بعنه اليه

وشوقها الى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها، توقد النار في أكبادها،
 أَنِّي فاوضت بمض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع^(١) الى
 الاوطان، فسمعتة يذكر أنه اغترب من بلد الى آخر أمهد من وطنه،
 وأمر من مكانه، وأخصب من جنبه؛ ولم يزل عظيم الشأن، جليل
 السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم
 أئجادها^(٢) وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس باباه إلا
 راغب اليه أو راهب منه، فكان اذا ذكر التربة والوطن حن اليه حنين
 الإبل الى أعطانها،^(٣) وكان كما قال الشاعر:

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نهبة للهامم^(٤)
 حنيناً الى أرض بها اخضر شاري وحلت بها غني عقود التأمم^(٥)
 وألطف قوم بالفتى أهل أرضه وأرعاهم للمرء حق التقادم
 وكما الآخر:

يقر بعيني أن أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود^(٦)

١ النزاع الى الشيء الاشتياق اليه

٢ الانجاد جمع نجد وهو الشجاع السريع الى الاجابة فيما دعي اليه

٣ الاعطان أوطان الابل ومباركها عند الماء، واحدها عطن

٤ الهمام الهموم

٥ التأمم جمع تئمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون
 بها العين في زعمهم فابطلها الاسلام، ذكره في النهاية لابن الاثير

٦ ذرا الشيء بالضم أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها، وقال في معجم
 البلدان: قال ابن الاعرابي الابرق جبيل مخلوط برمل وهي البرقة، وكل شيء
 خلط من لونين فقد برق. والمتقاود المستوي، قال في أساس البلاغة: تقاود المسكان
 استوى، قال:

الا ليت شعري هل أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود

وأن أرد الماء الذي شربت به سليمان وقد مل السرى كل واخذ^(١)
والصق أحشائي ببرد ترابه وان كان مخلوطاً بسم الاسود^(٢)
فقلت : لئن قلت ذلك لقد قالت العجم : من علامة الرشد أن
تكون النفس الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها تواقّة^(٣) وقالت
الهند : حرمة بلدك عليك ، حرمة أبويك ، لأن غذاءك منهما وأنت
جنين -- وغذاءهما منه . وقال آخر : احفظ بلداً رشحك غذاؤه ، وارع
حمى أكنك فناؤه . وأولى البلدان بصابتك اليه بلد رضعت مائه ،
وطعمت غذاؤه ، وكان يقال : أرض الرجل ظئره^(٤) ، وداره مهده ،
والغريب النائي عن بلده ، المنتحي عن أهله ، كالثور الناذر^(٥) عن
وطنه ، الذي هو لكل رام قنيصه . وقال آخر : الكريم يحن الى
جنابه ، كما يحن الاسد الى غابه ، وقال آخر الجالي عن مسقط رأسه ومحل
رضاعه ، كالعير^(٦) الناشط^(٧) عن بلده ، الذي هو لكل سبع قنيصة ،
ولكل رام دريئة^(٨) ، وقال آخر : تربة الصبا تغرس في القلب حرمة
وحلاوة ، كما تغرس الولادة في القلب رقة وحفاوة^(٩) ، وقال آخر : أحق

١ السرى سيرة عامة الليل وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » ويقال
جمل واخذ ووخاد اذا كان واسع الخطو ، وقد وخذ يخذو وخذاً ووخداناً

٢ الاسود جمع أسود وهو العظيم من الحيات

٣ تاق اليه توقانا اشتاق اليه فهو تائق وتواق

٤ الظئر المرأة التي حضنت ولد غيرها

٥ ند البعير ندا (بتشديد الدال) نفر وذهب على وجهه شارداً

٦ العير الحمار الوحشي والاهلي أيضا

٧ قال في أساس البلاغة : ثور ناشط - خارج من أرض الى أرض

٨ الدريئة حلقة يتعلم عليها الطعن

٩ الحفاوة المبالغة في الاحرام

البلدان بنزاعك اليه بلد أمصك حلب رضاعه؛ وقال آخر: اذا كان الطائر
يحن الى أوكاره فالانسان أحق بالحنين إلى أوطانه؛ وقالت الحكماء:
الحنين من رقة القلب — ورقة القلب من الرعاية — والرعاية من
الرحمة — والرحمة من كرم الفطرة — وكرم الفطرة من طهارة الرشدة^(١)
وطهارة الرشدة من كرم المحتد^(٢)؛ وقال آخر: ميلك الى مولدك، من
كرم محتدك؛ وقال آخر: عسرك في دارك، أعز لك من يسرك في
غربتك، وأنشد

لقرب الدار في الاقتار خير من العيش الموسع في اغتراب^(٣)
وقال آخر: الغريب كالغرس الذي زایل أرضه، وفقد شربه، فهو
ذاو^(٤) لا يثمر، وذابل لا ينضر. وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل
معجونة بحب الوطن — ولذلك قال بقراط: يداوى كل عليل بعقاقير
أرضه، فان الطبيعة تتطلع لهوائها، وتنزع الى غذائها؛ وقال أفلاطون:
غذاء الطبيعة من أجمع أدويتها؛ وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم
أرضه — كما تتروح الارض الجذبة ببلل القطر

والقول في حب الناس الوطن، واقتنارهم بالمحال قد سبق، فوجدنا
الناس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم — ولذلك قال ابن عباس: لو قنع
الناس بأرزاقهم، قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبد الرزق؛ وترى الاعراب
تحن الى البلد الجذب والمحل الفقر والحجر الصلد؛ وتستوخم^(٥) الريف

١ الرشدة صحة النسب وهي بكسر الراء، والفتح لغة

٢ المحتد الاصل، يقال هو كريم المحتد وهم كرام المحتد

٣ الاقتار مصدر أقتر الرجل اذا افتقر ٤ ذاو — ذابل

٥ استوخم البلد، وهو وخم ووخم بالكسر والسكون أيضا اذا لم يصلح للسكن

حتى قال بعضهم

أَتَجْلِينَ فِي الْجَالِينَ أَمْ تَتَصْبِرِي عَلَى ضَيْقِ عَيْشٍ وَالْكَرِيمِ صَبُورِ^(١)
فَبِالْمَصْرِ بَرِغُوثٌ وَحُمَى وَحَصْبَةٌ وَمُومٌ وَطَاعُونٌ وَكُلُّ شُرُورِ^(٢)
وَبِالْيَبِيدِ جُوعٌ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ رَكَامٌ بِأَطْرَافِ الْإِكَامِ تَمُورِ^(٣)
وَتَرَى الْحَضْرِيَّ يُولَدُ بِأَرْضِ وَبَاءٍ وَمُوتَانٌ وَقَلَّةٌ خَصْبٌ — فَاذَا
وَقَعَ بِلَادُ أَرَيْفٍ مِنْ بِلَادِهِ، وَجَنَابٌ أَخْصَبٌ مِنْ جَنَابِهِ، وَاسْتَفَادَ غَنًى حَنِ
إِلَى وَطْنِهِ وَمُسْتَقْرَهُ .

ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارها في هذا المعنى لطال اقتصاصه .
ولكن توخينا تدوين أحسن ما سنع من أخبارهم وأشعارهم وبالله التوفيق
ومما يؤكد ما قلنا في حب الاوطان قول الله عز وجل حين ذكر
الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : (ولو أنا كتبنا عليهم أن
اقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فسوى بين
قتل أنفسهم، وبين الخروج من ديارهم . وقال تعالى (وما لنا ألا نقاتل في
سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وقال الا ول : عمر الله البلدان
بحب الاوطان ، وكان يقال لولا حب الناس الاوطان لخربت البلدان ،
وقال عبد الحميد الكاتب وذكر الدنيا : نفتنا عن الاوطان ، وقطعتنا
عن الاخوان ، وقالت الحكماء أكرم الخيل أجزعها من السوط ،

١ الجلاء الخروج من البلد . يقال : جلوا عن أوطانهم ، اذا خرجوا منها

٢ الموم هو البرسام مع الحمى

٣ الركام السحاب المستراكم بعضه فوق بعض - والاكمة تل ، وقيل شرفة
كالراية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ ، والجمع اكم وجمع
الاكم اكام مثل جبل وجبال - ومما الشئ تحرك بسرعة

واكيس الصبيان أبغضهم للكتاب ، وأكرم الصفايا أشدّها ولها الى أولادها ، وأكرم الإبل أشدّها حنينا الى أوطانها، وأكرم المهاري أشدّها ملازمة لأمتها ، وخير الناس آلفهم للناس

وقال آخر من أمارات العاقل بره لاخوانه ، وحنينه الى أوطانه ، ومداراته لاهل زمانه. واعتل أعرابي في أرض غربة فقيل له ما تشتهي ؟ فقال حسل^(١) فلاة وحسو^(٢) قلات^(٣) ؛ وسئل آخر فقال : مخضا^(٤) روبا ، وضبا مشويا ، وسئل آخر فقال : ضبا عيننا أعور ؛ وقالت العرب حماك أحى لك ، وأهلك أحفى بك ؛ وقيل الغربة كربة ، والقلة ذلة. وقال لا ترغبوا إخوتي في غربة أبدا إن الغريب ذليل حينما كانا وقال آخر : لا تنهض عن وكرك فتغصك الغربة ، وتضيمك الوحدة ؛ وقال آخر لا تجف أرضا بها قوابلك^(٥) — ولا تشك بلدا فيه قبائلك ؛ وقال أصحاب القيافة^(٦) في الاسترواح : اذا أحست النفس بمولدها تفتحت مسامها فعرفت النسيم. وقال آخر يحن الليب الى وطنه ، كما يحن النجيب^(٧) الى عطنه ؛ وقال كما أن لحاضنتك حق لبنها — كذلك لأرضك حق وطنها ؛ وذكر أعرابي بلده فقال رملة كنت جنين ركامها ، ورضيع غمامها ، فخصنتي أحشاؤها ، وأرضعتني أحساؤها^(٨) ؛ وشبهت

- ١ الحسل ولد الضب حين يخرج من بيضه ٢ حسا زيد المرق يحسوه حسوا شربه شيئا بعد شيء وحسا الطائر الماء تناوله بمنقاره ٣ القلات جمع قلت بالفتح وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ٤ المخض والمخض ما خض من اللبن وأخذ زبده ٥ القوابل جمع قابلة وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة ٦ القائف الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع القافة ويسمى فعله بالقيافة ٧ النجيب من الأبل القوي الخفيف السريع ٨ الاحساء جمع حسي وهي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء

الحكماء الغريب باليتيم اللطيم^(١) الذي شكل^(٢) أبويه - فلا أم ترامه^(٣)
ولا أب يحذب عليه^(٤)؛ وقالت أعرايية اذا كنت في غير أهلك فلا
تنس نصيبك من الذل؛ قال الشاعر

لعمري لرهط المرء خير بقية عليه وان عالوا به كل مركب
اذا كنت في قوم غداً لست منهم فكل ما علفت من خيث وطيب^(٥)
وفي المثل أوضح من مرآة الغريبة - وذلك أن المرأة اذا كانت هدياً
في غير أهلها تتفقد من وجهها وهيئتها ما لا تفقده وهي في قومها
وأقاربها - فتكون مرآتها مجلوة تتعهد بها أمر نفسها وقال ذو الرمة
لها أذن حشر وذفرى أسيلة وخد كمرآة الغريبة أسجج^(٦)

١ اللطيم الذي يموت أبواه ٢ الشكل فقدان المرأة ولدها ٣ رثمت الناقة الولد
عظفت عليه ٤ يحذب عليه يعطف عليه ٥ قال ابن السكيت قوم عدا غرباء وانشد
البيت قال ولم يأت فعل في الصفات غير هذا وهو أيضاً مذهب سيبويه وهم اسم
للجمع. وقال ابن السيد في الافتضاب هذا البيت لرافقة بن سبيع الاسدي فيما ذكر
يقوب وذكر الجاحظ أنه لخالد بن فضالة الجحواني من بني أسد - والعدي
الغرباء والعدي أيضاً الأعداء - والاكل والعلف ههنا مثلاً مضموناً للموافقة
وترك الخالفة - وكان هذا الشاعر قد راغم قومه وعتب عليهم ثم جاور غيرهم -
وندم على مفارقة قومه - ولذلك قال قبل هذا البيت

لعمري لقوم المرء خير بقية عليه وان عالوا به كل مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
تبدلت من دودان نصراً وأرضها فما ظفرت كفي ولا طاب مشربي
ثم أفاض في شرح البيت

٦ الحشر ما لطف من الآذان - والذفرى من الحيوان العظم الشاخص خلف
الاذن - والاسيل من الحدود الطويل المسترسل. وسجج الخد كفرح سهل ولان
وطال في اعتدال. وقل لحمه وقال في اساس البلاغة وجه اسجج مستوي الصورة
ورجل اسجج الخدين وقد سجج قال ذو الرمة وقد انشد البيت

سفور النساء واختلاطهن بالرجال

وفوضى الآداب بمصر

في هذه الايام التي ثبت فيها عن نساء فرنسة كلهن ، حتى غايات باريس منهن ، انهن لبسن ثياب الحداد ، بعد رفولهن في تلك الأزياء ، التي تقلدهن فيها سائر النساء ، في جميع الارحاء ، وظهرن بمظهر الراهبات الناسكات ، وهن أولئك الفاتنات ، الكاسيات العاريات ، المائلات المميلات ، اللواتي قتن قلوب الرجال ، حتى صاروا يشدون اليهن الرجال ، بل يطيطون اليهن على مراكب النار ، في سباسب الارض وأجواز البحار ، وتركوا المراقص والملاهي والحانات ، الى ساحات القتال والمستشفيات ، والى دور الصناعة ، وأعمال الزراعة ، ليخففن عن أمتن أثقال هذه الحرب الضروس ، في هذا العصر العبوس

= في هذه الايام التي مس الناس فيها الضر ، وهدد الأمم والدول العسر ، فكسدت غلات الزراعة ، وتعطلت معامل الصناعة ، ووقفت حركة التجارة ، وقل الدرهم والدينار ، وغلت أثمان الاشياء ، وخاف العقلاء ان يعقب هذه الحرب قحط ومجاعات ، تثلوها قتن وأوبئة وثورات ، وشعر المبذرون من أهل السعة والثروة ، بوجود الاقتصاد في النفقة خوفا من سوء العاقبة

= في هذه الايام التي تدك فيها الحصون والمعازل ، وتدمر المعابد والمنازل ، وتثل العروش ، وتذهب باستقلال الشعوب ، وتنذر أقوى الدول بأسا ، وأشدهن بطشا ، ذلا بعد عزة ، وضعفا بعد قوة ، وفقرا بعد ثروة ، وعبودية بعد حرية

= في هذه الايام — وقد زلزلت الارض زلزالها ، وأخرجت الارض أثقالها ، وقال الانسان ماله ، وما عسى ان يكون ماله — انبرى نفر من الشبان والشواب ، من المتفرنجين والمتفرنجات في هذه البلاد ، يتبارون في تحبير المقالات ، وإقامة الحجج والبيانات ، المؤلفة من مقدمات الشبه والخيالات ، على وجوب سفور النساء المصريات ، واختلاطهن بالرجال في الملاهي والمجتمعات ، وفي عامة الاحوال والاقوات . ليشاركن

الرجال في حريتهم ، ويساهمهم في التمتع بمحاسن (الطبيعة) ويقتبس منهم الآداب والافكار الجديدة ، ولذلك يسمون مطلبهم هذا « تحرير المرأة » فرادهم ان المرأة في رق أهلها ثم زوجها ، وانه ينبغي ان تفعل ما تشاء ولا يصح لاحد ان يحجر عليها ، ولا أن يصددها عما تحب وتهوى

يتوهم هؤلاء المساكين ان الفوضى الأدبية التي يرتعون فيها هي الحرية التي ينوه بمدحها الافرنج ، والتي بها وصلوا الى ماوصلوا اليه من العلم والصناعة ، وما أنتجا من الملك والسيادة ، ولم يعقلوا أن هذه الفوضى هي التي حلت روابطهم القومية ، وأضعفت مقوماتهم ومشخصاتهم الجنسية ، وجرفت ثروتهم الى البلاد الأجنبية ، وجعلتهم غير أهل للاستقلال في إدارة بلادهم ، فضلا عن مد نفوذهم وبسط سلطانهم على غيرهم ، ولم يستفيدوا منها الا الغرور بأنفسهم ، وكثرة الدعاوي العريضة بالسنتهم . النساء المسلمات غير مسترقات في مصر ولا في غيرها ، ولا محرمات من التمتع بمحاسن الوجود وطيبات الدنيا ، فأما نساء الفلاحين فأمرهن معروف وانهم يشاركون الرجال في كل شيء ، ولا بعينين طالب « تحرير المرأة » فيما يقولونه عن النساء المصريات . وأما نساء الموسرين في المدن اللواتي تتوجه اليهن أنظار هؤلاء المحررين ، فهن أكثر تمتعا بزينة الدنيا ونعيمها من الرجال ، الا في أمر واحد فقط وهو حرية المجاهرة بالفسق ، ومعاشرة الرجال ومخادتهم في الجهر ، فالفاسقة منهن لانفسق الا وراء الستر ، أو في المواخير المعروفة ببيوت السر ، ولا تخرج مع خدن لها للأنزلة الا مستخفية ، إلا ان تكون مغمولة أو متهسكة .

وأما البرقع فهو زينة اختارته لنفسها ، وزينة تجذب الانظار اليها ، لأنه يظاير المحاسن ، ويخفي المعاييب ، وقد اعترف بذلك قاسم امين . وسبقه اليه الشيخ احمد فارس الكاتب الاجتماعي الشهير ، وقد نظم في البرقع هذين البيتين :

لا يحسب الغرُّ البراقع للنساء منعاهن عن التمادي في الهوى
ان السفينة انما تجري اذا وضع الشراع لها على حكم الهوا

على ان البراقع كانت في عهد زيارته لمصر ساترة لمعظم الوجه ، فكيف لو رأى براقع هذه الايام التي قلت فيها من مقال سابق « تلاعبها الانفاس » وتحترقها أشعة

عيون الناس» ؟

واني لأعجب من المدافعين عن الحجاب كيف يعدون هذه البراقع البيضاء الشفافة من محصلاته أو متماته ، وما هي الامن هاتكاته أو مزيلاته ، الا ان يكون مرادهم رد كل مايجي به خصومهم من العبث بعادات الامة لاجل التفرنج وزيادة التهمك . كما اني أعجب من اهتمام الآخرين بإزالتها دون غيرها من زينة النساء المدنيات وهي لا تمنع علما ولا عملا ولا صلاحا ولا فسادا ، الا ان يكون مرادهم ترك كل وطني احتقار له ، واستبدال الشخصيات الافرنجية بالشخصيات الوطنية تعظيما لقدرها ، أو توهمها أن تشبهنا بالأفرنج في مشخصاتهم — وهو سهل علينا — يقوم مقام جعل مقوماتنا كقوماتهم — وهو ما عز علينا — فيكون لنا شرف التلهي بقشور مدنيهم وقد انحطت همنا عن اللحاق بهم في لبابها وحقائقها .

أولم يكفهم اننا شرعنا تقلدنا في هذه الظواهر القشرية — فتزيّا حكامنا بأزيائهم ، وتبعهم الناس بالتدرج المعتاد في مثل ذلك ، ثم قلدناهم في الاثاث والرياش والماعون وفي كثير من العادات ، وهل كان ذلك كله الاسباب لحرف ثروتنا ، واتزاعهم إياها منا ، وبعد ان قضي على صناعتنا ، ولم تحل صناعتهم محلها ، دع تأثيره في اضعاف ديننا وآدابنا التي هي مقومات أمتنا فخرجنا عن كوننا أمة متمسكة بما بينها من الروابط كتماسك البناء المتين ، وصرنا كالانقاض التي لا مالك لها ، يأخذها المعمرون فيشيدون بها دورا جديدة لهم

لماذا لا نعتبر بحال الامة الانكليزية التي نالت أعظم سيادة في الارض بأحلاقها وصفاتها وعاداتها ، كالثبات والتروي والمحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها حتى المفضولة منها ، وعدم اقتباس شيء من عادات غيرها وآدابه وان كان أحسن مما عندها ، الا ان يكون بالتدرج البطيء . في الزمن الطويل

وجملة اقول إن زي النساء المدنيات بمصر هو زي زينة تجذب أنظار الرجال اليهن قلما يوجد زي يفى بهذا الغرض مثله وهو ليس من الحجاب في شيء ، ولعله أبعد الازياء عن آداب الاسلام وصيائمه ، فلباس البدويات والقرويات السافرات الوجه اقرب الى أدب الاسلام وصيائمه منه ، ولكن الدعوة الى إزالته

بدعوى قبحه — لانه من الحجاب الضار المدموم بزعم هؤلاء الدعاة وبروح التفرنج التقليدي الذي يدفعهم اليه — دعوة ضارة مضعفة لمزاج الامة صادعة لبنائها الاجتماعي، وانما تحسن الدعوة الى تغييره بدعوى مخالفته لآداب الدينية، وشرف الصيانة الاسلامية، والى استبداله بزي آخر يجمع بين الجمال والكمال، ولا يقصد به تقليد أحد من الشعوب والاجيال.

ان المقلد لا ينفك مرتكسا في الضعف يخط في ليل دجوجي

*

وأما المطلب الثاني من مطالب أعداء الحجاب — وهو اختلاط النساء بالرجال فهو الجد الذي يؤبه له ويهتم به، وحسبك من بيان ضرر الدعوة اليه بروح التفرنج، وأسلوب ذم الحجاب المنسوب الى الشرع، ما قلناه آنفا في ضرر الدعوة الى تغيير الزي، وتأمل في الموضوع نفسه لتدرك ما فيه من الضرر أو النفع

لعل عدد نساء الموسرين في المدن لا يبلغ معشار $\frac{1}{10}$ عدد نساء الفقراء اللواتي يبعن في الاسواق والطرقات أو يخدمن في البيوت ونساء القرى والبادية، وهؤلاء هن اللواتي يوصفن بالحجاب، والجهد كله في سبيلهن

هذا العدد القليل من النساء يخالط الرجال الاجانب كل يوم في الاسواق والشوارع والمتنزهات، وكذا في بعض البيوت. فالنساء المدنيات يشترين بأنفسهن من الرجال كل ما يحتاجن اليه من الثياب والحلي والاعطار وأدوات الزينة حتى ما يستحيا من ذكره. ونرى الكثيرات منهن في ضواحي المدن ومتنزهاتها يركبن مع الرجال في المراكب، أو يمشينهم في الطرقات، ومنهن السافرة عن وجهها. والمحاصرة لخدمتها، واذا سمعت أخبار بيوت السر من وقائع الشحنة (البوليس) أو المختبرين تعلم ان هذه البيوت النجسة كثيرة جدا، وان أقدانها من النساء (المحجبات)، وعشاقهن من الافندية والبكوات والباشوات، يعدون بالألوف بالآلاف، دع ذكر الذين يذهبون بنسائهم الى أوربة فيلبس مدة سفرهم ملابس الافرنجيات كما يفعل رجالهن، ويجمعن معهم أو منفردات عنهم بالرجال في المطاعم والملاهي والملاعب والمراقص، ودع ذكر الذين يدخلون أصدقاؤهم من الرجال على

نساءهم في بيوتهم، ويأمرهن بمجالستهم وهن حاسرات عن رؤسهن، مبديات لنحورهن، لاسافرات عن وجوههن فقط. بل أقول لك همسا، ما أخجل أن أجهر به جهرا: أن المخادنة ذائعة بين التلاميذ والتلميذات

كل هذا كثير شائع في مصر فما الذي بقي ممنوعا من اختلاط النساء بالرجال، حتى قام بعض الشبان والشواب ينشدونه ويجاهدون في سبيله في هذه الايام، التي صدعت بناء الانسانية أعظم صدع، وحصرت هم الشعوب كله في الخوف على استقلالها في الشرق والغرب؟

انما بقي شيان اثنان (أحدهما) أن العرف يحظر على الرجل الاجنبي أن يخلو بامرأة أجنبية من هؤلاء المدنيات (كما يحظر الشرع الخلوۃ بكل أجنبية بغير عذر شرعي) أو يطلب الافراد بها زيارة أو غير زيارة. فمخالفة هذا لا تزال تعد قبيحة في العرف فلا تقع من غير المتتهكنين الا خفية.

(ثانيهما) أن هؤلاء النساء لا يجالسن الرجال في مجالسهم الخاصة في البيوت ولا العامة في المجامع والملاهي، الا من شد

أما اباحة خلوۃ المرأة بالرجل اباحة مطلقة بغير نكير فلا يكاد يذكرها محاربو الحجاب في مقالاتهم اذ لا يجدون شبهة يزينونها بها، وانما يكتفون اللفظ في مجالسة النساء للرجال في المجالس الخاصة والمجامع العامة زاعمين أن ذلك يرقى عقول النساء ويزيد في علومهن وآدابهن، وهذه أظهر شبهاتهم في هذا الباب، وقد اشرعنا لها طريقا لا ينكره عرف ولا شرع فيما كتبناه في المجلد الثاني من المنار تقریظا لكتاب تحوير المرأة، وهو أنه يمكن تحصيل هذه الفائدة بمجالسة النساء في البيوت لمحارمهن من الرجال كالاخوة والاعمام والاقوال، وأولاد الاخوة والاخوات، وبقضاء الأزواج أوقات فراغهم مع نساءهم في البيوت، فلماذا يترك هذا مدعو الحرص على فائدة الاختلاط ان كانوا صادقين؟

وأما المجامع العامة فقلما يوجد في مصر منها ما يفيد النساء فائدة تستحق كل هذا الجهاد. فالمجامع العامة الدائمة هي المعروفة بالقهاوي والخانات، وغير الدائمة منها هي المآتم والاعراس. وقد وجد في البلاد قليل من الاندية الخاصة، وأحاديث

الناس فيها كاحاديثهم في الملاهي العامة من كل وجه، ولكن تلقى فيها أحيانا بعض الخطب والمحاضرات التي لا يفهم بعضها الا القارئات ، وهذه المحاضرات تنشر غالبا في الصحف فيمكن لمن يستغدن منها أن يقرأنها فيها ، ولا فائدة للنساء في مجامع الرجال سواها ، ولكنها لا تخلو من مفاسد :

غشيان النساء لهذه المجامع من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهن واغوائهن إياهن ، والفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء في الغالب . أما أهل الفضائل والآداب الصحيحة فقليل ما هم ، وأكثريهم — ولا كثرة فيهم — لا يحب هذا الاختلاط ولا يميل اليه . فان وجد فيهم من يرغب فيه للإصلاح الخالص من شوائب الهوى فمن ذا الذي يعرف هؤلاء الافراد وهم أندر من الكبريت الاحمر؟ وكيف السبيل الى جمعهم في أندية خاصة يختلف النساء اليها دون غيرها لاجل ترقية أفكارهن وآدابهن ???

الى متى نفش أنفسنا ، وتعامي عن فساد الاخلاق والآداب الغالب على نابقتنا ، الذي لم يزد مع تربية التفرنج الا تفاقم واستشراء ؟ أنبذل هذه الصباية الباقية لنسائنا من ارث فضائل سلفنا الى هؤلاء السفهاء ، ونسبي هذا اصلاحا للبيوت باصلاح النساء ؟

اذا كان « خير الناس أنفعهم للناس » كما ثبت في النقل والعقل فالفلاحون في هذه البلاد خير من هؤلاء المتفرنجين الذين تلقفوا قليلا من اصطلاحات مباني الفنون ، لم يستعدوا بها لعمل ما الامة ، الا ان يكونوا خدما واجراء للحكومة ، التي يعدون اللهب بدمها من شعائر الوطنية الصادقة ، فمن تستغني الحكومة عن استخدامه منهم يمسون ويصبحون كلا على الامة وعالة على العاملين فيها كالفلاحين ، يأكلون ثمرات أعمالهم ، ويفسدون ما بقي من فضائلهم وآدابهم ، ويحسبون انهم من الأئمة المصلحين فيهم ، (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

ألا ان النساء في حاجة الى العلم والادب والاصلاح ، وليس الرجال أقل حاجة منهن الى ذلك . ففساد أخلاق الرجال هو الذي أفسد النساء وأضاع ثروة الامة وحل روابطها الاجتماعية ، ولم يبدلها بها روابط خيرا منها ولا مثيلا

ألا ان هذا الاصلاح الصحيح انما هو اصلاح النفس بترية الاخلاق والاداب الدينية أولا ، ثم بتعليم العلوم التي يعمل المتعلم بها من يوم خروجه من المدرسة الى ان يهرم أو يموت — وعلوم النساء العملية العامة تربية الاطفال وادارة البيوت — وانما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الامة ديناً وعقلاً وأدباً بتأليف الجمعيات الخيرية والعلمية ، فان لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجهه بالتعاون فان الامة تظل مذبذبة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها اصلاح (وما يتذكر الا اولو الالباب)

الشيخ شبلي النعماني

كان الشيخ شبلي النعماني — رحمه الله وأدام النفع به — ركناً من أركان نهضة الاصلاح الاسلامي في الهند

ورجال هذا الاصلاح في كل الاقطار الاسلامية أمة وسط بين فريق الجامدين على التقاليد والعادات التي انتهى اليها أمر جمهور المسلمين بعد فتك التفرق الديني والسياسي بهم ، وانتشار البدع والخرافات فيهم ، وإضاعة جل مآثر سلفهم من العلم والمجد التليد ، وإعراضهم عن العلم الحديث والمجد الطريف — وبين فريق المتفريجين الذين أصابوا حظاً من اللغات الاجنبية ، وتلقفوا قليلاً من العلوم والفنون الاوربية ، فأحدث لهم ذلك غروراً بأنفسهم ، واحتقاراً لأمر أمتهم ، فطفقوا يمرقون منها بزلزال عقائدهم وأفكارهم ، وتغيير عاداتهم وأزيائهم ، فوهت فيهم جميع مقوماتها ، ولم يندغموا في أمة من الأمم التي يقلدونها ، على ان منهم من يحسبون انه يمكن جعل أمتهم كلها ، مثلهم أو مثلاً .

المبانية بين الجامدين والمتفريجين عظيمة ، كل منهم يحتقر الآخر ويكرهه ، ويعتده علة اضعف الامة والمحطاطا . أولئك يرمون هؤلاء بالكفر والفسوق ، وينفرون وينفرون منهم ومن هذه العلوم والفنون ، ويعدونهم آلات الاجانب التي يحلون بها عناصر الامة ويستعملونها كما يستعملون عناصر الارض في تنمية ثروتهم ،
(المنار : ج ٣) (٣٠) (المجلد الثامن عشر)

وإعلاء كلمتهم ، واستعمار البلاد وجعلها تحت سلطتهم — وهؤلاء يرمون أولئك بالتعصب والجهل والخرافات والهمجية ، التي يجب نسفها لاقامة بناء الحضارة والمدنية .
والحق ان كلا منهما مخطئ في شيء ومصيب في شيء آخر ، وله مزايا حسنة ورزايا ضارة ، وان الامة لو سارت على رأي كل منهما وحده لم تكن عاقبتها الا الانحلال والهلاك .

وأما حزب الاصلاح ، فهو وحده محل الرجاء ، لانه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ، ويعرف منافعه ومضاره ، ويريد ان يكون معقد الارتباط والاتصال بينهما بارجاع كل منهما عن خطئه ، والسير بالامة في طريق تحفظ به مقوماتها ومشخصاتها وتعيد الموروث النافع منها الى جدته ، وتتدرج في استبدال النافع بالضرار منه ، وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم لامة قائمة في هذا العصر بدونه ، وليس هذا المقام مقام شرح الاصلاح ولا بيان أحوال الاحزاب الثلاثة ، وانما ذكرنا هذا لبيان مرادنا من قولنا ان فقيد الاسلام في الهند كان ركنا من الاصلاح الاسلامي ولم يكن طلاب الاصلاح الا أفراداً من الناشئين في بيوت حزب الجود أو حزب التفريخ ، هداهم الله تعالى باستعداد في فطرتهم ، وتوفيق في سيرتهم ، الى معرفة الطريقة المثلى لاصلاح أمتهم . وكان المعقول ان يكون رجال العلم الديني أقدر على أهل الجود منهم على المتفريخين ، ولكن كثر ما كان الأمر على غير ذلك . وسببه أن كبراء الجامدين من الشيوخ هم أشد حسدا وبغضا للمصلح الديني من غيره ، فهم يكيدون له ، ويضعون من العوائير له ما لا يضعون لغيره . — فلهذا لم يتم للشيخ شبلي ما كان يريد من الاصلاح في ندوة العلماء ، وكان أدنى الناس الى مساعدته المتدينون من كبراء الدنيا كأميرة بهوبال . وقد أخبرني رحمه الله تعالى أن الامير الجواد ، الذي تفاخر به الهند أمراء المسلمين في جميع البلاد ، النواب محمد علي راجا محمود آباد ، عرض عليه مبلغا كبيرا من المال يدفعه سنويا لمدرسة ندوة العلماء بشرط جعلها للمسلمين كافة كمدرسة عليكره لا خاصة بأهل السنة . وهذا باب عظيم من أبواب الاصلاح ما كان ليشايعه عليه المتعصبون من أعضاء الندوة ، فذلك اعتذر للأمير بأن هذا عمل ما حان وقته

وأما الاميرة المحسنة التقية صاحبة بهوبال ، التي جعلها الله تعالى بعد المصباح العظيم السيد صديق حسن خان ، نصيرة العلم وخادمة الاسلام ، فقد كانت ظاهرة للشيخ في جميع ما يخدم به الدين والعلم من الاعمال . واننا ننشر هنا نص كتاب جاءنا منه ، يشير الى ما كان من صلتها وصلتنا به ، وهو :

الى حضرة السيد المحترم

متع الله المسلمين بطول بقائه

بعد التحية والسلام

إني لم أزل أقرأ في الجرائد ما تبذلون من السعي في تأسيس دار العلم والارشاد ، وهذه هي بغيتنا التي كنا ننشدها نحن أهل الندوة ، فجعل الله سعيكم مشكورا ، وتوج عملكم بالنجاح . طالما تأقت نفسي الى زيارة مصر للقائكم ، ولكن هيات فاني قد قطعت إحدى رجلي لرصاصة أصابته فبقيت جليسا^(١) للبيت غير قادر على تحمل أعباء الرحلة والسفر . والامر الذي دعاني الآن الى ارسال النميقة ان الاميرة سلطان جهان (بيكم) صاحبة ايلة بوفال^(٢) خرجت راحلة الى لندرة للحضور في حفلة تتويج الملك جرج ، وهي تريد زيارة البلاد الاسلامية وتصل في مصر في شهر رمضان وهي من عطاء بلادنا أعطت مائة ألف روية^(٣) لتكميل كلية عليكده ، وعينت ثلاث مائة روية جراية شهرية لندوتنا ، وكل لها من أمثال ذلك

ولها شدة عناية بتربية عائلتها ، ولذلك أرادت أن تجلب إحدى الملمات المسلمات من مصر المحروسة ، وقد كتبت الي أن أكون مساعدا لها في انجاح هذا الامر . فالمرجو من حضرتكم انها لما تصل الى القاهرة^(١) وتستدعي من حضرتكم الاستشارة والاستعانة فافعلوا ما يليق بكم من اكرام مثل هذا الضيف الكريم العديم المثل والفضل لكم^(٢)

شيلي نعماتي

لكهنؤ

ندوة

في ٧ مايو سنة ١٩١١

- ١ - يحتمل ان تكون الكلمة « جلسا » بالحاء المهملة المكسورة اذ يقال : فلان جلس بيته ، أي ملازمه . وأصل المجلس ما يفرش تحت سرح الدابة أو رجل البعير وعلى الارض في البيت وقد يفرش غيره فوقه
- ٢ - هكذا يكتب الهنود اسم هذه الايالة ، والمشهور عندنا ما كان يكتب في مصنفات السيد حسن صديق خان وهو هكذا « بهوبال »

هذا وان التقيد رحمة الله تعالى قد اشترك بالمنار من أول العهد لظهوره وكان مواظبا على قراءته معجبا به. وقد كان له من حسن الظن بصاحب المنار ما جعله على دعوتنا لرئاسة مؤتمر ندوة العلمي السنوي رجاء زيادة إقبال مسلمي الهند على هذا المؤتمر وما يتبع ذلك من تعضيد الندوة ومساعدتها. وهذا نص كتابه الاول في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الفاضل الاستاذ مولانا رشيد رضا أطال الله بقاءه

لا يخفى على أمثالكم ان اغارات جرجي زيدان على أعراض العرب في كتابه تاريخ المدن الاسلامي أكثر من ان تحصى، وان كل ما دسّه وموّه به لا أصل له أصلا، وحين اطلعت على ذلك كاد قلبي ان يتميز من الغيظ غير اني صبرت وأمعنت النظر فيما له نظر. ولما عيل غني الصبر ونأى، قتت على ساق وألفت رسالة أكشف فيها دسائسه، وهي الآن تطبع وأريد إرسال ما فرغ من طبعه منها اليكم لكي تدرجوه في جريدتكم — وكذلك الى الفراغ منها بأسرها

ومما انهيه اليكم ان ندوة العلماء في كل عام تعقد محفلا عاما يحضر فيه الخاص والعام والامراء والنواب وأهل الحل والعقد ويكون انعقاده عامنا هذا في أول ابريل سنة ١٩١٣ فنحن معشر المعتمدين والاراكين نهوى ونود من صميم قلوبنا ان يكون صدر^(٣) هذا المحفل العظيم وواسطة عقده العظيم حضرته الشريفة، فان تشرّفونا بالقدوم علينا في الهند تهرع أهل البلاد الشاسعة الى هذا المحفل الاسلامي على كل ضامر من كل فج عميق لمقدمكم المبارك ان شاء الله تعالى، ويحصل بعون

١- كذا في الاصل ومهما اتقن علماء الاعاجم العربية فانهم يظنون يغلطون في تعريف الاعلام وتنكيرها

٢- لقصر مدة إقامة الامير بمصر لم يتيسر لنا اختيار معلمة يمكن أن تراها وتختبرها ثم لم يتيسر ذلك بعد سفرها أيضا وقد عرضنا ذلك على الأنسة نبوية موسى فطلبت ان يكون راتبها الشهري مئة جنيه مع شروط أخرى، وانه ليوجد في

الهند معلومات انكليزيات لا يزيد راتب احداها عن بضعة جنيهات

٣- يعنون بكلمة صدر ما نعرض عنه بكلمة رئيس وبهذا المعنى يستعملونها في لغتهم الأوردية

الله لكم ما أنتم بصدد الاجتهاد فيه من اظهار مقاصد مجلس التعليم والارشاد، ويعظم بذلك محفل ندوتنا وبقدر قدره. وفي طي رقيقي هذا أرسل اليكم خطبة والى الهند وعميدها، فيظهر لكم منها ان الدولة البريطانية لها عناية تامة بندوة العلماء ولولا ذلك لم تعين لها في كل شهر خمسمائة روية من خزائنها، فان عزم جنابكم على تشریفنا بما اقترحناه فلا عليه ان يلاقي سفير الدولة البريطانية في مصر المحمية وينهي اليه خطبة والى الهند وعميدها في حق ندوة العلماء، وعريضتها عند قدوم الملك المعظم مع ملكته المعظمة قاعدة الهند دهلي، لكي يكون على علم ويستحسن قدومكم علينا، وان أمكن منكم طلب الاجازة بذلك مرقومة فيها فنعم ذلك. ودمتم أفندم، شبلي نعماني

٥ جنوري (يناير) سنة ١٩١٣
ندوة العلماء — لکھنؤ

جاءنا هذا الكتاب ونحن نستعد لفتح مدرسة (دار الدعوة والارشاد) فكان المانع من اجابة هذا الدعوى أرجح من المقتضي اذ كان لابد من السفر بعد فتح المدرسة بشهر أو أقل — وأنا ناظر موظف لها، والروح المدير في تأسيسها والقيام بها، — ولكن أعضاء مجلس جماعة الدعوة والارشاد رأوا ان رحلي الى الهند خير لمشروعنا لان إشهاره في مثل ذلك المؤتمر العظيم فقرروا في جلسة رسمية إجازتي واعانتي على ذلك اقترح الشيخ رحمه الله تعالى علي أن اسافر بإجازة من عميد الدولة الانكليزية هناء، وأرسل الي خطبة حاكم الهند العام الذي ذكر ندوة العلماء بخير لا توسل بها الى هذه الاجازة، فكان هذا من بعد نظره وغور فهمه للسياسة، وكان مراده أن تكون هذه الاجازة كتابية فلم يتيسر ذلك، فلقني الشيخ من انكار والى لکھنؤ عليه دعوتي الى رئاسة مؤتمر الندوة ما لقي، وأمكنه ارضاءه بما كان أعده لذلك من الحجج، ومنها ما كتبه لورد كرومر في تأييد شيخنا الاستاذ الامام من مدح حزه، وخطبة للدكتور مرجليوث الاستاذ الشهير في مدرسة اكسفورد ذكر فيها رأي صاحب المنار في الجامعة الاسلامية بكلام مرضي وثناء حسن

ونحمد الله ان حقق ظن الشيخ رئيس الندوة وأعضائها الكرام فينا، اذ كان الاقبال على المؤتمر في ذلك العام مما لم يسبق له نظير من قبل. ورحم الله الشيخ شبلي وأحسن عزاء المسلمين عنه

تقرير المطبوعات الجديدة*)

خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع

بقلم فقيد العلم والعمل والجد المرحوم علي ابو الفتوح باشا وكيل نظارة المعارف العمومية
المصرية، طبعه باذن المؤلف نجيب افندي مترى صاحب مطبعة المعارف بمصر في سنة ١٣٣١ هـ
- ١٩١٣ م على ورق جيد طبعاً نظيفاً فجاءت صفحته ٣٦٠

الكتاب مجموعة مقالات كانت متفرقة في الجرائد والمجلات العربية وغير
العربية فجمعت في حياة كاتبها ومرعلها فأصلح فيها ما أراد، وزاد في بيان المراد. وهو
يطلب من ناشره ومن مكتبة المنار بمصر

جملة مسائل الكتاب مما اشتغل به مؤلفه علماً وعملاً فجاءت وافية واضحة مفيدة
ونحن ننقل طائفة عنه من مقالة [الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية] قال :
« يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة
الغراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة،
ويتوهمون أن الاحكام والروابط التي في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في
الاصول الاسلامية ، وأنها بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أبتجها فكر علماء
الغرب لم يسبقهم بها أحد !

« ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلاً لا يلبث أن يغير هذا الظن
ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا في الرفاهة وتقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية
والقضائية شأواً قليلاً يحار بهم فيه أحد ، الا ان صعوبة كتب المتأخرين وكيفية تأليفها ،
والتواء أساليبها ، وتعقيد عباراتها ، قد أوصد الباب في وجه من يريد الوقوف على
حقيقة الشريعة الغراء من غير المنقطعين لدراستها

« ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا الطريق ان يقصد المؤلفات القديمة
لأنها أسهل مورداً وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وتنزهها عن المشاغبات اللفظية ،
وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب للوقت

(*) كتب تقارير هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلم رضا وقد تأخر نشره على انه هو قد قصر
فما عهد اليه من كتابة التقارير حتى اجتمع لدينا كتب كثيرة من مطبوعات السنين الاخيرة

«أذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للإمام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هجرية . وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والاحكام ما يجدر بأمرأ المسلمين اتباعه والعمل به

«عُثرت في هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة عمدت الى نظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون ولا سيما المشتغلين منهم بالقوانين الافرنكية ان المتقدم لم يترك شيئاً للمتأخر . ولعلمهم ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لانهما لا ينفان العصر الحاضر ولا المدينة الحديثة اذا فهم حق الفهم ودُرسا بعقل وتميز

«وما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الاكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والاحكام أكبر احتراماً في النفوس وأشدّ موافقة لآخلاق وعادات من وضعت لهم،

ثم أتى بوجوه قانونية ونود وافقت فيها القوانين الوضعية الفقه الاسلامي»

كتاب الانساب للسمعاني

تأليف أبي سعيد عبد الكريم السمعاني ، نقله الاستاذ مرغوليوث استاذ العربية في جامعة اكسفورد بالفوتوغرافية عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني وطبع سنة ١٩١٢ على ورق من أجود الورق على نفقة (تذكروا) وصفحاته تزيد على ١٦٠٠ صفحة بالقطع الكبير

وضع السمعاني كتابه هذا في القرن السادس الهجري ، فكان عمدة المؤرخين والمحدثين . وقد ذكر في مقدمته فضل علم الانساب وجاء بالآيات والاحاديث في ذلك وعقد فصلاً للحث على هذا العلم ، وقد زاد الاستاذ مرغوليوث هذا المعنى ايضاحاً اذ وضع للكتاب مقدمة وجيزة باللغة الانكليزية بين فيها المراد بعلم الانساب واشتهار بعض الاعلام من المحدثين بانسابهم كالبخاري والترمذي والنسائي مما دعا الى تعريف الرجال بانسابهم .

وقد ساعد المستر السن الاستاذ مرغوليوث فوضع في هوامش الكتاب دوائر صغيرة قبالة كل سطر تبين في ترجمته أحد المترجمين فأفاد، ولولا ذلك لما أغنى كتابة أكثر من

بعضه الى بعض ، وينقص بعض كله النقط فتتمنى ، لو يطبع ثانية بالحروف المطبعية بعد مقابلة هذه النسخة بغيرها من النسخ الواضحة الصحيحة كالنسخة التي رآها صاحب المنار في لـكنهو بالهند فتعم فائدته ، فذهن أحوج الى هذا الكتاب ممن تولوا طبعه وأحق بإحياء ما أثر أسلافنا ، وأنا نشكر للاستاذ مرغوليوث هذه الهدية النفيسة كما نشكر لجمعية [تذكار جب] إحياءها هذا الكتاب وغيره من آثار العرب

شرح السيرة النبوية (رواية ابن هشام)

طبع هذا الكتاب بمطبعة هندية بمصر سنة ١٣٢٩ ، وكتب في طرته ما تقدم ، وأنه مطبوع بإدارة « إمبراطور ألمانيا وملك بروسيا وملك ورمبرج »

تأليف الشيخ الامام الحافظ المحدث الفقيه أبو ذر محمد بن مسعود الحشني . استخرجه وصححه بولس برونه . وأبو ذر هذا اسمه مصعب بن محمد كما في القاموس ، وهو من علماء الاندلس أخذ عنه الشريشي شارح مقامات الحريري . وكتابه هذا أمالي أملاها في شرح غريب السيرة . وجعله عشرين جزءا وكان ينبغي ان تسمى فصولا لا أجزاء ، وقد طبع طبعا جيدا في جزئين من قطع أصغر من المنار ، وجعلت أرقام صفائحهما متصلة فيحسن ان يجعل مجلدا واحدا فيكون مؤلفا من ٤٦٦ ص وثمن الكتاب عشرة قروش ويطلب من مكتبة ديمر بمصر

رجال المعلقات العشر

تأليف الشيخ مصطفى الفلايني استاذ اللغة العربية في مدرستي المکتب السلطاني والسکية العثمانية في بيروت وطبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٣٠ على ورق جيد طبعا نظيفا وصفحاته ٣٦٠ بالقطع الوسط وثمانه ١٢ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر .

الكتاب مصدر بمقدمتين أولاهما في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام والثانية في خلاصة تاريخ أدب اللغة العربية من العصر الجاهلي الى اليوم وصفحات المقدمة الاولى ١٦ صفحة والثانية ٣٠ صفحة ثم الكلام على رجال المعلقات بالتفصيل ويتضمن سيره الشاعر وموته والكلام على شعره ومعلقته وسبب نظمها ونجدة من شعره . وقد ضمنت من الفوائد اللغوية والتاريخية والادبية ما لا يوجد في غيره . وقد جعله لتلاميذ السنة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

المائدة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و منارا ، كمنار الطريق

مصر ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٣٣ — ٢٣ الثور (ر) ١٢٩٣ هـ ش ١٤ مايو ١٩١٥

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(١٠٠) جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهَرِ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ . ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

هذه الآية تنمة السياق السابق ، وقد ذكر الله تعالى فيه ان جزاء الصيد يكون هديا بالغ الكعبة . وأريد بالكعبة هنالك حرمة وجوارها الذي تؤدي فيه المناسك كما تقدم ، ثم ذكر الكعبة هنا واراد به عينها ولذلك بينا بالبيت الحرام ، وذ كر الهدي أيضا .

وقال الرازي : اعلم ان اتصال هذه الآية بما قبلها هو ان الله تعالى حرم في (المنار : ج ٤) (٣١) (المجلد الثامن عشر)

الآية المقدمة الاصطیاد على المحرم ، فین (اي هنا) ان الحرم كما انه سبب لأمن الوحش والطير فكذلك هو سبب لأمن الناس من الآفات والمخافات ، وسبب لحصول الخیرات والسعادات في الدنيا والآخرة . اهـ

﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد﴾
 الجعل هنا إما خلقي تكويني وهو التصيير ، وإما أمری تكليفي وهو التشريع ، وسيأتي توجيه كل منهما . و [الكعبة] في اللغة البيت المسكب اي المربع . وقيل المرتفع من كعب الرمح وهو طرف الانبوب النازع ، أو كعب الرجل وهو النائي عند مفصل الساق ، ومنه كعبت الجارية (البنت) وكعب ثديها يكعب اذا نتأ وارتفع فهي كاعب وكعاب ، وثدي كاعب . والاول أصح . وقد غلب اسم الكعبة على بيت الله الحرام الذي بناه ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام بمكة أم القرى في جزيرة العرب . وقد سبق بيان ذلك في تفسير سورة البقرة (ج ١) وتفسير آل عمران (ج ٤) قال مجاهد : انما سميت الكعبة لانها مربعة . وقال عكرمة : انما سميت الكعبة لتربيعةا . و [القيام] أصله القوام بالواو فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كالميزان . والمراد به ما يقوم به أمر الناس ويتحقق أو يستقيم ويصلح . وقرأ ابن عامر « قيا » بكسر القاف وفتح الياء ، وهو بمعنى « قياما » وقد تقدم مثله في أول سورة النساء و [الشهر الحرام] ذو الحجة الذي تؤدي فيه مناسك الحج في تلك المعاهد المقدسة . وقيل المراد به جنس الاشهر الحرم التي كانوا يتركون فيها القتال . و [الهدي] ما يهدى الى الحرم من الانعام للتوسعة على فقرائه . و [القلائد] هنا ذوات القلائد من الهدي وهي الانعام التي كانوا يقلدونها اذا ساقوها هديا ، خصها بالذكور لعظم شأنها . وقيل هي على معناها الاصلي وهو ما يقلد به الهدي من النبات ، وكذا ما كان يقلد به يريدو الحج والراجعون منه الى بلادهم ليأمنوا على انفسهم في عهد الجاهلية . وتقدم تفصيل القول في ذلك أول السورة

والمعنى على الوجه الاول في الجعل ان الله تعالى جعل الكعبة التي هي البيت الحرام قياما للناس الذين يقيمون بجوارها والذين يحجونها أي سببا لقيام مصالحهم ومنافعهم ، بايداع تعظيمها في القلوب ، وجذب الافئدة اليها ، وصرف الناس عن الاعتداء فيها ،

وعلى مجاورها وحجاجها ، وتسخيرهم لطلب الارزاق اليها . فهذا هو الجعل الخلفي التكويني . ويؤيده دعاء ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي حكاه الله تعالى عنه بقوله (٣٧: ١٤) ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم الثمرات اعلمهم يشكرون) وفي معناه قوله تعالى (٥٧: ٣٨) وقالوا إن تتبع الهدى معك تُتَخَطَّف من أرضنا . أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبي اليه ثمرات كل شيء رزقا من ادنا ؛ ولكن أكثرهم لايعلمون) وقوله تعالى (٦٧: ٣٩) أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويُتَخَطَف الناس من حولهم ؟ ...)

والمعنى على الوجه الثاني انه جعلها قياما للناس في أمر دينهم المذهب لاخلاقهم المزكي لانفسهم ، بما فرض عليهم من الحج الذي هو من أعظم أركان الدين لانه عبادة روحية بدنية مالية اجتماعية — وتقدم بيان بعض حكمه وسيأتي لها مزيد ان شاء الله تعالى — وما شرع في مناسك الحج من الصدقات والذبائح التي تطهر فاعلها من رذيلة البخل وتجببه وتوجب اليه الفقراء والمساكين ، ويتسع بهارزق أهل الحرم . وهذا هو الجعل الامري التشريعي . دع ما تستلزمه كثرة الناس هنالك من جلب الارزاق وعروض التجارة التي تقوم بها أمور المعيشة

روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس (رض) انه فسر القيام هنا بقوله : قياما لدينهم ومعالم لحجهم ، وفي رواية أخرى عنه قال : قيامها أن يأمن من توجه اليها . وروى عن سعيد بن جبير فيه ثلاثة أقوال (١) صلاحا لدينهم (٢) شدة لدينهم (٣) عصمة في أمر دينهم . فهذه أقوال من جعل القيام دينيا فقط . وإنما هو ديني دنيوي ، لان أهل الحرم وحجاجه ما كانوا ليجدوا فيه ما يعيشون به من الغذاء ، وما يأمنون به على أنفسهم الهلاك ، لولا ان جعل الله الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد قياما لأمر المعيشة ، كما جعلها قياما لأمر الدين ، ولكن خص بعضهم القيام الدنيوي بزمن الجاهلية

روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد قال : كان الناس فيهم ملوك يدفع بعضهم عن بعض ولم يكن في العرب ملوك يدفع بعضهم عن بعض ، فجعل

الله لهم البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض به — والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض بالشهر الحرم والقلائد ، ويلقى الرجل قاتل أبيه وابن عمه فلا يعرض له ، وهذا كله قد نسخ

وروى ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال : جعل الله البيت الحرام والشهر الحرام قياما للناس يأمنون به في الجاهلية الاولى لا يخاف بعضهم بعضا حين يلقونهم عند البيت أو في الحرم أو في الشهر الحرام

وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد » قال حواجز أبقاها الله في الجاهلية بين الناس ، فكان الرجل لو جرّ كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يُتناول ولم يُقرب ، وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقرب به . وكان الرجل لو لقي الهدي مقلدا وهو يأكل العصب ^(١) من الجوع لم يعرض له ولم يقرب به ، وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحتمه ومنعته من الناس . وكان اذا نفر (أي عاد من الحج) تقلد قلادة من الإذخر أو من السمر ^(٢) فمنعته من الناس ^(٣) حتى يأتي أهله — حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية اهـ

والختار أن جعل الله تعالى هذه الاشياء قياما للناس هو جعل تكويني تشريعي معا ، وهو عام شامل لما تقوم به وتحقق مصالح دينهم وديارهم ، وشامل لزمن الجاهلية وعهد الاسلام ، ولكن له في كل من العهدين صورة خاصة به — ففي عهد الجاهلية كان التكويني أظهر والتشريعي أخفى ، لانهم على إضاعتهم لشريعة ابراهيم واسماعيل (ص) الا قليلا من مناسك الحج مزجوها بالوثنية والخرافات الوضعية كانت آيات الله تعالى التكوينية ظاهرة فيهم ، كما تقدم بيانه آنفا ، وسبق ما في معناه في سورة آل عمران . وأما في عهد الاسلام فالتشريعي أظهر

(١) العصب بالتحريك أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها وهي لا تخضع ولا تهضم فلا تغذي (٢) الإذخر نبات عطر يكثر في الحرمين ، والسمر بالتحريك شجر معروف (٣) منعته حمته وحفظته فلا يعتدي عليه أحد لاجلها

ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم أي فعل ذلك الجمل لاجل ان تعلموا منه اذا تأملتم فيه انه تعالى يعلم ما في العالم العلوي والسفلي وان علمه محيط بكل شيء . وذلك انه عز وجل جعل في قلوب العرب في طور جاهليتها وغلظتها وتفانيها في الغزو والسلب والنهب تعظيما لهذا المكان والاعمال التي تعمل فيه وللزمن التي فيه تؤدي هذه الاعمال هنالك منعهم من اعتداء بعضهم على بعض ، وكان سببا لحقن الدماء وسعة الرزق ، وقد عجزت جميع أمم الحضارة والمدنية في القديم والحديث — بله أمم البداوة — عن تأمين الناس في قطر من الاقطار وزمن معين من كل سنة بحيث لا يمكن ان يقع فيهما قتال ولا قتل ولا عدوان ، وكذلك جعل في أحكام الحج ومناسكه أعظم الفوائد والمنافع الروحية والجسدية ، والدينية والدنيوية ، كما علم مما مر آنفا بالاجمال ، ومما بيناه في غير هذا المكان من حكم الحج بالتفصيل ، وقد ثبتت هذه المنافع والفوائد التي عليها مدار قيام أمر الناس ثبوتا قطعيا بالمشاهدة والتجربة ، فدل ما ذكر على أن جعل البيت الحرام والشهر الحرام والهدي والقلائد قياما للناس لم يكن الا لحكمة بالغة صادرة عن علم بخفايا الامور وغاياتها ، فكان دليلا على أنه سبحانه يعلم ما في السموات وما في الارض من أسباب الرزق ونظام الخلق وغير ذلك ، وانه عليم بكل شيء فلا تخفى عليه خافية . على ان آياته الدالة على علمه بما في السموات والارض وبغير ذلك أعظم وأظهر في نظر العقل من جعله بعض الامكنة والازمنة سببا لدفع الشقاوة عن كثير من الناس وجلب السعادة والهناء لهم ، فان سنه تعالى في الفلك وسير الشمس والقمر وغيرهما بحسبان ، وفي عالم الجماد والنبات والحيوان ، لا يعترها من الشبهات ما يعترى السنن المتعلقة بنوع الانسان ، ولكن الناس يفعلون عنها

- (١٠١) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢)
مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ، وَاللَّهُ يَدْرُسُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ
(١٠٣) قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

أرشدنا جل شأنه في الآية التي قبل هذه الى بعض آيات علمه في خلقه وأمره ،
 وأرشدنا في هذه الى العلم بأن العلم بكل شيء ، الذي ظهرت آيات علمه وحكمته في
 خلق السموات والارض ، كما ظهرت في جعل البيت الحرام قياما للناس — لا يمكن
 ان يترك الناس سدى ، كما انه لم يخلقهم عبثا ، فلا يليق بحكمته وعدله أن يجعل الذين
 اجتروا السيئات ، كاذبين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا ان يسوي بين الطيب
 والخبيث كالمؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والمصلح والمفسد ، والمظلوم والظالم ، فلا
 بدّ اذاً من الجزاء بالحق ، ولا يملك الجزاء الا من يقدر على العقاب الشديد ، وعلى
 المغفرة والرحمة ، اذلك قال ﴿ اعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لمن دسّ نفسه بالشرك
 والفسوق والعصيان ﴿ وان الله غفور رحيم ﴾ لمن زكى نفسه بالاعمال الصالحة مع
 مع التوحيد والايمان ، فلا يؤاخذ به بما سلف قبل الايمان ، ولا بما يعمل من السوء
 بجهالة اذا بادر الى التوبة والاصلاح . ولا باللم ، اذا اجتنب كبائر الاثم والفواحش ،
 بل يستر ذنبه ويمحوه ، فيضمحل في ايمانه وعمله الصالح ، كما يُستر القدر القليل ،
 و يضمحل بما يغمره من الماء الكثير ، ويخصه فوق ذلك برحمة منه ورضوان .

فلا آية متضمنة للترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، فهي وعيد لمن كفر
 وتولى عن العمل بكتاب الله ، ووعد لمن آمن به وعمل الصالحات . وقد تقدم تفسير
 المغفرة والرحمة في كثير من الآيات . ولعل في تقديم ذكر العقاب وتأخير ذكر
 المغفرة والرحمة اشارة الى ان العقاب قد ينتهي بالمغفرة والرحمة فلا يدوم ، لان رحمته
 تعالى سبقت غضبه كما ثبت في الحديث الصحيح ، ولذلك يغفر كثيرا من ظلم الناس
 لانفسهم (ويعفو عن كثير) وأعاد اسم الجلالة في مقام الاضمار للدلالة على ان
 مغفرته ورحمته ثابتان له بالاصالة

﴿ ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ هذا بيان لوظيفة
 الرسول في إثريان كون الجزاء بيد الله العليم بكل شيء ، وهي ان الرسول من
 حيث هو رسول ليس عليه الا تبليغ رسالة من أرسله ، فهو لا يعلم جميع ما يبيده

المكلفون من الاعمال والاقرار وما يكتُمونه منها فيكون أهلاً لحسابهم وجزائهم على أعمالهم ، وأما يعلم ذلك الله وحده . وفيه ابطال لما عليه أهل الشرك والضلال من الخوف من معبوداتهم الباطلة والرجاء فيها ، والتماس الخلاص والنجاة من عذاب الآخرة بشفاعتها ، فهو يقول بصيغة الحصر « ما على الرسول الا البلاغ » والبيان لدين الله وشرعه ، فبذلك تبرأ ذمته ، ويكون من بلغهم هم المسؤولين عند الله تعالى ؛ والله وحده هو الذي يعلم ما تبدون وما تكتمون من عقائدكم واقراركم وافعالكم فيجازيكم عليها ، بحسب علمه المحيط بكل ذرة منها ، فيكون جزاؤه حقاً وعدلاً ، ويزيد المحسنين كرمًا منه وفضلاً . (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) فلا تطالبوا بسعادتكم الا أنفسكم ، ولا تخافوا عليها الا منها .

ويؤيد تفسيرنا هذا قوله في سورة الرعد (١٣ : ٤٠) فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقوله في سورة الانعام (٦ : ٤٨) وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين من آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٤٩) والذين كذبوا بآياتنا عسى لهم العذاب بما كانوا يفسقون (٥٠) قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ، ان أتبع الا ما يوحى الي . قل هل يستوي الاعمى والبصير ، أفلا تتفكرون ؟ (٥١) وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون)

وأما الشفاعة الواردة في الاحاديث فلا تناقض الشفاعة المنفية هنا وفي آيات أخرى — لانها عبارة عن دعاء مستجاب يظهر الله عقبه ماسبق به علمه واقتضته حكمته بحسب ما في كتابه ، تكرّما للداعي الشفيع من غير ان يكون مؤثراً في علم الله ولا في ارادته ، لان الحادث لا يؤثر في القديم ، (هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

ثم انه تعالى لما بين الجزاء وكونه منوطاً بالاعمال ، أراد ان يبين ما يتعلق به الجزاء من وصف الاعمال والعاملين لها ، فأثبت وجود حقيقتين متضادتين يترتب على كل منهما ما يليق بها ، وهما حقيقة الطيب وحقيقة الخبيث ، فقال ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ﴾ أي قل أيها الرسول مخاطباً كل فرد من أفراد أمة الدعوة :

لا يستوي الخبيث والطيب^(١) من الاشياء والاعمال والاموال — كاضرار والنافع، والفاسد والصالح، والحرام والحلال — ولا من الناس كالظالم والعاقل، والجاهل والعالم، والمفسد والمصلح، والبر والفاجر. فلكل من الخبيث والطيب في القسم الاول حكم يليق به عند الله تعالى، ولكل منهما في القسم الآخر جزاء. ومكان يستحقه بحسب صفته (سيجزيهم وصفهم) وهو الحكيم العليم الذي يضع كل شيء في موضعه، ولعل نكتة تقديم الخبيث في الذكر كون السياق للاهتمام بازالة شبهة المغترين بكثرته ولذلك قال ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ الخطاب من الرسول لكل مكلف بلغته دعوته كما تقدم، أي ولو أعجبك أيها السامع كثرة الخبيث من الناس لقوتهم، أو من الاموال المحرمة لسهولة تناولها، والتوسع في التمتع بها، كأكل الربا والرشوة والغلول والخيانة، أو لدعوى أحبابها انها دليل على حب الله لهم ورضاه عنهم، اذ فضلهم بها على غيرهم، (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) أي لا يستويان ولو فرض ان كثرة الخبيث أعجبتك وغرتك فصرت بعيدا عن ادراك حقيقة الامر، وهي أن القليل من الحلال كراتب الحاكم العادل، ورجح التاجر الصادق، خير من كثير الحرام كالرشوة والخيانة، باعتبار حسن العاقبة في الدنيا والآخرة، كما ان القليل الجيد من الغذاء أو المتاع خير من الكثير الردي، الذي لا يفي غناه ولا يفيد فائدته. بل يضر آكله ويفسد عليه معدته

كذلك القليل الطيب من الناس خير من الكثير الخبيث، فالفتة القليلة من أهل الشجاعة والثبات والايمان، تغلب الفتة الكثيرة من ذوي الجبن والتخاذل والشرك، وان أفرادا من أهل البصيرة والرأي، ليأتون بما تعجز عنه الجماعات من أهل الغباوة والخرق، والعالم الحكيم، يسخر لخدمته ألوفا من الجاهلين (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

كان المشركون يفخرون على المؤمنين في صدر الاسلام بكثرتهم ويعتزون بها (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) فضرب الله تعالى لهم مثل الكافر الذي فاخر المؤمن بقوله (أنا أكثر منك مالا واعرز نفرا) وكيف كانت عاقبة أمره

(١) راجع تفسير الكلمتين في ص ١٦٩ و ١٧٠ ج ٧ من التفسير

خسرا . وقال لهم (٨ : ١٩) ولن تنفي عنكم فتسكن شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين) ثم قال للمؤمنين تثبنا لهم حتى لا تروهم كثرة المشركين في عددهم وعددهم (٨ : ٢٦) واذ كروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره) وجاءت هذه الآية بالقاعدة العامة وهي أن العبرة بصفة الشيء لا بعدده وإنما تكون العزة بالكثرة بعد المساوي في الصفات ولما كان من دأب أهل الغفلة والجهل الغرور بالكثرة مطلقا قال تعالى تعقيا على ما أثبتته من تفضيل الطيب على الخبيث وأن كثر الخبيث ﴿ فاتقوا الله يا أولي الألباب أعلحكم تفحون ﴾ أي فاتقوا الله يا أصحاب العقول الراجحة ولا تغفروا بكثرة المال الخبيث ، ولا بكثرة أهل الباطل والفساد من الخبيثين ، فإن تقوى الله تعالى هي التي تنظمكم في سلك الطيبين ، فيرجى لكم أن تكونوا من الفلاحين ، أي الفائزين بخير الدنيا والآخرة

وأنما خص أولي الألباب بالذكر في عجز الآية بعد مخاطبة كل مكلف في صدرها لأن أهل البصيرة والروية من العقلاء هم الذين يعتبرون بعواقب الأمور التي تدل عليها أوائلها ومقدماتها ، بعد التأمل في حقيقتها وصفاتها ، فلا يصررون على الغرور بكثرة الخبيث ، بعد التنبيه والتذكير . وأما اغرار الغافلون الذين لم يبرنوا عقولهم على الاستقلال في النظر ، والاعتبار بالتجارب والحكم ، فلا يفيدهم وعظ واعظ ولا تذكير مذكر ، بل لا يعتبرون بما يرون بأعينهم ويسمعون بأذانهم من حوادث الأغنياء الذين ذهبت أموالهم الكثيرة المجموعة من الحرام ، والامم والدول التي اضمحلت كثرتها العاطلة من فضيلتي العلم والنظام ، وكيف ورث هؤلاء وأولئك من كانوا أقل مالا ورجالا ، إذ كانوا أفضل أخلاقا وأعمالا ، (والعاقبة للمتقين) روي عن السدي أن المراد بالخبيث هنا المشركون وبالطيب المؤمنون . وروي عن أبي هريرة قال : كدرهم حلال أتصدق به أحب إلي من مئة ألف ومئة ألف حرام ، فإن شئت فاقروا كتاب الله (قل لا يستوي الخبيث والطيب) وروي ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن الاسكندراني قال : كتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض (المنار : ج ٤) (٣٢) (المجلد الثامن عشر)

عماله يذكر ان الخراج قد انكسر، فكتب اليه عمر: ان الله يقول « لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » فان استطعت ان تكون في العدل والاصلاح والاحسان بمنزلة من كان قبلك في الظلم والفجور والعدوان فافعل . ولا قوة الا بالله .

(١٠٤) يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَسْأَلُوْا عَنْ اَشْيَآءٍ اِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ سُوْؤُكُمْ، وَاِنْ تَسْأَلُوْا عَنْهَا حِيْنَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدِّلَ لَكُمْ، عَفَا اللّٰهُ عَنْهَا وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ (١٠٥) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ اَصْبَحُوْا بِهَا كٰفِرِيْنَ

قال الرازي: في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه (الاول) انه تعالى لما قال « ماعلى الرسول الا البلاغ » صار التقدير كأنه قال: ما بلغه الرسول اليكم فخذوه وكونوا منقادين له، وما لم يبلغه الرسول اليكم فلا تسألوا عنه ولا تخوضوا فيه، فانكم ان خضتم فيما لا تكليف فيه عليكم فر بما جاءكم بسبب ذلك الخوض الفاسد من التكليف ما يثقل عليكم ويشق عليكم (الثاني) انه تعالى لما قال « ماعلى الرسول الا البلاغ » وهذا ادعاء منه للرسالة (؟) ثم ان الكفار كانوا يطالبونه بعد ظهور المعجزات بمعجزات أخر على سبيل التعمت كما قال تعالى حاكيا عنهم (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا - الى قوله - قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) والمعنى اني رسول أمرت بتبليغ الرسالة والشرائع والاحكام اليكم، والله تعالى قد أقام الدلالة على صحة دعواي في الرسالة باظهار أنواع كثيرة من المعجزات، فبعد ذلك طلب الزيادة من باب التحكم، وذلك ليس في وسعي، ولعل اظهارها يوجب ما يسوؤكم، مثل انها لو ظهرت فكل من خالف بعد ذلك استوجب العقاب في الدنيا. ثم ان المسلمين لما سمعوا الكفار يطالبون الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المعجزات وقم في قلوبهم ميل الى ظهورها ففرقوا في هذه الآية أنهم لا ينبغي ان

يطلبوا ذلك ، فربما كان ظهورها يوجب مايسوءهم (الوجه الثالث) ان هذا متصل بقوله (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) فتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن أحوال مخفية ان تبد لكم تسوكم . اه كلام الرازي بنصه
وأقول : ان مناسبة هاتين الآيتين لآية تبليغ الرسول للرسالة مناسبة خاصة قريبة ، ولهما موقع من مجموع السورة ينبغي تذكره والتأمل فيه . ذلك أن هذه السورة آخر ما نزل من السور ، وقد صرح الله تعالى في أوائلها بإكمال الدين ، وإتمام النعمة به على العالمين ، فناسب أن يصرح في آخرها بأن الرسول قد أدى ما عليه من وظيفة البلاغ ، وأنه ينبغي للمؤمنين ان لا يكثروا عليه من السؤال ، لئلا يكون ذلك سببا لكثرة التكاليف التي يشق على الامة احتمالها ، فتكون العاقبة ان يسرع اليها الفسوق عن أمر ربها .

فان قيل : اذا كان الامر كذلك فلم طال الفصل بين هذا النهي وبين الخبر بإكمال الدين ، ولم يتصل به في النظم الكريم ؟ قلت : تلك سنة القرآن في تفريق مسائل الموضوع الواحد من أخبار وأحكام وغيرها لما بيناه مرارا من حكمة ذلك ، وهاك أقوى ماورد في أسباب نزول الآيتين :

روى أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وغيرهم عن أنس ابن مالك قال : خطب رسول الله (ص) خطبة ما سمعت مثلاً قط وقال فيها « لو تعلمون ما أعلم اضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا » قال ففطى أصحاب رسول الله (ص) وجوههم لهم خنين^(١) فقال رجل : من أبي ؟ قال « فلان » فنزلت هذه الآية (لا تسألوا عن أشياء) قال الحافظ ابن كثير « وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في قوله (يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسوكم) الآية ، قال فحدثنا أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله حتى أحفوه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال

(١) روي بالمعجمة وبالمهملة وهما اسمان لصوتين مخصوصين والمراد هنا البكاء بهما فالاول البكاء الذي يخرج به الصوت من الخياشيم مع غنة والثاني البكاء المرتفع من الصدر وهو دون التحبيب

« لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم » فأشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يدي أمر قد حضر، فجعلت لا ألقت لا يمينا ولا شمالا إلا وجدت كل رجل لافاً رأسه في ثوبه يبيكي، فأنشأ رجل كان يلاحى فيدعى إلى غير أبيه فقال: يا بني الله من أبي؟ قال « أبوك حذافة » قال ثم قام عمر أو قال فأنشأ عمر فقال رضي الله عنه ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا عائداً بالله — أو قال أعوذ بالله — من شر الفتن. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم أر في الخير والشر كالיום قط صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط » أخرجاه (أي الشيخان) من طريق سعيد، ورواه معمر عن الزهري عن أنس بن مالك ذلك أو قريباً منه. قال الزهري فقالت أم عبد الله بن حذافة: ما رأيت ولداً أعق منك (قالت) أ كنت تأمن أن أملك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رؤس الناس؟ فقال والله لو الحقني بعبد أسود للحقته

« وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمراً وجهه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال: أين أنا؟ قال « في النار — فقام آخر فقال: من أبي؟ قال — أبوك حذافة » فقام عمر بن الخطاب فقال: رضي الله عنه ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن إماماً، أنا يا رسول الله حديثي عهد بجاهلية وشرك والله أعلم من آبائنا. قال فسكن غضبه ونزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) الآية. إسناده جيد

« وقد ذكر هذه القصة مرسلّة غير واحد من السلف منهم إسباط عن السدي — فذكر ابن كثير عنه مثل حديث أبي هريرة في جملة وزاد في آخر كلام عمر — فاعف عنا عفا الله عنك، فلم يزل به حتى رضي. فيومئذ قال « الولد للفراس وللعاقر الحجر » (ثم قال) قال البخاري: قال حدثنا الفضل بن سهل حدثنا أبو النضر حدثنا أبو خيثمة حدثنا أبو الجويرية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاءً فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل

تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) حتى فرغ من الآية كلها، تفرد به البخاري

«وقال الامام احمد: حدثنا منصور بن وردان الاسدي حدثنا علي بن عبد الاعلى عن أبيه عن أبي البخري وهو سعيد بن فيروز عن علي قال لما نزلت هذه الآية (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) قالوا يارسول الله أفى كل عام؟ فسكت. فقالوا: أفى كل عام؟ فسكت. قال ثم قالوا: أفى كل عام؟ فقال: «لا ولو قلت نعم لوجبت، — ولو وجبت لما استطعتم» فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) الآية. وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من طريق منصور ابن وردان به. وقال الترمذي غريب من هذا الوجه وسمعت البخاري يقول أبو البخري لم يدرك عليا اه

أقول منصور بن وردان ثقة كما قال ابن حبان وغيره. وأبو البخري هو سعيد ابن فيروز التابعي ثقة فيه تشيع روى عنه الجماعة كلهم، ولكن مراسيله ضعيفة وقد عزا السيوطي في الدر المنثور حديث علي هذا الى احمد والترمذي «وحسنه» وابن ماجه وابن أبي حاتم والحاكم وذكر نحوه عن ابن عباس عازيا إياه الى عبد بن حميد وابن المنذر والحاكم — قال «وصححه» — والبيهقي في سننه. وفيه ان السائل الاقرع بن حابس. وذكر مثله أيضا عن الحسن من نخرج عبد ابن حميد وفيه «ذروني ما وذرتكم»، الخ وهذه الزيادة من أحاديث الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ولفظ البخاري «دعوني ما تركتكم»، — ولفظ مسلم: «دعوني ما تركتكم — فانما أهلك من كان قبلكم سوءهم واختلافهم على أنبيائهم، فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، واذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»

قال القسطلاني في شرحه له تبعاً للحافظ ابن حجر. وسبب هذا الحديث على ما ذكره مسلم [أقول وكذا النسائي] من رواية محمد بن زياد عن أبي هريرة (رض) قال: خطبنا رسول الله (ص) فقال «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله (ص) «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» — ثم قال — «ذروني ما تركتكم» الحديث

وأخرجه الدارقطني مختصرا وزاد فيه فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) اه وأقول: محمد بن زياد هذا ثقة روى عنه الجماعة كلهم .

ونص سنن النسائي: عن أبي هريرة قال خطب رسول الله (ص) عليه وسلم الناس فقال « ان الله عز وجل قد فرض عليكم الحج ، فقال رجل : في كل عام ؟ فسكت عنه حتى أعاده ثلاثا فقال « لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت ما قتم بها . ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤلهم واختلافهم على أنبيائهم ؛ فاذا أمرتكم بالشئ (وفي نسخة بشيء) فخذوا به ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوا ، وروى عن ابن عباس مسألة وجوب الحج وان الاقرع بن حابس قال: كل عام يارسول الله؟ فسكت فقال « لو قلت نعم لوجبت ثم اذا لاتسمعون ولا تطيعون ولكنه حجة واحدة » وفي فتح الباري ان ابن عبد البر نقل عن رواية مسلم ان السؤال عن الحج كان يوم خطب (ص) وقال « لا يسألني أحد عن شيء الا أخبرته » وقال ابن جرير : حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس (لا تسألوا عن أشياء) قال هي البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ، ألا ترى انه يقول بعد ذلك : ما جعل الله من كذا ولا كذا . قال وأما عكرمة فانه قال إنهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال (قد سألتهم قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) قال فقلت قد حدثني مجاهد بخلاف هذا عن ابن عباس فما لك تقول هذا ؟ فقال : هية

ثم روى ابن جرير مثل قول مجاهد عن سعيد بن جبير . ثم قال : وأولى الاقوال بالصواب في ذلك قول من قال: نزلت هذه الآية من أجل كثار السائلين رسول الله (ص) المسائل ، كمسألة ابن حذافة إياه من أبوه ، ومسألة سائله إذ قال « ان الله فرض عليكم الحج » أفي كل عام ؟ وما أشبه ذلك من المسائل ، لتظاهر الاخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل . وأما القول الذي رواه مجاهد عن ابن عباس فغير بعيد عن الصواب . ولكن الاخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه . ذكر هنا القول به من أجل ذلك . على انه غير مستنكر أن تكون المسألة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي كانت فيما سألوا النبي (ص) عنه

من المسائل التي كره الله لهم السؤال عنها الخ ماقاله وفيه أن تلك الاخبار صحاح فوجب ترجيحها . يشير الى ضعف سند رواية مجاهد لان خصيف بن عبد الرحمن راويها عنه قد ضعفه الامام أحمد وقال مرة: ليس بقوي . وقال أبو حاتم : تكلم في في سوء حفظه . ولكن قال ابن معين فيه مرة صالح ومرة ثقة

والطريقة المتبعة في الجمع بين أمثال هذه الاحاديث: أن يقال ان النهي في الآية يشمل كل ماورد في سبب نزولها وكل ما هو في معناه ، وليس كل ما روي في أسباب النزول كان سببا حقيقيا ، بل كانوا يقولون في كل ما يدخل في معنى الآية ويشمله عمومها إنها نزلت فيه ، وكثيرا ما ينقلون كلام الرواة بمعناه فيجيء منطوقه متعارضا ، وقد بينا هذه المسألة مرارا . وأبعد ما قيل في أسباب نزول هذه الآية ان بعضهم كان يسأل النبي عن الشيء امتحانا أو استهزاء ، وهذا لا يصدر الا من كافر صريح أو منافق ، والخطاب في الآية للمؤمنين فلا يمكن ان يكون نهيا لهم عن سؤال الامتحان أو الاستهزاء ، وإنما يجوز ان يكون في الآية تعريض بالكافرين والمنافقين وفي بعض روايات حديث أنس بن مالك : ان الناس سألو نبي الله (ص) حتى أحفوه بالمسألة الخ الحديث المتقدم . وفي حديث لابي موسى الاشعري في الصحيحين بمعناه « فلما أكثروا عليه المسألة غضب وقال : سلوني » فبعض العلماء يرى ان النهي عن السؤال في الآية لهذا الاحفاء والاغضاب الذي آذوا به الرسول (ص)

والقول الجامع للروايات والمتبادر من اللغة في معنى الآية ما يأتي

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوَأٌ ﴾ [أشياء] اسم جمع أو جمع لكلمة [شيء] وهي أعم الالفاظ مطلقا أو الالفاظ الدالة على الموجود ، فتشمل السؤال عن الاحكام الشرعية ، والعقائد والاسرار الخفية ، والآيات الكونية ، اذا تحقق فيما ذكر معنى الجملتين الشرطيتين ، والمقصود أولا وبالذات النهي عن سؤال الرسول (ص) عن أشياء من أمور الدين ودقائق التكليف ، ويلييه السؤال عن الاسرار الخفية المتعلقة بالاعراض وغير ذلك من الاشياء التي يحتمل ان يكون اظهارها سببا للمساءة ، إما بشدة التكليف وكثرتها ، وإما بظهور حقائق تقضح أهلها . ولكن

حذف مفعول « تسألوا » يدل على العموم ، أي ولا تسألوا غير الرسول عن أشياء . يحتمل ان يكون إبداءها سببا لمساءتكم ، فهي تتضمن النهي عن الفضول وما لا يعني المؤمن .

ومن المقرر في قوانين العربية ان شرط « ان » مما لا يقطع بوقوعه . والجزاء تابع للشرط في الوقوع وعدمه ، فكان التعبير بقوله « ان تبدلكم تسوكم » دون « اذا أبديت لكم تسوكم » ، دالاً على ان احتمال إبدائها وكونه يسوء كاف في وجوب الانتهاء عن السؤال عنها .

وبهذا يسقط قول من يقول ان أمثلة المسائل المنهي عنها الواردة في أسباب النزول مما لا يمكن العلم بكون إبدائها يسوء السائلين عنها ، بل يحتمل عندهم ان يكون مما يسر ، وقد كان جواب من سأل عن أبيه ساراً له . وكذلك من سأل عن الحج ، اذ كان جوابه التخفيف عنه وعن الامة ببيان كون الحج يجب على كل مستطيع مرة واحدة لا في كل عام . ويمكن ان يقال مثل هذا في كل سائل عن أمثال هذه المسائل فلا يظهر تعليل النهي بهذا الشرط . كل هذا يسقط بما ذكرنا من دلالة الجملة الشرطية المصدرة بان على احتمال وقوع شرطها لا على القطع بوقوعه ويدل على هذا الذي قررناه قول النبي (ص) للأعرابي الذي سأله عن الحج « ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم ؟ ولو قلت نعم لوجبت » الخ ما تقدم ، وفي رواية لابن جرير « ولو وجبت لكفرتم ، إلا انه إنما أهلك الذين قبلكم أئمة الحرج » فهو صريح في كون احتمال قوله « نعم » كان كافياً في ترك ذلك السؤال . ويدل عليه أيضاً في سؤال عبدالله بن حذافة عن أبيه قول أمه له : ما رأيت ولدا أعق منك ، أتأمن أن تكون أمك قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رؤس الناس ؟ وسأني رأينا في جوابه (ص) لابن حذافة

﴿ وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ﴾ أي وان تسألوا عن جنس تلك الأشياء التي من شأنها ان يكون إبداءها مما يسوءكم حين ينزل القرآن في موضوعها لاجل فهم ما نزل اليكم فان الله يبيده لكم على لسان رسوله . وبنحو هذا القول قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري ، فانه بعد ايراد الوجوه السابقة في

السؤال عند تفسير صدر الآية قال في تفسير هذه الجملة مانصه :

« يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله (ص) عن مسألة رسول الله (ص) عما نهاهم عن مسألتهم إياه عن فرائض لم يفرضها عليهم ، وتحليل أمور لم يحللها لهم ، وتحريم أشياء لم يحرمها عليهم — قبل نزول القرآن بذلك — : يا أيها المؤمنون السائلون عما سألو عنه رسولي مما لم أنزل به كتابا ولا وحيا لا تسألوا عنه ، فإنكم إن أظهر ذلك لكم تبيانٌ بوحى وتنزيل ساءكم ، لأن التنزيل بذلك إذا جاءكم فإنما يحيطكم بما فيه امتحانكم واختباركم ، إما بإيجاب عمل عليكم ولزوم فرض لكم ، وفي ذلك عليكم مشقة ولزوم مؤنة وكلفة ، وإما بتحريم ما لم يأت به بتحريمه وحي كنتم من التقديم عليه في فسحة وسعة ، وإما بتحليل ما تعتقدون تحريمه وفي ذلك لكم مساءة ، لنقلكم عما كنتم ترونه حقا إلى ما كنتم ترونه باطلا . ولكنكم إن سألتهم عنها بعد نزول القرآن بها ، وبعد ابتدائكم شأن أمرها في كتابي إلى رسولي اليكم ، بين عليكم ما أنزلته إليه من إتيان كتابي ، وتأويل تنزيلي ووحى .

« وذلك نظير الخبر الذي روي عن بعض أصحاب رسول الله (ص) الذي حدثنا به هناد بن السري قال حدثنا أبو معاوية عن داود بن أبي هند عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني قال « ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وحدد حدودا فلا تعمدوها ، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » ثم روى (ابن جرير) مثل هذا المعنى عن عبيد بن عمير تفسير الآية . وروى عن ابن عباس انه قال : لا تسألوا عن أشياء ان نزل القرآن منها بتعليق ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء الا وجدتم تبيانه اه وظاهر كلامه ان الحديث موقوف على أبي ثعلبة وستعلم انه مرفوع

وقال الحافظ ابن كثير في بيان هذا الوجه « أي لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها فله قد ينزل بسؤالكم تشديدا أو تضييق . وقد ورد في الحديث « أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأله » ولكن اذا نزل القرآن بها مجملة فسألتهم عن بيانها بينت لكم حينئذ لاحتياجكم اليها (عفا الله عنها)

أي ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه ، فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها . وفي الصحيح عن رسول الله (ص) انه قال « ذروني ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سوءالهم واختلافهم على أنبيائهم » وفي الحديث الصحيح أيضا « ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدّ حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها »

أقول: أما حديث « ذروني ما تركتكم » وفي رواية بلفظ « دعوني » فهو في الصحيحين . وسببه السؤال عن الحج كما تقدم . وأما حديث أبي ثعلبة فقد عزاه الحافظ ابن كثير الى الصحيح أيضا ولم يسنده ولا أشار الى من خرجه . وهو في سنن الدارقطني . وأورده صاحب مشكاة المصابيح عنه في الفصل الثاني من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة قال: وعن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله (ص) « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحرم حرّما فلا تنتهكوها ، وحدّ حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها »

ورويناه في الاربعين النووية^(١) عنه بلفظ « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدّ حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » قال النووي : حديث حسن رواه الدارقطني وغيره . وثم وجه ثان في معنى الجملة وهو أنه يقول : ان تسألوا عن تلك الاشياء في زمن نزول القرآن وعهد التشريع يظهرها الله لكم — ان كانت اعتقادية ببيان ما يجب ان يعلم فيها ، وان كانت عملية ببيان حكمها ، لان لكل شيء حكما يليق به في علم الله وحكمته ، والله تعالى يبين لعباده بنص الخطاب ما لا بد لهم منه لصلاح أمري معادهم ومعاشهم — وبفحوى الخطاب أو الإشارة ما يفتح لهم باب الاجتهاد في كل ماله علاقة بأمور مصالحهم ، فيعمل كل فرد أو هيئة حاكمة منهم بما ظهر انه الحق والمصلحة، وينتهي عما يظهر له انه الباطل والمفسدة ، فيكون الوازع للفرد

(١) كتاب الاربعين النووية أول كتاب تلقينته عن الشيوخ، قرأته في بلدنا (القلمون) على استاذنا وشيخ شيوخنا علامة الديار السورية بل العربية الشيخ محمود نشابة (رحمه الله تعالى) واجازني به وذلك قبل ان ابدأ بطلب العلوم

في المسائل الشخصية من نفسه بحسب درجته في العلم والفضيلة ، وللمجموع في الاحكام والسياسة من أنفسهم أيضا ، لانه يتقرر بتشاور اولي الامر منهم ، وفي ذلك منتهى السعة واليسر . واذ كان الامر كذلك فالواجب ان يترك أمر التشريع اليه تعالى لانه أعلم بمصالح العباد من أنفسهم ، فلا تسألوا عن أشياء ان أبديت لكم أحكامها تسوءكم ويخرجكم ، ومتى سألتهم عنها في عهد التشريع لا بد ان تجابوا وتبين لكم ، ولكن هذا البيان قد يسد في وجوهكم باب الاجتهاد الذي فوضه الله اليكم ، ويقيدكم بقيود أتم في غنى عنها (وسيأتي تفصيل هذا المبحث قريبا عقب تفسير الآيات)

فخاضل هذا الوجه أن السؤال عن تلك الأشياء في زمن نزول القرآن يقتضي ابداءها لكم ، وإبداءها يقتضي مساءتكم ، فيجب ترك السؤال عنها البتة وحاصل الوجه الاول تحريم السؤال عن الأشياء التي من شأن ابدائها ان يسوء السائلين الا في حالة واحدة وهي أن يكون قد نزل في شأنها شيء من القرآن فيه إجمال وأردم السؤال عن بيانه ليظهر لكم ظهورا لا مرأ فيه كما وقع في مسألة تحريم الخمر بعد نزول آية البقرة (تقدم بيانه بالتفصيل) فعلى هذا تكون الجملة الشرطية الثانية من قبيل الاستثناء من عموم النهي . وانما يدل هذا على جواز السؤال عن تلك الأشياء بشرطه لا على وجوبه ، فالسؤال عما ذكر غير مطلوب باطلاق

وكل من هذين الوجهين ظاهر في السؤال عن الأشياء التي تقتضي أجوبتها تشريعا جديدا وأحكاما تزيد في مشقة التكاليف . ولا يظهر البتة في سؤال الآيات الكونية لما يعارض ذلك من النصوص الدالة على عدم إجابة مقترحي الآيات لعنادهم ومشاغبتهم ، وكون الإجابة تقتضي هلاكهم اذا لم يؤمنوا بها كما هي سنة الله فيمن قبلهم (فان قيل) انما هذا الوعد للمؤمنين ، وانما كانت تلك الاقتراحات من الكافرين (قلنا) لو أن المؤمنين فهموا من الآية أنهم يجابون الى ما يقترحون من الآيات لوجد كثير منهم يقترح ذلك لما للنفس من الشوق الى رؤية الآيات . وأما السؤال عن الأمور الواقعة التي تقتضي أجوبتها أخبارا عن أسرار خفية وأمور غيبية ، فلا يظهر فيه كل من الجوابين مثل ظهوره في طلب الاحكام ،

ولا سيما الاشياء الشخصية كسؤال بعضهم عن أبيه ، فاذا صح انه مراد من الآية فوجهه والله أعلم أن زمن نزول القرآن هو زمن بيان المغيبات ، واطارها للرسول عند الحاجة الى معرفتها ، ومنه وقت السؤال عنها ، فانه ان سئل عنها يخبره الله بها مزيدا في إثبات نبوته ورسالته ، كما أخبره بالجواب عن الروح وعن أصحاب الكهف وذوي القرنين حين سأله اليهود عنها . وعندي ان جوابه صلى الله عليه وآله وسلم لمن سأله عن أبيه جواب شرعي لا غيبي ، بدليل قوله بتلك المناسبة « الولد للفراس » فكأنه قال له : أبوك الشرعي من ولدت على فراشه وهو حذافة بن قيس ، وهذا من أسلوب الحكيم المتضمن لتعليمهم ما ينفعهم من السؤال ، فهو من قبيل ماورد في تفسير (يسألونك عن الالهة قل هي موافيت للناس والحج) وقد تقدم في تفسير سورة البقرة (ج ٢)

وهذه الآية تدل على عدم جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة أو على انه لا يقع — وقد غفل جمهور الاصوليين عن الاستدلال بها — وبيان ذلك ان مايسئل عنه إما ان يكون مما يطلب العلم به كالعقائد والاخبار ، وإما ان يكون مما يطلب العمل به وهو الاحكام . وتأخير البيان — دع تركه وعدمه — يقتضي الاقرار على الاعتقاد الباطل ، أو العمل بغير الوجه المراد للشارع . ولا يدخل في هذا ولا ذاك السؤال عن الامور الشخصية كسؤال من سأل عن ناقته ، ولذلك جعلنا هذا النوع من السؤال غاية في خفاء دخوله في عموم (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) فان كان داخلا فيها فحكمته — والله أعلم — ان عدم إبداء الجواب للسائل المؤمن ربما كان مشككاً له في رسالة الرسول (ص)

وذهب أبو السعود مذهبا غريبا في الآية وتعليل إبداء الاشياء المسؤل عنها بما يوجب المساءة في كل من نوعها فقال : والمراد بها ما يشق عليهم ويعمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقونها ، والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ، ونحو ذلك مما لاخير فيه ، فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لإبدائها ، كذلك السؤال عن التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لإساءتهم الادب ، واجترأهم على المسألة والمراجعة ، وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لأمر

الله عز وجل ، من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته . انه
تم آورد على ما قرره — بعد ان استشهد عليه بما ورد في سبب نزول الآية —
ثلاثة ابرادات وأجاب عنها فقال :

(إن قلت) تلك الاشياء غير موجبة للمساء البتة ، بل هي محتملة لايجاب
المسرة ايضا، لان ايجابها للاولى ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها
موجبة للآخرى قطعا ، وليست إحدى الحثيتين محققة عند السائل ، وانما غرضه
من السؤال ظهورها كيف كانت ، بل ظهورها بحثية ايجابها للمساء ؟

(قلت) لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده ،
لأن تلك الحثية هي الموجبة للانتها والانزجار لاحثية ايجابها للمسرة ، ولا حثية
تردها بين الايجابين

(ان قيل) الشرطية الثانية ناطقة بأن السؤال عن تلك الاشياء الموجبة للمساء
مستازم لابتدائها البتة كما مر ، فلم تخلف الابداء عن السؤال في مسألة اخيج حيث لم
يفرض في كل عام ؟

(قلنا) لوقوع السؤال قبل ورود النهي ، وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال
الواقع بعد وروده ، اذ هو الموجب للتعليظ والتشديد ، ولا تخلف فيه

(ان قيل) ما ذكرته انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور المترددة بين
الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة . وأما اذا كان عن الامور الواقعة قبله
فلا يكاد يتمشى ، لان ما يتعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس الأمر ولا مرد له ،
سواء كان السؤال قبل النهي أو بعده ، وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسألة
عبدالله بن حذافة ، فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره ، فيتعين التخلف حتما
(قلنا) لاحتمال للتخلف فضلا عن التعيين ، فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو

السؤال عن الاشياء الموجبة للمساء الواقعة في نفس الامر قبل السؤال ، كسؤال
من قال : أين أبي ؟ لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند
المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع . اهـ

وحاصل ماذهب اليه أن المراد من الآية نهى المؤمنين عن السؤال عما يعلمون

٢٦٢ ما عفا الله فلم يدينه . الكفر باستئصال الشرع واستتباعه [المنار: ج ٤ م ١٨]

أن الجواب عنه يسوءهم من الاخبار والاحكام دون ما يعملون انه يسرهم أو يكون محتملا للمسرة والمساءة - وهذا النوع من السؤال قلما يقع من أحد - وأن من سأل عن شيء مما يتعلق بالاحكام في زمن نزول القرآن فان الجواب عنه لا يكون الا بالنشديد عقوبة له ولجميع الامة على اساءة أدبه . وان هذا المذهب بعيد عن العقل والنقل ، غير منطبق على عموم الرحمة ويسر الشرع ، وقد غفل قائله عفا الله عنه عند كتابته عن ذلك فلم يفكر الا في ظواهر مدلول اللفظ . ولا تتوسع في بسط الاعتراض عليه ، اكتفاء بتقرير الصواب الذي هدانا الله تعالى اليه

أما قوله تعالى ﴿ عفا الله عنها والله غفور حلیم ﴾ فقد روي في تفسيره قولان (أحدهما) ما رواه ابن جرير عن عبيد بن عمير وأشرنا اليه فيما نقلناه عنه، ونقلنا مثله عن ابن كثير ، وهو ان هذه الاشياء التي نهيتهم عن السؤال عنها هي مما عفا الله عنه بسكوته عنه في كتابه وعدم تكليفكم اياه ، فاسكتوا عنه أيضا . وأيدوا هذا القول بحديث أبي ثعلبة الخشني اذ قال (ص) « وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها » والجملة على هذا صفة لاشياء كما قال بعضهم، أو هي استئناف يائي يتضمن تعليل النهي، وهو يناسب كون النهي عن المسائل المتعلقة بالتشريع (ثانيها) ان معناه عفا الله عما كان من مسألتكم قبل النهي فلا يعاقبكم عليها لسعة مغفرته وحلمه ، فهو كقوله فيما يشابه هذا السياق (عفا الله عما سلف) وقوله (الا ما قد سلف) ولا مانع عندنا يمنعنا من ارادة المعنيين معا. فان كل ما تدل عليه عبارات القرآن من المعاني الحقيقية والمجازية والكنايةية يجوز عندنا ان يكون مراداً منها مجتمعة تلك المعاني أو منفردة، مالم يمنع مانع من ذلك كأن تكون تلك المعاني مما لا يمكن اجتماعها شرعاً أو عقلاً، فحينئذ لا يصح ان تكون كلها مرادة، بل يرجح بعضها على بعض بطرق الترجيح المعروفة من لفظية ومعنوية

ثم قال تعالى ﴿ قد سألتهم من قبلكم هم أصبحوا بها كافرين ﴾ أي قد سأل هذه المسألة - أي هذا النوع منها - أو هذه المسائل - أي أمثالها - قوم من قبلكم ثم أصبحوا بعد إبدائها لهم كافرين بها ، فان الذين أكثروا السؤال عن الاحكام التشريعية من الامم قبلكم لم يعملوا بما بين لهم منها، بل فسقوا عن أمر

ربهم، وتركوا شرعهم لاستتقالهم العمل به، وأدى ذلك إلى استنكاره واستتباعه،
أولاً إلى جحود كونه من عند الله تعالى، وكل ذلك من الكفر به. والذين سألوا
الآيات كقوم صالح لم يؤمنوا بعد إعطائهم إياها بل كفروا واستحقوا الهلاك في
الدنيا قبل الآخرة. والآخر الغيبة كالآيات أو منها. وقد اقتصر ابن جرير في
هذه الآية على تفسير المسائل التي سألوها وكفروا بها بالآيات التي يؤيد الله بها
الرسول عليهم السلام، وذكر ابن كثير المعنيين الذين قررنها آنفاً واستشهد للآيات
بمسألة السؤال عن الحج. ولا بد من الجمع بينهما لتكون هذه الآية تنمة لما قبلها،
وبياناً لسبب ذلك النهي الجامع للمعنيين كما تقدم. ويؤيد الأول ما ورد في
حديث السؤال عن الحج من كون فرضه كل عام يفرض إلى الكفر، وإنما يظهر ذلك
بالوجه الذي قررنه وبيناه، ولم نر أحداً سبقنا إليه.

والعبرة في هذه الآية أن كثيراً من الفقهاء وسعوا بأقيستهم دائرة التكليف،
وانتهوا بها إلى العسر والخرج المرفوع بالنص القاطع، فأفضى ذلك إلى ترك كثير
من أفراد المسلمين وحكوماتهم للشرعة بمجملتها، وفتح لهم أبواب انتقادها
والاعتراض عليها، فاتبعوا بذلك سنن من قبلهم. ولا بد لنا من عقد فصل خاص
في تفصيل هذا البحث

اللغة العربية

أقدم اللغات الشرقية وأم المدينة المصرية والبابلية

كنا نستدل على عراقة العرب في المدينة بما روى لنا التاريخ القديم من استعمارهم
لمصر في عهد دولة الرعاة (الهكسوس) وغيرهم، واستعمارهم قبل ذلك للعراقيين،
وما كان لنا في ذلك إلا علم إجمالي، ثم جاءنا علماء العاديات (الآثار القديمة)
بالاكتشافات والتحقيقات التي خرجنا بها من حيز العلم الإجمالي إلى حيز العلم
التفصيلي، وكان أعظم ما اكتشفوه في حفائر العراق شريعة حمورابي (ملكي
صادق) الموصوف في المهددين القديم والجديد بأنه ملك البر وملك السلام وكاهن

الله العلي ، ومن أخبار سفر التكوين انه بارك على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله ، وان ابراهيم أعطاه العشور . وقد بين هؤلاء العلماء ان شريعة حورابي كانت عربية ، وهي أقدم شريعة من الشرائع التي عرفها التاريخ ، وقد زعم بعض علماء الألمان ان التوراة مقتبسة منها (راجع المجلد السادس من المنار)

وقد نشرنا في المجلد الخامس عشر (سنة ١٣٣٠) خطابا طويلا في اللغة العربية لجبر افندي ضومط استاذ العلوم العربية في القسم العالي من المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت أنقاه في الاحتفال السنوي لسنة ١٩١١م أتحنفا به ، وموضوعه [بحث تاريخي فلسفي في موطن العربية المضرية ونسبتها الى اخواتها من اللغات السامية] ومما جاء فيه ان العلامة رونسن المؤرخ الاثري يرجح ان المدينة المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءت من العراق وبلاد العرب (المنار ص ١١٦ م ١٥) وأن الباحثين اتفقوا على ان لغة الاشوريين وقدماء البابليين واحدة ، وان الآثار البابلية تثبت ان الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من أهل البلاد الاصليين ، وانما جاءوا من مكان آخر وتغلبوا على أهلها الذين كان لهم مدينة عظيمة إذ كانوا غزاة فاتحين ثم ترجموا الكثير من آداب أهل البلاد بلغتهم السامية ، والظاهر انهم كانوا من جزيرة العرب (المنار ص ١١٧ م ١٥)

ثم بين ان اللغة العربية هي أم اللغات السامية وسيدتها ، وان أرومتها الاولى كانت في اليمن وحضرموت وعمان . وانه انشعب منها فرع الى بلاد بابل بالعراق فانقسم الى شعبتين بدوية وحضرية ، وان بعض العاقلة والعاديين من قدماء العرب هاجروا الى سورية — بعضهم هاجر من العراق لما اضطهدهم المناردة ، وبعضهم هاجر من جزيرة العرب بقصد التجارة والاستعمار — كما هاجر غيرهم من اخوانهم الى شطوط افريقية فكان منهم الامهرية والحبشية — (قال جبر افندي ضومط) ومن هؤلاء المهاجرين كان العبرانيون وأمم الشام من الكنعانيين والفينيقيين . وعليه تكون العبرانية والفينيقية والعربية (أي المضرية) شعبتين من الفرع العادي ، والحجرية والحبشية من الفرع القحطاني (المنار ص ١٩٩ م ١٥)

أقول فعلى ما تقدم يكون كل من مدينة العراق وسورية ومصر عربي الاصل

ثم تولد من ذلك الاصل فروع استقلت واختلفت باختلاف الدول والممال ، حتى جاء الاسلام فأرجع تلك الفروع كلها -- ما قرب منها عن أصله وما بعد - الى الفرع المضري ، فكانه عد الى أفراد عشيرة كانوا متفرقين متباعدين يحسب كل منه انه اجنبي عن الآخر فجمع بينهم فعادوا الى الوشيج الجامع فكانوا أسرة واحدة لكن علامة الآثار والعاديات المصرية وامام اللغة الهيروغليفية في مصرنا الآن أحمد بك كمال أمين دار الآثار المصرية اظهر لنا من الاتحاديين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ما لم يكن في الحسبان ، فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيه ألوفامن الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية في الغالب - إما موافقة تامة وإما موافقة بضرب من التحريف أو القلب والإبدال المعهود مثله في اللقطين . ومن المعلوم ان المدينة العربية القديمة كانت في العاديين والتحتطانيين سكان حضرموت واليمن ، وهم الذين استعمروا مصر والعراق وسورية . وقد ضاع أكثر لغتهم ، ولعلها لو دونت كاللغة المضرية لفسرت لنا من اللغة المصرية القديمة ما لم يفسر الى اليوم ، حتى فيما نراه يخالف منها المضرية بتحريف أو قلب أو ابدال

وكان المشهور عن احمد بك كمال أنه يرى أن العربية أصل للغة المصرية القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفي ومن لوازم هذا ان أصحاب تلك المدينة كانوا من العرب . ثم إنه رأى نصا يدل ظاهره على أن العرب أنفسهم أو بعضهم من المنصريين فأخذ بظاهره حملا له على الصدق ، وبني عليه محاضرة ألقاها في مدرسة المعلمين الناصرية في العام الماضي . وذلك النص ما وجد منقوشا في الدير البحري (مكان بحجة الأقصر) في زمن الدولة الثامنة عشرة (كان زمنها من سنة ١٦٠٠ - ١٣٨٠ ق م) وهي أرقى دول مصر ، وفيه ان المصريين الاولين اشتهروا باسم الاعناء ، ولم يبين النص أصلهم ، ولا من أين جاؤا ، ولكنهم استعمروا الجهة الجنوبية من مصر وأسسوا المدن بأسمائهم . وفيه ان بعضهم هاجر الى القيروان وتونس والجزائر . وبعضهم الى أواسط أفريقية والصومال ، وبعضهم قطع البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين ، وأطلق على كل عنو من

أولئك الاعناء المهاجرين اسم مركب تركيباً إضافياً فصار يقال أعناء كذا وأعناء كذا.. ولفظ « أعناء » عربي معناه الاختلاط من الناس يكونون من قبائل شتى. أما نحن فنرى أن ذلك النص ربما كان عن عقيدة تقليدية وهمية بأن مصر الموطن الأول للبشر، والاصل الذي تفرغت منه الشعوب والامم، وينقل مثل هذا عن قدماء الهنود والصينيين. فهذه تقاليد متعارضة ليس لنا عليها دليل عقلي ولا نقلي للترجيح بينها، فنجري فيها على قاعدة تعارضت فتساقطت. على أن أولئك الاعناء المجهول أصلهم يجوز أن يكونوا من العرب، وإن يكون من هاجر الى جزيرة العرب منهم عاد الى بلاده، وبهذا يجمع بين هذا القول وقول العلامة رونسن الذي رجح كون المدينة المصرية الاولى قد جاءت من بلاد العرب والعراق. والامر المتيقن عندنا الآن هو ان لغتنا العربية الشريفة هي لغة قدماء المصريين ومظهر مدنيهم. ونتيجته ان قدماء المصريين من العرب أو العرب منهم فهم أمة واحدة، وكذلك السوريون والعراقيون كما تقدم

وقد رغبت الى احمد كمال بك ان يتحفنا بفصول ملخصة من قاموسه الذي أشرنا اليه ففضل بالاجابة وجعل الفصل الاول في بعض الحبوب والنبات وهذانه

مقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية^{*}

١

(في بعض الحبوب والنبات والاشجار والثمار المصرية)
وفيه استطراد الى كلمات أخرى

البر القمح الواحدة بُرّة

قمح هو اسم عندهم للقمح والخبز ويميز بينهما برسم التبت عند

(*) راجع ما ذكرناه عن اللغة المصرية في المقتطف المطبوع في مارس سنة ١٩١٤ وفي تقويم الشرق للدكتور هنري مدور المطبوع سنة ١٣١٥ وذلك في صحيفة ٣٥٠ الى ٣٥٨ وقد رمزنا هنا بحرف (ع) للعبرية وحرف (ق) للقبطية

نهاية الكلمة في الاول والخبز في الثاني^(١)

وجد الكثير منه في المقابر المصرية حفظ بالمتاحف واختبرت حبوه في الزراعة فلم ينجح، وقد اختبر الكيماويون بعض هذه الحبوب فوجدوها مدهونة بطلاء حافظ لها على مرور الدهر ووجد (شوينفورث) قمحا أصغر في الحجم من قمحنا المعروف وهو يشبه القمح البحري وكان يستعمل في الطب والغذاء

حنط حنطة هي البرج. حنط

(بُد) بض يياض: وكلمة البيضاء تطلق في العربية على القمح

فمو القوم هو الحنطة وقد ذكر في القرآن الكريم

جل (والجيم تقلب غينا) غلة ج غلال

شرت ق سريت: سلت - هو الشعير أو ضرب منه، والشين

تقلب سينا بالمصرية فيقولون شلم بمعنى سلم، واللام تقلب راء وبالعكس الشعير عندهم صنفان أبيض وأحمر ويصنع منه الخبز والجمعة ومن خبزه ما هو محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة، ووجدت حبوه في مقبرة كاهون بالقيوم من عصر العائلة الثانية عشرة لكن حبه أصغر من شعيرنا الآن وكانوا يتخذون من سوقه مزامير

تُرا ذرة

بُول فول - لان الباء تقلب فاء كفيوم أصلها بيوم أي اليوم،

وكفأى أصله عندهم بأى

قال هيرودوت في كتابه الثاني ان المصريين لم يزرعوا الفول في أرضهم فاذا خرج فيها لم يأكلوه لانها ولا ناضجا وان قسوسهم لا يستطيعون النظر اليه لانهم يرون انه نجس، ومع ذلك فقد ورد عنهم انهم كانوا يحفظونه ويحفظونه بدليل قولهم (فول هاف) أي جاف، لان فاء الكلمة مقلوبة عن الجيم. فلا بد وان يكون قول هيرودوت هذا غير صحيح اذ الفول كان ولا يزال من الاغذية المصرية الى هذا اليوم

(١) اصطلاح أهل اللغة المصرية القديمة على ان يرسموا في آخر كل كلمة الصورة الدالة على معناها أو المؤيدة له

عرشان ق. أرشان: بلسُن واحدة بلسنة. بلسُن. بلسُن: عدس
كمنن كمن

سنوت سنوت وهو الشمار أو الكمون
رمان حرمان، إرما — الرمان. ق. أرمان: ع ريمون
وبالبريرية — أرمون

شجر دخل مصر في عصر العائلة الثامنة عشرة وقت انتشار الحرب العظيمة
مع أهل آسيا في عهد الملك أحمس وقد وجد مع اسمه مرسوما في صورة البستان التي
زين بها (أنا) جدر حجرة قبره بطيبة وهو الذي توفي أيام (تحتس) الأول الذي
كان أول فرعون تجول في بلاد الشام وأخضعها لحكمه وعليه ربما كان هذا
الملك أول من جلب لبلاده هذا الشجر فغرس في البساتين. وهذا لا ينافي معرفة
المصريين لاسمه من قبل. وما وجد في المقابر منه أصغر حجما من نوعه المعروف
الآن فهو شبيه برمان طور سينا وكان يستعمل قشره لقتل الدود واستعمله القبط
للحكة وصنع منه المصريون شرابا في عصر الرميسيين

دبحو، ضبحي: تفاح — ق. جبح
وهو الشجر المعروف بحسن فاكهته ويكثر اسمه في القرابين التي يذكر فيها
الزمان والزيتون والتين وتدل النصوص على أن وجوده في أرض مصر كان في
عصر العائلة التاسعة عشرة

لوز: وكذا في العبرية والحشية ونونها تقلب لاما كما في ثقب
ولقب فالاول مصري والثاني عربي

ببري لا يزال يعرف في بعض الجهات بالبنور وصحته برني اسم
للنخلة وللتمر. ويقال تمر برني ولا تكاد الاضافة تكون في البرني لأن
البرني هو التمر وقد ذكر في قول الشاعر —

باتوا يعيشون القطيعاء ضيفهم^(١) وعندهم البرني في جلال دُسم
(١) المنار: رواية لسان العرب: جارهم — بدل ضيفهم. والقطيعاء نوع من =

أَمَمَّ عَمَّ عَمَّ ج عمومة، أعمم، أعمام، أعمه — نخل طوال. والالاف
تنوب عن العين في كثير من الكلمات
عَوْنَتْ عوانة : نخلة طويلة

حَن حُون أهان ج أهنة وأهن : عرجون الترمافوق الشمايخ.
والهناء عذق النخل (فالهاء فيها بدل من الحاء لقرب مخرجيهما)

طَارُورِي جمار النخل — الجيم والطاء يتناوبان في المصرية كقولهم :
طَرًا بمعنى كَلَّا. وهاتان الكلمتان مصريتان عريبتان

سَر : سلاء ج سلاءة، وأسل الواحدة أسلة : شوك النخل (الراء بدل
اللام) ق سوره سوري

زَيْتُون ق جويث جيت . ع . زيت :

زَيْت زيت وكان يستعمل للاضاءة خصوصا في المعابد

وجد الكثير من أكاليل الزيتون على رؤوس الموتى التي لا يتجاوز تاريخها
العائلة المتممة للعشرين وعليه يظن ان الزيتون لم يغرس في ديار مصر قبل العائلة
الثامنة عشرة لكن وجد مذكورا في نصوص هرم الملك (تيتي) فهو معروف من
عهد بناء الاهرام أو قبل ذلك

كِرْمَا كَنَم : كرم ج كُرُوم وبالعبرية كرم

كَامُو : كرام — صاحب الكرم والمعتني به وأصله كرم وفستقت منه

عين الكلمة لان الراء والنون واللام تسقط في كثير من الكلمات .

ق جمي جه

= التمر يظهر من مقابله بالبرني الذي هو أجود التمرانه رديء وقيل هو البسر قبل ان
يدرك. والجلل ج جلة — كقلة وقلل . وهي قفة التمر ، ودسم ج أدسم ودسماء صفة
لها ولعله باعتبار تمرها

كارج كاريو : أكارج أكرة وأكارون اي حرّاث من أكر
الارض اكرا وأكره حفرها. وجاء في المصرية والعربية ايضا :

مَن مان الارض شقها للزراعة . والاسم منه :

مَن أمان : مزارع . ويقال ايضا :

سق شق الارض اي فلحها والسكة الحرث . ق إسكاي . إسخاي

بات (المكان) يبوته بوثا حفره

باي فأى فأوأ وفأيا : فلق (والباء تنوب عن الفاء نحو بدح

وفدح بمعنى ضرب)

قنا . كنا : قنّاء ج قنا ، وهو الرمح وصاحبه قنّاء بالتشديد . عود

القنا قصب الذريرة

ويقال له باليونانية (كانا) وبالعبرية (قنّاح) ويذكر في التذاكر الطبية مع انه

لا ينبت بديار مصر ولو اعتمدنا على انه هو المذكور في النصوص المصرية بقصب

فنيّيا لساخ اذا ان تقول انه كان يستحضر من آسيا في عهد الفراعنة وقد اطلق

عليه العرب والعبريون والمصريون القدماء اسم قنا

نزا : اللوز في العربية والحبشية

سير : زير ، أي كتان . وفي القبطية : سال . سول وله اسماء أخرى

وهذا النوع المسمى بالنباتية (لينوم هيميله) وجدت بذوره في مقابر العائلة

الثانية عشرة والعائلة المتممة للعشرين ويذكر كثيرا في تذاكر الطب واتخذوا منه

الغزل والنسيج والثياب الخ

سشن : سوسن وسوسن وسوسان - نبات طيب الرائحة

الواحدة سوسنة والجمع سواسن . ق . شوشن . واللاتيني : سوزينوم

ومنه اسم العلم سوزان ، وبالبرية سوشانه وهو اللوطس الابيض المعروف عند

المصريين القدماء ولا يزال ينبت في المستنقعات وعلى شواطئ القنوات الى يومنا هذا

عنقب . بالعربية والعبرية .

حرر حلق حليلي حريرة حريري: حَنُونٌ نور كل شجرة ونبت

وقد حنن الشجر والعنب اذا نور (لان النون عندهم تنوب عن الراء)

وكذلك يقال عندنا في اللغة العامية المصرية الآن وفي المصرية القديمة نقب

بدل لقب بالعربية الفصيحة وفي المصرية تفن يقابلها في العربية نقل ، أي بصق .

والقلب والابدال لهما أصول في هاتين اللغتين يقتضي مراعاتها لتظهر المقابلة . ومنها :

حلل هلل يهلل تهللا ، وقد جاء في نقش بمدينة (أبو) الواقعة

في الجهة الغربية من لوقصر مانصه [وكان المحاربون مثل السبع يهللون

في بُهرة الاصواء ^(١) (أي وسط الجبال)] هذه العبارة نقلت بنصها ليعلم

وجه الشبه بين اللغتين . ويقال في المصرية والعربية إبهار النهار أو الليل

أي انتصف ، وبهر : فاق ، وبهار : صنم

حر حر حية دقيقة مثل الجان أو ولد الحية كما في القاموس

بدكا بطيخ

دبا طبار — اكبر التين ^(٢) بسقوط الراء وتقدم مثله في كلمة كامو

تون تين

وجد كثير من التين في المقابر القديمة العهد وحفظ بالمتاحف ولا يزال يرى

مرسوما فوق موائدهم مع العنب والقثاء والرمان

كونت جنة : تين قال بعض المفسرين في تفسير : (وطفقا يخلصان

عليهما من ورق الجنة) أي ورق التين أكنت : جنة ج جنات

(١) المنار : الاصواء جمع صوى بالضم ، وصوى جمع صوة (كقوة وقوى)

والصوة ما غلظ وارتفع من الارض فلم يبلغ أن يكون جبلا ، فيظهر أن المصريين

أطلقوه على الجبال أو على غير الشامخ منها ، على أن رسم الشامخ وغيره متشابه ،

والرسم هو المفسر للغة في كتابتهم . وللصوة أيضا الاعلام التي يهتدى بها المسافرين

وجماعة السباع (٢) في القاموس أن الطبار (بوزن الرمان) شجر يشبه التين

أسى . أسى . آس نبات معروف . قال ابو حنيفة الدينوري ينبت بأرض العرب وبالسهل والجبل وخضرته دائمة

وهو نبت مصري ترى أغصانه في أيدي الراقصات المرسومة على جدران المقابر ووجد من آثاره شيء في قبور تل بسطة بالزقازيق وفي مقابر هواره بالقيوم وقد حفظ في متحف الليد شيء منه

اسى بوللى آس برى بصر بصل (الراء تنوب

كثيرا عن اللام ومنه رأراً ويقابلها في العربية رأراً ولائلاً بمعنى لمع)

اسل أسلة : الاثل شجر ذكر في القرآن واحده اثلة ج اثلات

وأثول ، وهو نوع من الطرفاء والثر ويقال له بالقبطية: اسى واسه

اعلمنا هيرودوت وبليني ان الاثل كان ينبت في مصر ووجد منه (أنجر) بقايا في طوبة عثر عليها في قرية الكاب بصعيد مصر ووجد شوينفورت فروعا منه في تابوت من العائلة المتبعة للعشرين وكثيرا ما تذكر النصوص هذه الشجرة لانها كانت مقدسة عندهم

كمتى كماء زلم الزلم : وهو حب العزيز

بسباس بسباسة وهي الشمار

بكاء قال ابو العباس التباقي هو شجر معروف عند العرب

بمكة شبيه بالبيسام

يسر إيصار أينصر حشيش وبالحبشية انز .

شدث سنط صنط شنيز سنط ق شدت شدته : شجر مصري

قديم يذكر في نصوص الاهرام

وجد من زهره اكاليل على مدينة الملك اعمس الاول وامنوفيس الاول

كلاهما من العائلة الثامنة عشرة وكانت تصنع من خشبه السفن والتوايت والنمايل

أحمد كمال

وآثاث البيوت الخ

الامين بالمتحف الوطني

(للمقارنة بقية)

مِلَاسَتُ دَارُ الدَّعْوَةِ وَالْإِشْتَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٦

(٤) اللحم

يؤخذ هذا الصنف من الطعام من الأنعام والطيور والحيوانات البحرية ،
والمعتاد أكله من الحيوانات البرية هي التي لا تأكل اللحم لحكمة ستظهر في الكلام
على الديدان المعوية فيما يأتي إن شاء الله

واللحم نوعان: اللحم الأبيض ، واللحم الأحمر . فمثال الأول لحم الارانب ، ومثال
الثاني لحم الضأن . والأبيض أسهل هضما من الأحمر ولكن الأحمر أكثر تغذية
لاشتماله على جزء من مادة الهيموجلوبين فتكثر الدم . واللحم يشتمل على جميع
الاجزاء الضرورية للجسم تقريبا ، ففيه الماء والزلال ونحوه من المواد الأزوتية
كالجلاتين والزنثين [xanthin] ^(١) وغيرها وفيه أيضا الدهن والمواد
السكر بوهيدراتية (الجليكوجين وسكر العنب والإينوسيت Inosite ^(٢)) وفيه
أيضا أملاح عديدة منها فسفات البوتاسيوم وملح الطعام وغيرها ؛ وكل هذه المواد
تختلف مقاديرها باختلاف الحيوانات المتنوعة وهي توجد بكثرة عظيمة في لحم الدجاج
فهو أكثرها تغذية ؛ وفي اللحم أيضا حامض السار كولكتيك [Sarcolactic] ^(٣)

«١» معناها الاصفر باليونانية لأن هذه المادة صفراء

«٢» سكر اللحم والكلمة يونانية أيضا ، ومعناها الحرفي (العضلة)

«٣» لفظ مركب من كلمتين (Sarco) يونانية معناها اللحم و (Lactis)

لاتينية معناها اللبن ، أي حامض اللبنيك المتولد في اللحم

(المنار: ج ٤) (٣٥) (المجلد الثامن عشر)

إذا كان جديدا فلذا ينفع في الاسكربوط . ويوجد في الخنزير الشحم بكثرة تفوق سائر أنواع اللحوم الاخرى فلذا كان أعسر اللحوم هضما لأن الشحم فيه يحيط بأليافه العضلية فيحول دون وصول العصارات الهاضمة اليها فيتعب المعدة والامعاء ، وقد يحدث منه القيء أو الاسهال ، وربما هيأ الزائدة الدودية للالتهاب ولذلك تكثر أصابتها به في بلاد الافرنج فان فساد الهضم من أسباب هذا المرض

وكثيرا ما تكون الحيوانات مصابة بأمراض متعددة مثل الدرن^(١) والجذرة الخبيثة وأنواع كثيرة من الديدان سند كرها تفصيلا فيما يأتي، فلذا يجب أن يكون الحيوان المأكول سليما من كل مرض . ويجب أيضا طبخ اللحم جيدا حتى تقتل فيه الميكروبات وأكياس الديدان بقدر الامكان . وأضر ديدان تنشأ من أكل اللحوم هي الديدان التي تنشأ من أكل الخنزير ، وهذه حكمة أخرى في تحريمها . ولا يتوهم القارىء ان الطبخ يزيل جميع أضرار اللحوم المريضة فانه اذا قتلت الميكروبات بسبب شدة الحرارة بقيت سمومها وكلما اشتد الطبخ التأكسد من قتلها زاد تجمد المواد الزلالية وعسر هضمها ، على أن الطبخ قد لا يقتل بعض ميكروبات الدرن التي تكون في باطن اللحم لأنه موصل رديء للحرارة

أما لحوم الحيوانات البحرية فن أسهل اللحوم هضما ، وقد لوحظ أن الناس الذين يأكلونها بكثرة أقوياء البنية أصحاء ، إلا أنه قد يصاب بعضهم بالجذام فلذا ظن بعض الأطباء أن الاقتصار على أكل السمك أو الاكثار من أكل الفاسد المتعفن منه كالفسيخ مما يهيئ الجسم لقبول هذا المرض الخبيث ، ولكن ذلك لم يثبت الى الآن

ومن أنواع الحيوانات البحرية الحيوانات ذوات الاصداف كالبلطينوس وهي سهلة الهضم جدا ، غير ان ميكروب الحمى التيفودية قد يوجد فيها ومن أنواعها أيضا السرطان البحري ونحوه وهي لكثرة أكلها المواد القذرة تضر آكلها بذلك وبشدة عسر هضمها . وأجود أنواع السمك هو الذي يصطاد حيا من المياه الجارية النظيفة . والسمك سريع الفساد فلذا يجب أن لا يترك زمنا

(١) الدرن كثير الحصول للبقر والخنزير ، قليل جدا في الضأن ، ونادر في المعز

طويلا بل يؤكل غضا غريضا. ويعرف السمك الغريض (الطازة) ببس لحمه ،
وبانتصاب ذيله . والسمك الفاسد المتعفن هو من أضر المأكولات فانه يتولد فيه
من الفساد بعض مواد سمية آزوتية تسمى Ptomaines^(١) وهي شديدة الخطر
حتى ان كثيرا من الناس قتلوا بسبب أكلهم السردين والفسيوخ، ومن لم يمت منهم
قد يصاب بالدوار والصداع والاسهال أو القيء وغير ذلك

أما البطارخ (وتسمى الصُّة قُر وهي عبارة عن بيض السمك) فهي أقل فسادا
من لحمه ، وهي مغذية محضة لشهوة الطعام ويشترط أن لا يكثر الانسان من
أكلها في المرة الواحدة ، وقيل أن أكلها يمسك البطن ويمنع الاسهال

والأسماك ذوات الحرشف هي غالبا ألد طعاما وأسهل هضما من التي لا حرشف
لها الكثرة دهنها وقذارة المياه التي تعيش فيها، ولذلك حرمت التوراة أكل ما ليس
له حرشف (راجع سفر اللاويين ١١ : ٩ - ١٢) ومن أسماك الانهار ما يكون
سببا في إصابة الانسان بدودة شريطية كما سيأتي تفصيله

ويقال ان أكل الأطعمة الحيوانية الفاسدة مدة طويلة يسبب الاسكربوط
وهو رأي راجح جدا الآن ، وذلك مثل اكل القديد (البسطرما)

(جدول تركيب أشهر اللحوم)

المواد	الثور	العجل	الخنزير	الحصان	الدجاج	نوع من السمك
ماء	٧٦٩٧	٧٥٥٦	٧٢٥٦	٧٤٥٣	٧٠٥٨	٧٩٥٣
زلال وجلاتين	٢٠٥٠	١٩٦٤	١٩٦٥	٢١٥٦	٢٢٥٧	١٨٥٣
شحم	١٥٥	٢٥٩	٦٥٢	٢٥٥	٤٥١	٥٥٧
مواد كربوهيدراتية	٥٥٦	٥٥٨	٥٥٦	٥٥٦	١٥٣	٥٥٩
أملاح	١٥٢	١٥٣	١٥١	١٥٠	١٥١	٥٥٨

(٥) الاطعمة النباتية

هذه الاطعمة منها ما يؤكل بلا طبخ كالجزير والفجل وغيرهما، ومنها ما يؤكل

(١) معناها (مواد الجيفة) وهي لفظ يوناني

مطبوخا كالبقول وغيرها . وهي في جملتها تشمل كثيرا من الزلال والدهن والمواد السكر بوهيدراتية والحوامض النباتية وأملاح عديدة، وفيها مادة يتعسر هضمها تسمى (السلولوز^(١)) وهي التي يتكون منها جدران خلاياها وأخشابها وغير ذلك من أليافها أما زلالها فيوجد بكثرة في البقول كالقمح والفلو والعدس والحمص . ويسمى الزلال الذي يستخرج من القمح باللاتينية — الجلوتين (مادة غروية) ، وهو لا يوجد فيه بشكله المعروف الا بعد أن يضاف اليه الماء فيتحد مع ما فيه من المواد الزلالية ويتولد هذا الصنف المخصوص من الزلال ، وهو سهل الهضم ، ولذلك كان من الاغذية النافعة المفيدة

وأما الدهن فهو يوجد بكثرة في بعض الثمار كالزيتون واللوز وغير ذلك الا أنه يقل وجوده في بعض البقول كالقمح مثلا

والزيوت نوعان : ثابتة ، وطيارة . فالثابتة هي كالشحم في تركيبها ، ويحصل الانسان عليها بعصر الجبوب بآلات مخصوصة ، وسميت ثابتة لانها لا تتطاير أما الزيوت الطيارة فهي مركبة من الكربون والهيدروجين والا كسجين الا أن مقادير هذه العناصر وأوضاعها مغايرة كل المغايرة لتركيب الزيوت الثابتة ، ومن أمثلة هذا الصنف من الزيوت زيت القرنفل ونحوه من الزيوت العطرية ونظرا لكونها سهلة التطاير تُتحصل بالتقطير . فاذا غلي اليونسون مثلاً في ماء صعد منه الزيت في بخاره ويمكن الحصول عليه بالانبيق . أما الماء الذي غلي فيه فلا يبقى فيه من هذا الزيت الا النادر جدا أو لا يبقى فيه شيء

الزيوت الثابتة مغذية مليئة وتحترق في الجسم فتولد فيه حرارة عظيمة جدا ، ولذلك يحسن أكلها في البلاد الباردة

والزيوت الطيارة منعشة منبهة للأعضاء كلها فتقوي الهضم ودورة الدم وتدر البول وتنفض البلغم من الصدر وتزيد في قوة الحركة الدودية للأمعاء وبذلك تخرج أرياحها وتزيل آلامها ، وهي مطهرة أيضا قاتلة للميكروبات فتطهر الشعب

(١) كلمة اصلها لاتيني معناه (خلية صغيرة) سميت هذه المادة بذلك لتركب جدران الخلايا النباتية منها

والامعاء والبول

أما الاملاح التي في النباتات فهي مقادير كبيرة من فسفات البوتاسيوم وفيها أيضا فسفات الحديد وهو كثير الوجود في البقول خصوصا في القمح ، فيكثر دم آكله، ويقل في الاطعمة النباتية ملح الطعام فلذا يحتاج اليه النباتيون كثيرا فيأخذونه من الخارج . وفي الخضر والفواكه أملاح عضوية وحوامض مثل حامض الطرطريك (الدرديك) وهو موجود بكثرة في عصير العنب متحدا مع البوتاسيوم، وحامض الليمونيك الموجود بكثرة في الليمون والبرتقال (واليوسف افندي) والكريز وغير ذلك، وحامض التفاحيك موجود بكثرة في التفاح والكمثرى (الاجاص) وحامض الاساليك^(١) يوجد في الحمض والسكرنب والطماطم والراوند، وغير ذلك من الحوامض ، وهي تتحول في الدم الى كربونات قلووية فتقدر البول وتذيب حامض البوليك الذي ينشأ من احتراق المواد الزلاية احتراقا ناقصا فينشأ منه النقرس (داء مخصوص في المفاصل) والحصوات الكلوية والمثانية . فهذه الحوامض النباتية تساعد على إزالة حامض البوليك الضار بالجسم

والامتناع عن أكل الخضر زمنا طويلا يؤدي الى ضعف بالجسم وتقرح بالثة وحدوث أنزفة متعددة في أنسجة الجسم وخارجه ، وهذه الاعراض كلها هي المسماة (بداء الاسكر بوط) ولا دواء له الا الخضر والاعذية غير المتعفنة

ومما تقدم يعلم ان الاقتصار على أكل اللحوم وغيرها من المواد الحيوانية قد يضر بالجسم وخصوصا اذا أكلها الانسان ولم يروض جسمه بالحركات أو الاعمال البدنية المتعبة فان ذلك يقلل احتراق المواد الزلاية الاحتراق الواجب الذي تتحول به الى (بولينا) يمتيسر للكلية أن تخرجها من الجسم بسهولة ذو بانها، بل يكون الاحتراق ناقصا فيتولد من المواد الزلاية حامض البوليك الذي يحدث مرض النقرس والحصوات كما سبق . وهذا المرض كثير الحصول للمترفين بسبب إسرافهم في المآكل الزلاية كاللحوم وغيرها وإقلالهم من الحركات الجثمانية ولذلك يسمى «داء الملوك» . وللوقاية منه يجب القصد في أكل المواد الزلاية ، والمواظبة على الرياضة

(١) اكسس (Oxys) باليونانية معناها حامض و (Oxalis) اسم الحمض فيها

البدنية ، والا كثر من أكل النباتات من خضر وفواكه وغيرها حتى تذيب هذا الحامض الضار (أي حامض البوليك) وتخرجه من الجسم
وأكل المواد النباتية بلا طبخ قد تنشأ عنه أمراض كثيرة كالحمى التيفودية والدوسنتاريا وبعض الديدان المعوية كالديدان الخيطية الذي يوجد بكثرة في المستقيم عند بعض الناس . والسبب في تلك الأمراض هو وجود بعض الميكروبات وبويضات الديدان في الطين والماء الذي يسقى به الزرع ، فتعلق هذه بالنباتات وبذلك تصل الى الانسان اذا أكلها بدون تطهير ، ولذلك يجب غسلها غسلا جيدا متكررا فان ذلك يزيل كثيرا من مضارها ولكن الأولى تطهيرها بالغلي لمن أراد أن بصون نفسه صيانة تامة من هذه الأمراض . ويجب في زمن انتشار بعض الأوبئة كالهضة (الكوليرا) والحمى التيفودية أن تغلى جميع هذه المأكولات غليا جيدا أو يترك أكلها حتى ينتهي الوباء

ولما كانت الحوامض كالليمون والخل قاتلة لبعض الميكروبات المرضية كان وضعها على النباتات الخضراء كالخس مثلا أو الفجل هو من أحسن الوسائل التي تقي الجسم شر هذه الميكروبات . أما تأثيرها في بويضات الديدان فهو غير واف بالغرض ، والراجح أنها لا تقي الانسان منها مطلقا
الكلام في الحبوب وأغذيتها وغير ذلك

(١) القمح ، فيه نشاء كثير ، وزلال ، ودهن قليل جدا ، والمادة المسماة سلولوز وأملح أهمها فسفات الحديد كاسبق وماء ، أما السلولوز فيوجد أكثره في غلاف حبوب القمح وهو الذي يفصل بالطحن والنخل ويسمى بالنخالة ، وأكلها يهيج حركة الامعاء ويحدث لنا قلدا كان نافعا من هذه الوجهة

الطبقة التي تلي غلاف القمح تشتمل على الجزء الأعظم من الزلال ولونها أسمر . وأما باطن الحبة ففيه الجزء الأعظم من النشاء

والخبز يصنع بعجن الدقيق بالماء — كما هو معلوم — فيتحول زلال الدقيق الى المادة المسماة جلوتين واذا أريد الحصول عليها يوضع العجين في قطعة من الموصلي (الشاش) ثم يفرك عدة مرات في الماء فيخرج النشاء الذي في العجين من ثقب الشاش وتبقى

مادة الجلوتين في داخل الشاش، وهذه يصنع منها خبز أو فطير للمصابين بالبول السكري أما الخميرة فهي مركبة من خلايا نباتية، وفائدتها أحداث الغول (الكحول) وثاني أكسيد الفحم، وهو المقصود بالذات لأنه يحدث الفقاع في العجين فيجعله اسفنجيا وبذلك يسهل هضمه بعد خبزه. وبالخبز يزول ما في العجين من الكحول والغاز وتقتل خلايا الخميرة

(ب) الشعير، وتركيبه يقارب تركيب القمح الا أن زلاله لا يتكون منه الجلوتين باضافة الماء اليه وانما يبقى ذائبا في الماء، ويصنع من الشعير (ماء الشعير) وهو مغذ قليلا نافع للمرضى والاطفال، واذا وضع على لبن الجاموس أو البقر منع تجبنه في معد الاطفال تجبنا كبيرا بل تتكون قطع جبنية صغيرة متفرقة يسهل هضمها. ولا يصح اعطاء هذا اللبن للاطفال الا اذا خفف بماء الشعير. وكيفية صناعة هذا الماء ان يغلى ٥٠ جراما من الشعير اللؤلؤي ^(١) في ٧٥٠ جراما من الماء مدة ٢٠ دقيقة في اناء مغطى ثم يصفى الماء، وهذا الماء هو المسمى بماء الشعير

(ج) القرطم (الشوفان) وهو يشبه الشعير في زلاله وفيه دهن كثير (د) الارز، وفيه نشاء كثير وزلال قليل جدا ودهن أقل من الزلال وسلولوز أقل منها كلها وملح قليل جدا فكأنه لا يشتمل الا على النشاء، وإذا طبخ جيدا كان سهل الهضم جدا بسبب قلة السلولوز فيه

(هـ) الذرة، هي مثل القرطم في تركيبه بالنسبة لاشتمالها على دهن كثير وزلال كزلاله، وتنقصها كذلك مادة الجلوتين اللزجة فيفتتت خبزها، وينمو في العتيق منها فطر مخصوص يفسدها. فاذا أكلها الناس فقد يحدث لهم المرض المسمى (باللغرا) وهي كلمة يونانية وإيطالية أيضا معناها «الجلد الوحشي» (Pellis جلد و Agria وحشي) وقال بعضهم إنه قد ينشأ حتى من أكل الذرة السليمة اذا كان الشخص معدما ردي التغذية

وظن آخرون سنة ١٩١٠ أن له ميكروبا ينتقل ببعض أنواع الذباب (السكيت)

(١) شعير ازيل قشرة ثم كسرت حبوبه الى قطع مستديرة ملساء، يوجد عند كثير من البقالين

[Sandflies] وقيل إن سببه كسبب الاسكر بوط أعني أنه ينشأ من عدم اعطاء الجسم حقه من المواد الضرورية لتغذيته ، فالاسباب أحد ثلاثة : (١) إما الذرة الفاسدة (٢) وإما نقص بعض المواد الضرورية للجسم (٣) وإما ميكروب مخصوص ينتقل بأسع السكيت

وهذا المرض كثير الانتشار في مصر ، وأعراضه : آلام بالمعدة واسهال متعاص وفساد في الهضم وضعف في الجسم وفقر في الدم وطفح يظهر كثيرا في الايدي والاقدام والمراقق والركب والعنق والصدر ، ويسمى هذا الطفح عند الفلاحين (بالقشف) ويكون الجلد فيه خشنا متشققا أسمر اللون أو أسوده ، ثم يتقشر ويضمر . ومن أضر أعراض هذا المرض ضعف يصيب المجموع العصبي كله فيصاب الانسان بالضعف العقلي والماليخوليا ^(١) (اي جنون الكآبة والحزن) وأعراض أخرى من الجنون كالليل للانتحار . وهذا الداء من أعظم أسباب الجنون في مصر وكذلك شرب الخشيش . وأعراضه تزول في آخر الصيف عادة ثم تظهر في الربيع ، ويتكرر ذلك كل سنة ، وبعد ٣ أو ٤ سنوات تشدد الاعراض ويزيد الضعف الى أن يموت المريض . ومدة المرض غالبا ٥ سنوات وفي الحالات الخفيفة ١٠ الى ١٥ سنة والاطفال قليلو الاصابة به وهو يكثر بين سن الثلاثين والخمسين

وعلاج هذا الداء ان تمنع الذرة بتاتا عن المصاب ، ثم تعالج الاعراض التي عنده مثل الاسهال فيعالج بالغذاء اللبني والمواد القابضة المعروفة في الطب ، فاذا زال الاسهال يعطى المريض الاغذية الجيدة السهلة الهضم والادوية المقوية كالحديد والزرنيخ خصوصا ، وتراعى جميع الوسائل الصحية . وهذا الداء ان لم يتدارك في أول الامر استفحل واستحال شفاؤه وأدى الى الموت لا محالة وقد يموت الشخص منه ولا يصاب بالجنون

والذرة التي تحدث هذا المرض هي الذرة الشامية وجوبها كبيرة - كما هو معلوم -
وأما الذرة الرفيعة المستديرة فلم يعرف أنها تحدثه

(١) معناها الحرفي في اليونانية (المرة السوداء) لتوهمهم انها تختلط بالدم فتحدث هذا الجنون ، ومثل هذه المرة لا وجود لها . وكلمة ماليخوليا من تعريب المتقدمين

وتمتاز حبيبات نشاء القمح عن حبيبات نشاء الذرة بتكويراً كبيرها، أما حبيبات الذرة فهي كثيرة السطوح، وبهذا يمكن بالمجهر تمييز دقيق القمح عن دقيق الذرة (و) الحنظل والبقول والعدس، هذه المواد فيها زلال أكثر مما في اللحم وفيها نشاء كثير أيضاً ودهن قليل، وفيها أيضاً مادة السلولوز، فهي من أعظم ما عند النباتين من المواد المغذية، أما زلالها فيوجد فيها متحداً على الأكثر مع الكبريت والفسفور، وهو غير الجلوتين الذي بالقمح، ولولا أنها عسرة الهضم لكان للنباتين وجهه وجهه في تأييد مذهبهم (راجع أيضاً صفحة ٧١ من هذا الكتاب)

(ز) البطاطس، فيها نشاء كثير وزلال قليل ودهن قليل جداً وبعض أملاح وسلولوز، وفيها أيضاً مقدار من حامض الليمونيك إما خالصاً أو متحداً مع البوتاسيوم والصوديوم والكلسيوم، ولذلك فهي مغذية جداً نافعة في الاسكربوط

(جدول تركيب بعض الاغذية النباتية السابقة)

المواد	القمح	الشعير	القرطم	الأرز	العدس	الحنظل	البطاطس
الماء	١٣٦٦	١٣٦٨	١٣٥٤	١٣٥١	١٢٥٥	١٤٦٨	٧٦٥٠
المواد الزلالية	١٣٥٤	١١٥١	١٠٥٤	٧٥٩	٢٤٦٨	٢٣٥٧	٢٥٠
الدهن	١٥٤	٢٥٢	٥٥٢	٥٥٩	١٥٩	١٥٦	٥٥٢
النشاء	٦٧٥٩	٤٥٩	٥٧٥٨	٧٦٥٥	٥٤٥٨	٤٩٥٣	٢٠٥٦
السلولوز	٢٥٥	٥٥٣	١١٥٢	٥٥٦	٣٥٦	٧٥٥	٥٥٧
الاملاح	١٥٨	٢٥٧	٣٥٠	١٥٠	٢٥٤	٣٥١	١٥٠

(ح) الفواكه، يكثر فيها الماء وأنواع مختلفة من الحوامض والاملاح والسكر والسلولوز وغير ذلك كأنصمغ في التين مثلاً، وفي بعضها نشاء كثير كالطليخ (الموز) فهي مغذية مدرة للبول مذيبة لحامض البوليك مانعة للاسكربوط والقرص وبعض الحبوب البولية. وطبخ بعضها مما يسهل هضمها كالتفاح والخوخ، وهو قاتل لما فيها من الميكروبات وغيرها. وفي البلح والموز — فوق ذلك — مواد زلالية،

فهما من الأغذية الكاملة
وأكل الفواكه عقب الطعام يعين على الهضم لأنها تكثر عصارة الفم والمعدة
بلذيد طعمها

*) تركيب البلع

١٢٠٠٠	ماء	١٢٠٠٠	مادة صمغية
٢٠٠٠٠	سكر (من نوع سكر القصب)	٥٠٠٠٠	سلولوز
	مواد زلالية	٦٠٠٠	

**) تركيب الموز

٧٣	ماء صاف
٢٧	مواد أخرى متنوعة
أما هذه المواد الأخرى ففيها ما يأتي بالنسبة للمائة : —	
١٣٠٠٠	ماء
٤٠٢٥	مواد زلالية
٦٧٠٥٠	نشاء
٣٠٥٠	أملاح
٤٠٥٠	صمغ
٢٠٠٠	سكر
٤٠٧٥	سلولوز
٠٠٥٥	زيت ودهن

﴿ تنبيه ﴾ اعلم أن الدهن والزلال المأخوذ من عالم الحيوان أسهل هضما بكثير مما يؤخذ من عالم النبات . والعبرة في جميع الأغذية هي بما يمتصه الجسم من الأشياء المأكولة ، لا بمقدار ما في الطعام الذي يزرده الإنسان من المواد المغذية ، فانها قد تكون عسرة الهضم

(٦) الماء

مركب من الهيدروجين والأكسجين — كما سبق — بنسبة اثنين من الأول الى واحد من الثاني حجما ، وهو ضروري جدا لجميع الاجسام الحية فان ٦٤ في (*) امدنا بهذا التركيب محمد شوقي بك بكير النباتي الشهير في مصر فشكراله

المائة من جسم الانسان ماء ، وهو أيضا ضروري لجميع افرازات الجسم وليسولة الدم وتغسل ما في الجسم من الاوساخ واخرجه في مثل العرق والبول ، وبتبخره اذا خرج في العرق تتلطف حرارة الجسم

والماء عسر الهضم قليلا في المعدة بمعنى أنه يمتص منها ببطء ، ولكنه يمتص بسرعة زائدة من الامعاء ، ولذا كان الاكثار منه مع الطعام أو عقبه بقليل محدثا لعسر الهضم بسبب تخفيفه للعصير المعدي . ولكن المقادير المعتدلة منه أثناء الاكل تزيد في افراز هذا العصير ، واذا شرب الماء بمقادير كبيرة في وقت خلو المعدة من الطعام أدرّ البول وغسل كثيرا من اوساخ الجسم وزاد في سمنه بترسيب مواد شحمية فيه وكل التغيرات الحيوية في الجسم فينقص مقدار حامض البولييك المنفرز في البول وبذلك يقلل تكون الحصوات الكلوية ويغسل الصغير منها ، وكذلك يقلل تكون الحصوات الصفراوية في مرارة الكبد وقنواته

والماء ينعش الخلايا الحية فيزيد في قوة مقاومة الجسم للميكروبات المختلفة . ومن فوائده أيضا انه اذا شرب منه قليل عند القيام من النوم صباحا أحدث لنا عند المصابين بقبض الامعاء

وللماء فوائد أخرى كثيرة في استعماله في الغسل والاستحمام سنتكلم عليها — ان شاء الله تعالى — عند الكلام على النظافة

وبالاختصار انه من أكبر ضروريات الحياة بحيث ان الامتناع عن شربه أياما قليلة قاتل لا محالة ، والمزوج منه بالاشربة السكرية وغيرها كالشاي والمرق قد يغني عن الصرف

هذا ويجب الاحتراس من شرب الماء البارد عقب التعب الجسماني الشديد كأن يشرب الانسان بعد العدو ونحوه من الاعمال والرياضات المتعبة فان ذلك قد يقتل الشخص بالسكتة القلبية . وشرب الماء الحار مسكن للقيء مساعد للهضم ولكن الماء الفاتر هو من اشهر المقيئات وأبسطها

ويجب خلو الماء من جراثيم الامراض خصوصا وقت فراغ المعدة من الطعام لعدم وجود العصارة الحضية المطهرة حينئذ

(٧) الاملاح (ومن أهمها ملح الطعام وهو كلوريد الصوديوم)

هذه الاملاح ضرورية للجسم أيضا لأنها تدخل في تركيب جميع أجزاء الجسم وسوائله ويتكون منها حامض الهيدروكلوريك الضروري للهضم المعدي ، وتذيب المواد الزلالية الموجودة في الدم وغيره من سوائل الجسم ، ولولاها ارسب كثير من الزلال في الاوعية الدموية واللمفاوية فتبطل الدورة . وقلة تعاطي ملح الطعام تحدث ضعفا شديدا وتورما وفقر في الدم وموتا ، وهذه الاعراض كانت تشاهد كثيرا في بلاد فرنسا حينما كان الناس يمتنعون عن تعاطي الملح بسبب وضع ضرائب عليه . والمقادير الكبيرة من ملح الطعام مثل ملء المعلقة من أحسن المقيثات فيفيد في الاسعاف لسهولة الحصول عليه في أوقات التسمم ، وهو أيضا يحدث اسهالا اذا اخذ بكثرة . وحقن محلوله في المستقيم يزيل الديدان الخيطية منه ، ويحقن أيضا تحت الجلد وفي الاوردة بنسبة ٧٥ جرامات الى كل لتر ماء معقم عند حصول النزف — كما سبق — وفي تسمم الدم وفي الغيوبة الديابيطيسية أي الناشئة من البول السكري . والغرض من حقنه أن يخفف من تأثير السم في الجسم ويزيل بعضه بإدرار البول والا كثار من ملح الطعام قد يحدث تورما في الجسم أيضا ، خصوصا في التهاب الكلوي الحاد ، لتعسر خروج هذا الملح مع البول في هذا المرض ، فيتراكم في أنسجة الجسم ويجتذب اليه الماء الذي يتخلف فيها ويحدث الورم (edema) أما الاملاح الاخرى كفسفات الكالسيوم ومركبات الحديد فهي ضرورية لتكوين العظام وتولد الكريات الحمراء وغير ذلك . وأملاح الجير موجودة بكثرة في اللبن والبيض والخضر وهي مما ينمي عظام الاطفال ولذلك كان أكل هذه المواد المذكورة واجبا على المراضع لكيلا تصاب أولادهن بداء الكساح

(٨) التوابل والافاوية والمنبهات

يوجد غير ما تقدم مواد أخرى كثيرة يستعملها الانسان في طعامه وشرابه والغرض منها تنبيه الهضم أو الجهاز العصبي وغيره ، ومن هذه المواد الفلفل والبصل والثوم^(١)

(١) في الثوم زيت طيار فيه كبريت وهذا الزيت هو السبب في كراهة رائحته كما أنه هو السبب في كراهة رائحة الخلتيت

وأنواع البهار المعروفة والقهوة والشاي وغير ذلك

أما المواد العطرية والبهارات فالشيء الفعال فيها زيوت طيارة تنبه الاعصاب والعضلات وتكثر العصارات الهاضمة، ولكن الغلو في تعاطيها مما يؤدي الى تعب المعدة وفساد الهضم

(١) الخل — حامض مخفف معروف، يستخرج اما بالتقطير الجاف للخشب، أو بتأكسد الخمر بواسطة بعض الميكروبات فانه اذا عرضت للهواء مدة طويلة استحالته الى خل وبطل تأثيرها المعروف. وعناصر الخل (وهي الكربون والهيدروجين والاكسجين) توجد في الخشب بحالة أخرى، فاذا حلل الخشب بالنار في إناء مغلق حدث منه الخل. وهو نافع في داء الاسكريبوت الا أنه أقل فائدة في ذلك من عصير الليمون، ومن فوائده أيضا أنه يساعد الهضم ويدرب البول فهو كباقي الحوامض النباتية المذكورة آنفا

وحامض الخليك في الخل (بنسبة ٣-٦ في المئة) مختلط ببعض مواد أخرى (ب) القهوة — معروفة، وتسمى حبوبها بعد تحميصها ودقها « البُن » وهو الذي يوضع في الماء المغلي ويشرب. وفي القهوة مادة آروية وقهوين ودهن وسكر وحامض التنيك (الدبغ) وسلولوز وأملاح. أما القهوين فهو أهم ما فيها وفائدته تنبيه المخ فيقلل النوم، وهو أيضا يقوي العضلات وضربات القلب ويدرب البول، فلذا يستعمله الناس لازالة النعاس ولتنبيه المخ للأعمال العقلية وفي بعض أمراض القلب. والقليل من القهوة أيضا يحدث في بعض الأشخاص لينا ولكن الاكثار من تعاطيها يحدث عسرا في الهضم وينهك القوى العصبية، فيحدث أرقا وخفقانا وتقطعا في ضربات القلب، فلذا يجب عدم الافراط في شربها. وأحسن وقت لاستعمالها أن يشربها الانسان اذا أحس بالنعاس بعد أن يستوفي الجسم الراحة التي يحتاجها من النوم وغيره. وشرب القليل منها عقب الطعام يساعد على الهضم، خصوصا بما فيها من الحرارة. وحامض التنيك الذي فيها من أشد المواد القابضة فاذا أخذت القهوة بمقدار زائد أحدثت قبضا بدلا من اللين المذكور والقهوة بما فيها من حامض التنيك والقهوين من أحسن ما يستعمل ترياقا للتسمم

بالأفيون، ويصح حقنه بمقادير كبيرة في المستقيم عند المسموم به إذا كان في حالة الغيبوبة (ج) الشاي — مثل القهوة في التركيب تقريبا ، وفائدته كفائدها ويصح

استعماله مع اللبن في الاسهال والدوسنطاريا فانه يحدث قبضا

وطريقة صنعه هو أن يغلى الماء غليسا جيدا ثم يجعل على ورق الشاي بضع دقائق فيخرج منه قيع مشتمل على المواد النافعة في الشاي ويقل بذلك نزول حامض التيك في القيع بخلاف ما إذا غلي في الماء، ونظرا لكونه أشد صفاء من القهوة جاز استعماله أكثر منها في الاسهال ونحوه لعدم وجود راسب فيه تؤذي الأمعاء. وحكم الاكثر منه أو الادمان عليه كحكم القهوة الا أنه يحدث النكد في الاسنان (د) الكافور — حبوب شجرة مخصوصة تنبت كثيرا في جزائر الهند الغربية.

ويدخل في تركيبها الماء والزلال والثيوبرومين^(١) والدهن والنشاء وبعض أملاح وصمغ وسلولوز. وليس في الكافور (تين) ولذلك لا يحصل منها القبض الذي يحصل من القهوة والشاي

والثيوبرومين مادة تشبه القهوين والشاين في تركيبها وتأثيرها غير أنها تؤثر في المجموع العضلي أكثر من تأثيرها في المجموع العصبي، ولذلك يشعر الانسان بقوة في جسمه وعضلاته بعد تعاطي الكافور، وهو أيضا مدر للبول، ونظرا لاشتمال الكافور على كثير من الدهن (نحو ٥٠ في المائة) تعد من الاغذية النافعة، وفيها أيضا نشاء كثير. ومن الكافور تصنع (الشوكولاتا) وذلك بإزالة جزء من دهنها ثم يضاف عليها السكر وبعض مواد أخرى عطرية وغيرها فلذا كانت (الشوكولاتا) مغذية منبهة.

وكلمتا « كافور » و « شوكولاتا » مكسيكيتان

ودهن الكافور أو زبدته يستعمل طبيا في صناعة الاقماع الشرجية التي تلبس لازالة بعض الآلام والامراض التي في الشرج، والسبب في اختيار هذه الزبدة هو أنها تذوب بحرارة الجسم الطبيعية

(هـ) المياه الغازية — مثل ماء الصودا والغازوزة — أهم ما فيها الماء مع

(١) لفظ يوناني معناه الحرفي (إله الطعام)

غاز ثاني اكسيد الفحم. وشربها منه للهضم مسكن لآلام المعدة وللقى، ويجب أن تعمل من ماء نظيف لكيلا تنقل الى الانسان ميكروبات الامراض. على أننا نعلم أن ثاني اكسيد الفحم مع الضغط الشديد يقتل كثيرا من الميكروبات التي في الماء

(و) الخمر — يستعملها الناس أيضا للتنبيه والانعاش، وقد سبق الكلام عليها فلا حاجة للتكرار. وإنما نقول كلمة في كيفية صنعها، فهي نوعان: أحدهما أنها تعمل بتخمير بعض أنواع السكر المستخرج من الفواكه وغيرها كالشعير المستعمل في الجعة (البيرة) والنوع الآخر يستخرج بالتقطير بعد التخمير. فمن أمثلة النوع الاول الخمر التي يسمونها الآن النبيذ^(١) والبيرة، ومن أمثلة النوع الثاني الكونياك والوسكي. وأهم ما في النوعين هو الغول (الكحول) ولكن فيها مواد أخرى بعضها ينشأ من التخمير والبعض الآخر أصله مما في الفواكه وغيرها

ومن الخطأ الشائع اعتقاد أن شرب البيرة نافع فقد قرر الاطباء أنها ضارة بباقي أنواع الخمر، زد على ذلك أنها تهيج الجسم أكثر من بعض الأنواع الأخرى لمرض القرس والروماتزم والسمن الرائد وشربها بكثرة يفسد الهضم. ويضاف عليها حشيشة الدينار وهي مما يخر الأصاب فتحدث ثقلا في الدماغ وميلا للنوم الكثير وفيها مواد أخرى تنشأ أيضا أثناء التخمير وهي ضارة بالجسم ضررا بليغا (ز) الدخان — يسمى بالطباق أو التبغ (Tobacco) وبالتن، وهو ورق شجرة معروفة. أعظم مادة مؤثرة فيه تسمى النيكوتين (Nicotine) نسبة لرجل يسمى «نيكوت» (Nicot) وهو الذي جلبها لفرنسة في سنة ١٥٦٠ ومادة النيكوتين من أشد السموم فعلا وأقواها تأثيرا وسرعة، وهي تكثر اللعاب وقد تحدث اسهالا وقيئا وهودا (هبوطا)، والاكثر من التدخين قد يحدث التهابا في الحلق وإقهاء (فقد شهوة الطعام) وتقطعا في ضربات القلب وخفقانا ونزلة حنجرية والتهابا في

(١) النبيذ من الشراب هو قبيح التمر والزبيب ونحوهما وهو اذا طال العهد على قنعه يخمّر فيصير مسكرا. ولهذا اختلف الفقهاء في حل شربه. وأما الخمر التي تسمى في عرف هذا العصر نبيذا فهي المحرمة بالاجماع. وقد اشبع المنار الكلام في ذلك من عهد قريب

العصب البصري يؤدي الى ضعف في النظر وضهور في هذا العصب ، وكثيرا ما يعجز الشخص المكثّر منه عن تمييز الاحمر من الاخضر ولا فائدة فيه الا أنه منه المخ مريح للعقل عند كثير من الناس

هذا وقد زعم بعض المؤلفين أن الدخان لا يؤثر في النظر الا اذا كان الشخص من المدمنين للخمر أيضا . والحق أن كلا منهما كاف بمفرده لاحداث هذا التأثير في النظر فتجد أن المدمن للتدخين أو لشرب الخمر (وخصوصا من يواظب على شرب مقادير صغيرة يوميا ومتكررة بحيث لا يسكر منها) اذا بلغ عمره ٣٥ - ٥٠ سنة لا يقدر على القراءة أو الكتابة ونحوهما ، ويضعف نظره للاشياء كلها خصوصا في النور الشديد ، ويعجز عن تمييز الالوان - كما سبق - وهذه الاعراض تبتدىء عنده بسرعة الا أن حصولها كلها لا يتم الا تدريجيا بعد مضي عدة أسابيع أو أشهر من مبدئها ، وهي كثيرة الحصول للاشخاص الذين يجمعون بين ادمان الخمر والدخان وان كان كلا منهما وحده كاف لاحداثها - كما قلنا - أما الذين يسكرون أحيانا وفي الفترات لا يدخنون ولا يشربون خمرافهم أقل تعرضا لتلك الاعراض

واذا لم يستفحل الداء ولم يزمن ، فمجرد الامتناع عن الخمر والدخان كاف لتحسين الحال أو الشفاء ، ومما يساعد على ذلك استعمال يودورالبوتاسيوم ، وحقن الاستركنين في الصدغ أو تعاطيه من الباطن ، والحجامة الجافة والرطبة ، والحمام الساخن للاقدام ، ومراعاة القوانين الصحية كافة خصوصا ما به اصلاح المعدة ، والاستغراق في النوم . ولا بد من المواظبة على ذلك زمنا طويلا مع عدم العودة الى شرب الدخان أو الخمر مطلقا وفي مبداء هذا المرض ربما لا يشاهد تغيير مآفي قاع العين - اذا امتحن -

ثم توجد فيه أشياء يراها الاخصائيون بمنظار العين (Ophthalmoscope) والتغير الذي يحصل في هذا المرض هو كالذي يحصل في الكبد والمخ مثلا لمدمن الخمر فتضمر الالياف العصبية بسبب الضغط عليها بالمواد الاتهابية وبما زاد في المنسوخ الضام الذي بينها ثم ينقبض عليها ويفسدها

طبخ الطعام

الطبخ نافع لاسباب عديدة (منها) أنه يقتل الميكروبات والديدان ونحوها فيقي الجسم من أمراضها (ومنها) انه في الماء كل النباتية يشقق طبقات السلولوز التي تحيط بنشائها ، وبذلك يسهل هضمها (ومنها) أنه في اللحوم وغيرها من المواد الحيوانية يذيب بعض المواد المخصوصة العسرة الهضم جدا ، على أنه يجمد المواد الزلالية التي فيها أيضا إلا أن هذا أخف وطأة من المضار الأخرى التي تنشأ من أكل اللحم نيئا . (ومنها) أنه يفرق الألياف العضلية للحم بتكون فقائيع من البخار بينها ، وبذلك يسهل هضمها ، ويتجمد المواد الزلالية يسهل مضغها . وسخونة الطعام نافعة للهضم ، منعشة للجسم

وإذا أريد الحصول على مرق من اللحم مغذ قطع اللحم إلى قطع صغيرة ووضع في الماء البارد ثم سخن بالتدريج شيئا فشيئا إلى أن يغلي ؛ أما إذا أريد الاحتفاظ بالمواد الغذائية وبقاؤها في اللحم دون المرق فيغلى الماء غليا شديدا ثم يوضع فيه اللحم أثناء الغليان ، فإن ذلك يجمد المواد الزلالية في الحال ويكون طبقة تحيط باللحم تمنع نزول المواد المغذية في الماء ، ولذلك كان المرق المصنوع بهذه الطريقة قليل النفع

اوقات الطعام وقوانينه

سبق أن الطعام يمكن في المعدة أربع ساعات في الغالب . ويختلف هذا الوقت باختلاف قدر الطعام ونوعه ، والصحة والمرض ، والراحة والتعب ، ونوع الهواء المستنشق وغير ذلك . ولذا تعود الناس أن يأكلوا مرة كل ٥ أو ٦ ساعات ، وهي طريقة حسنة لا اعتراض عليها ، ولكن يجب أن يراعي الإنسان فوق ذلك - في مسألة الأكل عدة أمور (١) أن لا يأكل إلا إذا جاع ، وبعبارة أخرى أن لا يدخل طعاما على طعام فإن ذلك يفسد الهضم (٢) أن لا يأكل الإنسان عقب تعب شديد (٣) أن لا يجهد نفسه بعد الطعام في عمل جنائي أو عقلي فإن ذلك يصرف الدم عن المعدة إلى الأعضاء العاملة فيتعطل الهضم . وعليه فمن الخطأ المذاكرة أو الجري أو الجماع عقب الأكل مباشرة . وأضرها الجماع فإن الصدمة العصبية التي تحدث (المنار : ج ٤) (٣٧) (المجلد الثامن عشر)

للجسم منه قد تقتل الشخص بالسكتة القلبية لاسيما اذا كان القلب مريضاً والتعب الذي يعقبه مفسد للهضم . ويلحق بذلك أيضا الاستحمام عقب الاكل فانه ضار أيضا بسبب توجه الدم الى الجلد اذا كان الماء ساخناً ، أما اذا كان بارداً فان حركة المعدة والقلب تضطرب بسبب البرودة ، ثم يذهب الدم عن المعدة حينما تتمدد أوعية الجلد بسبب رد الفعل المعتاد عقب الاستحمام بالماء البارد فتتعب هي والقلب . وكذلك لا تحسن المذاكرة عقب الطعام الا بعد ساعة على الأقل (٤) ان لا ينام الانسان عقب الطعام مباشرة فان النوم يضعف حركة جميع أعضاء الجسم ومنها المعدة فيتعطل الهضم ويضيق النفس . نعم ان الراحة عقب الطعام نافعة ولكن الاستغراق في النوم هو الضار ، ومن المستحسن جداً أن يعود الانسان تناول الفطور في الصباح مع قليل من القهوة أو الشاي ، فان ذلك يقوي الجسم والهضم حتى انه شوهد في البلاد التي فيها حمى الملاريا (النافض) قلة اصابة الاشخاص المتعودين فعل ذلك في الصباح وحسن بنيتهم (٥) أن لا يشرب ماءً شديد البرودة على طعام شديد السخونة

اما الاكثار من الطعام زيادة عن المعتاد فيحدث ضعفا في المعدة وتمددا فيها ، وفسادا في الامعاء ، واحتقاناً في الكبد ، ويتعب السكلي ، ويحدث داء النقرس ، واذا كان الطعام الزائد شحماً أو سكرياً أو نشاءاً فقد يحدث سمنة زائدة وانحلالاً في العضلات أو بولاً سكرياً من كثرة النشاء وانسكر

والامتناع عن أكل الدهن والشحم البتة يضعف الصحة
أما الامتناع عن المواد السكر بوهيدراتية (النشاء والسكر ونحوهما) فيضطر البنية الى احراق ما فيها من الشحم فيتولد من ذلك حوامض شحمية ومركبات عضوية من قبيل حامض الزبدليك (Butyric) وهذه الحوامض تقلل قلووية الدم . فان كان الشخص مصاباً بالبول السكري (الديابيطس) ^(١) فقد يحدث له الغيبوبة التي تكون سبباً في موته لذلك يرى أعلم الاطباء الآن أن الامتناع المطلق عن أكل تلك المواد في هذا المرض كما كان متبعاً من قبل - خطر جداً ، ولذلك قلنا ان غسل النحل

(١) كلمة يونانية معربة معناها يقرب من معنى كلمة البول أي كثرة البول

نافع في هذا المرض لانه يغني عن تلك المواد الكربوهيدراتية ، وهو من أسهلها مضما ، والقليل منه يكفي (راجع صفحة ٨٨ من هذا الكتاب)

واذا أريد تقليل سمن شخص ، صاب بالتشمع العام وجب عليه الامتناع عن المواد الدهنية والسكر بوهيدراتية بقدر الامكان ، والاكثر من تعاطي المواد الزلالية فانها تزيد احتراق أنسجة الجسم . وهذه الطريقة تسمى طريقة بنتنج Banting^(١) أما قلة الطعام فانها تحدث ضعفا في الجسم وتقلل قوة مقاومته للميكروبات ، فان من المعلوم أن السكريات البيضاء تزيد عقب الاكل فتكون قوة الجسم على مقاومة الميكروبات أكبر ، فاذا قلت هذه السكريات بالصوم ضعف الجسم وربما صار عرضة لبعض الامراض . نعم ان الصوم عن الطعام نافع في أمراض المعدة والأمعاء والكبد والكلية وحصواتهما والتقرس والروماتزم (الرثية) والحميات وأمراض القلب وغير ذلك ، الا أن الغلوفيه له هذا الضرر الذي ذكرناه ، ولذلك نص الشارع صلى الله عليه وسلم على وجوب الاعتدال في كل شيء ، ونهى عن صوم الدهر وعن الوصال في الصيام واستحب السحور وتأخيرته وتعجيل الفطر وقد قال (ص) لمن نهاه عن كثرة الصيام والقيام (ان لبدنك عليك حقا)

ومما يخفف ضرر الصوم عند المسلمين أن يباح لهم أن يتعاطوا كل ما أرادوا ليلا فلذلك كان الضرر الناشئ من الضعف في أثناء النهار قليلا أو معدوما وبجانبه نفع يفوق كثيرا هذا الضرر وذلك هو إراحة الجهاز الهضمي والكبد والجهاز البولي واحراق ما في الجسم من الزيادة الضارة وغير ذلك مما ذكرناه ، ولكن يجب الاحتراس من ملء المعدة عقب الافطار مباشرة فان الجسم تكون قواه في ذلك الوقت ضعيفة وكذلك المعدة . فالواجب طيبا أن يأكل الانسان أو يشرب شيئا قليلا ثم يعود الى إتمام الاكل بعد صلاة المغرب كما كان يفعل رسول الله (ص)

ولما كان الصوم نافعا من الوجهة الدينية والاخلاقية اغتفر الشارع ذلك الضرر القليل أو المشكوك فيه في جانب نفعه العظيم

(١) كان نجارا من اهالي لندن ، أوصي الجمهور بهذه الطريقة سنة ١٨٦٣ وعاش

ومما يححو ذلك الضرر الابتعاد عن ملاقة المرضى وكل ما لهم أثناء النهار،
وصرف الوقت في النوم بقدر الامكان، ولذلك يستحب عندنا في الشريعة الاسلامية
النوم للصائم فانه فضلا عن فائدته الطبية بإراحته الجسم وتوفير قواه يقي الانسان من
اللفو والرفث ولذلك ورد في بعض الآثار (نوم الصائم عبادة)

الجهاز البولي ووظيفته

لا يختلف هذا الجهاز في الذكور والاناث الا في الاحليل (مخرج البول)
وهو في كل منهما مركب مما يأتي : —

(١) الكلتيان وهما عضوان مخصوصان لافراز البول موضعهما في القسم القطني
من البطن خلف البريتون على جانبي العمود الفقري ويمتدان من الفقرة الاخيرة الظهرية
الى الثالثة القطنية، والغني منهما منخضة قليلا عن اليسرى بسبب وجود الكبد في
هذه الجهة ، وطول كل منهما نحو أربع بوصات، وعرضهما نحو بوصتين ونصف
والكلية عبارة عن منسوج مخصوص مركب من أنابيب كثيرة العدد لافراز
البول من الدم ، والدم يأتي اليها بشرىان عظيم متصل بالاورطى (الابهر) مباشرة ،
ويتفرع هذا الشريان في الكلية الى عدة فروع يخرج منها فروع دقيقة جدا
تنتهي بعمل أشكال كروية تسمى كريات مالبيغي ^(١) (Malpighi) يحيط بها
مبدأ أنابيب الكلى، وكل أنبوبة بعد تعرجها عدة تعرجات تصب في أنابيب
أخرى مستقيمة ، وهذه الانابيب تنفتح في قمم حلقات صغيرة (عددها من ٨
الى ١٨) توجد في بطن الكلية حول تجويف مخصوص يسمى « الحويض الكلوي »
وهو مبدأ للحالب

(٢) أما الحالب فهو عبارة عن أنبوبة تمتد من الكلية الى المثانة وتحمل البول
اليها، وينفتح في قاع المثانة بانحراف، أغنى أنه يسير قليلا في جدارها بين غشائها
الخاطي والطبقة العضلية، وذلك لمنع رجوع البول فيه بانطباقه على نفسه بسبب ضغط
البول عليه حينما تمتلأ المثانة به. وكل من الحالبين مركب من منسوج ليفي ومنسوج

(١) مشرح إيطالي عاش في بولونيا (Bologna) بين سنة ١٦٢٨ و ١٦٩٤

عضلي وغشاء مخاطي، والغرض من المنسوج العضلي أن يدفع البول نحو المثانة (٣) أما المثانة فهي كيس يسم نحو نصف لتر من البول في امتلائه العادي، وموضعه في الحوض خلف العظم العاني وفي أسفل الجدار الامامي للبطن. والمثانة مركبة من عدة طبقات أهمها الطبقة العضلية والطبقة المخاطية، وفائدة الطبقة العضلية هي قذف البول الى الخارج، وهذه الطبقة العضلية مركبة من ثلاث طبقات: خارجية، وداخلية (والياهما تمتد من الامام الى الخلف غالبا) ووسطى، والياهما حلقية تحيط بالمثانة، وعند فتحة المثانة في الاحليل تتجمع من هذه الطبقة الوسطى الياف كثيرة تسمى « العضلة العاصرة للمثانة » وهي التي تمنع البول من السلس

(٤) أما الاحليل فهو اسم لجرى البول في كل من الذكور والانثى، وهو - طبعا - أطول في الذكور منه في الانثى. أما فتحة في الانثى فهي فوق فتحة المهبل الذي هو عبارة عن مكان الجماع ومخرج دم الحيض والجنين

أما كمية البول فهي في اليوم نحو ١٥٠٠ سنتمترا مكعبا. وهذه الكمية تختلف أيضا باختلاف مقدار الشرب وحرارة الجو وقوة القلب وبعض المواد المأكولة، فإذا اشتدت حرارة الجو مثلا كثر افراز العرق وبذلك يقل البول، وإذا شرب الانسان مقدارا عظيما من الماء أو تعاطى بعض المواد المدرة للبول فإن هذه الكمية تزداد والبول حمضي التأثير في ورق عباد الشمس، هذا في الحيوانات. أما في النباتيين فإنه قلوي التأثير. وإذا ترك البول في اناء مدة من الزمن تحولت (البولينا) التي فيه بفعل الميكروبات الى كربونات النوشادر وصار البول قلوي التأثير، وهذا هو سبب رائحة النوشادر فيه

والثقل النوعي للبول يختلف من ١٠١٥ الى ١٠٢٥ وفي البول السكري يزداد هذا الثقل النوعي كثيرا

والبول مشتمل على مواد كثيرة أهمها الماء والاملاح وبعض المركبات العضوية الاخرى كالبولينا

أما جل الماء والاملاح فتفرز بواسطة كريات مالفيني، وأما باقي المواد الاخرى فتفرزها أنابيب الكلى المتعرجة أثناء سير الدم في الاوعية الشعرية التي حولها

والبول الطبيعي خال من السكر ومن الزلال تقريبا فلا يوجد فيه شيء منها
 يذكر^(١) إلا في أحوال مرضية ، والسكر الذي يوجد حينئذ فيه هو سكر الغلب
 ولا يوجد فيه سكر اللبن الا في المراضع . وأهم سبب لوجود الزلال فيه هو التهاب
 الكلئ المسمى داء بریت (Bright)^(١) الذي يفسد خلاياها خصوصا خلايا
 كريات ماليني . وأهم ما يحدث هذا الداء التعرض للبرد الشديد . خصوصا عقب
 الإفراط في السكر أو الحماض ، أو الإصابة بالحُميات العفنة كالقُرْمِزِيَّة . وهذا الداء من
 أضر ما يحدث للجسم ، وهو سبب في موت كثير من الناس . وهناك مرض آخر منتشر
 في الجهاز البولي في مصر يسمى «داء بلهارس» سنتكلم عليه عند الكلام على الديدان
 وإذا أراد الإنسان التبول صدر من النخاع الشوكي تيار عصبي إلى المثانة
 فانقبضت ، وإلى عضلات البطن فانقبضت أيضا ، وفي أثناء انقباضها ترتخي العضلة
 العاصرة لعنق المثانة فيخرج البول الا اذا عاقه عائق كحصاة تكونت في المثانة
 وقد تتكون الحصيات في انابيب الكلئ نفسها وتكون حينئذ صغيرة جدا
 كحبات الرمل ، أما الحصيات الكلوية التامة فتكون غالبا في أعلى الحالب أي في
 الحويض الكلوي وهي السبب في حصول الآلام القطنية عند المصابين بها ، فاذا نزل
 جزء منها في الحالب اشتد المغص بالمصاب إلى درجة مفزعة ، ولا يزول غالبا الا اذا
 عادت الحصاة إلى الحويض أو نزلت في المثانة ، أما إذا وقفت في الحالب وسدته
 تراكم البول خلفها وضغط على منسوج الكلية فأثله وإذا طالت مدته استحالت
 الكلية إلى كيس عظيم . وأهم هذه الحصيات هي حصيات حامض البولييك
 الذي يكثر بتعاطي المواد الزلالية مع قلة الحركة الجنسية — كما قلنا — ولا
 علاج للحصاة بعد تكونها الا بالعمليات الجراحية ما لم تكن صغيرة وتخرج بنفسها
 مع البول . وأحسن المخترعات الحديثة لمعرفة مكانها وشكلها وحجمها هو أشعة

(١) في البول الطبيعي ١ في ١٠٠٠٠ من السكر ، وأثر من الزلال ، وكلاهما
 يتعذر ادراكه بالطرق الكيميائية المعتادة

(٢) هو ريتشارد بریت (Richard Bright) الانكليزي عاش بين سنة

١٧٨٩ و ١٨٥٨ ميلادية

رونتجن (Röntgen) فإنها تظهر ما في الجسم من الاجسام الصلبة كالخصيتين والعظام والاشياء الغريبة كالأرصاص - وسيأتي الكلام عليها -
والخلاصة ان وظيفة الكلية هي إفراز المواد المتخلفة من الاحتراق الداخلي للجسم لان بقاء هذه الفضلات فيه ضار به جداً ، وإذا بطلت هذه الوظيفة بسبب فساد الكليتين نشأ عن ذلك الموت لتسمم الجسم بالمواد البولية ، ولذلك يسمى هذا التسمم بالتسمم البولي (Uraemia) وبعبارة أصح « تسمم الدم بالبول »

الجهاز التناسلي ووظيفته

هذا الجهاز — وان اختلف في الظاهر في الذكر والانثى — هو واحد في منشئه وتركيبه ، ولذلك قال ابن سينا^(١) في قانونه ان آلة التوليد في الاناث « كأنها مقلوب آلة الذكرا » وهو تعبير يقرب المسئلة الى الفهم وان لم يكن حقيقيا على اطلاقه
اعضاء الذكر

القضيب والصفن المشتمل على الخصيتين والقناة الناقلة والحويصلات المنوية والبروستاتا وغيرها مما سيأتي

أما القضيب فهو مركب من ثلاثة اجسام اسطوانية الشكل : اثنان منها في أعلاها ، والثالث في أسفلهما . ومنسوج هذه الاجسام الثلاثة يشتمل على تجاويف عديدة اذا احتبس فيها الدم بسبب ضغط العضلات على الاوردة حصل الانتصاب ، والجسم الاسطوانى الاسفل هو الذي فيه الاحليل (أي مجرى البول)

ومركز الانتصاب في (الانتفاخ القطني للنخاع الشوكي) الذي يقابل الفقرتين أو الثلاثة الاخيرة من الفقار الظهرية

والحشفة متصلة بالقسم الاسفل من تلك الاجسام الاسطوانية ، ويغطي الحشفة

(١) هو الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا الفيلسوف العربي الشهير ، ولد بقرب بخارى سنة ٩٨٠ ميلادية وتوفي سنة ١٠٣٧ م (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) وله مؤلفات عديدة جاوزت المئة ، وكان كتابه في الطب المسمى (القانون) معولا عليه حتى في أوربة عدة قرون ، وترجم الى عدة لغات ، وطبع بالعربية في رومة سنة ١٥٩٣ م (١٠٠١ هـ)

جلدة تسمى القلفة ، وهي التي تقطع في الختان

وفائدة الختان منع تراكم الافرازات تحت القلفة وكذلك تسهيل معالجة ما ينشأ في الحفشة من الادواء، ومن فوائدها أيضا تعريض الحشفة نفسها لشدة الاحساس فتقوى الشهوة ويكون الالتذاذ بالجماع اكمل. وفي بعض الاشخاص قد تكون فتحة القلفة ضيقة فيتعسر خروج البول ويتسبب من ذلك كثرة الزحير فيصاب الشخص بمثل سقوط المستقيم أو الفتق الشري أو الأزبي وغير ذلك وضيق الفتحة هذا هو من أكبر الأسباب لهذه الامراض خصوصا في الاطفال ولا دواء له الا الختان، وتراكم الافرازات قد يؤدي الى جلد عميرة والتهاب الحشفة والصاقها بالقلفة ، ويهيئها لقبول الامراض الزهرية بل والسرطانية في الشيوخ. ولذلك كان الختان عند فقهاء المسلمين سنة مؤكدة وعند بعضهم واجبا ، ولكنه عند اليهود فرض لا هوادة فيه

الصفن: وهو الجلدة المعروفة التي تشبه الكيس وفيها الخصيتان. أما الخصيتان فهما غدتان كبيرتان كحجم البيضة مختصتان بإفراز الحيوانات المنوية . أما تركيبهما فهو كما يأتي: يحيط بالخصية غشاء سميك يخرج منه عدة جدران تقسم الخصية الى عدة أقسام ، وفي هذه الاقسام توجد أنابيب طويلة ورفيعة جدا يبلغ عددها نحو ٨٤٠ (وقيل ٣٠٠) وطول كل منها نحو من قدمين وربع وقطرها صغير جدا وهي ملتفة على نفسها ومبطنة من داخلها بخلايا مخصوصة تتحول بالتدريج الى الحيوانات المنوية أما هذه الحيوانات المنوية فكل منها عبارة عن خلية واحدة، لها رأس وجسم وذنب ، ورأسها هو نواة الخلية، ولها حركة سريعة جدا ، وإذا رآها الانسان بالميكروسكوب ظنها ديدانا دقيقة أو علقا ، وتعيش مدة بعد خروجها من الانسان ، وشكلها يختلف باختلاف الحيوانات المتنوعة وأقرب الاشكال شيها بحبيوب الانسان حبيوب مني القرد. وإذا انفصلت هذه الحيوانات من خلايا الانابيب سارت فيها، وهذه الانابيب تتجمع شيئا فشيئا الى ان تتكون منها قناة واحدة تسمى «بالقناة الناقلة» والدم الوارد الى الخصيتين يأتيهما بشريانين رقيقين طويلين يخرجان من الابهر الممتد من القلب خلف الترائب الى نهاية الصلب تقريبا (والصلب هو السلسلة الفقرية

[المنار: ج ٤ م ١٨] خروج المني من بين الصلب والترائب. الودي والمذي ٢٩٧

كما سبق (وهذا الدم يغذي الخصية فتتقسم خلاياها بعد ان تتغذى به وينشأ من انقسامها هذه الحيوانات المنوية . وعلى ذلك فأصل المني أو دمه يخرج كما قال تعالى (من بين الصلب والترائب)^(١)

أما هذه القناة الناقلة التي يحبس بها الانسان في الصفن كجبل صلب فهي تحمل المني الى جدران البطن ثم تدخل البطن ولسكنها تبقى خارج البريتون وتستمر في سيرها الى أسفل المثانة وتكون بينها وبين المستقيم^(٢) وهناك تتحد بقناة الحويصلة المنوية التي في الجهة الوحشية منها ، ويتكون من اتحاد القناتين قناة واحدة تصب في مجرى البول بعد خروجه من المثانة بقليل وتسمى (بالقناة القاذفة)

أما الحويصلة المنوية فهي كيس صغير كأنبوبة ملتفة على نفسها ولها في جوانبها عدة فروع ، وهي تفرز سائلا لزجا يضاف الى المني لتسهيل حركة الحيوانات فيه ، وفي هاتين الحويصلتين يتجمع المني الى حين قذفه عند الجماع ونحوه ، فهما مستودعان له

البروستاتا (وهي كلمة يونانية معناها الإِمام) يحيط بمبدأ مجرى البول بعد عنق المثانة خلف العظم العاني وتحتة ، وهو يفرز مادة تضاف الى المني تسمى بالودي^(٣) وتنبعث منه بعدة أنابيب تصب في مجرى البول أثناء مروره في البروستاتا ، وهذا العضو كثيرا ما يصاب بالضعامة في الشيوخ فيحدث عندهم عسر البول واحتباسه

وهناك غدتان صغيرتان في العجان على جانبي مجرى البول لها افراز مخصوص يسمى بالمذي وهو السائل الذي ينزل عند المداعبة ، وفائدته تليين

(١) الترائب هي عظام الصدر تطلق على الذكر والانثى وان كان يغلب استعمالها في الانثى ومنه قول امرئ القيس (ترائبها مصقولة كالسجنجل)

(٢) لذلك يكثر الاحتلام عند امساك البطن أو عند امتلاء المثانة بالبول ، فلذا يجب اطلاق البطن والتبول قبل النوم لمنع ذلك

(٣) هو ما ينزل أحيانا بعد البول ومن أشهر اسبابه واكثرها شدة الميل الى النساء مع عدم الوصول اليهن ، والتحرق عليهن

(المنار : ج ٤) (٣٨) (المجلد الثامن عشر)

قناة البول لتسهيل سير المني فيها ، وتيسير إيلاج القضيب في الفرج عند الجماع . وهاتان الغدتان تسميان غدتي (كوبر) « Cowper » والقذف يحصل باقتباس الالياف العضلية التي في المجاري المنوية وحولها ، فان في كل هذه الاجزاء المذكورة كثيرا من المنسوج العضلي

ويتبدى تكون الحيوانات المنوية عند البلوغ ، وهو يحصل عادة في بلادنا بين السنة ١٢ و ١٦ وقد يبلغ بعض الغلمان في التاسعة من عمرهم ، وآخرون في السنة ١٨ واذا بلغ الشخص خشن صوته ونبت الشعر في وجهه وعاتقه ووجد فيه الميل الطبيعي للأنثى . ويستمر افراز المني الى أواخر العمر ، فقد عرف ان بعض الشيوخ رزقوا بالولد في سن الثمانين بل بعد المئة ، ولكن الميل الشهواني يضعف عادة في الانسان كلما كبر ، وقد يزول في الصغر لضعف أو مرض أو غيرهما ، ويكون حينئذ قاصرا على الميل النفسي وان كانت القوة الجثمانية نفسها ضعيفة أو مفقودة بسبب ضعف الانتصاب أو عدمه

اعضاء الانثى

تبتدى هذه الاعضاء من الخارج الى الداخل بالفرج ، وأجزاؤه هي (١) جبل الزهرة (١) وهو القبة التي في أعلاه وعليها ينبت الشعر (٢) الشفران الكبيران ، وهما الممتدان من جبل الزهرة الى ما يسمى بالشوكة وهي الغشاء الذي يجمع بينهما عند أسفلهما . وهذه الاجزاء مركبة من جلد وشحم مع جزء من المنسوج المسمى بالخلاوي ، وفيها غير ذلك أعصاب وأوعية وغدد وألياف عضلية . والشفران في الانثى يقابلان الصفن في الرجل (٣) الشفران الصغيران ، وهما قطعتان صغيرتان من الجلد بين الشفرين الكبيرين ويعرفان عند عامة النساء في مصر بالورقتين ، يمتدان في أعلاهما الى البظر (٤) البظر وهو جسم صغير يقابل في الذكر القضيب ، وهو مثله في تركيبه ونشوته ، غير أنه مركب من جسمين اسطوانيين فقط ، وله رأس كرأس الذكر ، ولكنه (١) الزهرة هي ما يسميها الرومان Venus (فينس) وهو الكوكب المعروف ببهاثة وجماله ، وكانوا يزعمون انه (إله الحب) والى هذه القطعة من الفرج تنسب الامراض الزهرية الناشئة من الزنا غالبا

غير مثقوب ، ولا يوجد فيه الجسم الثالث الذي للرجل ، والبطر عضو حساس خصوصا رأسه ويتحرك بالشهوة وينتصب كالذكر تماما . ولذلك اعتاد الشرقيون من قديم الزمان أن يقطعوه وحده أو مع الشفرين الصغيرين ، وتسمى هذه العملية بعملية الخفض ، وهي مستحسنة في الشريعة الاسلامية لانها مما يقلل ثوران الشهوة عند النساء وخصوصا في البلاد الحارة

(٥) غدد (بارثولين) وهما غدتان صغيرتان على جانبي فتحة الفرج تفرز كل منهما مادة لزجة صافية تشبه المذي ، وهي تسيل مثله عند تحرك الشهوة في النساء (٦) العذرة (غشاء البكارة) وهو غشاء يسد فتحة الفرج كلها أو بعضها ، ولكنه له في الغالب فتحة أو أكثر لنزول دم الحيض ، وله أشكال عديدة أكثرها الهلالي والحلقي ، وقد يكون معدوما بالمرة من أصل الحلقة . وإذا كان هذا الغشاء مسدودا بالمرة امتنع دم الحيض من النزول فيتراكم في الرحم وينشأ منه أعراض مخصوصة يعرفها الاطباء ، وتسمى المرأة المصابة بهذه العاهة بالارتقاء . وعند تمزق هذا الغشاء في العذارى يخرج منه مقدار من الدم كما هو معروف ، ويسمى هذا التمزيق بالافتقاض . وفي تمزيقه بالاصبع خطر فقد يتمزق معه المهبل وربما يفضي ذلك الى الوفاة

هذه هي أعضاء المرأة الظاهرة

أما أعضاؤها الباطنة فتبتدى بالمهبل ، وهو أنبوبة عضلية موصلة بين الفرج والرحم ، ولها فتحة مسدودة بالغشاء المذكور وفي أعلى هذه الفتحة يوجد الصماخ البولي ، أي فتحة البول الواصلة الى المثانة . والمثانة في النساء فوق المهبل

ووظيفة المهبل هي أن يكون محلا للجماع ومخرجا للجنين ودم الحيض أما الرحم فهو جسم كثري الشكل ، عضلي سميك أجوف ، له فتحة في المهبل وفيه فتحتان أخريان لأنبوبتين تسميان بوقي فالوبيوس^(١) لحمل البويضات الى الرحم

(١) هو جبريل فالوبيوس (Gabriel Fallopius) المشرح الشهير ، كان من أهالي بادوا (Padua) بقرب مدينة البندقية ولد سنة ١٥٢٣ ومات سنة ١٥٦٢ وهو أول من وصف هذين البوقين وصفا دقيقا

أما (البوقان) فبطنان من الداخل بغشاء مخاطي له أهداب، وطول كل منهما نحو أربع بوصات وطرف كل منهما مشرشر ، وخلف البوقين (المبيضان) وهما جسمان يشبهان الخصيتين وليسا أجوفين وفي داخلهما بويضات صغيرة جدا ميكروسكوبية في داخل حويصلات تسمى حويصلات (جراف) وهذه الحويصلات تقرب من سطح المبيض شيئا فشيئا حتى تنفجر فتخرج البويضة ^(١) وتصل الى البوق . والبوق متصل بالمبيض بقناة صغيرة هي جزء من الطرف المشرشر ، وهو ينطبق على المبيض حين انفجار الحويصلة

البويضة والبلوغ والياس

أما البويضة فأصلها من الغشاء المحيط بالمبيض الذي هو عبارة عن البريتون . وتتكون هذه البويضات في البنات منذ ابتداء خلقتهن بحيث تولد البنت وفيها عدد مخصوص من البويضات تبلغ الالوف . ويقال ان هذه البويضات تسقط من البنات في زمن طفولتهن قبل البلوغ . ويتفق في البنات البالغات والنساء زمن انفجار الحويصلات وخروج البويضات منها مع زمن الحيض . والرأي الراجح الآن عند بعض العلماء أن كل مبيض تنفجر منه حويصلة مرة في كل شهرين بمعنى أن الحيض اذا اتفق مع انفجار الحويصلة التي في المبيض الايمن مثلا في هذا الشهر انفجرت حويصلة من المبيض الايسر في الشهر التالي وهكذا ، أي ان كل انفجار من مبيض يكون في شهر وحده

وأما زمن البلوغ في البنات عندنا فيكون من ١٢ الى ١٤ سنة ، وفي البلاد التي أشد حرا من مصر كبلاد الهند والعرب كثيرا ما تحيض البنت في السنة التاسعة ، وزمن الحيض يتفق مع زمن النسل عادة الا أنه ثبت ان بعض البنات حملت قبل أن تحيض ، كما ثبت أن بعض العجائز حملت بعد اليأس . وسن اليأس في النساء هو في الغالب من ٤٥ الى ٥٠ ومنهن من يستمر حيضها الى ما بعد ذلك بكثير كالسنة التاسعة والستين

(١) تشمل الحويصلة عادة بويضة واحدة وأحيانا بويضتين ونادرا ثلاثا وقد تشمل البويضة نواتين بدلا من واحدة، وذلك من اسباب الحمل التوأمي كما سيأتي

الحيض - عبارة عن نزف يحصل من الغشاء المخاطي المبطن للرحم ويصحبه تمزق في هذا الغشاء وسقوط بعض الأجزاء منه ، ولا يحدث الحيض إلا للنساء ولبعض أنثيات القروء ، ومدته تختلف من يوم الى ثمانية أيام ، وفي الغالب ستة أيام فقط وسبب الحيض وفائدته مجهولة الى الآن . وهو ليس ضروريا لحدوث الحمل ، فقد شوهد أن بعض النساء لا تحيض مطلقا ومع ذلك تحمل كالعادة

الخثى - انسان يتعسر أو يتعذر تمييز نوعه ان كان ذكرا أو أنثى وهي أنواع :-

(١) من يكون في الحقيقة ذكرا ولكن أعضائه تشبه الانثى ، فيكون له صفن مشقوق كشفري المرأة وقضييه صغيرا جدا ولا فتحة فيه وتكون فتحة البول بين الشفرين ، وقد يكون له ثديان^(١) ولكنه لا يحيض وينقذف منه المني من خصيتين تكونان غالبا في شفرية وقد تبقيان في بطنه ، وفي هذه الحال لا يمكن الحكم عليه الا بفحص دقيق جدا كأن يمتحن السائل المقذوف منه فان وجدت فيه حيوانات منوية تحققتا ذكورته وإلا فلا ، وفي مثل هذا الشخص تكون فتحة البول أضيق من المهبل وتتصل بالمثانة ولا يحس بوجود رحم له

(٢) من تكون أنثى وأعضاؤها تشبه الذكركا أن تكون ثدياها ضامرتين وبظرها كبيرا جدا ، ومنهن من يكون رحمها أيضا ساقطا بين فخذيها فيشبه الصفن ، ومثل هذه المرأة قد تشتهي النساء وتميل الى السحاق ، وتعرف هذه بحصول الحيض لها وعدم وجود أي حيوان منوي في افرازها ، وقد يدرك الباحث فيها وجود المبيضين ووجود الرحم

(٣) من يوجد له مبيض في جهة وخصية في الجهة الاخرى ، ووجدت أحوال نادرة جدا كان الشخص يأتيه الحيض شهريا ومع ذلك يقذف حيوانات منوية ، كشخص عرف في أوربة يسمى « كثرين هوهمان » (Catherine Hohmann) لم يعرف له نظير

(١) قد رأيت اثنين من هذا النوع لاحدهما ثديان كشدي البنات البكر البالغة وقد طلب مني قطعهما ففعلت

ومن هذا النوع الاخير من تكون أعضاؤها الظاهرة كاعضاء الذكر والباطنة كاعضاء الانثى ، وبالعكس ، ولا يوجد دليل على ان مثل هذا الشخص لا تلقح بويضاته بمني نفسه ، غاية الامر أن وجود مثل هذا الشخص أندر من الكبريت الاحمر، وأكثر منه ندرة أن تلقح حيواناته المنوية بويضاته

ولا يوجد عندنا مانع عقلي أو تقلي يمنعنا من تجويز ان تكون مريم عليها السلام من هذا النوع الاخير فسألتها أندر من النادر، فلا غرابة اذا لم نعرف أنها حدثت لغير مريم، إذ يندر ان يتفق حصول ذلك في العالم إلا مرة أو مرتين فيتعذر على الناس معرفة ذلك باليقين، على أن الوثنيين قد زعموا حصول مثل تلك الولادة لبعض آلهتهم، وربما كان بعض مازعموا صحيحا (راجع كتاب «النصرانية والاساطير» تأليف روبرتسن صفحة ١٦٨-١٧١) ولا ينافي ذلك أن تكون مريم وابنها آية للعالمين، فان في كل ما خلق الله آية خصوصا مثل تلك الشواذ العجيبة النادرة جدا، ولذلك قال تعالى (وفي خلقكم وما يثبت من دابة آيات لقوم يوقنون) أما ارسال الملك اليها فقد كان لتبشيرها بحصول هذا الحمل النادر العجيب كما بشرزكريا بالولد مع شيخوخته وعقم امرأته ، وقوله في سورة مريم (لأهب لك) قد يراد به أنه متكلم عن الله كما قالت الملائكة المرسلة للوط (الا امرأته قدرنا) أي قدر الله ولذلك ورد في قراءة سبعة قول جبريل (ليحب لك) أي ليحب لك الله، وإنما هو مبشر لها بذلك فقط، ويؤيد ذلك أيضا قوله تعالى في سورة آل عمران (ان الله يشرك بكلمة منه) الآية. وأما قول أمها (إني وضعتها أنثى) اذا دل على انها عرفت حقيقتها فقوله تعالى بعده مباشرة (والله أعلم بما وضعت) أدل على انها لم تعرف الحقيقة وإنما حكمت بالظاهر والله أعلم منها بالواقع ونفس الامر . وقوله (واصطفاك على نساء العالمين) — أي فضلك عليهن — لا يدل على أنها منهن ولذلك لم يقل (اصطفاك منهن)^(١)

(١) المنار: ان هذا التعبير لا يؤدي معنى الاول . وقد فات الكاتب الجواب عن قوله تعالى « ومريم ابنة عمران » فهو جزم بأنها انثى ، ولعله يدخله في حيز الترقي الآتي في جوابه . وما ذكره احتمال أكبر فائدته زلزال جمود الماديين =

على أننا لم نقل إنها لم تكن امرأة بل نقول « يحتمل أنها كانت لها أعضاء الذكور والأنثى وتغلب عليها الانوثة بدليل حملها لعيسى وولادتها له وإرضاعها إياه . وإذا صدقنا كتب العهد الجديد قلنا إنها أيضا تزوجت بعد ولادة عيسى ورزقت بأولاد (مت ١ : ٢٥ و ١٣ : ٥٥) فكانت أعضاء الانوثة فيها أجلى وأكمل من أعضاء الذكور »

هذا ويوجد في الحيوانات الدنيئة ما تتوالد اناثها بلا تلقيح عدة أجيال فيجوز ان ما يحصل في هذه الحيوانات على سبيل القاعدة يحصل مثله في الانسان على سبيل الشذوذ، مثال ذلك أن المعتاد في بعض الحيوانات أن تلد عدة صغار في بطن واحد كالارانب وغيرها وذلك هو القاعدة فيها ، ومن النساء من ولدت ٦ أطفال في بطن واحد ومنهن من كان لها أكثر من ثدين. والخلاصة أن عجائب مخلوقات الله تعالى كثيرة، وله في كل شيء آية

التلقيح

التلقيح هو اجتماع عنصر الذكور (الحيوان المنوي) بعنصر الانثى (البويضة) وإذا كان التلقيح بين الاقارب الاقربين كان النسل رديئا لسببين (١) أنه يكون أضعف ممن يولد من زوجين بعيدين (٢) وهذه القاعدة مضطردة حتى في النباتات فان ثمر الشجرة التي تلقحت أزهارها بأزهار أشجار أخرى يكون أقوى وأحسن، حتى ان ثمرة الزهرة الواحدة اذا تلقحت بزهرة مجاورة لها من نفس شجرتها كانت ثمرتها خيرا مما اذا تلقحت بنفس أبورها (هو مسحوق التدكير في الزهرة كما سبق) (٢) انه اذا كان الزوجان قريبين انحصرت في نسلهما الاشياء

= الذين ينكرون ولادة عيسى عليه السلام من أم بلا أب. والافالظاهر المتبادر ان خلقه آية من الحوارق المنتظمة في سلك السنن الروحية، لا من فلتات السنن المادية (١) المنار : ورد في الآثار « اغتربوا لا تضوا » أي تزوجوا الغرائب لئلا تصيروا ضواة أي ضعافا نحفاء بكثرة تزوجكم من ذوي القربى ، ولم يثبت هذا في الحديث عن النبي « ص » خلافا لما في صحاح الجوهرى وغيره. وقال عمر بن الخطاب لآل السائب : قد أضويتم فانكحوا في النزاع . اي الغريبات

الرديئة الموروثة عنهما، أما إذا اختلطت البيوت بعضها ببعض تحسن نسل الردي منها وبقي، ولولا ذلك لا تقرض أو لبقيت بعض الامراض العقلية والجسمية متوارثة في نسله الى ماشاء الله، فهذه الاسباب حرم القرآن الشريف زواج الاقارب الاقربين وبالجماع ينصب المني في مهبل المرأة فتسير حيواناته المنوية الى الرحم وبساعدها في سيرها حركة امتصاص تحصل في الرحم نفسه، فإذا وصلت الى الرحم ذهبت الى البوقين، وهناك تتجمع في البوقين وتعيش بضعة اسابيع فإذا صادفتها بويضة لقحتها، وإذا لم تتلقح البويضة تموت بعد خروجها من الحويصلة ببضعة أيام والتلقيح عبارة عن دخول رأس الحيوان المنوي وجسمه في البويضة مع سقوط ذنبه فيتحد هذا الجزء من الحيوان المنوي بذو البويضة بعد أن يفصل عنها جزء كبير منها، والتلقيح يحصل عادة في بوق (فلوبيوس) والذي يراه جمهور العلماء أن حيوانا واحدا يلقح بويضة الانسان، ومنهم من يرى أن الذي يلقحها (أو يمتزج بها) حيوانات عديدة — وهو الأرجح —

وليس الجماع ولا التذاذ النساء ضروريا لحصول التلقيح بل قد يكفي قذف المني على باب الفرج ولو كانت الفتاة عذراء أو نائمة أو مخدرة بالكورفورم فان ما للحيوانات المنوية من الحركة كاف لتوصيلها الى البوقين، ولذلك ورد عن النبي (ص) ان العزل لا يمنع الحمل كما هو مشهور في الاحاديث، ومن ذلك قوله (ص) « اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد »

نموذج من كتاب كنز الحقائق

في فقه خير الخلائق

﴿ فصول متفرقة والعناوين فوقها من وضع المنار ﴾

البدعة الشرعية

(فصل) البدعة الشرعية الامر الحادث في الدين بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخير، لم يدل عليها دليل من الكتاب والسنة ، وكل بدعة ضلالة ، وهي كثيرة سيما في عصرنا هذا . فانهم قد أحدثوا في الدين أشياء ما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه — كعقد مجلس الميلاد، والقيام عند ذكر الولادة وإنشاء عيد الميلاد ^(١) وقراءة الفاتحة على الخلوة والطعام، والاجتماع لقراءة القرآن في اليوم الثالث ^(٢) وإيصال الثواب الى الميت بتعيين يوم أو وقت وتسريح السرج على القبور ^(٣) وبناء التوابيت ^(٤) ونصب الاعلام ، وذكر الخلفاء بعد كل ترويقة ، وتسمية الصحابة والسلاطين في الخطب ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل الاذان والاقامة ^(٥) والتثويب والترجيم وأمثالها .

علامة أهل الحديث

(فصل) من علامات أهل الحديث الجمع بين الصلاتين حالة الاقامة والصحة لحاجة دينوية أو دنيوية، والمسح على الخفين والجوربين، ولو غير نخنين، والمسح على العمامة، ورفع اليدين في ثلاثة مواطن — عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع وعند القيام من التشهد الاول، ووضع اليدين على الصدر، والجهر بآمين، وقراءة التسمية أول كل سورة، وقراءة الفاتحة خلف الامام في كل صلاة، والاعتدال في

(١) أي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، ومثله سائر الاحتفالات التي جعلوها كالشعائر الدينية . وقد افق الفقيه ابن حجر المكي بكون القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) بدعة كما تراد في كتابه الفتاوى الحديثة ولكن لم يبال بفتواه أحد (٢) أي بعد موت الميت الذي يقرأ لأجله (٣) لهله يريد طلب إيصال الثواب (٤) يريد إيقاد السرج (٥) أي للقبور (٥) لهل هذا معتاد في بلاد المؤانف (الهند) وفي بعض بلادنايزيدون في آخر الاذان مايزيدون من ذلك وكله بدع

الركوع والسجود والقومة، وأداء الصلاة وقراءة السور على وفق السنة.

المتفقه والعامي والتقليد

(فصل) اذا كان الرجل يعرف الحديث والقرآن فيعمل عليهما ولا يقلد أحدا من المجتهدين، والعامي الذي لا يعرف الحديث والقرآن يسأل العلماء ويعمل على قولهم^(١) والمجتهد يخطئ ويصيب، ومع خطائه له أجر، ويجوز ان يكون الرجل مجتهدا في بعض المسائل ومقلدا في بعضها، ويجوز له ان يعمل بالرخص، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بقدر القدرة، ولا يجوز العنف والتشدد في المسائل الاختلافية.

بيعة الصوفية وإلباس الخرقة

(فصل) البيعة الشائعة بين الفقهاء لها أصل من الشرع وهي بيعة التوبة، أما إلباس الخرقة والقلنسوة وأمثالها من مراسم الفقر فلا تثبت بالنقل الصحيح، ويجب علينا ان نحب أولياء الله كلهم ونعظمهم من غير ان نفضل بعضهم على بعض، ويجب ترك قولهم اذا خالف الحديث.

علامة أهل البدع

(فصل) لأهل البدع علامات وهي الوقعة في أهل الاثر وتسميتهم بالوهابية والنجدية والعرشية والصفائية والمجسمة والمشبهة. وهم برآء من ذلك لا يصدق عليهم الا الاسم الواحد «وهو أصحاب الحديث» كثرهم الله وأبقاهم الى يوم القيامة

باب الانجاس

يطهر البدن والثوب بالماء ولو مستعملا حتى لا يبقى عين ولا لون ولا ريح ولا طعم. ولو^(٢) عسر زوال الاثر فلا يضر، ولا يجوز بغير الماء. والخف والنعل بالدلك،^(٣) ولو كانت النجاسة رطبة أو يابسة أو غير ذات جرم. والمني طاهر وغسله وفرك اليابس منه اذكي وأولى، وكذلك الدم - غير دم الحيض - ورطوبة الفرج^(٤) والخر وبول

(١) اي يسألهم عما يجب عليه في كتاب الله وسنة رسوله (ص) لاعن آرائهم ومذاهبهم (٢) لعل الاصل (واذا) (٣) أي ويطهر الخف أو النعل بدلكهما بالارض كيفما كانت نجاستهما (٤) معطوف على قوله: والمني طاهر

الحيوانات غير الخنزير. ولا نجس عندنا الا غائط الانسان وبوله ودم الحيض وبول الخنزير وخراؤه والروث ولحم الخنزير وشحمه والحمار الانسي والميتة. فيجب تطهير كل نجس قليله وكثيره حتى الرشاش، وتطهر الارض بالييس أو صب الماء عليها. ويطهر البساط الذي لا يمكن غسله بصب الماء عليه. والحديد والمرآة والزجاج بالمسح، والاستحالة مطهرة

(فصل) أيا إهاب دبغ فقد طهر وشعر الانسان والميتة والخنزير طاهر وكذا عظمها وحافرها وقرنها ومنقارها.

(فصل) لا تنزح البئر بوقوع نجس أو موت حيوان فيها اذا لم يتغير أحد أوصاف الماء، فان تغير فيجب نزح الماء كله أو الى ان لا يبقى التغير

(فصل) بول ما يؤكل لحمه طاهر وكذا سوره وجميع الأسار غير سؤر الكلب والخنزير ففيه قولان وكذا في ريق الكلب، والعرق كالسؤر

﴿ أهم أخبار الحرب الاوربية والآراء فيها ﴾

إن الاخبار الصحيحة والآراء المفيدة لا تكاد تستنبط من الجرائد الانكدا، وان للمجلات من الاناة والروية في الاختيار ما ليس للجرائد اليومية ولا غير اليومية أيضاً، وانا نمحص ما وقفنا عليه من الاخبار والآراء الكثيرة بالجل الآتية في هذه الحرب

(١) الدول المتحاربة فريقان — دول التحالف الانكليزي ودول التحالف الألماني (يُنسب كل حلف الى أقدر دوله التي هي محل رجاء الرجحان له) فالاول هو الراجح في الحرب البحرية حتى ان رجحانه حال دون منازلة الآخر له، الا ماتفرقه الغواصات من سفنه. والثاني هو الراجح في الحرب البرية الى هذا اليوم

(٢) اتفق رجال السياسة والحرب من الفريق الاول على ان السبب الاول لرجحان الفريق الثاني في الحرب البرية هو كثرة الذخائر والاسلحة عندهم، فتوجهت همه دوله كلها الى الاستكثار من ذلك، حتى ان انكلترة انشأت وزارة خاصة سميتها وزارة الذخائر جعلت المئات من المعامل الحرة تحت مراقبتها، فصارت انكلترة

وفرنسة - وهما دولتا العلم والصناعة في هذا التحالف - تعملان من الذخائر والأسلحة أضعاف ما كانتا تعملان من قبل ، ويقدران ان استعدادهما واستعداد حلفائهما لا يتم الا في ربيع السنة القابلة. على انهم يشترون الذخيرة والسلاح من الولايات المتحدة واليابان بمئات ألوف الألوف من الجنيهات

(٣) كانت الروسية قد رجحت على النمسة رجحانا ظاهرا فانزعجت منها غاليسية ووصلت الى أعالي جبال الكربات المشرفة على سهول المجر وسباسبهم ، ولكن ألمانية انجدها في ربيع هذا العام بزهاء مليون ونصف مليون من جيشها ، فأجلت الروسية عما كانت استولت عليه من بلادها ، وانزعجتا منها ما انزعجتا من مملكة بولندية وغيرها ، ولا يزال لهما الرجحان في مطاردتها ، والفضل الاول في ذلك لمدافعهما الضخمة التي تدك أعظم الحصون والمعازل ، ولكثرة ما عندهما من الذخيرة ، وقد اتسع ميدان هذه الحرب فامتد من بحر البلطيق في الشمال الى آخر حدود بولندية في الجنوب . ويقال ان الالمان يطعمون في الوصول الى بترغراد (بترسبرج) عاصمة الروس ، والنمسيون مع الالمان يمدون أعناقهم الى أودسه أعظم ثغور الروس في البحر الاسود

(٤) الحرب في الميدان الغربي (فرنسة وبلجيكية) سجال ولكنها حرب مطاولة لا مناجزة ، والالمان هم الذين يهاجمون الفرنسيين والانكليز والبلجيكيين في الغالب ، والفريقان معتمضان في الخنادق ، وقليلا يرجح أحد من خطوط خصمه شيئا الا ويسترده منه الآخر

(٥) الحرب بين إيطالية والنمسة سجال أيضا ، ولكنها لا تزال بطيئة الحركة ضعيفة التأثير لا يكاد العالم يشعر بوجودها

(٦) الحرب في جوار الدردنيل سجال أيضا ، وهي مناجزة لا مطاولة ، والحلماء هم المهاجمون في الغالب ، على أنها حرب خنادق كحرب الميدان الغربي

(٧) أخبار الحرب في العراق قليلة جدا ومما لا ريب فيه ان الانكليز قد استولوا على جزء عظيم من ولاية البصرة

(٨) أخبار الحرب في القوقاس وما يسمونه أرمينية أقل من أخبار الحرب في العراق ، وأبعد عن الثقة من جميع الاخبار ، فانه لا يعرف منها شيئا الا ما يذيعه الروس

في كل شهر أو أشهر من أخبار معركة كان لهم الرجحان فيها ، ومن أخبارها ان ضلع الارمن في البلاد العثمانية معهم حتى انهم يقاتلون معهم ، وهذا خبر معقول ومتنظر ، وكان العثمانيون يقاتلون الروس في بلاد القوقاس الروسية ، ومن أخبار الروس الاخيرة انهم هم استولوا على مدينة (وان) العثمانية بمساعدة الارمن فيها ونصبوا عليها واليا من زعماء الارمن . ويقال ان الترك فتكوا بالارمن قتمكا ذريعا

(٩) ان كل فريق من الاحلاف اجتهد منذ اشتعلت نار الحرب في جذب الدول التي على الحياد اليه ولو بالعطف والمودة ، ففاز التحالف الانكليزي بانتزاع ايطالية من التحالف الألماني وحملها على خوض غمرات الحرب معه ، وهو يبذل جهده منذ سنة لجذب دول البلقان الى قتال العثمانية والنمسة ، ولا يزال البلقانيون بين الإقدام والإحجام ، لما بينهم من أسباب النزاع والخصام ، ولطمعهم في تراث الترك والنمساويين من جهة ، وكرهاتهم أخذ الروسية لاستانة وزقايي البوسفور والدردنيل من جهة أخرى ، دع مالنمسة وألمانية من النفوذ في البغار ، وألمانية خاصة من النفوذ في الرومان واليونان ، فان ملكي البغار والرومان من أسرة عاهل ألمانية ، وملكة اليونان أخته ، فوشيجة الرحم لها تأثير عظيم ، ولكن أكثر الشعوب البلقانية أميل الى التحالف الانكليزي ، ولا سيما الشعب اليوناني ، فانه شديد البغض للترك والطمع في كثير من بلادهم ، وشديد الميل الى محاربتهم لذاتهم ومحاربتهم لهم

(١٠) قد اختلف الباحثون في عاقبة هذه الحرب ونتيجتها ، والمعقول انه اذا نصر أحد الفريقين نصراً مؤزراً وظفر ظفراً تاماً ، فان رأس دوله تكون لها السيادة العليا في أوربة والشرق كله ، ولكن دول الفريق الآخر - أو ما بقي منها - تذل وتخزي زمنا طويلا تبذل فيه كل ما يستطيع بذله المستضعف المستذل في مقاومة خصمه من الكيد والحيلة ، الى ان يستدير الزمان ، وتديل له من عدوه الاقدار ، وأما اذا طال أمد الحرب حتى ضعف الفريقان ونفدت قواهما ، ولم يرجح أحدهما على الآخر بشيء ، أخرج بالدرهم أو القيراط ، فلم يكن باستطاعته السيطرة على خصمه ، والاستمرار على قهره ، فيوشك ان تكون شروط الصلح متعادلة . وتبقى الموازنة بين

الدول متقاربة، ويستمر ذلك عشرات من السنين يظهر فيها نبوغ الشعب الذي يفوق غيره في الهمة والاستعداد . وهاك أشهر ما قيل في طمع كل فريق من الآخر إذا انتصر انتصارا تاما أو قريبا من التام

(١١) مقصد دول التحالف الانكليزي من الحرب الذي لا يكفون عنها باختيارهم ما لم يصلوا اليه، هو ازهاق الروح العسكري البروسي الذي نفخ في جميع الشعوب الالمانية حب الحرب ، واعتقاد كونها فضيلة وكالا للبشر — ثم حل عقدة الوحدة الالمانية وارجاع ممالكها الصغيرة الى ما كانت عليه قبل الوحدة التي أنشأها البرنس بسمرك سنة ١٨٧٠ ومنعها من الاستعداد لحرب ثانية ، والاستيلاء على الاسطول الالمانى . ثم حل امبراطورية النمسة والمجر واعطاء كل دولة من دول التحالف أبناء جنسه منها . وبهذا يستميلون دول البلقان اليهم الآن ، لان في النمسة ملايين عديدة من الرومان والسلاف والطلين وغيرهم — ثم تمزيق المملكة العثمانية وتقسيمها

ومن البديهي الذي لا يحتاج الى النص ارجاع بلجيكة كما كانت أما الآستانة والرقاقان العظيمان اللذان على جانبيها فالارجح أن روسية لا ترضى بها بديلا ان ظفروا ظفرا نهائيا، بعد ما أصابها من الخسارة التي هي أضعاف خسائر سائر حلفائها . ويقال ان حلفاءها أنفسهم يشترطون تدمير حصون البوسفور والدردنيل ونزع السلاح منهما وعدم تسليحهما في المستقبل . وقيل ان الآستانة تكون منطقة حرة . ولكنها ان صارت الى الروس فلا بد ان يقتنموا أول فرصة لتحصيل الرقاقين بعد أن يستعدوا لذلك سرا

(١٢) إذا ظفر التحالف الالمانى ظفرا تاما فالمشهور أن ألمانيا تريد أن تقم مملكة بلجيكة الى ممالك الاتحاد الجرمانى ، ولا يدرى أيراد جعل بولونية مستقلة أم تابعة لها أم للنمسة، ولا بد حينئذ من جعل النفوذ الاعلى في البلقان للنمسة، ويقال

إن ألمانية لاتطمع في أخذ شيء مما استولت عليه من مملكة فرنسا، الاسواحل
بحر المانش، ولكنها تطمع في جميع مستعمراتها الافريقية الشمالية. وتعطي الدولة العثمانية
القوقاس الروسية أيضا. وقد اشتهر انها تمنحها بانشاء امبراطورية
اسلامية كبيرة. ثم انها تفرض على خصومها غرامة حرية ثقيلة، وأما استعادة ما أخذ
من مستعمراتها، فهي من البدييات التي لا حاجة الى ذكر طلبها لها. هذا أقل ما يقال
عنها، وقيل بل هي تطمع في جعل أوربة كلها تحت سيطرتها، لما وجد في مؤلفات
غير واحد من رجال العلم والسياسة والحرب فيها، من الحث على السعي لجعل العالم
كله خاضعا للنفوذ الألماني ومستمدا من الحضارة الألمانية

ومن الناس من يقول ان هذه مزاعم افتحرها أعداء ألمانية لينفروا عنها الشعوب
التي على الحياد ويحملوها على مناوأتها، ولكن وجد من النقل عن الامان ما يدل
على ذلك، وهو غير بعيد عن العقل وشواهد التاريخ، فان بطرس الاكبر على كونه
هو البادئ بتقوية روسية كان يرمى الى هذا الغرض، ونايلون الاول كان يعني
نفسه به، ومن أصول تربية الامم أن يثبت فيها عقيدة تفضيل نفسها على غيرها،
وكونها أجدرها بالسيادة والسعادة، وكل أمة لاتعتقد هذا الاعتقاد لا يمكن ان
تسود وتعتز، ولكن الأمة اذا لم تبين جميع أعمالها الاجتماعية على أساس هذه العقيدة
يقتلها داء الغرور، ولا سيما اذا احتقرت غيرها من الامم ولم تقدر مزاياها حق قدرها،
ومن المحتمل ان يكون بعض علماء الامان بثوا في أمتهم هذه العقيدة لاجل ان ينهضوا
بها في ميادين المسابقة والمباراة للامم التي سبقتها الى الاستعمار وغيره، ثم اغتروا بما
وصلوا اليه من العلم والثروة والاستعداد الحربي فغرب ذلك الى عقول كثير من حكامهم
وقوادهم انه يمكن لدولتهم القضاء على قوى الدول الاستعمارية الثلاث (انكلترة وفرنسة
وروسية) وجعلهن تحت سيطرة ألمانية، وحينئذ تمنعن من تجديد الاستعداد للحرب،
فتنفرد بسياسة العالم في الشرق والغرب، ولا يبعد ان تزين لكثير منهم فلسفة حب
السيادة ان هذا يكون خيرا للبشر، لانه يمنع أسباب الحروب بمنع تنافس التعاسد
الذي من شأنه ان يكون بين الاقربان من الدول، كما يكون بين الاقربان من الافراد، وأن
يتخيل هؤلاء الفلاسفة أن العالم لما صار باتصال بعضه ببعض كالامة الواحدة-وجب

أن تكون له دولة واحدة ترجع اليها السلطة العليا كما ترجع سلطة الولايات من المملكة الواحدة الى السلطة العليا في عاصمة المملكة، لان التفريق مدعاة العداوة والشقاق المفضي الى القتال والتفاني

وقد يرد عليهم فلاسفة سائر الامم بأن ما يزعمونه خيال تولد من اقتران حب السلطة، بالغرور بالقوة، وأن حب السلطة غريزي في البشر فلن ترضى أمة بسيادة غيرها عليها مختارة، ولا سيما الامم التي تمكن في قلوب أهلها عز الحرية والسيادة، فلا يزال المسود يكد للسائد، ويتربص به الدوائر، وقد انقرض في الازناس واللورين جيل وتجدد جيل، فكان الجيل الجديد كسلفه يكره الالمان ويحب الفرنسيين، فالفلسفة الحق ان انتظام البشر لا يتم في هذا الزمان الا ببنائه على قاعدة استقلال الشعوب والاجناس، وأما القوة التي فوض اليها الحكم اليوم بين المتنازعين على السيادة في الارض فلا يمكن ان تظل محتكرة للغالب، فاذا كانت هذه الحرب لا تنتهي بابطال قاعدة (الحق للقوة) وبالرجوع عن فكرة سيادة الاقوياء على الضعفاء، واکراههم على الخضوع لما يسوسونهم به ويلزمونهم إياه، وبوضع قواعد مضمونة للمساواة العامة بين جميع الشعوب والاجناس يكون بها الأدنى مختارا في اقتباس العلم والحضارة من الأعلى، — اذا لم تنته هذه الحرب بهذا وتضمنه جميع الدول بقانون تتعاهد على تنفيذه بالقوة والاتفاق على قتال المخالف له، فلا شك في كونها تكون أشأم حرب على البشر، لانها لا يمكن ان تفضي الى رضا المغلوب بسيادة الغالب، بل تفضي الى استمالة المغلوبين لغيرهم من الشعوب المغلوبة على أمرها، والمكرهة على الخضوع لغيرها، والاستعداد لحرب مثل هذه أو شر منها، وان ظن الغالبون انهم قادرون على ان يحولوا دونها.

ونحن نرى ان هذه الفلسفة الاخيره هي الصحيحة، المؤيده بروح الحق والفضيلة، فمضى ان يكون لنا ولسائر الامم الشرقية نصيب منها، اذا أراد الله برحمته ان يكون المنتهى اليها.

مدرسة دار الدعوة والارشاد

قد اضطررنا في السنة المدرسية الماضية (سنة ١٢٩٢ هجرية شمسية) ان نجعل الاجازة الصيفية قبل موعدها بشهر ، بقرار من مجلس ادارة الجماعة ، وسبب ذلك قطع وزارة الاوقاف المصرية ما كانت قررته من الاعانة للمدرسة ، وعدم الرجاء في شيء يذكر من التبرعات بسبب العسرة الحاضرة ، حتى ان الشيخ قاسم ابراهيم قطع اشترى كه السنوي في جماعة الدعوة والارشاد قبل الحرب . وقد كنا نتفق على الطلبة بالتقدير في تلك السنة

أما مقدار إعانة الاوقاف فقد كان خمسمائة وخمسين جنيها ، وقد كنا موعودين من قبل الديوان بمضاعفته أضعافا ، حتى ان محمد محب باشا الذي عين أول ناظر للاوقاف - بعد تحويله الى نظارة - قال لي أمام بعض الفضلاء في داره قبيل سفره الى الاسكندرية في رمضان العام الماضي : إنه يمكن ابلاغ الاعانة في هذا العام الى ألف وسبعمائة جنيه . وانما يمكن الزيادة على ذلك فيما بعدها من السنين . قال ذلك بعد أن دقق النظر في نظام المدرسة وميزانيتها وبعد زيارته لها واختباره لحالها بنفسه . ولو طلبت المبلغ الذي كان مقررا في أول العام الماضي عقب تصديق الجمعية التشريعية على ميزانية الاوقاف لقبضته ولاكنني فضلت حفظه في خزانة النظارة على حفظه في صندوق المدرسة ليؤخذ بالتدريج عند الحاجة الى لانفاق . ولما طلبت بعضه عند الحاجة الى الصرف - لقرب دخول السنة الدراسية - امتنع وكيل الاوقاف محمد شوقي باشا من الصرف ، معللا منعه بوجوب الاقتصاد وقلة الدخل بسبب الحرب . فراجعت رئيس النظارة (حسين رشدي باشا) مرارا فوعد بالمساعدة وأحالني على عدلي باشا الذي كان نائباً عن محمد محب باشا في نظارة الاوقاف ووعد بتوصيته . وبعد عدة مراجعات أمر عدلي باشا بصرف ٣٠٠ جنيه أقساطا ، وقال لي اذا كثرت الواردات بعد ذلك ندفع لك الباقي . وقبضت حينئذ ستين جنيها من الاعانة ثم تحولت الاحوال وتغير شكل الحكومة فأعطى اسماعيل صدقي باشا الذي

(المنار : ج ٤) (٤٠) (المجلد الثامن عشر)

تولى (وزارة الاوقاف) قليلا وأكدى (أي منع الباقي) فكان مجموع ما قبضته من الاعانة بيدي ١٣٥ جنيا . وكنت أحلت ادارة أوقاف محمد شريف باشا الكبير على النظارة بأجرة مكان المدرسة بكتاب مني قبلته النظارة وصارت تدفع ما يستحق من الاجرة أقساطا شهرية . ولكن وزارة اسماعيل صدقي باشا منعت فيما منعه اعطاء بقية الاجرة . كانت الاجرة كلها ١٣٠ جنيا دفعت وزارة الاوقاف منها ٩٧ جنيا ونصفا . ورجعت علي ادارة وقف شريف باشا بمبلغ ٣٢ جنيا ونصف جنيه فوفيتها حسابها

فعلم من هذا ان مجموع ما صرف من اعانة الاوقاف للمدرسة في العام الماضي ٢٣٢ جنيا ونصف جنيه وهو دون المبلغ الذي كان أمر بصرفه عدلي باشا وقتنا ولماعلمنا ان الوزارة الجديدة قطعت الاعانة كلها البقية ، غلبنا حسن الظن ورددنا على من اساءه ، وقرعنا جميع الابواب التي هي مظنة الرجاء لاعادته ، بحجة ان هذه المدرسة الدينية الخيرية ليس لها دخل ثابت سواء ، وانها أحوج الى الاعانة من كل المعاهد العلمية والخيرية التي تساعدنا وزارة الاوقاف حتى من الجامعة المصرية ومدارس العروة الوثقى والجمعية الخيرية — فألفينا جميع تلك الابواب موصدة في وجهنا ، ولكن باب الله تعالى لا يوصد ، فاتكلا عليه عز وجل سنفتح المدرسة في السنة المدرسية القابلة كما فتحناها في السنة الماضية ، ولكننا لانفق على الطلبة شيئا . ولا نقبل في القسم الداخلي طالبا جديدا الا أن يأتي الله بانفتح لبعض أبواب رزقه ، أو أمر من عنده

أما موعد فتح المدرسة في السنة الدراسية القابلة فسيكون ان شاء الله تعالى في أول الخريف الثاني (منزلة العقرب) الموافق منتصف شهر ذي الحجة الحرام خاتمة سنة ١٣٢٣ فحسب ان تكون السنة القابلة سنة خير ويسر ، وان جاءت بعد شدة وعسر (ان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا)

تصحیح بدت من الشعر

في (ص ١٢٠ ج ٢) استفتاء في بيت من الشعر وقع غلط في أول كلمة منه وهي « جدير » وصوابها « ملي » وقد فاتنا ان نصححه في الجزء الثالث

تقريظ المطبوعات الجديدة^{*)}

كنز الحقائق من فقه خير الخلائق

كتاب في فقه الحديث تأليف العلامة وحيد الزمان الملقب بالنواب وقار نواز جنك بهادر. طبع في العام الماضي طبعاً حجرياً في مطبعة شوكة الاسلام ببلدة بنكلور بالهند على ورق جيد. وصفحاته ٢٤٢ بتقطع المنار ويباع في مكتبة المنار ونمته عشرة قروش الكتاب مختصر من كتاب مطول للمؤلف اسمه [نزل الابرار من فقه النبي المختار] وحسبنا من تقريظه ما يراه القراء في النموذج الذي اقتبس منه ونشر في هذا الجزء من يسر مذهب اهل الحديث ، على أن فيه مسائل اجتهادية واغلاطا معظمها من الناسخ منها ما يدرك بالبداهة

البيان والتبيين

كتب أبي عثمان الجاحظ كلها مختارة في الفصاحة والبلاغة عند أهل الادب وهذا الكتاب منها أشهر من نار على علم ، فهو مستغن عن تقريظ أهل هذا العصر . وحسبهم ما قاله فيه حكيم العرب ، وأمام أهل العلم والادب ، عبد الرحمن بن خلدون في الكلام على علم الادب من مقدمته ، وهذا نصه :

« سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين ، وهي (أدب الكتائب) لابن قتيبة ، و (كتاب الكامل) للمبرد ، و (كتاب البيان والتبيين) للجاحظ ، و كتاب (النوادر) لأبي علي القالي . وما سوى هذه الاربعة فتبع لها ، وفرع عنها »

وحسبنا من معرفة مكانة الجاحظ في البيان والبلاغة تنويه امامهما الزمخشري به في خطبة الكشف وخطبة أساس البلاغة — وما كانت الخطب بموضع التنويه بالدهماء ، ولكن قد يذكّر فيها أئمة العلماء والحكماء

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

طبع كتاب البيان والتبيين بمصر منذ عشرين سنة طبعة رديئة كثيرة الاغلاط ، فاضطر الادباء وطلاب الانشاء الى اقتنائها ، والاستفادة منها على علامتها ، حتى نفدت نسخها ، وغلائمتها ، فسخر الله تعالى في العام الماضي محب الدين افندي الخطيب المحرر بجزيرة المؤيد وعارف افندي المحاري لإعادة طبعه . فطبعاه طبعا حسنا على ورق حسن ، وعني الاول منهما بتصحيحه وضبط اشعاره بالشكل ، وقد تعب في مراجعتها في مظانها من الدواوين المخطوطة والمطبوعة وفي كتب اللغة والادب ، تعب لا يعرف كنهه الا من عني بمثل ذلك ، وقد جعل ثمنه عشرة قروش من الورق النبائي ١٥ قرشا من الورق الابيض وبطلب من مكتبة المنار بمصر

الحنين الى الأوطان

نشر في جزء الشهر الماضي من المنار نموذج من هذا الكتاب مصدر بعبارة وجيزة في وصفه والفائدة من مطالعته ، كطالعة سائر مصنفات مؤلفه ، (الجاحظ) مقرونة بالوعد بتقريظه ، وقال صاحب المنار : ان هذا الكتاب يشرح غريزة حب الوطن ، التي هي من أقوى غرائز البشر ، بأفصح العبارات ، الماثورة عن أبلغ الاعراب ، والشعراء والكتاب ، فهو من هذه الجهة كتاب فلسفة ، كما انه من حيث عبارته كتاب أدب ولغة ، ومن شواهد حب الوطن عن أهل هذا العصر ما اختبرناه من حال مهاجرة السوريين في مصر وأمريكا وغيرها من الاقطار ، فاننا نراهم على عراققتهم في المهاجرة والاعتراب واثرائهم في بلاد أرقى من بلادهم عمراننا وحرية ، لا يفتشون يحنون الى أوطانهم على كثرة شكواهم من سوء حالها وذمهم لحكومتها . (قال) وقد سمعت اصحاب المتنط والمقطم يقولون منذ بضع سنين : إننا لم نشتر شيئا من الأثاث لبيوتنا الا وكان يخطر في بالنا عند شرائه - : اذا أتيت لينا العود الى بلادنا فهل يكون هذا مما ننقله او مما نبيع ؟

طبع الكتاب بمطبعة المنار طبعا متقنا مضبوطا على نفقة عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار ، وقد تولى تصحيح أصله وضبطه ووضع الحواشي والتفسير لغيره الاستاذ الشيخ طاهر الجزيري الشهير . وثمنه قرش ونصف قرش

كتاب المسح على الجورين

وكتاب الاستئناس، لتصحيح أنكحة الناس

(من تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى. طبعاً معاً في مطبعة التريقي بدمشق الشام سنة ١٣٣٢ وصفحتهما ٨٤ صفحة. ويطلبان من مكتبة المنار بمصر.)

هذان الكتبيان المفيدان من آخر ما كتبه عالم الشام وفقيد الاسلام رحمه الله تعالى. أهمهما في العام الماضي الذي توفي فيه. وموضوع الاول إثبات المسح على الجورين وكل ما يستر الرجلين كالنعال السابعة والفائف والتساخين. وفيه فوائد كثيرة في الحديث والاصول. وقد أثبت المسألة بالدليل ونقل فيها ما يؤثر عن أئمة الفقه، قال مفتي المنار: وقد سبق لنا الافتاء بهذا في المنار منذ بضع سنين فكان له أحسن تأثير في تيسير الصلاة على كثير من أهل الترف والنعيم، كما أخبرني بذلك بعض خواص المصريين المصلين. ثم أعدت إثبات ذلك بایضاح في تفسير آية الوضوء. وأما هذا الكتاب. فقد استقصى كل ما يتعلق بالمسألة وزاد ما زاد من المسائل الاستطراذية كما هو شأن من يفرد مسألة صغيرة بالتصنيف.

وأما الكتاب الآخر فالغرض منه مقاومة ما عليه متأخرو المسلمين من التساهل الذي يشبه الفوضى في أمر الطلاق ورد ما جرى عليه كثير من الفقهاء من الافتاء بالطلاق في وقائع كثيرة لا تقوم الحجة على وقوع الطلاق فيها، ومن مباحثه المفيدة التي عمت البلوى بها مبحث طلاق الغضبان والسكران والهازل والمكره والخالف بالطلاق أو المعلق له يريد الترغيب أو الترهيب دون الطلاق، والطلاق مرة واحدة بلفظ الثلاث. ومبحث وجوب الاشهاد على الطلاق واشتراطه أصحته، ومن قال بذلك من أئمة آل البيت وغيرهم من الصحابة والتابعين

والقاعدة التي بني عليها هذا الكتاب اللطيف هي ان النكاح متى وقع وثبت كان أمراً يقينياً فلا يزول بحكم اجتهادي لانه ظن لا يزول به اليقين، ولا بنجر آحادي ولا سيما اذا كان مطعوناً فيه كحديث «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة»

﴿ نقابات التعاون الزراعية ﴾

نظامها وتاريخها وثمراتها في مصر وأوربة

(طبع على ورق جيد مطبعة النهضة الادبية بمصر سنة ١٣٣٢ صفحاته ٢٤٥ بحجم المنار)
هذا كتاب جديد من أفضل ثمرات النابتة الجديدة بمصر، ألفه عبد الرحمن بك الراجحي المحامي، فخدم به هذه البلاد خدمة جليلة هي في أشد الحاجة إليها، إن ثناءنا على هذا الكتاب تأييد أراي صاحب المنار الذي بينه مراراً في مجلته وفي الجرائد، وهو أن أحوج ما يحتاج إليه أهل مصر في هذا العصر أمران (أحدهما) حفظ ثروتهم حتى تكون غلة أرضهم وثمرات كسبهم خاصة لهم، (وثانيهما) تعميم التربية الصحيحة مع التعليم على الوجه الذي تتكون به الأمة .
وانه لا يقوم بهذه التربية مع التعليم إلا الجمعيات الخيرية .

فهذان الأمران هما الركنان اللذان لا يرجى لمصر صلاح ولا فلاح إلا بهما، وهذا الكتاب مما يرفع بناء الأول منهما، ويحسن منا في هذا المقام أن نعطر تقريظ الكتاب بكلمة ثناء على عمر بك لطفي الذي أحسن الله خاتمة عمره بالعناية بأمر النقابات الزراعية علماً وعملاً فكان قوة صالحة لهذا المؤلف الذي يعد من تلاميذه، للكتاب فتحة في موضوعه للمؤلف ومقدمة لاحمد بك لطفي المحامي . وفيه ثلاثة أبواب ، عنوان أولها « التعاون في أوربة » وفيه ١٤ فصلاً — وعنوان الثاني « التعاون في مصر » وفيه ستة فصول — الأول في نظام الحياة الاقتصادية عند الزراع وعبوبه — الثاني في الدعوة إلى التعاون وفيه بيان « الدور الأول » من جهاد عمر بك لطفي . والثالث في « الدور الثاني من جهاد عمر بك لطفي ومنشآت التعاون التي أسسها والنظام الذي اختاره لها » والثالث في أعمال نقابات الزراعة بمصر ، والخامس في قانون الخمسة الافدنة، والسادس في التشريع الجديد للتعاون . وعنوان الباب الثالث « نماذج تعاونه » وهذه النماذج تعلم قراء الكتاب كيف يؤلفون النقابات الزراعية حسب القانون . وكيف يكتتبون لها . وكيف يكون الشراء والسلف منها — إلى غير ذلك من المعاملات

وقد قال المؤلف في فاتحة الكتاب مانصه :

د على أننا بأخذنا بأسباب التعاون نحيي سنة قديمة، فإن نظام التعاون وإن كان بشكله الحديث نظاماً غريباً جديداً، إلا أن الفكرة التعاونية في ذاتها أي فكرة تعاون الأيدي العاملة على القيام بالعمل المشترك وإقسام أرباحه وثمراته فكرة قديمة عرفها أجدادنا العرب، فقد أثبت الاستاذ لروابولي في كتابه المطول في الاقتصاد السياسي أن القوافل التي كانت تجوب البلاد العربية ما بين الحجاز والشام بقصد التجارة ما هي إلا جماعات تعاونية وقبيلة يتعاون أفرادها على الكسب والتجارة

الحساب

كتاب وضعه صديقنا محمد عبد الخالق افندي اسماعيل الطالب في انكلترا تمهيداً لكتاب سيضعه في علم الجبر وقد صدره بمقدمة حث فيها على نشر العلم باللغة العربية [اوسع اللغات] وقد طبعه سنة ١٣٣٢ في مصر بمطبعة البسفور طبعاً نظيفاً على ورق متوسط فجاءت صفحاته ١٦٨ ويطلب من مكتبة المنار بمصر ومنه ٢٥ مليماً الكتاب جزيل الفائدة وفيه من الجداول والرسوم والاشكال ما يوضح مسائله، وعبارته جزلة فصيحته فنحث على اقتنائه

(كتاب الفوز بالمراد من تاريخ بغداد)

تأليف الكاتب الاجتماعي الشهير (الأب انستاس الكرملي) صاحب مجلة لغة العرب. طبعه بمطبعة الشاهيندر في بغداد سنة ١٣٢٩ وصفحاته ٧٦ ومن النسخة منه خمسة قروش صحيحة، ويطلب من مكتبة المنار بمصر والكتاب مستمد من كتب التاريخ العربية والافرنجية ومن اختيار مؤلفه الشخصي وقد بدأه بتاريخ بغداد من عهد سقططاعلي يد هو لا كو سنة ٦٥٥ هـ الى سنة ٣٢٩ أي سنة (تأليفه)

(١٩١٤)

لميزانيتها ومحضر

في اوله صورة الكتاب

هذا

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق

مصر ٣٠ شعبان ١٣٣٣ — ٢٠ السرطان (ص ١) ١٢٩٣ هـ ش ١٣ يوليو ١٩١٥

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يليقها في الأزهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

تمة العلاوة

(أقول) : ثم إنه أورد بعد هذا كثيراً من الاحاديث النبوية في هذا الموضوع وفيها ما هو عام وما هو خاص . منها حديث أبي رافع الذي أرسله المشركون الى النبي (ص) فأسلم وأبى أن يرجع اليهم فقال له النبي (ص) « اني لا أحبس بالعهد ولا أحبس البرد ولكن أرجع اليهم فان كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجم » فذهب ثم عاد فأسلم . رواه أبو داود . وحديث حذيفة وأبي حنبل اللذين أخذهما المشركون فلم يطلقوهما الا بعد أن أخذوا عليهما عهد الله وميثاقه لينصرفا الى المدينة ولا يقاتلان مع النبي (ص) وذلك قبيل غزوة بدر . فلما أخبرا النبي (ص) بذلك قال « انصرفا ، نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم » فلم يأذن لهما بالقتال معه . وقد استوفينا الكلام على مسألة الشرط في تفسير

(المجلد الثامن عشر)

(٥١)

(المنار : ج ٦)

(أوفوا بالعقود) من أول السورة

بيان ما أخطأ فيه مثبتو القياس

ثم إن ابن القيم بين أنواع الخطأ الذي وقع فيه مثبتو القياس والرأي في الأحكام الشرعية وقفى على ذلك بما هو فصل الخطاب عنده في المسألة فقال :
«(فصل) وأما أصحاب الرأي والقياس فإنهم لما لم يعتنوا بالنصوص ولم يعتقدوها وافية بالأحكام ولا شاملة لها . وغلاتهم على أنها لم تف بعشر معشارها^(١) فوسعوا طرق الرأي والقياس ، وقالوا بقياس الشبه ، وعلقوا الأحكام بأوصاف لا يعلم أن الشارع علقها بها ، واستنبطوا عللاً لا يعلم أن الشارع شرع الأحكام لاجلها . ثم اضطرب ذلك إلى أن عارضوا بين كثير من النصوص والقياس ، ثم اضطربوا فتارة يقدمون القياس وتارة يفرقون بين النص المشهور وغير المشهور ، واضطرب ذلك أيضاً إلى أن اعتقدوا في كثير من الأحكام أنها شرعت على خلاف القياس . فكان خطأهم من خمسة أوجه :

«أحدها ظنهم قصور النصوص عن بيان جميع الحوادث

«الثاني معارضة كثير من النصوص بالرأي والقياس

«الثالث اعتقادهم في كثير من أحكام الشريعة أنها على خلاف الميزان والقياس .

والميزان هو العدل فظنوا أن العدل خلاف ما جاءت به هذه الأحكام

«الرابع اعتبارهم عللاً وأوصافاً لم يعلم اعتبار الشارع لها ، وإلغاؤهم عللاً وأوصافاً

اعتبرها الشارع كما تقدم بيانه

«الخامس تناقضهم في نفس القياس كما تقدم أيضاً . ونحن نعقد ههنا ثلاثة فصول

الفصل الأول في بيان شمول النصوص للأحكام والاكتفاء بها عن الرأي والقياس

«الفصل الثاني في سقوط الرأي والاجتهاد والقياس وبطلانها مع وجود النص

«الفصل الثالث في بيان (أن) أحكام الشرع كلها على وفق القياس الصحيح

وليس فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حكم يخالف الميزان والقياس

الصحيح . وهذه الفصول الثلاثة من أهم فصول الكتاب ، وبها يتبين للعالم المنصف

(١) قل هذا القول عن إمام الحرمين وعد من أكبر زلاته .

مقدار الشريعة وجلالاتها وهنيتها^(١) وسعها وفضلها وشرفها على جميع الشرائع، وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم عام الرسالة الى كل مكلف فرسالته عامة في كل شيء من الدين أصوله وفروعه ودقيقه وجليله، فكما لا يخرج أحد عن رسالته فكذلك لا يخرج حكم تحتاج اليه الامة عنها وعن بيانه له، ونحن نعلم اننا لانوفي هذه الفصول حقها ولا تقارب وانها أجل من علومنا وفوق ادراكنا، ولكن ننبه أدنى تنبيه ونشير أدنى إشارة الى ما نفتح أبوابها^(٢) ونهيج طرقها والله المستعان وعليه التكلان اه أقول : اننا لم نجد في الكتاب الا فصلين من هذه الثلاثة التي وعد بها ، الاول في شمول النصوص وإغنائها عن القياس ، والثاني في بيان ان أحكام الشرع كلها على وفق القياس الصحيح والميزان المستقيم والموافقة لعقول البشر ومصالحهم . ولا ندرى أسقط الفصل الذي بين فيه سقوط الرأي والاجتهاد والقياس مع وجود النص ؟ أم اغفل كتابته بعد الوعد به نسيانا للوعد واكتفاء باتفاق العلماء على المسألة ، وكون من يعتد بدينه وعلمه من أهل الرأي والقياس كربيعة وأبي حنيفة والشافعي لم يثبتوا حكما في مسألة فيها نص بالقياس الا اذا كانوا غير عالمين بالنص أو غير ثابت عندهم ، أو لم يفهموا الحكم منه .

شمول النصوص للاحكام وتفاوت الافهام فيها

وقد صدر الفصل الاول بمقدمة نفيسة في نوعي الدلالة وتفاوت الافهام في النصوص فقال :

« (الفصل الاول) في شمول النصوص وإغنائها عن القياس ، وهذا يتوقف على بيان مقدمة وهي : ان دلالة النصوص نوعان حقيقية وإضافية . فالحقيقية تابعة لقصد المتكلم وإرادته ، وهذه الدلالة لا تختلف ؛ والإضافية تابعة لفهم السامع وإدراكه وجوده فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته الالفاظ ومراتبها ، وهذه الدلالة تختلف اختلافا متباينا بحسب تباين السامعين في ذلك ؛ وقد كان أبو هريرة وعبد الله بن

(١) لعل الاصل هيمنتها . فالهنية والهنية الشيء اليسير ولا معنى له هنا .
(٢) راجع تفسير « مهمنا » في (ص ٤١٠ ج ٦ تفسير) (٢) لعل الاصل : نفتح به أبوابها

عمر أحفظ الصحابة للحديث وأكثرهم رواية له. وكان الصديق وعمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت أئمة منهن، بل عبد الله بن عباس أيضا أئمة منهن ومن عبد الله بن عمرو.

« وقد أنكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عمر فهمه اتيان البيت الحرام عام الحديبية من اطلاق قوله « انك سنأنيه وتطوف به » فانه لا دلالة في هذا اللفظ على تعيين العام الذي يأتونه فيه
« وأنكر على عدي بن حاتم في فهمه من الخيط الابيض والخيط الاسود

نفس العقالين

« وأنكر على من فهم من قوله « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردلة ^(١) من كبر » شمول لفظه لحسن الثوب وحسن النعل ، وأخبرهم انه ^(٢) بطر الحق وغمط الناس

« وأنكر على من فهم من قوله « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » انه كراهة الموت وأخبرهم ان هذا للكافر اذا احتضر وبشر بالعذاب فانه حينئذ يكره لقاء الله والله يكره لقاءه ، وان المؤمن اذا احتضر وبشر بكرامة الله احب لقاء الله واحب الله لقاءه

« وأنكر على عائشة اذ فهمت من قوله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) معارضته لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من نوقش الحساب عُدَّ ب » وبين لها ان الحساب اليسير هو العرض ، أي حساب العرض لاحساب المناقشة

« وأنكر على من فهم من قوله تعالى (من يعمل سوءا يجز به) ان هذا الجزاء انما هو في الآخرة وانه لا يسلم أحد من عمل السوء ، وبين ان هذا الجزاء قد يكون في الدنيا بالهم والحزن والمرض والنصب وغير ذلك من مصائبها . وليس في اللفظ تقييد الجزاء بيوم القيامة

(١) كذا وفي نسخة من الكتاب ذرة ورواية مسلم في صحيحه « مثقال حبة »
وفي رواية غيره « حبة خردل » ولا أذكر من رواه بلفظ مثقال خردلة أو ذرة
(٢) أي الكبر

« وانكر على من فهم من قوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) انه ظلم النفس بالمعاصي وبين انه الشرك ، وذ كر قول اتمان لابنه (ان الشرك لظلم عظيم) مع ان سياق اللفظ عند اعطائه حقه من التأمل يبين ذلك ، فان الله سبحانه لم يقل ولم يظلموا أنفسهم بل قال (ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) ولبس الشيء بالشئ ، تغطيته به واحاطته به من جميع جهاته ، ولا يغطي الايمان ويحيط به ويلبسه الا الكفر . ومن هذا قوله تعالى (بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فان الخطيئة لا تحيط بالمؤمن أبداً فان ايمانه يمنعه من احاطة الخطيئة به ، ومع ان سياق قوله (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون) ثم حكم الله عادل حكم وأصدقه ان من آمن ولم يلبس ايمانه بظلم فهو أحق بالامن والهدى ، فدل على ان الظلم الشرك

« وسأله عمر بن الخطاب عن الكلاله وراجعها فيها مرارا فقال « يكفيك آية

الصيف » واعترف عمر بأنه خفي عليه فهمها ، وفهمها الصديق

« وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن لحوم الجمر الالهية ففهم بعض الصحابة من نهيه انه لكونها لم تخمس ، وفهم بعضهم ان النهي لكونها كانت حمولة القوم وظهرهم ، وفهم بعضهم انه لكونها كانت حول القرية

« وفهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة وكبار الصحابة ما قصده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنهي وصرح بعلمه من كونها رجسا

« وفهمت المرأة من قوله تعالى (وآتيتهم اعداهن قنطارا) جواز المغالاة في الصداق فذكرته لعمر فاعترف به ^(١)

« وفهم ابن عباس من قوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) مع قوله (والوالدات يرضعن أولادهن حولن كاملين) ان المرأة قد تلد لستة أشهر ، ولم يفهمه عثمان فهم برجم امرأة ولدت ^(٢) حتى ذكره به ابن عباس فأقر به

(١) أي اعترف به ورجع عما كان هم به من إلزام الناس ان لا يزيدوا على مهور بنات النبي (ص) غفلة عن الآية (٢) أي ولدت بعد ستة أشهر من زواجها

« ولم يفهم عمر من قوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » قتال مانعي الزكاة حتى بين له الصديق (ذلك) فأقر به. وفهم قدامة بن مظعون من قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) رفع الجناح عن الخمر حتى بين له عمر أنه لا يتناول الخمر، ولو تأمل سياق الآية لفهم المراد منها، فإنه إنما رفع الجناح عنهم فيما طعموه متقين له فيسه، وذلك إنما يكون باجتناب ما حرمه من الطعام، فالآية لا تتناول المحرم بوجه ما

« وقد فهم من فهم من قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) انقاس الرجل في العدو حتى بين له أبو أيوب الانصاري أن هذا ليس من الإلقاء بيده إلى التهلكة بل هو من بيع الرجل نفسه ابتغاء مرضاة الله وأن الإلقاء بيده إلى التهلكة هو ترك الجهاد والاقبال على الدنيا وعمارها

« وقال الصديق رضي الله عنه: أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «ان الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بالعقاب من عنده» فأخبرهم أنهم يضعونها على غير مواضعها في فهمهم منها خلاف ما أريد بها

« واشكل على ابن عباس أمر الفرقة الساكتة التي لم ترتكب ما نهيت عنه من اليهود هل عذبوا أو نجوا، حتى بين له مولاه عكرمة دخولهم في الناجين دون المعذبين، وهذا هو الحق، لأنه سبحانه قال عن الساكتين (واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) فأخبر أنهم أنكروا فعلهم وغضبوا عليهم، وأن لم يواجهوهم بالنهي فقد واجههم به من أدى الواجب عنهم، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، فلما قام به أولئك سقط عن الباقي فلم يكونوا ظالمين بسكوتهم، وأيضاً فإنه سبحانه إنما عذب الذين نسوا ما ذكروا به وعتوا عما نهوا عنه، وهذا لا يتناول الساكتين قطعاً، فلما بين عكرمة لابن عباس أنهم لم يدخلوا في الظالمين المعذبين كساه برده وفرح به

«وقد قال عمر بن الخطاب للصحابه ما تقولون في (إذا جاء نصر الله والفتح) —
 السورة؟ قالوا أمر الله نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره، فقال لابن عباس ما تقول أنت؟
 قال: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلمه إياه. فقال ما أعلم منها غير
 ما تعلم. وهذا من أدق الفهم وألطفه ولا يدركه كل أحد، فانه سبحانه لم يعاقب الاستغفار
 بعلمه^(١) بل علقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمة فتحه على رسوله ودخول الناس في
 دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعلم أن سبب الاستغفار غيره، وهو حضور الأجل
 الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النصوح والاستغفار بين يديه^(٢) ليلقى
 ربه طاهرا مطهرا من كل ذنب، فيقدم عليه مسرورا راضيا مرضيا عنه. ويدل عليه
 (أيضا) فسبح بحمد ربك واستغفره وهو صلى الله عليه وآله وسلم كان يسبح بحمده
 دائما، فعلم أن المأمور به من ذلك التسبيح بعد الفتح ودخول الناس في الدين أمر
 أكثر من ذلك المتقدم. وذلك مقدمة بين يدي انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وانه قد
 بقيت عليه من عبودية التسبيح والاستغفار التي ترقيه إلى ذلك المقام بقية فأمره
 بتوفيقها، ويدل عليه أيضا أنه سبحانه شرع التوبة والاستغفار في خواتيم الأعمال
 فشرعها في خاتمة الحج وقيام الليل، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا سلم
 من الصلاة استغفر ثلاثا. وشرع للمتوضئ بعد كل وضوء أن يقول: اللهم اجعلني
 من التوابين واجعلني من المتطهرين. فعلم أن التوبة مشروعة عقيب الأعمال الصالحة،
 فأمر رسوله بالاستغفار عقيب توفيقه ما عليه من تبلغ الرسالة والجهاد في سبيله حين
 دخل الناس في دينه أفواجا، فكان التبليغ عبادة قد أكملها وأداها فشرع له الاستغفار
 عقيبها

« والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص وإن منهم من يفهم من
 الآية حكما أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم
 من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره،
 وأخص من هذا وألطف ضمه إلى نص آخر متعلق به، فيفهم من اقترانه به قدرا
 (١) كذا في الأصل والظاهر أنه بعلمي، أي عمل الرسول (ص) (٢) الضمير
 في يديه عائد إلى الأصل وهو الذي يربط الصلة بالموصول

زئدا على ذلك اللفظ بمفرده. وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يقن به الا النادر من أهل العلم، فان الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به، وهذا كما فهم ابن عباس من قوله (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) مع قوله (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) ان المرأة قد تلد ستة أشهر، وكما فهم الصديق من آية الفرائض في أول السورة وآخرها ان الكلالة من لا ولد له ولا والد، وأسقط الاخوة بالجدة، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمر الى هذا الفهم حيث سألته عن الكلالة وراجعته السؤال فيها مرارا فقال: «يكفيك آية الصيف» وانما أشكل على عمر قوله: (قل الله يفتيك في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد) الآية فدل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما بين له المراد منها، وهي الآية الاولى التي نزلت في الصيف فانه ورث فيها ولد الام في الكلالة السدس ولا ريب ان الكلالة فيها من لا ولد له ولا والد وان علا،

أقول: ثم انه أورد بعد هذه المقدمة عدة مسائل مما اختلف فيه السلف ومن بعدهم بينتها النصوص، وهي ست مسائل في أحكام الموارث. وقد وضع فيها إغناء النص عن القياس أتم الايضاح.

مثال النصوص الكلية المغنية عن القياس

ثم زاد على تلك المسائل عدة نصوص كلية يغني كل منها عن كثير من الاقيسة وذلك قوله أدام الله النفع بعلمه:

«ومن ذلك الا كتفاء بقوله «كل مسكر خمر» عن اثبات التحريم بالقياس في الاسم أو في الحكم كما فعله من لم يحسن الاستدلال بالنص
«ومن ذلك الا كتفاء بقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) عن اثبات قطع النبش بالقياس اسما أو حكما، اذ السارق يعم في لغة العرب وعرف الشارع سارق ثياب الاموات والاحياء

«ومن ذلك الا كتفاء بقوله (قد فرض الله لكم تحاة ايمانكم) في تناوله لكل يمين منعقدة يحلف بها المسلمون من غير تخصيص الا بنص واجماع، وقد بين ذلك سبحانه في قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم، ولكن يؤاخذكم

بما عقدتم الايمان فكفارتها اطعام عشرة مساكين) فهذا صريح في ان كل يمين منعقدة فهذا كفارتها، وقد ادخلت الصحابة في هذا النص الحلف بالتزام الواجبات والحلف بأحب القربات المالية الى الله وهو العتق كما ثبت ذلك عن ستة منهم ، ولا يخالف لهم من أنفسهم ، وادخلت فيه الحلف بالبغض الى الله وهو الطلاق كما ثبت ذلك عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في الخنة ولا يخالف له منهم . فالواجب تحكيم هذا النص العام والعمل بعمومه حتى يثبت اجماع الامة اجماعاً متيقناً على خلافه فالامة لا تجمع على خطأ البتة

« ومن ذلك الاكتفاء بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد » في ابطال كل عقد نهى الله ورسوله عنه وحرمه وانه اغو لا يعتد به، نكاحاً كان أو طلاقاً أو غيرهما، الا ان تجمع الامة اجماعاً معلوماً على ان بعض ما نهى الله ورسوله عنه وحرمه من العقود صحيح لازم معتد به غير مردود، فهي لا تجمع على خطأ وباللّٰه التوفيق

« ومن ذلك الاكتفاء بقوله تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم « وما سكت عنه فهو مما عفا عنه » فكل ما لم يبين الله ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تحريمه من المطاعم والمشارب والملابس والعقود والشروط فلا يجوز تحريمها، فان الله سبحانه قد فصل لنا ما حرم علينا، فما كان من هذه الاشياء حراماً فلا بد ان يكون تحريمه مفصلاً، وكما انه لا يجوز اباحة ما حرمه الله، فكذلك لا يجوز تحريم ما عفا عنه ولم يحرمه وباللّٰه التوفيق »

لا شيء في الشرع يخالف القياس الصحيح

ثم شرع ابن القيم في بيان كون جميع احكام الشريعة موافقة للقياس الصحيح الموافق للعدل والعقل فقال:

﴿ الفصل الثاني ﴾ في بيان انه ليس في الشريعة شيء على خلاف القياس، وان ما يظن مخالفته للقياس فأحد الامرين لازم فيه ولا بد - اما ان يكون القياس فاسداً، أو يكون ذلك الحكم لم يثبت بالنص كونه من الشرع . وسألت شيخنا قدس الله

روحه عما يقع في كلام كثير من الفقهاء من قولهم هذا خلاف القياس لما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بعضهم وربما كان مجمعا عليه كقولهم طهارة الماء اذا وقعت فيه نجاسة خلاف القياس ، وتطهير النجاسة على خلاف القياس ، والوضوء من لحوم الابل والفطر بالحجامة والسلم والاجارة والحوالة والكتابة والمضاربة والمزارة والمساقاة والقرض وصحة صوم الاكل النسي والمضي في الحج الفاسد - كل ذلك على خلاف القياس ؛ فهل ذلك صواب أم لا ؟ قل : ليس في الشريعة ما يخالف القياس . وأنا اذكر ما حصلته من جوابه بخطه ولفظه وما فتح الله سبحانه لي يمين ارشاده وبركة تعليمه وحسن بيانه وتفهمه

« ان أصل هذا ان تعلم ان لفظ القياس لفظ مجمل يدخل فيه القياس الصحيح والفساد . والصحيح هو الذي وردت به الشريعة ، وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين . فالاول قياس الطرد والثاني قياس العكس ، وهو من العدل الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم . فالقياس الصحيح مثل ان تكون العلة التي علق بها الحكم في الاصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفروع يمنع حكمها ، ومثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه قط ، وكذلك القياس بإلغاء الفارق وهو أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع ، فمثل هذا القياس أيضا لا تأتي الشريعة بخلافه . وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الاحكام بحكم يفارق به نظائره فلا بد ان يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم ويمنع مساواته بغيره ، ولكن الوصف الذي اختص به ذلك النوع قد يظهر لبعض الناس ، وقد لا يظهر وليس من شرط القياس الصحيح ان يعلم صحته كل احد . فمن رأى شيئا من الشريعة مخالفا للقياس فانما هو مخالف للقياس الذي انعقد في نفسه . ليس مخالفا للقياس الصحيح الثابت في نفس الامر . وحيث علمنا أن النص بخلاف قياس علمنا قطعا انه قياس فاسد ، بمعنى ان صورة النص امتازت عن تلك الصور التي يظن أنها مثلها ، بوصف أوجب تخصيص الشارع لها بذلك الحكم . فليس في الشريعة ما يخالف قياسا صحيحا ، ولكن يخالف القياس الفاسد وان كان بعض الناس لا يعلم فسادده ، ونحن نبين ذلك فيما ذكر في السؤال ، اه المراد منه

(أقول) ثم انه بعد هذا بين خطأ من قال ان تلك المسائل جاءت على خلاف القياس بيانا كافيا شافيا في عدة فصول ظهر به بطلان كثير من كلام فقهاء القياس وأصولهم وقواعدهم ، وتضمن ذلك فوائد نفيسة - منها انعقاد العقود بأي لفظ عرف به المتعاقدان مقصودهما ، وان الشارع لم يحد لألفاظ العقود حدا لا الذكاح ولا غيره - وان الكناية مع القرينة كالصرح ، ومنها بيان أنواع المعاملات المالية وبطلان كثير من الشروط التي اشترطها فقهاء القياس فيها ، ومنه يعلم يسر الشريعة وسعتها وموافقتها للعدل والعقل

ثم أورد بعد هذا ما استشكله نفاة الحكمة والتعليل والقياس من تفريق الشريعة بين المتماثلين وجمعها بين المختلفين في عدة مسائل كثيرا ما يذكرونها ، كفرض الغسل من المني الطاهر دون البول النجس وما في حكمه ، وكذا إبطال الصيام بالاستثناء ، ونضح الثوب من بول الغلام وغسله من بول الجارية ، وقصر الصلاة الرباعية دون غيرها ، وإيجاب إعادة الصيام على الخائض دون الصلاة ، وتحريم النظر الى الحرة ولو عجزوا شوها دون الامة ولو شابة حسناء ، وقطع يد سارق ربع دينار دون مقتصب ألف دينار مع جعل دية اليد خمس مئة دينار - الى غير ذلك من المسائل الكثيرة في العبادات والمعاملات المالية والزوجية وفي العقوبات ، ولعله استوفى كل ما بلغه من المسائل التي زعم بعض الناس أنها على خلاف القياس والعقل. ثم أجاب عن ذلك كله بالاسهاب ، الذي لا يكاد يوجد مثله في غير هذا الكتاب. وفي جوابه أو أجوبته هذه من حكم الشريعة وأسرارها وبيان موافقتها للعقل ومصالح البشر - ومن خطأ غلاة القياسيين ، ما لا يستغني عنه أحد من طلاب علم الشرع والتفقه في الدين

نذكر من تلك المسائل الكثيرة مسألة واحدة على سبيل النموذج ، وهي الجواب عن قول منكري القياس ان الشارع حرم بيع مدّ حنطة بمدّ وحفنة وجوز بيعه بقفيز من شعير^(١) فهذا تفريق بين المتماثلين مخالف للقياس والعقل عندهم . وقد

(١) القفيز مكيال يساوي أربع وبيات والوية مكيال بسع ٢٢ أو ٢٤

مدا نبويا

أُطال في ردّ هذا بما بين به حكمة تحريم الربا في النقدين والبر والشعير والتمر والملح التي ورد بها الحديث ، فلنخص ذلك بجمل وجيزة :

(١) قال «الربا نوعان جلي وخفي . فالجلي حرم لما فيه من الضرر العظيم ، والخفي حرم لأنه ذريعة الى الجلي ، فتحريم الاول قصدا ، وتحريم الثاني وسيلة . فاما الجلي فربا النسيئة ، وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، مثل ان يؤخر دينه ويزيده في المال ، وكلما أخره زاد في المال حتى تصير المنة عنده آلافا مؤلفة ، وفي الغالب لا يفعل ذلك الا معدم محتاج ، فاذا رأى المستحق يؤخر مطالبته ويصبر عليه بزيادة يبذلها له تكلف بذلها ، ليفتدي من أسر المطالبة والحبس ، ويدافع من وقت الى وقت ، فيشتد ضرره ، وتعظم مصيبته ، ويعلوه الدين حتى يستغرق جميع موجوده» الخ

(أقول) وهذا الربا الجاهلي هو الذي نزل فيه التشديد والوعيد . وقال الامام احمد انه هو الربا الذي لاشك فيه . كما نقله المصنف عنه في هذا السياق وغيره عنه وعن غيره من السلف ، وهو الذي روى فيه ابن عباس وأسماء بن زيد عن النبي (ص) انه قال «لاربا الا في النسيئة» أو «انما الربا في النسيئة» كما رواه الشيخان في الصحيحين ، وقد روى ان ابن عباس وابن عمر لم يكونا يحزمان ربا الفضل ، وقيل رجعا عن ذلك ، وجزم الحافظ في الفتح برجوع الثاني والاختلاف في رجوع الاول . ويحتمل ان يكون مرادها بالربا ما نزل فيه وعيد القرآن كما تقدم في تفسير آياته في سورتي البقرة وآل عمران . وذهب ابن القيم في هذا السياق الى ما اعتمد الجمهور من ان المراد به حصر الكمال اي ان الربا التام الكامل لا يكون الا في النسيئة ، (قال) فان ربا الفضل انما سمي ربا تجاوزا من باب اطلاق اسم المقصد على الوسيلة ، وهو نحو من اطلاق اسم السبب على السبب . ويدل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري الآتي

وأقول هو من قبيل اطلاق اسم الزنا على النظر الى المرأة الاجنبية بشهوة . وانما حرم هذا النظر والخلوة بالاجنبية لسد الذريعة كربا الفضل (قال) واما ربا الفضل فتحريمه من باب سد الذرائع كما صرح به في حديث

أبي سعيد الخدري (رض) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا تبمعوا الدرهم بالدرهمين فاني أخاف عليكم الرماء » والرماء هو الربا. فمنعهم من ربا الفضل لما يخافه عليهم من ربا النسيئة. الى آخر ما قاله في ايضاح ذلك وهو واضح

(٢) بين ان الحديث نص على تحريم الربا في ستة أعيان وهي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح — ثم قال: فاتفق الناس على تحريم التفاضل فيها مع اتحاد الجنس — أي كبيع الذهب بالذهب والقمح بالقمح ، بخلاف بيع الذهب بالفضة والقمح بالشعير مثلاً فانهم جوزوه — وتنازعوا فيما عداها ، فطائفة قصرت التحريم عليها ، وأقدم من يروى هذا عنه قتادة ، وهو مذهب أهل الظاهر ، واختيار ابن عقيل (هو من أئمة الحنابلة) في آخر مصنفاته مع قوله بالقياس ، قال : لان علل القياسيين في مسألة الربا ضعيفة ، واذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس

(٣) بين ان أهل القياس اختلفوا في علة تحريم الربا في تلك الأعيان الستة التي ورد بها الحديث . فأما البر والشعير والتمر والملح فذهب بعضهم كأبي حنيفة وظاهر الرواية عن أحمد ان علته كونه مكيلاً وموزوناً فيجري الربا في كل مكيل وموزون. وذهب بعض آخر الى ان علته كونه طعاماً ، وهو مذهب سعيد بن المسيب والشافعي ورواية عن أحمد فيجري في كل ما يطعم . وذهب غيرهم الى ان علة ذلك كونها قوت الناس ، وعبارة ابن القيم : وطائفة خصته بالقوت وما يصلحه ، وهذا قول مالك وهو أرجح هذه الأقوال كما ستراه . أقول واعتبر بعض المالكية في القوت ما يدخر . وأما الذهب والفضة فالعلة فيهما عند أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه الوزن ، فيجري الربا على هذا في كل موزون وكل مكيل من المعادن كغيرها. وهذا أوسع الأقوال وأشدّها في الربا . والجمهور على ان العلة فيهما الثمنية — أي كونهما معيار الأمان في المعاملات كلها . قال ابن القيم : وهذا قول الشافعي ومالك وأحمد في الرواية الأخرى . وهذا هو الصحيح بل الصواب . ثم أورد الأدلة على ذلك وأولها الاجماع على إسلامهما في الموزونات من النحاس والحديد وغيرهما ، فلو كان النحاس والحديد ربويين لم يجز بيعهما الى أجل بدراهم نقداً ، فان ما يجري فيه الربا اذا اختلف جنسه جاز التفاضل فيه دون النساء ، والعلة اذا انتقضت من

دون فرق مؤثر دل على بطلانها الخ ماقاله

(٤) بنى ابن القيم بيان حكمة تحريم الربا على الراجح المختار من تعليل حصره في الاجناس الستة ، ولا تظهر حكمة ذلك على قول من قال ان الربا يجري في كل ما يكال ويوزن ، بل هذا التضييق على العباد لا يعقل له حكمة ، ولا هو عبادة بالنص ، وقد بينا حكمة تحريم الربا في تفسير آياته من سورتي البقرة وآل عمران فیراجع هناك ^(١) وفي اعلام الموقعين

(٥) بين أيضا أن ما حرم لذاته لا يباح شرعا الا للضرورة ان كان مما يضطر اليه ، وما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة والمصلحة . وبنى على ذلك جواز بيع الحلية من الذهب والفضة بنقود منهما تزيد على وزنها في مقابلة ما فيها من الصنعة ، واستدل على هذا الجواز بأدلة متقولة ومعقولة أيضا ، واستشهد على جواز ربا الفضل للمصلحة الراجعة بإباحة النبي (ص) بيع العرايا ^(٢) ، وذكر من نظائره إباحة نظر الخاطب والطبيب والشاهد الى المرأة الأجنبية - حتى ان الطبيب ينظر كل عضو تتوقف معالجته على النظر اليه ، وكذا لمسه ، وإباحة لبس الحرير لمنع الحكة أو القمل . والامثلة والشواهد كثيرة

والفرض مما خصناه هنا بيان فضيلة المذهب الوسط بين مذهبي نفي القياس البتة والتوسع فيه باستنباط العلل البعيدة . ففقتضى مذهب ابن حزم انه اذا وجد أهل قطر لا قوت لهم الا الرز ولا تقد لهم الا من النحاس فانه يباح لهم الربا في تقدمهم وقوتهم . وهذا ينا في حكمة الشارع في تحريم ذلك وهو غلو في الاباحة . ويقال له الغلو في الحظر وهو مذهب القائلين بجريان الربا في كل مكيل وموزون ، والمذهب الوسط ان الاجناس الستة المذكورة في الحديث كانت ولا تزال معيار

(١) (ص ١٠٦ من الجزء الثالث و ص ١٢٥ من الجزء الرابع من التفسير)

(٢) العرايا جمع عرية كقضايا جمع قضية . وهي النخل تعطى لمن يأكل ثمرها

ولا يملك رقيبتها . والمراد ببيعها بيع ما عليها من الرطب بما يخرص ويقدر به من الثمر ، لشدة حاجتهم الى ذلك اذ كان يكون للرجل عرية في حائط نخل فيكره أصحاب الحائط دخوله عليهم لأخذ رطب عريته فيشترونه منه بالتمر

الائمان وأصول الاقوات لاكثر البشر فكان ربا المنيئة فيها - وهو الذي يتضاعف
اضعافا كثيرة - مضرا بهم ضررا بليغا ، فكان من الرحمة والمصاحبة تحريمه أشد
التحريم وجعله من الكبائر ، وتحريم ما كان ذريعة له تحريم الصغائر . فاذا وجدت
هذه العلة في نقد آخر غير الذهب والفضة ، وقوت آخر غير البر والشعير والتمر
والمالح ، صح قياسهما على الاجناس الستة لحلولها محلها ، وانطباق حكمة التشريع
على ذلك

(فان قيل) ان المعتدين في القياس من أهل الاثر لا يعتدون الا بالعلة الثابتة عن
الشارع بالنص كقوله تعالى في تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير (٦ : ١٤٥) فانه
رجس (أي خبيث مستقذر فهو داخل في عموم) ويحرم عليهم الخبائث) ولانص
على علة الربا (قلنا) انهم يريدون بالنص هنا ما ثبت بالمنطوق أو المفهوم أو
القرينة الواضحة ، كنفحوى الخطاب ولحنه وما يقوم مقامه ، فنه ما يكون معلوما
من مقاصد الشرع بالضرورة أو البداهة ، أو بضرب من ضروب الدلائل اللفظية
كترتيب الحكم على المشتق كالزاني والسارق ، والاجناس الستة التي ورد الحديث
بجريان الربا فيها من هذا القبيل ، فان تخصيصها بالذكر لا بد ان يكون لمعنى فيها
اقتضاه والا كان لغوا أو عبثا يتنزه عنه العقلاء ، فكيف يصدر عن الانبياء ؟ وليس
فيها معنى تمتاز به على غيرها من المعادن والاطعمة الا كونها تقود الناس التي
هي معيار معاملاتهم ومبادلاتهم ، وأغذيتهم الرئيسية وأصول أقاتهم ، وأما
كونها توزن أو تسكال فهو من صفاتها العامة ، ككونها تنقل وتحمل وتنظر وتلمس
وتباع وتشتري ، ولو كانت هذه الصفات مقصودة للنبي (ص) لما عبر عن الكثير
الذي لا يحصر ببعض أفراد من غير بيان لعلته ، بل كان البيان الصحيح يتوقف
على مايفهم به المراد من التعبير ، كان يقول : كل مايكال أو يوزن فحكمه كذا . وما
قرره واضح جدا وان خفي على بعض أئمة الفقهاء فقد رأيت أن أكبر علماء الصحابة
الذين كانوا أوسع علما وفهما للنصوص من أولئك الفقهاء بشهادة علماء الامة كلهم قد
خفي على بعضهم ما هو مثل هذه المسألة في الوضوح أو أشد . والبشر عرضة للغفلة
والذهول ، وان من أنهض الحجج على بطلان التزام تقليد فرد معين من العلماء

ما ظهر كالشمس من خطأ أكابر المجتهدين في بعض الاحكام ، إما بمخالفة النص الصريح ، وإما بتسكب القياس الصحيح

ولم أر مثلاً لجعل الكيل والوزن علة للربا أظهر من جعل «الدخول في الجوف» علة لتحريم الاكل والشرب على الصائم - في كون كل من العائنين لا يدل عليهما الشرع ولا اللغة ولا العقل المدرك للحكم والمصالح ، ولذلك قاسوا على الاكل والشرب إدخال المسبار في جرح البطن أو الرأس . حتى قال بعضهم: اذا خرجت مقعده عند الفائط فأخطأ يده - أي بعد الاستنجاء - فانه يفطر !

وبأمثال هذه الاقيسة زادت أحكام العبادات وأنواع المحرمات على ما كان معروفاً في زمن اكمال الدين أضعافاً كثيرة ، ولم يبق لنا شيء ينطبق عليه ما أمتن به علينا الشارع من سكوته عن أشياء عفا عنها رحمة بنا من غير نسيان . تحقيقاً لقوله تعالى إنه يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر ، وإنه ما جعل علينا في الدين من حرج ، وإنه لا يريد أن يعنتنا

ماحققه الشوكاني في مسألة القياس

بين الامام محمد بن علي الشوكاني في كتابه (ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول) الخلاف في القياس الفقهي هل يجوز التعبد به عقلاً أم لا ؟ واختلاف القائلين بالجواز هل وقع بالفعل أم لا ؟ واختلاف القائلين بالوقوع في شروطه ودلائله هل هي سمعية أو عقلية ؟ وانقسام القائلين بعدم الوقوع الى فريقين : فريق يقول لم يوجد في الشرع ما يدل عليه فوجب الامتناع من العمل به ، وفريق يستدل على نفيه بالكتاب والسنة واجماع الصحابة واجماع العروة والعقل ، ثم قال

« وقد استدل المانعون من القياس بأدلة عقلية وتقليدية ولا حاجة بهم الى الاستدلال فالقيام في مقام المنع يكفيهم ، وايراد الدليل على القائلين به ، وقد جاؤا بأدلة عقلية لا تقوم بها الحجة فلا نطول بدكرها ، وجاؤا بأدلة تقليدية فقالوا: دل على ثبوت التعبد بالقياس الشرعي الكتاب والسنة والاجماع »

ثم أورد مآلوله وبحث فيه بحث الامام النحرير ملتزماً قواعد الاصول وآداب

المنظرة فنلخص ذلك بما يأتي :

﴿ الدليل الاول من القرآن ﴾ قوله تعالى (فاعتبروا يا أولي الابصار) وقد نقل عن المحصول الامام الرازي رد الاستدلال بهذه الآية على القياس الفقهي من وجوه ، وبحث فيما اختاره من كون الاعتبار حقيقة في المجاوزة ، ووافقه على كون الآية غير حجة للقياسيين فقال « والحاصل ان هذه الآية لا تدل على القياس الشرعي لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام ، ومن أطال الكلام في الاستدلال بها فقد شغل الحيز بما لا طائل تحته »

﴿ الدليل الثاني والثالث ﴾ قوله تعالى (فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) وقوله تعالى (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وهذان مما استدل به الامام الشافعي في رسالته

قال الشوكاني : ولا يخفك ان غاية ما في آية الجزاء هو المحيي ، يمثل ذلك الصيد ، وكونه مثالا له موكول الى العدلين ومفوض الى اجتهداهما ، وليس في هذا دليل على القياس الذي هو إلحاق فرع بأصل لعللة جامعة . وكذلك الامر بالتوجه الى القبلة فليس فيه الإيجاب تحري الصواب في أمرها ، وليس ذلك من القياس في شيء .

﴿ الدليل الرابع ﴾ ما استدل ابن سريج وهو قوله تعالى (ولوردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) قال الشوكاني قالوا : أولو الامر هم العلماء والاستنباط هو القياس . ويحاج عنه بأن الاستنباط هو استخراج الدليل من المدلول بالنظر فيما يفيد من العموم أو الخصوص أو الإطلاق أو التقييد أو الاجمال أو التبين في نفس النصوص ، أو نحو ذلك مما يكون طريقا الى استخراج الدليل منه . ولو سلمنا اندراج القياس تحت مسمى الاستنباط لكان ذلك مخصوصا بالقياس المنصوص على علمه وقياس الفحوى ونحوه ، لا بما كان ملحقا بمسلك من مسالك العلة التي هي محض رأي لم يدل عليها دليل من الشرع ، فان ذلك ليس من الاستنباط من الشرع بما أذن الله به ، بل من الاستنباط بما لم يأذن الله به . اه

أقول وقد بينا في تفسير الآية ان أولي الامر ليسوا هم علماء الفقه المعروف وأصوله

بل لم أولو الحل والعقد من الامة فراجعه في محله

﴿الدليل الخامس﴾ ما استدل ابن سريج ، وهو قوله تعالى (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً مآ - بعوضة فما فوقها) قال : لان القياس هو تشبيه الشيء بالشيء فما جاز من فعل من لا تخفى عليه خافية فهو ممن لا يخلو من الجهالة والنقص أجوز . واعتمد الشوكاني في رد هذا الاستدلال قلبه على صاحبه ببيان ان من لا تخفى عليه خافية فكل ما يضربه من مثل وما يثبت من تشبيه شيء بشيء يجب ان يكون صحيحاً ، واما من لا يخلو من النقص والجهل فلا تقطع بصحة ذلك منه ولا نطنه لما في فاعله من الجهالة والنقص .

وأقول : ان تقرير هذا الاستدلال هفوة من أكبر الهفوات ، بل سقطة من أقبح السقطات ، فانه - على كونه ليس من الموضوع في ورد ولا صدر - عبارة عن قياس العبد على الرب ، وجعله أحق بالتشريع وأجدر . وقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى في مسألة أمثال القرآن من سياقه الذي اختصرناه فيراجع في كتابه ﴿الدليل السادس﴾ قوله تعالى في الرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم (قل يحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) قال الشوكاني : ويحجب عنه بمنع كون هذه الآية لا تدل^(١) على المطلوب لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام ، وغاية ما فيها الاستدلال بالاثار السابق على الاثر اللاحق وكون المؤثر فيها واحداً ، وذلك غير القياس الشرعي الذي هو ادراج فرع تحت أصل لعل جامعة بينهما

﴿الدليل السابع﴾ قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وقد نسبة الى ابن تيمية (قال) وتقريره ان العدل هو التسوية ، والقياس هو التسوية بين مثلين في الحكم ، فيتناولها عموم الآية . ويحجب عنه بمنع كون الآية دليلاً على المطلوب بوجه من الوجوه . ولو سلمنا لكان ذلك في الاقيسة التي قام الدليل على نفي الفارق فيها - لافي الاقيسة التي هي شعبة من شعب الرأي ، ونوع من أنواع الظنون الزائفة ،

(١) كذا والمراد بمنع كونها تدل على المطلوب بوجه ما . وأما منع كونها لا تدل

فهو من قبيل نفي النفي لإثبات وهو ليس بمراد

وخصلة من خصال الخيالات المحتلة . اهـ

أقول أخطأ الشوكاني ههنا وأصاب - أصاب فيما رمى اليه من كون الامر بالعدل ليس دليلا على القياس الفقهي المعروف الذي يجعل كل ما يوزن في حكم النقيدين من الذهب والفضة وكل ما يكال في حكم البر والشعير والتمر والملح ، ويجعل مسبر الجراح مفطرا للصائم كالطعام والشراب . واخطأ مراد ابن تيمية من القياس والعدل اذ يظهر انه لم يطلع على ما كتبه هو ثم تلميذه ابن القيم في ذلك ، وسنعود الى ذكر مذهبهما فيه

الاستدلال على القياس بالحديث والاجماع

ثم أورد الشوكاني ما استدلوا به على حجية القياس من الحديث والاجماع، وبدأ الكلام بحديث معاذ اذ أقره النبي (ص) على قوله « اجتهد رأيي ولا آلو » في القضاء بما لا يجده في كتاب الله ولا سنة رسوله ، وقد تقدم تضعيف ابن حزم لهذا الحديث ، وقد قال الشوكاني : ان الكلام في اسناده هذا الحديث يطول ، وقد قيل انه مما تلقي بالقبول . ثم أجاب عنه وعن سائر أدلتهم بعد تاختيصها بما نصه : « وأجيب عنه بأن اجتهد الرأي هو عبارة عن استفراغ الجهد في الطلب للحكم من النصوص الخفية . ورد بأنه انما قال « أجتهد رأيي » بعد عدم وجوده لذلك الحكم في الكتاب والسنة . وما دلت عليه النصوص الخفية لا يجوز أن يقال إنه غير موجود في الكتاب والسنة . وأجيب عن هذا الرد بأن القياس عند القائلين به مفهوم من الكتاب والسنة فلا بد من حمل الاجتهاد في الرأي على ما عدا القياس فلا يكون الحديث حجة لاثباته ، واجتهاد الرأي كما يكون باستخراج الدليل من الكتاب والسنة يكون بالتمسك بالبراءة الاصلية ، أو باصالة الاباحة في الاشياء أو الحظر على اختلاف الاقوال في ذلك ، أو التمسك بالمصالح ، أو التمسك بالاحتياط

« وعلى تسليم دخول القياس في اجتهد الرأي فليس المراد كل قياس بل المراد القياسات التي يسوغ العمل بها والرجوع اليها ، كالقياس الذي علته منصوصة والقياس الذي قطع فيه بنفي الفارق في الدليل الذي يدل على الاخذ بتلك

القياسات - لا اتقياسات المبينة على تلك المسالك التي ليس فيها الا مجرد الخيالات المختلة والشبه الباطلة

« وأيضاً فعلى التسليم لادلالة الحديث الا على العمل بالقياس في أيام النبوة لان الشريعة اذ ذاك لم تكمل فيمكن عدم وجدان الدليل في الكتاب والسنة وأما بعد أيام النبوة فقد كمل الشرع لقوله (اليوم اكملت لكم دينكم) ولا معنى للاكمال الا وفاء النصوص بما يحتاج اليه أهل الشرع إما بالنص على كل فرد أو باندراج ما يحتاج اليه تحت العمومات الشاملة » ومما يؤيد ذلك قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله (ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)

« واستدلوا أيضاً بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اتقياسات كقوله « أرايت لو كان على أهلك دين فقضيته أكان يحزى عنه - قالت نعم قال - فدين الله أحق أن يقضى » وقوله لرجل سأله فقال أيقضي أحدنا شهوته ويؤجر عليها؟ فقال « أرايت لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ - قال نعم قال - فكذلك اذا وضعها في حلال كان له أجر » وقال لمن أنكر ولده الذي جاءت به امرأته أسود « هل لك من إبل؟ - قال نعم قال - فما ألوانها - قال حمراء قال فهل فيها من أورك؟ - قال نعم - قال فمن أين؟ - قال لعله نزعه عرق، قال - وهذا لعله نزعه عرق » وقال لعمر وقد قبل امرأته وهو صائم « أرايت لو تمضمضت بماء » وقال « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وهذه الاحاديث ثابتة في دواوين الاسلام . وقد وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم قياسات كثيرة حتى صنف المصالح الحنبلي جزءاً في أقيسته صلى الله عليه وآله وسلم

« ويحاجب عن ذلك بأن هذه الاقيسة صادرة عن الشارع المعصوم الذي يقول الله سبحانه فيما جاءنا به عنه (إن هو الا وحي يوحى) ويقول في وجوب اتباعه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وذلك خارج عن محل النزاع فان القياس الذي كلامنا فيه انما هو قياس من لم تثبت له العصمة ولا وجب اتباعه ولا كان كلامه وحياً بل من جهة نفسه الامارة وبمقله المغلوب بالخطأ، وقد قدمنا أنه قد وقع الاتفاق على قيام الحجة بالقياسات الصادرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم

«واستدلوا أيضا باجماع الصحابة على القياس. قال ابن عقيل الحنبلي: وقد بلغ التواتر المغنوي عن الصحابة باستعماله وهو قطعي. وقال الصفي الهندي: دليل الاجماع هو المعول عليه لجاهير المحققين من الاصوليين. وقال الرازي في المحصول: مسلك الاجماع هو الذي عول عليه جمهور الاصوليين». وقال ابن دقيق العيد: عندي أن المعتمد اشتغال العمل بالقياس في أقطار الارض شرقا وغربا قرنا بعد قرن عند جمهور الامة الا عند شذوذ متأخرين. قال وهذا أقوى الأدلة

«ويجاب عنه بمنع ثبوت هذا الاجماع فان المحتجين بذلك انما جاؤنا بروايات عن أفراد من الصحابة محصورين في غاية القلة، فكيف يكون ذلك اجماعا لجميعهم مع تفرقهم في الاقطار واختلافهم في كثير من المسائل، ورد بعضهم على بعض وانكار بعضهم لما قاله البعض كما ذلك معروف؟

«وبيانه انهم اختلفوا في الجد مع الاخوة على أقوال معروفة وانكر بعضهم على بعض، وكذلك اختلفوا في مسألة زوج وأم وأخوة لام وأخوة لأب وأم وانكر بعضهم على بعض، وكذلك اختلفوا في مسألة الخلع، وهكذا وقع الانكار من جماعة من الصحابة على من عمل بالرأي منهم. والقياس ان كان منه فظاهر وان لم يكن منه فقد أنكره منهم من أنكره كما في هذه المسائل التي ذكرناها. ولو سلمنا لكان ذلك الاجماع انما هو على القياسات التي وقع النص على علتها والتي قطع فيها بنفي الفارق، فما الدليل على انهم قالوا بجميع أنواع القياس الذي اعتبره كثير من الاصوليين وأثبتوه بمسالك تنقطع فيها أعناق الابل، وتساقر فيها الازدهان حتى تبلغ الى ما ليس بشيء، وتغلغل فيها العقول حتى تأتي بما ليس من الشرع في ورد ولا صدر، ولا من الشريعة السمحة السهلة في قبيل ولا دبير؟ وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «تركتمكم على الواضحة ليلها كنهها» وجاءت نصوص الكتاب العزيز بما قدمنا من اكمال الدين وبما يفيد هذا المعنى ويصحح دلالاته ويؤيد براهينه «واذا عرفت ما حررناه وتقرر لديك جميع ما قررناه، فاعلم ان القياس المأخوذ به هو ما وقع النص على علتها، وما قطع فيه بنفي الفارق، وما كان من باب فحوى الخطاب أو لحن الخطاب على اصطلاح من يسمي ذلك قياسا، وقد قدمنا انه من

مفهوم الموافقة

«ثم أعلم ان نفاة القياس لم يقولوا باهدار كل ما يسمى قياسا وان كان منصوبا على علته أو مقطوعا فيه بنفي الفارق بل جعلوا هذا النوع من القياس مدلولا عليه بدليل الاصل مشمولا به مندرجا تحته وبهذا يهون عليك الخطب ويصغر عندك ما استعظموه، ويقرب لديك ما بعده، لان الخلاف في هذا النوع الخاص صار لفظيا، وهو من حيث المعنى متفق على الاخذ به والعمل عليه. واختلاف طريقة العمل لا يستتزم الاختلاف المعنوي لاعقلا ولا شرعا ولا عرفا. وقد قدمنا لك أن ما جاؤا به من الادلة العقلية لا تقوم بالحجة بشيء منها، ولا تستحق تطويل ذيول البحث بذكرها * وبيان ذلك أن أنهض ما قالوه في ذلك أن النصوص لا تنفي بالاحكام فانها متناهية والحوادث غير متناهية * ويجب عن هذا بما قدمناه من إخباره عز وجل لهذه الامة بأنه قد أكل لها دينها، وبما أخبرها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من أنه قد تركها على الواضحة التي ليلها كنهارها *

«ثم لا يخفى على ذي لب صحيح وفهم صالح ان في عمومات الكتاب والسنة ومطلقاتهما وخصوص نصوصهما ما يفي بكل حادثة تحدث، ويقوم ببيان كل نازلة تنزل، تعرف ذلك من عرفه وجهله من جهله اه

ثم قال الشوكاني عند الكلام على النص من مسالك العلة في القياس ما نصه : «واعلم أنه لا خلاف في الاخذ بالعلة اذا كانت منصوبة؛ وانما اختلفوا هل الاخذ بها من باب القياس أم من العمل بالنص؟ فذهب الى الأول الجمهور، وذهب الى الثاني النافون للقياس — فيكون الخلاف على هذا لفظيا. وعند ذلك يهون الخطب ويصغر ما استعظم من الخلاف في هذه المسألة. قال ابن فورك : ان الأخذ بالعلة المنصوبة ليس قياسا وانما هو استمسك بلفظ نص الشارع، فان لفظ التعليل اذا لم يقبل التأويل عن كل ما تجري العلة فيه كان المتعلق به مستدلا بلفظ قاض بالعموم. » اه

أقول: ان بعض الناس لا يعد كل تعليل في النصوص من قبيل العام فيجري كل ما تحققت فيه العلة مجرى افراد العام في حكمه؛ فالخلاف بين هؤلاء وبين

الذين ينوطون الأحكام بالعلل المنصوصة حقيقي لا لفظي ، سواء كانوا يسمون ذلك عملا بالنص أو قياسا ، وإنما الخلاف اللفظي بين هذين الفريقين المتفقين على تحكيم العلل المنصوصة . وابن تيمية وابن القيم من علماء الأثر إنما يوافقان الجمهور على إثبات القياس بهذا المعنى ؛ ويرى أن هذا المعنى داخل في مفهوم كمالتي العدل والميزان . وهذا حق ، ومن مقتضاه أنه خاص بأحكام المعاملات دون العبادات المحضة ، فإن العبادات قد استوفتها النصوص وبينتها السنة العملية فلا وجه للزيادة فيها أو النقص منها ، ولا لإيقاع شيء منها على غير ما كان عليه النبي (ص) وأصحابه .

قال حذيفة (رض) : كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول (ص) فلا تعبدوها . والآثار عن الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء السلف الصالحين في هذا كثيرة . ومن تتبع ما زاده بعض الفقهاء في أحكام العبادات بالقياس على المأثور عن أهل الصدر الأول لم ير شيئا منه حجة قيمة ولا قياسا صحيحا

أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام أبو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه (المحلى)
وعناوين المسائل من زيادة المنار

٢

أفعال النبي (ص)

﴿ مسألة ﴾ وأفعال النبي (ص) ليست فرضا إلا ما كان منها بيانا لأمر فهو حينئذ أمر ، لكن الائتساء به عليه السلام فيها حسن . برهان ذلك هذا الخبر الذي ذكرنا آنفا من أنه لا يلزمنا شيء إلا ما أمرنا به أو نهانا عنه ، وأن ما سكت عنه فهو ساقط عنا . قال الله عز وجل (لقد

كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا عليه السلام . قال الله عز وجل (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) حدثنا أحمد بن محمد بن الجسور ، نا وهب بن مرة ، نا محمد بن وضاح ، نا أبو بكر بن أبي شيبة ، نا هشيم ، نا بشار ، نا يزيد الفقير : أخبرني جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالزعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » — فاذا صح أن الأنبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم إلا إلى قومه خاصة ، فقد صح أن شرائعهم لم تلزم إلا من بعثوا إليه فقط ، وإذا لم يبعثوا إلينا ، فلم يخاطبونا قط بشيء ، ولا أمرونا ولا نهونا ، ولو أمرونا ونهونا وخاطبونا لما كان لنبينا عليه السلام فضيلة عليهم في هذا الباب . ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وأبطل هذه الفضيلة التي خصنا الله تعالى بها

— فان صح أنهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء فقد صح يقينا أن شرائعهم لا تلزمنا أصلا ، وبالله تعالى التوفيق

تحريم التقليد

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا ، وعلى كل أحد من الناس الاجتهاد حسب طاقته . فمن سأل عن دينه فانما يريد

معرفة ما ألزمه الله عز وجل في هذا الدين . ففرض عليه ان كان أجمل البرية أن يسأل عن أعلم أهل بلده بالدين الذي جاء به رسول الله (ص) فاذا دُلَّ عليه سألَه ، فاذا افتاه قل له : هكذا قال الله ورسوله ؟ فان قال له نعم ، أخذ بذلك وعمل به أبداً ، وان قال له هذا رأيي أو هذا قياس ، أو هذا قول فلان ، وذكر له صاحباً أو تابعاً أو فقيهاً قديماً أو حديثاً ، أو سكت أو انتهره ، أو قال له لا ادري ، فلا يحل له ان يأخذ بقوله . ولكن يسأل غيره . وبرهان ذلك قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) ^(١) فلم يأمر عز وجل قط بطاعة بعض أولي الامر ، فمن قلد عالماً أو جماعة علماء فلم يطع الله تعالى ولا رسوله (ص) ولا أولي الامر واذالم يردا إلى ما ذكرنا فقد خالف امر الله عز وجل ، ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض أولي الامر دون بعض

فان قيل فان الله تعالى قال (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (ليتفقها في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) قلنا نعم ولم يأمر الله عز وجل ان نقبل من النافر للتفقه في الدين رأيَه ، ولا ان يطاع أهل الذكر في رأيهم ، ولا في دين يشرعونه لم يأذن به الله عز وجل ، وانما أمر تعالى أن نسأل أهل الذكر عما لانعلم من الذكر الوارد من عند الله تعالى فقط ، لا عما قاله ^(٢) من لاسمع له ولا طاعة ، وانما أمر تعالى بقبول

(١) في الاصل : واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم (٢) في الاصل عن من قاله

نذارة النافر للتفقه في الدين فيما تفقه فيه من دين الله تعالى الذي أتى به رسوله
(ص) لا في دين لم يشرعه الله عز وجل

ومن ادعى وجوب تقليد العامي للمفتي فقد ادعى الباطل ، وقال
قولاً لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ، ولا إجماع ولا قياس ، وما كان
هكذا فهو باطل لأنه قول بلا دليل ، بل البرهان قد جاء بإبطاله ، قال الله
تعالى ذاماً لقوم (انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)

والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد في طاب دين الله تعالى الذي أوجبه على
عباده ، وبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان المسلم لا يكون مسلماً
الا حتى يقر بأن الله تعالى إلهه لا إله له غيره ، وان محمداً رسول الله (ص)
فهذا الدين اليه والى غيره ، فاذ لا شك في هذا ففرض عليه ان يسأل اذا
سمع فتياً : أهذا هو حكم الله تعالى وحكم رسوله ؟ وهذا لا يهجز عنه من
يدري بالاسلام ولو أنه كما جلب من (قوقو) وبالله تعالى التوفيق

استفتاء أهل الحديث لا الرأي

﴿ مسألة ﴾ وان قيل له اذا سأل عن أعلم بده في الدين : هذا
صاحب حديث عن رسول الله (ص) وهذا صاحب رأي وقياس ، فليسأل
صاحب الحديث ، ولا يحل له ان يسأل صاحب الرأي أصلاً . وبرهان
ذلك قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (لتبين
للناس ما نزل اليهم) فهذا هو الدين لا دين سوى ذلك . والرأي والقياس
ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الجصور ، نا احمد بن سعيد ، نا ابن وضاح ،
نا يحيى بن يحيى ، نا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ان

رسول الله (ص) قال «إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث»
 حدثنا يونس بن عبد الله ، نا يحيى بن مالك بن عائد ، نا أبو عبد الله
 ابن أبي حنيفة ، نا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، نا يوسف
 ابن يزيد القراطيسي ، نا سعيد بن منصور ، نا جرير بن عبد الحميد عن
 المغيرة بن مقسم عن الشعبي قال « السنة لم توضع بالمقاييس » حدثنا محمد
 ابن سعيد بن ثبات (?) نا اسماعيل بن اسحق البصري ، نا أحمد بن سعيد بن
 حزم ، نا محمد بن ابراهيم بن حمون الحجازي ، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل
 قال: سمعت أبي يقول « الحديث الضعيف أحب إلينا من الرأي »^(١) حدثنا
 همام بن أحمد ، نا عباس ابن أصبغ ، نا محمد بن عبد الملك بن اعين ، نا عبد الله
 ابن أحمد بن حنبل ، قال سألت أبي عن الرجل يكون يبلا لا يجد فيه الا
 صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه وأصحاب رأي فتنزل به
 النازلة : من يسأل ؟ فقال أبي : يسأل صاحب الحديث ولا يسأل أصحاب
 الرأي . ضعيف الحديث أقوى من رأي أبي حنيفة

رفع الخطأ والنسيان

﴿ مسألة ﴾ ولا حكم للخطأ ولا للنسيان الا حيث جاء في القرآن
 أو السنة لهما حكم قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن
 ما تعمدت قلوبكم) وقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)

إنما التكليف بالاستطاعة

﴿ مسألة ﴾ وكل فرض كلفه الله تعالى الانسان فان قدر عليه لزمه ،
 وان عجز عن جميعه سقط عنه ، وان قوي على بعضه وعجز عن بعضه

(١) الحديث الضعيف عند أحمد هو الحسن عند الجمهور

سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء كان أقله أو أكثره .
برهان ذلك قول الله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وقول رسول
الله (ص) « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل
باسناده وبالله تعالى التوفيق

لا يقدم الموقت على وقته

﴿ مسألة ﴾ ولا يجوز أن يعمل أحد شيئا من الدين موقتا بوقت
قبل وقته ، فإن كان موقتا الأول من وقته والآخر من وقته لم يجز أن يعمل
لا قبل وقته ولا بعد وقته ، لقول الله عز وجل (ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه) وقال تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها) والاقوات حدود
فن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له ، فقد تعدى حدود الله ^(١)
— حدثنا عبد الله بن يوسف ، نا أحمد بن فتح ، نا عبد الوهاب بن عيسى

(١) الحدود المكانية أولى بهذا الحكم من الحدود الزمانية كمواقيت الحج ،
وقد عبر عنها في الأحاديث بمادة الحد كما في حديث ابن عمر في البخاري « ان رسول
الله (ص) حد لأهل نجد قرنا » وقد مضى عمل النبي (ص) وأصحابه على ذلك
فيصدق على مخالفة الحديث الآتي « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقد
أنكر عثمان على من أحرم من خراسان ، وأنكر مالك على من أراد الاحرام من
مسجد الرسول بالمدينة وقال له : أخشى عليك الفتنة . وحديث أم سلمة في
الاهلال من المسجد الأقصى لا يصح . وما روي في تفسير انعام الحج والعمرة « أن
تحرم من دويرة أهلك » فعناه أن تنوي الحج منها كما يفسره ما روي عن ابن عباس
 وغيره من قوله « أن تحرم من دويرة أهلك لا تريد الا الحج والعمرة ، ونهل من
الميمات ، ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى اذا كنت قريبا من مكة قلت
لو حججت أو اعتمرت ! وذلك يحزى ولكن التمام أن تخرج له لا لغيره »
وبهذا تتفق هذه الرواية مع تفسير الجمهور وظواهر النصوص والسنة العملية .

ناحمد بن محمد، ناأحمد بن علي، نامسلم بن الحجاج، ناسحق بن ابراهيم - هو ابن راهويه - عن ابي عامر العقدي، ناعبد الله بن جعفر الزهري، عن سعيد بن ابراهيم بن عبيد الرحمن بن عوف، قال سألت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال: أخبرني عائشة أن رسول الله (ص) قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »

(قال علي) ومن أمره الله تعالى أن يعمل عملا في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت، فقد عمل عملا ليس عليه أمر الله تعالى وأمر رسوله (ص) فهو مردود باطل غير مقبول، وهو غير العمل الذي أمر به

فإن جاء نص بأنه يجزي في وقت آخر فهو وقته أيضا حينئذ، وإنما الذي لا يكون وقتا للعمل فهو ما لا نص فيه وبالله تعالى التوفيق
المجتهد المخطئ خير من المقلد المصيب

﴿ مسألة ﴾ والمجتهد المخطئ افضل عند الله من المقلد المصيب. هذا في اهل الاسلام خاصة. وأما غير اهل الاسلام فلا عذر للمجتهد المستدل ولا للمقلد. وكلاهما هالك. برهان هذا ما ذكرناه آنفا بإسناده من قول رسول الله (ص) « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذم الله تعالى التقليد جملة، فالمقلد عاص والمجتهد مأجور

وليس من اتبع رسول الله (ص) مقلدا لأنه فعل ما أمره الله تعالى به، وإنما المقلد من اتبع دون رسول الله (ص) لأنه فعل ما لم يأمره الله تعالى به. وأما غير اهل الاسلام فإن الله تعالى يقول (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

الحق واحد لا يتعدد

﴿مسألة﴾ **والحق من الأقوال في واحد منها وسائرها خطأ وبالله تعالى التوفيق.** قال الله تعالى (فإذا بعد الحق إلا الضلال) وقل تعالى (ولو كان عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وذم تعالى الاختلاف فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) وقال تعالى (ولا تنازعوا) وقال تعالى (تبيننا لكل شيء) فصيح أن الحق في الأقوال هو ما حكم الله تعالى به فيه، وهو واحد لا يختلف، وإن الخطأ ما لم يكن من عند الله تعالى، ومن ادعى أن الأقوال كلها حق، وأن كل مجتهد مصيب، فقد قال قولا لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا معقول

وما كان هكذا فهو باطل ويبطله أيضا قول رسول الله (ص) «إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر» فنص عليه السلام أن المجتهد قد يخطئ ومن قال إن الناس لم يكفوا إلا اجتهدهم فقد أخطأ، بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله تعالى به، قال الله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فافترض عز وجل اتباع ما أنزل إلينا وأن لا تتبع غيره، وألا نتعدى حدوده

وانما أجر المجتهد المخطئ اجرا واحدا على نيته في طلب الحق فقط، ولم يأنم إذ حُرِمَ الإصابة. فلو أصاب الحق اجر اجرا آخر، كما قال عليه السلام انه اذا أصاب اجر اجرا ثانيا. حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد، نا ابراهيم بن احمد، نا الضريري، نا البخاري، نا عبد الله بن يزيد المقرئ، نا حميون بن شريح، نا يزيد بن عبد الله بن الهادي، عن محمد بن ابراهيم بن الحارث عن بشر بن سعيد عن ابي قيس مولى عمرو

ابن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله (ص) يقول « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر » ولا يحل الحكم بالظن اصلاً لقول الله عز وجل (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) واقول رسول الله (ص) « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق اهـ

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية*

٣

نص وترجمة الوصفة الطبية المدرجة في القرطاس الطبي المحفوظ بمتحف برلين . وهي التاسعة والنسعون بعد المائة . وكانت كتابة هذا القرطاس في زمن العائلة التاسعة عشرة واسم الوصفة الطبية بلسانهم « بخر »^(١)
لأمة^(٢) تمشؤ الست لآتمشؤ^(٣)

(*) لأحمد كمال بك أمين المتحف المصري
(١) البخر مقلوب الخبر بالضم أي الاختبار بالتجربة ونحوها .
(٢) اللأمة اللمحة . فالهمزة مقلوبة عن الحاء وهذا القلب معهود في اللغتين العربية والمصرية . وقد ورد في العربية لأمة ولحة بمعنى واحد ، بل هو فعل واحد (٣) هو من المشاء بالفتح وهو بالعربية النماء ومنه الماشية . قال في لسان العرب : وأصل المشاء النماء والكثرة والتناسل . ولكن فعله بالعربية يأتي يقال مشت إبل بني فلان تمشي مشاء إذا كثرت . والمصريون همزوا الفعل وقد اختلف علماء اللغة العربية في إطلاق لفظ الست على المرأة فقيل إنه مأخوذ من الجهات الست كما قال البهاء زهير : =

بُرٌّ (٤) وعُضٌّ (٥) تفوحهما (٦) الست بمائها رفاء (١) مثل البرني (٨)
والعيش (٩) في غلافين (١٠) فان ذرا (١١) لوفرتها (١٢) فانها تمشو وان ذرا
البر فهو ذكر وان ذرا العض فهو ست وان عدم الذرة لا تمشو
والمعنى: إن أريد أن يعرف هل تلد المرأة أم لا تلد، وماذا تلد ان ولدت ،
فليوضع في غلاف أي إناء شيء من البر وفي إناء آخر شيء من الشعير كما يفعل
في تقع التمر والعيش ، وتبول المرأة عليهما كل يوم ، فان نباتا معا فانها تلد وان نبت
القمح وحده تلد ذكرا وان نبت الشعير وحده تلد أنثى . وان لم يبتا لا تلد

= ولكن عادة ملكت جهاتي فلا عجب اذا ماقلت ستي
وقيل لحن أو عامي . وقال الفير وزبادي الصواب ان أصله سيدي . وظاهر
كلامه انه مخصوص بالنداء وحالقه غيره في هذا . واستعمال هذه الكلمة بمصر
أكثر من استعمالها في سائر البلاد العربية . ولا يبعد ان تكون مأخذ العرب عن
قدماء المصريين لا العكس

(٤) البر والقمح والحنطة واحد في اللغتين كما تقدم في النبذة الأولى
(٥) العض بضم العين المهملة من أسماء الشعير بالعربية والمصرية وهو المراد هنا
(٦) المراد بالتفويج بالماء هنا إراقة البول . ومادته فوح تدل في العربية على
الاراقة لكنه استعمال في الدم يقال أفاح الدم اذا أراقه وسفكه ، وفاح الجرح .
على انتشار الرائحة وهو المشهور ، وعلى السعة . وقالوا بحر فواح
(٧) قال أحمد كمال بك رفاء معناه كل يوم ولا نعرف له أصلا في العربية بهذا
المعنى ويقرب منه الرفاء (بالكسر) وهو الاتصال والالتحام

(٨) البرني أجود التمر وذكر في النبذة الاولى
(٩) العيش اطلق على الخبز في اللغتين لأنه المادة التي يعيش بها أكثر الناس
(١٠) الغلاف بوزن كتاب الصوان والغشاء الذي يصفان به الشيء يقال غلاف
الكتاب وغلاف السيف واستعمل بالمصرية بهذا المعنى
(١١) يقال بالعربية ذرا الأرض بمعنى بذرها ، ويقال بذرت الأرض اذا
أخرجت نباتها متفرقا
(١٢) معناه بالمصرية كلاهما . والوفرة بالعربية الكثرة .

مَدِينَةُ

دَارُ الدِّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٨

الاعضاء التي لا قناة لها

علم مما سبق أن في جسم الانسان نوعين من الاعضاء : —
 (النوع الاول) : هو الذي له قناة تحمل افرازه سواء أ كان هذا الافراز صالحا للجسم أم ضارابه، فمثال الصالح افراز البنكرياس ومثال الضار افراز الكلية. وتسمى هذه الاعضاء « بالغدد التي لها قناة » وافرازها يسمى « بالافراز الخارجي »
 لانه يرى خارجا منها ويجري في قنواتها ، وأكثر هذه الاعضاء له افراز آخر يسمى « بالافراز الداخلي » وهو الذي يجري في الأوردة الدموية أو في الاوعية اللمفاوية. وله فوائد سمذ كرها ان شاء الله تعالى . مثال ذلك الخصية فان لها افرازا خارجيا وهو المنى يجري في قنواتها المعروفة ، وافرازا داخليا لا يرى وله تأثير في بنية الشخص وهيئته وصوته وشعر وجهه ونحو ذلك من مميزات الذكور التي تفقد بالخصاء
 (النوع الثاني) : الاعضاء التي لا قناة لها كالطحال وغيره . وهذه لها افراز واحد يسمى « بالافراز الداخلي » له منافع عظيمة في الجسم ، وقال آخرون إن المراد من هذه الاعضاء الاخيرة ليس افراز مواد نافعة للجسم بل إخراج بعض فضلاته لضرر بقائها فيه ، والظاهر أن كلتا النظريتين صحيحة من بعض الوجوه ، ولكن الأولى أكثر قبولا عند الجمهور الآن من الثانية . وهالك بيان وظيفة تلك الاعضاء التي لا قناة لها : —

(١) الطحال عضو شهير ، وهو أكبر الغدد التي لا قناة لها ، وموضعه في الجهة اليسرى من البطن بين المعدة والحجاب الحاجز . أما وظائفه فخمس :

(أولها) تكوين كريات بيضاء للدم (ثانيا) توليد بعض السكريات الحمراء في بعض الحيوانات (ثالثا) اتلاف السكريات الحمراء القديمة التي قاربت الفساد (رابعها) تكوين بعض مواد نيتروجينية كحامض البوايك لخراجها من الجسم لضرر بقائها فيه (خامسها) يقوم الطحال بوظيفة مستودع للدم يجتمع فيه اذا انتهى الهضم فيمتلئ به ويكبر حجمه ، واذا ابتدأ الهضم يندفع الدم منه الى المعدة

(٢) الغدة الصعترية غدة مؤقتة تكبر عقب ولادة الطفل الى نهاية السنة الثانية إذ يتم نموها ، ثم تأخذ في التناقص شيئا فشيئا حتى لا يبقى الا أثرها في زمن البلوغ . موضعها في الجزء الامامي من الصدر وراء القص وتمتد الى أسفل العنق ولونها يميل الى الحمرة أو يقرب من السنجابي

وظيفتها تكوين كريات بيضاء كباقي الغدد اللعابية . وفي الحيوانات التي تسبت (Hibern ate)^(١) تبقى فيها هذه الغدة الصعترية مدة الحياة كلها ، وفي أثناء يقظتها يتراكم فيها جزء عظيم من الشحم ، وهذا يستعمل في أثناء سباتها فيأخذ في الاحتراق شيئا فشيئا

فيظهر من ذلك انها تجتمع فيها بعض المواد التي تلزم للحياة في أثناء هذا النوم الطويل في تلك الحيوانات

ويقول بعض العلماء انها تولد أيضا بعض السكريات الحمراء في الاطفال واذا أزيلت هذه الغدة من بعض الحيوانات كالضفادع مثلا حصل لها ضعف عضلي شديد مع شلل ينتهي بالموت

(٣) الغدة الدرقية تشاهد في أسفل العنق من الامام على القصبة الهوائية ، وشكلها يشبه الدرقة ولذلك سميت بهذا الاسم . وهي في النساء أكبر منها في الرجال ، وفي زمن الحيض تنتفخ قليلا . وقد تصاب بمرض فتحصل فيها ضخامة

(١) كلمة لاتينية معناها حرفيا (تشتي) والمراد بها السبات الذي يصيب بعض الحيوانات مدة الشتاء كالخفاش (الوطواط)

عظيمة تسمى بلسان الاطباء (جواتر) Gositre ^(١) وهو مرض عسير الشفاء ولا يزول غالبا الا بعملية جراحية فيستأصل من العنق، ويجب الاحتراس من ظن أن هذه الغدة هي القطعة الناتئة في العنق المسماة « بتفاحة آدم » ^(٢) فان هذه الغدة التي تسكن عليها هي تحت التفاحة بقليل

أما مادتها فمركبة من منسوج مخصوص مشتمل على حويصلات صغيرة جدا مملوءة بمادة غروية مركبة من الزلال وعنصر اليود

وظيفة هذه الغدة ان تفرز افرازا داخليا له تأثير عظيم في بنية الشخص وقواه العقلية، فاذا مرضت أو استئصلت في الاطفال وقف جسمهم عن النمو وأصيبوا بالبله واذا أصابها المرض في الكبر حدث للانسان ما يسمى « بالتورم المخاطي » [Myxoedema] في جسمه فتضخم جميع الانسجة التي تحت الجلد حتى يتورم جسمه ويصاب بالضعف العام في جميع قواه الجثمانية والعقلية، ولذلك يجب الاحتراس في أثناء العمليات الجراحية من استئصال هذه الغدة كلها بل يتحتم ترك جزء منها ليقوم بهذه الوظيفة المهمة

وانما سمي هذا المرض الاخير بالتورم المخاطي لظنهم أن هذا الورم ناشئ عن زيادة المواد المخاطية تحت الجلد. والحقيقة أن المنسوج الضام الذي تحت الجلد بجميع أجزائه هو الذي يضغط لا المادة المخاطية التي فيه وحدها

ولعلاج هذه الاحوال يجب استمرار حقن خلاصة من الغدة الدرقية تحت جلد المصاب أو تستعار له هذه الغدة من أحد الحيوانات وتلصق بجسمه جراحيا (وهي طريقة قليلة النجاح) وأحسن من ذلك كله ان يأكل المريض من هذه الغدة مادام حيا

ويوجد للغدة الدرقية أخوات صغيرة بجوارها أو فيها والراجح عند بعض العلماء أن التأثير الأعظم في المجموع العصبي وغيره هو لهذه الغدد الصغيرة
(٤) الغدة التي فوق السكتية هي جسم شكله كالفلسوة المضغوطة من الجانبين

(١) كلمة فرنسية معناها الحرفي بالعلوم

(٢) سميت بذلك لظهورها في الرجل أكثر منها في الانثى

٤٣٦ الجسم النخامي والغدة الصنوبرية والجسم العصعصي [المنار: ج ٦ م ١٨]

يرى على قمة كل من الكليتين ، أما وظيفتها فأول من اهتمدى اليها طبيب انكليزي يسمى (أديسون) Addison في سنة ١٨٥٥ م ولذلك سمي المرض الناشئ من اصابة هذه الغدة باسمه الى اليوم . وأعراضه ضعف في المجموع العضلي كله وفي المجموع

الدوري للدم وفي الاعصاب ، واصابة الجلد بلون السمرة بحيث تشبه النحاس واذا استخلص من هذه الغدة خلاصة وحقنت تحت الجلد أحدثت انقباضا

في الاوعية الدموية الصغيرة ، فهي لذلك تنفع في منع النزيف ، وكذلك اذا وضعت هذه الخلاصة على الاغشية المخاطية صيرت لونها أكدا لا تقباض الاوعية الدموية فيها ومنعت النزيف ، ولذلك يستعملها أطباء العيون في العمليات الجراحية للعين بنسبة

واحد في الألف لمنع النزيف . وأشهر الامراض التي تصيبها هو التدرن

(٥) الجسم النخامي أو المخاطي هو جسم في الدماغ أحمر سنجابي يشاهد على

السرّج التركي للعظم الوتدي من عظام الجمجمة أسفل المخ ، ومرض هذا الجسم يحدث ضخامة فظيعة في عظام الاطراف العليا والسفلى وكذلك في عظام الوجه

(٦) الغدة الصنوبرية هي أيضا داخل الجمجمة تحت مؤخر الجسم المدممل

الموصل بين فصي المخ ، في وسطها تجويف صغير ، ولم تعلم لهذا الجسم وظيفة

الى الآن ، وغاية ما يعرف عنه أنه أثر ضار لعين ثالثة

وتوجد هذه العين في حال أحسن منها في الانسان في الاورال (العطاء)

[Lizards] خصوصا في النوع المسمى بالافرنجية «هتيريا» (Hatteria) وهي

فيها مغطاة بالجلد ، وفي الخرباء وبعض الزواحف تتصل الغدة الصنوبرية بعين

ثالثة في وسط سطح الرأس ولكنها في الحالة الاثرية أيضا

وهذا العضو هو من أعظم وأشهر الاعضاء الاثرية التي بنى عليها مذهب دارون

(٧) الجسم العصعصي يوجد عند نهاية العصعص وفيه منسوج ضام مشتمل على

كثير من اوعية دموية صغيرة . وهذا الجسم لا تعرف له وظيفة أيضا

(٨) الجسم السباتي هو جسم عند انقسام الشريان السباتي^(١) الذي في جانبي

(١) سمي بذلك لان الضغط على هذا الشريان ضغطا يقلل الدم عن الدماغ

يحدث نوما عميقا (أي سباتا) أو غيبوبة

العنق الايمن والايسر

وهذا الجسم يشبه في تركيبه الجسم العصبي وهو مثله أيضا في جهلنا وظيفته
جهلا تاما

الجلد : تركيبه ووظيفته

يتركب الجلد من طبقتين : العليا تسمى البشرة ، والسفلى تسمى الادمة ، وفيهما الشعر والاذفار والغدد الدهنية وغدد العرق ، أما البشرة فهي مركبة من طبقات عديدة ، كل منها مركب من خلايا بعضها بجانب بعض كالبلاط

وأما الطبقات السطحية فهي كالقشور الميتة وتنفصل عنها نوياها ، وتنفصل عن الجلد شيئا فشيئا ، ويحصل نمو البشرة من طبقاتها السفلى . وفي هذه الطبقات ترى المواد الملونة لبعض أنواع البشر . وفيها أيضا تحفظ المواد التي يستعملها الناس للوشم . وطبقات البشرة تغذى بالمادة اللامفاوية ، ولها مجار دقيقة جدا بين خلياتها ، ولا يوجد في البشرة عروق للدم ، ولكن يوجد في الطبقات السفلى منها أعصاب دقيقة جدا

وأما الادمة فهي مركبة من منسوج ليفي كثيف ، وهذه الكثافة تتناقص شيئا فشيئا حتى تصل الى المنسوج الخلوي الذي تحت الجلد وبه الشحم . وفي الادمة حلمات صغيرة توجد بكثرة في راحة الكفين وفي أخمص القدمين ، وهي أكبر الحلمات الجلدية ، ويكون بعضها بجوار بعض صفا صفا ، وهي السبب فيما نشاهده في جلد الراحة مثلا من القنوات الصغيرة . وهذه القنوات لها أشكال متنوعة في يد كل شخص ، بحيث يتمعد وجود شخصين متماثلين فيها من جميع الوجوه ، ولذلك يختبر بها تحقيق الشخصية

وفي الحلمات الجلدية لفائف من الأوعية الشعرية الدموية . وفي بعض الاجزاء كالأخصص والراحتين وغيرها أجسام يعضوية لها علاقة مخصوصة بحاسة اللمس وفي الطبقات السفلى من أدمة الصفن والقضيب وحلمة الثديين ألياف عضلية غير اختيارية ، وهي التي تحدث الانكماش في جلد تلك الاعضاء بانقباضها

وأما الاظفار فهي عبارة عن بعض طبقات من طبقات البشرة تنوعت تنوعاً

خاصاً

وأما الشعر فهو أيضاً طبقات من البشرة تنوعت تنوعاً مخصوصاً، وكل شعرة تنبت من بصيلة في حفرة مخصوصة تسمى الخويصلة الشعرية . والشعر يوجد في جميع أجزاء الجسم بدرجات مختلفة ما عدا الراحيتين والاحصين والقضيب، أما لونه فهو ناشئ عن وجود مادة ملونة في خلاياه. وسبب الشيب فقد هذه المادة، وقد يتولد في الشعر فقائيع هوائية وهي التي تظهر أن لونه أبيض عند حصول فزع للانسان مثلاً وكل خويصلة من خويصلات الشعر لها ليفة عضلية صغيرة تجذبها في بعض الاحوال فينتصب الشعر كما يحصل عند البرد أو الفزع

وأما الغدد الدهنية فهي غدد كيسية موضعها في الأدمة وتفتح قنواتها في أعلى خويصلات الشعر، وهي تفرز مادة دهنية فائدتها تليين الشعر والجلد، وبانسداد هذه الغدد والتهابها يحصل « حب الشباب » بسبب كثرة افراز المادة الدهنية في هذا الطور من العمر، وبعد سن الثلاثين يندر وجود هذا المرض

وأما غدد العرق فتوجد في جميع سطح الجلد وتكثر جداً في الاماكن التي لا شعر فيها كالراحتين، وكل منها عبارة عن أنبوبة ملتفة على نفسها، موضعها في الأدمة أو فيما تحتها - وهو الغالب - وتفتح قنواتها في سطح البشرة
وأما المادة التي تفرز في داخل الاذن فلها غدد تشبه غدد العرق

وظائف الجلد

- (١) أن يكون وقاية للجسم ومركزاً للحس باللمس
- (٢) عليه مدار تنظيم حرارة الجسم - كما سبق -
- (٣) يتنفس الجسم منه، فانه يخرج منه غاز ثاني أكسيد الفحم، ويمتص الجسم أكسجين من الهواء. وهذه الوظيفة في الحيوانات ذوات الجلد السميك ضعيفة جداً ولكن لها في ذوات الجلد الرقيق أهمية عظيمة، حتى اذا نزع منها الرئتان عاش الحيوان مدة بالتنفس الجلدي فقط كما في الضفادع

(٤) الامتصاص ، وهذه الوظيفة لها أهمية في العلاج فإن كثيرا من المواد اذا وضعت على الجلد دخلت البنية كالزئبق مثلا وكذلك الزيوت وغيرها كثير ، فامتصاص الزئبق من هذا الطريق يمكن معالجة الداء الافرنجي . وكذلك يعالج الاطفال النحفاء بذلك أجسامهم بالزيوت خصوصا زيت السمك ، وهي طريقة لطيفة لتوقي طعمها المبعوض . ومن هنا نفهم سبب سمن أكثر المشتغلين بمس الزيوت والشحوم كالجزارين مثلا فإن أجسامهم تمتص شيئا منها . والامتصاص بالجلد هو بالضرورة أضعف من الامتصاص بالاغشية المخاطية

(٥) الافراز ، ومعناه خروج بعض المواد الضارة بطريق الجلد من جسم الانسان في العرق وغيره

العرق

توجد غدد العرق بكثرة في الانسان في راحتيه وأخمصيه — كما سبق — ولذلك يكثر العرق فيهما ، ولكن يوجد اختلاف بين الحيوانات في كمية العرق التي تفرزه وفي الاماكن التي يفرز منها بكثرة — فالثور يعرق أقل من الحصان والغنم ، والفيضان والارانب والمعز لا تعرق ، والخنزير انما يعرق أنفه بكثرة ، واما الكلاب والقطط فتعرق براحة أرجلها

واذا خرج العرق من الجسم تبخر في الهواء وفي تبخره يجتذب جزءا من حرارة الجسم فتعرض له البرودة وإذا كان الهواء جافا وحارا ومتحركا كان التبخر عظيما ، والعكس بالعكس

ومقدار العرق في اليوم نحو ٧٢٠ جراما

تركيب العرق : اذا خرج العرق من الجسم يخرج معه شيء كثير من الفضلات الضارة ، وهو يمتزج بالمادة الدهنية التي تفرزها الغدد المذكورة سابقا ، ويختلط كذلك ببعض خلايا البشرة التي انفصلت عنها وهذه الخلايا فيها كثير من مادة الكبريت ، وهذه هي إحدى الطرق لإخراج هذا العنصر من الجسم أما العرق فيشتمل على ماء كثير وأملاح متعددة أشهرها ملح الطعام ، وحوامض دهنية ومادة البولينا وهي التي تخرج بكثرة في البول وهي من أشهر

فضلات الجسم المتخلفة عن احتراق المواد الزلالية فيه - كما سبق -
ومما سبق تعرف العلاقة بين افراز السكلى وافراز الجلد ، فاذا كثر العرق قل
البول وبالعكس . وهذا هو السبب في قلة افراز البول اذا اشتد الحر في زمن الصيف .
لذلك كان من أحسن طرق علاج المصاب بمرض في السكلى أن تكثر عرقه بالتدفئة
أو بالحمامات الساخنة أو ببعض الادوية التي يعرفها الاطباء ، وبهذه الوسيلة تخرج
بعض الفضلات الضارة من الجسم بطريق الجلد فتستريح السكلى حتى يتم شفاؤها
وتوجد مواد كثيرة اذا تعاطاها الانسان خرجت بكثرة في العرق مثل الجاوي ،
وبعض الادوية حين خروجها من الجسم تهيج الجلد وتحدث فيه طفحا مخصوصا
كالزرنينج مثلا . ومثل ذلك سموم بعض الامراض فانها تحدث طفحا في الجلد .
وسأتي الكلام عليها في الجزء الثاني ان شاء الله

ومن مواد أخرى غير ما ذكر تخرج مع العرق في بعض الاحوال ، فقد شوهد
أن بعض الناس يتلون عرقهم بلون مغاير للون الطبيعي بسبب خروج دم فيه أو
بمخرج المادة الحمراء الملونة للدم . وقد يخرج في العرق مادة زلالية وذلك في مرض
الرثية (الروماتزم) الذي يكون فيه العرق أشد حموضة من المعتاد ، وقد يخرج
فيه أيضا حامض اللبنيك وذلك في الحمى النفاسية أو في داء الكساح أو الخنازير
الاستحمام : علم مما سبق أن الاغتسال ضروري للانسان لان تركه يسبب
تراكم تلك المواد المذكورة آنفا على سطح الجلد فتسد قنوات الغدد وتعوق افرازها ،
واذا قل افراز الجلد كثر مجهود الرثتين والسكليتين فتصاب بالعطب . زد على ذلك
كون القذارة نخط من قدر المرء وتنفر الناس منه وتحدث بعض أمراض في الجلد
نفسه كالحمكة

ومن فوائد الاستحمام غير ما ذكر أنه ينشط الجسم وينبه المجموع العصبي
والدوري ، ولذلك أوجب الشارع الحكيم بعد الجنابة لازالة ما يحدث للجسم من
الفتور بعد الجماع . والاستحمام يقوي المرضى والضعفاء ، ومن ذلك تظهر حكمة
اغتسال الحائض والنفساء لان هاتين الحالتين هما - من غير شك - مرضيتان
واحسن طريقة لازالة أوساخ الجسم هي استعمال الماء الفاتر أو الساخن مع

الصابون والدلك بالليف أو نحوه، ولا يخفى أن الدلك من أحسن الوسائل المستعملة في الطب الحديث لتقوية الاعصاب والمضلات وإزالة بعض الآلام، ولذلك يمدح بعض أطباء الأفرنج الإمام مالكاً رضي الله عنه لجعله الدلك من فرائض الغسل فإنه أكثر تقوية للجسم من الغسل وحده

أما الصابون فإنه يتولد من تأثير البوتاسيوم والصوديوم في المواد الدهنية أو الزيتية

أنواع الحمامات هي :-

(١) البارد وحرارته تكون أقل من حرارة الجسم بكثير

(٢) الفاتر وحرارته أقل بقليل

(٣) الساخن وحرارته مثل حرارة الجسم

(٤) الحار وهي مثل حرارة الجسم إذا أصابته الحمى الشديدة

والمياه الساخنة منبهة للجسم مزيلة لآلام الروماتزم وغيرها، ويصح لكل إنسان أن يستعملها

أما المياه الباردة فالأولى أن لا يستعملها الإنسان إلا في زمن الصيف بشرط أن يكون صحيح البنية سليم السكتيتين والرئتين . وإذا أحس الإنسان بعدها بحرارة في جسمه كان ذلك دليلاً على أن بنيته تتحملها بشرط السلامة من المرض وينبغي أن يستعمل الإنسان بعد الحمام البارد الدلك الشديد والتدفئة بالملابس الكافية والرياضة البدنية نحو نصف ساعة

وكذلك يجب في جميع الحمامات تنشيف الجسم من الماء تنشيفاً جيداً فإن في ذلك وقايته من البرد، ويجب في الحمام الساخن أن لا يخرج الإنسان منه دفعة واحدة إلى الهواء البارد، وأحسن وقت للاستحمام أن يكون في الصباح قبل الفطور أو بعد تناول لقيمات قليلة جداً مع فنجان من القهوة أو الشاي، ومن الضرر البالغ أن يغتسل الإنسان بعد الجوع الشديد أو التعب الكبير أو بعد امتلاء المعدة بالطعام، ولا يصح دخول الحمام عقب الأكل إلا بعد مضي ساعة أو ساعتين على الأقل

ولا يجوز استعمال الماء البارد للشيوخ والمجانز ولا للمصابين بضعف القلب
والماء البارد نافع جدا في الحيات وكذلك الفاتر، وهذا مصدق للحديث القائل
«الحى من فيح جهنم فأبردوها بالماء» — كما سبق — والمعالجة بالماء Hydrotherapy
نجحت نجاحا عظيما في شفاء كثير من الامراض الضعفية والامراض التي تنهك القوى
العقلية ولازالة مضار الحياة الجلوسية

أما السبب في احساس الانسان بالحرارة عقب استحمامه بالماء البارد فهو تمدد أوعية
الجلد وامتلاؤها بالدم بعد انقباضها عند استعمال الماء البارد وهو ما يسمى «برد الفعل»
والواجب أن يكون زمن الحمام البارد قصيرا جدا (أي بضع دقائق) فإن
الغرض منه ليس تنظيف الجسم بل تقويته، ويجب أن لا يكون الحمام الساخن في
مكان فاسد الهواء كأن توضع فيه النار مثلا

وينبغي الاستحمام في الصيف مرتين في الاسبوع على الأقل، وفي الشتاء مرة
واحدة، وينبغي تغيير الملابس بعد الاستحمام؛ ومن هنا نفهم حكمة الشارع في سن
غسل الجمعة ولبس أحسن الثياب يومه، وفي فرض الغسل بعد كل جفابة ولو
بالاحتلام، وفرض طهارة الثوب

الملابس

الغرض من الملابس حفظ الجسم من البرد والحر والرياح والمطر والقاذورات
وهي تدفئه وتحفظه من بعض العوارض وكذلك تزينه
وتتخذ الملابس إما من الحيوان أو من النبات
(١) ما يتخذ من الحيوان

فهو الصوف والوبر والشعر: وهي تؤخذ من الانعام كما هو معروف. وهذه الاشياء
جمعا تغزل ثم تنسج ما عدا الالباد فانه يصنع بلا غزل ولا نسج ولتمييز هذه الاشياء
عن المواد النباتية يوضع جزء منها في محلول القلويات ^(١) الكاوية فإذا ذاب علم
(١) كمحلول الصودا الكاوية أو البوتاسا الكاوية وهما عبارة عن
هيدرات البوتاسيوم أو الصوديوم

أنه من أصل حيواني

والكشمير يتخذ من شعر معز بلاد التبت

وهذه الاصناف جميعا موصلة رديئة للحرارة وتمتص الرطوبة بسهولة وسرعة ولكنها تتبخر منها ببطء ، فلذلك كانت نافعة جدا في التدفئة . ومن معايبها أنها تبيس وتسكش بالغسل

الحرير : يفرز من غدتين بأسفل جسم دودة القز ، ولها قناتان تفتح في الشفة السفلى لفم الدودة . والخيط الواحد عبارة عن خيطين دقيقين جدا ملتصق أحدهما بالآخر وطوله نحو ٤٠٠٠ ياردة

وتفرز الدودة هذا الخيط لتبني به بيتا حولها يحيط بها ويخفيها عن الاعين ويحفظها من كل مايؤثر فيها مدمتها الى فراش ، ويسمى هذا البيت بالشرنقة ، فاذا تحولت الى فراش ثقب هذا البيت وخرج منه ، فتتزاوج ذكوره باناثه وتضع الاناث ايضا صغيرا جدا كحجم رأس الدبوس الصغير يشبه بزور الخشخاش (أبي النوم) وهذه البويضات تنقسم فتخرج منها ديدان دقيقة وهي ديدان القز ، ولا تفرز الحرير الا بعد كبرها وتنام نموها ، وتتغذى هذه الديدان بورق التوت ، وفي بلاد المغول نوع آخر منها يتغذى بورق البلوط . وهاك تفصيل حياة هذه الدودة كما علمته بالمشاهدة أثناء تربيتي له : —

يبدأ بيض القز ينقسم في أواخر شهر فبراير أو أوائل مارس وقت ظهور ورق التوت ، ويكون الدود صغيرا جدا كالنمل ثم يكبر حتى يصير طول الواحدة نحو ٦ — ٨ سنتي متر . ويخرج الحرير في أوائل شهر ابريل ، ويقال إنه يمكن تربيته أيضا على ورق الخس ولكن حريره يكون أقل . وتتكون الشرائق فاذا تمت خرج الفراش منها بعد نحو ١٨ أو ١٩ يوما ، وتبدأ الاناث بوضع بيضها بعد نحو ٢٤ ساعة من خروجها . وعدد بيض كل نحو ٢٠٠ على الأقل . ويموت الذكر والانثى من الفراش بعد خروجه بنحو عشرة أيام . والانثى أكبر قليلا وأصفى يابضا أما لون البيض الجديد فهو مصفر فاذا قدم صار رماديا . وهو مفرطح ومنبعج في وسطه . ولا يأكل الدود داخل الشرنقة شيئا ولا يشرب ، وكذلك الفراش

ولون الشرقة أبيض أو مصفر قليلا أو كثير، وشكله يضاوي مخصر، وطول الشرقة من اثنين ونصف الى ثلاثة ونصف سنتي مترا وعرضها واحد ونصف تقريبا . وقد يققس البيض مرة أخرى في مايو
أما خيط الحرير فله قلب محاط بمادة شمعية زلاية. ولتميز هذه الخيوط الحريرية عن الخيوط النباتية يوضع عليها حامض البكريك ^(١) Pieric ولونه أصفر فاذا تلونت به كانت حريرا صحيحا والا فلا

ولتميز الحرير عن الصوف مثلا يوضع القماش في محلول قلوي من أكسيد الرصاص فاذا تلون باللون الاسود دل ذلك على أنه صوف لوجود مادة الكبريت فيه فتتحد مع الرصاص وتحدث هذا اللون الاسود، أما الحرير فليس فيه هذه المادة الكبريتية

والحرير يمتص الرطوبة بكثرة وهو موصل ردي للكهرباء ويقال انه يحفظ الروائح وجراثيم الامراض

ولا يحتاج الجسم الى لبس الحرير الا اذا كان مصابا بداء الحكمة، ولا شك أن الشارع يبيحه في مثل هذا المرض فقد لبسه بعض الصحابة بأمر رسول الله (ص) في ذلك المرض، لان الضرورات تبيح المحظورات

ويؤخذ من الحيوانات أيضا الفرو والريش والجلود . أما الفرو فيستعمل في البلاد القطبية، والريش يستعمل للزينة غالبا، والجلود تستعمل في الاحذية وغيرها (٢) ما يتخذ من النبات

القطن : وهو خيوط تحيط بهزور شجرة معروفة تنبت في البلاد الحارة والمعتدلة كمصر، وهذه الشجرة هي حقيقة شجرة مباركة، فتمطها ضروري للملابس والاثاث وغير ذلك، وبزورها يستخرج منها زيت جيد نافع في التغذية يسمى في مصر بالزيت الحلو . وهذه البزور تستخرج منها خلاصة تدربن الموضع، وكذلك اذا أعطيت للانعام كثر لبنها، وهذه الخلاصة تباع باسم (Lactagol) تصنع في المعامل الافرنجية . وتستعمل سيقان هذه الشجرة في الوقود وقشر جذورها مجفئ للحبالي

(١) كلمة يونانية معناها « مر »

والقطن كالصوف يغزل أولاً ثم ينسج لصناعة الاقشة منه ، وهو عبارة عن مادة السللولوز المتقدم ذكرها

واذا وضع القطن في محلول الصودا الكاوية تحول الى مادة تشبه الحرير ، وهي التي تصنع منها أكثر الاقشة المسماة كذبا حريرا

وخيوط القطن تتحمل الغسل والغلي ، وهي تمتص الرطوبة امتصاصا رديئا وتوصل الحرارة جيدا ولذلك كانت للملابس القطنية مبردة

الكتان : يؤخذ من سيقان شجرة مخصوصة بأن نخمر هذه السيقان في مكان رطب ثم تدق الى أن تتفرق خيوطها ثم تمشط ، ومن بزور هذه الشجرة يستخرج الزيت المسمى بالزيت الحار . وهو فضلا على كونه مغذيا مدر للبول ومنفث للباغم ، وتستعمل هذه البزور أيضا في عمل الضمادات (البخ) . والمنسوجات الكتانية موصلة جيدا للحرارة وامتصاصها للرطوبة رديء كالقطن ولكنها أغلى ثمنًا منه لنعومتها وبريقها

القمب : يؤخذ من سيقان شجرة أخرى كما يؤخذ الكتان ولكنه خشن جدا وقل ان يستعمل الا في الجبال والقلاع والا كياس الخيشية . ومن هذا النبات يؤخذ الخشيش ، وهوتلك المادة المغية الملعونة . وبزر القنب يستعمل اغذاء الطيور

ألوان الملابس وسعتها

أما ألوان الملابس فتأثيرها في الحرارة كما يأتي : الالبيض يمتص الحرارة امتصاصا رديئا جدا فهو أبودها ، ويليه الاصفر فالاحمر فالاخضر فالازرق فالاسود ، ولذلك اذا وضعت قطعة من ثلج في قماش اسود وقطعة أخرى في قماش أبيض ذابت الاولى أسرع من الثانية لان الالبيض يطرد الحرارة والاسود يمتصها وتنفذ منه الى الثلج ، وكذلك يرتفع زئبق الترمومتر درجات أكثر اذا وضع على قماش اسود ومن الخطأ لبس الملابس الملونة فوق الجلد مباشرة فان أكثر الالوان

تشتمل على مادة سامة قهريج الجلد ، واذا امتصت منه افسدت الصحة

ويجب أن تكون الملابس غير ضيقة والاعاقت الدورة والتنفس وشوهدت شكل الاعضاء كمشدرات الافرنج وأحذية أهل الصين . ولبس الاحذية الضيقة ضار جدا

بالاقدام فقد يغوص بعض الاظفار في اللحم ويحدث قروحا والتهابات تؤذي الشخص أذىً بليغاً، زعل على هذا ما أحدثه الاحذية الضيقة في بشرة القدم من الحلمات الصلبة المؤلمة

نظافة الملابس

أما نظافة الملابس فهي واجبة طبياً وشرعاً لقوله تعالى (وثيابك فطهر) فهي فرض على المسلم وإن لم يشترطها بعضهم في صحة الصلاة

وأما المضار الناشئة من قذارة الثوب فهي عديدة واليك بيان بعضها :

(١) اذا تراكم العرق والافراز الدهني في الملابس منعها امتصاص العرق وعاق الجلد عن تأدية وظيفته وأحدث حكة فبشورا أو دما مل . وهذا هو أهون المضار

(٢) اذا اتسخت الملابس كثر فيها القمل والبراغيث وهما من أشد الحيوانات فتكا بالانسان ، فان القمل ينقل الى الانسان الحمى التيفوسية والحمى الراجعة ، والبراغيث تنقل اليه الطاعون فللوقاية من هذه الامراض القماتكة يجب تطهير الملابس من سائر الحشرات

(٣) الملابس القذرة كثيرا ما تكون سببا في نقل العدوى من شخص الى آخر اذا تناقلها أو لمسها ، فمثلا الجرب والارضة الجلدية (تينيا) كثيرا ما تنقل بهذا الطريق . واذا تنجس الثوب بالبول أو البراز أو الصديد أو الدم كان سببا في نقل الحمى التيفودية والدوسنطارية والديدان الخيطية والرمم الصيدي والزهري وغير ذلك . واذا كان الشخص من حاملي الامراض — وسيأتي بيان ذلك — كانت بعض مفرزاته معدية ولو كانت صحته جيدة

وحيث ان طهارة الثوب فرض وهذه الطهارة لا تكون تامة الا اذا خلا الثوب من البول والبراز وغيرهما وخلوه منها لا يكون الا بالاستنجا . فينتج من ذلك أن الاستنجا فرض على المسلم

وأحسن طريقة لتطهير الثوب أن يغلى غليا جيدا نحو من نصف ساعة ثم بعد ذلك يغسل بالماء والصابون ثم ينشر في الشمس كالمعتاد . ولا عيب في هذه الطريقة لانها تجمد المواد الزلالية كالدم والصديد فيتعسرازالتها تماما من الثوب ، أما غسله

بالماء البارد قبل الغلي فيذهب تلك المواد بسهولة ولكنه يلوث الايدي والماء فاذا اتبعت هذه الطريقة الاخيرة وجب غسل الايدي غسلا جيدا وتطهيرها بوضعها في مادة مطهرة كالغول (الكحول) وغيره، والواجب ان يغلى الماء الذي غسلت فيه قبل أن يلقي منعاً لانتشار الامراض بين الناس

فصل

في تنظيف الجسم كله تفصيلا

﴿ مع بيان فوائد ذلك وتطبيقها على الدين الحنيف ﴾

نظافة الرأس تكون بحلقه أو قصه ثم يغسل بالماء الساخن والصابون مع الدلك بشئ خشن كالليف . ولم ينه الشارع عن الحلق الا في الاحرام ولكنه أباحه لمن به مرض أو أذى من رأسه. والحلق واجب طبا لإزالة الحشرات ولتمكين الأدوية من برء أمراض الشواة (جلدة الرأس) ولعلاج جروحها أو كسور عظامها ولوضع الضمادات الباردة فوقها في الصداع أو ضربة الشمس أو النزف المخي أو غير ذلك . وإذا أبت امرأة حلق رأسها لوجود قمل أو صئبان فيه أمكن اذهاب ذلك بصب زيت البترول فوق شعرها فإن ذلك قاتل للقمل ، وحمض الخليك بنسبة ١ - ٤ يسهل استخراج الصئبان من الشعر - كما سبق -

وإذا تركت نظافة الرأس أضر الانسان القمل وحدث برأسه قروح وبثور وأمراض أخرى كالقراخ فيتسمم دمه بما في رأسه من القروح وقد تصيبه الحمرة أو تلتهم العقد اللمفاوية في العنق أو يصيبه داء الخنازير

غسل الوجه واجب كذلك وخصوصا لتنظيف العينين فإن ذلك يقيهما من أرماد كثيرة، والاحسن ان تغسل العينان في كل يوم مرة أو مرتين بمحلول حامض البوريك المشبع (أي بنسبة ٤ في المائة) بعد الغسل بالماء والصابون

أما نظافة الاذن فيكفي أن تغسل كما تغسل في الوضوء ولا يجوز اللعب في داخلها بشئ فإن ذلك قد يحدث التهابا فيها أو يثقب طبقتها. وحركة الفكين في

المضغ وغيره كغفلة باخراج أفها (وسخ الآذان) وعندئذ يسهل غسله، وإذا أهملت الآذان من الغسل يعرض لها صمم من تراكم الأوساخ فيها وطين مع دوار، وقد يحدث ألم فيها، وسعال مستمر

غسل الأنف يكون بالاستنشاق والاستنثار، أما تنف شعره فمذموم وقد ورد في بعض الآثار ما يفيد مدح نبات شعر الأنف . وحكمته أن هذا الشعر ينقي هواة التنفس من التراب والميكروبات وغيرها

نظافة الفم هي من أكبر المهمات وتكون بالمضمضة والسواك ولذلك كاد الشارع أن يفرضه، ويرى بعض أطباء الأفرنج الآن أن السواك خير من مسفرتهم (فرشتهم) لأن السواك يمكن تجديد طرفه المستعمل مرارا كثيرة أرخص ثمنه، أما الفرشة فلا يمكن تجديد شعرها فتنراكم فيها أنواع الميكروبات الضارة بالاسنان ولذلك قال بعض أطباء الاسنان أن السبب في انتشار أمراضها بينهم هو استعمال هذه الفرشة ونصحهم باستعمال السواك وتجديده كثيرا أو بغلي الفرشة بعد كل استيائك

أما مرض الاسنان فانه مؤلم جدا ومفسد للهضم ويحدث منه تسهم في الدم فيصفر لون الشخص وتضعف قواه، وقد يصيبه داء الخنازير أيضا، وإذا مرض ضعفت مقاومة جسمه عن احتمال الامراض فلذا كان الواجب العناية بنظافة الاسنان نظافة تامة أما الشارب فالأفضل قصه فانه تنراكم فيه الأوساخ والميكروبات فتصل الى طعام الانسان وشرابه. ولا بأس بترك اللحية لانها بعيدة عن ذلك وهي مظهر من مظاهر الرجولية

الابطان يجب تفهما أو حلقيهما منعا لتراكم القمل أو الميكروبات فيهما وقد تتولد عفونات فيهما تحدث روائح كريهة، ومن الميكروبات التي تنمى في الابطان ما يحدث العرق الأحمر

وكذلك يجب تقليم الاظافر وتحليل ما في الايدي من الثنيات فان وجود الميكروبات فيها وتحت الاظافر ضار جدا لسهولة وصولها الى طعام الانسان وشرابه ومن أشهر الامراض التي تصل بهذا الطريق هي الحمى التيفودية ولذلك يجب

غسل اليدين غسلا جيدا قبل كل طعام. ومن الامراض التي كثيرا ما تصيب الايدي داء الجرب، فان حيويته اذا وصل الى الايدي ولم يطرد عنها بالتنظيف المتوالي ثقب الجلد وأحدث هذا الداء. وأحسن الوسائل المتبعة لوقاية الطعام من كثير من الميكروبات الاكل باشوكات والملاعق واستعمال السكاكين

ويجب حلق العانة وكذلك الختان منعاً لتراكم القمل والصئبان في شعر العانة وتجمع القاذورات تحت القلفة؛ وقمل العانة هذا هو قمل الابط والحية وغيرها فاذا يمكن انتشاره من العانة الى مواضع أخرى من الجسم حتى الحواجب واهداً العين، ولا يخفى ما في ذلك من الضرر العظيم. وفي حلق العانة شيء من تحريك داعية الوقاع تهيج هذا المكان عند نبات الشعر

ومن مستلزمات نظافة السبيلين الاستنجاء، وذلك للمحافظة على طهارة الثوب المفروضة ومنع الروائح الكريهة وانتشار الامراض، وقد بقي الانسان أيضا من السيلان والافرنجي. ويكون لاستنجاء باليد اليسرى، ولا ينبغي الاكل بها. ويتحتم غسل الايدي بعد كل استنجاء غسلا جيدا، وكذلك يجب بلها بالماء قبله لمنع تشرب اليد للمواد الكريهة وللميكروبات بقدر الامكان

ومن الواجب أيضا نظافة القدمين وتكون بالغسل الجيد المتكرر والتخليل، فان ذلك مانع لتسلخاتهما ولروائحهما الكريهة. فانه اذا تراكت الاوساخ فيهما فقد يعرض للاخصيين ولما بين الاصابع تسلخات ربما ادت الى التهاب في العقد الأربية ونشأ عنه حمى وخراج في ذلك الموضع، وتلك التسلخات مؤلمة وتعوق الانسان عن المشي وتعطله عن أعماله

وبعد ذكر هذه النظافة التفصيلية يجب علينا تكرار الحض على تنظيف سائر الجسم وداسكه جيدا بالماء والصابون، فان نفع ذلك معلوم مما سبق. ويجب علينا تكرار ذكر ما للقم من المضار - خصوصا قل الجسم أو الملابس - فانه فضلا عن نقله للحميات المذكورة قد يكون هو وحده سببا في احداث حمى شديدة - كما قلنا - وذلك اما بسبب تهيج اعصاب الجسم بلدغه أو بحقن سموم (المنار : ج ٦) (٥٧) (المجلد الثامن عشر)

في الجسم من افرازه، فقد شوهد ان بعض الناس قد أصابته حمى في متهى الشدة حتى زادت حرارته عن أربعين، وعند البحث في جسمه لم يوجد به مرض ولم يكن هناك سبب لتلك الحمى سوى وجود قمل كثير، وبعد النظافة التامة زالت عنه الحمى في الحال

زد على ذلك ما للقميل من المضار الاخرى كإفلاق راحة الانسان ومنع النوم عنه واحداث بثور في الجسم من الحك

القاذورات والنجاسات

القاذورات التي نعتبرها ضارة طبيا هي عين النجاسات المعروفة شرعا، وأشهرها البول والبراز والدم والقيح أو الصديد والقيء والمني. ولم يعتبر اللعاب والمخاط من الشخص السليم ضارا في الشرع لانه حقيقة لا يوجد فيه ميكروب يضر الانسان ضررا بليغا اللهم الا ميكروب الالتهاب الرئوي والميكروب اللعابي (الذي ذكر في صفحة ٦٩ من هذا الكتاب) ولكن هذين الميكروبين وغيرها يسكنان عادة في فم كل شخص، ولا يضرانه الا اذا ضعفت بنيته عن مقاومتها، ولذلك كان الاحتباس من لعاب الشخص السليم ومخاطه لا فائدة كبيرة فيه أما البالغ فهو شيء غير المخاط العادي إذ انه يشتمل على شيء من الصديد وغيره كبلغم المسلوين وهو خطر جدا، فيجب اعتباره نجسا لاشتماله على الصديد او الدم كما ثبت ذلك بالبحث المجهرى. وقد نص الفقهاء على أن كل ما يخرج من الصدر من نخامة وغيرها نجس

وقال فقهاء الحنفية ان ما زاد من هذه النجاسات عن قدر الدرهم وجب تطهير الثوب وغيره منه، ولا يخفى أن المصاب بالسل وغيره من الامراض الصدرية يخرج من فمه كثيرا من الصديد الذي قد يزيد عن قدر الدرهم

فلذا كان الواجب عندهم أن يتطهر الانسان من البلغم اذا أصاب ثوبه بهذا المقدار كما يتطهر من البول والبراز فانه لا فرق بينهما وكلاهما ضار ضررا بليغا. على أن الامام الشافعي يرى أن القليل والكثير من النجاسات سواء، فيجب التطهر

حتى من قليل البلغم الذي يخرج من الصدر

نظافة البيوت وشروطها الصحية

من مقتضى الطهارة في الاسلام ان يكون مكان الشخص نظيفا طاهرا لئلا يتنجس ثوبه فطهارة البيوت — فضلا عن كونها واجبة طبا — هي واجبة شرعا ومن أكثر الاسباب نشرا للأمراض أن يدوس الانسان في الطريق على ما يلقي فيه من القاذورات وميكروبات الأمراض ثم يأتي الى بيته ولا يخلع نعليه فان ذلك ما ينشر في البيوت أكثر الأمراض كالدفثيريا والسل وكثيراً من الحميات العفنة فالواجب أن تكون أرض البيت وفرشه وحيطانه وسقفه وكل ما حوى في غاية النظافة بحيث لا تتلوث بشيء من النجاسات المذكورة آنفاً . وكذلك يجب أن تنظف من القمل والبق والبعوض (الناموس) ، الذباب والفيضان والبراغيث وغير ذلك بأن تسد جميع شقوقها ويتكرر تنظيفها خصوصاً بالجير أو نحوه وتغسل أرضها ويصب في مراحيضها شيء من البترول ^(١) لقتل العلق (صغار الناموس) ويبيضه وينبغي ان تكون المساكن مطلقاً الهواء ذات منافذ كثيرة معرضة لاشعة الشمس بعيدة عن الاماكن الرطبة . والافضل أن تكون مراحيضها في الجهة الجنوبية بمصر — أو ما يقابل الجهة التي يكثر الهواء منها في كل بلد — وتكون حيطان هذه المراحيض مصقولة صقلاً جيداً بحيث لا تنفذ المياه منها الى أرض المنزل فتملأه بالرطوبة والروائح الكريهة وتفسد هوائه ، ويجب ان يكون لمثل هذه المراحيض منافذ كالداخن تعلو فوق سطح المنزل من الجهة الجنوبية لتصرف الروائح الكريهة . فاذا اتبعت جميع هذه الشروط وكانت الشوارع متسعة كانت المساكن صحية .

ومن الناس من يجمع المواد البرازية وغيرها في أواني مخصوصة ثم تحمل الى خارج المدن ، وذلك خير من تلويث أرضها بها . والافضل من ذلك كله أن يعمل لها مجار صقيلة (كقنوات مواسير) الحديد لتحمل هذه المواد الى مستودع بعيد عن المدينة ^(١) وذلك بنسبة أوقية من هذا الزيت لكل ١٥ قدماً مربعة من سطح ماء المراحيض أو غيره كالمستنقعات

كلها بعدا شاسعا. وينبغي الانتباه الى هذه المواسير جيدا بحيث لا ينفذ منها شيء الى ما يجاورها عادة من قنوات الماء والسكنى في الاماكن الرطبة العفنة مضعفة للصحة بافسادها الهواء واحداً منها البرودة واكثر الميكروبات فيصاب الشخص بالتهلات الشعبية والروثوية ونزلات الانف والحلق والتهاب اللوزتين بل الدفتيريا أيضاً والروماتزم وغير ذلك والواجب أن تكون أفواه المراحيض حيث يتبرز الانسان مسدودة بمثل المنجنيق أو السيفون^(١) Siphon المستعملين الآن وماء السيفون يذيب الغازات ويمنع أكثرها من الدخول في البيت، وكذلك يعوق خروج البعوض والخنافس والصراصير والفيران. ويجب تجديد ماء السيفون مرارا حتى في اليوم الواحد وأعظم ضرر للنوع المسمى (Anopheles) من البعوض - الناموس - هو احداث حمى النافض (الملاريا أو الحمى الاجمية) ومن الناموس ما ينقل أيضا الحمى المالطية والجذام - كاسياتي - وأما أهم ضرر للجردان (الفيران الضخمة) فهو أنها تصاب بالطاعون الذي ينتقل منها الى الانسان بواسطة بعض أنواع البراغيث وأما البق فقد ينقل الطاعون أو الجذام وغيرها وأما الخنافس والصراصير والنمل فضررها الاكبر أنها تنقل القاذورات والميكروبات من المراحيض وغيرها الى طعام الانسان وشرابه وملبسه وفرشه وكفى بذلك ضررا عظيما

المطهرات

علم مما سبق أن أصل جل الامراض - ان لم نقل كلها - هو القاذورات بما فيها من الميكروبات^(٢) وسمومها، فلذا يجب معرفة بعض الاشياء القاتلة لهذه الاحياء ١ كلمة يونانية معناها الاجوف أو الفارغ (٢) لفظ يوناني معناه حرفيا الاحياء الصغيرة يطلق في الاصطلاح على الاحياء الاولى التي تتركب في الغالب من خلية واحدة. وعبر عنها المنار بالجنة والجن - بالكسر فيهما - لدلالة مادتها على العوالم الخفية

الدينئة ، وهي المسات بالمطهرات

وأشهر هذه المطهرات وأكثرها استعمالا ما يأتي : —

(١) الشمس فان أشعتها تقتل الميكروبات

(٢) النار وهي أقوى المطهرات وأسهلها وتستعمل كثيرا في غلي الاشياء الملوثة .

ولما كان بعض بزور الميكروبات (حيياتها) قديقاوم درجة الغليان (أي درجة ١٠٠) لمدة ٥ أو ١٠ دقائق فلذا يجب اطالة مدة الغلي فوق ذلك . فاذا أصيب شخص بمرض معد فالوقاية منه يجب غلي ملابسه وفرشه وجميع ما استعمله في مرضه كاللاواني وغيرها . أما الاشياء التي لايمكن غليها كقطن الفراش ونحوه فهذه تطهر بوضعها في افران مخصوصة يسلط عليها البخار في درجة الغليان مدة ساعة حتى ينفذ الى باطن ما فيها من الاشياء

(٣) الحوامض كحامض الهيدروكلوريك والنيتريك (ماء النار) وهي كلها

مطهرة تطهيراشديدا ، ولذلك جعل الله تعالى في عصير المعدة حامض الهيدروكلوريك — بنسبة ٢ في الالف — فان من أعظم فوائده تطهير الطعام والشراب

(٤) الجير ويستعمل لطلاء الحيطان والسقف وغير ذلك . واذا وضع في

سطول (جرادل) المواد البرازية نفع نفعا عظيما ، ويستعمل لهذا الغرض بنسبة واحد أو اثنين منه الى عشرة من الماء

أما ماء الجير — وهو الذي يتحصل عليه باذابة الجير في الماء المقطر حتى يتشبع به ثم يصفى — فانه مطهر ، مانع للقيء والاسهال ، مصلح لهضم اللبن في معدة الاطفال مقو لعظامهم ، ويمكن مزجه باللبن بنسبة واحد الى واحد أو واحد الى اثنين من اللبن ، ويمكن أيضا شربه بدون مزج باللبن بمقدار أربع أواقي . واذا مزج ماء الجير بزيت الزيتون أو بزيت بزر السكتان بنسبة واحد الى واحد من كل منهما كان دهانا نافعا في الحروق — كما سيأتي —

(٥) الغول النقي (الكحول الخالص) . مطهر عظيم يسهل الحصول عليه لغسل

الايدي كلما مست مريضا

(٦) البوريك بنسبة ٤ في ١٠٠ مطهر لطيف للاعين — كما سبق — واذا وضع في

اللبن بنسبة واحد الى ألف مثلا حفظه من الفساد مدة، ولذلك يستعملونه في حفظ كثير من الاطعمة، ولكن استعماله لمدة طويلة قد يضر بالجسم وينقص وزنه (٧) الفنيك يستعمل بنسبة واحد الى عشرين لغسل الايدي وغيرها (٨) الليزول — ولونه وقوامه كالغسل الاسود — يستعمل بنسبة واحد الى المئة عادة

(٩) الايزال — ولونه كالطحينة المضاف إليها شيء من الماء — يستعمل بنسبة واحد الى مئتين أو واحد الى أربع مئة. ويستعمل في الاسهال باضافة ١٥ نقطة منه على كل رطل مصري من اللبن، فانه نافع فيه وكذلك في الدوسنطاريا وهذه المواد الثلاثة الاخيرة تستخرج من قطران الفحم الحجري ومن المطهرات أيضا السليمانى (وهو مركب زئبقى يستعمل عادة بنسبة ١ الى ٢٠٠٠) واملاح النحاس (كالتوتيا الزرقاء) واليود والغلسرين. وغير ذلك كثير، وكلها مطهرات عظيمة النفع

النظافة والعلاج

كما أن النظافة عليها مدار حفظ الصحة هي أيضا الاصل الاصيل لعلاج جميع الامراض والجروح وسائر العوارض الجراحية فان علاج ذلك كله مبني على النظافة والتطهير، إذ يكفي لعلاج أي جرح وعمل أي عملية جراحية أن يكون كل ما تستعمله مطهرا طهارة تامة حتى اذا بقرت البطن بألة طاهرة أمكن درء الموت عن المصاب بكل سهولة بالتزام النظافة، ويكفي في علاج جميع الاصابات والحروق ونحوها أن تنظف نظافة تامة ويتكرر ذلك يوميا حتى يبرأ الجرح. ويكفي في الغالب أيضا لعلاج أي جرح أو سحج أن يغسل بالماء المغلي وأن يضمّد بالقطن والاربطة المطهرة — إما بالغلي أو بالبخار الساخن — بدون احتياج الى أي دواء آخر وفائدة تضييد الجروح هي منع كل ما يوصل الميكروبات الى الجرح كالأتربة والذباب والهواء والايدي والماء غير المغلي، وبالضماد أيضا يقف النزف بسبب الضغط على الجرح، وبه أيضا تحصل راحة المكان المجروح من الحركة. وهذه

الاشياء كلها هي اهم ما يطلبه الجرح من العلاج ، وأسها كلها النظافة التامة
وخلاصة ما تقدم كله أن العاقل يجب عليه أن يكون نظيفا في جسمه وملبسه
وفراشه ومسكنه وما كله ومشربه وفيما يعالج به أمراضه وإصاباته

تذيل للفصول السابقة في الذباب ومضاره

لا يخفى ان من عادة الذباب أن يجتمع على القاذورات والنجاسات ثم ينتقل
منها الى طعام الانسان أو يستقط في شرابه أو يقف حول عينيه وبذلك تنتقل جراثيم
الامراض الى الانسان وتنتشر بين أفراد هذا النوع، ومن أمثلة ذلك وقوفه على
أعين المصابين بالرمم الصيدي ثم انتقاله الى العين السليمة فتصاب بهذا الرمد،
ومن أسباب انتشار الحمى التيفودية بشكل وبائي وقوف الذباب على البراز
مثلا- اذا لم يدفن في الارض دفنا جيدا- فيتلوث الذباب بميكروب التيفود وبعد
ذلك يقف على الخبز مثلا . ومثل التيفود الهيمضة (الكوليرا) والدوسنتاريا

ومن الذباب ما يلدغ بعض الحيوانات المصابة بالجذرة الخبيثة ثم يأتي الى
الانسان فيلقحه بهاء ومنه ما ينقل بلدغه مرض النوم وغيره من شخص لآخر. ويقال
ان الملغوا تنتقل أيضا بلدغ بعض أنواعه - كما سبق - ومن المحقق ان حمى ثلاثة
الايام وسبعة الايام والحمى البسيطة المستمرة في الهند كلها تنتقل بلدغه ، وحمى
ثلاثة الايام تسمى أيضا بپانتسي وسميت بذلك من اسم الذباب الذي يحدثها
[Phlebotomus pappatasi] وميكروب هذه الحميات وراء المجهر على ما يظهر
ومن مضار الذباب أيضا انه قد يضع بيضه في الجروح أو في الآذان أو في
تجاويف الانف فيفقس هذا البيض ويخرج منه النغف (وهو ما يسمى الآن
بالبرقات ويشبهه الدود) وهذه الديدان تأكل من جسم الانسان وتحث
فيه التهابا شديدا، واذا أصابت جروحه آلمته آلاما شديدا ويحصل بسببها أيضا
التهاب الجرح وحمى ، وتعوق برء الجرح مدة مديدة حتى أن الجرح لا يشفى
الا اذا خلع منها . ومن أنواع هذه الديدان ما يأكل جثث الموتي
وقد قرر أطباء الانكليز ان من أعظم أسباب انتشار الحمى التيفودية بين

الجنود في حرب الترنسفال (من سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٢) كان الذباب وساعده في ذلك الريح بنقل الاتربة الملوثة بالبراز الى طعام الجنود فلذا يجب ازالة جميع القاذورات من حول الانسان ودفن المواد البرازية ونحوها دفنا جيدا أو إبادتها بأية طريقة بحيث نأمن وقوف الذباب عليها وانتقاله اليها وأحسن الطرق حرق القاذورات أو وضع الفنيك أو الفورمالين عليها واذأوقف الذباب على الاعين وجب طرده في الحال، واذأوقف على الطعام أو سقط في الشراب فالاسلم تطهيرهما بالنار. وكلما كثر الذباب وجب السعي في إبادته بقدر الامكان. واعلم أن الذبابة الواحدة تضع نحو ٩٠٠ بيضة، وحياتها لا تتجاوز ثلاثة أسابيع أما مارواه البخاري عن أبي هريرة من أن النبي (ص) قال « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء » فهذا الحديث مشكل وإن كان سنده صحيحا فكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلما الحديث غلط الرواة فيها كحديث « خلق الله التربة يوم السبت » مثلاً وغيره مما ذكره المحققون، وكم فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهبهم فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلاً قاطعاً على أن النبي (ص) قاله بلفظه مع منافاته للعلم وعدم امكان تأويله، على أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة وميمونة وهو أن النبي سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال (إن كان جامدا فاطرحوها وما حولها وكلوا الباقي وإن كان ذاتياً فأريقوه أو لا تقر به) فالذي يقول ذلك لا يبيح أكل الشيء إذا وقع فيه الذباب فان ضرر كل من الذباب والفيران عظيم. على أن حديث الذباب هذا رواه أبو هريرة وفي حديثه وتحديثه مقال بن الصحابة أنفسهم خصوصاً فيما انفرد به كما يعلم ذلك من سيرته.^(١) وغاية ما تقتضيه صحة السند

(١) اليك شيئاً من تاريخ حياته :-

أسلم رضي الله عنه سنة (٧) هجرية ، فصحب النبي ثلاث سنين ولم يكتب شيئاً من الحديث ، وقال عن نفسه إنه كان كثير النسيان فدعى له الرسول - كما قال - فذهب عنه ذلك . وكان قفيرا أو كولا يطعم كل يوم من بيت النبي أو من بيت أحد أصحابه ، فكان يحب أن يتودد الى الناس ويسلمهم بكثرة التحديث والاغراب في القول ليشتد ميلهم إليه. وربما كان مصابا بالصرع - كما يستفاد =

في أحاديث الآحاد الظن فلا قطع بأن هذا الحديث من كلام النبي (ص) وكانوا يروون الحديث بالمعنى فيجوز أن يكون لفظ الراوي لم يؤد المعنى المراد والله أعلم وهب أن الرسول قال ذلك حقيقة فمن المعلوم أن المسلم لا يجب عليه الأخذ بكلام الأنبياء في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع ، بل الواجب عليه أن يحصنها ويعرضها على العلم والتجربة فإن اتضح له صحتها أخذها والاعلم أنها مما قاله الأنبياء عليهم السلام بحسب رأيهم ، وهم يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك . = من بعض الروايات الواردة في ترجمته - والصراع مرض مشهور عند الأطباء يورث ضعف العقل أو الجنون

روى بعد وفاة رسول الله (٥٣٨٤) حديثاً حتى ضجج منه كبار الصحابة رضي الله عنهم وملوا كثرة حديثه ، وقالت له عائشة (إنك تتحدث بشيء ما سمعته) ولما سمع الزبير بعض حديثه قال (صدق كذب لأنه سمع هذا من رسول الله ولكن منه ما وضعه في غير موضعه) - راجع تاريخه في كتاب « الاصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر -

وروى ابن عساكر في تاريخه عن السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لابي هريرة (لتترك الحديث عن رسول الله أو لأخفئك بأرض دوس) وما روي عنه أنه قال (لقد حدثكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربي عمر بالدرة) يعني السوط . وروى الطبراني في الكبير عنه أنه قال قال رسول الله (إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتكم المعنى فلا بأس) وقال أيضاً إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (من حدث عني حديثاً هو لله عز وجل رضا فانا قاتله وان لم أكن قاتله) كما رواه ابن عساكر في تاريخه عنه مع أن المروي بالتواتر عن رسول الله أنه قال (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في النار) رواه مثنان من الصحابة وهو ينافي ما قاله ابو هريرة ، وهذا الحديث اضطر عمر لتذكيره به حينما بلغته كثرة حديثه كما في « الاصابة » أيضاً مات رضي الله عنه بالمدينة سنة ٥٧ هجرية

هذا وإنما نقلناه ما نقلناه هنا من تاريخ أبي هريرة ليكون تذكرة وهداية لأهل العقول الراجحة الحرة والنقد الصحيح ، لكيلا يغتر أحد بمثل تلك الأحاديث المتأنية للعلوم العصرية المبنية على الحس والمشاهدة والبحث الدقيق . ومن شاء زيادة الايضاح فليقرأ ما كتبت في مجلة الحياة في الجزء الخامس من المجلد الرابع الصادر سنة ١٣٢٥ هجرية

وقد حقق هذه المسألة القاضي عياض في كتابه الشفاء فليراجعه من شاء . وما رواه فيه عن النبي (ص) قوله « إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما أنا بشر أخطئ وأصيب » (*)

(*) المنار : اذا كان حديث الذباب مرويا بلفظه فيحتمل ان يكون مبنيًا على رأي كان منقولًا فذكر على ظاهره ، ويحتمل أن يظهر بعد ما يزيل ما فيه من الاشكال . وهو على كل حال ليس من عقائد الدين ولا من أحكامه ، بل هو من قبيل مسألة تلقيح النخل فقد رآهم (ص) يلقحون فقال « ما أظن ذلك يعني شيئًا » فتركوه ، فأخبر بذلك فقال « ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فاني إنما ظننت ظنًا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به فاني لن أكذب على الله » وفي حديث رافع بن خديج انه (ص) انكر ذلك لما قدم المدينة مهاجرًا ، أي ولم يكن يعلم من أمر النخل شيئًا ، وأنه قال لهم « لعنكم لو لم تفعلوا السكبان خيرًا » فتركوه فتنقضت أو فنقضت فذكر والله ذلك فقال « إنما أنا بشر ، اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر » وفي حديث عائشة وأنس أنه قال « لو لم تفعلوا الصلح » فخرج شيعيًا (أي خرج التمر رديثًا) فربهم فقال « ما لنخلكم ؟ » قالوا له قلت كذا وكذا . قال « انتم أعلم بأمر دنياكم » روى ذلك كله مسلم في صحيحه

وأما كلام الكاتب في أبي هريرة (رض) فهو كلام من يسيء الظن فيجمع من الأقوال ما يؤيد ظنه . وفي قوله نظر . فاما الصرع أو الاغماء فقد صح أنه كان من الجوع لأم المرض ، وأما ما روي عن الطراني وابن عساكر من أسناده حديثين يدلان على استحلاله ان يقول على النبي (ص) ما لم يقله فنمنع أن يكون قد صح عنه ، وقدر وواعنه أنه كان يبدأ بتحديثه بحديث « من كذب علي متعمدا » اطلع وأما استغراب بعض الصحابة لكثرة حديثه فقد بين هو لهم سببه . وهو ملازمته للنبي (ص) أي مع جودة حفظه وأما عمر فقد أنكر على غيره كما أنكر عليه كثرة التحديث لحكمة ليس هذا محل بيانها

وقد ثبت أنه كان من أجود الناس حفظًا . ولا يسهل الحكم فيما روي عنه من المشكلات التي انفرد بها الا اذا جمعت واحصيت اسانيدها . وكان يروي عن كعب الاحبار مصدر الغرائب الاسرائيلية الكثيرة . وقد كان من أسباب الغلط في الحديث حسبان الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه من قبيل المرفوع ، وقد يغلط بعضهم فيسند الى النبي (ص) وهو من الاسرائيليات لامن الرأي ، فينظر في ذلك وغيره عند تمحيص تلك المشكلات .

الحرق

الحرق يحصل عادة إما بالنار أو بالسوائل المغلية وهو خطر جدا على الحياة، وخطره يختلف بحسب اتساعه وعمقه ومكانه وعمر المصاب؛ فإذا أصاب الشخص حرق بسيط وعم جسمه كان خطرا على الحياة خصوصا في زمن الصغر، وحروق الرأس والصدر والبطن هي أشد الحروق خطرا. والغالب أن الحروق النارية أشد أذى بالجسم من حروق المياه المغلية لأن المياه تبرد بسرعة وتسيل من على الجسم. أما السوائل التي كالزيت أو المعادن المصهورة، فلا تتصاقها بالجسم فتتك به فتكا ذريعا. ويتميز الحرق الناري عن الحرق المائي بأن الأول يحترق فيه الشعر والملابس بخلاف الثاني

والحرق أعراض موضعية وأعراض عمومية

أما الأعراض الموضعية فتقسم الى ست درجات : —

- (١) احمرار الجلد بدون اتلافه، والاحمرار يحصل بسبب كثرة ورود الدم اليه
- (٢) تكون الققاقيع بالجلد، وذلك بانسكاب بعض السوائل من أوعية الدم تحت الطبقات العليا للبشرة. وعند شفاء مثل هذه الدرجة تتولد طبقات جديدة للبشرة من الطبقات التي تحتها وقد يتلون الجلد بلون يخالف المعتاد
- (٣) احتراق البشرة كلها وبعض الأدمة، وهو أشد الحروق ألما
- (٤) احتراق الأدمة مع البشرة كليهما. وعند شفاء مثل هذا الحرق يحصل انكماش شديد في الجلد مكان الحرق
- (٥) احتراق الجلد كله مع بعض الأنسجة التي تحته حتى العضلات
- (٦) احتراق العضو كله وصيرورته فخما

وقد شوهد أن بعض النساء السمينات المدمنات شرب الخمر يحترقن بسرعة عجيبة بحيث يتعذر أطفاؤهن ولو بالماء الى أن يحترق الجسم كله تقريبا، ويحصل هذا الاحتراق عند وجود أقل سبب له كالاتراب من فتيلة مشتعلة حتى ظن بعض الأطباء أنه يحصل بلا نار مطلقا، ويسمونه (الاحتراق الذاتي)

وأما اعراض الحرق العامة فهي ثلاث درجات : —

(١) الصدمة العصبية - فيصاب الشخص ببرودة شديدة وذهول حتى إنه قد لا يشعر بشيء من الألم وتضعف ضربات قلبه ونبضه وقد يقع في الغيبوبة ويموت
(٢) رد الفعل والالتهاب - وذلك يحصل بعد مضي يوم أو يومين، فترتفع حرارة الشخص وتصيبه الحمى ويقوى نبضه ويسرع، وقد يحصل له التهاب في الاحشاء كالتهاب الرئتين أو البريتون أو سحايا المخ ، وفي هذه الدرجة قد يصاب أيضا بقرحة ثابتة الاثني عشري

(٣) تكوّن الصديد - وهو اذا طال وكان المكان متسعاً أدى الى الاضمحلال فالموت

(المعالجة)

يطفاً المحروق أولاً بأن يلف جسمه في الحال بشيء سميك ليمنع وصول الهواء اليه فتطفأ النار، والاحسن أن يبيل هذا الشيء الذي يلف به. ويشترط أن لا يلف الوجه بشيء خوفاً من الاختناق. وإن لم يجد شيء يتلف به يمرغ الشخص على الارض ، وإن وجدت قطعة لا تكفي الجزء من الجسم فينبغي التلفف بهامع التمرغ وبعد اطفاء النار يجب الاحتراس التام من أن يمس جسم المحروق أي شيء غير مطهر ثم تُبَطِّق الفقاعات إن وجدت ويصفى السائل منها ، ولكن الاحسن ترك البشرة بدون إزالتها فانها تكون كالوقاية للجسم ثم يدهن الجسم كله بزيت بعد غليه وتبريده ، أو يستعمل مروح الجبر الذي تقدم ذكره

وهناك عدة طرق لتضميد الحروق تذكر في فن الجراحة، ومن أحسنها استعمال حامض الپيكريك (وهو مادة متبلورة صفراء اللون مركبة من الفنيك مع حامض النيتريك) يذاب في الماء بنسبة ٥ الى ١٠٠٠ أي يكون الماء مشعباً به ثم يدفأ ويغمس فيه الموصلي (الشاش) أو قماش آخر يسمى لنت Lint و يلف به المحروق، ويوضع فوق ذلك ورق زيتي أو حبة زيتية فقطن، ويترك هذا الضماد نحو ٣ أو ٤ أيام ثم يحدد ويترك لمدة أسبوع . وفائدة حامض الپيكريك هذا هي أنه مطهر

محجف للحرق مسكن للالم وذلك هو كل مانبغي

ولعلاج حالة المصاب العمومية في الطور الاول (طور الهبوط والرجة العصبية)
يجب استعمال المنعشات ، فيلف الشخص بالملابس والاعطية السمكية حتى يدفأ ،
وتوضع زجاجات الماء الساخن حول رجله وجنبه ، ويعطى له مثل القهوة أو الشاي
الساخنين أو بعض الخمر — اذا لم يوجد ما يغني المسلم عنها — ويمنع عن الاغذية
ما عدا اللبن وغيره من السوائل كالمرق ولا بأس من اعطائه جزءا من الافيون — قدر
قحة أو قحنتين — ان كان الألم شديدا . ويجب بعد ذلك أن يتولى باقي علاجه
الطبيب حتى يشفى أو يموت

وأسباب الوفاة في الحرق عند حدوثه مباشرة متنوعة منها الاختناق بالدخان
والغازات ، أو الفزع الشديد ، أو الرجة العصبية بسبب ألم الحرق

أصناف الاقلام العربية في الاسلام

(نموذج من كتاب انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي) (*)

بقي الخط العربي على حالته القديمة غير بالغ مبلغه من الاحكام والاتقان في
زمن الرسول والخلفاء الراشدين لاشتغال المسلمين بالحروب حتى زمن بني أمية
فأبتدأ الخط يسمو ويرتقي وكثر عدد المشتغلين به . وفي أواخر ايامهم تفرع الخط
الكوفي وكانت تكتب به المصاحف منذ أيام الراشدين الى أربعة أقلام اشتقها
بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة الحرر كان اكتب أهل زمانه ، ثم اشتهر بعده
في أوائل الدولة العباسية رجلا من أهل الشام انتهت اليها الرئاسة في جودة الخط
وهما : الضحاك بن عجلان كان في خلافة السفاح فزاد على قطبة ، واسحاق بن
حماد وكان في خلافة المنصور والمهدي فزاد بعد الضحاك وزاد غيره حتى بلغ عدد

(*) المنار : تجد تقر يظ هذا الكتاب في مكان آخر

الاقلام العربية الى أوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً كان لكل قلم عمل خاص وهي:
 (١) قلم الجليل كان يكتب به في المحاريب وعلى أبواب المساجد وجدران القصور
 ونحوها وهو ما يسميه العامة الآن بالخط الجلي (٢) قلم السجلات (٣) قلم الديباج
 (٤) قلم اسطومار الكبير (٥) قلم الثلثين (٦) قلم الزنبور (٧) قلم المفتاح (٨) قلم
 الحرم كان يكتب به الى الاميرات من بيت الملك (٩) قلم المؤامرات، كان لاستشارة
 الامراء ومناقشتهم (١٠) قلم العهود كان لكتابة العهود والبيعات (١١) قلم القصص
 (١٢) قلم الخزفاج . ولما ازدان عصر العباسيين بأنوار العلوم والعرفان وخصوصا في
 أيام المأمون اخذت صناعة الخط تنمو وتنتشر وتتقدم كسائر العلوم التي ضرب فيها
 المسلمون بسهام نافذة لاحتياجهم اليها فتنافس الكتاب في أيامه في تجويد الخط
 فحدث القلم المصنع وقلم النساخ وقلم الرياسي ^(١) نسبة الى مخترعه ذي الرئاسة
 الوزير الفضل بن سهل . وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة ^(٢) وكان يكتب به بطائق حمام
 الرسائل، وهكذا كان كل قلم معداً لنوع من الكتابة كما تكتب الآن الانعامات
 بالرتب بقلم خاص، والاوراق الديوانية بقلم خاص، وألواح الحجر بخط آخر وكتب
 التعليم بأخو

فزادت الخطوط العربية على عشرين شكلا وكلها تعد من الخط الكوفي فهو
 اذ ذاك كان خط الدين والدولة. وقد كان يكتب به القرآن منذ أيام الراشدين كما
 أسلفنا حتى أواسط العصور الاسلامية (ش ٤) . واما الخط النسخي فقد كان
 مستعملا بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى نبغ الوزير أبو علي محمد بن مقلة
 المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فادخل في الخط المذكور تحسينا كبيرا بعد ان كان في غاية

(١) يصح ان يقال ريس في رئيس قال السكيت يمدح محمد بن سليمان الهاشمي
 تلقى الأمان عن حياض محمد ثولاء مخرفة وذئب أطلس
 لا ذي تخاف ولا لهذا جرأة تهدي الرعية ما استقام الرئيس
 والثولاء النمجة والمخرفة لها خروف يتبعها، ضرب لذلك مثلاً لعدله وانصافه
 حتى انه ليسرب الذئب والشاة من ماء واحد — استشهد به الجوهري والزيدي
 (في تاج العروس) وغيره على ما قلناه ان الرئيس يقال فيه ريس
 (٢) كشف الظنون ٤٦٦ ج ١

الاختلال، وأدخله في المصاحف وكتابة الدواوين . وقد اشتهر بعد ابن مقلة جماعة كثيرة من الخطاطين هذبوا طريقته وكسوها حلاوة وطلاوة، أشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ ١٠٣١ م وقد اخترع عدة أقلام . وياقوت ابن عبدالله الرومي المستعصي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ وغيرهما كثير، وقد تفرع الخط النسخي المذكور بقوالي الاعوام الى فروع كثيرة وأصبحت الاقلام الرئيسية في الخط العربي اثنين : الكوفي والنسخي، ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام بين المتأخرين وهي : الثالث والنسخ والتعليق والرباعي



ش ٤ : الخط الكوفي الجليل

آية من مصحف كتبه أبو بكر الفزنوي سنة ٥٦٦ هـ . وتوضيحها : « بسم الله الرحمن الرحيم . سبعان الذي أسرى بعبد لهيلا من المسجد الحرام الى . . »

والمحقق والرقاع ، برز في هذه الاقلام جملة من العلماء . وما زال الخط يتفرع الى الآن . فقد ظهر بعد هذه الستة الاقلام القلم الديواني والقلم الدشتي والقلم الفارسي

وغيره ، وبقي الامر تابعا لارتفاع الدولة وانخفاض شأنها (انظر شكل ٥) فانه لما تضعضعت خلافة بغداد وانتقلت الخلافة الى مصر والقاهرة انتقل الخط والكتابة والعلم اليها وسرى منها الى مضافاتها من البلاد التابعة لدولتها والى مجاورها ، وما زال الخط في جميع هذه الاماكن آخذا في الجودة الى هذا العهد وصار للحروف قوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بين الخطاطين ، وقد حفظ لنا اقلقشندي بيانات صحيحة عن أواسط عصر المماليك (أواخر القرن الثامن للهجرة) فذكر في الجزء الثالث ^(١) من كتابه صبح الاعشى أنواع الخطوط المستعملة في الدواوين وعلق عليها معتمدا على نماذج منها نشرت في هذا الكتاب وهي ستة أنواع :

(١) الطومار الكامل ويشتمل على جملة أنواع وكان يكتب به السلطان علاماته على المكاتبات والولايات ومناشير الاقطاع .

(٢) مختصر الطومار وهو على نوعين : الثلث والمحقق وكان يكتب به في عهد الملوك عن الخلفاء والمكاتبة الى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق .

(٣) الثلث وهو نوعان الثقيل والخفيف .

(٤) التوقيع وهو على ثلاثة أنواع ، وكانت توقع به الخلفاء والوزراء على ظهور القصص .

(٥) الرقاع وهو على ثلاثة أنواع أيضا وكان يكتب به في الرقاع جمع رقعته وهي الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقصص وما في معناها .

(٦) الغبار وهو نوع واحد وكان يكتب به بطائق الحمام والملطقات وما في معناها . ونرى من المكاتبات المنقوشة على الاحجار في أيام المماليك جمال هذا الخط وبهائه وهو وان كانت حروفه مستطيلة فهي ربما أجمل مما كانت عليه في أيام العباسيين

ولما آلت الخلافة الى الاتراك بعد زوال دولة المماليك بمصر ورثوا بقايا التمدن الاسلامي فكان لهم اعتناء خاص بالخط وقد أخذوا في اتقانه على أيدي الاساتذة

الفارسيين الذين اعتمدوا عليهم في الآداب والفنون . وقد حفظ الأتراك عدة قرون في مصالح حكومتهم ودوائهم المسلحة والعسكرية أنواع الخطوط التي كانت مستعملة في القرون الوسطى فكان يعرف عندهم في القرن الحادي عشر للهجرة ٣٠ نوعا تقريبا إلا أنه أهمل أكثرها أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولم يبق مستعملا منها في الوقت الحاضر إلا ما سنده في الفصل الآتي ، والأتراك هم الذين أحدثوا الخط الرقعة والخط الهمايوني واليهما انتهت الرئاسة في الخط على أنواعه إلى عهدنا هذا ، وقد أخذنا عنهم الخط المعروف بالاسلامبولي . ولن يزال الخط يتفرع إلى ما شاء الله عملا بسنة الارتقاء

الأقلام المستعملة الآن

(١) الخط النسخي — أما الآن فقد أهمل الخط السكوفي وصار الخط النسخي هو الأكثر استعمالا في كتابة اللغة العربية أينما وجدت وكذلك في كتابة اللغة التركية والتركية والأفغانية والهندية وغيرها من لغات العالم الإسلامي ، فإنه يستعمل فيها الخط النسخي في الكتب العلمية وغيرها وعلى الخصوص في المواضيع الدينية والشرعية كما سيأتي .

(٢) القلم الفارسي — وهو مشتق من الخط القيروان المتولد من الخط السكوفي في صدر الإسلام وتكتب به الآن اللغة الفارسية ويستعمل غالبا عند الهنود في كتابة لغتهم الهندستانية (الأوردية) . وسيأتي تفصيل تاريخه وفروعه عند الكلام على اللغة الفارسية

(٣) القلم المغربي — المستعمل في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس لكتابة العربية والبربرية معا وسيأتي ذكره بالتفصيل عند الكلام على لغات المغرب .

(٤ و ٥) القلم الرقعة والقلم الثالث — الرقعة هو خط الدواوين في تركيا وغيرها ويغلب استعماله أيضا في المراسلات الاعتيادية وقد أسلفنا أنه والقلم الهمايوني من مستحدثات الأتراك وهما يستعملان عندهم إلى الآن . وقد انتشر الرقعة بسلطة الأتراك في جزء من البلدان العربية، ومع أنه مكروه من بعض العرب الخالص لأنه

(المنار: ج ٦) (٥٩) (المجلد الثامن عشر)

خط تركي^(١) فهو مستعمل في مصر والعراق وسوريا مثل القلم الثلث المستعمل عند الجميع ، إلا أن الثلث يستعمل في الزخرفة والتزييق أكثر من استعماله في الكتابة العادية .

(٦) قلم التعليق — أو الكتابة الفارسية المحرفة وهو يستعمل في تركيا لكتابة الاوراق والاعمال القضائية الشرعية وكذلك في الكتب وخصوصا في كتب الاشعار والداوين (ش ٦) كما سترى عند الكلام على الخط الفارسي .

بیمین چشم دارم ز خوانندگان نام به نیکو بند بر زبان

ش ٦ : قلم التعليق
بيت من اشعار الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور ويقرأ هكذا :
« همين چشم دارم ز خوانندگان كه نام به نيكو بند بر زبان »

(٧) القلم الديواني — الذي اشتق مباشرة من خط التوقيع القديم وهو على

دوتلو عنايتو راضو على هم جی نسیم افرم طغانم حضرت
جناب سعادتمآب لربنه درکار اوله میل و محنتم و خصوص مودتم بر کال اولمقرند شاهی

ش ٧ : القلم الديواني الحلي (القسم الاعلى) والقلم الديواني (القسم الاسفل) ويقرأ القسم الاعلى هكذا :
« نشان شريف عاليشان ساجي مكان و طغراي غراي جهان ستان خاقاني نقد بالمعون الرباني والصون العمدة في حكمي اولدو كه »

نوعين : أحدهما كبير قليلا وهو المستعمل في الداوين السلطانية بتركيا لكتابة

المراسيم والدبلوماسية Les diplômes (الفرمانات والبرآت) على جميع أنواعها .
والآخر أصغر منه وهو وان يكن قد قل استخدامه بعض الشيء إلا أنه مستعمل
كثيرا في المحاكم الدينية والشرعية التي تستعمل أيضا خط التعليق . أما الهمايوني
المتقدم ذكره فهو نفسه الخط الديواني الكبير ويسمى عندهم « جلي ديواني » أي
القلم الديواني الجلي (ش ٨٧٧) وهو يستعمل لكتابة الفرمانات السلطانية
المتعلقة بالوسامات

وتتد الحروف النهائية في الخط الديواني وخصوصا الجيم والحاء والخاء والعين
والغين اذا جاءت في أواخر الكلام وكذلك أطراف السين والشين والصاد والضاد
كما ترى في شكل ٩

(٨) القلم التستعليق — أو الخط الفارسي المنسوخ وهو يستعمل عند الفرس
وسمائي ذكره عند الكلام على الخط الفارسي وفروعه

(٩) قلم الاجازات — وهو يتألف من الخط النسخي والخط الثلث بتصرف مع
بعض زيادات لا توجد في غيره وهو يستعمل عند الأتراك أحيانا .

والخط في تركيا لم يزل مشرفا وأعمال الخطاطين الكبار أمثال حمد الله المتوفى
سنة (٩٣٦ = ١٥٣٠) وحافظ عثمان المتوفى سنة (١١١٠ = ١٦٩٨ — ١٦٦٩)
لم تزل معتبرة كنماذج تقلد ، أما في البلدان العربية وخصوصا في مصر فإن الاعتناء
بالخط أخذ في الضعف والاهمال بسبب سرعة انتشار المطابع .

حروف الهجاء العربية

وترتيبها

أما ترتيب حروف الهجاء العربية فهو مخالف لترتيب الحروف الأخرى المرتبة
على أبجد هوز الخ وهو الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم السامية . وأما
العربية فتبتدئ هكذا : اب ت ث الخ ، مع ان التاء في اللغات الأخرى هي آخر
حروفها . وهذا الترتيب حديث في اللغة العربية وضعه نصر ابن عاصم . ويحيى ابن
يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان وهو مبني على مشابهة الحروف في

الشكل فابتدأ بالالف والباء لانهما أول الحروف في ترتيب ابجد وعقبا بالتاء والتاء لمشابهتهما الباء ثم ذكر الجيم من حروف ابجد وعقبا بالحاء والحاء للمشابهة ثم ذكر الكاف والداال وعقبا بالذال ، ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الحاء أخراها معها لآخر الحروف ، وقبل ان يذكر الزاي ذكر الراء المشابهة لها لتكون الزاي مع باقي أحرف الصغير ولذلك ذكر السين بعد الزاي وعقبا بالشين للمشابهة ، ثم ذكر الصاد وعقبا بالضاد ثم رجعا للطاء من ابجد وعقبا بالظاء وأخرا أحرف « كلن » حتى يفرغا من الاحرف المتشابهة ، وذكر العين وعقبا بالغين ثم ذكر الفاء وعقبا بالفاء ، ثم ذكر كرا أحرف كلن والهاء وأحرف العلة .

ولكون ترتيب ابجد يختلف عند المغاربة ^(١) عن ترتيبها عند المشارقة كان ترتيب الحروف عند المغاربة بعد ضم كل حرف الى ما يشابهه في الشكل هكذا :
ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي

الاحرف الخاصة بالعربية

واللغات الاخرى

وفي الخط العربي فضلا عن الحروف الشرقية الاخرى ستة أحرف هي: التاء والحاء والذال والضاد والظاء والغين « نخذ ضغط » وقد اقتضتها طبيعة اللغة العربية. وهذه الاحرف لا تخرج لها في اللغات الاخرى الا بتركيب مع حرف آخر . والضاد منها خاصة باللغة العربية دون سواها وهذا هو سبب تلقيب العرب أو المتكلمين بالعربية بلقب « الناطقون بالضاد » وتمييزهم بها ، وفي الحديث « انا افصح من نطق بالضاد » اشارة الى ذلك .

وهنا ملاحظة ينبغي الاشارة اليها وهي ان هذه الاحرف الستة لا تستعمل غالبا في اللغات الاسلامية الآتية (التي تكتب بالخط العربي) الا لكتابة الكلمات

(١) ترتيب المغاربة في ابجد يختلف قليلا عن ترتيبها عند المشارقة فيقولون :
« ابجد هوز حطي كلن صغفص قرست نخذ طغش » وسبب هذا الاختلاف ان المغاربة يرون الترتيب عن الامم القديمة على خلاف ما يرويه عنهم المشارقة

العربية الدخيلة في لغاتهم ولذلك فهم لا ينطقون بها تماما اذا قرأوها في نصوص عربية بل يشركونها مع حرف آخر، فمثلا اذا أرادوا النطق (بالطاء) أو (بالضاد) تكلفوها ، فانطاء تخرج بين التاء والطاء كالسلطان والطوفان، والضاد تخرج كالزاي المفخمة في نحو رمضان وهكذا : ولما كانت هذه الاحرف معدومة عندهم فهم يستعملون حروفا^(١) أخرى معدومة في العربية تقتضيها طبيعة لغاتهم ولهذا كان من الضروري لنا ان نذكر هذه الاحرف عند ذكر لغاتها لانها تتكون بمثابة تكملة لحروف الهجاء العربي عندهم .

النقط والحركات

في الخط العربي

الحركات

لما اقتبس العرب الخط من الانباط والسيريان كان خاليا من الحركات والإعجام، فالحركات فيه حادثة في الاسلام، والمشهور ان أول من وضعها أبو الاسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ لما كثرت اللحن في الكلام ، لاختلاط العرب بالاعاجم في صدر الاسلام ، فكانت الحركات اذ ذاك تقطا يميزون بها بين الضم والفتح والكسر فكانت النقطة فوق الحرف دليلا على الفتح والى جانبه دليلا على الضم وتحتة دليلا على الكسر . ولم تشتهر طريقة أبي الاسود هذه الا في المصاحف حرصا على اعراب القرآن ، أما الكتب العادية فكانوا يفضلون ترك الحركات والنقط فيها لان المكتوب اليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلا لهم قال بعضهم :

« شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه »

أما استبدال النقط بالحركات الحديثة فالغالب انه حدث تنوعا للحركات عن

(١) هذه الاحرف عربية شكلا لا نطقا وهم يميزونها بالكتابة عن أشباهها بوضع نقط أو علامات فوق الحرف أو تحتة كما سترى بعد .

القط التي يميزون بها الباء عن التاء خوفاً من الالتباس ، فالحركات الحديثة وضعت بعد ذلك لتقوم مقام حروف العلة لمشاكلة الحركات لها فجعلوا للضمة التي يشبه لفظها الواو علامة تشبه الواو والتي يشبه لفظها الالف وهي الفتحة علامة تشبه الالف بكنها مستقيمة ومثلها للكسرة من تحت وهكذا ^(١)

الإعجام

وضبط الحروف العربية

أما الإعجام أو النقط فيظن انها كانت موجودة في بعض الحروف قبل الاسلام وتنوسيت ، ولكن المشهور ان اختراعها كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وذلك لما كثرت التصحيف خصوصاً في العراق والتبست القراءة على الناس لتكاثر الاعاجم من القراء والعربية ليست لغتهم ، فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة ففزع الخجاج الى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الاحرف المتشابهة علامات ودعا نصرأ ابن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني (تلميذ أبي الاسود) لهذا الامر فوضعا النقط أو الاعجام أزواجاً وأفراداً بعضها فوق الحروف وبعضها تحته . وسعي الإعجام إعجاماً لأن الاعجام في المعنى الاصلي هو التكلم على طريقة الاعاجم كما ان الاعراب هو التكلم على طريقة العرب . وكان الجمهور يكره كما قلنا الإعجام والحركات في الكتابة وينفر منهما ولكن الناس رجعوا بعد ذلك على هذا الرأي حتى كانوا يعدون أهمال الإعجام خطأ في الكتابة ، واستمر الامر على اتباع هذا الإعجام الى الآن .

الكتابة

واتجاه السطور فيها

لم يتقرر لاتجاه السطور في الكتابة نظام الا بعد ترقيها ولذلك كانت الكتابة يدوتها الاولون أنى اتفق لايراعون لها نظاماً في اتجاه سطورها كما كان عند قدماء

(١) راجع محاضرات الاستاذ حفي بك فاصف « تاريخ الادب أو حياة اللغة

اليونان فانهم كانوا يكتبون تارة من اليسار الى اليمين وطورا من اليمين الى اليسار وأحيانا يجمعون بينهما .

فلما ترقى الكتابة وتقرر نظامها عند الامم اتخذت كل أمة منها طريقاً مخصوصاً في كيفية سيرها : فأهل الصين واتباعهم صاروا يكتبون من الأعلى الى الأسفل ومن اليمين الى اليسار على الخط الرأسي ولذلك سميت كتابتهم « بالمشجر » ولهم في ذلك اعتقاد خاص حيث يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى موجود في السماء العليا فكل شيء لا بد وان يأتيهم من جهته ولذلك صاروا يكتبون من أعلى الى أسفل .

وأهل أوربا صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين لكون الدورة الدموية تبدئ من القلب الموجود في الجهة اليسرى والقلب في بعض الروايات مركز العقل فوجب أن تكون الكتابة من الجهة المقابلة للعقل الذي يستمد منه البنان فلذلك صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين .

أما العرب والسريان وغيرهم من الامم السامية فصاروا يكتبون من اليمين الى اليسار بالنسبة لكون الطبيعة قضت بأن كل شيء لا يعمل الانسان الا بيده اليمنى كما وانه لا ينتقل من جهة الى أخرى الا بالرجل اليمنى فلذلك صاروا يكتبون من اليمين الى اليسار (١)

فالكتابة العربية الحالية متصلة من القديم وتكتب أينما وجدت من اليمين الى الشمال على السطر الاقبي وقد روى الدكتور بشاره زلزل في كتابه تنوير الاذهان انه « لم تزل بعض الامم كالصومال تكتب الخط العربي من أعلى الى أسفل (اي على السطر الرأسي) وتقرأ من اليمين الى اليسار » (٢) وهذا غريب يحتاج الالاباث .

(١) الكتابة والكتاب للشهيد وانظر صبح الاعشى (ج ٣ ص ٢١)
(٢) تنوير الاذهان في علم حياة الحيوان والانسان ص ٢٣٨

الدولة والامان

والسكتان المتضادتان ، الشبهتان بالجمع بين الكفر والايان

للسلطان عبد الحميد حسنة عظيمة في البلاد العربية ، لا يصدنا عن الاعتراف بها ، ما قيل من نيته فيها وغرضه منها ، الا وهي سكة الحديد الحجازية . التي كان يظن ويقال انه كان الباعث له على انشائها جعل الحجاز كسائر البلاد العثمانية في الخضوع لحكومته ، والتمكن من سوق الحيوش اليها عند الحاجة ، والمعروف من رأي كثير من رجال الدولة ازالة إمارة الشرفاء من الحجاز منهم احمد مختار باشا الغازي . ولا يكون ذلك سهلا مأمون العاقبة الا باتمام هذه السكة . وهذا هو السبب فيما اشتهر من معارضة شرفاء مكة لد هذه السكة بين الحرمين الشريفين .

كنا ولا نزال نرى أن هذه السكة من أكبر الحسنات ، على علمنا بما هنالك من الاقوال والظنون والنيات ، ولكن للسلطان عبد الحميد سيئة من جنس هذه الحسنة يزيد وزرها على أجر هذه — ان حسنت النية فيها — اضعافا كثيرة لعلها تزيد على سبع مئة ضعف ، الا وهي سكة الحديد الالمانية بين الاستانة والعراق من شروط هذه السكة أن الشركة الالمانية تملك عشرين ألف متر (٢٠ كيلو) عن جانبيها ملكا خالصا ، فعشر ورن. الف متر تمتد من أقصى مغرب المملكة الشمالي الى أقصى مشرقها الجنوبي ، يكون مملكة كبيرة في قلب المملكة العثمانية ، مساحتها ضعفا مساحة الارض التي تزرع في المملكة المصرية ، وهي منها في أعز مكان ، كالقلب من بدن الانسان ، فكما ان القلب مصدر الحياة للبدن كذلك تكون هذه السكة مصدر الثروة والقوة والعمران في المماكة ، فكيف يعيش من يكون قلبه في قبضة أجنبي عنه . وقد كانت بريطانيا العظمى على قوتها تعد وصول هذه السكة الى الكويت أو البصرة خطرا على مصالحها التجارية في العراق وخليج فارس ، بل خطرا على ممالكها الهندية . أفلا تكون هذه السكة في قلب مملكتنا

خطرا عليها؟ بلى انها وهي لغيرنا أعظم الاخطار لو كانت غفلا من ذلك الشرط ،
فكيف تكون مع ذلك الشرط ؟

قرأنا في أثناء هذه الحرب أخبارا عن الألمان تدل على ان امتلاكهم اقليل من
الارض في غير بلادهم أعظم خطرا عليها مما كان لا يستنبطه الا أبعد السياسيين
رأيا وأشدهم فطنة وحذرا .

قد امتلك بعض الالمانين أرضا في فرنسا وبلجيكة فظهر بعد الحرب أنها
أعدت في وقت السلم لحرب أهل البلاد التي هي فيها ، فكان منها خنادق وسرايب
ومواقع لنصب المدافع الضخمة ، حتى قيل إن مكانا أعده رجل ألماني في بلجيكة
للعب الكرة في داره ظهر بعد الحرب انه أعد لنصب أثقل المدافع وأقواها ، وانه وضع
على البعد المناسب بينه وبين الحصون البلجيكية وما كان يمكن دكها وتدميرها الا منه
كنا قرأنا في المقطم ان من شروط التحالف بين ألمانيا والدولة العثمانية أن
الاولى لا ترضى بعقد صلح الا اذا اشترط فيه سلامة أملاك الثانية ، وأنها تعطياها
خمس الغرامة الحربية التي ترضى أن تأخذها ، على كونها هي التي تقدم لها السلاح
والذخيرة والمال لاجل الحرب . وقرأنا وسمعنا أنها وعدتها ببلاد القوقاس وغير
القوقاس من البلاد الاسلامية . وكنا نفضل على كل هذه العطايا الغيبية لو اشترطت
عليها الدولة أن تبطل من شروط سكة الحديد البغدادية امتلاك عشرين ألف متر
عن جانبها . اذا لم يمكن ان تترك لها هذه السكة كلها ، فان كون قلب بلادنا خالصة
لنا أهم وأنفع لنا من ضم بلاد أخرى اليها . فلأن أملاك مئة فدان من الارض
ممكن خالصة أستطيع أن أعمرها كما يجب ، أفضل وانفع لي من ألف فدان فيها حقوق
للأجانب الذين يستطيعون من عمارتها ما لا أستطيع ، ويخشى أن يؤول أمرها كلها
اليهم . على ان بلاد الدولة أوسع من بلاد عدة دول من الدول الكبرى ، فلو عمرت
لكانت غنية بها عن سواها

فنحن نتمنى لو تقترح الدولة على حليفتها القوية ان تعطياها هذه السكة أو توافي
من شروط امتيازها ذلك الشرط لتجعل هذا دليلا على اخلاصها في محالقتها ، ورغبتها
في بقائها مستقلة قوية بعد انتصارها معها ، والا كان الخوف منها أكبر من الرجاء فيها .

تقريظ المطبوعات الجديدة*

(المطبوعات التي باسم دار الكتب الخديوية ^(١))

١ - صبح الاعشى في كتابة الانشا

هو تأليف الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي المصري. والمراد بكتابة الانشاء الكتابة الرسمية للملوك والسلاطين، وما يحتاج اليه القائم بها من العلوم والفنون، فهذا الكتاب تاريخ للسياسة والادارة العامة وجميع العلوم والفنون والآداب، ولا يمكن بيان كليات فوائده والتعريف بمجامع مزاياه الا في مقال طويل لعل المنار يقوم به بعد إتمام طبع الكتاب. وهو يطبع في المطبعة الاميرية بحروفها الجديدة الجميلة على أجود ورق يوجد بمصر. وقد تم من طبعه أربعة أجزاء من القطع الكامل. صفحات (الاول) ٤٨١ والثاني ٤٧٧ والثالث ٥٣٢ والرابع ٤٨٧ وهو يباع في دار الكتب نفسها، وفي مكتبة المنار وغيرها، وتتم كل جزء منه ١٥ قرشا

وهو لا يكاد يزيد عن نفقة الطبع الا قليلا، فنحث كل محب للعلم والأدب والتاريخ الى المبادرة لاقتنائه ومطالعته، أو الإحاطة بما في كل باب وكل فصل من المباحث النفيسة لاجل الرجوع اليها عند الحاجة لمن لا يتيسر له مطالعة الكتاب كله - أو مطالعة ما يرى نفسه أحوج الى معرفته.

ولما كان هذا الكتاب من قبيل الموسوعات التي يطلقون عليها اسم (دائرة المعارف) نقترح على دار الكتب أن تجعل له فهرسا عاما مرتبا على حروف المعجم

(* عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

(١) أسست دار الكتب العامة في عهد الخديو اسماعيل باشا بعناية محمود سامي باشا البارودي وسميت الكتبخانة الخديوية ثم سميت المكتبة المصرية ثم دار الكتب الخديوية - ثم دار الكتب السلطانية

٢- الإحكام في أصول الأحكام

تأليف الشيخ العلامة سيف الدين أبي الحسن علي ابن أبي علي الآمدي
المتوفى سنة ٥٥١ للهجرة

طبع في مطبعة المعارف طبعا نظيفا على ورق جيد في أربعة أجزاء صفحات الجزء
الاول ٤٠٧ والثاني ٤٩٥ والثالث ٤٣٧ والرابع ٣٩٢ ومثله ٤٨ لكل جزء ١٢
الآمدي رحمه الله من أعلام العلماء وأساطين الحكماء له اليد الطولى في الحديث
وعلم النظر والخلاف والفلسفة. قال ابن خلدكان: ولم يكن في زمانه احفظ منه لهذه
العلوم. وكان العزيز بن عبد السلام يقول: ما سمعت أحدا يلقي الدرس أحسن منه
كأنه يخطب، وإن غير لفظا من (الوسيط) - للغزالي وكان يحفظه - كان لفظه
أمس بالمعنى من لفظ صاحبه. وقال العزيز أيضا: ما علمنا قواعد البحث الا سيف
الدين. وقال أيضا: لو ورد على الاسلام متزندق يشكك ماتعين لمناظرته غير
الآمدي. وله مؤلفات في غاية الاتقان والتنقيح منها كتابه هذا (الاحكام) في
أصول الفقه. وهو من أبسطها عبارة، وأكثرها تقسيما، وأحسنها ترتيبا، وأجمعها
لمسائل الخلاف ودلائلها

وهو كالكتابين المذكورين بعده من الكتب التي طبعت بعناية أحمد
حشمت باشا في عهد وزارته للمعارف، وتطلب كلها من دار الكتب السلطانية
ومن مكتبة المنار وغيرها

٣- الطراز، المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز

تأليف «السيد الامام، إمام الائمة الكرام، أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن
علي بن ابراهيم العلوي اليمني» المتوفى سنة ٤٥٩ للهجرة طبع في مطبعة المقطف
بمصر طبعا جيدا على ورق أبيض جيد في ثلاثة أجزاء صفحات الجزء الاول
٤٣٥ والثاني ص ٤٠٨ والثالث ٤٦٦ ومثله ٣٦ قرشا صحيحا لكل جزء
١٢ قرشا

هذا الكتاب من كتب البلاغة الممتعة، التي ينفق مؤلفوها من سعة، ضم بين

قطرية علوم البيان ، وجمع بين دفتيه دلائل اعجاز القرآن ، والمراد بعلوم البيان علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، رتبة مؤلفه رحمه الله أحسن ترتيب وجاء على مسائله بالشواهد والامثلة ، حتى سهل ما تناول من مسائل الفن من أقرب السبيل ، ولذلك قل أنه يرجو أن يكون متميزاً عن سائر الكتب بأمرين : أحدهما ترتيبه العجيب وتنسيقه الذي يطلع قارئه من أول وهلة على مقاصد هذا الفن ، وثانيهما ما فيه من التسهيل والتيسير والابضاح المباحث الدقيقة . فهو يجري في الايضاح والبسط على نسق امام الفن وواضعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد اعترف المصنف رحمه الله تعالى بأن عبد القاهر هو الواضع لهذا الفن وأنه لم يطلع على كتابيه فيه ، ولعله لو اطلع عليهما لكان أحسن بيانا وأغزر فوائد . قال : « وأول من أسس من هذا العلم قواعده . وأوضح براهينه وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه ، الشيخ العالم النحرير عليم المحققين عبد القاهر الجرجاني . فلقد فك قيد الغرائب بالقييد . وهدى من سور المشكلات بالتسوير المَشِيد . وفتح أزهاره من أكمائها ، وفق أزواره بعد استقلالها واستبهاها ، فجزاه الله عن الإسلام ، أفضل الجزاء ، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والأجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان ، أحدهما لقبه « بدلائل الاعجاز » والآخر لقبه « بأسرار البلاغة » ولم أقف على شيء منهما مع شعفي بجهما ، وشدة إعجابي بهما ، إلا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما » . اهـ

ثم بين موضوع الكتاب وطريقته فيه فقال :

« ولما كان كل علم لا ينفك عن مبادئ ومقدمات تكون فاتحة لامره . ومقاصد تكون خلاصة لسره ، وتكملات تكون نهاية لحاله . لا جرم اخترت في ترتيب هذا الكتاب أن يكون مرتباً على فنون ثلاثة ، وإلها تكون وافية بالمطلوب محصلة للبغية بعون الله

فالن الأول منها مرسوم المقدمات السابقة نذكر فيها تفسير علم البيان ، ونشير فيها إلى بيان ماهيته وموضوعه ومنزله من العلوم الأدبية ، والطريق إلى الوصول إليه وبيان ثمرته وما يتعلق بذلك ، من بيان ماهية البلاغة والفصاحة والفرقة

بينهما . ونشير الى معاني الحقيقة والمجاز وبيان أقسامهما ، الى غير ذلك مما يكون تمهيدا وقاعدة لما نريده من المقاصد

الفن الثاني منها مرسوم المقاصد الثلاثة . نذكر منه ونشير فيه الى ما يتعلق بالمباحث المتعلقة بالمعاني وعلومها . ونردفه بالمباحث المتعلقة بعلوم البيان وأقسامها . ونشرح فيه ما يتعلق به من المباحث بعلم البديع ونذكر فيه خصائصه وأقسامه وأحكامه الثلاثة به بمعونة الله تعالى ولطفه

الفن الثالث نذكر فيه ما يكون جارياً مجرى التتمة والتكملة لهذه العلوم الثلاثة ، نذكر فيه فصاحة القرآن العظيم وأنه قد وصل الغاية التي لا غاية فوقها ، وأن شيئاً من الكلام وإن عظم دخوله في البلاغة والفصاحة ، فإنه لا يدانيه ولا يماثله . ونذكر كونه معجزاً للخلق لا يأتي أحدٌ بمثله . ونذكر وجه اعجازه ، ونذكر أقاويل العلماء في ذلك ، ونظهر الوجه المختار فيه ، الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة ، والنسكت الغزيرة ، التي نلحقها على جهة الردف والتكملة لما سبقها من المقاصد

فالفن الثالث للثاني على جهة الإكمال والتتمة . والفن الاول للثاني على جهة التمهيد والتوطئة والسر واللباب . والمقصد لذوي الالباب . ما يكون مودعا في الفن الثاني وهو فن المقاصد . وأنا أسأل الله تعالى بجموده الذي هو غاية مطلب الطلاب . وكرمه الواسع الذي لا يحول دونه ستر ولا حجاب . أن يجعله من العلوم النافعة في إصلاح الدين . ورجحانا في ميزاني عند خفة الموازين . إنه خير مأمول ، وأكرم مسؤول .

٤ - الخصائص

تأليف أبي القمح عثمان بن جني طبع الجزء الاول منه بمطبعة الهلال سنة ١٣٣٢ هـ صفحاته ٥٦٩ ثمنه ١٥ قروش

ابن جني من أساطين أئمة اللغة وفحولها وقد قال فيه البخارزي في دمية القصر : ليس لاحد من أئمة الادب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ، ما لأبي القمح ، ولا سيما في علم الاعراب . ومن قول المتنبي فيه أيضا : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . وقال الاستاذ الامام من كتاب يعرض فيه بصاحب له وقع

فيه عندما أخذ بتهمة المسألة العرابية : وأما فلان فقد أكننته كني ، وأدنيته مني ، وجعلته في مكان النحو من ابن جني ، ثم هو يصرح بسببي ولا يكنني .

وكتابه هذا [الخصائص] علم وأدب وفقه لغة وفلسفة ، لأنه يعطي المطالع علما باللغة العربية وأساليها وآدابها ويلهمه بلاغة بأسلوبه الذي هو في أعلا ذروة منها

ومن رأيه في (باب القول على أصل اللغة إلهام أم اصطلاح) ما نصه :

« وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدَوِيّ الريح . وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفهرس ، ونزيب ^(١) الظبي ونحو ذلك ، ثم وُلدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب مقبل »

« وأعلم فيما بعد ، انني على تقادم الوقت ، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التغول على فكري ، وذلك انني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإرهاق والرقّة ، ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما أخذته على أمثلتهم ، فعرفت بتقابعه وانقياده ، وبعد مراميه وآماده ، صحة ما وقفوا لتقديره منه ، ولطف ما أسعدوا به ، وفرق لهم عنه ، وانضاف الى ذلك وارد الاخبار الماثورة ، بأنها من عند الله جل وعز ، فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه ، وأنها وحي »

ثم أقول في ضد هذا كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنبيهنا ، على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة . كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا ، وان بعد مداه عنا ، من كان أطف منا أذهانا ، وأسرع خواطر وأجراً جناناً ، فأقف بين تين الخطين حسيراً ، وأكاثرها فانكفى مكشوراً ، وان خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف باحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبتها ، قلنا به ، وبالله التوفيق » اهـ

أما المذهب الذي تقبله أولاً فهو الذي يرجحه الباحثون في فلسفة الخلق ولغاتهم،
وأما ما تعارض رأيه فيه بعد ذلك فهو موضوع آخر، وهو أن ارتقاء اللغة العربية في
أبنية كلمها، وقوانين جملها وأساليبها، هل كان بمواضعة واصطلاح من أناس من
الأولين بذوا من بعدهم في العلم والفلسفة والذوق؟ أم كان بوحى إلهامي من الله
تعالى؟ ولكل رأي وجه، والمعقول أن الله تعالى ألهم تلك النفوس ذات الذكاء
والذوق أن تجري في كلامها على سنن ترتقي فيها بالتدريج إلى أن وصلت إلى تلك
الدرجات العلى التي بين المصنف خصائصها في كتابه

٥ - الاعتصام

كتاب الاعتصام للإمام أبي إسحق إبراهيم اللخمي الشاطبي ثم الغرناطي
الاندلسي المتوفى سنة ٧٩٠

طبع طبعا حسنا على ورق جيد في مطبعة المنار في ثلاثة أجزاء صفحات الأولى
منها ٣٨٨ ماعدا الفهرس ومقالة التعريف بالكتاب وترجمة مؤلفه. وصفحات الثاني
٣٥٦ ماعدا الفهرس، وصفحات الثالث ٢٨٠ ماعدا الفهرس وخاتمة الطبع. وثمن
كل جزء منها ١٠ وبطلب من دار الكتب ومن مكتبة المنار

قد سبق تقرير هذا الكتاب وبيان مزاياه في منار العام الماضي. ونقول الآن
إننا لانعلم أن أحدا ألف مثله في بيان حقيقة البدع وأقسامها وأحكامها. فهو ركن من
أركان الإصلاح الاسلامي لعله لا يقرؤه مسلم الا ويكره البدع وينفر منها، ويجب
السنة ويرغب في الاعتصام بها، على علم وبصيرة تنتقي بهما الشبهات التي راجت
والتبست على كثير من المشتغلين بالفقه لا على العوام وحدهم، فهذا الكتاب
أعم مطبوعات دار الكتب نفعا لا يستغني عنه عالم ولا عامي من المسلمين

طبعت هذه الكتب للمرة الاولى فهي كنوز علم وأدب قد فتحت للطالين
ورياض فضل أدنيت للناس اجمعين ليجتنبوا يانع ثمراتها فجزى الله الساعين بطبعها
خير الجزاء ونفع بها آمين

(انتشار الخط العربي)

تأليف عبد الفتاح افندي عباده صاحب كتاب (سفن الاسطول الاسلامي)
مزيينا بالرسوم والخرط طبع سنة ١٣٣٣ في مطبعة هندية ص ١٦٨ ويطلب من
مكتبة المنار بمصر ومنه ١٢

لجبد الفتاح افندي عباده عناية بالمباحث التاريخية والفنية المبثورة التي لم
تفرد في التأليف في لغتنا من قبل . وقد آنحف أبناء العربية بكتابه (سفن الاسطول
الاسلامي) ثم أبرز لهم اليوم هذا المؤلف النفيس الذي أبان فيه منشأ الخط العربي
وتطوره بتطور المسلمين وما تفرع منه . وأحصى عدد الذين يكتبون بالخط العربي من
البشر فاذا هم ٢٤٣ مليوناً ، وأعلمهم يزيدون فان وثني الهند يكتبون بها كالمسلمين ؛
فكتابه هذا كتاب أدب لا تاريخ .

نعم انه قد اعتمد في معظم مباحثه على ما كتبه علماء أوربة وغيرهم ، وربما
أخطأ بعض هؤلاء العلماء أوربياً أخطأ هو في بعض النقل كتسمية الخط الديواني
الجلبي [الخط الديواني الجلي] (انظر شكل ٧ و ٨) ولكنه خطأ يقع في مثله كثير
من الناس . وقد نشر في المنار نموذج من مباحث هذا الكتاب

(تصحيح خطأ)

في ص ٢٣٢ سطر ٤ من الجزء الرابع من آية « وارزقهم الثمرات » والصواب
« وارزقهم من الثمرات » وفي الصفحة الاولى من الجزء الخامس غلط في عنوان
التفسير صوابه هكذا (علاوة في بيان أن الزيادة على نصوص الشارع) الخ
وفي الصفحة ٣٨٧ منه عبارة لم تؤد المعنى المراد منها وهي قول حسن افندي
كل في السطر الرابع من مقالة « وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظه
على ما يقابلها » الخ . والمراد انه بين موافقة الكثير من ألفاظ الأثر للغة العربية .
وكلمتي (من حكمه) من ص ٣٨٨ س ٢٥ هما زائدتان أي وربما كان فيه
ألفاظ أخرى موافقة للعربية تعلم بمراجعة معاجم هذه اللغة

أوتي غيرا كثيرا وما يذكر الا أوله الآية
قد

المجلد الثامن عشر

١٣١٥

فبشر عادي الذين يستهون بالقول فبئس
أولئك الذين هدامهم الله واولئك هم
الآلآء

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كثار الطريق

مصر ٣٠ رمضان ١٣٣٣ - ١٨ الاسد (ص ٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٢ أغسطس ١٩١٥

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(بحث في التزام النصوص في العبادات ، واعتبار المصالح في المعاملات)

تمهيد في مذهب مالك في ذلك

كان الامام مالك بن أنس من أشد علماء السلف تشديدا في اتباع السنة ،
وتدقيقا في انكار البدع والمحدثات في الدين ، حتى انه أنكر على عبد الرحمن بن
مهدي - وناهيك بعلمه وهديه - وضع ردائه في مسجد النبي (ص) من الحر والصلاة
عليه ، لئلا يُظن انه مشروع - وأنكر على من استشاره في الإحرام من مسجد
الرسول (ص) من عند قبره ، ونهاه عن ذلك وأمره بالإحرام من الميقات ، فلما ألح
الرجل قال له « لاتفعل فاني أخشى عليك الفتنة » فقال الرجل : وأي فتنة في هذا ؟
أما هي أميال أزيدها . قال « وأي فتنة أعظم من أن ترى انك قد سبقت الى

(المجلد الثامن عشر)

(٦١)

(المنار : ج ٧)

فضيلة قصر عنها رسول الله (ص) ؟ اني سمعت الله يقول (فليحذر الذين يخافون عن أمره ^(١) ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ومن أجل كلامه رضي الله عنه : من أحدث في هذه الامة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم ان رسول الله (ص) خان الدين — وفي رواية الرسالة — لأن الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فإلم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً . اهـ

نقل ذلك العلامة الشاطبي في عدة مواضع من كتاب الاعتصام ، وقال في ص ١٢٣ من الجزء الثاني منه في مثل هذا المقام : ولذلك التزم مالك في العبادات عدم الالتفات الى المعاني وان ظهرت لبادي الرأي ، وقوفاً مع ما فهم من مقصود الشارع فيها من التسليم على ما هي عليه . فلم يلتفت في ازالة الاخبار ورفع الاحداث الى مطلق النظافة التي اعتبرها غيره حتى اشترط في رفع الاحداث النية ، ولم يقيم غير الماء مقامه عنده وان حصلت النظافة حتى يكون بالماء المطلق . وامتنع من إقامة التكبير والتسليم والقراءة بالعبودية مقامها في التحريم والتحليل والاجزاء ^(٢) ومنع من اخراج القيم في الزكاة ، واختصر في الكفارات على مراعاة العدد وما أشبه ذلك ودورانه في ذلك كله على ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب ان تصور — اقله ذلك في التعبدات وندوره ، بخلاف قسم العادات الذي هو جار على المعنى المناسب للظاهر للعقول . فانه استرسل فيه استرسال المدلل العريق في فهم المعاني المصلحية نعم مع مراعاة مقصود الشارع ان لا يخرج عنه ، ولا يناقض أصلاً من أصوله « اهـ (أقول) ان العلامة الشاطبي قد حرر بحث البدع وأطال في التنفير عنها والحث على التزام السنة في كتابه (الاعتصام) بما لم يسبق الى مثله — بحسب علمه وعلما — سابق ، ولم يلحقه فيه — على ما وصل اليه علما — لاحق ، ومن ذلك أنه فرق بين البدع وبين المصالح المرسله بفرقة واضحة بينة ، وأثبت ان مالكا كان يقول بها على تشدده في نصر السنة ، ومباالغته في مقاومة البدع ، حتى قال أحمد بن (١) أي يخالفونه معرضين عن أمره الديني لا في أمر العادات المباحة ، وهو ضد مخالفه الى الشيء (٢) لف ونشر أي لا يصح الاحرام بالصلاة بغير التكبير بالعبودية ولا التحلل منها بغير التسليم بالعبودية ولا تصح قراءة القرآن بالترجمة ، وهذا جمع عليه في حق القادر

حنبل فيه : اذا رأيت الرجل يبغض مالكا فاعلم أنه مبتدع . وقال عبد الرحمن بن مهدي : اذا رأيت الحجازي يحب مالكا بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة . المشهور ان القول بالمصالح المرسله مذهب مالك وان الجمهور على خلافه ، وليس هذا القول صحيحا على إطلاقه ، فان بعض علماء الأصول جعل القول بها من مسائل العلة للقياس ، فأدخلوه فيما يسمونه المناسبة او المعنى المناسب . وعدها بعضهم من انواع الاستدلال لامن أصول الاحكام ، فلا كثرون يقولون بها ، ولكن يختلفون في اسمها . قال ابن دقيق العيد : الذي لا شك فيه ان لمالك ترجيحا على غيره من الفقهاء في هذا النوع ، ويلييه أحمد بن حنبل . ولا يكاد يخلو غيرهما عن اعتباره في الجملة ، ولكن لذين ترجيحا في الاستعمال لها على غيرها ، وقال القرافي : هي عند التحقيق في جميع المذاهب لانهم يقومون ويقعدون بالمناسبة ، ولا يطلبون شاهدا بالاعتبار ، ولا نفي بالمصلحة المرسله الا ذلك . وقال إمام الحرمين : ذهب الشافعي ومعظم أصحاب أبي حنيفة الى تعلق الاحكام بالمصالح المرسله بشرط الملاءمة للمصالح المعتمدة المشهود لها بالأصول

وقد قسم علماء الأصول المناسب الى ما علم اعتبار الشرع له ، وما علم إغاؤه له ، وما لا يعلم اعتباره ولا إغاؤه له ، وهو الذي لا يشهد له أصل معين بالاعتبار بل يؤخذ من مقاصد الشرع العامة فيعد من وسائلها . وهذا القسم هو الذي يسمونه بالمصالح المرسله . ذكر ذلك كله الشوكاني في ارشاد الفحول ، وقال : وقد اشتهر انفراد المالكية بالقول به — قال الزركشي : وليس كذلك فان العلماء في جميع المذاهب يكتفون بمطلق المناسبة : ولا معنى للمصلحة المرسله الا ذلك . اهـ

ما حرره الطوفي في مسألة المصالح

(أقول) لم أر في كلام علماء المشاركة من أطنب في بحث المصالح مثل الامام نجم الدين الطوفي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦ — ولا في كلام علماء المغاربة مثل العلامة أبي اسحق ابراهيم الشاطبي الاندلسي المتوفى ٧٩٠ . أما الطوفي فانه وفي الموضوع حقه في شرحه لحديث أبي سعيد الخدري في الاربعين النووية « لا ضرر ولا ضرار » (رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما

مسندا ومالكا مرسلا وحسنوه) وقد قال هو وغيره انه يقتضي رعاية المصالح إثباتا ونفيا ، والمقاسد نفيا ثم استدل على المسألة بعدة أدلة من الكتاب والسنة تفصيلية وإجمالية ، واجماع ماعدا الجامدين من الظاهرية ، وجعل مدار تعليل الاحكام الشرعية على هذه المسألة ، ودعم ذلك بالاستدلال عليها بالنظر العقلي ، ولم يكتف بهذا حتى جعل رعاية المصلحة مقدمة على النص والاجماع عند التعارض فقال : وإن خالفها وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما ، لا بطريق الافتيات عليهما واتعطيل لهما .

وهذا الذي قرره الطوفي في رعاية المصلحة هو أدق وأوسع من القول بالمصالح المرسلة ، وأدلته أقوى ، وقد صرح هو بذلك فقال :

« واعلم ان هذه الطريقة التي قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب اليه مالك ، بل هي أبلغ من ذلك . وهي التعويل على النصوص والاجماع في العبادات والمقدرات ^(١) وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام » اهـ ثم قال بعد بيان ذلك :

« وانما اعتبرنا المصلحة في المعاملات ونحوها ، دون العبادات وشبهها ، لأن العبادات حق للشارع خاص به ، ولا يمكن معرفة حقه كذا وكيفا وزمانا ومكانا الا من جهته ، فيأتي به العبد على ما رسم له ، ولأن غلام أحدنا لا يعد مطيعا خادما له الا اذا امثل ما رسم سيده وفعل ما يعلم انه يرضيه ، فكذلك هاهنا . ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع اسخطوا الله عز وجل وضلوا وأضلوا . وهذا بخلاف حقوق المكلفين فان أحكامها سياسية شرعية وضعت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة وعلى تخصيصها المعول

« ولا يقال : ان الشرع أعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته . — لأننا نقول قد قررنا ان المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلنقدمها في تحصيل المصالح . » ثم ان هذا انما يقال في العبادات التي تخفى مصالحها عن مجاري العقول والعبادات . اما مصلحة سياسة المكلفين في حقوقهم فهي معلومة لهم بحكم العادة

(١) المراد بالمقدرات ما قدره النص بقدر معين كالحدود والكفارات

والعقل . فاذا رأينا الشرع متقاعدا عن إفادتها علمنا أننا أحلنا في تحصيلها على رعايتها « اه المراد منه هنا ومن أراد الاطلاع على سياقه برمته فيرجع الى المجلد التاسع من المنار (ص ٧٤٥ — ٧٧٠)

ماحرره الشاطبي في مسألة المصالح

وأما الشاطبي فانه جعل الباب الثامن من كتابه الاعتصام في التفرقة بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان . — فأما الاستحسان فاذا لم يرجع الى قياس صحيح أو إلى رعاية المصالح ودفع المفسد فليس بشيء . وأما المصالح المرسلة فقد وافق الشاطبي الاصوليين على عدها مما يسمونه المعنى المناسب ، ووضحها بعشرة أمثلة منها :

- (١) اتفاق الصحابة على كتابة القرآن في الصحف التي سمي مجموعها المصحف
- (٢) اتفاقهم على حد شارب الخمر ثمانين جلد — كذا قال —
- (٣) قضاء الخلفاء الراشدين بتضمين الصناعات ، وقول علي (رض) في ذلك : لا يصلح الناس الا ذاك

- (٤) ما ذهب اليه بعض العلماء من الضرب في التهم ، وما ذهب اليه مالك من السجن في التهم ، مع ان السجن نوع من العذاب
- (٥) ما قرره ونقل مثله عن الغزالي وابن العربي من جواز وضع الامام العادل ضرائب وإعانات موقفة عند الضرورة لتكثير الجنود لسد الثغور وحماية الملك ، اذا لم يوجد في بيت المال ما يفي بذلك

- (٦) اختلاف العلماء في العقاب على بعض الجنايات بأخذ المال
- (٧) الزيادة على سد الرمي اذا توالى ضرورة الاكل من المحرم كالميتة في الجماعات ، أو عم الحرام بلدا أو قطرا في جميع الاموال ، فحينئذ لا ينظر الى أصل المال ، بل يؤخذ من الوجه الشرعي كما لو كان أصله حلالا . هذا ما يخص معنى ما ذكره . وعزى القول به الى ابن العربي وأحال في بسطه على الغزالي في الإحياء ، أي في كتاب الحلال والحرام من الجزء الثاني منه

- (٨) قتل الجماعة بالواحد . قال : والمستند فيه المصاحبة المرسلة ، اذ لا نص

على عين المسألة ، ولكنه منقول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو مذهب مالك والشافعي

(٩) إقامة امام للمسلمين (خليفة) غير مجتهد في الشرع اذا فقد المجتهد . قال : « ان العلماء تقلوا الاتفاق على ان الإمامة الكبرى لا تمنع الا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع ، كما انهم اتفقوا أيضا أو كادوا يتفقون على ان القضاء بين الناس لا يحصل الا لمن رقي في ^(١) رتبة الاجتهاد . وهذا صحيح على الجملة . ولكن اذا فرض خلو الزمان عن مجتهد يظهر بين الناس وافقروا الى امام يقدمونه ^(٢) لجريان الاحكام وتسكين ثورة الثائرين والحياطة على دماء المسلمين وأموالهم — فلا بد من اقامة الأمثل ممن ليس بمجتهد »

ثم بين وجه ذلك وصرح بأنه لا يتجه الا على فرض خلو الزمان عن مجتهد ، وهذه مسألة فيها بحث ، وقد صرح المحققون بأنه لا يجوز خلو الزمان عن مجتهد ، وليس هذا محل بيان هذه المسألة ، بل هو لا يتسع لتحقيق مسألة المثال المفروضة أيضا (١٠) بيعة من لم تتوفر فيه شروط الامامة ابتداء أو استدامتها بعد وجود الكفو لها كالقرشي المجتهد الخ خوفا من الفتنة وتفرق الكلمة . وقد ذكر من الشواهد على هذا المثال مبايعة ابن عمر ليزيد ولعبد الملك بن مروان على كونهما من أئمة الجور ، وأخذهما الملك بالسيف لا باختيار الامة ، ونهي مالك عن الخروج على أبي جعفر المنصور . وفي هذه المسألة أبحاث من وجوه كثيرة فلا تؤخذ على إطلاقها ، وقد سبق في تفسير آية المحار بين (البغاة) قول وجيز فيها ، وإشارة الى بعض مسائلها . منه ان تحريرها لا يمكن الا بمصنف خاص . ومنه ان الرأي الغالب على الامم في هذا العصر ان المصلحة في الخروج على الملوك المستبدين الجائرين ، كما فعلت الامة العثمانية اذ كانت قوة خرجت بها على سلطانها عبد الحميد فسلبت السلطة منه وخلعته بفتوى من شيخ الاسلام فيها .

ومن دقق النظر في الامثلة التي أوردها الشاطبي لمسألة المصالح المرسلة تبين له أن بعضها تدل عليه النصوص أو السنة العملية ، ومنها ما يدل عليه القياس . فمن

(١) لعل في زائدة (٢) لعل أصله يقيمه

الاول كتابة القرآن في مصحف يجمعه كله . فان تسمية الله تعالى اياه كتابا يدل على وجوب كتابته ، واتخاذ النبي (ص) الكتاب له يكتبون كل ما نزل في وقته يدل على ذلك . وسبب عدم جمع النبي (ص) له في المصحف ظاهر لا يحتاج الى اطالة الفكرة ، وهو احتمال المزيد في كل سورة مادام حيا . ولا يمكن أن يتصور أحد ولا ان يجد شبهة على كون كتابته في صحف متفرقة هو مطلوب الشارع . وانما تلبث أبو بكر (رض) في الامر أولا على عادة أهل الروية في الامور العظيمة ، وناهيك بأوائل الاعمال التي تعرض على أصحاب المناصب العليا في مناصبهم . ومن الثاني حد السكر قيل انه قياس على القذف ، وقيل انه تعزيز لايحجب التزام العدديته والحق الجلي الظاهر أن مسائل المعاملات التي يرجع فيها الى الحكم من قضائية وسياسية وحرية ترجع كلها الى الاصل الذي بينه حديث « لا ضرر ولا ضرار » أي رفع الضرر الفردي والمشترك ، ومنه أخذت قاعدة دفع المفسد وحفظ المصالح ، مع مراعاة ما علم من نصوص الشارع ومقاصده ، وأمثلة هذا في أعمال الخلفاء الراشدين المالية والادارية والحربية كثيرة جدا ، على أن جماهير الفقهاء يصرحون دائما بارجاع جميع الاحكام الى القاعدة المذكورة آنفا ، فقواعد العز بن عبد السلام الشافعي المشهود له بالاجتهاد المطلق أكثرها يدور على هذه القاعدة .

وانما فرأى كثير علماء الامة من تقرير هذا الاصل تقريرا صريحا مع اعتبارهم كلهم له . كما قال القرافي - خوفا من اتخاذ أئمة الجور اياه حجة لاتباع أهوائهم وارضاء استبدادهم في أموال الناس ودمائهم ، فرأوا ان يتقوا ذلك بارجاع جميع الاحكام الى النصوص ولو بضرب من الاقيسة الخفية ، فعملوا مسألة المصالح المرسلة من أدق مسالك العلة في القياس ، ولم ينطوها باجتهاد الامراء والحكام ، وهذا الخوف في محله ولكنه لم يبق الامة من أهواء الحكام كما ينبغي ، اذ كان يوجد في عهد كل ظالم من علماء السوء من يهد له الطريق ولو لبعض ما يريد من اتباع الهوى .

والطريقة المثلى لحفظ الحق وإقامة ميزان العدل ، رفع قواعد الحكم على الاساس الذي شرعه الله تعالى للمسلمين بقوله (وأمرهم شورى بينهم) وقوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) كما فصلناه في تفسير هذه الآية في

الجزء الخامس من التفسير — لا بانكار أصل المصالح ، ولا بالتضييق في تفرع الاحكام عليها . فاذا ليط ذلك بأولي الامر (أي أهل الحل والعقد) الذين ينصبون الامام (الخليفة) ويكونون أهل شورى له ويكون هو مقيدا بما يقررونه — فيخذل لا يخشى من جعل مراعاة المصالح ذريعة للمفاسد ما يخشى منه في حال اقرار كل متغلب على الحكم مع التضييق في مسالك استنباط الاحكام ، الذي جرى عليه جماهير الفقهاء ، وانما مثار المفاسد كلها أن يقر على ولاية الامر كل متغلب ، ويرضى بتقليده كل جائر جاهل . فهذا هو الذي أضاع على المسلمين دينهم وديارهم

نتيجة ما تقدم

نلخص ما تقدم من المباحث بالنتائج الآتية :-

(١) ان المسائل الدينية المحضة وهي العقائد والعبادات تؤخذ من نصوص القرآن وبيان السنة لها بالقول أو العمل ، على الوجه الذي كان عليه الصدر الأول من الصحابة ، فما أجمعوا عليه فلا عذر لأحد في مخالفته ، وما اختلفوا فيه ينظر في دلالته ويرجح بعضه على بعض ولا يلتفت الى الشذوذ ، ولا يجوز بحال من الاحوال احداث عبادة جديدة أو الاتيان بعبادة ماثورة على غير الوجه الذي كان عليه النبي (ص) وجماهير أصحابه (رض) لا بقباس ، ولا دعوى اجماع لمن بعدهم ، ولا لمصاحبة ، ولا لغير ذلك من العلل والنظريات ، لان الله تعالى قد اكمل الدين اصوله وفروعه بكتابه وبيان رسوله (ص) وأخبرنا ان ما سكت عنه فهو عفو منه سبحانه ، فمن زاد من ذلك شيئا كان مراعيا لنص القرآن أو طاعنا في بيان الرسول (ص) أو زاعما أنه اكمل منه علما وعملا بالدين) كما قال الامام مالك لمن أراد الاحرام بالحج من المسجد النبوي وقد تقدم (*)

(*) اذا قيل إن جمهور العلماء يجزون الاحرام قبيل الميقات خلافا لهذه الرواية عن مالك ولقول البخاري في ترجمة ما رواه في تحديد المواقيت من صحيجه (قلنا) أولا هذا مثال لا يبحث فيه ، و - ثانيا - إن دليل الجمهور على هذا ضعيف ومعارض بقوله تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها) وبالترام النبي (ص) والصحابة الاحرام من الميقات ، وهذه شعائر لا يخفى تركها ان وقع ، فمن خالفهم فيها يصدق عليه آية (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) الخ (راجع ص ٤٨٢) وحديث عائشة في مسند أحمد وصحيح مسلم مرفوعا . « من عمل عملا ليس =

وأما الأمور الدنيوية من حلال وحرام وسياسة وقضاء وآداب فهي تنقسم بحسب الأدلة الى خمسة أقسام

الاول - ما فيه نص صحيح صريح في الحكم وارد مورد التكليف الشرعي العام ، فالواجب أن يعمل بذلك النص ما لم يعارضه ما هو أرجح منه من النصوص الخاصة بموضوعه أو العامة كنفي الحرج ونفي الضرر والضرار ، وكون الضرورات تبيح المحظورات بنص قوله تعالى (الا ما اضطررتم اليه) وفي هذه الحال يجب على أئمة المسلمين تنفيذه ومؤاخذه من تركه

الثاني - ما يدل عليه نص صحيح بعمومه أو تعليله أو مفهومه دلالة واضحة

= عليه أمرنا فهو رد » وقد أنكر عثمان على من أحرم من خراسان ، فأما حديث أم سلمة في الإهلال من المسجد الأقصى وقد استدلت به لقول الجمهور فهو لا يصح . وما روي في تفسير اتمام الحج والعمرة « أن تحرم من دويبة أهلك » فعناه أن تنوي الحج منها كما يفسره ما روي عن ابن عباس وغيره من قوله « أن تحرم من دويبة أهلك لا تريد الا الحج والعمرة ، وتهل من الميقات ، ليس أن تخرج لتجارة ولا حاجة حتى اذا كنت قريبا من مكة قلت لو حججت أو اعتمرت ! وذلك يجزئ ولكن التام أن تخرج له لا لغيره » ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره . وبهذا تتفق هذه الرواية مع تفسير الجمهور وظواهر النصوص والسنة العملية . والا لكان نسك النبي (ص) من حج وعمر ونسك أصحابه كلهم ناقصا . لأنه لم يتقل ان أحدا منهم لبس ثياب الاحرام من دويبة أهله بالمدينة أو غيرها ، ولو كان هذا هو المراد بانتمام الحج والعمرة لما خالفوه الا قليلا لبيان الجواز كما هو شأنهم في سائر الاعمال ، وبهذا تعرف ضعف قول الشوكاني : وقول صاحب المنار « انه لو كان أفضل لما تركه جميع الصحابة » فكلام علي غير قانون الاستدلال ، اه : ويقول صاحب المنار المتأخر في تأييد صاحب المنار المتقدم : بل هو على أصح قوانين الاستدلال وهو الجزم بان النبي (ص) وأصحابه كانوا أكمل المؤمنين إيمانا وأتمهم عبادة فلو صح ما ذكر وكان معناه ما ذكر لما تركوه الا قليلا كما ذكرنا ، ولو عملوا به لتوفرت الدواعي على نقله عنهم لانه من الشعائر التي يشاهدها الجم الغفير

٤٩٠ حكم النص غير الصحيح ولا الصريح وغير التكليفي [المنار: ج ٧ ص ١٨]

أجمع عليها أهل الصدر الاول أو عمل بها جمهورهم ، وعرف شذوذ من خالف منهم فالواجب في هذا عين الواجب فيما قبله بشرطه ، عند من عرفه

الثالث — ماورد فيه نص تكليفي غير صريح ، أو حديث غير واثق ولا صحيح ، فاختلف فيه الصحابة أو غيرهم من علماء السلف وأئمة الفقه ان كان مما وقع في زمنهم — فمثل هذا يعمل فيه كل مكلف باجتهاد نفسه ، ويعذر كل من خالفه فيما ظهر له انه الحق فلا يعيبه ولا ينتقده ، كما اختلف السلف في بعض أحكام الطهارة والنجاسة ولم يعب أحدهم مخالفه فيه ولم يمتنع من الصلاة معه لإماما ولا مقتديا . وكما فهم بعض الصحابة من آية البقرة في الحر تحريمها وبعضهم عدم تحريمها فعمل كل بما ظهر له ولم يعترض على غيره (كما تقدم في موضعه)

ومثله مااستنبطه بعض العلماء من الكتاب والسنة في كل زمان ، فمن ظهر له ان ذلك من الدين وان كلام الله تعالى أو سنة رسوله (ص) دالة عليه عمل به ، ومن لم يظهر له ذلك فلا يكلفه تقليدا لمن استنبطه ، وقد نقل عن أشهر المجتهدين من الفقهاء انه لا يجوز لاحد ان يقلدهم وان يأخذ بشيء من أقوالهم الا اذا عرف مأخذه وظهر له صحة دليله ، وعند ذلك يكون متبعا لما أنزل الله لا لأراء الناس ، فلا يكون مخالفا لقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)

وأما مايتعلق بالامور العامة من هذا القسم كالأحكام القضائية والسياسية فينبغي أن ينظر أولو الامر ويتشاوروا فيه من حيث تصحيح النقل ، ومن حيث طريق الدلالة على الحكم ، فاذا ظهر لهم ما يقتضي إلحاقه بأحد الاقسام السابقة ألحقوه به فكان له حكمه ، والا كان كالمسكوت عنه

الرابع — ماورد فيه نص من الكتاب أو السنة غير وارد مورد التكليف كالأحاديث المتعلقة بالعادات من الأكل والشرب والطب ونحو ذلك ، فالأولى والافضل للمسلم أن يعمل بها ما لم يمنع من ذلك مانع من الشرع أو المصلحة والمنفعة العامة أو الخاصة ، لأن المبالغة في الاتباع حتى في العادات مما يقوي الدين ، ويمكن الرابطة والوحدة بين المسلمين ، ولا ينبغي لحكام المسلمين في مثل هذا ان

يجبروا أحدا على فعله ولا على تركه ، وإنما يحسن ان يكونوا قدوة صالحة في مثله
 الخامس — ماسكت عنه الشارع فلم يرد عنه فيه ما يقتضي فعلا ولا تركا فهو
 الذي عفا الله تعالى عنه رحمة منه وتخفيفا على عباده ، فليس لأحد من عباد الله تعالى
 أن يكلف عبدا من عبيده تعالى فعل شيء أو ترك شيء ، بغير إذن منه سبحانه ، وإن
 ما أمرنا الله تعالى به من طاعة أو ولي الأمر منا خاص بأمر الدنيا ومصالحها ومشروط
 فيه أن لا يكون في معصية الله تعالى ، كما قال الرسول (ص) فيما رواه الشيخان في
 الصحيحين وأبو داود والنسائي من حديث علي كرم الله وجهه « لا طاعة لأحد في
 معصية الله إنما الطاعة في المعروف » وأما أمر الدين فقد تم وكل ، وهو تعالى
 شارع الدين كما قال (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك)
 وكما قال (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها) والرسول (ص) هو مبلغ الدين
 كما قال تعالى (إن عليك إلا البلاغ) ومبينه كما قال (وأنزلنا إليك الذكرا لتبين
 للناس ما نزل اليهم) فليس لأولي الأمر من المسلمين سلطان على أحد في أمر الدين
 المحض بزيادة على النصوص ولا نقصان منها ، ومن ادعى ذلك أو ادعى له فقد جعل
 شريكا لله تعالى أو اتخذ ربا من دونه (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم
 يأذن به الله)

وقد مر تفصيل القول في كل مسألة من هذه المسائل حتى ان فيما أثبتناه هنا
 تكرارا وإعادة لبعض ما تقدم ، « وفي الاعادة إفادة » كما قيل ، ولا سيما اذا
 اختلف الاسلوب وتنوع التعبير . ثم قال عز وجل :

(١٠٦) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَیْرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَامٍ ،
 وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ (١٠٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى
 الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ؟

وجه اتصال هذه الآيات بما قبلها انه سبحانه وتعالى نهى في السياق الذي قبلها عن تحريم ما أحله الله وعن الاعتداء فيه - وان كان التحريم تركا يلتزم بالندر أو بالخلف باسم الله تنسكا وتعبدا ، لا شرعا يدعى اليه ويعتقد وجوبه اقتراء عليه تعالى ، - وبين فيه كفارة الايمان ، وحرمة الخمر والميسر والانصاب والازلام ، وصيد البر على المحرم بمحج أو عمرة ، وبعد أن نهى عن تحريم ما أحله ، نهى ان يكون المؤمن سببا لتحريم الله تعالى شيئا لم يكن حرمه ، أو شرع حكم يكن شرعه ، بأن يسأل الرسول (ص) عن شيء مما سكت الله عنه عفوا وفضلا ، فيكون الجواب عنه ان ورد تكليفا جديدا ، فناسب بعد هذا ان يبين ضلال أهل الجاهلية فيما حرموه على أنفسهم ، وما شرعوه بها بغير اذن من ربهم ، وما قلد بهم بعضهم بعضا على جهلهم مع بيان بطلان التقليد ، وكونه ينافي العلم والدين ، - فقال :

﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ هذه أربعة نعوت لأربعة أنواع من محرمات الانعام التي حرمتها الجاهلية على أنفسهم :

(فالبحيرة) فعيلة بمعنى مفعولة وهي الناقة التي يحرون أذنبا أي يشقونها شقا واسعا ، وكانوا يفعلون بها ذلك اذا تلجت خمسة أبطن وكان الخامس أنثى كما روي عن ابن عباس ، وقيل اذا ولدت عشرة أبطن ، يفعلونه ليكون علامة على تحريم أكلها أو ركبها أو الحبل عليها ، وهو مأخوذ من مادة (بحر) وهو في الاصل - كما قال الراغب - « كل مكان واسع جامع للماء الكثير » ثم اشتقوا منه عدة كلمات فيها معنى السعة .

(والسائبة) الناقة التي تسبب بنذرها لأهلهم قترعى حيث شاءت ، ولا يحمل عليها شيء ، ولا يجز صوفها ولا يحلب لبنها الا لضييف . فهي اسم فاعل من قولهم : ساب الفرس ونحوه ، أي ذهب على وجهه حيث شاء ، وساب الماء جرى ، فهو سائب . وقال محمد بن اسحق هي الناقة اذا ولدت عشر اناث ليس بينهن ذكر ، وقال مجاهد : هي من الغنم مثل البحيرة من الابل . وعن أبي روق والسدي : كان الرجل منهم اذا قضيت حاجته سبب من ماله ناقة أو غيرها لطواغيتهم وأوثانهم .

(والوصيلة) الشاة التي تصل أنثى بانثى في التاج ، وقيل : هي التي وصلت أخاها ،

قال الراغب: وهو أن أحدهم كان إذا وادمت له شاته ذكرا أو أنثى قالوا وصلت أخاها، فلا يذبجون أخاها من أجلها. وعن ابن عباس: هي الشاة إذا نتجت سبعة أبطن فإن كان السابع أنثى استحيوها وإن كان ذكرا أو أنثى في بطن واحد استحيوها وقالوا: وصلته أخته فحرمته علينا

(والحام) اسم فاعل من الحماية، وهو فحل الضراب أي التلقيح، قيل إذا أتم ضراب عشرة أبطن قالوا: حى ظهره. وتركوه لا يحملون عليه شيئا. وروي أنهم كانوا يجعلون عليه ريش الطواويس تميزا له. وقد اختلفت الروايات في تفسير هذه الألفاظ كما ترى، وأقواها ما رواه البخاري ومسلم وغير واحد من رواة التفسير المأثور عن سعيد بن المسيب قال:

البحيرة التي يمنع درها للطواغيت ولا يحملها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيئون لها لآلهم لا يحمل عليها شيء. قال: قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار — كان أول من سب السوائب » قال ابن المسيب والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الابل ثم تنثي بعد بانثي وكانوا يسيئون لها طواغيتهم إن وصلت أحداها بالآخرى ليس بينهما ذكر، والحامي فحل الابل بضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه (أي تركوه) للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحامي. وسأني في سورة الانعام بقية ما يتعلق بهذا البحث ومن ابتدعه للعرب وغير شريعة ابراهيم صلى الله عليه وسلم

أما معنى الجملة فهو ان الله تعالى لم يشرع لهم تحريم البحائر والسوائب واخواتهما، أي لم يجعله من أحكام الدين ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾ بزعمهم أن هذه الاشياء محرمة سواء أسندوا تحريمها الى الله تعالى ابتداء، أو ادعاء على سبيل الاستدلال — كما حكى عنهم بقوله (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا من دونه من شيء) أي ولكنه شاء ذلك منا ففعلناه فهو راض به — أم لم يسندوه اليه. أما كون اسناد تحريمه اليه اقتراء عليه فظاهر بين، وأما اسناده اليه ادعاء واستدلالا بالمشيئة فهو اقتراء أيضا لان دليله باطل، فان الله تعالى

لم يمنع الكفار من الكفر والفساق من الفسق ولا أكرههم عليهما بمحض المشيئة والقدرة، بل جعل لهم اختيار الترجيح في أعمالهم ولم يجعلهم مجبورين عليها، فعدم إجبارهم على الترك أو الفعل لا يدل على رضائه تعالى بما اختاروه لأنفسهم من كفر وفسق، وأما كونه اقترأ عليه في حال السكوت عن استناده إليه، فوجهه أن التحريم والتحليل من شأن رب الناس وإلههم سبحانه فليس لأحد من خلقه أن يحرم عليهم شيئاً إلا بأذنه والتبليغ عنه، فمن تجرأ على ذلك كان مدعياً بفعله هذا إما الربوبية وأما الإذن من الرب تعالى، وكلاهما اقترأ، والفعل فيه أبلغ من القول ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنهم يفترون على الله الكذب بتحريم ما حرموا على أنفسهم، وإن ذلك من أعمال الكفر به، بل يظنون أن يتقربوا به إليه ولو بالواسطة، لأن آلهتهم التي يسيبون باسمها السوائب ويتمكون لها ما حرموه على أنفسهم، ليست بزعمهم إلا وسائط بينهم وبين الله تعالى، تشفع لهم عنده، وتقربهم إليه زلفى. وهكذا شأن كل مبتدع في الدين بتحريم طعام أو غيره وسن ورد أو حزب أو غير ذلك من العبادات التي لم تؤثر عن الشارع، يزعم أنه جاء بما يتقرب به الله تعالى وينال به رضا عز وجل، والحق أن الله تعالى لا يعبد إلا بما شرعه على لسان رسوله (ص) فلا عبادة ولا تحريم إلا بنص عام أو خاص، وليس لأحد أن يزيد أو ينقص برأي ولا قياس، ولذلك قال عز وجل

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ - قَالُوا: حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله تعالى في القرآن من الأحكام المؤيدة بالحجج والبيّنات، المبنية على قواعد درء المفسد وجلب المصالح دون العبث والخرافات، وإلى الرسول المبلغ لها، والمبين لحملها، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا من عقائد وأحكام، وحلال وحرام، قال تعالى ردا عليهم ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أي أيكفيهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً من الشرائع الإلهية، ولا يهتدون سبيلاً إلى مصالحهم الدينية والدنيوية؟ وإنما يعرف ما يكفي الأفراد والأمم وما لا يكفي بالعلم الصحيح الذي يميز به بين الحق والباطل،

والاهتمام الى الاعمال الصالحة والفضائل ، وأين من هذا ذاك ، أولئك الاميون الجهلاء ، الذين يتخبطون في وثنية وخرافات ، وأد بنات ، وعدوان مستمر ، وقتال مستمر ، وعداوة وبغضاء ، وظلم لليتامى والنساء ، على ما أوتوا من فطنة وذكاء ، وعزيمة ودهاء ، وحزم ومضاء وعزة وإباء ، واستقلال أفكار وآراء ، وغير ذلك من المزايا التي تؤهلهم لان يكونوا هم الأئمة الوارثين ، والخلفاء العاديين . لولا تقليد الآباء ؟ ؟

هذه الآية والآية المشابهة لها في سورة البقرة - (٢: ١٦٨) واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) - هما أظهر وأوضح ماورد في الكتاب العزيز من الآيات في بطلان التقليد ، ولكن كثيرا من الناس قد ضلوا بالتقليد عن حجة القرآن ، وهدي النبي عليه الصلاة والسلام ، حتى عادوا وهم في حجر الاسلام ، شرا مما كان عليه الجاهلية في حجر الاصنام ،

﴿ فصل في بيان بطلان التقليد وشبهات اهله ﴾

الآيات القرآنية الدالة على بطلان التقليد في الدين كثيرة جدا ، وكذلك الاحاديث النبوية وأقوال علماء السلف الصالحين ، وانما تقررت بدعة التقليد في القرن الرابع أي بعد القرون الثلاثة التي وصفها النبي (ص) بأنها خير القرون ، وشر التقليد ما فرق الامة شيعة ، وجعل الاختلاف في الدين عندها ديناً ، بانتساب كل شيعة وطائفة الى رجل يلتزمون أقواله وأقوال من يدعون اتباعه في كل مسألة وان خالفت نصوص الكتاب والسنة وما كان عليه جمهور الصحابة والتابعين ، هذا مع العلم بأن الله تعالى ذم المتفرقين المختلفين في الدين ، وبرأ رسوله منهم وتوعدهم بالعذاب العظيم ، وأمر بأن يرد ما تنازع فيه المؤمنون الى الله ورسوله لا الى أقوال الناس غير المصومين ، وجعل وظيفة الكتاب الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وبين أنه لا يحمل على الاختلاف فيه الا البغي والضلال ،

ثم ان كتاب الله تعالى قد أوجب العلم بالدين ، والتقليد ليس بعلم كما ثبت

بالاجماع والعقل ، وطالب بالدليل ولا سيما في القول على الله عز وجل ، كقوله تعالى (هل عندكم من سلطان بهذا ؟ اتقولون على الله مالا تعلمون ؟) السلطان البرهان وقد بينا بطلان التقليد وتناقض أهله في مواضع من التفسير والمنار وانا نذكر هنا ما حرره الامام الشوكاني في مسألة التقليد في الاحكام من كتابه (ارشاد الفحول ، الى تحقيق الحق من علم الاصول) — قال رحمه الله تعالى :

﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اختلفوا في المسائل الشرعية الفرعية هل يجوز التقليد فيها أم لا ؟ فذهب جماعة من أهل العلم الى أنه لا يجوز مطلقا . قال القرافي : ومذهب مالك وجهور العلماء وجوب الاجتهاد وابطال التقليد . وادعى ابن حزم الاجماع على النهي عن التقليد . قال : ونقل عن مالك انه قال : أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق فاتركوه . وقال عند موته : وددت أني ضربت بكل مسئلة تكلمت فيها برأيي سوطا على أنه لا صبر لي على السياط . قال ابن حزم : فهنا مالك ينهى عن التقليد وكذلك الشافعي وأبو حنيفة . وقد روى المزني عن الشافعي في أول مختصره انه لم يزل ينهى عن تقليده وتقليد غيره . انتهى

وقد ذكرت نصوص الأئمة الاربعة المصراحة بالنهي عن التقليد في الرسالة التي سميتها « القول المفيد في حكم التقليد » فلا نطول المقام بذلك ، وبهذا تعلم ان المنع من التقليد ان لم يكن اجماعا فهو مذهب الجمهور . ويؤيد هذا ماسيأتي في المسئلة التي بعد هذه من حكاية الاجماع على عدم جواز تقليد الأموات ، وكذلك ماسيأتي من أن عمل المجتهد برأيه انما هو رخصة له عند عدم الدليل ولا يجوز لغيره أن يعمل به بالاجماع . فهذان الاجماعان يجتثان التقليد من أصله فالعجب من كثير من أهل الاصول حيث لم يحكوا هذا القول الا عن بعض المعتزلة . وقابل مذهب القائلين بعدم الجواز بعض الحشوية وقال يجب مطلقا ويحرم النظر ، وهؤلاء لم يقنعوا بما هم فيه من الجهل حتى أوجبوه على أنفسهم وعلى غيرهم فان التقليد جهل وليس بعلم (والمذهب الثالث) التفصيل وهو أنه يجب على العامي ويحرم على المجتهد ، وبهذا قال كثير من أتباع الأئمة الاربعة ، ولا يخفاك أنه انما يعتبر في الخلاف أقوال

المجتهدين وهؤلاء هم مقلدون فليسوا ممن يعتبر خلافه ، ولا سيما وأئمتهم الاربعة بمنعوتهم من تقليدهم وتقليد غيرهم ، وقد تعسفوا فحملوا كلام أئمتهم هؤلاء على أنهم أرادوا المجتهدين من الناس لا المقلدين ! فيالله العجب

وأعجب من هذا أن بعض المتأخرين ممن صنف في الاصول نسب هذا القول الى الأكثر ، وجعل الحجة لهم الاجماع على عدم الانكار على المقلدين ! فان أراد اجماع خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فذلك دعوى باطلة ، فانه لا تقليد فيهم البتة ولا عرفوا التقليد ولا سمعوا به ، بل كان المقصر منهم يسأل العالم عن المسألة التي تعرض له فيفتيه بالنصوص التي يعرفها من الكتاب والسنة وهذا ليس من التقليد في شيء ، بل هو من باب طلب حكم الله في المسألة والسؤال عن الحجة الشرعية ، وقد عرفت في أول هذا الفصل أن التقليد انما هو العمل بالرأي لا بالارواية وليس المراد بما احتج به الموجبون للتقليد والمجوزون له من قوله سبحانه (فاسألوا أهل الذكر) الا السؤال عن حكم الله في المسألة لا عن آراء الرجال ، هذا على تسليم أنها واردة في عموم السؤال كما زعموا ، وليس الامر كذلك بل هي واردة في أمر خاص ، وهو السؤال عن كون أنبياء الله رجالا كما يفيد أول الآية وآخرها حيث قال (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) وان أراد اجماع الأئمة الاربعة فقد عرفت أنهم قالوا بالمنع من التقليد ولم يزل في عصرهم من ينكر ذلك ، وان أراد اجماع من بعدهم فوجود المنكرين لذلك منذ ذلك الوقت الى هذه الغاية معلوم لكل من يعرف أقوال أهل العلم ، وقد عرفت مما نقلناه سابقا أن المنع قول الجمهور اذا لم يكن اجماعا . وان أراد اجماع المقلدين للأئمة الاربعة خاصة فقد عرفت مما قدمنا في مقصد الاجماع أنه لا اعتبار بأقوال المقلدين في شيء فضلا عن أن ينعقد بهم اجماع

والحاصل انه لم يأت من جوز التقليد فضلا عن أوجبه بحجة ينبغي الاستغفال بجوابها قط ، ولم تؤمر برد شرائع الله سبحانه الى آراء الرجال . بل أمرنا بما قاله سبحانه (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) أي كتاب الله وسنة رسوله . وقد كان صلى الله عليه وسلم يأمر من يرسله من أصحابه بالحكم بكتاب الله ، فان لم يجد

فبسمه رسول الله فان لم يجد فبما يظهر له من الرأي كما في حديث معاذ^(١)
وأما ما ذكروه من استبعاد أن يفهم المقصرون نصوص الشرع وجعلوا ذلك
مسوغا للتقليد فليس الامر كما ذكروه، فهنا واسطة بين الاجتهاد والتقليد وهي سؤال
الجاهل للعالم عن الشرع فيما يعرض له، لا عن رأيه البحث، واجتهاده المحض، وعلى
هذا كان عمل المقصرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم. ومن لم يسعه ما وسع أهل
هذه القرون الثلاثة الذين هم خير قرون هذه الامة على الاطلاق فلا وسع الله عليه.
وقد ذم الله تعالى المقلدين في كتابه العزيز في كثير من [الآيات] (إنا وجدنا
آباءنا على أمة) (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) (إنا أطعنا سادتنا
وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وأمثال هذه الآيات. ومن أراد استيفاء البحث على التمام
فليرجع الى الرسالة التي قدمت الاشارة اليها والى المؤلف الذي سميته « أدب الطلب
ومتهى الارب »

وما أحسن ما حكاه الزركشي في البحر عن المزي أنه قال : يقال لمن حكم
بالتقليد : هل لك من حجة ؟ فان قال « نعم » أبطل التقليد لان الحجة أوجبت
ذلك عنده لا التقليد . وان قال بغير علم قيل له فلم أرقت الدماء وأبحت الفروج
والاموال وقد حرم الله ذلك الا بحجة ؟ فان قال أنا أعلم اني أصبت وان لم أعرف
الحجة لأن معلني من كبار العلماء . قيل له تقليد معلم معلمك أولى من تقليد معلمك،
لانه لا يقول الا بحجة خفيت عن معلمك، كما لم يقل معلمك الا بحجة خفيت عنك،
فان قال « نعم » ترك تقليد معلمه الى تقليد معلم معلمه ثم كذلك حتى ينتهي الى العالم
من الصحابة، فان أبي ذلك نقض قوله، وقيل له كيف يجوز تقليد من هو أصغر
وأقل علما ولا يجوز تقليد من هو أكبر وأغزر علما، وقد روى عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم أنه حذر من زلة العالم، وعن ابن مسعود انه قال لا يقلدن أحدكم
(١) يعني ان الواجب في القضاء الذي يعرض هو النص والا فلا اجتهدا ولا التقليد. ولا
يدل الحديث على الاذن في اجتهاد الرأي في العبادات لأنها لا تثبت الا بالنص، ولكن قد
يحتاج في بعضها الى الاجتهاد في طريقة إيقاعها على الوجه المشروع كالا جتهاد في القبلة، وهو
ماساه علماء الاصول تحقيق المناط، وللانفاق عليه أنكر الغزالي عده من القياس للاتفاق
عليه والاختلاف في القياس، حتى ما يسمى منه تنقيح المناط

دينه رجلا ان آمن آمن وان كفر كفر ، فانه لا أسوة في الشر ، انتهى
 (قلت) تكميلا لهذا الكلام وعند أن ينتهي الى العالم من الصحابة يقال له
 هذا الصحابي أخذ علمه من أعلم البشر المرسل من الله تعالى الى عباده المعصوم
 من الخطأ في أقواله وأفعاله ، فتقليده أولى من تقليد الصحابي الذي لم يصل اليه الا
 شعبة من شعب علومه ، وليس له من العصمة شيء ؛ ولم يجعل الله سبحانه قوله ولا
 فعله ولا اجتهاده حجة على أحد من الناس

(واعلم) أنه لا خلاف في أن رأي المجتهد عند عدم الدليل انما هو رخصة له
 يجوز له العمل بها عند فقد الدليل ولا يجوز لغيره العمل بها بحال من الاحوال ، ولهذا
 نهى كبار الأئمة عن تقليدهم وتقليد غيرهم . وقد عرفت حال المقلد انه انما يأخذ
 بالرأي لا بالرواية ، ويتمسك بمحض الاجتهاد عن مطالب^(١) بحجة ، فمن قال ان
 رأى المجتهد يجوز لغيره التمسك به ويسوغ له ان يعمل به فيما كلفه الله ، فقد جعل
 هذا المجتهد صاحب شرع ، ولم يجعل الله ذلك لاحد من هذه الامة بعد نبينا صلى
 الله عليه وآله وسلم ، ولا يتمكن كامل ولا مقصر ان يحتج على هذا بحجة قط .
 واما مجرد الدعاوي والمجازفات في شرع الله تعالى فليست بشيء ، ولو جازت الامور
 الشرعية بمجرد الدعاوي لادعى من شاء ما شاء ، وقال من شاء بما شاء اه
 هذا ما قاله الشوكاني — وانا سنعود ان شاء الله تعالى الى هذا البحث في
 مواضع أخرى فزيده بيانا وتفصيلا .

(١٠٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَظُرْكُمْ
 مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ . إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

بعد أن بين الله تعالى بطلان التقليد — وهو أن يتبع المرء غيره من الناس في فهمه
 « ١ » كذا في الاصل ولعل صوابه غير مطالب فخر غير بعن والله أعلم

للدن ورأيه فيه بغير علم ولا حجة — أمر المؤمنين بصيغة الاغراء بأن يهتموا باصلاح انفسهم بالعلم الصحيح والعمل الصالح الذي يعد رشداً وهدياً، وبين لهم أنهم اذا أصلحوا انفسهم وقاموا بما اوجب الله عليهم من علم وعمل فلا يضرهم من ضل من الناس عن محجة العلم بالجهل والتقليد، وعن صراط العمل الصالح بالفسق والافساد في الارض، فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم﴾ أي الزموا اصلاح انفسكم، وتزكيتها بما شرعه الله لكم، لا يضركم ضلال غيركم اذا اهتديتم، اذ لا ترز وازرة وزر أخرى. ومن أصول الهداية الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاذا لا تكونون مهتدين الا اذا بلغتم دعوة الحق والخير، وعلمتم الجاهلين ما اعطاكم الله من العلم والدين، وامرتم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر، فلا تكتموا الحق والعلم كما كتتمه من كان قبلكم، فلعنهم الله على لسان انبيائهم ولسان نبيكم ﴿الى الله مرجعكم جميعاً فينبشكم بما كنتم تعملون﴾ أي اليه وحده رجوعكم ورجوع من ضل عما اهتديتم اليه، فينبشكم عند الحساب بما كنتم تعملون في الدنيا ويجزيكم به.

وقد اختلفت الرواية عن الصحابة والتابعين في هذه الآية

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: قال الامام أحمد رحمه الله: حدثنا هاشم ابن القاسم، حدثنا زهير يعني ابن معاوية، حدثنا اسماعيل بن أبي خالد، حدثنا قيس، قال قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) — الى آخر الآية — وانكم تضعونها على غير موضعها، واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الناس اذا رأوا المنكر ولم يغيروه^(١) يوشك ان الله عز وجل أن يعذبهم بعقاب»^(٢) قال وسمعت أبا بكر يقول: يا أيها الناس اياكم والكذب

(١) في الاصل المطبوع «ولا يغيرونه»

(٢) الرواية المشهورة في كتب المسانيد والسنن «اذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك ان يعذبهم الله بعقاب» وتفسير ابن كثير المطبوع كثير الغلط

فإن الكذب مجازب الايمان . وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن اسماعيل بن خالد به متصلا مرفوعا، ومنهم من رواه عنه به موقوفا على الصديق، وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره، وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولا في مسند الصديق رضي الله عنه وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا عتبة بن أبي حكيم، حدثنا عمرو بن حارثة اللخمي عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له ما تصنع في هذه الآية؟ قال آية آية؟ قلت قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت عنها خيرا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «بل اتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وأعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم» قال عبد الله بن المبارك وزاد غير عتبة قيل يارسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم؟ قال «لا بل أجر خمسين منكم» ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح، وكذا رواه أبو داود من طريق ابن المبارك، ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي حكيم وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحسن رضي الله عنه سأله رجل عن قول الله (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال إن هذا ليس بزمانها إنما اليوم مقبولة، ولكنه قد يوشك أن يأتي زمانها تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا، أو قال فلا يقبل منكم، فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن ابن مسعود في قوله (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) الآية، قال كانوا عند عبد الله بن مسعود فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله ألا أقوم فأمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال آخر إلى جنبه عليك بنفسك، فإن الله يقول (عليكم

أنفسكم) الآية ، قال فسممها ابن مسعود فقال : مه لم يجيء تأويل هذه بعد ، ان القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آي قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ، ومنه آي يقع تأويلهن يوم الحساب ، ما ذكر من الحساب والجنة والنار ، فادامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيئا ولم يذق بعضكم بأس بعض فاءمروا وانهاوا ، وإذا اختلفت القلوب والاهواء ، وألبستم شيئا وذاق بعضكم بأس بعض فاءمر نفسك ، وعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية ، رواه ابن جرير

وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا شعبة بن سوار حدثنا الربيع بن صبيح عن سفيان بن عقال قال قيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله قال (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لأصحابي ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ألا يبلغ الشاهد الغائب» فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ، ولكن هذه الآية لا قوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم

وقال أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالوا حدثنا عوف عن سوار بن منبه قال كنت عند ابن عمر اذ أتاه رجل جليد في العين شديد اللسان فقال يا أبا عبد الرحمن نفر سمة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه ، وكلهم يجتهد لا يألوه ، وكلهم بغيض اليه أن يأتي دناءة الا الخير ، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك . فقال رجل من القوم وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك ؟ فقال الرجل اني لست اياك أسأل انما أسأل الشيخ ، فأعاد على عبد الله الحديث ، فقال عبد الله : لعلك ترى لا أبالك أني سأمرك أن تذهب فتقتلهم ! عظيم وانهم فان عصوك فعليك بنفسك فان الله عز وجل يقول (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) الآية

وقال أيضا حدثني أحمد بن المقدم حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا قتادة عن أبي مازن قال انطلقت على عهد عثمان الى المدينة فاذا قوم جلوس قفراً

أحدهم هذه الآية (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) فقال أكثرهم لم يجب تأويل هذه اليوم.

وقال حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا ابن فضالة عن معاوية بن صالح عن جبير بن نفير قال كنت في حلقة فيها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واني لأصغر القوم فتذاكروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت انا أليس الله يقول في كتابه (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فأقبلوا علي بلسان واحد وقالوا تنزع آية من القرآن لاتعرفها ولا تدري ما تأويلها؟ فتمنيت اني لم اكن تكلمت . وأقبلوا يتحدثون، فلما حضر قيامهم قالوا انك غلام حديث السن، وانك نزع آية ولا تدري ما هي، وعسى ان تدرك ذلك الزمان : اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل اذا اهتديت

وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة قال تلا الحسن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال الحسن الحمد لله بها . والحمد لله عليها . ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي الا والى جنبه منافق يكره عمله . وقال سعيد بن المسيب : اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل اذا اهتديت . رواه ابن جرير وكذا روى من طريق سفیان الثوري عن ابي العميس عن ابي البحتري عن حذيفة مثله، وكذا قال غير واحد من السلف

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا هشام بن خالد الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن كعب في قوله (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال اذا هدمت كنيسة مسجد دمشق فجعلت مسجدا^(١) وظهر لبس العصب فحينئذ تأويل هذه الآية اه

(١) كنيسة مسجد دمشق هي الكنيسة التي كانت ملاصقة للمسجد، وسبب ذلك ان شطرا من مدينة دمشق فتح صلحا والشرط الآخر فتح عنوة والتقى الفريقان من الصحابة في كنيسة مريم ثم اتفقوا على أن لكل شطر حكمه وبذلك كان شطر الكنيسة للمسلمين =

أقول علم من هذه الروايات أن السلف اتفقوا على أن المؤمن لا يكون مهتديا بمجرد إصلاحه لنفسه إذا لم يهتم بإصلاح غيره ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويفهم منه أن هذا فرض لازم دائم، ولكن بعضهم يقول أن فريضة الأمر والنهي تسقط إذا فسد الناس فسادا لا يرجي معه تأثير الوعظ والارشاد، أو فسادا يحشى أن يفضي إلى إيذاء الواعظ المرشد. وقد رجح ابن جرير وغيره من المحققين القول الأول لقوة روايته، وسائر أدلته، والتحقيق أن من علم أوظن ظنا قويا أنه يناله أذى إذا أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر يسقط عنه الفرض، ويكون الأمر والنهي حينئذ فضيلة لا فريضة، إذا رجح أن المنكر يزول بانكاره، فإذا رجح أنه يؤدي ولا يترتب على نصحه فائدة، حينئذ يكره له أو يحرم عليه إذا كان من الالتقاء باليد إلى التماسكة، وقد فصل القول في ذلك أبو حامد الغزالي في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأحياء فليراجعه من شاء.

ومن فوائد هذه الروايات تصريح بعض علماء الصحابة (رض) بأن في القرآن أحكام لا يظهر تأويلها إلا بعد عصر التنزيل، أي أن آيات الأحكام في ذلك كآيات الأخبار بالغيب، وكثيرا ما نبين في تفسيرنا ما يظهر تأويله في عصرنا، فمن بين من قبلنا ما ظهر لهم من المعاني المتعلقة بمصورهم، ولا غرو فقد وصف القرآن في الآثار بأنه لا تنتهي عجائبه.

= فاتخذوه مسجدا وبقي الشطر الآخر كنيسة فكان عنوانا على عدل الإسلام، وقد كان المسلمون يبذلون للنصارى الكرائم والنفائس في كنيستهم فلا يقبلون حتى أكرههم بعض الأمويين على ذلك ثم ردها لهم عمر بن عبد العزيز. والمراد من الرواية أن المسلمين إذا فسد أمرهم حتى ظلموا أهل الذمة بمثل أخذ كنيستهم الملاصقة للمسجد وتأنيبهم في الزينة بلبس العصب فعند ذلك لا ينفع فيهم وعظ واعظ. والعصب بالفتح ضرب من برود الخمين لا يجمع وإنما يقال العصب، وبرد عصب وبرود عصب، بالإضافة. قال في لسان العرب: وفي الحديث «المعتدة لا تلبس المصبغة إلا ثوب عصب» العصب برود مينة يعصب غزلها - أي يجمع ويشد - ثم يصبغ وينسج فيأتي موشيا لبقاعا عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. وقيل هي برود مخططة، والعصب القتل، والعصا الغزال، فيكون النهي للمعتدة عما صبغ بعد النسج. وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه أراد أن ينهى عن عصب الخمين وقال: نبئت أنه يصبغ بالبول، ثم قال: نهينا عن التعمق اهـ

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان^{*}

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد
الطاب بكية دار الدعوة والارشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أنعم علينا بالاسلام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي قام بتبليغ الدين خير قيام
أما بعد فإن الصلاة والزكاة أهم أركان الدين ، وأعظم الشعائر للمسلمين ،
يهما تركية النفوس ، وصلاح حال الجمهور
جمع الله تعالى كل الخير فيهما ، لأن من اتصف بهما يتصف بكل
فضيلة سواهما

فن تركهما فلا حظ له في الإسلام ولا الايمان ، فهلم اسمع في ذلك
نصوص القرآن

(*) المنار : قرأنا هذه الرسالة كلها ، وانتقدنا على كاتبها مسائل منها ، وبيننا له رأينا في
تصحيحها واصلاحها ، قولاً وكتابة ، على أن يكون مستقلاً في ذلك ، ياخذ ما ياخذ
ويترك ما يترك عن بينة ، كما هو شأننا مع تلاميذنا ومرتدينا ، لأجل هذا نشير في حواشي
الرسالة الى المهم مما بقي من خطأ أو ضعف فيها

ولأقدم لك تعريف الصلاة والزكاة ، ومقصود الشارع الحكيم
منهما ، على طريق السؤال والجواب ، عسى أن تأخذ به ، وترتاح نفسك
إلى تدبره ، فارعني سمعك ، واستعمل عقلك

س ما حقيقة الصلاة ؟

ج هي مناجاة الله تعالى وذكره ودعاؤه والخضوع له بالصفة الماثورة

عن النبي صلى الله عليه وسلم

س لم جمعات الصلاة بالكيفية المخصوصة ، ولم تترك إلى اختيار المؤمنين ؟

ج لئلا يتشعب الخلاف بين الناس فيها ، فينفوت غرض الدين من
اتحادهم عليها ، المساعد لهم على الاتحاد في غيرها

فالناس كلما أكثر ما يشتركون فيه كان اتحادهم عليه أقوى ،
وانجذابهم بعضهم إلى بعض أقرب وأمتن

س ما دليل وجوبها ، وحكمة مشروعيتها ؟

ج قال الله تعالى في سورة العنكبوت (وأقم الصلاة إن الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر)

س كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟

ج أنظر إلى نفسك حين تواجه القبلة وتتهياً لإقامة الصلاة ،
فتستفتحها بقولك : الله أكبر ، ألا تراك ملئت خشية لذكرك ربك
وكبريائه ، وغشيتك السكينة لو قوفك بين يدي سيدك ، مستصفاً كل
شيء دونه ، وغاضاً الطرف عما سواه

فاذا قرأت الفاتحة ذكرت معانيها بالهك الذي خلقك بقدرته ،
وربك الذي ربك على نعمه - ربك لا يستبد بك ، ولا لينتفع منك ، بل

ليجعلك موضع رحمته ، وحمل فضله واحسانه ، وهناك ترى سيداً عظيماً ،
ومالكا للجزاء وحيداً ، جميع الكون في قبضة يده ، وكل العالم تحت تصرفه
وقهره ، لا إرادة فوق إرادته ، ولا ينفع أحد أحداً عنده ، فينبأ
أنت ترجو رحمته ، اذا بك تخاف عذابه ، قوته فوق الاسباب ، فلا تجد
ملجأ الا اليه ، ولا تستعين الا به ، فهو الذي يهديك طريقه المستقيم ،
ويأخذ بيدك فيه ، ما دمت فيه ، مرافقاً لاهله الذين أنعم عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، بعيداً عن طرق المعاندين والخيرانيين ،
المغضوب عليهم والضالين ، أضف الى ذلك ما في ركوعك وسجودك ،
وقيامك طوعاً أمراً وعودك ، كل هذا يقيم الصلاة يؤثر فيك تأثيراً ،
ويأخذ منك مأخذاً كبيراً ، فلا تلبث أن تتربى في نفسك ملكة المراقبة لله ،
تثبتك على صراطه ، وتقيك الوقوع في عصيانه ، فاذا مسك طائف من
الشيطان ، أو دعاك داع من الشهوة الى العصيان ، ناداك صوت من ضميرك :
اذكر ربك واتقه ، واحذر أن يراك ، حيث نهاك ! فاذا انت من المبصرين
س يظهر من هذا أن المرء اذا حافظ على اقامة الصلاة تصفو نفسه ،
وتحسن أخلاقه ؟

ج من غير شك ، وذلك هو مقصود الدين من تكرار الصلاة كل
يوم خمس مرات ، وتدبر القرآن فيها

وقد علمت أن الله لم يسقطها عن المؤمنين وهم في مقاتلة أعدائهم ،
ولا عن المرضى وهم في مرض موتهم ، وما ذلك الا لحاجتهم اليها ، وعدم
استغنائهم عنها ، فانها تشجعهم ، وتجعلهم أكثر تحملاً للمشاق ، واقوى
صبراً على الشدائد ، واقرب الى الرجاء ، وأبعد عن اليأس

س صلينا كثيرا فلماذا لم تنهنا صلاتنا عما نحن فيه من المنكرات ؟
 ج سبب ذلك أننا لم نلاحظ المقصود منها ، فغفلنا عن التدبر
 والخشوع فيها ، فما لنا من الصلاة الآن الا اسمها ، وليس في مساجدنا
 منها الا صورتها ورسمها .

وان شئت فقل : انها أصبحت عندنا عادة من العادات ، التي يقلد
 فيها الولد ابيه وغيره ممن ينشأ فيهم

وقد وصل الجهل بناس الى أن يتركوا الصلاة طول حياتهم ، اعتمادا
 على أنه يمكن اسقاطها عنهم بعد مماتهم بالطريقة المشهورة باسقاط الصلاة
 - ذلك بأن يؤتى بمن يسمونهم فقهاء ، وهم قراء القبور ، الذين
 اتخذوا القراءة على القبور ، والصياح في الجنازات بنشيد البردة وغيرها
 صناعة فيحسبوا ما ترك الميت من الصلوات في سني عمره ، ثم يطاف عليهم
 بصرة فيها عدد من النقود ، فيقبل كل منهم أن يتحمل عددا من تلك
 الصلوات عن الميت نظير مبلغ يأخذه مما في الصرة ، حتى اذا تحمل الجميع
 ما على الميت من الصلوات ، فرق عليهم عدد النقود ، وبهنا يزعمون أن
 الصلاة سقطت عن الميت ، وان الله عفا عن تحملوها

وفي هذا من العجب ما ترى ، وقد ذكرته ليظهر لك كيف يؤدي
 الجهل بحكمة الله الى اضاءة شرعه والاستهزاء بدينه ، وكأن هؤلاء لم
 يعقلوا أن تارك الصلاة قد صدئت نفسه ، وتلوثت روحه ، فلم يعد يستحق
 مقام الكرامة ، و (أن لا تزر وازرة وزر أخرى • وأن ليس للإنسان الا
 ما سعى) فهل للقبورين عهد من الله أن يقبل منهم ما يقبلون ، ويحط عنهم
 ما يتحملون ؟ فرحمك اللهم ! فان القوم لا يعلمون ، وعساهم عن ذلك يرجعون

س عرفنا الصلاة فما معنى الزكاة ؟

ج الزكاة جزء من مال الاغنياء ، يصرف في مصالح المسلمين ، كالفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل والغارمين ، وغير ذلك من مهمات الدين .

س ما دليل وجوبها ، وحكمة شرعيتها ؟

ج قال الله تعالى في سورة براءة (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)

س ما معنى التطهير والتزكية بها ؟

ج (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فكلما كثر جمعه للمال ، زاد حبه له ، وطمعه فيه ، حتى لا يؤثر شيئاً عليه ، ولا يكون له هم في سواه ، فتقطع العلائق بينه وبين الله ، فتخبث نفسه ، فيكسب المال من أي وجه حلالاً كان أو حراماً ، فاذا هو جعل نصيباً من ماله لله على حبه إياه ، استعجى أن يكسبه من طريق يبنضه الله ، وكان حب الله في نفسه متغلباً على حب المال ، فهذا ينظف النفس من الأرجاس العالقة بها ، ويزكيها بإيحاء الفضائل فيها

وهذه تزكية روحية ، وهناك تزكية أدبية اجتماعية — وهي أن الاغنياء الذين يقبضون أيديهم عن الفقراء يعرضون أموالهم للسلب ، وأعراضهم وأنفسهم للإهانة ، لأن الفقراء يبنضونهم ، ويكيدون لهم ، وإذا اشتد الجوع بهم ولم يجدوا وسيلة لسد الرمق الا بالاعتداء على الاموال والأنفس اعتدوا ، ولا يخفي ما في ذلك من اختلال الأمن وتزعزع النظام ، فيمسي الاغنياء ويصبحون لا يهدأ لهم بال ، ولا يرتاح لهم ضمير ، فيموتون أو يموت الفقراء جوعاً وذللاً ، وكل ذلك — كما تعلم —

سبب في ضعف الامة وانقراضها ، فاذا هم بذلوا وانفقوا حفظوا حياتهم ،
 وهدءوا روعهم ، وجعلوا الفقراء إخوانهم ، يهتمون لهم ، ويتعاونون
 معهم ، فيبسط أيديهم يتبدل ضعفهم قوة ، وتقلب قلوبهم كثرة ، أضف
 الى ذلك ما يتوفر للامة فيصرف في منافعها العامة ، ومصالحها المدنية ،
 وما يعود عليها من بسط الامن في ربوعها ، وتوثيق عرى المحبة بين
 أفرادها . وحسبك دليلا على ذلك أن المسلمين لما تعاونوا في إخراج
 الزكاة انحلت رابطتهم ، وتأخرت مدينتهم

س اذا كان في الزكاة ما ذكرت من رابطة الود بين الافراد ، ومن
 مصالح جماعة الامة ، وكانت بذلك من أعظم أركان العمران ، فما بالنا
 نرى الإفرنج وقد استبحر عمرانهم ، وليس عندهم زكاة مثلنا ؟

ج لعلك لم تنظر الى ما عندهم من الجمعيات الخيرية ، والملاجئ
 والمستشفيات المجانية ، وغير ذلك مما يقصده تحسين حال الايتام والفقراء ،
 وغير ذلك من المنافع والمصالح ، وهل هذا الا بمعنى الزكاة عندنا ؟ وهل تقوم
 لامة قائمة من غير أن يكون فيها هذا الركن الاقتصادي العمراني الجليل ؟
 ألا تعجب حينما ترى الإفرنج يعرفون قيمة هذا الركن ، وقومنا
 عنه غافلون ؟ ألا يزيد عجبك عند ما تسمع مقلدة الفقهاء يعلمون الناس
 إسقاط فرضية الزكاة بما يوحى اليهم الشياطين من الحيل ؟ ولعلك شاهدت
 كثيرا ممن تجب عليهم زكاة المال ، يأتي قبيل الحول الذي تجب بحلولة
 الزكاة فيتنازل لامراته عن ماله ، ثم بعد أن يفوت الحول يستوهبها
 إياه ، ويزعم أنه بذلك قد خرج عن دائرة المالكين فلم يكلف ، وأن
 حيلته صحت عند الله

وأغرب من ذلك أن الرجل يضع زكاة ماله تقودا في داخل كمية من الحبوب ، ويأتي ببعض المستحقين فيعرض عليه تلك الكمية من الحبوب من غير أن يريه المال المدفون فيها ، فيقول له : هذه زكاة مالي فاقبلها. وبعد قبوله إياها يداعها منه بضعف ثمنها، فيفرح المسكين، ويرجع المكلف بدفع الزكاة زاعما أنه قد تخلص منها، ولم يعد يسأل عنه

فيا حسرة على هؤلاء الذين فضلا عن تضييعهم للشريعة ، وقضائهم على أحكامها ، قد هزئوا بربهم ، وسخروا بخالقهم ، فاكتمبوا جريمتين بعملهم هذا ، إحداهما تضييع دينه ، والاخرى الاحتيال عليه ، (وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ؛ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يوم يتقاضاهم الفقراء والمساكين ، ويحكم الله بينهم وبين المستحقين ، يوم يحصى على أموالهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، وقال لهم : (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكزون)

حكم تارك الصلاة والزكاة

س حسبنا ما وقفنا عليه من معنى الصلاة والزكاة ، وما وراءها من المنافع ، وما انطوتا عليه من الحكم. فما حكم تارك الصلاة ، أو مانع الزكاة ؟
ج كلاهما معرض عن الاسلام ، هادم لأعظم أركانه ، وقد ذهب جماهير العلماء الى وجوب قتله ان لم يتب — قيل كفرا وقيل عقوبة ، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على قتال مانعي الزكاة . والخلاف في كفر تارك الصلاة أقوى

س كيف يعد تارك عبادة من عبادات الاسلام مرتدا عن الدين ، تاركاً له ؟

ج لأن الاسلام ليس له معنى الا الانقياد لله تعالى ، فيما يزيك النفوس ، ويصلح الاجتماع ، وذلك انما يتجلى في الصلاة والزكاة — كما علمت — وغيرهما تابع لهما ، بل من أقام الصلاة وحدها ، أقام كل أمر بعدها

س هذا صحيح وفهمناه مما سبق ، فإن الأدلة ، على أن تارك الصلاة أو مانع الزكاة خارج عن الملة الاسلامية ؟

ج ذكر الله سبحانه الصلاة والزكاة في أكثر من خمسين موضعاً من كتابه ، وكلها يدل على الاهتمام بهما ، وبناء الاسلام عليهما ، غير أننا نكتفي هنا بذكر الصريح من الآيات في موضوعنا فنقول :

ما جاء في الصلاة وحدها

من ذلك قوله تعالى في سورة الروم (فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركون * من الذين فرقوا دينهم) الآية ، وفي قراءة « من الذين فرقوا دينهم » فانظر كيف أراك عز شأنه أنه لا يعدل عن إقامة الصلاة الا المشركون (١) ولا يتصف بها الا المتقون ، من أقامها صاحب الدين ، ومن لم يقمها فارق الدين ، فهي الصفة المميزة ، والحد الفاصل بين المسلم والمشرک

(لها بقية)

(١) المنار: الآية لا تدل على هذا الحصر ، ولا هو صحيح في نفسه ، ولا تدل على الحصر الذي ذكر بعده وان كان معناه صحيحاً

مَدَامُ دَاوُدُ الدَّعْوَةُ وَالْأَرْشَادُ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٩

الراحة والتعب

النوم والرياضة الجماعية

النوم - جميع أعضاء الجسم تحتاج للراحة بعد العمل ، ذلك بأن المواد الضرورية لحياتها تقل شيئاً فشيئاً بسبب العمل ، وكذلك تتراكم فيها فضلات الاحتراق ، فبالراحة تجمع من الدم مواد أخرى صالحة لتغذيتها وتخرج إليه تلك الفضلات المؤذية . وأعظم أنواع الراحة واشدها نفعاً للجسم النوم ، ففيه يبطل عمل المخ إلا فيما ندر (كالاحلام) ويقل ورود الدم إليه وتقل مرات التنفس والنبض فتستريح الرئتان والقلب ، وكذلك يقل افراز جميع الأعضاء الأخرى كالبول مثلاً وترتخي جميع العضلات ، وبذلك تحصل الراحة لها وجميع الأعصاب والأعضاء فتتجدد قوى الجسم ويتعشش بسببه

قال بعض العلماء ان المخ في أثناء النوم يكون محتقناً بالدم ، ولكن هذا غير صحيح فان الدم إنما يكثر وروده الى الأعضاء وقت العمل ، وأما في زمن النوم فيقل الدم من المخ وغيره ويهرب السائل الذي تحت العنكبوتية الى القناة الفقرية وإذا أريد جلب النوم لشخص مصاب بالارق فأحسن طريقة له أن يجتهد الانسان في تحويل الدم عن المخ بأن يترك الشخص التفكير ويصب الماء البارد على دماغه ويغسل جسمه بالماء الساخن أو يضع قدميه فيه أو يتعب نفسه بمثل

(المجلد الثامن عشر)

(٦٥)

(المنار : ج ٧)

المشي وغيره فان ذلك يجذب الدم الى العضلات والاطراف، ومثل هذا السبب يميل الشخص الى النوم عادة بعد الاكل بسبب ذهاب الدم الى المعدة ومدة النوم تختلف بحسب السن ففي الاطفال المولودين حديثا تستغرق اليوم كله تقريبا ٩ وفي الغلمان قد تمتد الى ١٢ ساعة، وفي الفتيان تكون نحو ٩ ساعات، وفي الشبان من ٧ الى ٨ ساعات، وفي الشيوخ تكون من ٥ الى ٦ ساعات. وأحسن وقت للنوم هو الليل بين ذهاب الشفق وطلوع الفجر أي بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر، فان هذا الوقت تكون الظلمة فيه أشد والسكون شاملا للبلاد فلا ينبه المخ بمنبه يقلق راحته. ولا يحتاج الانسان للنوم في النهار الا في زمن الصيف وذلك لقصر الليل وطول النهار واشتداد الحر فيه فيتوارد بسبب ذلك الدم الى الجلد، ولذلك يميل الانسان الى النعاس في الحر. ويستحسن أيضا أن يكون هذا النوم بعد الظهر في مكان بعيد عن الضوضاء وأن يوجد الانسان فيه ظلمة بقدر الامكان بارخاء ستائره مثلا. وهذا النوم هو ما يسمى بالقيولة

وفي التبكير في القيام فوائد عظيمة منها فوائد اقتصادية كزراعة الاعمال المختلفة قبل فوات الوقت بسبب قصر النهار في الشتاء أو فواته بسبب اشتداد الحر في الصيف وعدم تمكن الانسان من العمل، ومنها فوائد صحية أهمها الخروج من المكان الذي بات فيه الانسان الى هواء أصبح فينتعش جسمه بشم نسيم السحر. ومن ذلك تجددون أن فرائض الشريعة الاسلامية في الصلاة موافقة لمصالح الناس الاقتصادية والصحية، على فوائدها الروحية التهذيبية

ويجب أن تكون غرفة النوم خالية من الاثاث بقدر الامكان، وأن تكون أرضها خشبية وطلاؤها بالجير فقط، وتكون بعيدة عن الروائح السكرية وتمغها الشمس بالنهار وكذلك الهواء ليلا ونهارا. ولا يصح طلاؤها بغير الجير أو نحوه فان المواد الاخرى البيضاء أو ذوات الالوان تشتمل عادة على الرصاص أو الزرنيخ والنحاس، وهذه المواد تنتشر في هواء الغرفة فتسم جسم الانسان وباستمرار استنشاقها تحدث له أعراض قد تكون خطيرة. ويجب أيضا أن تكون الغرفة جافة فان استنشاق هواء الغرف الرطبة يؤدي الى اعتلال الصحة حتى قد تصاب الاطفال

بالدفئ يرا اذا سكنت في بيوت حديثة البناء حديثة الطلاء . فيجب اتقاء السكنى في هذه المنازل الا بعد تمام جفافها

هذا ولا يخفى أن الهواء الذي يستعمل في التنفس أو في الاحتراق هو أخف لسخوته من الهواء الذي لم يستعمل فلذا يصعد الى أعلى الحجرات . ولذلك كان من الواجب أن تفتح بعض النوافذ بقرب السقف . والتجربة المشهورة المثبتة لصحة هذه النظرية أن يأتي الانسان بشعلة مشتعلة ويمسكها بيده ويقف على باب الغرفة المسكونة ويضعها عند الباب بقرب الارض فيجد أن الشعلة تندفع الى داخل الغرفة بسبب دخول الهواء من هذا المكان ، فاذا أمسك الشعلة في أعلى الباب وجد أن الشعلة تندفع الى الخارج بسبب خروج الهواء من الغرفة ، واذا أمسك بها في منتصف الباب وجد أن الشعلة تثبت في مكانها

ومن ذلك يعلم أن الهواء يدور في الغرف ويخرج من أعلاها — كما قلنا — وينبغي أن لا ينام الانسان في تيار الهواء امام النافذة التي يدخل منها فان ذلك يحدث برودة عظيمة في الجسم تؤدي الى بعض الامراض . ويستحسن أن تكون النوافذ التي يدخل منها الهواء أعلى من رأس الانسان أي على علو نحو تسع أقدام ، وأن تكون نوافذ التصريف ملاصقة للسقف

وينبغي أن لا يبقى أحد في غرفة النوم نهرا لئلا يفسد هوائها ، وأن تترك نوافذها مفتحة ليدخل منها الهواء والشمس ، ولا يجوز أن يوضع فيها ليلا أزهار ولا أشجار ، وكذلك لا يجوز أن تكون محاطة بمحاث غناء ، فان النبات من نجم وشجر — وان كان ينقي الهواء في النهار — يتنفس في الليل تنفس الحيوان فيمتص أكسجين الهواء ويفرز ثاني أكسيد الفحم وبذلك يفسد الهواء . ويجب عدم وضع حيوانات في غرفة النوم فانها أيضا تفسد الهواء بتنفسها وقد تنقل الى الانسان بعض الامراض كالقرع والارضة الجلدية فانهما يصيدان القطط والكلاب ، والدفئ ياتصيب القطط كثيرا ، وفي بعض الكلاب ديدان تخرج ايضا اذا وصل شيء منها الى بطن الانسان أحدث عنده أ كاسا عظيمة في الكبد أو غيره ومن أوجب الواجبات أن بظفا السراج وقت النوم كما وصى بذلك رسول

الله (ص) فإن النار من أشد ما يفسد الهواء بل قد تقتل الشخص بالاختناق ،
على أنها قد تحدث الحريق ، وفي إيقادها اسراف وضرر فإن مجرد وجود النور في
الغرفة مما يقلق راحة المخ

أما النور الكهر بائي الصادر من بعض المصابيح — وهي المغلقة اغلاقا تاما —
فانه لا يحدث أي إفساد للهواء وهو أيضا أبعد عن إحداث الحريق من سائر أنواع
النور الا أن في الاستضاءة به اسرافا كبيرا وهو يقلق راحة النائم أيضا

ومن القواعد الصحية أن لا ينام الانسان الا على الاسرة، وحكمة ذلك أن
يكون أبعد عن الرطوبة والاقذار وعن الدواب المؤذية كالعقارب وكذا عن استنشاق
الهواء الفاسد ، فان غاز ثاني أكسيد الفحم الذي يتولد من الاحتراق والتنفس
هو أثقل من الهواء ولذلك يكثر بقرب الارض . وينبغي أن يحيط بالاسرة
ما يسمى عندنا بالناموسية (الككّة) وذلك لمنع البعوض فانه يذهب النوم عن الانسان
وقد ينقل اليه الملاريا — كما سبق — ولا بد أن يكون الفراش نظيفا جدا خاليا من

جميع الحشرات لما سبق يسانه في باب النظافة

وللانسان أن ينام على أي جنب شاء بحسب راحته، ولكن التزام جانب
واحد قد يؤدي الى ضرر، فاذا التزم الانسان الجانب الايمن مثلا حصل احتقان
في أجزاء الجسم اليمنى فتختل الموازنة التي بين جهتيه وتتعب الرئة اليسرى وتكون
الجهة اليمنى من الدماغ عرضة للاحتقان وربما أدى ذلك الى الفالج اذا كان الشخص
مستعدا له كأن كان كبيرا وشرايينه متصلبة ؛ وكذلك الحال اذا التزم النوم على
الجهة اليسرى. فلاحسن ان يتقلب الانسان في الفراش، ولكن يفضل الاكثر
من النوم على الجهة اليمنى خصوصا اذا كان في المعدة طعام فان ضغط السكبد والمعدة
على الحجاب الحاجز وعلى القلب يعوق حركة التنفس ويضايق الانسان ، ويتعسر
أيضا خروج الطعام من المعدة لان البواب في جهتها اليمنى . والنوم على الظهر
يسبب الشخير والاحتلام فالأولى تركه الا قليلا ، ولا يجوز النوم على الوجه فإن
ذلك بسبب ضغطا على الاحشاء يضر الانسان ويضايقه. ولا بد من وضع الرأس
على شيء عال كاللحدة بحيث تكون في محاذاة الجسم لمنع احتقان الدماغ

وكذلك ينبغي للانسان أن لا ينام على طعام كثير فان النوم يعوق حركة الهضم وافراز العصير المعدي ويتعب المعدة في وقت يجب أن تستريح فيه جميع الاعضاء، هذا فضلا عن كون ضغط المعدة وهي ممتلئة بالطعام على الحجاب الحاجز يحدث ضيقا يتسبب عنه الكابوس والاحلام المزعجة أو الاستيقاظ فجأة كأن الانسان يخاف من الموت العاجل ولا سيما اذا كان مصابا بالربو (ضيق النفس) أو بمرض في القلب أو الرئتين . والاحسن أن يكون النوم بعد تمام الهضم في المعدة أي بعد نحو أربع ساعات

وينبغي أن يكون الرأس مغطى بغطاء خفيف لمنع توارد الدم بكثرة الى المخ ، ويرى بعض الناس ان الاحسن كشفه . ولا يجوز بحال من الاحوال ان يغطى الوجه . أما الجسم والاقدام فيجب ان تدفأ جيدا فان ذلك يمنع تأثير البرد الضار ويجلب النوم أيضا

واذا عرق النائم وجب عليه تغيير ملابسه بغيرها عقب الاستيقاظ مباشرة ولا بأس من وضع إناء في حجرة النوم للتبول فيه (مَبْوَلَة) كما كان يفعل ذلك رسول الله (ص) فان القيام الى مكان بعيد لاجل البول قد يحدث أرقا ويعرض الانسان لضرر البرد وغيره ، وذلك الضرر - لاشك - أعظم من استنشاق بعض تلك الرائحة التي تنبعث من البول

ومن المستحسن أن يبيت الانسان في فراش وحده لما تقدم بيانه ، وأيضا فإن المبيت مع الزوجة في فراش واحد يحرك الشهوة فيضطر الانسان الى الاسراف في الجماع وفي ذلك ضرر عظيم

هذا ومن الناس من يقوم ويمشي في أثناء نومه ويأتي بأعمال عديدة لا يقدر أن يأتيها في اليقظة كلمشي على حائط مرتفع، وهذه الحالة قلما تحدث الا المصابين ببعض الامراض العصبية كالمرض المسمى بالهستيريا ^(١) ويسمى هذا النوع من النوم (بالجولان النومي) (Somnambulism)

(١) مرض يصيب النساء كثيرا وكان القدماء يظنون أنه من آثار أمراض جهازهن التناسلي فلذلك سموه بهذا الاسم المشتق من اسم الرحم باليونانية

الاحلام وعلم الغيب

الاحلام معروفة والظاهر من الكتب المقدسة خصوصا القرآن أن ما يراه الانسان في النوم قديكون مطابقا للواقع أو لما سيقع كإستفاد من سورة يوسف مثلا، وورد في حديث أن الاحلام ثلاثة (١) هو اجس النفس و (٢) وسوسة الشيطان و (٣) الرؤيا الحق، وقال صلى الله عليه وسلم « رؤيا الرجل الصالح جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة » أي فهي تشبه أن تكون جزءا من الوحي

وسبب الاحلام الفسيولوجي هو بقاء بعض خلايا المخ يقظة في أثناء النوم هذا واعلم أن الغيب حقيقي واطافي - فالحقيقي هو ما ليس له وجود في الـكون مطلقا ولا يمكن الاستدلال عليه بشيء موجود. وهذا الغيب الحقيقي هو الذي استأثر بعلمه الله تعالى فلا يعلمه أحد الا باعلام من الله. وليس كل ما غاب عنك وهو موجود يعتبر غيبا حقيقيا فإن الانسان خصوصا في العصر الاخيرة أمكنه العلم بأشياء غير واقعة تحت حواسه، ومن أمثلة ذلك تلغراف ماركوني^(١) (Marconi) أو التلغراف اللاسلكي، وهو مبني على نظرية شهيرة في العلم الطبيعي وهي أن هذا العالم مملوء بالاثير، ولولا وجود هذا الاثير ما أمكن الجسم أن يؤثر في جسم آخر بعيد عنه، ففي هذا الاثير تحصل موجات عديدة ينشأ منها النور والكهرباء والجذب وغير ذلك. فلهذا التلغراف آلتان آلة تحدث التموج الكهربائي والاخرى تتأثر به. هما بعدت عنها. فان هذا التأثير الكهربائي يسري في الاثير

وكذلك عرفت الآن أشياء تخترق حجب المادة الكثيفة وتصل الى باطنها بواسطة الاثير أيضا مثال ذلك أشعة الراديوم وأشعة رونتجن Röntgen وهو عالم ألماني من مدينة ورزبرج Würzburg اكتشفها في سنة ١٨٩٥ م وهي عبارة عن أشعة لم يعرف كنهها تنبعث من القطب السالب اذا مرت الكهرباء في أنبوبة مفرغة وهي لا تضيء فلا ترى ولكنها تخترق كثيرا من الاجسام فترسم صورها على حائل يوضع خلفها، وهذا الحائل مصنوع من لوح زجاجي مغطى بمادة كيمياوية هي پلاتينو - سينور - الباريوم Platinocyanide of Barium أو البوتاسيوم

(١) عالم إيطالي لا يزال حيا

بدل الباريوم أو غيره، وفوقها غطاء من الورق يوضع عليه الجسم المراد رؤيته. ومن خواص هذه المادة أنها تضيء إذا مرت فيها تلك الاشعة المظلمة، فاذا وضعت اليد مثلاً امام هذه الأنبوبة المفرغة خرجت الاشعة منها واخترقت اللحم والشحم وغيره فيرتسم ظل العظم على الوجه الزجاجي للحائل لان العظم يقاوم مرور الاشعة فيه أكثر من غيره من الانسجة الرخوة فيظهر مظلاماً. ويمكن طبع الظل وحفظه بطريقة التصوير الفوتوغرافي حتى بدون واسطة الحائل المذكور. ومثل هذه الاشعة في تأثيرها أشعة الراديوم وهو عنصر اكتشف حديثاً تنبعث منه أشعة متنوعة كالكمرباء والحرارة والنور وأشعة تحت الحمراء كاختراق أشعة رونتجن. ولجلل مكتشف هذه الاشعة الاخيرة بحقيقتها سماها أشعة X أو الاشعة المجهولة كما تقول في اللغة العربية لكمة الحساب المجهولة في بعض المسائل الرياضية الكمية (س)

إذا علم ذلك أمكننا الآن أن نشبه مخ الانسان بألة كهربائية تنبعث منها في أثناء العمل تموجات مخصوصة كتلغرافات تلغراف ماركوني وهذه التلغرافات قد تتلقاها مخاخ بعض الناس بعد أن تنفذ إلى باطن جماجمهم، ومن المعلوم في علم الفسيولوجيا أن جميع أعمال الجسم الكبيرة والصغيرة ليست الا حركات متنوعة في ذراته وفي جواهره الفردة. ففي أثناء النوم إذا انقطع عن الانسان ما يشغله مما يوجد في هذا العالم واستراح مخه كان حينئذ صالحاً لتلقي بعض تموجات أثرية مما ينشأ من حوادث هذا العالم، ف رؤية شخص لشخص يمشي في مكان خطر أو يسقط في البحر مثلاً قد تكون مطابقة للواقع ونفس الامر، هذا في الاشياء الحاصلة في العالم، وقد يستدل من بعضها المخ على البعض الآخر الذي لم يوجد فيخيل له أنه واقع بالفعل فيراه، ولكن كل ذلك لا يدل على انه علم الغيب بمقتضى التعريف السابق

أما حوادث العلم في المنام بالغيب الحقيقي فلا يمكن تعليلها بهذا التعليل السابق وإنما هي من إلهام الله لبعض النفوس الصافية فان الغيب الحقيقي لا يعلمه الا الله كما نص على ذلك القرآن وهو الذي يطلع من يشاء من عباده على ما يشاء فلا يعلمه أحد من ذاته بل باعلام الله، ومثل ذلك الوحي والنبوة (اقرأ آخر سورة الجن)

والاحلام منها ما يحدث بسبب وداعية ومنها ما يحدث بغير سبب معروف .
والسبب اما أن يكون كثرة اشتغال العقل بشي في اللحظة واما أن يكون شيئا طرا
على الانسان في نومه، كأن توضع شمعة مشتعلة أمام عين النائم فانه ربما يحلم بحريق
أو رعد أو برق أو نحو ذلك

ويؤيد ما قلناه في الاحلام وما تنبى به من الغيب مسألة التنويم المغنطيسي
التنويم المغنطيسي

يحدث هذا التنويم لانواع الحيوانات المختلفة اذا انحصر فكرها في شي واحد
مخصوص وأطاعت النفس شعورها بالميل لهذا النوع من النوم، فاذا حصر الانسان
أو غيره فكره في جسم مضي مثلا حصل له هذا النوم ، وكذلك يمكن تنويم
مثل الديكة والخيول وغيرها ، وينوم الديك برسم خط طويل امام عينه ويوضع
منقاره عليه ويمسك برأسه في هذا الوضع مدة فانه ينام نوما مغنطيسيا . ويمكن
أحيانا تنويم الاطفال الرضع بإلقائهم على ظهورهم
والنائم هذا النوم يمكن إيدأؤه بأشياء كثيرة وهو لا يشعر بها حتى قد تعمل له
بعض العمليات الجراحية وهو لا يدري

وهذا النوم له درجات ست (وقسمها بعضهم الى ثلاث فقط) وآخرها من أغرب
ما يكون ، فان النائم يرى فيها البعيد كما يرى القريب ويسمي الافرنج تلك الحالة
[Clairvoyance] ومعناها الحرفي « الرؤيا الواضحة » وفيها يشعر الانسان أيضا
بالاشياء وإن كانت عيناه مغمضتين بل يمكنه القراءة بأي جزء من جسمه فقد حدث
في محام مصر بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ أن نومت فتاة قبطية نوما مغنطيسيا
فكانت تقرأ الساعة بمعدتها أمام القضاة وكانت ترى من خلفها ورأت ما بيد أحد
المحامين وأعينها معصوبة ويد المحامي مقبوضة

ومن فوائد هذا التنويم أنه قد يستعمل لشفاء بعض الامراض، فشلا اذا أصيب
الانسان بمرض جلد عميرة (الاستمنا باليد) حتى إنه لم يقدر على كبج جماع نفسه
ونوم وأمر أن لا يأتيه فانه يشفى من ذلك شفاء تاما، وكذلك من تعود التدخين أو
تعاطي الافيون مثلا

وفي التنويم المغنطيسي يمكن للإنسان أن يخاطب غيره إذا كان نائماً مثله على بعد شاسع ويسمى ذلك بالتلغراف الانساني أو انتقال الافكار، وتسميه الافرنج [Telepathy] ومعناه الحرفي «الشعور على بعد» وهذا التأثير على البعد قد يحصل حتى للايقاظ، فإذا اتفق شخصان على التخاطب على بعد في وقت ومكان معينين أمكن ذلك بالمزاولة والرياضة الطويلة . وقد يؤثر الشخص في شخص آخر بعيد عنه بدون اتفاق بينهما أيضاً ولكن ذلك نادر جداً

وهذه المسألة تفهمنا تأثير العين ^(١) الذي ورد فيه بعض الاحاديث النبوية وتواترت روايات أمم العالمين على حصوله وإن أنكره بعض المتأخرين . على أن إنكار تأثير العين مطلقاً مكابرة، فمن ذا الذي ينكر تأثير نظرة الرضا والحق أو المحبة والبغض في النفوس وتأثير النظر إلى الجميل والقيح أو الفرح أو الحزن وإلى النشاط والكسلان المتشائب إلى غير ذلك مما هو معروف . ولذلك قال (ص) «العين حق» وأما ما زاد عن ذلك القدر من الحديث فإما أنه لم يثبت عنه عليه السلام أو أنه يراد به تأكيد ما للعين من التأثير في النفس أو المبالغة فيه

ومثل التأثير على البعد أيضاً بعض أنواع السحر كالتنوع المسمى بمصر (بالشبهة)

ومن النوادر التاريخية التي لا تبعد صحتها ما روي أن عمر رضي الله عنه كان يخطب بالمدينة فصاح في أثناء خطبته (ياسارية، الجبل، ياسارية الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم) ثم عاد إلى الخطبة حتى قال فيه بعض الصحابة إنه جن، ولما سئل رضي الله عنه عن ذلك أجاب بأنه رأى جيوش المسلمين تكاد تفكك بها الاعاجم على أبواب (نهاوند) فصاح بقائدهم — ولم يتمالك نفسه — ليتحصن بالجبل . وبعد ذلك جاءت الاخبار بأن المسلمين كادوا يهزمون، لولا أن سارية القائد سمع مع بعضهم هاتفاً يرشدهم إلى الجبل، فدهش الناس لذلك وعلموا

(١) هذا التأثير قاصر على التأثير النفساني أو العصبي فقط، والذي نعتقه أنه لا يحدث مباشرة مرضاً جوهرياً عضوياً فهو كتأثير وسوسة الشياطين

منه مقدار نفس عمر وكبر روحه . وهذه من أعظم مناقبه (رض)
 واعلم ان جميع هذه التأثيرات تصل بين النفوس بعضها ببعض بواسطة
 الاثير - كما سبق - والظاهر أن جميع المخلوقات ليس فيها شيء آخر سوى المادة
 الكثيفة أو اللطيفة ، وهي التي تأتي بكل ما في هذا العالم من المشاهد العجيبة
 أما اعتقاد عامتنا وبعض خاصة الملائكة بأن في الانسان أو في هذا العالم شيئاً
 آخر مخلوقاً يغير مادة الكون فأرى أنه بعيد عن الصواب بعيد عن القرآن ،
 فإن هذا الكتاب الشريف لم يثبت وجود شيء مما يغير مادة الكون سوى الله
 (٢ : ١١٤) حتى أنه نص على أن بعض ما يسمونه بالارواح كالجن مخلوق من
 مارج النار وهو من مادة هذا الكون ^(١)

(١) المنار : مادة الكون مؤلفة من عناصر كثيرة ما أحاط البشر بها علماً ،
 ولما اكتشفوا من سنين قليلة الراديو بدأ لهم من العلم الجديد بها ما لم يكونوا يتصورون
 ولا يصدقون ، فرجعوا به عن كثير مما كانوا يظنون . ولا يبعد أن يكون في غير
 هذه الارض من عوالم الكون ما ليس فيها . ولم أرفائدة لحرص الكاتب على
 اثبات ان ارواح البشر والملائكة والجن من مادة الكون التي يعد منها الاثير
 الذي عرف بالعقل لا بالحس . ولم يقل أحد من علمائنا ان هذه الاشياء ليست
 من مادة الكون ، وكيف يقولون ذلك وهم مجمعون على أن الوجود قسمان : واجب
 أزلي وهو خالق الكون ، وممكن مخلوق وهو الكون . وأكثرهم يعرف الملائكة
 بانهم أجسام نورانية . فإذا كانوا يعبرون عنهم بالأجسام فهل يمكن ان يقولوا انهم
 ليسوا من الكون ؟ أما النسبة بين الملائكة والجن فهي العموم والخصوص
 المطلق ، فكل الملائكة من الجن وليس كل الجن من الملائكة . وليس المراد
 بكونهم من الجن ان كل ما يسمى جناً مخلوق من مادة واحدة ، بل معناه ان كل
 ذلك من العوالم الخفية المجتنة . واما القرآن فانه يثبت ان العالم قسمان : عالم الغيب
 وعالم الشهادة ، والملائكة والجنة والجحيم من عالم الغيب الذي لا نعلم من أمره
 الا ما عرفنا الوحي ، وانما نعرف بكسبتنا شيئاً قليلاً من أحوال عالم الشهادة ،
 فعلياً ان نجتهد لنزداد علماً فيما ينفعنا منه ، ونكتفي من أمر عالم الغيب بما صح
 خبر الوحي به ، ولا تقيس ما تجهل كنهه ، على ما لا نعلم الا بعض الشيء عنه

واذا لاحظنا أنه نص على أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ثم استثنى الشيطان أمكننا الاستدلال بذلك على أن الشيطان كان أحد الملائكة، وقد نص في آية أخرى (٥٠: ١٨) على أنه كان من الجن؛ فيستنتج من ذلك أن لفظ الجن يطلق على جميع ما استمر من هذه العوالم، فإن مادته تطلق على كل ما خفي كالجنين مثلا. وما يؤيد كون الملائكة من الجن قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) مع أن العرب أشركت بالله الملائكة، فلولا أن لفظ الجن يطلق عليهم أيضا لما صح هذا التعبير في الآيتين السابقتين

ولا ينافي ذلك نسبة الذرية للشيطان مع العلم بأن الملائكة لا توصف بالذكورة ولا بالانوثة (قر ٤٣ : ١٩) فإن الذرية قد تكون بغير اجتماع الذكر والانثى — كما سيأتي بيانه في علم الميكروبات —

نعم ان لفظ الجن اذا أطلق انصرف غالبا الى عالم مخصوص معروف في ذهن غير الملائكة كما في قوله تعالى عن لسان الملائكة (بل كانوا يعبدون الجن) الآية

أما مسألة استحضار الارواح فكثير من العلماء الى الآن يشكون فيها، وهي اذا صحت لاتنافي ماذهبنا اليه، فان هذه الارواح التي تستحضر لم تخرج عن كونها من عالم الاثير باعتراف مستحضرها أنفسهم، حتى زعم بعضهم امكان تصويرها بالآلة الفوتوغرافية، بل حاولوا ذلك فعلا، وقد رأيت بنفسني هذه الصورة في بعض المجالات العلمية

والارواح التي تستحضر منها ماهو للبشر ومنها ماهو من العوالم الاخرى كالشياطين

ومسألة استحضار الارواح — اذا صحت أيضا — كانت دليلا بينا على صحة ما ورد في القرآن الشريف وصحة الاخبار والآثار عن الكهانة، فان السكاهن العربي أو غيره كان يسعى في إحداث علاقة بينه وبين الشياطين فيخبرونه عن بعض أشياء غيبية أو يعملون له بعض الأعاجيب كأن يحضروا له شيئا بعيدا عنه ويؤيد ذلك أيضا ماورد في أسفار موسى (ص) كما في سفر التثنية ١٨ : ١١

وكذلك القصة الواردة في سفر صموئيل الاول ٢٨: ١١ و ١٢ فكل هذه الاشياء
تضافرت على القول بإمكان الاتصال بذلك العالم الاثيري وليس ثم مانع في العلم
الحقيقي منه

واعلم ان الاثير هو مادة العالم الاصلية التي خلقت منها العناصر والا كوان وهي
لاشك حادثة كاسياتي اثباته ان شاء الله تعالى في الجز: الثالث

الرياضة البدنية

من قوانين الكون أن العضو المستعمل ينمو ويحسن حاله ، والعضو الذي
يهمل يضمحل شيئا فشيئا حتى قد يزول من النسل بعد حين من الدهر ، لذلك كانت
الرياضة البدنية من أوجب الواجبات لبقاء الجسم في الصحة والعافية ، حتى ان
الاطفال يجدون أنفسهم مدفوعين بالهام إلهي الى كثرة اللعب ، لما في ذلك من
الرياضة لبدانهم

وتأثير الرياضة أنها تسرع في دورة الدم فيقوى القلب والعروق، وتكثر تغذية
جميع الاعضاء ويتم الاحتراق بها وتذهب عنها الفضلات الضارة التي يكثر إفرازها
في البول والعرق وفي الهواء الخارج من الرئتين، ولذلك يحتاج الانسان الى الاكثار
من الطعام والشراب واستنشاق أكسجين الهواء ، وتقوى جميع عضلات الجسم
وتسمن ويزول التشحم الذي قد يتراكم على القلب حتى يضعفه بل قد يكون سببا في
الموت الفجائي بالسكتة القلبية

وتعام الاحتراق الذي يحصل بالرياضة يمنع تراكم حامض البوليك في الدم،
وهذا الحامض هو الذي يسبب أعراض المرض المسمى بالتهقرس وقد يرسب في بعض
الاعضاء كالكليتين فيتكون فيها حصيات ضارة جدا وكثيرا ما تؤدي الى الهلاك.
وبالجملة فان الرياضة تقوي جميع أعضاء الجسم وتذهب عنها المواد الضارة فتصح
ويجب أن تكون الرياضة في الهواء النقي والا لاستنشاق الانسان ما يضره
من العفونات

ولا يصح أن تعمل في وقت الحر الشديد ، فان الحر كثيرا ما يقتل الانسان .
ولا يجوز أن يتعرض الانسان بعد الرياضة وكثرة العرق للهواء فان ذلك من

أعظم الاسباب لاجداث التهاب الاعضاء والنزلات المتنوعة، كذلك لا يجوز شرب الماء البارد عقبها ، فان من الناس من مات بسبب ذلك لحصول سكتة قلبية له
 واذا أحس الانسان بتعب منها فالواجب أن لا يأكل الا بعد الراحة فان المعدة تشترك مع الجسم في التعب ، فاذا وضع فيها الطعام حينئذ فانها لا تقدر على الهضم ، وكثيرا ما يحصل القيئ بسبب ذلك ، وان لم يتقأ الشخص نزل الطعام الفاسد الى الامعاء فأحدث فيها تهيجا من آثاره المنص والاسهال
 ومن الخطأ الكبير الجماع أيضا عقب الرياضة مباشرة فان ذلك يزيد في إنهاك قوى الجسم ، فالواجب أن يتبع الرياضة الراحة أو النوم فان ذلك نافع جدا .
 ولا يجوز عمل الرياضة الشاقة عقب الاكل مباشرة كما سبق بيانه
 والاعتدال في الرياضة ضروري جدا — كما في سائر الاشياء — ومدتها للشبان الاصحاء نحو من ساعة في اليوم نصف في أوائل النهار ونصف في آخره ، هذا اذا كانت بالمشي السريع ، أما اذا كان المشي معتدلا فتكون ساعتين . ومن الامراض مالا توافقه الرياضة كأمراض صمامات القلب
 وأنواع الرياضة عديدة منها المشي ومنها العدو ومنها السباحة وركوب الخيل وغير ذلك ، ولا يتوهم أحد أن المشي لا يكفي ، وكيف لا يكفي وبه تتحرك جميع العضلات تقريبا ويسرع القلب والتنفس

النبذة الرابعة

في علم الانسجة أو التشريح الدقيق

الهستولوجيا Histology

الهستولوجيا كلمة يونانية ومعناها [علم الانسجة] وبعبارة أخرى علم التشريح الدقيق للجسم ، وقد سبق ذكر أشياء كثيرة منه في النبذة الثالثة
 وهذا العلم لا يمكن دراسته الا بالمجهر المسمى بالميكروسكوب أي المنظار الدقيق

لينيسر للانسان الوقوف على جميع دقائق الجسم
 أما المجهر فهو مبني على الحقيقة الطبيعية الآتية وهي أن الجسم اذا وضع على
 بعد مخصوص من العدسة المحدبة تجمعت الاشعة المنبعثة منه ورسم كبيرا في الجهة
 الأخرى، وهذه الصورة الكبيرة تمكن رؤيتها بالعين المجردة، وقد ترى بعدسة أخرى
 فتزداد كبراً، لذلك كان الميكروسكوب عبارة عن أنبوبة معدنية في طرفها عدسة محدبة،
 وكذلك في الطرف الآخر، الا أن الغالب أن تكون العدسة التي في الطرف الاول
 محدبة من الجانبين وفي الطرف الثاني محدبة من الجهة الداخلية فقط
 وتكون العدستان على أبعاد مخصوصة معروفة في علم الطبيعة، فاذا أريد رؤية
 أي جزء من أجزاء الجسم قطعت منه طبقات رقيقة بآلة كالموسى وتوضع القطعة
 منها على لوح من الزجاج بعد أن تلون بألوان مخصوصة أو بدون تلوين
 ثم يوضع هذا اللوح على حامل في المجهر له ثقب مستدير في وسطه وتحت هذا
 الثقب مرآة لمعكس الاشعة لتنفذ خلال القطعة الرقيقة التي فوق اللوح الزجاجي
 فتكبر صورتها العدسة الاولى ثم تكبر هذه الصورة العدسة الثانية فيراها الانسان
 كبيرة جداً

وبهذه الآلة أمكن الوقوف على دقائق عالمي الحيوان والنبات وبها اكتشفت
 الميكروبات، فلها الفضل الاكبر في علم الطب الحديث
 فاذا نظر بالمجهر الى أجزاء الجسم المختلفة وجد أنها تتركب من الانسجة الآتية: —
 (١) إپيثيليوم [Epithelium] وهذه كلمة يونانية معناها الغطاء لان هذا
 المنسوج يغطي جميع أجزاء الجسم من الظاهر والباطن كما في الجلد وفي قناة
 الهضم وغير ذلك

(٢) المنسوج الضام وهو الذي يربط أجزاء الجسم بعضها ببعض
 (٣) المنسوج العضلي وهو الذي تحصل به الحركة — كما سبق —
 (٤) المنسوج العصبي وهو المخ والنخاع ومائر الاعصاب
 وكما أن جميع المنسوجات كالاقشة مثلًا تتركب من أجزاء دقيقة جدا وهي الخيوط
 كذلك هذه الانسجة تتركب من خيوط تسمى الالياف، ومن ككل صغيرة جدا

تسمى الخلايا، وبينهما مواد تربط الواحد منها بالآخر. وأصل جميع ما في الجسم من الألياف وغيرها ناشئ من الخلايا. فالخلايا في الحقيقة هي عنصر الاجسام الحية نباتية كانت أو حيوانية. إذ من الثابت أن الانسان يتكون من بيضة واحدة، وهي في الحقيقة خلية حية

ففي بعض أجزاء الجسم نجد أن هذه الخلايا منضودة صفوفًا بعضها فوق بعض ويتكون منها الايشيليوم المذكور، وفي الأجزاء الأخرى تمتط هذه الخلايا فيتكون منها العضلات أو الأعصاب أو المنسوج الضام بتغيرات مختلفة تحصل فيها، وقد يتكون في داخلها مواد دهنية فينشأ من ذلك منسوج الشحم

ومن الناس من يعتقد أن ألياف المنسوج الضام كانت خلايا فامتطت — كما قلنا — ومنهم من يرى أنها إفرازات من الخلايا ترسب فيما بينها كما ترسب بعض الأملاح في السوائل والقول بأنها رواسب هو الراجح الآن عند العلماء

أما الخلية فهي الأصل لجميع الأحياء — كما سبق — وتتركب من البروتوبلازم^(١) Protoplasm وهو مادة يدخل في تركيبها جميع ما ذكرناه سابقاً من العناصر التي في جسم الانسان فهي كائنات صغيرة. ففيها الماء والزالال والدهن والمواد الكربوهيدراتية وأملاح عديدة وغير ذلك. ولها جميع خواص الحياة وهي التنفس والتغذية والإفراز والحركة. وجميع هذه الأعمال يمكن لكل جزء من أجزاء جسمها أن يقوم بها على حد سواء، فمثلاً التغذية يحصل بجميع جسمها، وفي حركتها ترسل من أي جزء من جسمها أذناً تتحرك بها كالمجاديف. وكلما ارتقت الحيوانات تخصصت بعض هذه الخلايا بعمل مخصوص كما نرى في الانسان؛ فمثلاً نرى أن الحركة في الانسان خصت بها أعضاء، وكذلك القول في التغذية إلا أن الخواص المذكورة للحياة تبقى لكل خلية وإن لم تظهر فيها ظهوراً بيناً، بمعنى أن بعض الوظائف قد يبقى كامناً في الخلايا وتظهر بعض الخواص الأخرى ظهوراً بيناً، كالأحاساس مثلاً فإن جميع الخلايا الحية تحس إلا أن الأحساس في المجموع

(١) كلمة يونانية معناها المسكون الأول لاعتقاد العلماء أنها أول مظهر من مظاهر الحياة في هذا العالم

العصبى أظهر بكثير مما هو في المنسوج الضام مثلاً
وأول الاحياء كانت قِطْعاً بروتوبلازمية مجردة من كل شيء آخر، وفي
الاحياء التي أرقى من ذلك يتكون في وسط الخلية بقعة قائمة تسمى «النواة» وهي
تغاير في تركيبها بعض التغاير لمواد البروتوبلازم ويصير لهذه النواة التأثير في تغذية
الخلايا وفي انقسامها فلا يبدأ الانقسام في الخلية الا اذا انقسمت نواتها واذا فصل
جزء منها عن النواة أصابه الفساد، وفي وسط هذه النواة نواة صغرى تسمى النوية
ويتصاب الجزء الذي على سطح البروتوبلازم حتي يصير كحائط للخلية
والخلايا تتكاثر بالانقسام وهذا الانقسام يبدأ بانقسام النواة ثم ينقسم
البروتوبلازم فتصير الخلية الواحدة خليتين ، والخلايا التي لانواة لها لا يكون جزء
منها مسيطراً على الباقي

ومن الخلايا ما ينقسم داخل الغشاء الكاذب المحيط بالخلية، ومنها ما ينقسم
مع نفس هذا الغشاء فمثال الاول جنين الانسان فان البويضة تنقسم بدون انقسام
الغلاف، ومثال الثاني الحيوان المسمى (الاميبا^(١)) وهو مركب من خلية واحدة
تنقسم كلها فيصير الواحد اثنين ثم أكثر فأكثر وهو يوجد في بعض المياه الآسنة
والفرق بين أبسط النباتات وأبسط الحيوانات هو عسر التحديد الا أنه يمكن
أن يقال فيه ما يأتي (١) ان خلايا النباتات محاطة بطبقة من مادة السلولوز وهي
المادة التي يتركب منها الخشب ونشبه في تركيبها الكيماوي النشاء، ولكن من
الحيوانات ما فيه هذه المادة أيضا (٢) في خلايا النباتات الراقية مادة خضراء تسمى
(الكلوروفيل) وهي كلمة يونانية معناها « خضرة الورق » (٣) ان الخلايا
النباتية تكون - بواسطة الكلوروفيل مع تأثير أشعة الشمس - من بعض العناصر
البسيطة أجساما عجيبة التركيب مثل السكر الذي تولده النباتات من غاز ثاني
أكسيد الفحم الموجود في الهواء ، والنباتات تولد أيضا من الاملاح النيتروجينية
البسيطة - مثل نترات الصوديوم - مواد زلالية معقدة التركيب . أما الحيوانات فلا
يمكنها هذا العمل وهي تعتمد في غذائها بالمواد الزلالية وغيرها كل الاعتماد على
(١) كلمة يونانية معناها المتغير لتغير شكله دائما كما سبق في حاشية ص ٦٨

النباتات التي لولها هلك جميع الحيوانات
هذا وقد سبق ان الجسم الانساني كله مولد من البويضة بانقسام نواتها
وبروتو بلازمها كله، ومن الحيوانات كالذجاج مثلا ما يتولد بانقسام النواة مع جزء
صغير مما يحيط بها من البروتو بلازم وتتغذى بالباقي منه

والايشليوم مركب — كما قلنا — من خلايا مرصوص بعضها بجانب بعض، وقد
يتكون منها عدة طبقات أو طبقة واحدة كما في ايشليوم البريتون، وفي الجلد طبقات
عديدة منه، وفي غشاء المثانة تكون الطبقات أقل من طبقات الجلد. وفي بعض أعضاء
الجسم يكون خلايا الطبقة العليا منه أهداب تتحرك بنفسها وهي عبارة عن زوائد
ممتدة من نفس البروتو بلازم — كما تقدم —

أما المنسوج الضام فيراد به أشياء كثيرة، منها أربطة المفاصل وأوتار العضلات
والعظام والغضاريف والشحم؛ ومن الناس من يعد الدم من المنسوج الضام أيضا.
وأعظم ما يتميز به العظم عن غيره رسوب مواد جيرية في المادة التي بين خلاياه
وأما المنسوج العضلي — وهو اللحم — والمنسوج العصبي فقد سبق الكلام
عليهما فلا حاجة الى التكرار. وتبارك الله الذي خلق الخلق في هذه الاطوار

﴿ انتهى الجزء الاول ﴾

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة ، ومعلم الحكمة ، وعلى آله وصحبه هداة الأمة (وبعد) فقد جعلت هذا الجزء الثاني من محاضراتي خاصا بالكلام على الأحياء التسليقية من ميكروبات وديدان وغيرها وما ينشأ عنها من الأمراض المعدية وأعراضها وعلاجها وطرق إلتئامها - إلى غير ذلك من المباحث العالية الضرورية لحياة الأفراد والأمم

ولما كانت لغتنا العربية في أشد الحاجة إلى مثل هذه المباحث الراقية التي قتلها الأفرنج بجمها وتمحيصها - لم أقصر في هذا الجزء على ما ألقى منها على طلبة مدرستنا (دار الدعوة والارشاد) بل توسعت فيها بما سيكون إن شاء الله نافعا حتى للخاصة ، ونقلت إلى لغتنا الشريفة أهم ما كتبه الأفرنج في هذه المسائل راجيا بذلك خدمة اللغة والأمة بارشادها إلى ما يجب اتباعه لاتقاء شر تلك الأمراض المعدية التي تقضي كثيرا من الناس في كل يوم ، وتضعف الأمم التي لم تلتفت إلى سنن الله تعالى فيها وأهملتها إهمالا شنيعا

وقد جريت في هذا الجزء على طريقتي في الجزء الأول من التدقيق في التعريب واختيار أوضح العبارات وأقربها إلى تناول جمهور القراء ليسهل على كل مطلع على الكتاب فهم المراد منها ، مراعيًا في كل ما أكتب نصوص الشريعة الإسلامية الغراء وأساليبها ممحصا لها ، وموفقا بين تلك النصوص وبين الحقائق العلمية ، والله الهادي إلى أقوم طريق

البكتيريولوجيا

Bacteriology

علم الاحياء الدقيقة الخفية

البكتيريولوجيا لفظ يوناني معناه علم البكتيريا . والبكتيريا معناها العصي (جمع عصا) ويراد بها غالبا الاحياء الدنيئة النباتية التي أكثرها مركب من خلية واحدة ، وإنما سميت بذلك لكون شكل كثير منها مستقيما كالعصا . ولفظ ميكروب معناه الحي الدقيق ^(١) والذي وضع هذا اللفظ شخص يسمى سيدلوت Sédillot في سنة ١٨٧٨ م ويطلق على جميع الاحياء الدنيئة سواء أكانت نباتية أم حيوانية أم في المنطقة التي بينهما . وجمهور العلماء يطلقون لفظ (البكتيريولوجيا) على علم الميكروبات كلها مع اختلاف أنواعها

أما علم البكتيريولوجيا الحالي فمؤسسه الحقيقي هو العلامة لويس باستور Louis Pasteur الفرنسي عاش بين سنة ١٨٢٢ و ١٨٩٥ م واشتغل كثيرا بالبحث في داء الكلب والهيضة (الكوليرا) فهذا العلم تأسس في القرن التاسع عشر ، وأما وما كتب فيه من قبل فلم يكن مما يعول عليه كثيرا

ومن نبغ فيه أيضا الاستاذ روبرت كوخ الألماني Robert Koch وكان من أعلم علماء عصره واكتشف ميكروب الدرن وبحث بحثا دقيقا في الهيضة والطاعون ، عاش بين سنة ١٨٤٣ و سنة ١٩١٠

وقد عرف الآن ان الميكروبات هي السبب في أكثر الامراض . والذي هدى الناس الى العلم بهذه الاحياء هو المجهر (الميكروسكوب) ، ولكن اختراعه الذي كان في سنة ١٥٩٠ قد سبق علم البكتيريولوجيا ببضعة قرون ، ولم يكن في (١) المنار: اختار بعض كتاب العصور اسم الجراثيم للميكروبات ، واستحسننا من قبل اطلاق اسم الجن او الجنة عليها لحفاؤها

ذلك الوقت مرتقيا الى حيث يكشف لنا عن أكثر هذه الاحياء الدنيئة . وأقوى أنواعه الآن ما يكبر الشيء ١٠,٠٠٠ ضعف

كيفية دراسة الميكروبات

لدراسة الميكروبات توضع على لوح من الزجاج ، ثم تثبت باحدى الطرق المشهورة في هذا الفن ، ثم تلون بألوان مخصوصة لظهارها جيدا ، وإن كان يمكن رؤيتها حية بدون تلوين . وطريقة ذلك أن يصنع لوح سميك من الزجاج به حفرة صغيرة (تقعر) في وسطه ، ثم يؤتى بلوح آخر رقيق جدا وتوضع نقطة من السائل الذي فيه الميكروب على هذا اللوح ثم تغطى الحفرة بهذا اللوح الرقيق ، بحيث تكون النقطة متجهة الى الاسفل أي تكون في تجويف الحفرة المغطاة باللوح الرقيق . ويسمى علماء هذا الفن هذه الطريقة (بطريقة النقطة المعاكسة) وفائدتها أن تحفظ السائل من التبخر وتوجد هواء محيطا به لتنفس الميكروب ، وبهذه الطريقة يمكن مراقبة نمو الميكروب وحركته — ان كان متحركا — وغير ذلك

أما المادة الملونة فهي تكون غالبا مما يسمى بالانيلين [Aniline] وهي كلمة برتغالية معناها النيلة ، وتلك المادة من مستخرجات قطران الفحم الحجري . وسميت بذلك لأنها صنعت في أول الامر من النيلة التي تستخرج من ورق شجرة معروفة وعيدانها . ومادة الانيلين هذه بتأكسدها يستخرج منها ألوان عديدة كالأخضر والأصفر الخ

تعريف الميكروبات

أكثر ميكروبات الامراض أحياء بين عالمي الحيوان والنبات ولكنها أميل الى النباتية منها الى الحيوانية ، وهي في الغالب مركبة من خلية واحدة لانواة^(١) لها ، ومحاطة بغلاف من السللوز^(٢) ولكنها خالية من مادة الكلوروفيل مطلقا ، ولذلك اختلفت الميكروبات عن النباتات العالية ، فلا يمكنها تحليل غاز ثاني أكسيد

(١) يرى الآن بعض العلماء أنها ليست مجردة من النواة خلافا لما كان قد ذهب اليه الجمهور (٢) كون هذا الغلاف من السللوز فيه نظر ، حتى أنكر ذلك الآن بعض العلماء

[المنار: ج ٧ م ١٨] الفرق بين النبات والحيوان. أشكال الميكروبات ٥٣٣

الفهم الموجود في الهواء فهي في ذلك تشبه المواد الفطرية المركبة من عدة خلايا نباتية. وأيضاً بعض الميكروبات يمكنها أن تتركب مواداً آزوتية عضوية من مثل النوشادر وحامض النيتريك وهي مواد غير عضوية، فأشبهت بذلك النبات شها عظيماً وغازت الحيوان بذلك وبغلافها السلولوزي، ومنها طائفة تأخذ الأزوت الضروري لها من الهواء

والمواد العضوية منسوبة إلى أعضاء النبات والحيوان لأنها تتولد بواسطة هذه الأعضاء، مثال ذلك غرقى (زلال) البيض والسكر وغيره وأما المواد غير العضوية فهي التي توجد في الكون بدون واسطة النبات أو الحيوان كملح الطعام

فترى من هذا أن أهم مميزات النبات عن الحيوان أنه يمكنه توليد المواد العضوية من المواد غير العضوية مباشرة، والحيوان لا يمكنه ذلك البتة. وهو في غذائه مضطر إلى أكل النبات. ولتوضيح ذلك نقول: يوجد في الأرض أملاح تسمى النيترات أي يوجد فيها النيتروجين (الأزوت) والأكسجين متحدين معاً ومع معدن من المعادن كالپوتاسيوم مثلاً، فإذا صب عليها الماء ذابت فيه فيمتصها النبات ويتغذى بها ويحولها إلى مواد زلالية، وبذلك يمكنها أن تعيش بالاستقلال عن سائر الأحياء الأخرى؛ وفي الهواء آثار من مادة النوشادر وهي مركبة من النيتروجين والهيدروجين وسهلة الذوبان في الماء فتذوب في ماء المطر وتسقط إلى الأرض فيتغذى بها النبات أيضاً ويولد منها مواد زلالية

وأما الحيوان فإذا منعت عنه المواد الزلالية فإنه يهلك بسرعة وعليه فأصل الوجود الحيواني متوقف على النباتات وهي لاشك خلقت قبله. ولنرجع إلى ما كنا فيه:

أشكال الميكروبات

للميكروبات أشكال عديدة أهمها: —

(١) الشكل الباسيلي أي المستطيل، وكلمة باسيل [Bacillus] لاتينية معناها

العصية (تصغير عصا) وذلك لان ميكروبات هذا النوع تحاكي خطوطا مستطيلة صغيرة جدا ، فاذا قبل باسيل الدرن فعناه عصيات الدرن أي ميكروبه الذي شكله مستطيل

(٢) البزور [Cocci] وميكروبات هذا الشكل كنقط صغيرة، وهذه النقطة قد يلتصق بعضها بجانب بعض فيتكون منها خيوط تسمى البزور السلسلية [Streptococci] وقد تجتمع مثنى مثنى مثل ميكروب التهاب الرئوي والروماتزم والالتهاب السحائي الوبائي والسيلان إلا أن هذا الأخير شكل بزوره كلوي (أي كشكل السكالية) وقد تجتمع رباعاً ، وقد تجتمع على أشكال غير منتظمة فيتكون منها ما يسمى بالبزور العنقودية [Staphylococci]

والبزور المربعة توجد عادة في القيح الناشئ من تمدد المعدة، والبزور الأخرى السلسلية والعنقودية توجد في التهابات والخراجات ونحو ذلك ، وأشدها خطراً البزور السلسلية فإنها هي التي تحدث المرض المعروف بالحمرة ، وهو من الأمراض المعدية الفتاكه، وتوجد أيضاً في بعض التهابات الرحم العفنة عقب الولادة

(٣) الشكل الحلزوني [Spirilla] وميكروبه يكون دقيقاً مستطيلاً ملتويًا على نفسه كالثعبان ، ومن هذا الشكل ميكروب الهیضة (الكوليرا) وهذا الميكروب كثيراً ما يشاهد مقسماً الى قطع صغيرة كل قطعة منها تشبه الضمة أو الشولة ، ولذلك يسمونه بالباسيل الضمي [Comma] فاذا اجتمع من هذا الميكروب اثنان مثلاً فقد يتكون منهما شكل يشبه حرف (S)

ومن الشكل الحلزوني أيضاً ميكروب الزهري وميكروب الحمى الراجعة . والجهور يعد الآن بعض الحلزونات من نوع الحيوان لامن نوع النبات وهو الراجح وبعض الميكروبات لها أهداب [Flagella] تتحرك بها، فمثلاً ميكروب الحمى التيفودية له أهداب عديدة تبلغ ٨ أو ١٢ وطول كل منها نحو من ضعف طول الميكروب نفسه ، وهو يتحرك بهذه الأهداب حركة شديدة ، ولضمة الكوليرا هذب أو اثنان في طرف واحد منها، وكذلك الأشكال الأخرى قد يكون لبعضها أهداب ويقال ان لميكروب الحمى الراجعة أربعة أهداب اثنان في كل طرف . ولا

فرق بين طرف وطرف في هذه الميكروبات بل يمكنها أن تسير بأي شاءت
تربية الميكروبات

والميكروبات يمكن تربيتها تربية صناعية ويسمى ذلك في اصطلاح هذا العلم
«زراع الميكروب» أو إنباته لأنها نباتات — كما قلنا —

ومن السوائل المستعملة في تربية الميكروب المرق واللبن والبول ومصل الدم
وأما المياه الجيدة فقد شوهد أن الميكروبات لا تعيش فيها أكثر من ١٤ الى
٤٠ يوما، وربما كان ذلك لقلة المواد المغذية لها فيها

ويمكن تربيتها أيضا على الجلاتين وهو مادة تستخرج بغلي العظام والانسجة
الضامة كالاربطة وغيرها . وكلمة جلاتين إيطالية معناها الفالودج، ويمكن تسمية
هذه المادة في اقتنا (بالودك) وهي مادة تشبه المواد الزلالية في تركيبها أي انها تشتمل
على النيتروجين

ومن المواد الصلبة أيضا التي تربي عليها الميكروبات ما يسمى (بالأجار أجار)
[Agar - agar] وهو صمغ يستخرج من نباتات بحرية تنبت في الشرق كاليابان
وجاوة . ومن هذه المواد أيضا البطاطس وقرق البيض المسلوق (زلاله)

والميكروبات المرضية تحتاج في نموها الى حرارة مثل حرارة الانسان تقريبا
(أي نحو ٣٥ — ٣٩) ولذلك توضع في آلة مخصوصة تسمى آلة التفريخ
[Incubator] تكون الحرارة فيها مرتفعة الى درجة مخصوصة

ومن الميكروبات ما يحتاج لأكسجين خالص أي غير متحد بشيء كما في
الهواء ليستنشقه ومنها ما يضره الاكسجين الخالص ويمنع نموه

وهذه المسألة من أغرب مسائل العلم الطبيعي، فان الناس كانوا يظنون أن
الهواء ضروري لجميع الاحياء كضرورة الماء لها وقد ظهر بطلان ذلك، ومن آيات
بيان القرآن للحقائق أنه قال (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ولم يقل في موضع
مأمنه إن الهواء ضروري للاحياء

ومن الميكروبات ما يعيش في الهواء وفي غير الهواء، وهذا النوع هو والنوع
الذي يضره الاكسجين يمكن زرعه (تربيته) في الفراغ

ومن أمثلة مالا ينمو في الهواء باسيل التيتانوس ، وهو مرض يحدث من دخول هذا الميكروب في أي جرح في الجسم فيصاب الجسم بالتشنج الذي يبتدىء بتقلص عضلات العنق وابتقاض الفكين حتى لا يمكن للإنسان أن يفتح فاه ، ولذلك يسمى هذا المرض بالعربية الكزاز ، وميكروبه يعيش في الطين والوحل والأتربة المحتبثة في الأماكن المظلمة وتعريض هذا الميكروب للهواء يضعفه ويمنع نموه. أما ميكروب الدفتيريا مثلاً (التي منها الخناق) فإنه يعيش في الأكسجين وفي غيابه توالد الميكروبات

وأشهر طرائق توالد الميكروبات اثنتان : الطريقة الأولى الانقسام — وهي عامة في الجميع — فتقسم كل خلية منها بالعرض ^(١) الى اثنتين والاثنتان الى أربع وهلم جرا
والطريقة الثانية تكون بتوليد حيوية [Spore] في داخل كل ميكروب وبعدها ينفلق الميكروب وتبقى هذه الحبيبة قابلة للنمو مرة أخرى

وهذه الطريقة تحصل في بعض الأشكال الباسيلية وفي قليل من الخلزونية. والحيبيات تقاوم درجة الغليان (١٠٠ سنتيجراد) لمدة تختلف من خمس الى عشر دقائق ، وهي تقاوم المواد المطهرة كالسليمان والفينيك مقاومة كبيرة ، ولذلك يجب أن تكون نسبة السليمان الى الماء أكبر من النسب المعتادة لإبادة حيبيات تلك الميكروبات ، وكذلك يجب ابقاء الشيء المراد تطهيره في المحلول مدة طويلة وطريقة التوالد الأولى تكثر الميكروبات ، والثانية تبقى النوع فقط ولا تكثره

(١) هذا في الميكروبات النباتية أما الحيوانية كميكروب الزهري والحصى الراجعة فينقسم بالطول. وفي البيئة الصالحة قد يحدث انقسام الميكروبات مرة في كل عشرين أو ثلاثين دقيقة

أثارة من تاريخ العرب

في الاندلس

تنبئ عن هدي الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله؛ وجمعه بين الدين والدنيا، ومكانة علماء الدين في عهده، وقبوله منهم الاغلاظ في وعظه، - وعن سيرة قضاة العدل وعلماء الآخرة، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يخافون في الحق صولة حاكم، على ورع يزيمه ظرف واطف، ودعابة لامهانة فيها ولا سخف، يتمثل ذلك كله في ترجمة الوزير الفتح بن خاقان للقاضي البلوطي في كتابه مطمح الانفس، ومسرح التانس، في ملح أهل الاندلس. قال عفا الله عما تكلف من إبداع، وما صنعه من اسجاع:

(الفقيه القاضي أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله تعالى)

اية حركة في سكون، وبركة لم تكن معدة ولا تكون! واية سفاهة في تعلم، وجهامة ورع في طي تبسم! اذا جد تجرد، واذا هزل نزل، وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع عن مرقب، ولا اكنسب إنما ولا احتتب؛ ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن، وناهيك من عدل أظهر، ومن فضل اشهر، ومن جور قبض، ومن حق رفع، ومن باطل خفض؛ وكان مهيأ طيبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم. واستمر في القضاء الى ان مات الناصر لدين الله، ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته توفي، بعد ان استعفى مرارا فما أنفي، فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جو، ولا عدت عليه في حكومته زلة. وكان غزير العلم كثير الادب، متكلما بالحق مقبينا بالصدق، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع، والرد على أهل الاهواء والبدع؛ وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا. ولد سنة ثلاث وعشرين (مائتين) عند ولاية المنذر بن محمد. وتوفي يوم الخميس (المنار: ج ٧) (٦٨) (المجلد الثامن عشر)

لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

﴿ ومن شعره في الزهد ﴾

كم تصابي وقد علاك المشيب	وتعامى عمدا وانت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير	ان يوم الحمام منك قريب
ياسفيا قد حان منه رحيل	بعد ذلك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارثها	لا يداويك ان أتتك طبيب
كم تراني ^(١) حتى تصير رهينا	ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم	فاعلمن جاهدا لها يارتب
وتدكر يوما تحاسب فيه	ان من يدك كرسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا	المنايا عليك فيها رقيب

الخطابة في الاحتفالات الرسمية

وذكر ان أول سببه في التعلق في الناصر لدين الله ، ومعرفته به وزلفاه ، ان الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم وصاحب القسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره ، وابهر أمره ، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالة مقعده ، ووصف ماتهباً له من توطد الخلافة ورعي الملوك بآمالها ، وتقدم الى الامير الحـكم ابنه باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ، ويقدمه امام نشيد الشعراء ،^(٢) فتقدم الحـكم الى أبي علي البغدادي^(٣) ضيف الخلافة وأمير الكلام ، وبحر اللغة ان يقام ، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ، وبهت فواصل الا قطع ، ووقف ساكناً متفكراً ، وتشوف لاناسيا ولا متذكراً

(١) كذا وربما كان الاصل « كم تواني » (٢) يعلم من هذا أن عاداتهم في الاحتفالات كعادة أهل هذا الزمان في الخطابة . وكان منظم هذا الاحتفال الحـكم ولي عهد الخليفة (٣) فيه أن وحدة الأمة ما كانت تمنع في ذلك الزمن تقديم الغريب عن البلاد على أمثاله من أهلها اذا كان أهلاً وان كان تابعاً للحكومة أخرى ، ولا يكون مثل هذا في مصر الآن ، لان التعصب للبلاد أضعف وحدة الامة

ارتجال العلماء الخطابة حتى في السياسة

فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام بذاته ، بدرجة من مرقاته ، فوصل افتتاح أبي علي البغدادي بكلام عجيب ، ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل مجيب ، وقال: اما بعد فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحق الا الضلال ، واني قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فاصفوا لي بأسماعكم ، وامنوا علي بأفئدتكم ، معاشر الملا! ان من الحق ان يقال للمحق صدقت. وللمبطل كذبت، وان الجليل تعالى في اسمائه وتصدق بصفاته^(١) أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين ان يذكروا نعم الله عز وجل عندهم ، وأنا اذكركم نعم الله تعالى عليكم ، وتلافية لكم ، بخلافة أمير المؤمنين التي امنت سر بكم ، ورفعت خوفكم ، وكنتم قليلا فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم ، ولاه الله رعايتكم ، وأسند اليه امامتكم ، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق ، واحاطت بكم تشعل النفاق ، حتى صرتم في مثل حدقة البعير ، مع ضيق الحال ونكد العيش والتغير ، فاستبداتم بخلافته من الشدة بالرضاء ، وانتقلتم بين سياسته الى كف العافية بعد استيطان البلاء ، ناشدتكم يامعشر الملا! ألم تكن الدماء مسفوكة فحقها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والاموال منتهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، وثغور المسلمين مهتزمة فخماها ونصرها ؟ فازكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافية جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته ، حتى اذهب عنكم غيظكم ، وسفى صدوركم ، وصرتم يد اعلی عدوكم ، بطوية خالصة ، وبصيرة ثابتة وافرة ، فقد فتح الله عليكم أبواب البركات ، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات ، وصارت وفود الروم وافدة عليكم ، وآمال الاقصيين والادنين اليكم ، يأتون من كل فج عميق ، و بلد سحيق ، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقضي الله أمرا كان مفعولا . وان يخلف الله وعد ، ولهذا الامر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة تدل على أمور باطنة ، دليلها قائم ، وغيبها عالم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ،

(١) لعل الاصل وتقدس بصفاته

وليدانهم من بعد خوفهم امانا) وليس في تصديق ما وعد الله عز وجل ارتياب ،
ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، وسلوه
المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بالعصمة
والسداد ، وألهمه بخاص التوفيق سبيل الرشاد ، فاستمعينوا على صلاح أحوالكم ،
بالمناصحة لأمامكم ، والتزام الطاعة لخليفةكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن
من نزع يده من طاعة ، وسعى في فرقة الجماعة ، وفر من الديانة ، فقد خسر الدنيا
والآخرة ، الا ذلك هو الخسران المبين . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه
من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم ، وتفريق
ملتكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين
 والمرسلين ؛ أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين . وأنشد يقول

مقال كحد السيف وسط المحافل فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكي ترتني جنباته كبارق رعد عند نقش الاناصل
فما دحضت رجلي ولا زل مقولي ولا طار عقلي يوم تلك البلايل
بخير امام كان أو هو كائن لمقبل أو في العصور الاوائل
وقد حدثت نحوي عيون إخالها كمثل سهام اثبتت في المقاتل
ترى الناس أفواجا يؤمون دازه وكلهم ما بين راض وآمل
وفود ملك الروم وسط فنائه مخافة بأس أو رجاء لسائل
فعرش ساميا اقصى حياة معمر فانت غياث كل حاف وناعل
فقال العليج: هذا والله كبش الدولة. وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه،
وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه

خطبة ارتجالية قربت عالما من الخليفة

وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجبا منه واقبل على ابنه الحكم ولم يكن
يثبت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال الحكم : هذا منذر بن سعيد البلوطي ،
فقال والله لقد أحسن ما أنشأ ، ^(١) ولئن ابقاني الله تعالى لأرفعن من ذكره ، فضع

(١) لعل الاصل : أحسن ما شاء

يدك يا حاكم واستخلصه وذكرني بشأنه، فالصنيعة مذهب عنه، فلما انتهى الناصر الى الجامع بالزهراء ولاه الصلاة فيها والخطبة. ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بقرطبة وأقره على الصلاة بالزهراء

جهر القاضي بانكار اسراف الخليفة

وكان الخليفة الناصر كلما بعمارة الارض، واقامة معاملها، وتكثير مياها، واستجلابها من ابعدها، وتخليد الاسرار الدالة على قوة ملكه، وعزة سلطانه وعلوهمته، فافضى به الاغراق في ذلك الى ابناء مدينة الزهراء الشائع ذكره، الذائع خبره، المنتشر في الارض أثره، واستفرغ وسعه في تنجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها، فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذته، فاراد القاضي منذر بن سعيد رحمه الله وجه الله في أن يعظه ويقرعه في التائب، ويقص منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطابة، والتذكير بالانابة

فابتدأ أول خطبته بقوله تعالى (أتنبون بكل ربيع آية تعيثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون * اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ووصل ذلك بكلام جزل، وقول فصل، جاش به صدره، وقذف به على اسانه بحره، وأفضى في ذلك الى ذم المشيد والاستغراق في زخرفته، والاسرف في الانفاق عليه، فخرى في ذلك طلقا، وتلا في ذلك قوله تعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) واتى بما شاكل المعنى من التخويف للموت والتحذير منه، والدعاء الى الله عز وجل في الزهد في هذه الدنيا الغانية والحض على اعتزالها، والتبيين لظاهر معانيها، والترغيب في الآخرة وباقيها، والتقصير عن طلب الدنيا، ونهي النفس عن اتباع الشهوات، وتلا من القرآن العظيم ما يوافق، وجلب من الحديث والاثر ما يشاكله ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا وضجوا وتضرعوا، وأعلنوا الدعاء الى الله تعالى

فعلم الخليفة أنه المقصود به، والمتعمد بسببه، فاستجدى وبكى، وندم على ماسلف منه من فوطه، واستعاذ بالله من سخطه، واستعصمه برحمته؛ إلا أنه وجد على منذر بن سعيد لفظه الذي قرعه به، فشكا ذلك إلى ولده الحكم بعد انصرافه، وقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وأسرف في ترويعي، وأفراط في تقريعي، ولم يحسن السياسة في وعظي وصياني عن توبيخه، ثم استشاط، وأقسم أن لا يصلي خلفه الجمعة أبداً، فقال له الحكم: وما الذي يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به؟ فزجره وانتهره، وقال: أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أم لك يهزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشيد، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، واني لاستحيي من الله تعالى أن لا أجعل بيني وبينه شفعياً في صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد، ولكنه وقد نفسي وكاد يذهبها والله لوددت أن أجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا فما أظننا نعتاض منه أبداً.

وعذله قوم من اخوانه لتسكينته أرجل كان يسبه فقال:

لا تعجبوا من أنني كنيته من بعد ما قد سبنا وهجانا
فإنه قد كنى أباً لهب وما كناه إلا خزينة وهو أنا

ومن قوله في الزهد

ثلاث وستون قد حزتها فإذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب فما ترعوى بل وما تزدر
تمر لياليك مرّاً حيثاً وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي من العمر ما اعتضت خيراً بشر
فمالك لا تستعد إذا لدار المقام ودار المقر
أترغب في فجأة المنون؟ وتعلم أن ليس منها وزر
فأما إلى جنة أزلقت وأما إلى سقر يستعر

استسقاء القاضي بالناس مع الخليفة

وقحط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر الدين الله أمير المؤمنين فأمر

القاضي منذر بن سعيد بالبروز الى الاستسقاء، فأذهب لذلك وصام بين يديه ثلاثة أيام تنفلاً واناة واستجداء ورهبة، واجتمع الناس له في مصلى بقرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانع القصر المشرفة ليشرك الناس في الدعاء الى الله تعالى والضراعة - فلما سرح طرفه في ملائ الناس وقد شخصوا اليه بأبصارهم قال :

يا أيها الناس - وكررها مشيراً بيده في نواحيهم - ثم قال (سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم - أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) فضج الناس بالدعاء وارتفعت الاصوات بالاستغفار والتضرع الى الله تعالى بالسؤال والرغبة في ارسال الغيث ، ووصل الحال ^(١) ومضى على تمام خطبته، فافزع النفوس بوعظه، وانبعث الاخلاص بتذكيره ، فما أتم خطبته حتى بللهم الغيث

وذكروا ان الخليفة الناصر لدين الله جاء غداة ذلك اليوم، فخركه للخروج وذكرك له عزمه عليه، والسابقون متسابقون الى المصلى ، فقال للرسول - وكان من خواص حلفاء الصفاء اليه : يا ليت شعري ! ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا؟ فقال له ما رأينا قط أخشع منه في يومنا هذا، انه لمتبذ حائر منفرد بنفسه لابس أخشن الثياب، مقترش التراب، قد رمى به على رأسه وعلى لحيمته، وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول : هذه ناصيتي بيدك، أترأك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين ان يفوتك شيء مني؟ ^(٢) قال فتهال وجه القاضي منذر بن سعيد عند ماسمع من قوله، وقال يا غلام ! احمل الممطر ^(٣) معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا، اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء ، وكان كما قال فلم تنصرف الا عن السقيا

(١) اعل الاصل : ووصل الكلام (٢) إنما لم يقل وانت أرحم الراحمين مع كونه المناسب لمقام الاستسقاء ، لأن مراده ان تعذب الرعية بذنبي اذا اناحاكمهم، وانت الحاكم علي وعليهم، لو شئت ان تعاقبني على ذنوبي فيهم لعلت ، واذا عاملتني بالرحمة والفضل فالرعية أولى بذلك . هذا مراده قطعاً

(٣) الممطر الثوب الذي يتقى به المطر

*

استقلال القضاء وإيثار القاضي مصلحة اليتيم على رغبة الخليفة

قال وكان القاضي منذر بن سعيد من ذوي الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته، وقوة القلب في القيام بالحق في جميع ما جرى على يديه، لا يهاب في ذلك الأمير الأعظم فمن دونه. ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصته المشهورة في إيتام أخيه نجدة، حدثني بها جماعة من أهل العلم والرواية. وهي أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخيه نجدة كانت بقرب النشارين في الرض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أيتاما في حجر القاضي، فأرسل الخليفة له من قيمتها بعدد ما طابت به نفسه، وأرسل ناسا وأمرهم بمداخلة وصي الإيتام في بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأي ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله البيع على الإيتام لا يصح إلا لوجوه - منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد^(١) ومنها الغبطة^(٢) فما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الإيتام إلى البيع، وأما الوهي فليس فيها، وأما الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما يستبين به الغبطة، أمرت وصيهم بالبيع والأفلا. فنقل جوابه هذا إلى الخليفة فظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن تتراخي رغبته فيها، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سوءتها، فأمر وصي الإيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك، وباع الانقاض وكانت لها قيمة باكثر مما قومت به للسلطان، فأتصل الخبر به فعز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخيه نجدة؟ فقل له نعم، قال له وما دعائك إلى ذلك؟ قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فرددت أن أعيها وكان وراءهم

(١) الضعف كأن تكون الدار متداعية (٢) الغبطة تحقق بما فيه مصلحة الإيتام وهو الزيادة على ثمن المثل

ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فمقومتك لم يقدرها الا بكذا وبذلك تعلق ومك
 فقد نص في ألقاضها أكثر من ذلك^(١) وبقيت الدار والحمام فضلا. ونظر الله
 تعالى للايتام. فصبر الخليفة على ما أتى من ذلك، وقال نحن أول من انقاد الى الحق
 فجزاك الله تعالى عنا وعن امانتك خيرا
الوقار والديانة، مع الظرف والدعاة

قال وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعاة فربما ساء ظن من
 لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار عليه ثورة الاسد الضاري
 فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم
 مع أبنائنا للافطار بداره البرانية فاذا بسائل يقول يا أهل هذه الدار الصالحين أطعمونا
 من عشاءكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة، وأكثرت من ذلك. فقال
 القاضي ان استعجب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد
 وحكى عنه قاسم بن أحمد الجبني انه ركب يوما لحيازة أرض محبسة في ركب
 من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤي، قال فسرنا تقفوه وهو
 أمامنا وأمامه امامه يحملون خرائطه^(٢) وعلى ذويه السكينة والوقار، وكانت القضاة
 حينئذ لا تراكب ولا تمشي^(٣) فعرض له في بعض الطريق كلاب مستوحمة وهي تعلق
 منها وتدور حوله، فوقف ومصرف وجهه اليها وقال: ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب
 بالهن الذي تعلقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك!! ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا
 وبقينا متعجبين من هزله

وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة

(١) يريد ان الذي قوم الدار للخليفة حبابه وهو يتوهم أنه قومها بما تساوي مع
 أن نحن انقاضها وحده قد زاد على ذلك، وهو يريد أكثر مما تساوي لمصلحة الايتام
 (٢) لعل أصله: وأمامه خدمه الخ واخلراط أوعية من الجلود أو غيره لها عرى
 تشد وتربط على ما يوضع فيه من المتاع واحدا خريطة

(٣) أي كانوا يتقدمون الناس فلا يركب ولا يمشي معهم أحد مساويا لهم

(المنار: ج ٧) (٦٩) (المجلد الثامن عشر)

ماء طافحة ، وسط روضة نافحة ، في يوم شديد الوهج ، وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة ، فشكا الى الخليفة من وهج الحر الجهد ، وبث منه ما تجاوز الحد ، فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه ، ففعل ولم يطفئ ذلك مابه ، فقال له : الصواب ان تنغمس في وسط الصهريج انغمسة يبرد بها جسمك ، ولم يكن مع الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلبي أمينه والحكم لارابع لهم ، فكانه استحيا من ذلك ، واتقبض عنه وقارا ، واقتصر عنه إقصارا ، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه بالنزول في الصهريج ليسهل الأمر فيه على القاضي ، فبادر جعفر لذلك وألقى بنفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة ، فجعل يجول يمينا وشمالا ، فلم يسمع القاضي الا انفاذاً أمر الخليفة ، فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ، ولاذ بالقعود في درج الصهريج ، وتدرج فيه بعض تدريج ، ولم ينسبط في السباحة ، وجعفر يمر مصعدا ومصوبا ، فدسه الحكم على القاضي وحمله على مساحلته في العوم — فهو يعجزه في إخلاده الى القعود ، ويعاتبه بإلقاء الماء عليه ، والاشارة بالجذب اليه ، وهو لا ينبعث معه ، ولا يفارق موضعه ، الى ان كلمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتقفز معه ، وتثقل صنعه ، فمن أجلك نزل ، وبسببك تبذل ؟ فقال له ياسيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله لا هو جل^(١) معه وانا بهذا الهوجل الذي معي يعقني ويمنعني من أن أجول معه بحاله . فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر ، وخجل جعفر من قوله وسبه سب الاشراف . وخرج من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشا كل كل واحد منهما

وذكر ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني انك لا تجتهد للايتام وانك تقدم لهم أوصياء سوء يا كلون أموالهم . قال نعم وان أمكنهم . . . أمهاتهم لم يعفوا عنهم ؟

(١) الهوجل الانحر الثقل الذي ترسى به السفينة ، وفي العبارة من حسن الاستعارة ونزاهة التعريض ما ترى ، هذا وقد خجل منه الحاجب وغضب حتى انه لم يملك لسانه أن سب القاضي والاشراف على مسمع من الخليفة ! وناهيك بهذا برهانا على نزاهة حاشية الخليفة وبعدهم عن الجون والخلاعة ، وعلى دقة ذلك الاعجمي الاصل في فهم اللغة العربية .

قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال است أجد غيرهم ولكن احلني على اللؤلؤي وأبي ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا جبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع الا خيرا
إنكار القاضي على الخليفة وأنصاف الناصر وقوة دينه

ومن اخبار منذر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن في إنكاره عليه الاسراف في البناء — ان عبد الرحمن كان قد اتخذ الى السطح العتبة الصغرى التي كانت مائلة الى الصرح المرد المعروف بقصر الزهراء المشهور بان له قرامد ذهب وفضة أنفق عينا مالا جسيا وجعل سقفا صفراء فاقعة ، الى بيضاء ناصعة ، تسلب الابصار بمطارح أنوارها المشعشة ، وجعل فيها اثر إتمامها لاهل مملكته مشهدا فقال لقرابته ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل به من البدائع الفتانة : هل رأيتم قبلي أو سمعتم من فعل مثل فعلي هذا أو قدر عليه ؟ فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين ، انك لأوحد في شأنك كله ، ولا سبقك في مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى إلينا خبره ، فابهمجه قولهم

وبينا هو كذلك سار ضاحك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكسا ذقنه ، فلما أخذ محمله قول له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف واقتداره على ابداعه ، فجرت دموع القاضي تنحدر على لحيته ، وقول والله يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكن ، مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين ، حتى أنزلك الكافر بن !! قال فاقشعر عبد الرحمن من قواه ، وقال انظر ما تقول ! كيف أنزلني منازلهم ؟ قال نعم أليس الله تبارك وتعالى يقول (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * وليبوتهم أبوابا وسرا عليها يتكئون) قال فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيته خشوعا لله تبارك وتعالى ، وندما اليه ، ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى يا قاضي خيرا عنا وعن المسلمين والدين ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو والله الحق. وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قرامدها ترابا اه

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية^{*}

الكلمات المبدوءة بهذا الحرف **أ** وهو نسر يقرأ ألفاً أو كسرة أو همزة أو واوا وهذا الأخير نادر

أب — أبأ وأبابة وأبابأ : اشتاق الى الشيء. قالوا « أب لي لي لك »
أي اشتاق قلبي الى رؤيتك (قرطاس رند لوحة ١٢ سطر ٢٢) ومنها
أبابة — قصد

أبنخ — يقابلها في العربية عبق لأن الخاء تنوب عن القاف والكاف،
فيقولون خب وكب لكف اليد : عبق المكان بالطيب انتشرت رائحته
فيه ، فيقال في المصرية « أبنخ شماماتها » أي عبق وانتشر كل ما يشم من
الروائح الطيبة . عبق به : لزع ، وقالوا « عبق المعبود منتو في حذتك » أي
لحمك . و « عبقت المشاة بالمشاة » أي التصقت والتحمت (عن حجر الملك
يعنخي الزنحي) و عبق بالمكان : أقام ، نحو قولهم « عبق الأرضان في عيشة
الملك السليمة » أي بقي القطران وهما الوجه القبلي والبحري في عيشة راضية
أبنخ — يقابلها في العربية أبق : هرب ، قالوا « تأبق مطول الرتوة »
أي تأبق حال كونك مطولا الخطوة في سيرك (عن نقوش الملك تيتي)
آبدة — ج أوابد وهي الطير المقيمة بأرض شتاها وصيفها ، يكثر

(*) مختارات من معجم أحمد كمال بك الأثري المصري للغة المصرية القديمة فيما
وافقت فيه اللغة العربية بالنص أو بضرب من القلب والابدال ، فالكلمة الأولى
من هذه الكلم المرتبة على حروف المعجم هي المستعملة في النصوص المصرية القديمة
مما هو عربي فان كان فيه قلب أو ابدال يذكر بعده الأصل العربي ، وما بعد
التقطتين هكذا : تفسير لما قبلهما

ذكرها في النصوص المصرية ولا سيما فيما كان على صنفائح القبور. ومنه قولهم «آبد دئصة» أي سمينه، و«آبد مائية» والاريون يصرفونها إلى جماعة الطير اذ وجد بجانبها رسم طيور متنوعة اتباعا لقاعدة الخط عندهم، لأن كل اسم جنس يرسم بعده بعض أنواعه للدلالة عليه، مثال ذلك كلمة حمس - وأصلها في المصرية حمت لأن التاء تنوب عن السين - واحدة حمسة اسم لدواب البحر، فتراهم يرسمون بعده ثلاث سمكات متنوعة، كما أنهم يرسمون بعد كلمة «أعضاء» بعض أجزاء الجسم. وبعد كلمة «كرع» - وهو السلاح في اللغتين - بعض أنواع الاساحة وهلم جرا

آبي - قيل عنه في كتب اللغة العربية انه اسم للأسد، وصوابه النمر لوجود صورة هذا الحيوان مرسومة بعد الكلمة في النصوص المصرية
اتا - عتاعوا: استكبر وجاوز الحد

ات - وبالعربية أثّ انا وأثونا وأثانة: التفّ وكثر. ويقال لها بالقبطية أنا

اتف - وبالعربية عطف ج عطف وأعطف: السيف (عن العدد ١٣٧٧ من الجزء الأول من كتاب الجغرافية)

اجاب - وبالقبطية أجب - وجب وجوبا: سقط ومات، وأصل الوجوب السقوط والوقوع. والوجبة السقطة

اجاب - اجابة وجاب جوابا: رد الجواب (عن لوح قبر موجود في متحف مدينة ميريخ)

اجر - وأجزاء وأجرية واحده جرؤ - وهو ولد الكلب
إجانة - ج أجاجين هو مكرن من خشب، ومنه قولهم «إجانة

ماء تخدم اللوب» أي الظماً (عن قرطاس پريس اللوحة ١ والسطر ٥)
 آخ . أش — مقلوبة ومحرفة عن شيء بالعربية (عن قاموس بروكش
 الجزء ١١ والصفحة ١١٧ والجزء الخامس الصفحة ١٢) وفي الغالب
 يقولون : خ — أو — ش بالامالة بمعنى شيء

آخ — وفي العربية آق عليهم أوفقاً : أتا هم بالشؤم فيقولون « مَعَت
 (أي العدل) يؤخ عليك لو مشى عن سأوه »^(١) والمعنى : لو حاد العدل
 عن وطنه لآق عليك أي لآتاك بالشؤم (عن شكايه الفلاح الصحيفه ٩٢)
 اخط — وفي العربية خطأ خطوا واختطى (عن قرطاس في متحف فينا)
 أخط — ويقال به في العربية خطّ خطا : رسم . وخط : كتب ويقال
 بالمصرية خطّ أيضاً وهو الأكثر في آثارهم^(٢)

أخف — قفيه : طعام، ومثلها كفيه ج كفى
 أدأبه — لغة في أتأبه : أغضبه (عن ورقة پريس اللوحة ٦ والسطر ١)
 أد — الرجل في الارض أدّا : ذهب وسار سيرا شديداً (عن رحلة
 أسنوهيت الصحيفه ٤٤)

أذا — ايذاء : أضّرّ (عن ورقة پريس اللوحة ٦ والسطر ١)
 أر — ألو : البعيدة المرعى . ويقال انها عين واحد العليين وهو اسم
 لأعلى الجنة، وفي المصرية تكتب بالراء وباللام (عن نقوش هرم أناس
 السطر ٥٨٨)

(١) المنار : في هذه الجملة المصرية ثلاث كلمات عربية وهي يؤخ المحرف عن
 يؤق ومشى والساو وهو الوطن (٢) علم من هذه الأمثلة وما سيأتي ان معتل
 العين أو اللام وكذا الفاء والمضاعف بالعربية يقلب حرف العلة أو المضاعفة فيه
 بالمصرية همزة وينقل الى الفاء ان لم يكن هو الفاء

ارجا — أرجاء جمع رجا وهو الجانب والناحية ، وبالقبطية أفريجو (راجع قاموس بيره الصحيفة ٣ نقلا عن كتاب پريس)

أرض — ج أرضون وأروض وأراض

أرّف — (وتكتب عند المصريين بالعين أيضا لأن الالف عندهم تنوب عن العين) عَرَفَ يقال أرّف الجبل أي عقده . ويقرب منها في العربية أَرَبَ العقدة : شدها لان الباء تنوب عن الفاء . ويقابلها في القبطية أَرَفَ . أَرَبَ (عن نقوش متوحيتب)

أراق — وريتق : أسال وأهرق

اسد - ويقابلها في العربية زأد — فهي مقلوبة وسينها زاي — رادًا وزؤدا : أفزع (عن نقوش هرم أناس السطر ٣٧٩) ويقابلها في اللغتين شَفَ وجأف : خاف . وهاد في الشيء هيدا أفزع وأكرب . وحذر : أَرَهَبَ . كلها ألفاظ عربية ومصرية

أسن — هي مقلوب ساء سأوا : عدا . وسأي ينسأي سآيا : عدا في المشي (عن نقوش هرم يبي السطر ٢٩٦)

أس — أسًا : سلح (عن قرطاس برلين الطبي ١٩ ٢٠) وساحَ أيضا كلمة مصرية وعربية كالألفاظ أخرى بمعناها

أَيْسَى — : خرتي الدار أي متاعه (عن نقوش إدفو)

أشَى — أوشى المسكان : ظهر فيه وشي من النبات

أشَى — وبالعربية عشا وعسى الليل : أظلم واغشى يغشي : اظلم

أَصَبَ — وبالعربية عَصَبَ عَصَبًا : احمَرَّ في النار (عن كتاب الموقى)

اطاب - للضيف إطابة : قدم له طعاما طيبا (قاموس ليفي الجزء ٨

ص ١٢)

إطل - وإطال - وإيطل : الخاصرة ، الجنب . قال امرؤ القيس في

وصف ناقته * لها أيتلاطي وساقا نعامه *

افا - مقصور . وبالعربية فاء فيئا : اخذ الغنيمة واغتنمها (عن جريدة

السيتشرفت لسنة ١٨٧٢ ص ٢٥)

أفت - أبت الشمس وآفت لغة في غابت (عن قاموس بروكش

الجزء ١ ص ٧)

أف - أوفأ : اضرّ وافسد

أفيه - كثير الاكل ، وبالعربية فيّة وفيّهة . والفوه النهـم الذي

لا يشبع ، واستفاه الرجل اشتد اكله بعد قلة يستفيه في الطعام والشراب

(راجع قرطاس پريس اللوح ١ ص ٨)

أقح - وبالعربية اوكح : حفر (عن قرطاس ايرس الطبي عدد ٢

اكهى -- حجر لا صدع فيه

اقس - عكس . قلبت عينه همزة ونحمت كافه فصارت قافا . يقال بالعربية

عكس البعير اذا شد حبلا في خطمه الى رسغ يده لينزل . وعكس الخيل

اقدعها (عن تابوت سیتی المحفوظ بمتحف لندرة)

أق - عيج . يقال : عجت المرأة صبيها عجا لغة في عجته عجواء اي

اسقته اللبن . ورسم بعد الكلمة امراة ترضع ابنها

اكن - الشيء - وكنه كئنا وكنونا وكنته : ستره في كنهه وغطاه

وأخفاه وصانه . واكتي : استتر (عن نقوش الملك يبي الأول السطر

(١٤٦) ومنها الكَنّ وجمعه أكنان واكنة
أَكَّ - ضاق صدره ؛ ومنه قولهم « أَكَّ لبُّهُ وخسَّ حُرُّهُ » أي ضاق
صدره ونقص لحمه (عن ورقة پريس اللوحة ٨ والسطر ١٢)

أَلَب - وابَّ لبًّا أقام (عن ص ٤٣ من رحلة سنوهيت لماسيرو)
أَلَقَّ - وتألَّق : لمع وفي المصرية تكتب بالراء أيضا (عن جريدة
مجموعة أعمال العاديات جزء ٥ صحيفة ٩٤)

أَلِكَّة - وبالقبطية أليكو وبالغربية عَلِيقٌ عَلِيقٌ : نبت يتعلق بالشجر
(عن القرطاس الثاني السحري)

أَلَّ - أَلَّهَ أَلَّا : طعمه بالآلة أي الحربة (عن قرطاس اسوريس
بمتحف فينا)

أَمَّا - (بين القوم) : أفسد ، مقلوب مأي مأيًا ومأوًّا (واوي يأي
بالغربية) (عن رحلة سنوهيت السطر ١ من الصفحة ٢ لماسيرو)

امر - الشيء : شده بالمرار وهو الحبل . وبالقبطية مُوز
أماه - ماه الشيء وأماهه : خاطه ، كلمة تذكر كثيرا في قراطيس الطب
القديمة فيقولون : « يُنَحَزَ ويماه في المروخ » أي يُصَحَن في الهاون^(١)

أَمِي - عمي يعمى : ذهب بصره كله من عينيه ، قلبت العين همزة
أَنَأَى - إِنَاءً أَبْعَدَ (عن القرطاس السحري السطر ٧ من ظهره)

أَنَأَى ونَأَى واتنَأَى - حفر أو عمل النؤيا أي الحفرة (عن نقوش
مقبرة في الكاب)

(١) نحز الشيء دقه بالمنحاز وهو الهاون ، والمروخ (كصبور) مايرخ به البدن
من دهن وغيره

أَهْد - وفي العربية هود تهويدا : رجع الصوت في لين . وغنى (عن
تمة قاموس ليفي ج ٢)

أَهْد - وفي العربية هَدَّ البناء هَدًّا وهُدوداً هدمه : ويقال هدمته المصيبة
أي أوهنت ركنته (عن كتاب نافيل في ابادة الجنس البشري بالشمس)
اهط - وهط وفي العربية وهط : الارض المطمئنة التي تزرع .
(عن نقوش معبد دندره)

أَهَّ - أَهَّاءَ وآهَةً : توجّع (عن نقوش دندرة وقرطاس پريس -
السطر ١ من اللوح ١٥)

اوتم - وقم الرجل ووكمه : قهره وأذله، وحزنه أشد الحزن فهو موقوم .
ووكم له : اغتم وجزع (عن جريدة السيشرفت لسنة ١٨٧٨ الصفحة ٤٩)
ومنه قولهم « أقوال موكمة لا ختلال سخت »^(١)

آوى - (المنزل أو الى المنزل) وغيره أويّا نزل به وولجأ اليه . وتأوى :
اجتمع (عن قرطاس برلين اللوح ١ ١٠)

إي - حرف جواب بمعنى نعم (يقع قبل القسم في العربية) ويقال به
في اللغة العامية (إيو)

أَيَا - تَأَيَّا (المتعمد بعل) : انصرف في تَوَدّة (عن نقوش الملك مرنرع
السطر ٧٤٨)

أَيْلٌ - وَأَيْلٌ : الأَيْل (وبالقبطية إيلول) وهو الحيوان المعروف الذي
يشبه الوعل

(١) سخت معبودة من معبوداتهم

الخطب الدينية

اشتغلنا بانتقادها واصلاحها

قد كان مما وفقنا الله تعالى له في أثناء الاشتغال بطلب العلم انتقاد خطباء المساجد ودواوينهم التي يحفظون خطبها ويقرؤونها على المنابر غيباً أو في الاوراق المخطوطة او المطبوعة؛ فان كل هذه الخطب أو جلها في ذم الدنيا والتزهيد فيها والتذكير بالموت ومدح الشهور والمواسم حتى المبتدعة منها، وأكثر ما فيها من الاحاديث ضعيف أو موضوع، وقد عقدت في كتاب (الحكمة الشرعية) الذي ألفته في ذلك العهد فصلاً طويلاً في الخطابة بينت فيه حكمتها ومنفعتيها وكيفية تحصيل ملكة الارتجال فيها، وما ينبغي أن تشتمل عليه الخطب الدينية في المساجد، وأنشأت عدة خطب خرجت فيها من المضيق الذي حبس خطباءنا فيه أنفسهم، واخترت لاحد الخطباء أحاديث صحيحة وحسنة لديوان أنشأه عزوتها الى مخرجها فكان أول خطيب سمعناه في بلادنا يلتزم الاحاديث الصحيحة والحسنة في خطبه معزوة الى مخرجها، على ان التزام الاحاديث في آخر الخطبة غير واجب ولا مسنون، بل هو عادة ينبغي تركها احياناً لئلا يظن أنها مشروعة فيكون الالتزام من البدع التي سماها صاحب الاعتصام البدع الاضافية

ثم اننا بعد انشاء المنار نوهنا فيه بهذه المسألة مراراً، واتفق لنا أن خطبنا في بعض المساجد خطباً مرتجلة مناسبة لحال عصرنا موافقة لما كان عليه سلفنا الصالح فكان هذا وذاك باعثاً لكثير من محبي الاصلاح

على مطالبتنا بإنشاء خطب اصلاحية تنشر في المنار عسى أن يقتبسها أو يقتبس منها الخطباء، فلم نجبرهم الى ذلك لاعتمادنا ان الغرض منه لا يتم الا اذا جاء من جانب السلطة الرسمية

مثل ذلك أننا أنشأنا خطبة في الاقتصاد في المال وقضاء الدين اقترحها علينا الشيخ علي يوسف وأخذها منا. ثم علمنا انها نشرت في القطر بأمر الحكومة بعد استحسان شيخ الازهر وإجازته.

وكنا قد مهدنا السبيل الى مثل ذلك في ديوان الاوقاف ولكن علمنا أنه لا ينفذ الا اذا اقتنع به الامير واحب تنفيذه، فكنا ننتظر الفرصة لعرض ذلك عليه واقناعه به ولم تسنح لنا، ثم شرعنا فيما هو خير من ذلك اصلاحاً وهو مدرسة الدعوة والارشاد التي يتربى فيها الخطباء المرتجلون، ولا تزال نعاني في هذه السبيل من تمهيد العقبات، ومكافحة الحساد واعداء الاصلاح، ما نرجو أن ينتصر فيه الحق على الباطل. والاخلاص على النفاق

ديوان خطب المصلح القاسمي

اطلعنا في هذه الايام على ديوان خطب عالم الشام صديقنا المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي تغمده الله تعالى برحمته، وكان أهدي اليها مطبوعاً منذ اعوام فلم يتح لنا التأمل فيه، فرأيناه أفضل ما نشر من دواوين الخطب، بخلوه من البدع والخرافات، ومن الاحاديث الواهية والموضوعات، واشتماله على الموعظة الحسنة التي يحتاج الناس اليها في جميع الاوقات، ولو كان للخطابة والتأليف حربة في بلاد الشام ايام انشائه رحمه الله تعالى لتلك الخطب لأودعها كثيراً من المسائل الاجتماعية والادبية

التي اشتدت الحاجة اليها في هذا العصر، وقد رأينا أن نقتبس بعض مقدمات هذا الديوان النفيس وخطبه فيما يلي فهاكها بنصها :

« المقدمة الاولى في الهدي النبوي في الخطبة »

قال الامام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هدي خير العباد في هديه صلى الله عليه وسلم في خطبه : كان صلوات الله عليه اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش . وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر ويقصد الكلمات الجوامع . وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الاسلام وشرائعه . ويأمرهم وينهاهم في خطبته اذا عرض له أمر أو نهي . وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته، فاذا رأى منهم ذافاة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها . وكان يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس، فاذا اجتمعوا خرج اليهم . فاذا دخل المسجد سلم عليهم . فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم، ثم يجلس ويأخذ بلال رضي الله عنه في الاذان، فاذا فرغ منه قام النبي صلى الله عليه وسلم لخطب، وكان في الجمعة يعتمد على عصا أو قوس . وكان منبره صلوات الله عليه ثلاث درجات . وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالانصات . وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة دخل الى منزله فصلى ركعتين، وفي رواية كان اذا صلى في المسجد صلى أربعاً وان صلى في بيته صلى ركعتين. انتهى ملخصاً

« الثانية في سنن الخطبة »

قال الامام النووي في الروضة في سنن الخطبة : منها أن تكون على منبر . والسنة أن يكون المنبر على يمين الموضع الذي يصلي فيه الامام . ويكره المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين اذا لم يكن المسجد متسع الخطبة، فإن لم يكن منبر خطب على موضع مرتفع، ومنها أن يسلم على من عند المنبر اذا انتهى اليه . ومنها اذا بلغ في صعوده الدرجة التي تلي موضع القعود أقبل على الناس بوجهه وسلم عليهم . ومنها أن يجلس بعد السلام . ومنها انه اذا جلس اشتغل المؤذن بالاذان، ويديم الجلوس الى فراغ المؤذن . ومنها أن تكون الخطبة بليغة غير مؤلفة من الكلمات المبتدلة ولا من الكلمات

الوحشية بل قريبة من الافهام . ومنها أن لا يطولها ولا يحققها بل تكون متوسطة . ومنها أن يستدير القبلة ويستقبل الناس في خطبتيه ولا يلتفت يمينا ولا شمالا . ومنها انه يستحب أن يكون جلوسه بين الخطبتين قدر سورة الاخلاص . ومنها أن يعتمد على عصا أو نحوه . ومنها أنه ينبغي للقوم أن يقبلوا على الخطيب مستمعين لا يشتملون بشيء آخر ، حتى يكره الشرب للتلذذ ولا بأس به للعطش لا للخطيب ولا للقوم . ومنها أن يأخذ في النزول بعد الفراغ ويأخذ المؤذن في الإقامة ويتدر ليبلغ المحراب مع فراغ المقيم . اه

« الثالثة فما يكره في الخطبة وفروع أخرى »

قال الامام النووي رحمه الله في الروضة . يكره في الخطبة أمور ابتدعها الجهالة منها التفاتهم في الخطبة الثانية . والدق على درج المنبر في صعوده . والدعاء اذا انتهى صعوده قبل أن يجلس ، ومنها مبايعتهم في الاسراع في الخطبة الثانية . ويستحب اذا كان المنبر واسعا أن يقوم على يمينه ، ويكره للخطيب أن يشير يده . ويستحب أن يختم الخطبة بقوله : أستغفر الله لي ولكم . وذكر بعضهم انه يستحب للخطيب اذا وصل المنبر أن يصلي تحية المسجد ثم يصعد ، وهو قول غريب وشاذ مردود . فانه خلاف ظاهر المنقول عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فمن بعدهم ، ولو أغني عن الخطيب فهل يني غيره على خطبته أو يستأنفها ؟ قولان . اه ملخصا

ويكره أن يتخطى المصلي رقاب الناس لما فيه من سوء الادب والاذى . ويحرم الكلام في الخطبتين والامام يخطب . وله الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعها ، ويسن سرا ، ويجوز تأمينه على الدعاء . ورفع الصوت قدام بعض الخطباء مكروه اتفاقا . كذا في الافقاع ^(١)

(١) المنار : لأهل هذا العصر بدع ومنكرات أخرى كثيرة قبل الخطبة وبعدها وفي أثناءها ، بعضها من البدع الحقيقية وبعضها من الاضافية ، فمنها التزام ذكر الخطباء الملوك والسلاطين في الخطبة الثانية بالتعظيم ورفع المؤذنين أصواتهم بالدعاء لهم وإطاعتهم في ذلك والخطيب مستترسل في خطبته وفي ذلك عدة منكرات =

الرابعة (حكم تعدد الجمعة)

الحاجة في هذه البلاد في هذه الاوقات تدعو الى أكثر من جمعة اذ ليس للناس جامع واحد يسعهم ولا يمكنهم جمعة واحدة أصلاً الا أن خروجها الى حد أن لا فرق بينها وبين بقية الصلوات في كثير من المساجد الصغيرة التي لم تشيد لمثلها قد هوّل فيه السبكي في فتاويه لانه مما تأباه مشروعيّتها وما مضى عليه عمل القرون الثلاثة بل وتسميتها جمعة فان صيغة فُعْلة في اللغة للمبالغة وبالجملة فالجوامع الكبار التي تؤمها الافواج يوم الجمعة، ويحتاج لاقامتها فيها حاجة بينة لمجاوريها، هي التي لاخلاف في جوازها مهما تعددت، والتي لاتعاد الظاهر بعدها، كما أشار له العلامة البجيرمي رحمه الله تعالى. وقد بسطناها في كتابنا [اصلاح المساجد من البدع والعوائد]

الخامسة مايسن يوم الجمعة

يسن تنظيف يوم الجمعة وتطيب ولبس أحسن الثياب واكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليدكر الرحمة بيعته، والفضل بهدايته، والمنة باقتفاء هديه وسنته، والصلاح الاعظم برسالاته، والجهاد للحق بسيرته، ومكارم الاخلاق بحكمته، وسعادة الدارين بدعوته، صلى الله عليه وعلى آله ما ذاق عارف سر شريعته، وأشرق ضياء الحق على بصيرته، فسدّد في دنياه وآخرته، آمين

﴿ طلائع الخطب النبوية ﴾

١

ان الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله — رواه الامام أحمد ومسلم عن ابن عباس = مبتدعة، ومنها ان بعض الحاضرين يقومون في أثناء الخطبة الثانية فيصلون، ومنها الدعاء برفع الايدي بين الخطبتين والاستمرار على ذلك بعد شروع الخطيب في الخطبة الثانية، ومنها صياح بعضهم في أثناء الخطبة باسم الله أو أسماء بعض الصالحين، ومنها المصافحة عقب السلام من الصلاة — الى غير ذلك

٢

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونستهديه ونستنصره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى حتى يفي الى أمر الله — رواه الشافعي والبيهقي عن ابن عباس —

٣

ان الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . يا أيها الذين آمنوا (اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) — رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن مسعود —

السيد محمد شفيع آل رضا

في ضحوة يوم الاثنين أول أيام العشر الاخير من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٣ هجرية قمرية — وأواخر العشر الأول من شهر الصيف الأول (الدرجة التاسعة من برج الاسد) سنة ١٢٩٢ هجرية شمسية — الموافق لليوم الثاني من شهر يوليو (تموز) ١٩١٥ مسيحية — وهب الله تعالى لصاحب هذه المجلة غلاما سويا أطلق عليه اسم (محمد شفيع) ولد لمحمد شفيع تام البنية ، ممتلئ الجسم ، أبيض اللون مشوبا بصفرة كما هي العادة ، أحمر الشعر ، اسود العينين الى زرقة بارز الجبهة ، طويل الغرة ، رافعا أصبعه السبابة ، ولم يلبث أن وضعها ، ولم يتقض الا اسبوع الاول الا وقد تبدلت الصفرة حمرة فصار أزهر اللون ،

فالله أسأل أن ينبتة نباتا حسنا ، ويوفقنا لتربيته تربية صالحة ، ويجعله قرة عين لوالديه وآل بيته وأمنته ، ويستجيب لنا به وبغيره ، ما دعونا وندعوه به من أدعية كتابه (ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منارة كمنار الطريق »

مصر ٣٠ شوال ١٣٣٣ — ١٧ السنبلة (ص ٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٠ سبتمبر ١٩١٥

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الأزهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(١٠٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ، أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ — إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةً الْمَوْتِ — تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَئِدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمُنِ بِاللَّهِ — إِنْ أَرَبْتُمْ — لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنْ آذَا لِمَنِ الْآثِمِينَ (١١٠) فَإِنْ عُبِرَ عَلَى أَنْهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومُنِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ،

(النمل: ج ٨) (٧١) (المجلد الثامن عشر)

فَيَقْسِمُنِ بِاللَّهِ : لَشَهِدْتُنَا أَحَقَّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا
لَيْنَ الظَّالِمِينَ (١١١) ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ
يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

جاء في أسباب نزول هذه الآيات ومعناها في الدر المنثور ما نصه :
أخرج الترمذي وضعفه وابن جرير وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه وأبو
الشيخ وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة من طريق أبي النضر وهو الكلبي عن
بازان مولى أم هانئ عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا
شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت) قال يرى الناس منها غيري وغير عدي بن
بداء وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام فاتيا الشام لتجارتهما وقدم
عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد
به الملك وهو أعظم تجارته ففرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا مترك أهله، قال
تميم فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بداء،
فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا مترك غير
هذا وما دفع إلينا غيره. قال تميم فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه
وسلم تأثمت من ذلك فأثيت أهله فأخبرتهم الخبر وأدبت إليهم خمس مئة درهم
وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها. فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البيعة فلم
يجدوا، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف، فانزل الله (يا أيها الذين
آمنوا شهادة بينكم — إلى قوله — أن ترد إيمان بعد إيمانهم) فقام عمرو بن العاصي
ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمس مئة من عدي بن بداء

وأخرج البخاري في تاريخه والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر
والنحاس والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس قال
خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بارض ليس

فيها مسلم فاوصى اليهما فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخصوصا بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله ما كتمتماها ولا اطلعتما. ثم وجدوا الجام بمكة ففعلوا بشراة من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهي فحلفا بالله: لشهادتنا أحق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهم، وأخذوا الجام وفيه نزلت (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم)

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن عكرمة قال كان تميم الداري وعدي بن بدء رجلين نصرانيين يتجران الى مكة في الجاهلية ويطلقان الإقامة بها فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم حولا متجرهما الى المدينة فخرج بديل بن أبي مارية مولى عمرو بن العاصي تاجرا حتى قدم المدينة فخرجوا جميعا تجارا الى الشام حتى اذا كانوا ببعض الطريق اشتكى بديل فكتب وصيته بيده ثم دسها في متاعه وأوصى اليهما فلما مات فتعاه متاعه فاخذوا منه شيئا ثم حجروا كما كان وقدما المدينة على أهله فدفعوا متاعه، ففتح أهله متاعه فوجدوا كتابه وعهده وما خرج به، وفقدوا شيئا فسألوهما عنه فقالوا هذا الذي قبضنا له ودفع الينا، فقالوا لهما هذا كتابه بيده، قالوا ما كتمنا له شيئا، فترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت — الى قوله — انا اذا لمن الائمين) فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستحلفوهما في دبر صلاة العصر بالله الذي لا اله الا هو ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه، فبكثا ماشاء الله أن يمكثا، ثم ظهر معهما على اناء من فضة منقوش بموه بذهب، فقال أهله هذا من متاعه، قالا نعم ولكننا اشتريناه منه ونسينا أن نذكره حين حلفنا فكرهنا ان نكذب نفوسنا، فترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية الاخرى (فان عثر على انهما استحقا اثما) فامر النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من اهل الميت ان يحلفا على ما كتبا وغيبا ويستحقانه، ثم ان تميم الداري أسلم وبايع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقول صدق الله ورسوله أنا أخذت الاناء. ثم قال يا رسول الله ان الله يظهر لك على أهل الارض كلها فهب لي قريتين من بيت لحم وهي القرية التي ولد فيها عيسى فكتب له بها كتابا، فلما قدم عمر الشام أتاه تميم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر أنا حاضر ذلك فدفعها اليه

وأخرج عبد بن حميد عن عاصم أنه قرأ (شهادة بينكم) مضاف برفع شهادة بغير نون وبخفض بينكم

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس من طريق علي عن أبي طلحة عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) هذا لمن مات وعنده المسلمون أمره الله أن يشهد على وصيته عدلين من المسلمين ثم قال (أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض) فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين أمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين فإن ارتيب بشهادتهما استحلها بالله بعد الصلاة ما اشترينا بشهادتنا ثمنا قليلا، فإن أطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما قام رجلان من الأولياء فخلعا بالله أن شهادة الكافرين باطلة، فذلك قوله تعالى (فإن عثر على أنهما استحقا إثما) يقول إن أطلع على أن الكافرين كذبا قام الأولياء فخلعا أنهما كذبا، ذلك أدنى أن يأتي الكافران بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد إيمان بعد إيمانهم، فترك شهادة الكافرين ويحكم بشهادة الأولياء، فليس على شهود المسلمين أقسام إنما الأقسام إذا كانا كافرين

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله (اثنان ذوا عدل منكم) قال من أهل الاسلام (أو آخران من غيركم) قال من غير أهل الاسلام وفي قوله (فيقسمان بالله) يقول يحلفان بالله بعد الصلاة وفي قوله (فآخران يقومان مقامهما) قال من أولياء الميت (فيحلفان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) يقول فيحلفان بالله ما كان صاحبنا ليوصي بهذا إنهما لكاذبان، وفي قوله (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد إيمان بعد إيمانهم) يعني أولياء الميت فيستحقون ماله بأيانهم ثم يوضع ميراثه كما أمر الله وتبطل شهادة الكافرين وهي منسوخة

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية (اثنان ذوا عدل منكم) قال ما من الكتاب إلا قد جاء على شيء جاء على ادلاله غير هذه الآية ولئن أنا لم أخبركم بها لآنا أجمل من الذي يترك الغسل يوم الجمعة:

هذا رجل خرج مسافرا ومعه مال فأدكه قدره فان وجد رجلين من المسلمين دفع اليهما تركته وأشهد عليهما عدلين من المسلمين ، فان لم يجد عدلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب، فان أدى فسيل ما أدى ، وان هو جحد استخلف بالله الذي لا اله الا هو دبر صلاة ان هذا الذي وقع الي وما غيبت شيئا، فاذا حلف برىء، فاذا أتى بعد ذلك صاحب الكتاب فشهدا عليه ثم ادعى القوم عليه من تسميتهم ما لهم جعلت أيمان الورثة مع شهادتهم ثم اقتطعوا حقه، فذلك الذي يقول الله (ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم)

هذا ما ورد في سبب نزول هذه الآيات وتفسير بعضها

وأما وجه اتصالها بما قبلها مباشرة فقد قال الرازي فيه انه تعالى لما أمر بحفظ النفس في قوله (عليكم أنفسكم) أمر بحفظ المال في قوله (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) اه وهذا قول غير ظاهر بل لا يصح على المعنى المعروف عند العلماء لحفظ النفس والمال إلا أن يحمل الكلام على لازم معناه . وأظهر منه ان يقال انه تعالى لما ذكرنا في آخر الآية السابقة بأن مرجعنا اليه بعد الموت وانه يحاسبنا ويجازينا ناسب ان يرشدنا في إثر ذلك الى الوصية قبل الموت والى العناية بالشهادة عليها لثلاث تضيع واما مفرداتها التي يحسن التذكير بمعناها قبل تفسير النظم الكريم فيها (الشهادة) وهي كالشهود حضور الشيء مع مشاهدته بالبصر أو البصيرة أو مطلقا — كما قال الراغب — قال : لكن الشهود بالحضور المجرد أولى ، والشهادة مع المشاهدة أولى . . . والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر . . . و « شهدت » يقال على ضربين أحدهما جار مجرى العلم وبلغظه ثقام الشهادة ويقال « أشهد بكذا » ولا يرضى من الشاهد أن يقول « أعلم » بل يحتاج أن يقول « أشهد » والثاني يجري مجرى القسم فيقول « أشهد بالله أن زيدا منطلق » فيكون قسما ، ومنهم من يقول : ان قال « أشهد » ولم يقل « بالله » يكون قسما ، ويجرى « علمت » مجراه في القسم فيجاء بجواب القسم ، نحو قول الشاعر * ولقد علمت لتأتين مني * اه ملخصا . وقد ترد بمعنى الاقرار بالشيء (والبين) أمر اعتباري يصل أحد الشيثين بالآخر أو الاشياء من زمان أو

مكان أو حال أو عمل ، وقالوا انه يطلق على الوصل والفرقة ، ومن الثاني قولهم « ذات البين » للعداوة والبغضاء ، قال تعالى (وأصلحوا ذات بينكم) أي ما بينكم من عداوة أو فساد ، وهو أمر معنوي متصل بين الافراد .

ومنها (ضربتم في الارض) أي سافرتم وتقدم في سورة النساء . ومنها (تحبسونهما) وهو من الحبس بمعنى امساك الشيء ومنعه من الانبعاث . والحبس مصنع الماء التي يمنع فيه من الجريان . ومنها (عثر) وهو من العثر على الشيء بمعنى الاطلاع عليه بالاتفاق من غير سبق طلب له ، ويقال : أعثره عليه — بمعنى أوقفه عليه وأعلمه به من حيث لم يكن يتوقع ذلك . وأصله من عثر (كقعد) عثارا وعثورا اذا سقط وأما معنى الآيات وتفسير نظمها فبينه بما يلي :

﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ﴾ أي حكم ما يقع بينكم من الشهادة أو كيفيته اذا نزلت بأحدكم أسباب الموت ومقدماته وأراد حينئذ أن يوصي هو أن يشهد اثنان الخ أو الشهادة المشروعة بينكم في ذلك هي شهادة اثنين من رجالكم ذوي العدل والاستقامة ، وذلك بأن يشهدا الموصي على وصيته سواء ائتمنها على ما يوصي به كما في واقعة سبب النزول أم لا ، ويترتب على اشهاد اياها أن يشهدا بذلك ، ومن ايجاز الآية ان عبارتها تدل على الاشهاد والشهادة جميعا والمراد بقوله « منكم » من المؤمنين وهو قول الجمهور ، وقيل من أقاربكم وروي عن الحسن والزهري وأخذ به كثير من الفقهاء ﴿ أو آخران من غيركم ان أتم ضربتم في الارض فأصابكم مصيبة الموت ﴾ أي أو شهادة شهيدين آخرين من غير المسلمين أو من الاجانب ان كنتم مسافرين ونزلت بكم مقدمات الموت وأردتم الايصال . وفي الكلام تأكيد شديد للوصية والاشهاد عليها ﴿ تحبسونهما من بعد الصلاة ﴾ استئناف بياني كأن السامع لما تقدم يقول وكيف يشهدان؟ فأجيب بهذا الجواب أي تمسكون الشهيدين اللذين أشهدا وحضرا على الوصية من بعد الصلاة . قال الاكثرون المراد صلاة العصر — لان النبي (ص) حلف عديا وتميما فيه ، ولأن العمل جرى عليه فكان التحليف

فيه هو المعتاد المعروف، ولأنه الوقت الذي يقعد فيه الحكام للقضاء والفصل في المظالم والدعاوى لا اعتداله واجتماع الناس فيه إذ يكونون قد فرغوا من معظم أعمال النهار — أولأن هذا الوقت وقت صلاة عند غير المسلمين أيضا فهو وقت ذكر الله الذي يرجى فيه اتقاء الكذب والخيانة — أولأن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى، أولأنها تحضرها ملائكة الليل والنهار فيتحرى المؤمن أن يكون بعدها متصفا بالكمال. وقيل أن المراد جنس الصلاة المفروضة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر فيكون جديرا بالصدق من يكون قريب عهد بها، وقال الحسن البصري المراد الظهر أو العصر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما، وروي عن ابن عباس أن الشهيدين إذا كانا غير مسلمين فالمراد بالصلاة صلاة أهل دينهما، أي لما ذكرنا من علة ذلك أننا فيقسم بالله أن ارتبتم أي فيقسم الشاهدان على الوصية أن شككتم في صدقهما فيما يقران به، أي وتستقسمونهما فيقسمان، والأمين يصدق باليمين. وقال بعضهم: الفاء الجزاء أي تحبسونهما فيقدمان لأجل ذلك على القسم. قيل هذا خاص بالشهود من الكفار إذا اتهموا أي لأنه لم يشترط فيهم أن يكونوا عدولا. وقيل عام وقد نسخ، والصواب أنه لا نسخ في الآيات. قال الرازي: وعن علي عليه السلام، أنه كان يحلف الشاهد والرواي عند التهمة. ويجب أن يصرحا في قسمهما بقولهما ﴿لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى﴾ أي لا نشترى بيمين الله ثمنا. أي لا نجعل يمين الله كالسلعة التي تبذل لأجل ثمن ينفع به في الدنيا ولو كان المقسم له من أقاربنا، وصح إرجاع الضمير إلى المقسم لأجله للعلم به من غوى الكلام كقوله تعالى (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) وهذا موافق لقوله تعالى (٤: ١٣٤) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) والمراد أن يقول المقسم أنه يشهد لله بالقسط ولا يصد عنه ذلك ممن يبتغيه لنفسه، ولا مراعاة قريب له أن فرض أن له نفعا في إقراره وقسمه، أي ولو اجتمعت المنفعتان كلتاهما ﴿ولا نكنتم شهادة الله﴾ ويقولان في قسمهما أيضا: ولا نكنتم الشهادة التي أوجبها الله تعالى وأمر بأن نقام له في قوله (وأقيموا الشهادة لله)

﴿إِنَّا إِذَا آمَنَ الْآمِنِينَ﴾ أي إنا إذا اشترينا بالقسم ثمننا أو راعينا به قريبا بأن كذبنا فيه لمنفعة أنفسنا أو قرابة لنا ، أو كتمنا شهادة الله كلها أو بعضها بأن ذكرنا بعض الحق وكتمنا بعضا — نكون من المتحملين للآثم ، المتمكنين فيه المستحقين جزائره . والآثم في الأصل ما يقعد بصاحبه عن عمل الخير والبر من معصية وغيرها . وهذا التعبير أبلغ من « إنا إذا لآثمون »

﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان﴾ قرأ الجمهور « استحق » بضم التاء على البناء للمفعول ، وحض عن عاصم بفتح التاء بالبناء للفاعل وهي مروية عن علي وابن عباس وأبي ، وقرأ يعقوب وخلف وحمة وعاصم في رواية أبي بكر عنه (الاولين) جمع الاول الذي يقابله الآخر ، مع قراءتهم استحق بالبناء للمفعول ، وقرأه الباقر (الاوليان) مثني الاول سواء منهم من قرأ استحق بالبناء للمفعول ومن قرأه بالبناء للفاعل ، ورسم الاوليان والاولين في المصحف الامام واحد وهو هكذا (الاولين) . والمعنى فان اتفق الاطلاع على ان الشهيدين المقسمين استحقا إثما بالكذب أو الكتمان في الشهادة أو بالخيانة وكتمان شيء من التركة في حالة ائتمانها عليهما — كما ظهر في الواقعة التي كانت سبب النزول — فالواجب أو فالذي يعمل لإحقاق الحق هو ان يرد اليمين الى الورثة بأن يقوم رجلان آخران مقامهما من أولياء الميت الوارثين له الذين استحق الإثم بالأجرام عليهما والخيانة لهما ، وهؤلاء الرجلان الوارثان ينبغي ان يكونا هما الاوليين بالميت أي الاقربين اليه الاحقين بارثته ان لم يمنع من ذلك مانع ، — كما تفيد قراءة الجمهور — أو غيرهما منهم كما تفيد قراءة من قرأ (الاولين) وهو صفة للذين استحق عليهم أو منصوب على الاختصاص . وتحمل القراءة الاولى على طلب الاكمل وهو ان يشهد أقرب الورثة الى الميت . والقراءة الثانية على ما اذا منع مانع من إقسام أقرب الورثة أو كانت المصلحة في حلف غيره لامتيازه بالسن أو الفضيلة ، هذا اذا أريد بالاوليين الاوليين الميت الموصي ، ويجوز ان يراد الاوليان بالقسم أي من يرى الامام أو نائبه انهما أجدر الورثة باليمين لقربهما أو لفضلهما .

وأما قراءة حفص عن عاصم - وبها يقرأ أهل بلادنا - فقال أكثر المفسرين في توجيهها: ان «الاوليان» فيها فاعل «استحق» والمفعول محذوف والتقدير: من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان بأمر الميت منهم لقربهما أو معرفتهما أن يندبا للشهادة واليمين من يظهر كذب الكاذبين . وذهب الامام الرازي الى أن الاولين في هذه القراءة هما الوصيان قال: ووجهه ان الوصيين اللذين ظهرت خيائتهما هما أولى من غيرهما - بسبب ان الميت عينهما للوصاية ولما خانا في مال الورثة صح ان يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان أي خان في مالهم الاوليان ، وقرأ الحسن الاولان ووجهه ظاهر مما تقدم اهـ

أقول: الوجه عندي في هذا أن يقال إنهما الاوليان باليمين في الاصل لانهما منكران باليمين على من أنكره وكان المقام مقام الاضرار - بأن يقال: من الذين استحقا عليهم الاثم - فوضع المظهر وهو الاوليان موضع الضمير لافادة أن الاصل في الشرع أن تكون اليمين عليهما ولكن استحقاقهما الاثم بما ظهر من حشهما اقتضى ردها أي اليمين الى الورثة

﴿ فيقسمان بالله : لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا ﴾ أي يحلفان على ان ما شهدا به من خيانة الشهيدين اللذين شهدا أولاً على وصية ميتهما أحق وأصدق من شهادتهما بما كانا شهدا به، وانهما ما اعتديا عليهما بتهمة باطلة أو ما اعتديا الحق فيما اتهموهما به ﴿ انا اذا لمن الظالمين ﴾ أي ويقولان في قسمهما إنا اذا اعتدينا الحق وقلنا الباطل لداخلون في عداد الظالمين لانفسهم بتعرضها لسخط الله تعالى وانتقامه ، والظالمين لمن اتهمه ميتهم ، وظلمهما محرم عليهم

ثم بين تعالى حكمة شرعه لهذه الشهادة وهذه الايمان ، في هذا الامر المبني على الثقة والاثمان، فقال ﴿ ذلك أدنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا ان ترد أيمان بعد أيمانهم ﴾ أي ذلك الذي ذكر من تكليف المؤمن على الوصية القيام على مشهد من الناس بعد الصلاة وإقسامه تلك اليمين المغلظة أقرب الوسائل الى ان يؤدي الشهداء الشهادة على وجهها بلا تغيير ولا تبديل ، تعظيماً لله ورهبة من عذابه ورغبة في ثوابه ، أو خوفاً من الفضيحة التي تعقب استحقاقهما الاثم في الشهادة برد

إيمان الى الورثة بعد أيمانهم تكون مبطله لها ، فمن لم يمنعه خوف الله وتعظيمه ان يكذب أو يخون لضعف دينه يمنعه خوف الفضيحة على أعين الناس

﴿ واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ أي واتقوا الله أيها المؤمنون في الشهادة والامانة وفي كل شيء واسمعوا سمع اجابة وقبول هذه الاحكام وسائر ما شرعه الله تعالى لكم ، فان لم تنتقوا وتسمعوا كنتم فاسقين عن أمر الله تعالى محرومين من هدايته مستحقين لعقابه

﴿ إيضاح لتفسير الآيات وبلاغتها وما يستنبط منها ﴾

قال الرازي بعد تفسير الآية الثانية: اتفق المفسرون على أنها في غاية الصعوبة إعرابا ونظما وحكما ، وروى الواحدي رحمه الله في البسيط عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : هذه الآية أعضل ما في هذه السورة من الاحكام . اهـ

وأورد الآكوسي في روح المعاني عبارة الرازي عن المفسرين دون رواية الواحدي عن عمر ، ثم نقل مثلها عن السعد التفتازاني وعن الطبرسي في الآيتين — لا الثانية فقط — وقال : ان الطبرسي افتخر بما أتى فيه ولم يأت بشيء .

(أقول) لعل أول من قال ذلك الزجاج النحوي ، ونحن لا يروعا ما يراه المفسرون من الصعوبة في إعراب بعض الآيات أو في حكمها لان لهم مذاهب في النحو والفقه يزنون بها القرآن فلا يفهمونه إلا منها ، والقرآن فوق النحو والفقه والمذاهب كلها ، فهو أصل الاصول ، ما وافقه فهو مقبول ، وما خالفه فهو مردود مردول ، وانما يهمننا ما يقوله علماء الصحابة والتابعين فيه ، فهو العون الاكبر لنا على فهمه ، ولم يرو عن أحد منهم ما يدل على وجدان شيء من الصعوبة في عبارة الآيتين أو أحكامهما . وما نقله الواحدي عن عمر (رض) في آية « فان عثر على أنهما استحقا إثما » فليس مما يؤيد ما نقل عن المفسرين من استصعابها ، بل معناه أن أحكامها أشد من سائر أحكام السورة ، ولعله يعني بذلك ما فيها من التضيق في رد ايمان بعد ايمان ، واظهار فضائح من كذب وخان ، قال في حقيقة الاساس : عضلت على فلان — ضيقت عليه أمره وحلت بينه وبين ما يريد .

ومنه النهي عن عضل النساء أي منعهن من الزواج ولكن أصحاب المذاهب الفقهية اضطربوا في عدة أحكام من أحكامها لمحيئها مخالفة لأقيستهم ولما عليه العمل في سائر الأحكام — منها حلف الشاهد اليمين ، ومنها شهادة غير المسلم فيما هو خاص بالمسلمين ، ومنها العمل بيمين المدعي ، وقد اجتهدوا في تخريج كل مسألة من تلك المسائل على الثابت عندهم كما تراه قريبا . حتى ادعوا في بعضها النسخ ، ورووه عن بعض الصحابة بسند لم يصح ، فلهذا رأينا بعد تفسير الآيتين بما يفهم من ظاهر اللفظ بالاختصار أن نفصل ما اشتملتا عليه من الفوائد والأحكام ، ليظهر حتى للضعيف في علم العربية ما فيهما من إعجاز الإيجاز ، وما جنته عليه المذاهب النحوية والفقهية على كثير من العلماء ، حتى قال ما قال في الآيتين أشهرهم بسعة الإطلاع أو بالدقة والذكاء .

أما دعوى النسخ فقد علمت مما سلف ما عليه المحققون من أنه ليس في سورة المائدة منسوخ ، وقد حرر المسألة الحافظ ابن كثير في تفسيره فقال :

«ومن الشواهد لصحة هذه القصة أيضا ما رواه أبو جعفر ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الصلاة بدقوقا قال فحضرته الوفاة ولم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب — قال — فقدا الكوفة فأتيا الأشعري يعني أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فأخبراه وقدا الكوفة بتركته ووصيته ، فقال الأشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال — فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا ، وانها لوصية الرجل وتركته ، — قال — فأمضى شهادتهما . ثم رواه عن عمرو بن علي الفلاس عن أبي داود الطيالسي عن شعبة عن مغيرة الأزرق عن الشعبي أن أبا موسى قضى به . وهذان اسنادان صحيحان إلى الشعبي عن أبي موسى الأشعري . فقله : هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهر — والله أعلم — أنه إنما أراد بذلك قصة نعيم وعدي بن بداء ، وقد ذكروا أن إسلام نعيم بن أوس الداري رضي الله عنه كان سنة تسع من الهجرة ، فعلى هذا يكون هذا الحكم متأخرا يحتاج مدعي نسخه إلى

دليل فاصل في هذا المقام والله أعلم »

ثم قال الحافظ ابن كثير بعد أن أورد قول السدي في الآية الأولى :
 « قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه كآني أنظر إلى العلجين حين
 اتعهي بهما إلى أبي موسى الأشعري في داره ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت
 وخوفوها فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر ، فقلت انهما لا يباليان صلاة
 العصر ، ولكن استحلفهما بعد صلاتهما في دينهما ، فيوقف الرجلان بعد صلاتهما في
 دينهما فيحلفان بالله (لا نشترى به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة
 الله انا اذا لمن الآثمين) ان صاحبهم لهذا أوصى وان هـ ذه لتركته ، فيقول لهما
 الامام (أي الحاكم) قبل أن يحلفا انكما ان كنتمما أو ختمنا فضحتكما في قومكما ولم
 تجز لكما شهادة وعاقبتكما . فاذا قال لهما ذلك فان (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة
 على وجهها) رواه ابن جرير اه المراد من كلام ابن كثير وتأمل قوله « ولم تجز
 لكما شهادة » فالظاهر انه من كلام ابن عباس (رض) وسيأتي لبحث دعوى
 النسخ واستشكال الفقهاء مزيد بيان قريبا

وأما الفوائد والاحكام التي اشتملت عليها الآيتان بإيجازها ، فهناك ما يتبادر
 إلى الذهن منها

- (١) الحث على الوصية وتأكيدها وأمرها وعدم التهاون فيها بشواغل السفر وان
 قصرت فيه الصلاة وأبيح فيه الافطار في رمضان
- (٢) الاشهاد على الوصية في الحضر والسفر ، ليكون أمرها أثبت ، والرجاء في
 تنفيذها أقوى ، وان كثيرا من الناس يكتبون وصيتهم ولا يشهدون أحدا عليها
 فيكون ذلك في بعض الاحيان سببا لضياعها
- (٣) ان الاصل في الاشهاد على الوصية أن يختار الشاهدان من المؤمنين الموثوق
 بعدلتهم كما ثبت في آيات أخرى أيضا ، وحكمته ظاهرة من وجوه لا حاجة
 إلى شرحها

- (٤) ان اشهاد غير المسلمين على الوصية جائز مشروع . فان وجبت الوصية
 وجب بشرطه والا فهو مندوب ، لان مقصد الشارع من اثبات الوصية لا يترك

البتة اذا لم يتيسر اقامته على وجه الكمال ، اذ الميسور لا يسقط بالمعسور ، والمقام هنا مقام اثبات الحقوق ، لامقام التعبد الذي يشترط فيه الايمان . ولا مقام التشريف والتكريم للاديان وأهل الاديان

(٥) ان الشهادة تشمل ما يقوله كل من الخصمين من إقرار في القضية أو إنكار . ونفي للمدعى به أو إثبات

(٦) شرعية اختيار الأوقات التي تؤثر في قلوب الشهود ومقسمي الايمان ويرجى أن يصدقوا ويبروا فيها كما بيناه في تعليل القسم بعد الصلاة ، ومثله في ذلك اختيار المكان ؛ وهو مشروع أيضا . ومما ورد في السنة في ذلك ما رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائي وصححه وابن ماجه بسند رجاله ثقات وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصحوه عن جابر مرفوعا « لا يحلف أحد عند منبري كاذبا الا تبوأ مقعده من النار » وعن أبي هريرة حديث بمعناه عند أحمد وابن ماجه . وروى النسائي بإسناد رجاله ثقات عن أبي أمامة بن ثعلبة رفعه « من حلف عند منبري هذا يمين كاذبة يستحل بها مال امرئ مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » واستدل بالآية وبهذه الأحاديث جماهير الفقهاء على جواز التغليظ على الحالف بمكان معين ثبتت حرمة شرعا كالمسجد الحرام ، وخاصة ما بين الركن ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والمسجد النبوي وخاصة ما كان منه عند منبره صلى الله عليه وسلم ، وبالزمان كيوم الجمعة وبعد صلاة العصر ، وقال بعضهم — ومنهم الحنفية — أن ما ذكر من النصوص لا يدل على ذلك . ولعله لا ينكر أحد التغليظ بما ورد فيها ، وإنما الخلاف في القياس عليها أو الأخذ بفحواها وقال الرازي في تفسير الآية : قال الشافعي رحمه الله الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعناق والمال اذا بلغ مئتي درهم — في الزمان والمكان ، فيحلف بمكة بين الركن والمقام ، وبالمدينة عند المنبر ، وفي بيت المقدس عند الصخرة ، وفي سائر البلدان في أشرف المساجد ، وقال أبو حنيفة رحمه الله يحلف من غير أن يختص الحلف بزمان ومكان ، وهذا على خلاف الآية ، ولأن المقصود منه التهويل والتعظيم ، ولا شك أن الذي قاله الشافعي رضي الله عنه أقوى اه

هذه العبارة تشهد على نفسها بالتعصب فلا يقال أن أبا حنيفة خالف الآية إلا إذا أجاز ترك العمل بمنطوقها في هذا الموضوع نفسه
(٧) التغليظ على الحالف بصيغة اليمين بأن يقول فيه ما يرجي أن يكون رادعا للحالف عن الكذب كالالفاظ التي وردت في الآية ، وأشد منها ماورد في شهادة اللعان ، وقد جرى على هذا أصحاب الجمعيات السياسية في الاسلام وغيره فاخترعوا أيماناً وأقساماً قديتحمي أفسق الناس وأجرأهم على الاجرام أن يخنث بها . وقد بينا ما يجب البر به وما يجب الخنث به من الايمان وسائر مهمات أحكامها في تفسير آية كفارتها من هذه السورة

(٨) ان الاصل في أخبار الناس وشهاداتهم التي هي أخبار مؤكدة صادرة عن علم صحيح أن تكون مقبولة مصدقة. ولهذا شرط في حكم تحليف الشاهدين الارتياح في خبرهما ، وصدر هذا الشرط بأن التي لا تدل على تحقق الوقوع ، اشارة الى أن الاصل في وقوعها أن يكون شاذاً

(٩) ان الاصل في الناس أن يكونوا أمناء ، وفي المؤتمن أن يكون أميناً ، وأن يكون مايقوله في أمر الامانة مقبولا . ولذلك قال « فان عثر على انهما استحقا اثماً » فأفادت أداة الشرط ان الاصل في هذا أن لا يقع ، وانه ان وقع كان شاذاً . وأفاد فعل « عثر » المبني للمفعول ان هذا الشذوذ ان وقع فشأنه أن يطلع عليه بالمصادفة والاتفاق ، لا بالبحث وتتبع العثرات

(١٠) شرعية تحليف الشهود اذا ارتاب الحكماء أو الخصوم في شهادتهم ، وهو الذي عليه العمل الآن في اكثر الامم ، بل تحتمه قوانينها الوضعية باطراد لكثرة ما يقع من شهادة الزور ، وسيأتي بحث الفقهاء في ذلك

(١١) شرعية تحليف المؤتمن والعمل بيمينه

(١٢) شرعية رد اليمين الى من قام الدليل على ضياع حق له بيمين صار حالفها خصماً له . ومن هذا القبيل شهادة المتلاعنين وأقسامهما ، فاذا شهد الرجل على امرأته بالزنا تلك الشهادة المشروعة في سورة النور المتضمنة للقسم المغاظ — ترد الشهادة مع اليمين الى زوجه التي رماها بذلك ، فاذا شهدت بالله مثل شهادته سقط عنها الحد

وبرئت من التهمة في شرع الله ، وبالنسبة الى غيره من عباد الله . ومنه أيمان القسامة في الدماء ، وقد اختلف الفقهاء فيمن يبدأ باليمين — ألمدعون ذوو القتل ؟ أم المدعى عليهم ذوو المتهم بالقتل ، وأيا ما كان البادؤن فإن الايمان ترد الى الآخرين (١٣) اذا احتيج الى قيام بعض الورثة لميت بأمر يتعلق بالتركة فالذي يجب تقديمه منهم للقيام به من كان أولاهم به . ومن بلاغة الایجاز إيهام الاولين بالقسم في الآية لاختلاف الاولوية باختلاف الاحوال والوقائع كما أشرنا اليه . فاذا تعين أصحاب الاولوية بلا نزاع فذاك والا فالحاكم هو الذي يقدم من يراه الاولى . كل هذه الاحكام مفهومة من الآيتين فتأمل جمعها لهذه المعاني الكثيرة على إيجازهما وإيضاحهما للمعنى المقصود بهما بالذات

❦ فصل في حكم شهادة غير المسلمين على المسلمين ❦

هذا بحث شرعي يجب أن نعطيه حقه من الاستقلال في الاستدلال اعلم أن آيات القرآن في الشهادة منها المطلق ومنها المقيّد . قال تعالى في اللّاتين يأتين الفاحشة من المسلمات (٤: ١٤) فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) الآية وقال تعالى في شأن المطلقة المعتدة من سورة الطلاق (٦٥: ٢) فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) وقال تعالى في آية التّسدين (٢: ٢٨٢) واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء — ثم قال فيها — وأشهدوا اذا تبايعتم) ولم يقل هنا « ذوي عدل منكم » ومثله في الاطلاق قوله تعالى في الايتام (٤: ٥) فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) فاذا تأملنا في هذه الآيات مع آيتي المائدة اللتين نحن في صدد تفسيرهما وبجئنا عن حكمة الاطلاق والتقييد فيهن كلهن نرى انه جل وعز اشترط في الاستشهاد أو الإشهاد في الوقائع المتعلقة بامور المؤمنات الشخصية ان يكون الشهداء من المؤمنين ، ولم يذكر هذا القيد في الاشهاد على دفع اموال اليتامى اليهم ، ولا في الاشهاد على البيع ، والفرق بين الاحكام المالية المحضة وأحكام النساء المؤمنات جلي واضح ، واما

قوله في آية الدين وهي في الاحكام المالية (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) فظاهر اللفظ ان المراد به الرجال المؤمنون لانهم المخاطبون، وهو الذي عليه الجماهير، ويحتمل ان يكون هذا الوصف لاجل بيان تقديم صنف الرجال في الشهادة على ما يقابله من شهادة الصنفين، وان الاضافة فيه روعي فيها الواقع أو الغالب بقريئة وصف المقابل بقوله (من ترضون من الشهداء) اذ لم يقل « من شهدائكم » او « من رجالكم ونسائكم » ثم بقريئة اطلاق الامر بالاشهاد على الدين في الآية نفسها

فلعلنا ان يقول لو اراد الله تعالى ان يبين لنا انه لا يجوز لنا ان نشهد في الاعمال المالية غير المؤمنين لجاء في كل نص من تلك النصوص بما يدل على ذلك وان تقاربت على حد قوله في الأمور العامة (٨٢:٤) ولو رده الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وانما يدل مجموع الآيات على أن الاصل أو الكمال في الاشهاد أن يكون الشهود من عدول المؤمنين للثقة بشهادتهم، والاحتراز من الكذب والزور والخيانة التي يكثر وقوعها ممن لا ثقة بايمانهم وعدالتهم، وان يلزم هذا الاصل في الاشهاد على الامور الخاصة بنساء المسلمين وبيوتهم اذ لا يحتاج فيها الى غيرهم، ولوجوب الاحتياط فيها، ومن هذا الاحتياط ورود نص القرآن فيمن يقذف امرأة بأن يجلد ثمانين جلدة وأن لا تقبل له شهادة أبدا

وبناء على هذا يقال في آية المائدة ان الله تعالى قدم اشهاد عدول المؤمنين على الوصية لانه الاصل الذي يحصل به المقصود على الوجه الكامل، وأجاز اشهاد غيرهم في الحال التي لا يتيسر فيها ذلك، وان الشرط في قوله « ان أنتم ضربتم في الارض » جاء لبيان هذه الحال فمفهومه غير مراد، كقوله تعالى (ولا تكثرها فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا) ومن يرى رأي الخنفية في عدم الاحتجاج بمفهوم الشرط ومفهوم اللقب يمكنه أن يرجح هذا القول أي ترجيح، والكلام فيما تدل عليه آيات القرآن، دون ما يدعى فيه غير ذلك من قياس أو إجماع فقهاء

ودونك ماورد في ذلك عن علماء السلف وأئمة الفقه كالمخلصه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري — ونقله الشوكاني عنه في (نيل الأوطار) في شرح حديث

ابن عباس في قصة السهمي المتقدمة الذي رواه البخاري وأبو داود^(١) قال :
 « واستدل بهذا الحديث على جواز شهادة الكفار بناء على ان المراد بالغير في
 الآية الكريمة الكفار ، والمعنى (منكم) أي من أهل دينكم (أو آخران من غيركم)
 أي من غير أهل دينكم . وبذلك قال أبو حنيفة ومن تبعه . وتعقب بأنه لا يقول
 بظاهرها فلا يجوز شهادة الكفار على المسلمين وإنما يجوز شهادة بعض الكفار على
 بعض . وأجيب بأن الآية دلت بمنطوقها على قبول شهادة الكافر على المسلم ، وبإيمائها
 على قبول شهادة الكافر على الكافر بطريق الأولى . ثم دل الدليل على ان شهادة
 الكافر على المسلم غير مقبولة ، فبقيت شهادة الكافر على الكافر على حالها . وهذا
 الجواب على التعقب في غير محله لأن التعقب هو باعتبار ما يقوله أبو حنيفة لا
 باعتبار استدلاله

« وخص جماعة القبول بأهل الكتاب وبالوصية وبفقد المسلم حينئذ ، ومنهم
 ابن عباس وأبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وشرح وابن سيرين والاوزاعي
 والثوري وأبو عبيدة وأحمد وأخذوا بظاهر الآية وحديث الباب ، فإن سياقه
 مطابق لظاهر الآية

« وقيل المراد بالغير غير العشيرة والمعنى (منكم) أي من عشيرتكم (أو آخران من

(١) رواه البخاري في آخر كتاب الوصايا من طريق محمد بن أبي القاسم عن
 عبد الملك بن سعيد بن جبير عن ابن عباس معبرا عن سماعه بقوله : وقال لي علي
 ابن عبد الله : حدثنا يحيى بن آدم الخ قال الحافظ في الفتح : انه يعبر بقوله « وقال
 لي » في الاحاديث التي سمعها لكن حيث يكون في اسنادها عنده نظر أو حيث
 تكون موقوفة . وقال في محمد بن أبي القاسم : وثقه يحيى بن معين وأبو حاتم وتوقف
 فيه البخاري مع كونه روى حديثه هذا هنا فروى النسفي عن البخاري قال لأعرف
 محمد بن أبي القاسم هذا كما ينبغي . ثم قال الحافظ عند ذكر تميم الداري أحد أصحاب
 الواقعة : وذلك قبل أن يسلم وعلى هذا فهو من مرسل الصحابي لأن ابن عباس لم
 يحضر هذه القصة اه . وقد علم بهذا محل النظر عنده فيه ، وهو لا يتأني في صحته .
 ورواه أبو داود من هذه الطريق أيضا . وصرح البخاري بأنه لم يرو من غيرها
 (المنار: ج ٨) (٧٣) (المجلد الثامن عشر)

غيركم) أي من غير عشيرتكم، وهو قول الحسن البصري. واستدل له النحاس بأن لفظ آخر لا بد أن يشارك الذي قبله في الصفة حتى لا يسوغ أن يقول مررت برجل كريم ولثيم آخر، فعلى هذا فقد وصف الاثنان بالعدالة فتعين أن يكون الآخران كذلك. وتعقب بأن هذا وإن ساغ في الآية لكن الحديث دل على خلاف ذلك والصحابي إذا حكى سبب النزول كان ذلك في حكم الحديث المرفوع — اتفاقاً — وأيضاً ففيما قال رد المختلف فيه بالمختلف فيه، لأن اتصاف الكافر بالعدالة يختلف فيه وهو فرع قبول شهادة، فمن قبلها وصفه بها ومن لا فلا

« واعترض أبو حيان على المثال الذي ذكره النحاس بأنه غير مطابق، فلو قلت جاءني رجل مسلم وآخر كافر صرح، بخلاف ما لو قلت جاءني رجل مسلم وكافر آخر، والآية من قبيل الأول لا الثاني، لأن قوله آخران من جنس قوله اثنان لأن كلا منهما صفة رجلان فكأنه قال فرجلان اثنان ورجلان آخران

« وذهب جماعة من الأئمة إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (من ترضون من الشهداء) واحتجوا بالاجماع على رد شهادة الفاسق، والكافر شر من الفاسق. وأجاب الأولون أن النسخ لا يثبت بالاحتمال، وأن الجمع بين الدليلين أولى من إلغاء أحدهما، وأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن، حتى صح عن ابن عباس وعائشة وعمر بن الخطاب وجماعة من السلف أن سورة المائدة محكمة وعن ابن عباس أن الآية نزلت فيمن مات مسافراً وليس عنده أحد من المسلمين فإن اتهموا استحلوا. أخرجه الطبري بإسناد رجاله ثقات، وأنكر أحمد على من قال أن هذه الآية منسوخة، وقد صح عن أبي موسى الأشعري أنه عمل بذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم (وساق الحافظ الحديث وقال أن حكمه لم ينكره أحد من الصحابة فكان حجة. وذكر رد الطبري والرازي لقول من قال إنها في الأقارب والاجانب وقد تقدم ذلك كله ثم قال)

« وذهب الكرايسي والطبري وآخرون إلى أن المراد بالشهادة في الآية اليمين، قالوا وقد سمي الله اليمين شهادة في آية اللعان، وأيدوا ذلك بالاجماع على أن الشاهد لا يلزمه أن يقول أشهد بالله، وأن الشاهد لا يمين عليه أنه شهد بالحق، قالوا فالمراد

بالشهادة اليمين لقوله (فيقسمان بالله) أي يحلفان فإن عرف انها حلفا على الائم رجعت اليمين على الاولياء. وتعقب بأن اليمين لا يشترط فيه عدد ولا عدالة بخلاف الشهادة، وقد اشترطا في هذه القصة فتوي حلفا على انها شهادة

« وأما اعتلال من اعتل في ردها بأن الآية تخالف القياس والاصول لما فيها من قبول شهادة الكافر وحبس انشاهد وتحليفه، وشهادة المدعي لنفسه، واستحقاقه بمجرد اليمين، فقد أجاب من قال به بأنه حكم بنفسه مستغن عن نظيره، وقد قبلت شهادة الكافر في بعض المواضع كما في الطب، وليس المراد بالحبس السجن وإنما المراد الامساك لليمين ليحلف بعد الصلاة. وأما تحليف الشاهد فهو مخصوص بهذه الصورة عند قيام الريبة. وأما شهادة المدعي لنفسه واستحقاقه بمجرد اليمين فإن الآية تضمنت نقل الأيمان اليهم عند ظهور اللوث بخيانة الوصيين، فيشرع لهما أن يحلفا ويستحقا، كما يشرع لمدعي القسامة أن يحلف ويستحق، فليس هو من شهادة المدعي لنفسه بل من باب الحكم له بيمينه القائمة مقام الشهادة لقوة جانبه. وأي فرق بين ظهور اللوث في صحة الدعوى بالدم وظهوره في صحة الدعوى بالمال؟ وحكي الطبري أن بعضهم قال المراد بقوله (اثنان ذوا عدل منكم) الوصيان قال والمراد بقوله (شهادة بينكم) معنى الحضور لما يوصيهما به الوصي. ثم زيف ذلك » اهـ

قال الشوكاني بعد نقل ما تقدم عن الفتح: وهذا الحكم يختص بالكافر الذي، وأما الكافر الذي ليس بذمي فقد حكي في البحر الاجماع على عدم قبول شهادته على المسلم مطلقا. اهـ

وأقول: ما أورده الشوكاني من دعوى صاحب البحر من أئمة الزيدية الاجماع على عدم قبول شهادة الكافر غير الذمي مطلقا مردود بما نقله السيوطي في الدر المنثور

سعة أحكام الكتاب والسنة وتضييق الفقهاء

وبقي هنا بحث مهم وهو أن أحكام القرآن في هذه المسألة وفي غيرها أوسع مما جرى عليه الفقهاء، وكذلك أحكام السنة، وكل ما في الفقه من التشديد والتقييد فهو من اجتهاد الفقهاء، ولا سيما المصنفين منهم الذين جاءوا بعد الصحابة والتابعين.

وأولى الأحكام الاجتهادية بالنظر والاعتبار ما اتفق عليه كبار المجتهدين ، وجرى عليه عمل حكام العصور الاولى من المسلمين ، ومنه عدم قبول شهادة الكافر على المسلم في القضايا الشخصية والمدنية والجنايية على حد سواء ، فما سبب ذلك ؟ ولماذا لم يأخذوا بظاهر آية المائدة - وهي من آخر ما نزل من القرآن - فيعدها شارعة لقبول شهادة غير المسلم عند الحاجة مطلقاً ، أو في غير ما ورد النص بشهاد المسلمين العدول عليه لحكمة تقتضي ذلك كما تقدم آنفاً في بيان المقابلة بين آيات الشهادة ؟ أو ليس الغرض من الشهادة أن تكون بينة يعرف بها الحق ، وقد يتوقف بيانه على شهادة شهداء من غير المسلمين يثق الحاكم بصدقهم وصحة شهادتهم ؟

الجواب عن هذا السؤال يعلم بالنظر فيما استدلوا به على منع شهادة الكافر وبمعرفة حال المسلمين مع الكفار في عصر التنزيل وعصر وضع الفقه والتصنيف فيه وعمل الحكام بأقوال علمائه

فأما الاستدلال فقد علم مما تقدم أن له من القرآن مأخذين (الاول) جعل قوله تعالى (واستشهدوا ذوي عدل منكم) مقيداً للاطلاق في قوله تعالى (وأشهدوا اذا تبايعتم) وفي هذا الاستدلال ابحاث (أحدها) انه من مسائل الاصول التي اختلف فيها المتفقون على منع شهادة غير المسلم على المسلم ، وقد اتفقوا على ان المطلق والمقيد اذا اختلفا في السبب والحكم لا يحمل أحدهما على الآخر ، واذا اتفقا فالخلاف في عدم الحمل ضعيف والجمهور على الحمل ، وأما اذا اختلفا في السبب دون الحكم كمسائل الاشهاد على الفسء واليتمى والبيع والوصية وكذا عتق الرقبة في كفارات القتل والظهار واليمين ، فالخلاف في الحمل وعدمه قوي والاقوال فيه متعددة فلم اتفق المختلفون فيها على منع شهادة غير المسلم مطلقاً أو فيما عدا الوصية أو الطب ؟

(ثانيها) ان الاشهاد الاختياري غير الشهادة ، فالامر باختيار أفضل الناس ايماناً وعدالة للاشهاد لا يستلزم عدم الاعتداد بشهادة من دونهم في الفضيلة . فان الشهادة بينة ، والبيئة كل ما يتبين به الحق كما يدل عليه استعمال الكتاب والسنة ، وقد أطال العلامة ابن القيم في اثبات هذا وايضاحه في كتابه (أعلام الموقعين) (ثالثها) ان قوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) فيه توسعة عظيمة في

الاشهاد ، ونحن الى التوسعة في الشهادة نفسها أحوج ، فان كثيرا من الجنايات والعقود والاقرار قد تقع من بعض المسلمين على مرأى ومسمع من غيرهم ، وقد يكون هؤلاء الذين سمعوا ورأوا من أهل الصدق والامانة ، لان دينهم يحرم الكذب والخيانة ، فلماذا نضيع أمثال هذه الحقوق التي يمكن اثباتها بشهادتهم اذا تجرأ الذين أنكروها على اليمين كما تجرؤا على الكذب بالانكار ؟

(المأخذ الثاني) ان الله تعالى قد أمرنا أن نشهد ذوي عدل منا معشر المؤمنين وعلة ذلك بديهة وهي ان المؤمن العدل ؛ يتحرى الصدق الذي يثبت به الحق ، ونحن نشترط في قبول الشهادة الامرين ، ونرى ان غير المؤمن المسلم لا يكون صادقا عدلا ، واذا كان فقد العدالة يوجب رد الشهادة عندنا ففقد الايمان أولى بذلك وفي هذا الاستدلال نظر من وجهين (أحدهما) أن الايمان بالله وبشرع له يحرم الكذب كاف لتحقيق المقصد الذي نتوخونه من الشهادة . وهذا مما يوجد في غير الاسلام من الملل . وقولكم إن غير المسلم لا يكون صادقا ولا عدلا لا دليل عليه من النقل ، ولا من سيرة البشر المعلومة بالاختبار والعقل

أما النقل فقد جاء على خلافه فان الله تعالى يقول (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) فان حمل هذا على من كان قبل بعثة خاتم النبيين فلا يمكن أن يحمل عليهم قوله تعالى (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك) فهذه شهادة لهم بالامانة ، وقد استشهد الرسول (ص) بعض اليهود على آية الرجم في التوراة فاعترف بها بعضهم لما أقسم عليه بالله الذي أنزل التوراة على موسى (راجع ٣٨٦ ج ٦ من التفسير) وقد بينا في التفسير مرارا عدل القرآن ودقته في الحكم بالفساد على الامم اذ يحكم على الاكثر أو يستثني بعد اطلاق الحكم العام . وما روي من قبول النبي (ص) ثم أبي موسى الاشعري (رض) لشهادتهم في الوصية عملا بالقرآن مبني على ان الاصل في خير الانسان الصدق وان كان كافرا ، وانه لا يعدل عن هذا الاصل الا عند وجود التهمة ، وعليه جمهور السلف ، وهو يستلزم إثبات عدالتهم كما تقدم عن الحافظ ابن حجر (ص ٥٧٨) وبهذا يسقط قياس الكافر على الفاسق ، وقد قبل المحدثون رواية المبتدع الذي يحرم الكذب مطلقا وفيما عدنا تأييد بدعته

وأما سيرة البشر المعلومة بنقل المؤرخين و بسنن الله في أخلاق البشر وطباعهم التي هي القانون العقلي لمن يريد الحكم الصحيح عليهم — فهي مؤيدة لحكم القرآن العادل على المشركين والكفار من العرب والعجم بمثل قوله (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) وقوله في عدة آيات (ولكن أكثرهم لا يعلمون — ولكن أكثرهم لا يشكرون — ولكن أكثرهم يجهلون — ولكن أكثرهم للحق كارهون — وأكثرهم فاسقون — أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون) ومثل هذا كثير. وهو خاص بأحوال الأمم في طور الفساد وضعف الدين والأخلاق ، الذي كان عليه جميع أهل الملل عند ظهور الاسلام ، فننتقل اذا الى بيان المسألة الثانية التي نراها هي السبب الحقيقي لعدم قبول شهادة غير المسلم فنقول :

حال المسلمين مع غيرهم في العصر الاول

ان حالة الأمم الاجتماعية والسياسية والادبية لها شأن كبير في تطبيق الاحكام على الوقائع وهو ما يسميه علماء الاصول « تحقيق المناط » ومن عرف التاريخ وفقه قواعد علم الاجتماع منه فانه هو الذي يفقه سبب اعراض الفقهاء والحكام عن قبول شهادة غير المسلمين عليهم . وأحق ما يجب فقهاء من تلك القواعد أربع ينبغي التأمل فيها بعين العقل والانصاف

(أحدها) ما كان عليه المسلمون في القرون الاولى للإسلام من الاستمسك بعروة الحق ، وإقامة ميزان العدل ، وعدم المحاباة والتفرقة في ذلك بين مؤمن وكافر ، وقريب وبعيد ، وصديق وعدو ،

(ثانيها) ما كانت عليه جميع الأمم التي فتحوا بلادها ، وأقاموا شرعيتهم فيها ، من ضعف وازع الدين ، وفساد الأخلاق والآداب ، وقد قرر ذلك مؤرخو الإفرنج وغيرهم وجعلوه أول الأسباب الاجتماعية لسهولة الفتح الاسلامي في الخاقين

(ثالثها) ما جرى عليه الفاتحون من المسلمين من المبالغة في التوسعة على أهل ذمتهم في الاستقلال الديني والمدني ، اذ كانوا يسمحون لهم بأن يتحاكوا الى رؤسائهم في الامور الشخصية وغيرها — فكان من المعقول مع هذا أن لا يشهدوهم على قضايا

أنفسهم الخاصة ، وان يمنهم نظرم الى ما بينهما من التفاوت في الاحوال الدينية والادبية التي أشرنا اليها آنفاً من قبول شهادتهم على أنفسهم ، مع عدم ثقتهم بتدينهم وعدالتهم

(رابعاً) تأثير عزة السلطان وعهد الفتح الذي كانت الاحكام فيه أشبه بما يسمونه الآن بالاحكام العسكرية . واعتبر ذلك بأحكام دول الافرنج في أيام الحرب ، بل في المستعمرات التي طال عليها عهد الفتح أو ما يشبه الفتح ، يتبين لك ان أشد أحكام فقهاء المسلمين وحكامهم على غيرهم هي أقرب الى العدل والرحمة من أحكام أرقى أمم المدينة من دونهم

وقد علم من حال البشر ان الغالب قلما يرى شيئاً من فضائل المغلوب وان كثرت ، فكيف يرجى ان يرى قليلاً الضئيل الخفي ؟ والجماعات الكبيرة والصغيرة كالأفراد في نظر كل الى نفسه والى أبناء جنسه بعين الرضا والى مخالفه بعين السخط . مثال ذلك ان امرأة من فضليات نساء سويسرة دينا وأدبا وعلماً راقبت أحوال الاستاذ الامام وسيرته مدة طويلة اذ كان يختلف الى مدرسة (جنيف) لتلقي آداب اللغة الفرنسية ، وكلمته مراراً في مسائل من علم الاخلاق والتربية — وكانت بارعة ومصنفة فيهما — فأعجبها رأيه ، كما أعجبها فضله وهديه . ثم قالت له بعد ذلك : إني لم أكن أظن قبل ان عرفتك ان القداسة توجد في غير المسيحيين

فمن تأمل ما ذكر تجلت له الاسباب المعنوية والاجتماعية التي صدت الحكام والفقهاء عن قبول شهادة غير المسلم على المسلم . وتعجب من سعة أحكام القرآن ، التي يتوهم الجاهلون انها ضد ما هي عليه من الاطلاق وموافقة كل زمان ومكان ، فتراهم ينسبون الى القرآن كل ما ينكرونه على المسلمين من آرائهم وأعمالهم وأحكامهم بالحق أو بالباطل ، ولو كان المسلمون عاملين بالقرآن كما يجب لما أنكر عليهم أحد ، بل لاتبعهم الناس في هديهم ، كما اتبعوا سلفهم من قبلهم ، بل لكانوا أشد اتباعاً لهم ، بما يظهر لهم من موافقة هدايته لهذا الزمان ، وموافقتها لأرقى ما وصل اليه من نظام وأحكام ، وهذا من أجل معجزاته التي تتجدد بتجدد الازمان .

﴿ إعراب الآية الثانية الذي اضطرب فيه النحاة ﴾

قد تبين مما فصلناه ان الذين عدوا الآيتين في غاية الصعوبة لمخالفة مذاهبهم لها مخطئون ، وان الواجب رد المذاهب اليهما لا تأويلهما لتوافقا المذاهب ، وأما الذين استشكلوا اعراب جملة من الآية الثانية ، وعدوا لاجلها الآية أو الآيات في غاية الصعوبة — فانما أوقعهم في ذلك احتمال التركيب لعدة وجوه من الاعراب ، بما فيها من تعدد القراءات ، مع اعتيادهم تقديم الاعراب على المعنى وجعله هو المبين له ، وقد استحسننا بعد ايضاح تفسير الآيات بما تقدم ان نذكر ملخص ما قيل في إعراب تلك الجملة تقلا عن (روح البيان) الذي يلتزم تحقيق المباحث النحوية في جميع الآيات ، عسى ان يستغني القارئ به عن مراجعة تفسير آخر . ونبدأ بجواب الشرط لانه مبدأ ما استشكلوه من الاعراب . قال المؤلف رحمه الله تعالى :

(فأخران) أي فرجلان آخران وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يقومان مقامهما) والفاء جزائية وهي احدى مسوغات الابتداء بالنكرة ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وصفته وهو قوله سبحانه (من الذين استحق عليهما الاوليان) وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أي فالشاهدان آخران ، وجملة يقومان وصفته والجار والمجرور صفة أخرى . وجوز أبو البقاء أن يكون حالا من ضمير يقومان وقيل هو فاعل فعل محذوف أي : فليشهد آخران . وما بعده صفة له . وقيل مبتدأ خبره الجار والمجرور والجملة الفعلية صفته وضمير مقامهما في جميع هذه الواجه مستحق للذين استحقا ، وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي توليهاها ولم يؤديهاها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف . واستحق بالبناء للفاعل على قراءة عاصم في رواية حفص عنه وبها قرأ علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس وأبي رضي الله تعالى عنهم ، وفاعله «الاوليان» والمراد من الموصول أهل الميت ، ومن الاوليين الاقربان اليه الوارثان له الاحقان بالشهادة لقربيهما واطلاعهما ، وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام اللذين استحقا اثما ، الا أنه أقيم المظهر مقام ضميرها للتنبيه على وصفهما بهذا الوصف ، ومفعول استحق محذوف

واختلفوا في تقديره فقدرة الزمخشري أن مجردوها للقيام بالشهادة ليظروا بهما كذب الكاذبين، وقدره أبو البقاء وصيتها . وقدره ابن عطية ما لهم وتركتهن، وقال الامام : ان المراد بالاوليان الوصيان اللذان ظهرت خيانتها وسبب أولويتها أن الميت عينهما للوصية . فمعنى «استحق عليهم الاوليان» خان في ما لهم وجنى عليهم الوصيان اللذان عثر على خيانتهم، وعلى هذا لضرورة الى القول بحذف المفعول، وقرأ الجمهور «استحق عليهم الاوليان» ببناء استحق للمفعول واختلفوا في مرجع ضميره والا كثرون انه الاتم والمراد من الموصول الورثة لان استحقاق الاتم عليهم كناية عن الجناية عليهم، ولا شك ان الذين جنى عليهم وارتكب الذنب بالقياس اليهم هم الورثة، وقيل انه الايصاء، وقيل الوصية لتأويلها بما ذكر . وقيل الممل . وقيل ان الفعل مسند الى الجار والمجرور، وكذا اختلفوا في توجيه رفع الاوليان فقيل انه مبتدأ خبره «آخران» أي الاوليان بأمر الميت آخران، وقيل بالعكس، واعترض بأن فيه الإخبار عن النكرة بالمعرفة وهو مما اتفق على منعه في مثله، وقيل خبر مبتدأ مقدر أي هما الآخران على الاستثناء البياني، وقيل بدل من آخران، وقيل عطف بيان عليه، ويلزمه عدم اتفاق البيان والمبين في التعريف والتشكيك مع أنهم شرطوه فيه حتى من جوز تنكيهه، نعم نقل عن نزر عدم الاشتراط، وقيل هو بدل من فاعل يقومان وكون المبدل منه في حكم الطرح ليس من كل الوجوه حتى يلزم خلوتك الجملة الواقعة خبراً أو صفة عن الضمير على انه لو طرح وقام هذا مقامه كان من وضع الظاهر موضع الضمير فيكون رابطاً، وقيل هو صفة آخران، وفيه وصف النكرة بالمعرفة والاخفش أجازها هنا لأن النكرة بالوصف قربت من المعرفة، قيل وهذا على عكس * واقصد أمر على التثنية بسبني * فانه يؤول فيه المعرفة بالنكرة . وهذا أول فيه النكرة بالمعرفة أو جعلت في حكمها للوصف، ويمكن - كما قال بعض المحققين - أن يكون منه بأن يجعل الاوليان لعدم تعينهما كالنكرة، وعن أبي علي الفارسي انه نائب فاعل «استحق» والمراد على هذا استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة كما قال الزمخشري، أو اثم الاوليين كما قيل . وهو تثنية الأولى قلبت ألفه ياء عندها، وفي على في «عليهم» أوجه الأول انها على بابها، والثاني انها بمعنى في، والثالث انها بمعنى من . وفسر استحق بطلب الحق

وبحق وغلب . وقرأ يعقوب وخلف وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر عنه «استحق عليهم الاولين» ببناء استحق للمفعول والاولين جمع أول المقابل للآخر وهو مجرور على انه صفة الذين أو بدل منه أو من ضمير عليهم أو منصوب على المدح . ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة وقيل التقدم في الذكر لدخولهم في (يا أيها الذين آمنوا) وقرأ الحسن «الاولان» بالرفع وهو كما قدمنا في الاوليان، وقرأ «الاولين» بالثنية والمنصب، وقرأ ابن سيرين «الاوليين» بياءين ثنية أولى منصوباً وقرأ «الاولين» بسكون الواو وفتح اللام جمع أولى كأولين واعراب ذلك ظاهر

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد على أبو زيد
الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

٢

يزيدك بياناً لهذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة »^(١) ولا يحتاج بمده الى شرح وبيان،

(١) المنار : رواه مسلم عن جابر بن عبد الله من طريق أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس وهو ثقة عند الجمهور روى له الا البخاري فانه لم يرو له الامتابة . وكان ابن حزم يرد من حديثه ما يقول فيه : عن جابر ، لأنه مدلس . وههنا صرح بسماعه منه . وطعن فيه شعبة ونهى عن الكتابة عنه قال لأنه لا يحسن يصلي ، ولكونه سيء صلاته . بل قال انه كذب على رجل واعتذر عن ذلك بأنه أغضبه . واحتج =

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين * الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون)
 تراه في هذه الآية جعل الصلاة يستعان بها ، ولم يذكر ما يستعان
 عليه ، ليشمل كل الامور الدينية والدنيوية ، وذلك - كما بينا قريبا - أنها
 تشغل النفس بذكر الله تعالى فتصقلها كصقل الجلاء للمرأة ، فيرى صاحبها
 بقره من ربه ما لا يراه صديء النفس ، فتقوى فيه الروحانية ، والمرء

= على الشافعي بحديثه فغضب وقال : أبو الزبير يحتاج الى دعامة . وقال أبو زرعة وأبو حاتم
 لا يحتج به . ورواه أيضا من طريق أبي سفيان طلحة بن نافع وقد روى له الجماعة الا
 أن البخاري لم يرو له في الصحيح المأثورنا بغيره ، وقال سفيان بن عيينة : حديثه
 عن جابر إنما هو حيفة . أي لم يسمع منه مع أنه صرح بالسماع في رواية مسلم . وقال
 ابن معين فيه : لا شيء . وقال ابن المديني . كانوا يضعفونه .

أما لفظ الحديث من الطريق الاول فهو « ان بين الرجل وبين الشرك والكفر
 ترك الصلاة » ومن الطريق الثاني « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »
 قال النووي في شرحه : هكذا هو في جميع الاصول من صحيح مسلم - الشرك
 والكفر بالواو - وفي مخرج أبي عوانة الاسفرايني وأبي نعيم الاصبهاني - أو الكفر
 باو . ولكل منهما وجه . ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة - ان الذي يمنع
 من كفره كونه لم يترك الصلاة فاذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل . ثم ان الشرك
 والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى ، وقد يفرق بينهما فيخص
 الشرك بعبد الاوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش ،
 فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم . وذكر قبل ذلك أن الجمهور من السلف
 والخلف لا يقولون بكفر تارك الصلاة الا اذا جحد وجوبها ، وحملوا مثل هذا الحديث
 على ما رأيت في تفسيره له من كون تركها قد يفضي الى الكفر أو اذا كان جاحدا .
 وقال بعض السلف بكفره وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه وعن عبد الله بن
 المبارك واسحق بن راهويه ، قال النووي : وهو رواية عن أحمد ، ووجه لبعض أصحاب
 الشافعي ، وسيأتي جمعنا بين الاقوال

متى قويت روحه ، قويت إرادته واشتدت عزمته ، فتسهل أمامه كل صعوبة ، ويفوز في كل عمل تطالبه الحياة ، وهذا كله هو حظ الشارع الحكيم ، ممن يخضع لأمره ، ويؤمن بثوابه وعقابه

وقد أفاد جل شأنه بقوله (وانها الكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملائكة ربهم) الآية ان الصلاة إنما تكبر وتثقل على من لم يؤمن بالآخرة ، ومن لم يصدق بملاقاة ربه وجزائه ، (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وحده

وها هنا نكتة بليغة في قوله (يظنون) فإنه لم يقل « يوقنون » ليفيد أن الظن — وإن كان لا يغني عن الحق شيئا — يكفي حاملا للمرء على العمل احتياطا ، ما دام يرجح عنده أنه سيرجع الى الله فيحاسبه ويجازيه . فكأنه تعالى يقول : إن من يعتقد اعتقاد ظن ورجحان^(١) لم يصل فيه الى درجة اليقين بالبرهان ، انه سيلقي ربه فيحاسبه ويجازيه ، لم تثقل عليه الصلاة ولا تشق ، بل يقيمها بنشاط على خشوع وراحة

وهذا مبني على سنة الله تعالى في النفس ، متى ترجح عندها الاجر والمنفعة في العمل نشطت اليه ، وهشت له ، وإن كان سخرة أو ضرا ، كبر عليها ، وجزعت منه . واذا كان ذلك حال الظان — لا يترك الصلاة ولا تثقل عليه اقامتها ، بل يحافظ عليها ، ويرتاح بها — فما بالك بالموثق هل يترك الصلاة ، أو يثقل عليه شيء منها ؟ أم ينتظر أوقاتها ، ويقول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أرحنا بها يا بلال » ؟

ومنه قوله تعالى في سورة الانعام (وهذا كتاب أنزلناه مبارك

(١) الظن الاعتقاد الراجح ، ولا يشترط فيه تصور مقابل مرجوح

مصدق الذي بين يديه ، ولتنذر أم القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون)

جعل سبحانه المحافظة على الصلوات شأنًا من شؤون أهل الإيمان
بالآخرة وبالقرآن ، وجعل هذا الإيمان داعيًا إليها ، وباعثًا عليها ، وذلك
أن قوله « وهم على صلاتهم يحافظون » يفيد أن الذي يؤمن باليوم الآخر
ويصدق بأن فيه الجزاء الأوفى — الطيب للطيب ، والخبيث للخبيث ،
لا بد أن يصدق بالقرآن ، ولا بد أن يكون على تلك الحالة ، ومتصفا
بتلك الصفة — المحافظة على الصلاة

واختيار التعبير بالفعل « يحافظون » على الوصف « يحافظون » يدل
على الدوام والاستمرار . أي أنه لا ينفك عنها في وقت من الأوقات .
والآية وما قبلها نص في أن الإيمان بالآخرة يستلزم الإيمان بالقرآن ،
والإيمان به يستلزم إقامة الصلاة ، ومفهومه أن من لم يحافظ عليها كافر ،
وعلى هذا يكون القرآن قد بين أن الصلاة هي الفارق بين المؤمن والكافر .
ويجلي لك هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة »
رواه مسلم وأبو داود والترمذي ، وفي رواية « بين العبد وبين الكفر ترك
الصلاة » وقوله (ص) « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »
رواه الترمذي والنسائي وصححه ، فتأمل هذه التصريحات في هذه الأحاديث ،
وانظر التحقيق من النبي (ص) بلفظة « فقد كفر » وكلها في معنى الآيات
التي سمعت

وأزيدك أن النبي (ص) قال « من ترك صلاة العصر فقد حبط
عمله » رواه البخاري والنسائي ، ومن المعلوم في الشرع أن الذي يحبط

عمله هو الكافر، قال تعالى في سورة المائدة (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) فإذا كان تارك العصر كافرا، فما ظنك بتارك جميع الصلوات؟ ولما جاء وفد ثقيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلموا، قالوا: اسمح لنا في أن ندع الصلاة، وألا نكسر أصنامنا بأيدينا. فقال صلى الله عليه وسلم «أما كسر أصنامكم بأيديكم فقد عفوناكم منه، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه» وأبى صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم الإسلام إلا بالصلاة، وأنت ترى أن في قوله «لا خير في دين لا صلاة فيه» أن تارك الصلاة لا يعتد بتدينه - وعلى هذا قد درج الصحابة رضوان الله عليهم. فقد روى الترمذي عن عبد الله بن شقيق^(١) أنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفرا إلا الصلاة، وذلك لما قدمنا من أن الصلاة أصل، فالمحافظة عليها تستلزم المحافظة على كل الدين

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة. رواه مالك وغيره.

من أن ما تقدم من الأدلة كله صريح في أن تارك الصلاة غير مسلم مطابقا، ولا أراني أشك بعد في ذلك، إذا ما معنى قول بعضهم: من

(١) المنار: قد كان عبد الله هذا ناصبيا يبغي على علي عليه السلام وقد صح الحديث عن مسلم أنه لا يحببه إلا المؤمن ولا يبغيه إلا منافق. فاخذ الكاتب بظواهر مثل هذا الحديث يقتضي ألا يحتج بما يرويه عبد الله بن شقيق ولا يعتد بإيمانه، وما تقدم عن النووي يفيد أن جمهور الصحابة لا يعدون مجرد ترك الصلاة كفرا بمعنى الردة عن الإسلام، وحسب التارك لها أهم اختلفوا في إيمانه، وسيأتي الجمع بين الأقوال في ذلك

تركها كسلا لا يكفر . وما معنى التفريق بين من يتركها بكسل أو غيره؟
 ج لا معنى لذلك الا مخالفة النصوص الصريحة ، وعدم تدبر القرآن
 والسنة الصحيحة^(١) وما دمننا نقول كما قال القرآن : ان المحافظة
 على الصلوات من شأن المؤمن ، ومن صفاته الملازمة له ، فالجهد منها ،
 المتخلي عنها ، غير مؤمن ضرورة ، لكونه عري من صفة الإيمان الفعلية .
 على أن الله سبحانه قد صرح بأن الكسل في الصلاة من شأن المنافقين
 وصفاتهم ، فقال عز شأنه في سورة النساء (ان المنافقين يخادعون الله وهو
 خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى)

وليس المنافقون بأقل من الكافرين ، قال تعالى في سورة براءة
 (ان المنافقين هم الفاسقون — أي الخارجون عن الدين — وعد الله
 المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله
 ولهم عذاب مقيم)

قرن الله تعالى في هذه الآية المنافقين مع الكافرين ، ووعد الجميع
 معاً الخلود في جهنم والعذاب الدائم ، بل قد حطهم عنهم فقال في سورة
 النساء (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً)

الى هنا انتهينا من أدلة الصلاة وحدها

فاليك ما جاء في الزكاة أختها

قال الله تعالى في سورة فصلت (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما
 ألهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون
 الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) فتأمل كيف جعل منع الزكاة من صفات
 (١) المنار: هذا تهور عظيم والصواب أن سببه تعارض النصوص كما سنبينه بعد

المشركين وشأنهم ، وإنما كان منعها من شأن المشرك بربه لأنه يؤثر المال على حبه ، وقد قرن منع الزكاة بالكفر بالآخرة ، لأنهم لو كانوا واثقين بخبر الله ، ومؤمنين بجزائه ، لأنفقوا من ماله في رغبة في ثوابه ، وخوفا من العيذاب . قال تعالى (يوم يحصى عليهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (وقال) جل ثناؤه في سورة آل عمران (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) علق نيل البر على الانفاق مما يجب ، فن لم ينفق مما يجب ، لا حظ له من البر ، والبر نعيم الله ورضوانه . فمانع الزكاة — وهي أول مقصود بالانفاق — محروم من نعيم الله ورضوانه كافر^(١)

ولعلك تلاحظ الحكمة في تقييده الانفاق بأن يكون المنفق منه محبوبا عند المنفق ، إذ المرء لو أنفق لله ما يكره ، لا يكون انفاقه له بسبب حبه إياه ، بل يعتبر غرما ومظلمة ، أو شيئا كريها رغب الخلاص منه بهذه الطريقة رياء ، أما لو أنفق من شيء محبوب له ، يكون حبه الله قد رجح في نفسه على حبه المال ، فدعا إلى بذل المال على حبه إياه ، وهناك يظهر الفضل بالتوحيد والاخلاص

(وقال) تعالى في سورة الأعراف (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) بين أن رحمته واسعة ، ولكنها لا تكتب لكل الناس ، بل كتابها وإيجابها خاص بالأتقياء المعطين الزكاة ، فالذي يمنع الزكاة ، يمنع كتابة الرحمة له ، فلا يكون له حظ فيها ، بل يكون بعيداً عنها ، ومحروماً منها (لها بقية)

(١) المنار: الآية لا تدل على ذلك فالعمل بها يتم بما دون الزكاة الشرعية

فَلَا تَسْتَعِزُّ

دَارُ الدُّعْمَةِ وَالْأَشْيَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٠

سموم الميكروبات

نحدث بنمو كل نوع من الميكروبات مواد عديدة في السائل الذي تربى فيه. ومن أضرها مواد زلالية ومواد آزوتية تشبه المواد الآزوتية النباتية المسماة [Alkaloids] أي الشبيهة بالقلوية كمادة الاستر كنين، وهي مواد تقتك بالاحياء فتكا ذريعا مهما تكن قليلة. وهذه المواد تتولد بطريقتين: الاولى أنها تتولد في نفس جسم الميكروب ثم تخرج منه شيئا فشيئا، والثانية أنها تتولد في السائل نفسه وذلك بافراز الميكروب مادة (خميرة) تشبه الخائثر - المذكورة في الجزء الاول - وهذه الخميرة لها تأثير كباوي مخصوص في المواد المحيطة بها، فتحدث فيها توكيا وتحللا ينشأ منه مواد متنوعة ومن الميكروبات ما يبقى جل سمه في جسمه ولا يخرج الا اذا استخلص منه بعض الطرق العلمية، وذلك مثل ميكروب الطاعون والكوليرا والحمى التيفودية، ويسمى مثل هذا السم « بالسم الكامن » [Endotoxin] وفي الجسم المريض تتحل بعض هذه الميكروبات فتخرج منها سمومها وتسري فيه فتحدث المرض ومن المواد التي تتولد في السائل الذي يربى فيه الميكروب ما يقتل الميكروب نفسه، فانها قد تولد حامض الفنيك أو الغول (الكحول) أو الخل الى غير ذلك من المواد التي تستعمل مطهرات لقتل الميكروبات

الميكروبات والبيئة

تنقسم الميكروبات - باعتبار ما تعيش فيه - الى ثلاثة أقسام: فمنها ما لا ينمو عادة في الحي^(١) ومنها ما لا ينمو الا في الميت، ومنها ما يمكنه أن ينمو في الاثنين (١) هذا لا ينافي أن أكثرها يمكن تربيته تربية صناعية على أشياء غير حية كالرق - كما تقدم -

معاً، فمثال الاول ميكروب الحى الراجعة ، ومثال الثاني بعض ميكروبات الحى النفاسية وهي التي تعيش في الدم والسوائل المتنفة التي تتخلف أحيانا في الرحم عقب الولادة

ومن هذا النوع الميكروبات التي تحدث تحليل جثث الموتى والتي تفسد اللبن فيخثر ، ومنها ما يحول البولينا الى كربونات النوشاد والحجر الى خل . ولهذه الميكروبات فائدة كبرى في العالم فانها تحول الاجسام المركبة الى بسائط فتعود الى عالمي الحيوان والنبات فينتفعان بها . ولذلك وجد العلماء طريقة عظيمة لتحليل المواد البرازية ، فانها تلقى في مستودعات مخصوصة فيسلط عليها في اولها الميكروبات التي لا تنمو في الاكسجين ، وفي الثانية الميكروبات التي تنمو فيه ، فذلك تتحلل جميع المواد البرازية وتستحيل الى ماء وغاز ثاني أكسيد الفحم وأملاح النترات وهذه الاشياء كلها صالحة للنبات فيسقى بها الزرع وفيه تتحول مرة أخرى الى مواد مضاعفة التركيب ضرورية للحيوان والنبات ، فكان نظام هذا العالم موقوف على عمل الميكروبات والنبات ، ولولاها لفسد وبطل

فالنباتات الدنيئة (البكتيريا) تركب قليلا وتحلل كثيرا ، والنباتات الكبيرة تركب كثيرا وتحلل قليلا كتحليلها بعض غازات الهواء ، فعلى النبات مدار الحياة ومثال الميكروب الذي يعيش عادة في الحى والميت باسيل التيتانوس ، وكذلك باسيل الدفثيريا (والتي منها الخناق) فان هذين الميكروبين يعيشان كثيرا في الطين ، وقد ينتقلان منه الى الانسان ، الا ان ميكروب التيتانوس لا يعيش في جسم الانسان بعد ظهور أعراض هذا المرض الا قليلا . ومن طرق وصول ميكروب الدفثيريا الى الانسان أنه يكون مختلطا بالطين فاذا زادت المياه التي في جوف الارض كما يحصل عند فيضان الانهار ضغطت على الهواء الموجود خلال الطين فيندفع منها الى جو المدن حاملا لهذا الميكروب الخبيث فيصاب كثيرون بهذا المرض

والميكروبات لا تموت مالم يقتلها شيء ، وأكثرها مقاومة للطوارئ ما كان له حبيبات ، وهذه الحبيبات نفسها تعيش مدة طويلة من الشهور أو السنين حتى في الاحوال غير المناسبة للحياة كالجفاف والبرد . ولاعجب في ذلك ، فقد عرف

أن بعض حبوب النباتات الكبيرة عاش نحو مئة سنة ولا يعلم بالتحقيق أن الحبوب يمكنها أن تعيش (أعني تبقى حية) أكثر من ذلك وما قيل من أن حبوب بعض الهياكل أو القبور القديمة نبت بعد ألوف من السنين فهو كذب محض، وقد ثبت أن حبوب القمح تعيش نحو سبع سنين على الأكثر، وعليه فالقمح الذي خزنه المصريون في زمن يوسف عليه السلام كان يمكن انباته في نهاية السنة السابعة. وأكثر الميكروبات التي لاحييات لها تقتل عادة بحرارة ٦٥ سقتراد في نحو نصف ساعة

وميكروبات التعفن تقتل الميكروبات المرضية عادة، وهذه الميكروبات التعفنفة تكون في الغالب من النوع الباسيلي (المستطيل) فاذا أصيب انسان بالتسمم الصيدي الناشئ على الأكثر من البذور السلسلية ومات فأراد طبيب أن يشرح جسمه عقب الوفاة مباشرة كان من أشد الخطر على هذا الطبيب أن يُجرّح ويلقّح جسمه بشيء من الجثة، وأما اذا تركت هذه الجثة زمنا حتى تعفن فان ميكروبات المرض التي فيها تقتلها ميكروبات التعفن شيئا فشيئا حتى تزول من الجثة، وحينئذ لا يكون في تشريحها خطر على حياة الطبيب

أبواب دخول الميكروبات الى الجسم

لدخول الميكروبات في الجسم أبواب عديدة، وهي الرثان (لمثل ميكروب الحمى القرمزية) والجهاز الهضمي (لمثل ميكروب الحمى التيفودية) والجلد (لمثل الزهري) والأغشية المخاطية كأغشية أعضاء التناسل أو العين وغيرها (لمثل السيلان والدفتيريا)

ولا يشترط أن يكون سطح الجسم أو الأغشية المخاطية مجروحة، فقد يدخل الميكروب من الاماكن ذات الجلد الرقيقة أو من مسامها، ولكن الجرح أو السحج مما يسهل دخوله كثيرا كما هو ظاهر

فاذا دخل الميكروب الجسم من هذه المنافذ فانه مايبقى في مكان دخوله، ومنه ما يصل الى الدم أو المادة اللعفاوية ويدور معها حيث دارت. وفي كلتا الحالتين يولد الميكروب سمّا زعافا وهو الذي يقتل الحيوانات ويحدث فيها جميع الحميات،

الان بعض هذه الميكروبات يحدث أمراضا ليست الحى شرطافيا، مثل مرض (الكزاز) فثال ما يدور في الدم ميكروب (التسمم الصديدي وميكروب الحى الراجعة) ومثال الذي لا يدور في الدم (التيتانوس والدفتيريا) فان ميكروهما يبقى على الاكثر في مكان التلقيح الا انه بعد الموت قد ينفذ الى جميع أجزاء الجثة، واذا نفذ الى الدم في أثناء الحياة التهمته كريات الدم البيضاء أو بقي في بعض الاعضاء التي تعقله فيها وتقتله غالبا بخلاياها، كالكلبد والطحال

زمن التفريخ

اذا دخل الجسم أي نوع من الميكروبات لا يحدث المرض فيه في الحال، بل لا بد من أن يمكث زمنا يتراوح بين يوم أو عدة أسابيع أو عدة سنين (كافي داء الكلب والجذام) فانهما أطول الامراض مدة^(١) وفي هذا الزمن يتكاثر الميكروب في الجسم ويحمل عليه بسمومه فاذا بلغت درجة مخصوصة ابتدأ المرض في الظهور. فن الناس من يختلط مثلا بمصاب بالجدرى ولا يظهر فيه المرض إلا بعد نحو ١٢ يوما عادة. وهذا الزمن يختلف باختلاف الامراض فان لكل منها زمنا مخصوصا، ويسمى هذا الزمن بزمن التفريخ أو الحضانة

وقد عرفت ميكروبات كثير من الامراض، ولبعضها ميكروبات لم تعرف الى الآن (كالحصبة) فان الدلائل تدل على أن لها ميكروبا لم يكتشف الى الآن وهذه الامراض التي عرفت ميكروباتها منها ماله ميكروب مخصوص كمرض الدرن ومرض الحى التيفودية. ومنها ما يشترك فيه عدة ميكروبات كمرض (التهاب الغشاء المبطن للقلب) و(الخراجات) فانهما يحدثان من ميكروبات مختلفة

امارات اختصاص الميكروب المعين بالمرض المعين

يدل على اختصاص بعض الميكروبات ببعض الامراض أمور كثيرة منها :
(١) وجود الميكروب دائما في هذا المرض (٢) اذا حقن حيوان بهذا الميكروب وكان مستعدا للمرض حصل له، ووجد هذا الميكروب التخصوص في جسمه
(١) قد تمتد مدة التفريخ في الجذام الى عشر سنين وفي الكلب الى عشرين

(٣) عدم وجود هذا الميكروب في الجسم السليم ، أو المريض بغير هذا المرض ؛ ويستثنى من ذلك بعض الميكروبات كاللزور المزدوجة المسببة للالتهاب الرئوي ، فانها توجد في فم الصحيح وأنفه ، وتوجد أيضا في غير الالتهاب الرئوي كما في التهاب الشَّغاف (الغشاء المحيط بالقلب الذي يسمونه الآن بالتامور) وكذلك تستثنى مسألة حاملي الامراض التي سنفصلها

مصادر الميكروبات

تتصل الميكروبات بالانسان من عدة جهات (١) الهواء (٢) الشراب (٣) الطعام (٤) التراب (٥) سائر أجسام الاحياء والجمادات كالملابس مثلا ، وسيأتي ان شاء الله في باب الحميات بيان طرق وصول الامراض المختلفة الى الانسان تفصيلا

شرط تأثير الميكروبات والوقاية منها

ما كل أحد يتصل به ميكروب مرض يصاب بذلك المرض ، بل هناك وقاية للحيوانات من فتك هذه الميكروبات بها دفعة واحدة ، ولولا ذلك لهلكت الاحياء في زمن قصير

وهذه الوقاية (وتسمى أيضا المناعة) منها ما هو فطري (أي يولد بها الانسان) ومنها ما هو مكتسب . أما المناعة الفطرية فقد تكون خاصة بالجنس أو النوع ك بعض الامراض فالجدام مثلا خاص بالانسان لا يصيب أي حيوان آخر ، وبعض الامراض يصيب بعض الانواع دون بعض ، كالحمى الصفراء فانها لا تصيب السود الا قليلا ، وبعض الامراض تصيب بعض البيوت (الاسر) أو الافراد دون البعض الآخر ، وكل ذلك لاسباب لا نعلمها على وجه التحقيق . وخير الوقاية ما كان فطريا : وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم ومما يهيء الجسم للعدوى التعب والجوع والبرد وكل ما ينهك القوى والادمان على الخمر ، الا أن بعض الاشخاص قد يكونون سليمين من كل عيب ومع ذلك يصابون ببعض الامراض ، فمثلا قد نجد أن أسمن الاطفال وأحسنهم صحة يصابون بالقرمزية وتفتك بهم كثيرا بينما الاطفال الآخرون الضعاف لا يصابون بها أو اذا أصيبوا كانت اصابتهم خفيفة

أما المناعة المكتسبة وما في معناها كالعارضة بسبب يشبه الكسبي فنكون بما يأتي:

(١) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان مرة واحدة حتى جسمه من

الاصابة بهذا المرض مرة أخرى كالزهرى والحصبة والجذري مثلا

(٢) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان حتى جسمه من أمراض أخرى

تغايره بعض المغايرة، فمنها جُدري البقر إذا أصاب الإنسان أو ألقح به حماه من

الجذري الإنساني، ومنها الحمى الراجعة إذا أصيب بها شخص حتمه غالبا من

التيفوس ولكنها لا تحميه من نفسها

(٣) بحقن سم الميكروب أو مصل يستخرج من الحيوانات بطريقة مخصوصة

كما في مرض الدفتيريا مثلا. ويان ذلك أن يزرع ميكروب الدفتيريا في سائل

(كارق) ثم يصفى هذا السائل من الميكروب ويحقن حصان بجوز صغير من هذا

السائل المصفى، ونظرا لوجود سم ميكروب الدفتيريا في السائل المحقون به يصاب

الحصان ببعض أعراض مرضية خفيفة تزول سريرا كالحمى وورم في مكان الحقن،

ثم يحقن هذا الحصان بمقدار من السائل أكبر فأكثر حتى يصل الحصان الى حالة

لا يتأثر معها بهذا السم المحقون فيه، وعندئذ يتواد في دمه مادة مضادة لسم

الدفتيريا. فاذا أخذ دم هذا الحصان واستخرج مصله كان هذا المصل نافعا لإفساد

سم الدفتيريا، وإذا حقن به الإنسان وقت انتشار هذا المرض حفظه منه لمدة ثلاثة

أسابيع عادة، وكذلك إذا حقن به المصاب بالدفتيريا نفعه نفعاً عظيماً وأدى الى شفاؤه

(٤) حقن ميكروب المرض نفسه ميتا أو بعد إضعاف تأثيره بطرق سيأتي

الكلام عليها في داء الكلب، وتسمى المادة المحقونة «باللقاح» ومن ذلك حقن

ميكروب التيفود بعد قتله وحقن ميكروب الكلب بعد إضعافه، وإن كان ميكروب

الكلب الى الآن لم يكتشف بمعنى أنه لم يره أحد ولكننا موقنون بوجوده، فاذا

لقح الشخص تولدت في جسمه مادة مضادة لهذا الميكروب المحقون، وبذلك لا يكون

له تأثير في أحداث المرض. وقد يحقن الميكروب بدون إضعافه ولكن بمقادير قليلة

جدا تزداد تدريجاً

والميكروبات التي تزرع بقصد الحقن منها ما يفرز سما في السائل المزروع فيه،

ومنها ما يكون سمه كامنا في جسمه - كما تقدم - وذلك مثل سم ميكروب الطاعون ولا بد من ملاحظة هذه المسألة قبل الحقن، فإذا أريد حقن حصان لاستخراج مصل منه نافع للطاعون فلا يجوز حقنه بالسائل الذي يربى فيه الميكروب فإنه يكاد يكون خاليا من السم اذ لا يخرج منه شيء يذكر من جسم الميكروب، ولذلك يجب أن تستعمل طريقة أخرى للوقاية من الطاعون كأن يحقن الشخص المراد وقايته بنفس السائل بدون تصفيته بعد قتل ميكروب الطاعون الذي فيه، وذلك بتعريضه مدة ساعة لحرارة درجتها ٦٥° بالمقياس المئني، ولا يصح قتل الميكروب بالغلي فإن ذلك يفسد سمه أو يغيره تغييرا يجعله غير صالح لما نريد

وقد ذهب علماء هذا العلم في تفسير مسألة الوقاية مذاهب عديدة، نذكر هنا أشهرها : -

(١) مذهب القائلين (بنفاد السماد) ومعنى ذلك أنهم يقولون ان في جسم الانسان بعض مواد لازمة لحياة الميكروبات تكون كالسماد لها فاذا أصيب الانسان بمرض ما كالجدري مثلا نفذ هذا السماد الضروري لحياة ميكروبه من جسم الانسان ولذلك لا يصاب به عادة مرة أخرى . وهذا التفسير أصبح الآن مردودا عند جمهور العلماء

(٢) مذهب القائلين باحتباس سم الميكروب في جسم الانسان، وذلك أن الانسان اذا أصيب بمرض ما تولد من الميكروب سم يهلك نفس هذا الميكروب ويفسرون بذلك سبب شفائه من المرض، ويقولون ان هذا السم يبقى في جسمه بعد ذلك ويقتل هذا الميكروب الخاص اذا دخل في جسمه مرة أخرى

(٣) مذهب الفرنسيين، وهم يقولون ان الكريات البيضاء في دم الانسان تقتل الميكروبات لا سيما اذا تعودت أكل نوع مخصوص منها فانها تلتهمه بشراهة قوية

(٤) مذهب الألمانين، وهم يقولون : ان الانسان أو الحيوان اذا أصيب بمرض ما أفرزت منسوجات الجسم المختلفة مواد تجري في دمه، وهذه المواد منها ما يهلك الميكروب ومنها ما يفسد سمه، كالمادة المتولدة في مصل الحصان التي ذكرت سابقا للوقاية من الدفتيريا أو لشفائها

والحق شائع بين مذهبي الفرنسيين والالمانيين . وأحسن المذاهب مذهب من يجمع بينهما كذهب بعض علماء الانكليز وغيرهم بأن يقول : ان الانسان اذا أصيب بمرض تولدت في جسمه تلك المواد التي قال بها الألمانيون، وهذه المواد تفسد سم الميكروب أولا وتضعف نفس الميكروب أو تقتله ثانيا حتى تقوى عليه كريات الدم البيضاء فيسهل عليها أن تلتهمه وتمضممه هضمًا

وقد عرف من عهد قريب أنه يوجد في دم الانسان في الحالة الطبيعية مواد تسمى المواد الإدمية [Opsonins] وهذه المواد تؤثر في الميكروب وتؤثر تأثيرا مخصوصا حتى تجعلها كأنها طعام لذيد للكريات البيضاء، ولذلك سميت بهذا الاسم تشبيها لها بالادام

ومقدار هذه المواد يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال، وكلما كثرت كانت البنية أشد مقاومة للميكروبات . وهي تزيد بالحقن باللقاح وبالمرض اذا قاومته البنية أو غلبته

ومدة الوقاية من الامراض تختلف كثيرا ، فاذا أصيب الانسان بالزهري أو الجدري فقل أن يعود اليه هذا المرض طول حياته واذا أصيب بالدفتيريا أو الالتهاب الرئوي فقد يعاوده المرض

ومن الناس من يجتمع في جسمه مرضان أو أكثر كاجتماع الدفتيريا مع الحمى القرمزية. وكانوا يظنون سابقا ان ذلك غير ممكن ولكن الحقيقة ان الجسم اذا أصيب بمرض كان أكثر تعرضا للامراض الاخرى مما اذا كان سليما وذلك لضعف قوة المقاومة

ومن الامراض ماتورث إما بنفسها كالزهري وإما بالاستعداد لها كالسل، فاذا كان أب الانسان مثلا مصابا بالزهري ولد ابنه مصابا به أيضا، واذا كان مصابا بالدرن الرئوي (السل) كان ابنه غالبا خاليا من ميكروب هذا الداء ولكن جسمه يكون مستعدا له كل الاستعداد فيصاب به عادة عاجلا أو آجلا

حاملو الامراض

اذا أصيب المرء بمرض كالحمى التيفودية أو كان جسمه ممتعا عليه لسبب ما

ودخلت الميكروبات في أمعائه فن الجائز أن تعيش في جوفه أشهراً عديدة أو سنين كثيرة ربما بلغت الخمسين بدون أن يشعر بمرض منها ؛ ولكنه يكون خطر على غيره من المستعدين لهذا الداء ، وذلك لان الميكروب يتكاثر في بعض أحشائه كالأمعاء أو المرارة أو الكلى والمثانة ويخرج في برازه أو بوله فيصل الى طعام الآخرين أو شراهم ويوردوهم موارد الهلاك . ويسمي العلماء أمثال هؤلاء الناس [حاملي الامراض] ومنهم من يتكون عنده حصيات في المرارة بسبب هذه الميكروبات . ولبعض الامراض الاخرى حاملون كالدفثيريا والكوليرا وغيرها ومن ذلك يعلم أن الحاملين نوعان : (١) الحاملون الاصحاء ، وهم الذين لم يصابوا بالمرض مطلقاً وإما كمن فيهم ميكروبه من غير أذى و (٢) الحاملون الناقضون ، وهم الذين يوجد فيهم الميكروب في أثناء النقاهة من المرض أو بعدها بمدة مديدة ، ويسمون حينئذ بالحاملين المزمنين

الفطر

نوع من الميكروب له خلايا عديدة وهو أيضا من فصيلة النبات الا نه خال من الكلوروفيل ، ويتركب من خيوط دقيقة جدا مشتبك بعضها ببعض الآخر بغير نظام - وهو الاكثر - كميكروب القرع ، أو ببعض نظام - كما في الفطر الشعاعي [Ray - fungus]

وبين هذه الخيوط أو عند مركزها توجد حبيبات كالتى ذكرت في الميكروبات السابقة وهي بزور الفطر ومن الفطر ما يصيب الجلد فيحدث فيه أمراضا متنوعة كالقرع ومنه ما يصبب الفم أو الرئتين وغير ذلك مما سيأتي بيانه في باب الامراض المعدية واخلو الفطر من الكلوروفيل لا يمكنه تحليل غاز ثاني أكسيد الفحم فهو بذلك يشبه البكتيريا

ضرورة الكلوروفيل والشمس للحياة

إعلم أن الكلوروفيل من أوجب ضروريات الحياة في هذا العالم اذ بوجوده في (المنار : ج ٨) (٧٦) (المجلد الثامن عشر)

النبات يمكنه تركيب النشاء الضروري لتكوين مواد أخرى كثيرة مما في النبات وهي ضرورية للحيوانات أيضا، وذلك بتأثير أشعة الشمس معه في الأجسام . ويحتاج الكلوروفيل لوجود مادة الحديد في الأرض وان كانت لا تدخل في تركيبه بخلاف حمرة الدم فإن الحديد داخل فيها

وإذا تأمل الانسان في هذا العالم وجد أن الحياة تفاعل في قوى المادة كتفاعل النار تبعا لسنن مخصوصة، ومن الصعب أن يضع الانسان تعريفا لها جامعا مانعا لدخول مثل النار فيه فانها تشبه الاحياء في احتياجها الى غذاء (وقود) وتخرج منها أجسام كما تخرج إفرازات الاحياء ونقسم كاتقسامها وتتحرك كحركتها الى غير ذلك من الصفات المشتركة إلا أن حركتها لا تدل على شئ من الارادة كحركة بعض الاحياء (راجع صفحة ٤٢ و٤٣ من الجزء الاول)

هذا — وكان المتقدمون يرون أن الشمس ضرورية لتكوين الكلوروفيل في النبات ولكن وجد أنه قد يتكون بحرارة عالية في الظلام التام ، ومن هذا نرى أن الحرارة أو النار سواء أكانت من الشمس أم من غيرها هي الاصل الاصيل للاحياء قاطبة ويصعب فصل مفهوم أحدهما (الاحياء والنار) عن الاخرى بالدلائل المقنعة

الملائكة

كان القدماء لصغر عقولهم لا يقدرّون على الاعتقاد بأن إلهًا واحدًا يمكنه تدبير هذا الكون العظيم كله فلهمذا أشركوا به تعالى غيره فجعلوا لكل شيء إلهًا وكذلك لكل قوة من قوى هذا الوجود حتى جعلوا لبعض أعمال الانسان آلهة. ومن ذلك ما نراه من أساطير اليونان مثلا فان لهم إلهًا للرياح وآخر للحرب وثالثا للنوم ورابعًا للنار وخامسا للزواج الى غير ذلك من الآلهة التي تكاد لا تعد . ولكل من هذه الآلهة اسم باليونانية يعرفه العالمون بتلك اللغة

ولما جاءت الرسل الى الناس كان من أكبر مقاصدهم أن يردوهم عن الشرك الى التوحيد فأبى أكثرهم ترك ما هم عليه، ومن آمن منهم صعب عليه أن يترك جميع هذه الآلهة مرة واحدة، فأخذوا يسمونها بأسماء أخرى ولكنهم بقوا معتقدين بوجودها

وتديرها لهذا الكون العظيم ، ومن ذلك ما نراه في اسرائيليات اليهود فانهم ذهبوا الى أن لكل شيء في هذا العالم ملكا قائما بتديره فقالوا ان المرض ملكا وكذلك للنار والماء وللوحوش وللطيور ولسائر الحيوانات وللريح وللرعد وللشجر لكل منها ملك ، وللموت ملك كان واحد يقبض أرواح القاطنين بأرض اسرائيل وآخر يقبض أرواح غيرهم من الساكنين في سائر البقاع الاخرى. ولم يكنفهم ذلك بل زعموا أن الوباء (الطاعون) اذا انتشر فيهم كان بسبب ملك يرسله الله تعالى اليهم ؛ ومن ذلك ماروي في سفر صموئيل الثاني (اصحاح ٢٤: ١٥ - ١٧) ان داود رأى الملاك الذي ضرب بني اسرائيل بالوباء فمات منهم ٧٠ ألف رجل

وقد دخلت هذه الاسرائيليات في الاسلام مع من دخلوا فيه من أهل الكتاب ، وقال المسلمون بملائكة كالملائكة اليهود مع أن القرآن الشريف لم يثبت الا وجود القليل منها كما هو معلوم . على أن لنا في فهم معنى كلمة « ملك » وجها آخر غير ما يفهمه أكثر الناس ، وذلك أن هذا اللفظ مشتق من (مألک) بضم اللام وفتحها ، وهو اسم الرسالة ، وقيل مأخوذ من لفظ (لأك) اذا أرسل ، وعليه فكلمة ملك تطلق على كل رسول ^(١)

(١) المنار: مقاله الكاتب في هذا البحث ضعيف لغة وشرعا ، الا انه مذهب له واصطلاح خالف فيه الناس كما قال ، ولكن له فائدة لأجلها اجزنا نشره ، وهي ان المغرورين بما أصابوا من علم البشر القليل بشؤون الكون يتوهمون أنهم بذلك القليل من القليل قد أحاطوا علما بهذا العالم العظيم وبخالقه أيضا ، وان مالا ينطبق على علمهم لا يكون صحيحا وان كان ممكنا في نفسه. فمثل هذه التأويلات تقطع السنة هؤلاء الواهمين المغرورين دون الاعتراض على النصوص ، أو تزيل شبهاتهم فلا يصعب عليهم الجمع بين علمهم وبين الدين ، ولأن يكون أحدهم متدينا مؤولا ، خير من ان يكون زنديقا معطلا

أما بيان ضعف ما ذكر لغة فلان الألفاظ التي صارت حقيقة شرعية أو عرفية لا يجوز أن يدخل في مفهومها كل ما يناسب الاصل الذي اشتقت منه ، وأما ضعفه شرعا فهو أظهر ، والملائكة من عالم الغيب الذي يجب على كل مؤمن الايمان به كما ورد في خبر الوحي من غير تأويل ولا تحريف ، ويكفي في ذلك كونه ممكننا عقلا ، والايمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الايمان والأول هو الايمان بالله =

فما يرسله الله تعالى الى هذا العالم من المادة أو قواها يصح لغة أن يسمى ملكا بلا نزاع ، فالريح يسمى ملكا أو رسولا من الله ، ولذلك قال تعالى في الرياح (والمرسلات عرفا) والرعد كذلك ملك لانه يرسله الله تعالى لتخويف عباده وهكذا مما في هذا الكون من قوى المادة العظيمة كالمغنطيس والكهرباء ، والى هذا الرأي يشير قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) فان الواجب أن تكون بين المعطوفات مناسبة فعطف الملائكة على الرعد يشير الى ان المراد منها بعض القوى الطبيعية كالكهرباء التي تحدث الرعد والبرق ولعدم فهم المفسرين هذه المناسبة في هذا العطف زعموا أن للرعد ملكا بالمعنى الذي يفهمونه^(١)

ونحن اذا سمعنا قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) لا يتعين عندنا ان نفهم منه ما يفهمون فعزأيل^(٢) لم يرد ذكر اسمه في القرآن ولا في سنة صحيحة ، وانما هو اسم مشهور عند اليهود كانوا يسمون به بعض الناس وله عندهم عدة صيغ أخرى ولذلك لا تؤمن بوجوده

والذي أراه أن الميكروبات هي من رسل الله في هذا العالم فيجوز أن تسمى ملائكة ، ومنها ما يحدث الامراض المختلفة ، ولا تتحلل جثث جميع الموتى الا

= تعالى ، فهل يدخل في مفهومه هذه الميكروبات التي يصفها الكاتب بالدينئة الحقية ؟ كلا ، وأما ادخالها في مفهوم كلمة الجن فليس يبعد لغة ولا ممنوع شرعا فقد ورد في الآثار ان الجن أنواع ومنه ماهو من خشاش الارض . ولا مانع في العقل ولا العلم من كون بعض عوالم الغيب من الملائكة موكلًا ببعض شؤون الكون وسببها له . وتفصيل هذا البحث لا تتسع له هذه الحاشية

(١) ان قول بعض المفسرين بان الرعد ملك لم يكن مخترعا ومستنبطا بسبب عدم فهم ما فهمه الكاتب بل هي رواية نقلها أهل التفسير الماثور الذين ينقلون كل ما بلغهم وتلك منة لهم علينا وهم لم يصححوها . وتسبيح الرعد من قبيل تسبيح الجبال في سورة ص وتسبيح كل شيء في سورة بني اسرائيل
(٢) معناه في العبرية من يعينه (يهوه) أي الله

بالميكروبات، فاذا انحلت الجثث خرجت منها غازات وعناصر وأجسام متنوعة؛ وإذا ذهبنا إلى أن الروح عبارة عن جزء من مادة الاثير متحد بالجسم لاستبعاد خروج الروح عند انحلال الجسم بسبب عمل الميكروبات فيه، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون) الآية

فغمرات الموت من (غمر) ومعناها وجود الجسم في أشد دركات الموت التي تغمره وهو وقت انحلال الجثة، وبسط اليد كناية عما تفعله الميكروبات بها من التحليل والافساد، وقد ورد مثل هذه العبارة كناية أو مجازاً حتى في حق من هو منزّه عن الأعضاء والجوارح فقال تعالى (بل يدها مبسوطتان) (وراجع ١٧: ٣٠) وقوله (أخرجوا أنفسهم) هو ما تقوله الميكروبات بلسان حالها كما قالت السموات والارض (أتينا طائعين) والتعبير عن الميكروبات بضمير العاقل هو سنة القرآن من أوله إلى آخره فإنه يعبر غالباً عن كل ما يعمل عملاً من أعمال العقلاء بضميرهم، ومن ذلك قوله تعالى في السكاكب وهي أجرام جامدة (وكل في فلك يسبحون) وقوله في الاصنام (فراغ عليهم ضرباً باليمين) لأن المشركين كانوا يعتقدون أنها عاقلة مدبرة

وارفع التناقض الظاهري بين قوله تعالى (ملك الموت) بالافراد وبين قوله تعالى (توفته رسلنا) بالجمع نقول إن المفرد المضاف يعم كقوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام) أي لياليه فكذلك يصح أن يكون المراد من ملك الموت ملائكته أو رسله أي ميكروباته، وهي عادة من النوع الباسيلي — كما تقدم —

ومن أمثلة ذلك قولهم «حلت دودة القطن بأرض فلان» أي دوده فالمراد الجنس لا الفرد

ولا يتوهم أحد مما ذكر أننا ننكر وجود بعض أنواع أخرى من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو، كلا! ثم كلا! فإن الايمان بالملائكة بالمعنى المشهور فرض على المسلم. ومما يجب علينا الايمان به أن للوحي ملكاً (جبريل) وهو ليس من قبيل ما ذكرناه، وإنما مرادنا أن الميكروبات مما يدخل تحت لفظ الملائكة وليسوا هم كل الملائكة وآية فاطر التي ورد فيها ذكر الاجنحة للملائكة يمكننا أيضاً تطبيقها على

الميكروبات ، فقد سبق أن لبعض الميكروبات أهداباً مثني (كافي ميكروبات الكوليرا) فان لها هدين أحياناً في طرف منها وإذا اجتمع اثنان منها والتصقا معا جاز أن يكون لهما ثلاثة أهداب ، وللميكروب الحى الراجعة أربعة أهداب ، وللتيفود أهداب عديدة ، يزيد في الخلق ما يشاء ، ولا شك أن الجناح يطلق على الجنب واليد والعضد والابط ومنه قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك) فلا مانع من إطلاقها على هذه الأهداب التي هي بمثابة الايدي للميكروبات . على أننا لسنا في حاجة الى تطبيق هذه الآية على الميكروبات ، فانه ليس المراد من كون الميكروبات من الملائكة أن كل ما يسمى ملكاً يكون له أجنحة ويكون عاقلاً مكرماً عند الله بل المراد أن كل ما هو خاضع لأمر الله يرسله متى شاء فهو من ملائكته أي رسله

هذا — ولا يتوهم من قوله تعالى في سورة العنكبوت مثلاً عن لسان الملائكة (إنا مهلكوا أهل هذه القرية — ونحن أعلم بمن فيها — إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً) الآيات أن القرآن — ككتب الأمم الأخرى — ينسب الى الملائكة الأعمال التي تجري في هذا العالم حسب السنن الالهية المعتادة كنسف القرى وقلب الارض بالثورات البركانية ، فان هؤلاء الملائكة كانت وظيفتهم قاصرة على اخبار ابراهيم ولوط بما قدره الله لقوم لوط ولزوجه وعلى ارشاده الى ما يجب عمله حتى ينجو مما سيحل بهم ، وإما عبروا بتلك العبارات التي يفهم منها أنهم أنفسهم هم الفاعلون ليكبت وكيت لانهم رسل الله أرسلوا بأمره وارشاده ليكونوا نائبين عنه تعالى في تبليغ ما أراد للوط فهم متساوون عن الله وبلسانه جل شأنه ، فالمهلك والعالم بحال الناس والمنزل الرجز هو الله الذي أمرهم أن يقولوا عنه ذلك ، وقد تقدم لهذه المسألة نظير في قصة مريم وجبريل عليهما السلام (راجع صفحة ١١٨ من الجزء الاول) ولذلك قالت الملائكة للوط (الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) كما في سورة الحجر مع العلم بأن الله تعالى وحده هو الذي قدر كل شيء وانما هم مبلغون بأمره عن قدره وعليه فالتقدير في سورة العنكبوت هو هكذا : (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا) تبليغاً عنا (إنا مهلكوا أهل هذه القرية قال ان فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها) أي قالوا عنا اننا نعلم بمن فيها (وقالوا لا تخف ولا تحزن انا

منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين * إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا فيها آية بينة لقوم يعقلون) فالتسكلم الحقيقي في كل هذه الآيات هو الله تعالى كما هو ظاهر من آخرها ، والملائكة إنما يرددون هذه العبارات لتبليغها الى لوط بالنيابة عن الله تعالى ، فافهم ذلك ولا تكن من الجاهلين

الجن

هذا اللفظ مشتق من مادة الجيم والنون، وهذه المادة تفيد معنى الستر ومن ذلك قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) أي ستره ، وأجن الشيء في صدره أي أكنه ، والجنين المخلوق مادام في البطن ، والجنة السترة والجنان القلب لاستتارهما واستعجن أي استتر بسترته ، والجن الترس وكلها تفيد معنى الخفاء والاستتار، فلفظ الجن يطلق أيضا على الميكروباب لاستتارها فهي ملائكة مرسله من الله ومستترة عن أعين البشر

ومن ذلك حديث (الطاعون وخز أعدائكم من الجن) وفيه إشعار بأن للانسان أعداء من غير الجن وهو صحيح

ونقول في خلقها إنا اذا لاحظنا أن الميكروبات نباتات والنباتات سابقة لجميع الحيوانات فهي مخلوقة من الارض بعد أن أخذت في البرودة واذا لاحظنا أن القرآن الشريف نص على أن الله تعالى جعل من الماء كل شيء حي أمكننا أن نقول إنها خلقت باتحاد بعض العناصر مع الماء أو بخارها في وقت كانت الارض فيه شديدة الحرارة أو آخذة في البرودة

ولا يخفى على المطلعين على العلوم الطبيعية أن الراجح أن الارض كانت شعلة من النار مشتقة من الشمس ، فاذا قلنا ان هذه النباتات هي أول ما كوّن من الاحياء في الارض فهمنا معنى أنها مخلوقة من النار اذ ليس معنى هذا المخلق أنها خلقت مباشرة منها بل خلقت أطوارا كما أن الانسان لم يخلق مباشرة من التراب بل خلق منه طورا بعد طور . فالحق أن جميع الاحياء مخلوقة من الارض والارض مخلوقة من النار ،

ولما كانت النباتات أول المخلوقات كانت أسبق منا الى طور النار وأقرب بها عهدا منا ، على أنه ليس المراد بكون الميكروبات أو غيرها من الجن أن كل ما يسمى جناً مخلوق من مادة واحدة بل معناه أن كل ذلك من العوالم الخفية المجتنة

العدوى

قبل الكلام في هذا الموضوع يجب أن نذكر ماورد من الاحاديث المثبتة للعدوى والنافية لها ثم نجمع بينهما بما يفتح الله به علينا

فن الاحاديث المثبتة للعدوى :- (قوله ص) « كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين » ^(١) وقوله (ص) « ان كان شيء من الداء يعدي فهو هذا » يعني الجذام (وقوله ص) « اتقوا المجذوم كما يتقى الاسد » وقوله (ص) ارجل مجذوم كان في وفد ثقيف « ارجع فقد باعناك » وقوله (ص) « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع وأتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » وهذا الحديث يصح أن يعتبر مبدأ يجري عليه الناس في مسألة الحجر الصحي المسمى باللاتينية (Quarantine) ومعناه الاصلي « أربعون » لان السفن الآتية من البلاد الموبوءة كانت تمنع من الاقتراب من شاطئ البلاد السليمة مدة أربعين يوما . فالرسول (ص) يريد بهذا الحديث أن يعمل المسلمون أيضا مثل هذا الحجر على البلاد الموبوءة فلا يدخلوا فيها لئلا يصابوا ، ولا يخرج الناس منها لئلا ينشروا العدوى بين الآخرين

وورد أن أبا عبيدة قال لعمر حينما خاف من طاعون الشام : أفرار من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم فرار من قدر الله الى قدر الله . وورد أن النبي (ص) قال « لا يُورَدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصْحٍ » وفي لفظ « لا يوردن ذو عاهة على مصح »

(١) يقول الاطباء إن ميكروب السل يندر وجوده في الهواء حول المصاب بعد متر ونصف منه ، وربما كان الامر كذلك في الجذام

ومن الاحاديث النافية للعدوى: - قوله (ص) « لا يعدي شيء شيئاً فمن أجرب الاول ؟ لا عدوى ولا صفر ، خلق الله كل نفس فيكتب حياتها ورزقها ومصائبها » وفي حديث آخر « فمن أعدى الاول ؟ » وقوله (ص) « لا عدوى ولا هامة ولا صفر ، ولا يحل الممرض على المصح ، وليحل المصح حيث شاء - قيل : ولم ذاك ؟ قال - لانه أذى » وقوله « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة - قيل : يا رسول الله ! أرايت البعير يكون به الجرب فيجرب الابل كلها ؟ قال - ذلكم القدر ، فمن أجرب الاول ؟ »

هذا شيء مما ورد في هذه المسألة ؛ وقبل الخوض فيها يجب أن نتذكر ما روي عن أنس أن الرسول قال * أنتم أعلم بأمر دنياكم * فعلى فرض أننا لا يمكننا تأويل الاحاديث النافية للعدوى فالمسلم لا يتحتم عليه أن يأخذ بها - كما سبق في صفحة ١٦٥ من الجزء الاول - فانه أدري بامور دنياه يأخذ منها ما ثبت عنده بالبرهان ، على أننا اذا راجعنا جميع هذه الاحاديث ظهر لنا أن النبي (ص) وأصحابه (رض) كانوا يعتقدون بالعدوى كما هو صريح ما ذكرناه منها
أما نفي العدوى فيقال فيه ما يأتي : -

العدوى لغة هي انتقال المرض من شخص الى آخر ، وكانت العرب تعتقد أن المرض لا يأتي الا من مريض ولذلك قال (ص) لهم * فمن أعدى الاول ؟ * ولا يخفى أن المرض عرض لا يمكن أن يقوم بذاته وعليه فيستحيل أن ينتقل المرض من شخص الى آخر ، وهذا مما يفهم من قوله (ص) * لا عدوى * أي لا ينتقل المرض ، وهذا حق

أما انتقال جراثيمه فهو أمر كانت تجهله العرب فلم يكن حديثهم ولا حديث الرسل فيه . وأيضاً قد ينتقل الميكروب ولا يحدث المرض كما سبق في باب الوقاية ، فليس انتقال الميكروب شرطاً لحدوث المرض . ومن الميكروبات ما يكون منتشراً في الهواء أو الطين أو غيرها وهي التي أصابت الاول المذكور في الحديث^(١) والميكروبات التي تصل الى الانسان لا تحدث فيه المرض الا اذا كان

(١) المنار : ان من يمرض بوصول الميكروب اليه من الهواء أو الطين =

مستعداله ، والاستعداد يكون بأسباب وأحوال أرادها الله تعالى وجعل السبب فيها على قدر المسبب وذلك ما يسمى بالقدر في الاحاديث ، فالاساس الاصيل في حدوث الامراض هو القدر ولولاه لما فعلت الميكروبات بالجسم شيئا مطلقا . وحكمة ذكر هذه الاحاديث بعد نصه (ص) على وجوب الابتعاد عن المرضى وتعليله ذلك بأنه أذى أي ضرر - هي أن الانسان يجب عليه أن لا يتغالى في أمر العدوى بمجرد اقترابه من المريض فان ذلك يحدث في الجسم وهما ووسوسة قد يؤديان الى ضعف حقيقي في الجسم أو العقل ، ويؤدي الناس الى الامتناع عن تمييز المريض أو معالجته لمجرد الوهم وفي ذلك ما فيه من الضرر

ولذلك تجد الاطباء لا يبالون بالوسوسة في أمر العدوى ويقابلون كل مريض ويقتربون منه أشد القرب بل ويمسكون بأيديهم ما فيه الميكروبات ولا يجنون فان العاقل يجب أن لا يكون جباناً ولولا ذلك لما تقدمت الابحاث العلمية كل هذا التقدم والخلاصة أن الخوف من العدوى يجب أن يكون في دائرة العقل فلا يجوز أن يفرط الانسان فيها ولا يجوز أن يفرط من الرعب منها فان ما قدر الله للانسان من حيث قوة بنيته أو ضعفها ومقاومتها للامراض لا بد أن يكون واذا فرض أن أمراً كان مستعداً لمرض ما أتاه العرض من حيث لا يحتسب، فلذا كان الواجب الاعتدال في العدوى كما هو واجب في كل شيء

وعبرة عمر (رض) السابقة في القدر صريحة في وجوب العناية بأوامر الطب وعدم مخالفتها اعتماداً على القدر وهي من أعلى الحكم الفلسفية

ومن مضار شدة الوسوسة في مسألة العدوى ان الموسوس يمتنع عن ملاسة كل شيء مما في هذا العالم الا بشروط مخصوصة توجب الاعياء والاعانت ، فمثلاً

= لا ينطبق عليه تعريف العدوى السابق

فان قيل: ان الميكروب الذي كان في الهواء أو الطين قد انتقل اليهما من شخص مصاب - تقول : ومن أعدى أول من أصيب بذلك المرض من البشر أو من الحيوان ؟ لا يمكن الجواب عن هذا السؤال الا بنفي حصر المرض بالعدوى المعروفة وإثبات أن من المرض ما حدث بأسباب أخرى، الا إن امكن اثبات أن أول البشر مثلاً كان مصاباً بجميع الامراض المعدية ولن يثبت هذا أبداً

يتجنب لمس النقود ونحوها كالأوراق المالية ، ويتجنب محادثة الناس واستنشاق الهواء خوفاً من أن يكون مرّ على مرضى أو موتى ، ويتجنب الأكل أو الشرب أو النوم أو الركوب في الحضر والسفر حيث يفعل الناس كل ذلك ، وفيه من الضرر البليغ ما لا يخفى على المفكر

أما الصَّمَر (بفتح حـ) فهو ما كانت تزعمه العرب من أن في البطن حية تعض الانسان اذا جاع ، والذع الذي يجده عند الجوع من عضها . وهذه الحية لا وجود لها في الانسان السليم وإنما قد يوجد في البطن أنواع كثيرة من الديدان ، منها نوع يشبه الثعبان الصغير ولكنه غير موجود في جميع أفراد الانسان كما توهّموا ، وليس هو السبب في الاحساس بالجوع كما كانت تزعم العرب ، وقيل : ان معنى (لاصفر) ان الامور الرديئة لا تقع في صفر دور غير من الشهور بل هو كغيره ، ولا اعتقاد العرب ان هذا الشهر مشؤوم كانوا يحرمونه ويستحلون المحرم بدله

فأنت ترى من كلا التفسيرين أن ليس المراد نفي (صفر) مطلقاً بل نفي ما كان تعتقده العرب فيه ، سواء أكان اعتقادهم أنه دودة في بطن كل امرئ تحدث عنده الجوع أم كان شهراً مشؤماً دون الشهور ، فكذاك ليس المراد من نفي العدوى نفيها مطلقاً بل نفي ما كانت تعتقده العرب فيها من أن الامراض تنتقل بنفسها وأنه يتحتم حصول المرض بمجرد الاقتراب من المريض وأنه لمرض يحصل الا من مريض سابق ، وكلها أوهام باطلة نقاها رسول الله (ص) وهو محق في ذلك كل الحق كما نفي الصفر وكما نفي الهامة

وأما الهامة فهي لغة الرأس وطير من طيور الليل يسمى الصدى وهو ذكر البوم وهو المراد في الحديث ، وكانت تزعم العرب أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة وتصيح على قبره — : اسقوني ! اسقوني ! فاذا أدرك بثأره طارت ، وهذا أيضاً من الخرافات التي جاء الاسلام بتطهير العقول منها

(استدراك على حياة الميكروبات)

ظهر مما سبق أن العلماء يعتقدون أن الميكروبات خالدة — كما يعبرون — وهم كذلك يعتقدون أن المادة وقواها خالدة ، أفليس من أعجب العجب بعد ذلك

أن يعتقدوا أن الانسان غير خالد مع أنه أرقاها ولم تعتن الطبيعة^(١) بمخلوق اعتناءها به؟ - كما يقولون - أليس في محافظة الميكروبات على نوعها بالحبيبات (Spores) اشارة لنا الى أن روح الانسان هي كحبيبة الميكروب؟ وكما أن الميكروب ينتقل بذلك من طور الى طور فكذلك الانسان ينتقل بروحه من طور الى آخر فهل بعد ذلك يكون في عقيدة البعث شيء من الغرابة أو المنافاة لسنن الكون حتى ينكرها المنكرون؟!

الاحياء الطفيلية أو التسليقية

هي التي تنسلق غيرها (أي تعلقه) وتطفل عليه فتغذى منه ، وهي نباتية وحيوانية ، والنباتية أكثرها فتسكا بالانسان وغيره واشدها خطرا

النباتية

تشمل بعض أنواع البكتيريا التي يتركب أكثرها من خلية واحدة - كما سبق - والفطر الذي يتركب من خلايا متعددة - وقد تقدم البيان الشافي عنهما - ويلاحظ في هذه الاحياء النباتية والحيوانية أنها كلما دقت وصغرت كانت أشد خطرا من الكبيرة ، والله في خاتمة شؤون فكأنه تعالى قد وضع سره في أصغر خلقه (كما تقول العامة)

الحيوانية ، وأشهر انواعها : -

- (١) ذوات الخلية الواحدة وتسمى بالافرنجية [Protozoa] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي « الحيوانات الاولى » وأشهر أمثلتها جرثومة (الملاريا) - وتسمى بالعربية [النافض] أي ذات الرعدة - وأحد نوعي (الدوسنطاريا) - وتسمى بالعربية [الزحار] أي التي تحدث الزحير - وبعض الحارزونات كحلزوني الزهري والحلي الراجعة وهذه هي التي تنقسم بالطول - كما قلنا - بخلاف البكتيريا فإنها تنقسم بالعرض ، وذلك من أهم ما يميز الواحد منهما عن الآخر
- (٢) حشرات صغيرة مركبة من خلايا عديدة ، تكون حيوانا صغيرا

(١) قلنا هنا الطبيعة لان الكلام مع من لا يعتقد إلا بها

مثل أ كروس الجرب والقردان كما في بلاد السودان [Ticks] وهو جمع قُرَاد وكلاهما من الفصيلة العنكبوتية

(٣) حشرات كبيرة كالقمل والبراغيث والبق

(٤) السَّغَف وهو الذي يسميه الاطباء المحدثون [اليرقات] وهي الدود الذي يخرج من بيض بعض أنواع الذباب ويعيش في جلد الانسان أو أذنيه أو أنفه
(٥) الديدان بأنواعها والاكياس الدودية، ومن أشهر أنواع الديدان : —

(أ) المعوية كالدودة الشريطية

(ب) الدموية كالبلهارزية وهي دودة اكتشفها في مصر الباحث الشهير

ثيودور بلهارز [Theodor Bilharz] سنة ١٨٥١ وهي توجد في بعض أوردة الانسان (كالوريد الباب) وهي السبب في ما يصاب أكثر المصريين من البول الدموي أو البراز الدموي أيضا

(ج) اللمفاوية كالفلاريا [Filaria] وهي كلمة مأخوذة من اللاتينية

ومعناها الخيط ، وهذه الدودة هي السبب في البول اللبني وداء الفيل

(د) الصفراوية كالدودة الورقية [Distoma Hepaticum] التي توجد

في مرارة البهائم ومجاري المرّة (الصفراء) فيها، وقد توجد في الانسان نادرا، وهي تشبه الورقة الصغيرة شبيها تاما وطولها نحو ٢٥ مليمترا وعرضها ١٢ مليمترا وتكون مطوية على نفسها وقد تسد مجرى الصفراء في الانسان فتحدث عنده اليرقان وتنزل الصفراء في بوله

(هـ) الجلدية كالعرق المدني وهو نوع من الفلاريا يسكن تحت جلد الانسان

خصوصا في أرجله، وهي كثيرة الوجود في سكان المدينة المنورة وبلاد الهند وغينيا (بأفريقية) والسودان

(و) العضلية كدودة الشعرة الحلزونية [Trichina Spiralis] طول

الذكر منها ٥ و١ مليمتر وطول الانثى نحو ٣ مليمترات وهذه الدودة تسكن كبارها في أمعاء الانسان وصغارها في عضلاته. وانما ذكرت على حدة لان وجودها في الامعاء لا ينشأ عنه ضرر يذكر وكل الضرر من وجود صغارها في العضلات فانها تحدث

الما شديدا وحى تشبه الحمى التيفودية، والمرض الناشئ منها شديد الخطر على الحياة. وصغار هذه الدودة التي تسكن العضلات ترى فيها بالعين المجردة كنقط مبيضة صغيرة جدا طولها جزء من ثمانية وسبعين جزءا من البوصة، وهذه النقط هي الديدان وما أحاط بها من الغلف. وتصل هذه الدودة الى الناس من أكل لحم الخنزير . ويكثر وجودها بعض الكثرة في بلاد ألمانيا لكثرة أكل أهلها لحم الخنزير. وتصاب الفيران بهذه الدودة أيضا فتنشر في عضلاتها، والفيران يأكل بعضها البعض الميت فتنشر الدودة بينها، وهي تأوى الى زرائب الخنازير وتموت فيها، والخنازير مولعة بأكلها أيضا فتنشر فيها المرض لذلك، ومنها يصل الى الانسان، وسيأتي ان شاء الله البيان الشافي عن جميع هذه الديدان وتواريخ حياتها والامراض التي تنشأ عنها تفصيلا

الامراض التي تنشأ من الاحياء الطفيلية

﴿ مقدمة في الحمى ﴾

ذكرنا في الجزء الاول (صفحة ١١ و ١٢) حقيقة الحمى ومنشأها وغير ذلك مما يتعلق بها اجمالا ونريد الآن أن نفصل القول فيها تفصيلا فنقول : —

الحمى هي ارتفاع حرارة الانسان عن الدرجة الطبيعية ، وتكون مصحوبة بأعراض كثيرة تصيب أجزاء الجسم المختلفة واليك تفصيلا :

الجلد — يكون ساخنا وجافا غالبا وقد يندى بالعرق وفي بعض الحميات يكون العرق غزيرا ولون الوجه حمرا . وفي بعضها يظهر في الجلد ما يسمى « بالطفح » وهو أنواع كثيرة ، منها نقط حمراء تزول بالضغط عليها أو نقط ناشئة من نزف تحت الجلد وهذه لا تزول بالضغط ومنها بثور كما في الجدري . والظاهر أن سموم الميكروبات تحدث شللا في الاوعية الدموية للجلد أثناء محاولتها الخروج من البنية أو تحدث تهيجا أو التهابا في الجلد فينشأ من ذلك الشلل أو ذلك التهيج أو الالتهاب أنواع من الطفح تختلف باختلاف كل مرض وسيأتي بيانها . وفي بعض الحميات التي يكثر فيها العرق كالحمى التيفودية والرثية (الروماتزم) تشهد

حبوب صغيرة جدا في الجلد ممتلئة بسائل رائق وهي تتكون من ارتفاع الطبقات العليا للبشرة بتراكم العرق تحتها

الجهاز الهضمي - يكون اللسان مغطى في أول الامر بطبقة بيضاء ثم يجف وتزول هذه الطبقة من مقدم اللسان وحوافيه فيرى لونه أحمر، ثم يشتد الجفاف ويسمر لون اللسان ويتشقق وتجتمع عليه وعلى الاسنان والشفيتين أوساخ مسودة . ويفقد المصاب شهوة الطعام ، وقد يصيبه القيء ويكون الهضم ضعيفا جدا ويمسك البطن ويعظم حجم الطحال

الدورة الدموية - يسرع القلب في ضرباته في أول الامر ثم يضعف ، ويصل النبض الى ٨٠ أو ١٢٠ فأكثر في الدقيقة، وتمدد عضلة القلب بسبب الضعف التنفس - يسرع أيضا التنفس فيصل الى ٣٠ أو ٤٠ مرة في الدقيقة وإذا طالت مدة الحمى تحقن قاعدتا الرئتين وتكثر النزلات الشعبية أو الرئوية

البول - يقل مقداره ويشد لونه وترسب فيه أملاح حمراء من حامض البوليكت وتكثر البولينا وتكون أملاح الكلوريد (كملح الطعام) قليلة عادة خصوصا في التهاب الرئة ، أما في الملاريا فتزيد هذه الأملاح عند ارتفاع الحرارة فيها

الجهاز العصبي - يكثر الصداع في أول الحمى ويشعر الانسان بتكسر في جميع الجسم ويسأم كل عمل جسماني أو عقلي وبعد قليل يصيبه ضعف في قواه العقلية ويميل الى النعاس وإذا نام ابتداء يهذي ، وبعد ذلك يكثر الهيجان ويزول النوم ويشد الهذيان فيكثر المريض من اللغو ويصاب بما يشبه الجنون، وقد يقوم من فراشه ويتشاجر مع ممرضيه أو أطبائه وقد يحاول أن يلقي بنفسه من نافذة المكان ، ثم تهدأ قواه ويصاب بالغيوبة فيفقد كل شعوره وقبل تمام الغيوبة يصاب بارتعاش في حركاته وتقلص في العضلات (يسمى بالاهتزاز الوتري) ويلتقط أشياء وهمية يراها امامه في الهواء . وينتهي الامر به الى أن يتبرز بدون شعوره ، ولعدم احساس المثانة بما فيها يتراكم البول حتى تفعم به

(اختلاف الحرارة اليومي)

كما أن الحرارة الطبيعية تختلف في المساء عن الصباح^(١) كذلك حرارة المحموم تكون غالباً في المساء أعلى منها في الصباح ، وفي بعض الامراض تكون بالعكس فترتفع صباحاً وتنخفض مساءً . ويسمى ذلك (بالطاراز المقلوب)

[Typus Inversus] كما في الدرن العام المسمى بالدرن الدخني

ومن الحرارة ما يكون دائماً الارتفاع بكثير عن الدرجة الطبيعية ومنها ما يقرب في الصباح من الدرجة الطبيعية ، ومنها ما تصل في الصباح الى الدرجة الطبيعية أو تحتها ولكن ترتفع في المساء كثيراً . وعند ارتفاعها يزداد التنفس والنبض كما سبق ، وقد تحصل للمحموم شعيرة لا إحساسه بالبرد وإن كانت درجة الحرارة في الحقيقة عالية، ولكن لاقباض أوعية الدم التي في الجلد يحصل له هذا الاحساس بالبرد

ومن الحميات ما يزول بالتدريج فتأخذ الحرارة في النقص يوماً بعد يوم حتى تصبح طبيعية، ومنها ما يزول دفعة واحدة فيشفى الانسان في ظرف ١٢ ساعة أو ٣٦ ساعة ، وعندئذ قد يصاب الانسان بالاسهال أو بالعرق الغزير أو يحصل له الوعاف ويسمى انخفاض الحرارة الفجائي (بالبحران) وبعد انخفاض الحرارة قد تبقى بضعة أيام أقل قليلاً من الدرجة الطبيعية

(درجات الحرارة المختلفة)

درجة الحمود أو المهبوط	٣٥,٥° أو أقل
الدرجة التي تحت الطبيعية	٣٦,٤°
الطبيعية	٣٦,٥° الى ٣٧,٢°

(١) سبب ذلك أن عمل جميع أعضاء الجسم في هذا الوقت يكون أقل بكثير من عملها في سائر الاوقات . وإذا عكس الحال بان اشتغل الناس ليلاً تصير الحرارة مرتفعة صباحاً ومنخفضة مساءً . ويتبدى الارتفاع عادة من الساعة السابعة صباحاً الى الثانية بعد الظهر وتبقى على حالتها الى الساعة أو الثامنة مساءً ثم تنخفض الى الثانية بعد نصف الليل وتبقى كذلك الى الساعة السابعة صباحاً

الحمى الخفيفة ما كانت فوق ٣٧.٠ قليل

الحمى الشديدة ٣٩.٠ الى ٤٠.٠

الحمى الأشد ٤٠.٠ الى ٤٣.٠ وفي النادر جدا ٤٤.٠

فاذا زادت الحرارة على ٤٤ درجة فلا أمل في الحياة غالبا ما لم تستعمل أشد العلاجات الفعالة وهي التبريد السريع بالماء والتلج

(الموت بالحميات)

يحصل الموت — إما من نهك الحمى للقوى بسمها مع طول المرض أو بشدة تسم الدم في أيام قليلة — أو من زيادة الحرارة زيادة فاحشة كأن تصل الى ٤٤ مثلا ، واعلم أن طول التعرض لحرارة فوق ٤٠.٠ سنتجراد يقتل (البروتوبلازم) ويجمده ، ويسمى ذلك بتيبس الحرارة [Heat Rigor] (أنظر ص ١٥ من كتاب فسيولوجيا هليبرتون) [Halliburton] — أو من شلل القلب — أو من المضاعفات الرئوية ، أو غيرها

ويكون الدم بعد الوفاة رقيقا مسودا ، وتقل كرياتة الحمراء وتكثر البياض ، وتشاهد أنزفة نقطية كلدغ البراغيث [Petechiae] أو أكبر في الأغشية المصلية كالبليورا أو الشغاف . أما الاحشاء (الكبد والطحال والكليتان) فتكون كبيرة رخوة ويحصل في خلاياها استحقالات^(١) حبيبية أو دهنية وكذلك تصاب العضلات بتلف في منسوجها سنتكلم عليه في بحث الحمى التيفودية

(المضاعفات والعواقب)

كثيرا ما يطرأ على الانسان في أثناء الحمى بعض أعراض أخرى مرضية تزيد المرض شدة فوق شدة ، وقد يصاب الانسان أيضا بعدها ببعض أمراض تكون كالنتيجة لها . ويسمى النوع الاول بالمضاعفات ، ومثاله التهاب البريتون في الحمى

(١) وذلك بتحول بروتوبلازم الخلايا الى حبيبات دقيقة جدا ، وهي خطوة في سبيل الاستحالة الى شحم وبذلك يبطل عمل هذه الخلايا

التيقودية. ويسمى النوع الثاني بالعواقب أو العقابيل، كاشلل عقب الدفثيريا فإنه يصيب المريض بعد شفائه منها ببضعة أيام أو أسابيع

(معالجة الحمى)

يوضع المريض على فراشه ليستريح راحة تامة في مكان صحي تطلق الهواء وتخفف عنه أغطيته وملابسه — بعكس ما يتوهم الجاهلون — نعم ينبغي أن تدفأ الأطراف السفلى خصوصا اذا ضعفت قوى المريض وأصابها البرودة والغذاء يكون من السوائل المغذية السهلة الهضم مثل اللبن والمرق^(١) وماء الشعير، ولا بأس من طبخها بقليل من دقيق بعض الحبوب أو بمسحوق ناعم من الخبز الاسفنجي الهش. ويحسن تخلية اللبن بالسكر أو عسل النحل المصفى . ويعطى المريض أيضا المياه الغازية فإنها نافعة للمعدة . ومن المستحسن أيضا إعطاؤه بعض الاشربة الحلوة كشراب التمر الهندي والسكر مع الليمون وعصير البرتقال المصفى . ويشترط في هذه السوائل الحامضة أن يفصل بينها وبين تعاطي اللبن بنحو ساعتين لثلاثتين فيتقايأه المريض. وليشرب من الماء ما يريد فإنه منعش مغذ غاسل للسموم . واللبن الخائر (لبن الزبادي) نافع جدا. ومن أسهل الاغذية هضما وأنفعها أن يمزج بياض بيضتين بنحو ربع لتر من ماء راشح ويحلى بعسل النحل النقي ويضاف عليه جزء من عصير الليمون ثم يثلج ويشرب منه المريض . ويجب أن تعطى هذه السوائل المغذية بمقادير صغيرة في فترات قصيرة متعددة كأن يعطى له اللبن قدر مل خمسة فناجين كل ساعتين مرة، ويكون مقداره في اليوم نحو ثلاثة أرتال (مصرية) أو أربعة . وتبريده بالثلج محمود كثيرا

ولا يتوهم أحد انه يوجد لاكثر هذه الحميات الآن دواء قاطع لسيرها في

(١) يقال أن المرق قد يزيد الاسهال في بعض أحوال الحمى التيقودية. وإنما تستعمل السوائل السهلة المغذية في الحميات لضعف المريض عن المضغ والبلع ، ولجفاف الاعضاء وضعفها وقلة العصارات الهاضمة

الحال^(١) بل لا بد أن تتم أطوارها ، وإنما يمكننا تخفيف وطأتها وإضعاف شدتها لكيلا تفسد الاحشاء ، وكذلك يمكننا ملافاة كثير من أعراضها الخطرة كالتهاب الرئة أو ضعف القلب أو ما ينشأ من بعضها من الانزفة كالنزف المعوي في الحمى التيفودية

ومن الادوية ما يخفض الحرارة مؤقتا بعد استعماله بساعتين أو ثلاث ككبريتات الكينين (من ٢٠ الى ٣٠ قحقة) ولكن استعمال الماء البارد أفضل من جميع هذه الادوية . وطريقة ذلك أن تؤخذ حرارة المريض كل ٣ ساعات مرة وكلما وجدت ٣٩° فأكثر يوضع في الماء البارد مدة ١٠ دقائق أو ١٥ دقيقة ، ثم يرفع منها وينشف جيدا ويوضع على فراشه بالراحة . فنجد أن الحرارة صارت طبيعية أو أقل ولكنها لا تلبث الا قليلا وترتفع وكلما عادت عدنا . ويجوز أن يلف المريض مدة ربع ساعة بمثل ملءة بعد غمسها في الماء المثلوج . ولا يخيفنا من استعمال الماء البارد الا أشياء قليلة جدا وهي الهمود الشديد والنزف المعوي والمضاعفات الرئوية البالغة ، وظاهر أنه في حال الهمود أو النزف الشديد تكون الحرارة منخفضة وإذاً يكون استعمال الماء البارد لا مسوغ له من أول الامر . وفائدة هذا التبريد تحسين الاعراض عموما وتقليل حدوث المضاعفات والاستحالة الحبيبية للاعضاء

وإذا أصاب المريض همود في قواه يتعين استعمال المنعشات ، وأقربها اليها القهوة والشاي والخمر ، ولكن يشترط في استعمال الخمر أن لا تعطى بمقادير كبيرة لايام كثيرة والا حدث منها سرعة في النبض وشدة في الهذيان ، ومقدارها المعتاد من ٢ - ٨ أوقي (أو فناجين قهوة) في اليوم

ومن الادوية التي يستعملها الطبيب النافعة في الهمود الديجيتال^(٢) والنوشادر والاثير

(١) ولكن في مثل الحمى الراجعة تقطع سيرها حقنة ٦٠٦ في ٧ - ٢٠ ساعة ، والكينين يزيل حمى الملاريا في الغالب

(٢) هي كلمة لاتينية معناها الاصبع لأن أزهار هذا النبات كالاصابع

٦٢٠ اللبن الخاثر. الحقن الشرجية المغذية. وجوب البعد عن المحموم [المنار: ج ٨ ص ١٨٨]

والاستركنين، ويستحسن اعطاء شيء من الپيسين مع حامض الهيدروكلوريك^(١) لتقوية هضم المعدة لقلّة إفراز هذين الجوهرين في الحميات. ويجب عند ابتداء المرض في جميع الحميات أن يعطى مسهلا كالملح الانكليزي أو زيت الخروع لتنظيف القناة الهضمية والجسم

وإذا تعذر تغذية المريض في أثناء الغيبوبة غذي بالحقن الشرجية المغذية، وحقن بالمنبهات وبمحلول ملح الطعام الطبيعي فإنه منعش مدر للبول مزيل لبعض سموم الميكروبات. وغرقى (بياض) البيضة اذا حقن في الشرج مع جرام ملح امتص منه ونفع المريض

(تنبيهان)

(الاول) في جميع الحميات يجب عزل المريض في مكان خاص بحيث لا يختلط به أحد من الناس مطلقا الا القائمون بتمريضه أو مداواته، ولا يسمح لأحد بزيارته، وذلك واجب طبيا وقانونا منعا لانتشار العدوى بين الناس، وليس فيه مخالفة لآداب الاسلام في عيادة المريض. فقد ذكرنا من الاحاديث ومن أقوال الصحابة كعمر (رض) ما يدل صريحا على أن الانسان اذا خشي العدوى وجب عليه أن يتقي القرب من المريض. على أن الحميات اذا اشتدت أحدثت ذهولا عند المريض بحيث لا يقدر على تمييز زائريه أو محادثتهم بالعقل والحكمة. وأيضا فمن آداب عيادة المريض في الاسلام أن لا يطيل العائد المكث عنده حتى لو كان مرضه غير معد لان ذلك قد يكون سببا في مضايقة المريض. وفي الحديث أن قوما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم وباء أرضهم فقال «تحولوا فان من القرف التلف»

(١) لذلك كان اللبن الخاثر (لبن الزبادي) من أفضل الاغذية للمحموم لوجود حامض اللبنيك فيه فيسهل هضمه لذلك ولقلة مائه فلا يضعف العصير المعدني، وهو مطهر بمخوضته ونافع لنزلات المثانة. والميكروبات التي تحدث حموضته مطهرة للامعاء نافعة في أمراضها خصوصا في التهاب الامعاء الغليظة فتمنع نمو الميكروبات فيها. وما تحدثه من حامض اللبنيك بتأثيرها في سكر اللبن أو العنب قاتل للميكروبات أيضا. وسكر العنب هذا يوجد في الامعاء بعدأكل النشاء أو سكر القصب (راجع صفحة ٨٢ من الجزء الاول)

[المنار: ج ٨ م ١٨] الميكروبات المحبة للحرارة . شذرة من الخطب النبوية ٦٢١

والقرف مدانة المريض فصرح هذا الحديث يدل على وجوب البعد عن المرضى لاجتناب التلف

(الثاني) الواجب أن يطهر الطعام الذي يعطى للمرضى بالغلي جيدا ثم يبرد بسرعة فإن من الميكروبات ما يسمى « محب الحرارة » [Thermophilie] وذلك لأنها تتكاثر في حرارة ٦٠° الى ٧٠° سنتجrad فاذا لم يطهر اللبن مثلا بالغلي ولم يبرد سريعا انتهزت هذه الميكروبات فرصة سخونة اللبن اذا ترك يبرد بنفسه فتتكاثر فيه وتحدث مواد تؤذي الصحة . وهذه الميكروبات توجد في الطين والماء وغيرها ومنهما تصل الى اللبن . فلذا يجب قتلها بالغلي

الخطب الدينية

٢

﴿ شذرة من الخطب النبوية ﴾

مقتبس من مقدمة ديوان خطب القاسمي، والحواشي له الا ما زدناه بعد اسم «المنار»

١

أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة ابراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله تعالى ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الامور عوازمها ، وشر الامور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدي الانبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير العلم مانع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب . واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الصلاة الا دبرا^(١) ومنهم من لا يذكروا الله الا هجرا^(٢) وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ،

(١) بفتحتين وتسكن الباء وضمها لحن كما في القاموس . أي في آخر وقتها
(٢) بضم فسكون وهو القبيح من الكلام (المنار: ضبطوه بفتح الهاء وفسروه بالترك) والاستثناء منقطع

وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله تعالى ، وخير ما وقر في القلوب اليقين ؛ والارتباب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جثاء جهنم ^(١) والكنزكي من النار ، والشعر من مزامير ابليس ^(٢) والخمر جماع الأثم ، والنساء جاثل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم الى موضع أربع أذرع ، والأمر بآخره ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ^(٣) وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، واكل لحمه من معصية الله ، ^(٤) وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألى على الله يكذبه ^(٥) ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به ^(٦) ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله . اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي . رواه البيهقي عن عقبة بن عامر والسجزي عن أبي الدرداء ، وابن أبي شبة عن ابن مسعود

٢

أما بعد فإن الدنيا خضرة حلوة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف

(١) الجثاء بضم الجيم وكسر هاء ثم مثله ، ما اجتمع من الحجارة والجذوة (المنار: الجثى الاكوام والمعنى ان ما يؤخذ من الغلول وهو الخيانة في الغنيمة إنما هو أكوام من النار أي ليس رجاء بل خسارة لانه سبب لدخول النار ، كقوله تعالى « أما يا كلون في بطونهم نارا » (٢) يعني بالشعر معهودا من أفرادوه وهو ما يتغنى به في محرم أو عليه أو ما يدفع اليه (٣) جمع راوية مبالغة في راو ، وهو من يروي الحديث (المنار: رجح ابن الاثير أن الروايا جمع روية وهي التروي والتفكر في الامر . وإذا كان الكذب عن روية كان أشد إثما وأشد ضررا) « ٤ » كناية عن اغتيابه وذكره بما يكره وفي تصوير الاغتياب بأكل لحمه ابراز له على أخش وجهه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً « ٥ » تألى أي أقسم بأنه يفعل كذا البتة « ٦ » السمعة الشهرة ونشر الذكر

تعملون . فانتقوا الدنيا وانتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء ؛
 الا ان الغضب جمة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ
 أوداجه؟ فاذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فالارض الارض . ألا ان خير الرجال من
 كان بطيء الغضب سريع الرضا . وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء
 الرضا ، فاذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الفئ وسريع الغضب سريع الفئ
 فانها بها^(١) ألا ان خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب ، وشر التجار
 من كان سيئ القضاء سيئ الطلب ، فاذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب
 أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فانها بها . ألا ان لكل غادر لواء يوم القيامة
 بقدر غدرته . ألا واكبر الغدر غدر أمير عامة . ألا لا يمتنع رجلا مهابة الناس أن
 يتكلم بالحق اذا علمه ، ألا ان أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر - رواه
 الامام أحمد والترمذي عن أبي سعيد -

٣

انما هما اثنتان: الكلام والهدي، فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدي^(٢)
 هدي محمد . ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ، وكل محدثة
 بدعة ، وكل بدعة ضلالة . ألا لا يطولن عليكم الامد فتفسو قلوبكم ، ألا ان كل
 ماهوات قريب وإنما البعيد ما ليس بآت . انما الشقي من شقي في بطن أمه .
 وانما السعيد من وعظ بغيره . ألا ان قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق . ولا يحل
 لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة . ألا واياكم والكذب ، فان الكذب لا يصلح لبالجد
 ولا بالهزل . ولا يعد الرجل صبيه ولا يفني له . وان الكذب يهدي الى الفجور
 وان الفجور يهدي الى النار . وان الصدق يهدي الى البروان البر يهدي الى الجنة ،
 وانه يقال للصادق: صدق وبر . ويقال للكاذب: كذب وفجر . ألا وان العبد يكذب
 حتى يكتب عند الله كذابا - رواه ابن ماجه عن ابن مسعود -

(١) المنار : أي واحدة بواحدة جزاء نخير الخصلتين يكفر شرهما

(٢) المنار : الهدي بفتح فسكون السيرة والطريقة

يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا فيها كتب ، وكأن الحق على غيرنا واجب ،
و كأن الذي نشيع من الاموات سفرهما قليل الينا راجعون ، نأويهم أجداثهم
ونأكل تراشهم كأننا نخلدون ، قد نسينا كل واعظة ، وأمانا كل جائحة . طوبى لمن
شغله عيه عن عيوب الناس . طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وحسنت
علائقه ، واستقامت طريقته . طوبى لمن تواضع لله من غير منقصة ، وأنفق مالا
جمعه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحم أهل الذل والمسكنة ،
طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعت السنة ، ولم يعد
عنها الى البدعة - رواه أبو نعيم عن علي -

ان الحمد لله أحده وأستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له ، ان أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زين الله في قلبه ،
وأدخله في الاسلام بعد الكفر ، واختاره على من سواه من أحاديث الناس ، انه
لأحسن الحديث وأبلغه . أحبوا من أحب الله . أحبوا الله تعالى من قلوبكم ، ولا
تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقسى قلوبكم ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه
حق نقاته ، وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله عز وجل بينكم ،
ان الله يغضب أن يشكث عهده ، فالسلام عليكم ورحمة الله - رواه هناد عن أبي
سلمة مرسل -

﴿ نخب من الخطب النبوية في يوم الجمعة ﴾

كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يخطب في غير يوم الجمعة لمصلحة تعرض ، أو
منكر يظهر ، أو أمر بصدقة أو اصلاح ، كما هو معروف في دواوين السنة ولخدمتها (١)
فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
«أما بعد فوالله اني لأعطي الرجل وادع الرجل . والذي أَدع أحب الي من

الذي أعطي . ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواما الى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، منهم عمرو بن تغلب — رواه الامام أحمد والبخاري وغيرهما —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق ، وإنما الولاء لمن أعتق » — رواه الشيخان في صحيحهما —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا من عملكم وهذا أهدي لي ، أفلا تعد في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدي له أم لا ؟ فوالذي نفس محمد بيده لا يفل أحدكم منها (أي الزكاة) شيئا الا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه » الحديث (رواه الشيخان)

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أيها الناس اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمنة الا انتقم الله تعالى منه يوم القيامة » — رواه ابن حديد في مسنده —

من خطب الصديق رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين أحمدوه واستعينه . ونسأله الكرامة فيما بعد الموت . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وإن محمدا عبده ورسوله . أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا . أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهذاكم به ، فانه جوامع هدى الاسلام بعد كلمة الاخلاص . السمع والطاعة لمن ولاة الله أمركم فانه من يطع والي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق ، وإياكم واتباع الهوى . فقد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب . وإياكم والفخر . وما فخر من خلق من تراب ثم الى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي وغدا ميت فاعملوا

(المنار: ج ٨) (٧٩) (المجلد الثامن عشر)

يوماً بيوم وساعة بساعة . وتوقوا دعاء المظلوم ، وعدوا أنفسكم في الموتى . واصبروا فان العمل كله بالصبر ، واحذروا فاخذر ينفع . واعملوا فالعمل يقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه . وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته ، وافهموا تفهموا ، واتقوا توقوا ، وان الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من نجا قبلكم ، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه وما يحب من الاعمال وما يكره ، فاني لا آلوكم ونفسي ، والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله . واعلموا انكم ما أخلصتم الله من أعمالكم فربكم اطعم ، وحظكم حفظكم واغبطكم ، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم ، تستوفوا بسلفكم ، وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم اليها . ثم تفكروا عباد الله في اخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه . وأحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت . ان الله ليس له شريك . وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ، ولا يصرف عنه سوءاً ، الا بطاعته واتباع أمره . فانه لاخير في خير بعده النار ، ولا شر في شر بعده الجنة . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته —
رواه ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن موسى بن عقبة —

من خطب الفاروق رضي الله عنه (١)

أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله . الذي يبقى ويفنى ماسواه . الذي بطاعته يكرم أوليائه وبمعصيته يضل أعداءه . فليس لهالك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى ولا في ترك حق حسبها ضلالة . تعلموا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، فانه لم تبلغ منزلة ذي حق ان يطاع في معصية الله . واعلموا ان بين العبد وبين رزقه حجاباً فان صبر أتاح رزقه ، وان اقتحم هتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه ، فادبوا الخيل وانتضلوا واتعلوا وتسوكوا وتمعدوا (٢) وأياكم واخلاق العجم ومجاورة (١) خطبها في الجابية قاعدة بلاد حوران في عهده رضي الله عنه واليها ينسب باب الجابية أحد أبواب مدينة دمشق الشام لان المسافرين الى الجابية يخرج منه وقد خربت وانتقل عمرائها الى ماجاورها من قرية نوى والشيخ سعد (٢) المنار : في حاشية الاصل « أي تزبوا بري معد في نخوشهم وتقشفهم » والمراد كونوا مثل معد بن عدنان فيما ذكر فاستعمل الزبى في التشبه والزي في الشبه

الجبارين وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر وتدخلوا الحمام بغير منظر .
واياكم والصغار ان تجعلوه في رقابكم . واعلموا أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر^(١)
ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام . ومن أتى ساحراً أو كاهناً أو عرافاً
فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . لا يخلون رجل
بامرأة فان الشيطان ثالثهما . ومن ساءت سيئته وسرته حسنته فهو امانة المسلم
المؤمن . وشر الامور مبتدعاتها . وإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة .
وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فانه أهون لحسابكم . وزنوا أنفسكم قبل أن
توزنوا . وتزينوا للعرض الا كبير يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية . عليكم بهذا
القرآن فان فيه نوراً وشفاء . وغيره الشقاء . وقد قضيت الذي عليّ فيما ولائي
الله عز وجل من أموركم ووعظتكم نصحاً لكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لي
ولكم — رواه الحاكم وابن عساكر —

من خطب ذي النورين رضي الله عنه

أيها الناس اتقوا الله فان تقوى الله غنم . وإن أ كس الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت^(٢) واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر . وليخش عبد أن
يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً . وقد يكفي الحكيم من جوامع الكلام . والاصم
ينادي من مكان بعيد . واعلم ان من كان الله معه لم يخف شيئاً ومن كان الله عليه
فمن يرجو بعده — رواه ابن عساكر —

من خطب الامام أبي الحسن على كرم الله وجهه

أما بعد فان المضار اليوم وغدا السباق . الا وانكم في أيام عمل . من ورائه
أجل . فمن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خيب عمله . الا فاعملوا لله في
الرجة كما تعملون له في الرهبة . ألا واني لم أر كالجنة نام طالها . ولم أر كالنار
نام هاربها . الا وان من لم ينفعه الحق ضره الباطل . ومن لم يستقم به الهدى

(١) المنار : هذا وما بعده لضعة جمل مقتبسة من الاحاديث المرفوعة الى النبي (ص)

(٢) المنار : مقتبس من حديث مرفوع رواه احمد والترمذي وابن ماجه

جار به الضلال . الا وانكم قد أمرتم بالظن وذُلتم على الزاد . الا أيها الناس
انما الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر . وان الآخرة وعد صادق ، يحكم
فيها ملك قادر . الا ان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا والله واسع عليم . أيها الناس أحسنوا في عمركم تحفظوا في عقبيكم ، فان
الله تبارك وتعالى وعد جنته من أطاعه وأوعده ناره من عصاه . انها نار لا يهدأ
زفيرها . ولا يفك أسيرها . حرها شديد . وقعرها بعيد . وماؤها صديد . وان
اخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل . الا لا يستحي الرجل ان يتعلم
ومن 'يسئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم — رواه ابن عساكر —

ومن خطبه كرم الله وجهه

حمدت وعظمت من عظمت منته . وسبغت نعمته . وسبقت غضبه رحمته .
ومت كلمته . ونفذت مشيئته . حمد عبد مقرر بر بوليته . متخضع لعبوديته .
ويستعينه ويسترشده ويستهديه ويؤمن به ويتوكل عليه . وشهدت له تشهد مخلص
موقن . وبعزته مؤمن . ووحدة له توحيد عبد مدعن . ليس له شريك في ملكه .
ولم يكن له ولي في صنعه . جلّ عن مشير ووزير . وعن عون معين ونظير .
وشهدت يبعث محمد عبده ورسوله . وصفيه ونبيه وحبيبه وخاليه . صلى الله عليه
صلاة تحظيه . وتزلفه وتعليه . وتقر به وتدنيه . بعثه في خير عصر . وحين فترة
وكفر . رحمة منه لعباده . ومنة لزيديه . ختم به نبوته . ووضح به حجته .
فوعظ ونصح . وبلغ وكدح . عليه رحمة وتسليم . وبركة وتكريم .
وصيتكم معشر من حضري بوصية ربكم . وذكركم سنة نبيكم . فعليكم
برهة تسكن قلوبكم . وخشية تدرى دموعكم . وثقة تنجيكم . قبل يوم يذهلكم
ويهلككم . يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته . وخف وزن سيئته . ولتكن
مستثكم وتلقكم مسئلة ذل وخضوع ، وشكر وخشوع . وتوبة ونزوع . وندم
ورجوع . وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه . وشبيلته قبل هرمه . وكبره .
وسعته قبل فقره . وفرغته قبل شغله . قبل أن تجذب نفسه . ويحفر رمسه . وينفخ
في الصور . ويدعى للنشور . في موقف مهيل . ومشهد جليل . بين يدي ملك

عظيم . بكل صغيرة وكبيرة عليم . حينئذ يلجمه عرقه فعبثته غير مرحومه . وضربته غير مسموعة . وحجته غير مقبولة . فورد جهنم بكرب وشدة . ندم حيث لم ينفعه ندمه . نعوذ برب قدير من شر كل مصير ، ونسأله عفو من رضي عنه . ومغفرة من قبل منه . فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنة بقر به . وخلد في قصور مشيدة . وملاك حور عين وحفدة . وطيف عليه بكؤوس . وسكن حظيرة قدس في فردوس . وتقلب في نعيم . وسقي من تسليم . هذه منزلة من خشى ربه . وحذر نفسه ، وتلك عقوبة من عصى منشئه . وسولت له نفسه معصيته . لهو قول فصل . وحكم عدل . خير قصص قص . ووعد نص . تنزيل من حكيم حميد . نزل به روح قدس على قلب نبي مهتد رشيد . صلت عليه سفرة . مكرمون بررة . يتضرع متضرعكم . ويتهمل مبتهلكم . واستغفر رب كل مربوب لي ولكم . ثم قرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين) — رواه الخفاف في مشيخته^(١)

مختارات من خطب القاسمي

﴿ خطبة في الحذر من التطير والتشاؤم يخاطب بها أول صفر ﴾

الحمد لله الذي بسط لنا موائد كرمه وافضاله ، وعمنا بجوده وغمرنا بنواله ، فسبحانه من إله تاهت العقول في سبحات جلاله ، أحمده وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأسأله أن يجعلنا ممن وفقه لصالح أعماله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة موحد له في غده وآصاله ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله نبي ميز حرام الشرع من حلاله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمنح قائلها الفوز في مآله ، وسلم تسليما .

أما بعد أيها الناس فائقوا الله واءلموا أن جميع ما يتقلب فيه الانسان طول

(١) المنار : الظاهر ان هذه الخطبة موضوعة على أمير المؤمنين كرم الله وجهه فأين هذا السجع المتكلف من خطبه التي تعد في أعلى مراتب البلاغة بعد كلام الله ورسوله

عمره ، انما هو بمحض قضاء الله وقدره . ألا وانه قد دخل عليكم شهر مباركة أوقاته ، ميمونة ساعاته ، لا ينسب اليه شر ولا خير ، بل هو صفر الخير ، وقد كانت الجاهلية يتشاءمون به وهو مبارك ، ويتطهرون منه وليس الله جل جلاله في مشيئته وتقديره بشارك ، وانما هو من شركهم وشركهم ، وسخافة عقولهم ومحض كفرهم ، وكيف ينسب فعل الى شهر أو زمان ، والله خالق الزمان والمكان ، وقد بطل التطير والتشاؤم ولم يبق له أثر ، بما رواه البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر ، انه قال « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر » وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا ظننتم فلا تحققوا ، واذا حسدتم فلا تبغوا ، واذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب - فمثل صلى الله عليه وسلم عنهم فقال - هم الذين لا يكتون ، ولا يسترقون ، ولا يتطهرون ، وعلى ربهم يتوكلون » ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « الطيرة شرك » فمن اعتقد ما يتشاءم به سبباً مؤثراً في حصول المكروه فقد أشرك ، ولعقيدة التوحيد والموحدين ترك ، اذ لا فاعل الا الله ، ولا مؤثر في الكائنات سواه ، وانما الزمان ليال وأيام ، تختلف بتقدير العزيز العالِم ، فلا شوم لصفر ولا جمود لجمادى ولا بلاء ، ولا نحس ليوم أربعاء ، بل ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى (ما أصاب من مصيبة فبأذن الله) وقال جل جلاله (قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

﴿ خطبة لاول ربيع في وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ﴾
 ﴿ وعلامت محبته ﴾

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

(١) الخطبة من أولها الى هنا من ديوان جد جدي لابي الامام الكبير والولي الشهير السيد محمد الدسوقي نسبا الدمشقي امام جامع حسان وخطيبه المتوفى ١٢٤١ بميزة هدية قبيل المدينة المنورة ذهابا الى الحجاز وقد بسطت ترجمته في تاريخي « تعظيم المشام في ما أثر دمشق الشام »

المشركون ، ومن على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له في جلال إلهيته ، ولا مثيل له في عز ربوبيته ، ولا كفوء له في أحديته ، ولا كيف له في صفات مجده وضمديته ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي دعا الى ثوابه وبشر ، وحذر من عقابه وأندر ، وأوضح سبيل الرشاد ، وجاهد فيه حق الجهاد ، حتى ظهر دين الله وعلت كلمته ، وشملت رحمته وتمت نعمته ، صلى الله عليه وعلى آله الابرار ، وصحبه الاخيار ، وسلم تسليما

أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله واعلموا ان الله تعالى اكمل المنة على المؤمنين ، وأتم نعمته عليهم بارسال خاتم الانبياء رحمة للعالمين ، فهداهم به من الضلالة ، وأنقذهم بمكانه (؟) من الجهالة ، وفتح به أعينا عمياء ، وآذانا صماء ، وقلوبا غلفا منة وطولا ، وأرشد به السبيل ، وأقام به معالم البرهان والدليل ، نعمة وفضلا ، ورفع به للتوحيد أعلاما ، ومحا به من الشرك ظلاما ، ثم جعل محبته مشروطة بمحبته ، وطاعته منوطة بطاعته ، وذكره مقرونا بذكره ، وبيعته مقرونة ببيعته ، فقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى (ورفعنا لك ذكرك) وقال تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ثم بين جل جلاله ان مخالفة أمر نبيه ضلال وخسران ، وأوعد عليه بالعذاب والخسران (١) فقال تعالى (فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وقال سبحانه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فحذر سبحانه وأوعد ، وأقسم واكد ، ليعلموا أن من شعب الايمان ، وكمال الاسلام والايقان ، اتباع سنته ، والتسليم لقضيته ، وتوقيره وتعظيمه ، واجلاله وتكريمه ، كما قال تعالى (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) قال ابن عباس وغيره : أي تبالغوا في تعظيمه . ألا وان من تعظيمه وتوقيره المطلوب ، ايثار حبه

(١) المنار : لعله أراد ان يقول « وافقتان » فسبق القلم ، او قاله فحرف في الطبع

على كل محبوب ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين) ومن توقيره وحبه ذكر شمائله التي تهز أعطف المحبين ، ونشر فضائله التي تزيد في ايمان المؤمنين ، وايراد سيرته وما كان عليه من الاخلاق تسليكا للمتبعين ، ثم هل تدرون من الحب للنبي صلى الله عليه وسلم . والصادق في محبته واجلال قدره المعظم ؟ الحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو القائم بامثال أوامره ونشرهديه الاكمل ، والاعتصام بسنته والحض عليها واحيائها بالطلب والعمل . الحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو المتخلق بأخلاقه الجليلة ، والمتحقق بأدابه الجميلة . الحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو من تظهر علامات الحب على أحواله ، من الاقتداء به واتباع أقواله وأفعاله ، فليتخلق بأخلاقه الطاهرة من كان صادق الحب ، مخلص اليقين سليم القلب ، ولكن ما اكثر المدعين وما أقل الخالصين ، عجباً لابن آدم يفهم ما يضره مما ينفعه ، ويسمع ولكن قلما يعمل بما يسمعه ، ويحضره العزم في مجلس الذكر الا انه يقوم ويدعه . فالى كم تهزه العبر وهو كالطفل كلما حرك نام ، ويقتحم المعاصي الكبر ويقول ان الله ذو مغفرة وينسى انه ذو انتقام ، فواخجل المقصرين من التوبىخ في محفل القيامة ، وياسوء منقلب الظالمين عند حلول الندامة ، وياحسرات الهالكين اذا عاينوا اهل السلامة ، وياهاون المتكبرين اذا حرموا دار الكرامة ، فرحم الله امرأ رجع الى ربه سريعاً ، قبل ان يقع لجنبه صريعاً ، وألقى الى الموعظة قلباً واعياً وسمعاً سميعاً ، قبل أن لا يسمع في مقام السؤال الا توبيخاً وتقريراً . اللهم تداركنا برحمتك انك أرحم الراحمين ، وجد علينا بمغفرتك انك خير الغافرين

﴿ خطبة في شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة ﴾

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله . نبي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذ صفيه وحببيه . ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه . وحرّم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه . فصلى الله عليه وآله الطيبين

الطاهرين وسلم تسليما . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله واعلموا أن آداب الظواهر، عنوان آداب البواطن ، وحرركات الجوارح ثمرات الخواطر، والاعمال نتيجة الاخلاق، ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ، ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية ، لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية ، وقد أدب صلوات الله عليه بالقرآن وأدب الخلق به ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق ، ولما أكمل تعالى خلقه اثنى عليه فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) فكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس ، لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه . وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، ولا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه ويضع سائر ذلك في سبيل الله ، ولا يسأل شيئا الا أعطاه ، وكان يخفف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله ، وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ، ويجيب دعوة العبد والحر . يفضب لربه ولا يفضب لنفسه . يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد . يركب ما أمكنه ويردف خلفه . يحب الطيب وبجالس الفقراء ويؤاكل المساكين . ويكرم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف بالبر لهم . يصل رحمه . لا يحفو على أحد . يقبل معذرة المعتذر اليه . ولا يقول الا حقا . يضحك من غير قهقهة ، يخرج الى بساتين أصحابه ويعود مرضاهم ويشهد جنازتهم ، ما لعن خادما ولا امرأة . ولا ضرب بيده أحدا الا في سبيل الله . يبدأ من لقيه بالسلام والمصافحة . يكرم من يدخل عليه . حتى ربما بسط له ثوبه يجلسه عليه . وكان أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما . يتكلم بمجوامع الكلم . ولا يتكلم في غير حاجة . اذا سكت تكلم جاساؤه . وكان أحسن الناس نفمة . يعظ بالجد والنصيحة . وكان اذا لبس ثوبا جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا . وكان أرغب الناس في العفو مع القدرة . أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضاء . يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وكان أزهر اللون ليس بالطويل ولا بالقصير . بين كتفيه خاتم النبوة . وكان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه . وبالجملة فأخلاقه الكاملة لا تحصى ، وشماله الحسنى لا تستقصى . وكل

من أصغى إليها علم علو منصبه وعظم مكانته . وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما استفاضت به الأخبار . وكان أعظمها معجزة القرآن الكريم والذكر الحكيم . أعجز البلاء عن مماثلته في عبارته . وأنعم الحكماء عن محاكاته في عظمته وهدايته . وتشريعهم للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم مادامت الدنيا . وانتظام السعادة بالمحافظة عليها في الأولى والأخرى ، ولما لم يدع قاعدة من أصول الفضائل إلا جلاها . ولا أمان أمهات الصالحات إلا أحيها . ختمت النبوات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتهت الرسالات برسالته . قال الله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (للخطب بقية)

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية^{*}

٥

وصفتان طبيتان مصريتان

(الأولى) ورد في القرطاس الطبي - الذي نقلت عنه الوصفة الطبية التي نشرت في الجزء السادس من المنار - وصفة أخرى بمعناها ، وهي الثالثة والتسعون بعد المئة وهذا نصها ويليه تفسيره :

تميز ست تمشأ عن ست لا تمشأ

بطيكا^(١) ينت^(٢) ويخبط^(٣) على إرد^(٤) التي مشأت ذكرا

(*) لعلامة الألف المصروفة أحمد بك كمال (١) بطيخ (٢) أي يلت ، فأؤها لام ، من لت الشيء إذا دقه أو سحقه (٣) خبط يقابله في العربية شبط بمعنى خلط (٤) إرد مقلوب در وهو اللبن جعل أحد حرفي المضاعفة همزة في أول الكلمة كما مر نظيره في الجزء السابع

يؤري^(١) مثل سم^(٢) تسعم الست ، ان كرات^(٣) مشأت وان زعت^(٤) (٥) لا تمشأ الى نخ^(٥)

(المعنى)

لتمييز المرأة التي تلد عن المرأة التي لا تلد — يدهق البطيخ ويخلط على لبن امرأة ولدت ذكرا ويجعل طعاما تأكله المرأة المراد اختبارها فان قاءت ولدت ، وان حصل لها رياح في المعدة لا تلد البتة

(الثانية) وورد فيه أيضا وصفة أخرى وهي الرابعة والتسعون بعد المئة وهذا نصها ويليه تفسيره :

بطيكا يخلط على إرد التي مشأت ذكرا ويوتج^(٦) في قطاتها^(٧) فان جشأت مشأت وان قاست^(٨) لا تمشأ

(المعنى)

بطيخ يخلط على در (أي لبن) امرأة ولدت ذكرا ويوتج في فرجها أي يحقن فيه فان غاثت وثقايات ولدت وان وجدت في جوفها رياح لا تلد

(١) أرى: جمع الطعام (٢) سعمه: غذاه وسعمه تسعيا: غذأوه المسعم حسن الغذاء والغين المعجمة لغة فيسه والعين في المصرية تنوب عن الغين فيقال غني بمعنى غني غناء (٣) كرات يقابلها في العربية كزعت بمعنى أمطرت « السماء » وهنا تفيد القيء (٤) زع فعل يقصد به خروج الريح الذي يوجد في المعدة ومنه في العربية الزعزاع وهي الريح الشديدة (٥) نخ مقلوب حان يحن حيناً: وإلى حين، أي إلى دهر مديد (٦) ونج: أعطى قليلا أي شيئاً فشيئاً (٧) قطاة: ما بين الوركين والعجز ومقعد الرديف من الدابة وتدل هنا على الفرج (٨) قاس أي غاث وغثي وجأش وجشأ لأن القاف تقلب غيناو جبا كما أن السين تقلب ثاءا وشينا فيقال في العربية اللدبس « عراقية » مقلوب اللدي فالسين فيها بدل الثاء وبالمصرية الشدي بالشين المعجمة ومن هنا يعلم أن الثاء والشين والسين ينوب بعضها عن بعض

عدل الاسلام

مقالة لانكليزية مسلمة ترجمت للمؤيد عن مجلة (اسلاميك ريفيو- اي المجلة الاسلامية) التي تصدر في وكنيج بانكلترة فنشرناها مع تصحيح لبعض الالفاظ وهي :

اذا اخلص قلب الانسان (ضميره) في مطالعة تعاليم الدين الاسلامي وجدها أشد الاديان عدلا وصدقا ، وقد قضت تعاليم هذا الدين بأن العبد يخلق مجردا من كل خطيئة . فهو لا يرث ذنوب والديه ، ولا خبث أجداده

الاسلام يعلم أهله الاستقلال الشخصي (الاعتماد على النفس) ويجرد من نفس الانسان حكما عليها ، فهو يمكنه خلاص نفسه أو اهلا كما بأعماله ، فاذا عمل الخير وتحرى الصواب جنى ثمار الجزاء الحق ، واذا عمل سوءاً يجزى به

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز (كل نفس بما كسبت رهينة) وينطوي في معنى هذه الآية كل ما يقضيه العدل ، لان من الظلم أن يتحمل الانسان أوزار غيره وبسبب عما ارتكب سواه . وقد قررت جميع الشرائع العادلة الجديرة بهذا الوصف أن من الظلم أن يعد أحد مجرما بجرمة غيره . وهذا من أصول الشريعة المحمدية أيضا ، ولا يزال هذا المظهر مظهر السيد المسيح الذي ينظر اليه المسيحيون باعتباره المخلص للعالم

واذا ولد الشخص من غير ارادة خاصة فيه ، وعجز عن تعرف مواطن الصواب ، ومقاومة الخطأ ، كان في عقابه أو إثابته كل ما يتصوره الخيال من الظلم ، وكان من العبث نفخ روح العقل والضمير فيه . ولكن تعاليم الاسلام صريحة في أن خالق العالم -- وهو ربهم الحق -- خلق الانسان ارادة واختيارا (وهديناه النجدين) وسيستل عن نتائج الطريق الذي فضله وسار فيه . فاذا اهتدى صفا ضميره وصفت سعادته ، واذا شقي وسار في الطريق المعوج كانت عاقبة أمره خُسرا ، ولكن الحكم على طفل صغير لا يفرق بين الغث والسمين لا يمكن أن يقال انه عدل . نعم انه ليس من العدل ولا من الشجاعة أن يحتمل أحد أوزار غيره ثم يستل عنها . ومتى وكل الانسان بأمر نفسه تعلم وجوب الاعتماد عليها ، ومن المحتمل أن العبد اذا علم بأن

غيره سيسئل عما اقترفه هو أطاع هواه ولم يحترم نفسه ، فكيف يكون فخورا بمولده وحياته ؟

والجواب على هذا انه يوجد نوعان من الفخر - الفخر الوهمي الخاطيء والفخر الصحيح ، والاول منهما هو فخر الغطرسة وغش النفس ، وهو مقبول الطعم يجعل صاحبه أو صاحبه ينظر الى الناس بغير العين التي ينظر بها الى نفسه ، ثم يحتقر الجار والفقير ، وهي خطيئة فظيعة طالما حض النبي صلى الله عليه وسلم على اجتنابها أضف الى هذا ان الفخر الخاطيء ، يكون مجلبة للغيرة والطمع الكاذب . ويملاً أوداج صاحبه بالفخفخة الخارجة عن الحد

والفرق بين هذا الفخر وبين الفخر الصحيح هو أن الذي يبذل مجهوده في أداء الواجب بارضاء الله ومساعدة النوع البشري يثبت في قلبه حب السلام الذي لا يعطيه الله الا للمجتهدين من عباده ، واذا عمل العبد نهاية الخير لم يسأله الله أكثر من ذلك ، ولم يؤاخذه اذا قصر طوقه عما ليس في مقدور أمثاله من البشر ، وهو القائل على لسان نبيه (وما جعل عليكم في الدين من حرج) الاسلام دين حق يعلم الناس العدل ، وأسست مبادئه على العدل ، فهو يحرم الخمر والمقامرة والزنا

تاريخ ميلاد ولدنا محمد شفيع

(لصديقي الوفي شيخ الخطباء والمحامين (وكلاء دعاوي) اسماعيل بك عاصم)

تاريخ ميلاد محمد شفيع نجل حضرة صديقي العزيز الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزهراء

سر يا بشير التهامي للرشيد وقل	(بشري فقد أنجز الاقبال ما وعدا)
قد لاح نور ابنه نعم الشفيع به	(وكوكب السعد في أفق العلاء صعدا)
فرع نما عن أصول طاب عنصرها	أنعم بمولده أكرم بمن ولدا
وكان في رمضان يمن طالعه	كليلة القدر فيها للنفوس هدى
محمد دام يسو للفضائل عن	أب يقرب به عينا وقد حمدا

عساه يأتي بنفع مثل والده وأنه يتحرى مثله رشداً

وعاصم عن رضا عنه أرخه رشيد بشارك في نجل سناه بدا

١١٦٨٣ ٩٠ ٥٢٣ ٥١٤ ٧

سنة ١٣٣٣

الشطران الاذان كل منهما بين قوسين هما مطلع أحسن قصيدة قيلت تهنئة

لأحد الخلقاء بميلاد ولده كما قال صاحب كتاب خزانة الادب وقد ضمنهما هنا

أحسن تضمين

اسماعيل عامر

* تقريظ المطبوعات الجديدة

كتاب كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة

تأليف الشيخ الامام العالم الزاهد أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي

وهو شرح لحديث « بدأ الاسلام غريباً — » وقد قام بطبعه واعتنى بتصحيحه

الشيخ أحمد محمد شاكر فطبعة بمطبعة (النهضة) طبعاً نظيفاً على ورق متوسط

صفحاته ٣٠ وثمان قرش واحد ويطلب من مكتبة المنار خاصة

كتاب المبادئ النافعة ، في تصحيح المطالعة

ألفه الاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق شيخ رواق الصعايدة بالازهر عند

ما كان مدرسا للعلوم العربية بالمدارس الاميرية . وقد قرر المجلس العالي في اللائحة

الداخلية للمعاهد الدينية تدريسه لطلبة السنة الاولى

طبع في المطبعة المصرية في الاسكندرية وصفحاته ٤٠ وثمان قرشان

عنوان الظرف في فن الصرف

للاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق المذكور ثمنه نصف قرش

الدروس الاولى في العقائد الدينية

طبع للمرة الثانية في المطبعة السابقة الذكر سنة ١٣٢٦ هجرية وصفحاته ٤٦

بالقطع الصغير وثمان قرش واحد

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

ومباحته هي : ١- في حقوق الاستاذ والوالدين - ٢- في حقوق الله تعالى
 ٣- في حدوث العالم - ٤- في الوجدانية - ٥- اجمال الصفات - ٦- أول ما يجب
 على الخلق خالقهم - ٧- في الوجود والقدم والبقاء الى آخر مباحث الصفات - ١٤-
 في الصفات والاسماء الحسنى... ٧- في معرفة الله وطاعته وفي بعثة الرسل وصفاتهم
 الى آخر المباحث التوحيدية المشهورة

الدروس الاولى في السيرة النبوية

طبع للمرة الثانية بمطبعة الجمالية بمصر صفحاته ٤٧ بالقطع الصغير ومباحته هي :
 نسب النبي (ص) ونشأته وبعثته وخروجه من الشعب الى دخول الانصار في
 الاسلام وبيعتي العقبة الى الهجرة والهجرة والغزوات وصلاح الحديبية ومرضه (ص)
 وموته والاهتداء بهديه وخلافة الصديق وعمر وعثمان وعلي ثم دول الاسلام الكبرى
 وفي ولاية مصر من فتحها الى الآن

الدروس الاولى في الاخلاق المرضية

طبع للمرة الاولى بمطبعة جاليتي بالاسكندرية صفحاته ٤٨ بالقطع الصغير
 ومباحته هي : نصيحة الاستاذ لتلميذه ، الوصية بتقوى الله ، حقوق الله ورسوله ،
 حقوق الوالدين ، حقوق الاخوان ، آداب طلب العلم ، آداب المطالعة والمذاكرة ،
 آداب الرياضة والمشى في الطرقات ، آداب المجالس والحديث آداب الطعام
 والشراب ، آداب العبادة والمساجد وفضيلة الصدق والامانة والعفة ، والمروءة
 والشهامة وعزة النفس الخ

هذه الرسائل تأليف الاستاذ الشيخ محمد شاكر الذي كان شيخ علماء الاسكندرية
 ثم وكيل مشيخة الازهر ومن كل منها ١ وتطلب من مكتبة المنار وغيرها

ديوان غصن النقا

من نظم الشاعر الذكي اللوذعي ، الشيخ رشيد مصوبع اللبناني ، طبع بمطبعة
 المقطف سنة ١٩١٥ على ورق جيد صفحاته ٨٨ بالقطع الوسط ويطلب من مكاتب
 مصر ومن ناظمه

عرفنا الناظم من أذكي شعراء العصر، وباريس من أجمل مدن العالم كما هو معلوم بالتواتر، وناهيك بشاعر ذكي عربي أم هذه العاصمة الزاهرة تجمع في مخيلته جمال التصوير المعنوي والحسي، فنظم هنالك ديواناً فاق ما نظم قبله من الدواوين جعل الناظم ديوانه هذا هدية إلى الموسيودللكاسيه نابغة ساسة فرنسة ووزير خارجيتها وقد نظم معظمه في باريس، فمن قصائده ما مدح به الموسيوديشون والموسيودللكاسيه ومنها ما عنوانه «باريس والجمال» و«وداع باريس» و«وصف باريس وانتقادها» و«المحل وباريس» و«باريس ووقتها» و«في مفتون في باريس» و«موحش باريس» وغير ذلك

وحسبنا نموذجاً من الديوان هذه الايات التي مدح بها صاحبه الموسيودللكاسيه ناظر الخارجية الفرنسية فانها على كونها تعد من المقاطيع لا القصائد تمثل ذوق الناظم في الغزل والرثاء والمدح والفخر — قال :

تحكي الامام اليازجي بطلمة	تزهو وبالقد الرشيق العادل
فاذا حزنت عليه قت مقامه	فأعدت لي فرحي بذاك الراحل
ياطرف ابراهيم اذ بك الثرى	أسفي على طرف الحبيب الذابل
قم وانظر اليوم الرشيد فانه	يختال مثل السميري المسائل
يختال في أكناف دللكسه الذي	هز الحسام بوجه ذاك العاهل
هذا بفضلك يا حبيب ولم أصل	لولا التفاتك للوزير الفاضل
قلدتني سيف البيان فكان لي	يوم المتى أمضى جميع وسائلتي
ان كان بدر الوجه عني آفلا	فبدور علمك في غير أوافل
حاكك في الشكل الوزير ودونه	في ود قلبك كان خير مشا كل
فرنا الي بأعين مملوءة	عطفا علي وكان اكرم باذل
وأجل منزلتي وأعجب بي كما	أعجبت بي وأشدت بي بمحافل
ان كان ركن العلم مال فلا هو	ركن السياسة والعلى والنائل

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستهون بالقول فيتبوءون أحسنه

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستهون بالقول فيتبوءون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى وه منارا، كمنار الطريق

مصر ٢٩ ذي القعدة ١٣٣٣ - ١٥ الميزان (خ ١) ١٢٩٤ هـ ٩ أكتوبر ١٩١٥

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(١١٢) يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ؟ قَالُوا لَا عِلْمَ
لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ (١١٣) إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ
تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي
فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ، وَثُبِّرْتُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ
بِإِذْنِي ، وَإِذْ تَخْرِجُ النُّوحَ بِإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ

(المجلد الثامن عشر)

(٨١)

(النار : ج ٩)

عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا
 سِحْرٌ مُبِينٌ (١١٤) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴿١١٥﴾ أَنْ آمِنُوا بِي
 وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (١١٥) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
 يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ
 السَّمَاءِ؟ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٦) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ
 نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ
 الشَّاهِدِينَ (١١٧) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا
 مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ
 وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٨) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ
 فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ
 الْعَالَمِينَ

بيننا في أول تفسير الآيتين ٩٠ و ٩١ من هذه السورة وجه الاتصال والترتيب
 بين مجموع آياتها وطوائفها من أولها إلى هذا السياق الأخير منها^(١) وهو يتعلق بمحاجة
 أهل الكتاب عامة، والنصارى منهم خاصة، وفيه ذكر المعاد والحساب والجزاء الذي
 ينتهي إليه أمر المختلفين في الدين، وأمر المؤمنين المخاطبين بالاحكام التي سبق
 بيانها، وهذا هو وجه المناسبة والاتصال بين هذه الآيات وما قبلها مباشرة من
 آيات الاحكام، ويرى بعض المفسرين ان كلمة (يوم) في أولها من متعلقات
 الآية أو الجملة التي قبلها كما ترى فيما يلي :

﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم﴾ قيل ان هذا متعلق بالفعل من آخر

(*) هي في المصحف الامام بياء واحدة (١) راجع ص ١٧ ج ٧ تفسير

جملة مما قبله ، والتقدير : والله لا يهدي القوم الفاسقين الى طريق النجاة يوم يجمع
الرسل في الآخرة ويسألهم عن تبليغ الرسالة وما أجابتهم به اقوامهم — أو
لا يهديهم يومئذ طريقا الا طريق جهنم ، وقيل انه متعلق بقوله « واتقوا الله »
أو بقوله « واسمعوا » أي واتقوا عقاب الله يوم جمعه الرسل ، — أو — واسمعوا
يوم يجمع الله الرسل ، أي خبره وما يكون فيه .

وذهب آخرون الى أن الآية منقطعة عما قبلها — والمعنى : يوم يجمع الله
الرسل ويسألهم يكون من الاهوال ما لا يفي ببيانته مقال — أو المعنى واذكر أيها
الرسول يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا أجبتكم ، وهذا التقدير أظهر وله في التنزيل
نظائر . والمراد من السؤال توبيخ أممهم ، وإقامة الحجة على الكافرين منهم ، والمعنى
أي إجابة أجبتكم ؟ إجابة إيمان وإقرار ، أم إجابة كفر واستكبار ؟ فهو سؤال عن
نوع الإجابة لا عن الجواب ماذا كان ، والا لقرن بالباء ، وقيل الباء محذوفة والتقدير
بماذا أجبتكم . وهذا السؤال للرسل من قبيل سؤال الموءودة في قوله تعالى (وإذا
الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت) في ان كلا منهما وجه الى الشاهد دون المتهم
لما ذكر آنفا من الحكمة ، وهو يكون في بعض مواقف القيامة ويشهدون على الامم بعد
التفويض الآتي أو عقب سؤال غير هذا ، ويسأل الله تعالى الامم في موقف
آخر أو في وقت آخر . كما هو شأن قضاة التحقيق في سؤال الخصم والشهود ، لتحقيق
شروط الحكم الصحيح كما هو المعهود ، قال تعالى (فلنسلأن الذين أرسل اليهم
ولنسلأن المرسلين * فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين)

ولما كان تعالى يسأل كلا من الفريقين عما هو أعلم به منه ، وكان الرسل
عليهم الصلاة والسلام على علم يقيني بذلك — يكون جوابهم في أول العهد بالسؤال
التبرؤ من العلم وتفويضه الى الله تعالى — إما لنقصان علمهم بالنسبة الى علمه تعالى
كما نقل عن ابن عباس ، وإما لما يفاجئهم من فزع ذلك اليوم أو هوله وذهوله كما نقل
عن الحسن ومجاهد والسدي . وذلك قوله تعالى

﴿ قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب ﴾ جاء الجواب مفصلا كسائر ما يأتي
من أقوال المراجعة على طريقة الاستئناف البياني ، وعبر بالماضي عن المستقبل لتحقيق

وقوعه حتى كأنه وقع ، قال ابن عباس : يقولون للرب : لا علم لنا الا علم أنت أعلم به منا . يعني انه ليس بنفي لعلمهم باطلاق وإنما هو نفي لعلم الإحاطة الذي هو خاص بالخالق العليم ، اذ الرسل كانوا يعلمون ظاهراً ما أجيئوا به من مخاطبيهم ولا يعلمون بواطنهم ، ولا حال من لم يروه من أمهم ، الا ما يوحيه تعالى اليهم من ذلك وهو قليل من كثير ، ولذلك قرئوا نفي العلم عنهم باثبات المبالغة في علم الغيب له تعالى ، فان صيغة علام معناها كثير العلم أي بكثرة المعلومات ، والا فعلمه واحد محيط بكل شيء إحاطة كاملة ، ولا يوصف تعالى بالعلامة ، ولعله لما فيه من تاء التأنيث . قال تعالى لنوح عليه السلام لما سأل ربه ان ينجي ولده من الطوفان (فلا تسألن ما ليس لك به علم) وقال لخاتم رسله عليه الصلاة والسلام (ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) وقال الفخر الرازي ما معناه : ان الرسل أرادوا انه لم يكن لهم من حقيقة حال أمهم الا الظن الذي هو ظاهر حالهم لا العلم القطعي الذي يتوقف على معرفة الظاهر والباطن بدليل ماورد في الحديث من الحكم بالظاهر (قال) « فلا نبأ قالوا : لا علم لنا البتة بأحوالهم إنما الحاصل عندنا من أحوالهم هو الظن ، والظن كان معتبراً في الدنيا لان الأحكام في الدنيا كانت مبنية على الظن ، وأما الآخرة فلا التفات فيها الى الظن لان الأحكام في الآخرة مبنية على حقائق الأشياء وبواطن الأمور . فلهذا السبب قالوا (لا علم لنا الا ما علمتنا) ولم يذكروا البتة ما معهم من الظن لأن الظن لا عبرة به في القيامة . اهـ

وتقول : ان هذا رأي ضعيف وان بني على اصطلاح أهل الكلام والاصول في تفسير الظن والعلم ، والصواب ما بيناه قبله . وذلك ان الرسل يعلمون كثيراً من الحقائق علماً يقينياً كاستكبار المجرمين عن إجابة دعوتهم واصرارهم على كفرهم . ومن علمهم بذلك ما شهد به التنزيل اذ أخبرهم الله أن أولئك المعاندين لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ، وانه قد ختم على قلوبهم وحق القول عليهم ، ومنهم من يكشف النبي بحالهم ويمثلون له في النار ، كما كان يعلم أن بعض المؤمنين صادقون في إيمانهم وبشرهم بالجنة ، وأن بعضهم ضعفاء الايمان ولكن إيمانهم صحيح مقبول

عند الله تعالى . وقد أخبرنا الله تعالى أنهم يشهدون على أمهم ، فلو كان كل ما يعرفون من أحوال أمهم ظناً لا عبرة به في القيامة ، لما كان لشهادتهم فائدة (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)

ذكر الله سؤال الرسل وجوابهم بالاجمال ثم بين بالتفصيل سؤال واحد منهم عن التبليغ وجوابه عن السؤال لإقامة الحجة على من يدعون اتباعه وهم الذين حاجتهم هذه السورة فيما يقولون في رسولهم أوسع الاحتجاج ، وأقامت عليهم البرهان في إثبات البرهان ، وقدم عز وجل على هذا السؤال والجواب ما خاطب به هذا الرسول من بيان نعمته عليه وآياته له التي كانت منشأ افتتان الناس به فقال :

﴿ اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ﴾ قال البيضاوي في قوله تعالى « اذ قال » : بدل من « يوم يجمع » وهو على طريقة « ونادى أصحاب الجنة » — أي في التعبير عن المستقبل بالماضي — والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعدد ما ظهر عليهم من الآيات ، فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة ، وغلا آخرون واتخذوهم آلهة . أو نصب باضمار « اذكر » اه والنعمة تستعمل مصدرا واسما لما حصل بالمصدر ، والمفرد المضاف يفيد التعدد . والمعنى انعامي عليك وعلى والدتك وقت تأييدي اياك بروح القدس الخ أو اذكر نعمي حال كونها واقعة عليك وعلى والدتك اذ أيدتك أي قويتك شيئاً فشيئاً بروح القدس الذي تقوم به حجبتك . وتبرأ من تهمة الفاحشة والدتك ، حال كونك تكلم الناس في المهد بما يبرئها من قول الآثمين الذين أنكروا عليها أن يكون لها غلام من غير زوج يكون أباه — وكهلاً حين بعث فيهم رسولا تقيم عليهم الحجة ، بما ضلوا به عن الحجة . فكلامه في المهد هو قوله (١٩ : ٢٩) اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) الخ ما ذكر في سورة مريم وروح القدس هو ملك الوحي الذي يؤيد الله به الرسل بالتعليم الالهي والتثبوت في المواطن التي من شأن البشر أن يضعفوا فيها ، قال تعالى في شأن القرآن (١٦ : ١٠٢) قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى

وبشرى للمسلمين). وقد تقدم في موضعين من سورة البقرة، وقال تعالى (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا)

﴿واذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ أي ونعمتي عليك إذ علمت قراءة الكتاب أي ما يكتب — أو الكتابة بالقلم — أي وفقتك لتعلمها، والحكمة وهي العلم الصحيح الذي يبعث الإرادة إلى العمل النافع بما فيه من الاقتناع والعبرة والبصيرة وفقه الأحكام، والتوراة — وهي الشريعة الموسوية، والإنجيل — وهو ما أوحاه تعالى إليه من الحكم والأحكام، والبشارة بخاتم الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد سبق لنا تفصيل القول في حقيقة التوراة والإنجيل في تفسير أول سورة آل عمران (ص ١٥٥ — إلى ١٥٩ ج ٣ تفسير) وفي تفسير هذه السورة (ص ٢٨٣ — ٣٠٢ ج ٦ تفسير)

﴿واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني، فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني﴾ قرأ نافع هنا وفي آية آل عمران «فتكون طائرا» والطائر واحد الطير — كراكب وركب — والجمهور «فتكون طيرا» قيل هو جمع وقيل اسم جمع، وأجاز أبو عبيدة وقطرب إطلاق طير على الواحد ولعله مبني على أن أصله المصدر كما وجهه ابن سيده. ولفظ الطير مؤنث بمعنى جماعة. وخلق في أصل اللغة التقدير أي جعل الشيء بمقدار معين. يقال خلق الاسكافي النعل ثم فراه، أي عين شكله ومقداره ثم قطعه قال الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

ومنه خلق الكذب والافك قال تعالى (وتخلقون افكا) أي تقدرون وتزورون كلاما يافك سامعه أي يصرفه عن الحق. ويستعمل في إيجاد الله تعالى الأشياء بتقدير معين في علمه. والمعنى: واذكر نعمتي عليك إذ تجعل قطعة من الطين مثل هيئة الطير في شكلها ومقادير أعضائها فتنفخ فيها بعد ذلك فتكون طيرا باذن الله ومشيتته، أو بتسهيله أو تكوينه، إذ يجعل جلت قدرته نفسا سكا سببا لحلول الحياة في تلك الصورة من الطين، فأنت تفعل التقدير والنفخ، والله هو الذي يكون الطير. وقد تقدم في تفسير نظير هذه الآية من سورة آل عمران كلام عن شيخنا الاستاذ

الامام مضمونه ان عيسى عليه السلام اعطي هذه الآية أي مكنه الله منها ولم يفعلها .
واستدركنا على ذلك بالاشارة الى دلالة آية المائدة هذه على وقوعها من غير جزم
بذلك ، وبيننا سر ذلك وحكمته عند الصوفية وهو قوة روحانية عيسى عليه السلام ،
ولا يبعد كتمان اليهود لهذه الآية اذا كان رآها بعضهم مرة واحدة وعدّها من السحر
اعتقادا أو مكابرة وخاف أن تجذب قومه الى المسيح ، ولكن قوله تعالى — باذني
— يدل على أن المسيح لم يعط هذه القوة دائما بحيث جعل السبب الروحي
فيها كالاسباب الجسمانية المطردة ، بل كانت هذه الآية كغيرها لا تقع الا باذن من
الله وتأييد من لدنه ، ونكتة التعبير بالمضارع عن فعل مضى هي تصوير ذلك
الماضي وتمثله حاضرا في الذهن كأنه حاضر في الخارج ، لا لإفادة الاستمرار فانه
فعل مضى ولا يقع في الآخرة

﴿وتبرئ الاكمة والابرص باذني واذا تخرج الموتى باذني﴾ عطف التذكير
بابراء الاكمة والابرص على ما قبله مباشرة فلم يبدأ باذ ، وبدى بها التذكير باخراج
الموتى ، فكان عطفا على قوله « اذ أيدتك بروح القدس » ولعل نكتة ذلك أن ابراء
الاكمة والابرص من جنس شفاء المرض الذي قد يقع بعض أفرادها على أيدي غير
الانبياء المرسلين ، ولا سيما من يظن المرضى فيهم الصلاح والولاية ، فلما كان
كذلك ذكر بالتبع لإحياء الصورة من الطير ، ولما كان إحياء الموتى أعظم جعل نعمة
مستقلة فقرن باذ . والمراد بالاكمة والابرص والموتى الجنس — والاكمة من ولد
أعوى ، ويطلق على من عمي بعد الولادة أيضا . وفي كتب العهد الجديد أنه أبرأ
كثيرا من العمي والبرص وأحيا ثلاثة أموات (الاول) ابن أرملة وحيد في (ناين)
كانوا يحملونه على النعش فلمس النعش وأمر الميت أن يقوم منه فقام فقال الشعب « قد
قام فينا نبي عظيم وافقد الله شعبه » أي شعب اسرائيل اه (من انجيل لوقا ١١: ٧
— ١٧) (الثاني) ابنة رئيس ماتت ودعاها لحياتها فجاء بيته وقال للجمع « تنحوا
فان الصبية لم تمت لكنها نائمة فضحكوا عليه فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها
فقامت الصبية » (انجيل متى ٩ : ١٨ — ٢٦) ونفيه لموتها ثم إثباته لتوهمها يناقش ان

يكون أراد بالنوم الموت مجازاً على ما تقل عنه في غير هذا الموضع. وعليه يقال يحتمل ان يكون أغني عليها فظنوا انها ماتت فعلم بالكشف أو الوحي انها لم تمت. والمسلمون لا يتقون بنقول القوم ولا بدقتهم في الترجمة ومراعاة ما يدل عليه الاثبات بعد النفي (الثالث) ليعازر الذي كان يحبه جداً ويحب اختيه مريم وموثا كما يحبونه، معنى الفصل الحادي عشر من الانجيل يوحنا انه كان مات في بيت عنيا ووضع في مغارة فجاء المسيح وكان له أربعة أيام فرفع عينيه الى فوق وقال (أيها الأب أشكر لك لانك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل خير تسمع لي. ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنوا أنك أرسلتني، ولما قال هذا: صرخ بصوت عظيم «لعازر هلم خارجاً» فخرج الميت) الخ وملاحظة أوربة يزعمون أن لعازر تماوت باذن المسيح... وقد كذبوا أخراهم الله تعالى. ولم ينقل النصارى عنه انه أحيأ أمواتا كانوا تحت التراب بعد البلى كما تقل عن دانيال عليها السلام

وتكرار كلمة الاذن بتقييد كل فعل من تلك الافعال بها يفيد انه ما وقع شيء منها الا بمشيئة الله الخاصة وقدرته. والاذن يطلق على الاعلام باجازة الشيء والرخصة فيه وعلى الامر به وكذا على المشيئة. كقوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) ومحال أن يكون معناه باجازته أو أمره، ومثله بل أظهر منه قوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله)

﴿واذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جثتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا الا سحر مبين﴾ أي واذا ذكر نعمتي عليك حين كففت بني اسرائيل عنك فلم أمكنهم من قتلك وصلبك وقد أرادوا ذلك وقت تكذيب كفارهم إياك وزعمهم ان ما جئت به من البينات لم يكن الا سحراً ظاهراً، لامن جنس الآيات التي جاء بها موسى، على انها مثلاً أو أظهر منها. قرأ الجمهور (سحر) وقرأ حمزة والكسائي (ساحر) بالالف، ورسماً في المصحف الامام بغير ألف ككلمة (ملك) في الفاتحة وتقرأ (مالك) وكلمة (الكتب) في عدة سور تقرأ فيها (الكتاب) بالافراد كما تقرأ في بعضها بصيغة الجمع، ولو كتبت هذه الكلمات بالالف لما احتملت الا قراءة المد وحدها.

وظاهر ان قراءة الجمهور (سحر) يراد بها ان تلك البينات التي جاء بها من السحر وهو التمويه والتخيل الذي يري الانسان الشيء على غير حقيقته ، أو ما له سبب خفي عن غير فاعله . — وان قراءة (ساحر) يراد بها ان من أتى بتلك البينات ساحر ، اذ جاء بأمر صناعي أو بتخيل باطل . والمراد من القراءتين كتيهما ان الذين كفروا بعيسى عليه السلام طعنوا في تلك الآيات بأنها سحر ، وفيمن جاء بها بأنه من جنس السحرة ، أي فلا يعتد بشيء مما يظهر على يديه من خوارق العادات ، فأفاد أنهم لا يؤمنون وان جاءهم بآيات أخرى ، اذ لم يكن الطعن فيما كان قد جاء به لشبهات تتعلق بها ، وانما كان عن عناد ومكابرة ادعوا بهما ان السحر صنعة له يجب ان يوصف به كل شيء غريب يحجب به .

﴿واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى و برسولي ، قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون﴾ أي واذا ذكر نعمتي عليك حين ألهمت الحواريين أن يؤمنوا بك - وقد كذبك جمهور بني اسرائيل — فجعلتهم أنصارا لك يؤيدون حججتك ، وينشرون دعوتك . والوحي في أصل اللغة الإشارة السريعة الخفية ، أو الاعلام بالشيء بسرعة وخفاء ، كما بيناه من قبل . ولو وجد هذا التلغراف في عهد العرب الخلفاء لسموا خبره وحيا ، والمصريون يسمونه حتى في الرسميات إشارة . وأطلق الوحي في القرآن على ما يليق الله تعالى في نفوس الاحياء من الالهام كقوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا) وقوله (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم) وهكذا ألقى الله تعالى في قلوب الحواريين الايمان به و برسوله عيسى عليه السلام ، وقبل الوحي اليهم هو ما أنزل على أنبيائهم

والحواريون جمع حوارى وهو من خلص لك وأخلص سرا وجهرا في مودتك ، ومعناه في أصل اللغة الابيض النقي اللون ، والحواريات من النساء النقيات الالوان والجلود ابياضهن ، قال في اللسان : والاعراب تسمي نساء الامصار حواريات لبياضهن وتباعدن من قشف الاعراب بنظافتهن ، قال :

قللت إن الحواريات معطبة اذا تفتلن من تحت الجلايب

(المجلد الثامن عشر)

(٨٢)

(المنار : ج ٩)

وأما الحواريين فهم جمع حواراء وعيناء، من الحوار (بالتحريك) وهو شدة بياض العين مع شدة سوادها، فالحوراء مؤنث الاحور، والحوارية مؤنث الحوارية. ثم استعمل الحوارية بمعنى النقي الخالص في غير اللون، قال في اللسان: وقال بعضهم: الحواريون صفوة الانبياء الذين خلصوا لهم، قال الزجاج: الحواريون خلصان الانبياء عليهم السلام وصفوتهم، قال: والدليل على ذلك قول النبي (ص) «الزبير ابن عمي، وحواري من أمتي» أي خاصتي من أصحابي وناصري — قال — وأصحاب النبي (ص) حواريون. وتأويل الحواريين في اللغة الذين أخلصوا وتقوا من كل عيب. اهـ (١) واللغة لا تدل على النقاء من كل عيب بهذا التحديد، وإنما تدل على النقاء والخلوص مطلقا، فيكفي في صحة الاطلاق أن يكونوا قد خلصوا لنصرته، أو خلصوا وتقوا من الكفر والنفاق. وقد حكى الله عنهم هنا أنهم قالوا: آمنا. أي بالله ورسوله عيسى عليه السلام. وأشهدوا الله على أنفسهم أنهم مسلمون، أي مخلصون في إيمانهم مذعنين لما يترتب عليه من الامر والنهي، وحكى عنهم في في سورتي [آل عمران] و[الصف] أنهم حين قال المسيح (من أنصاري الى الله) قالوا (نحن أنصار الله)

﴿اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟﴾ قال أبو السعود العمادي في تفسير «اذ قال الحواريون» مانصه: كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ماجرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبغي عنه الاظهار في موقع الاضرار، و«اذ» منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام، بطريق تلوين الخطاب والاتفات، لكن

(١) زعم بعض كتاب النصاري المعاصرين أن كلمة «الحواري» محرفة عن كلمة الخوري اليونانية، وهو زعم شبهته ضعيفة والبراهين على بطلانه قوية. فالكلمة لم تستعمل في القرآن الا بصيغة جمع المذكر السالم وهو متقول بالتوارر اللفظي والخطي ومعروف بمعناه في اللغة، وجمع الخوري خوارنة لا حواريون ولو أخذ اللفظ المفرد (حواري) فرد أو افراد من كتاب العرب عن كتابة لنصاري الروم أو غيرهم لا يمكن حينئذ ان يقال أنهم حرفوه إن ثبت أن الروم أو غيرهم كانوا يطلقون لقب الخوري على تلاميذ المسيح، كيف ومعنى الخوري الكاهن المدبر للقرية؟

لأن الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فإنه ليس بخطاب وإنما هو حكاية خطاب ، بل لأن الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى (واتقوا الله) — الآية — فتأمل ، كأنه قيل للنبي (ص) عقيب حكاية ما صدر عن الحوارين من المقالة المهدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام: أذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا أريد به التنبيه على أن ادعاءهم الايمان والاخلاص ، لم يكن عن تحقيق وإيقان ، ولا يساعده النظم الكريم . اهـ

أقول في متعلق الظرف قولان للمفسرين رجح أبو السعود المشهور منها وهو الاول ورد الثاني الذي جرى عليه الزمخشري في الكشف وهو انه متعلق بقوله تعالى (قالوا آمنا) أي ادعوا الايمان وأشهدوا الله على أنفسهم انهم مسلمون مخلصون في إيمانهم في الوقت الذي قالوا فيه ما ينافي ذلك وهو قولهم « يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » ويقول الزمخشري ان الله تعالى ما وصفهم بالايمان والاسلام وإنما حكى قولهم حكاية ووصله بما يدل على كذبهم فيه وهو سؤالهم هذا وجوابه عليه السلام لهم اذ أمرهم بتقوى الله ان كانوا مؤمنين حقاً واصرارهم على السؤال بعد ذلك ، ووجه رد هذا القول أنه لو كان هو المراد لقيل « اذ قالوا يا عيسى بن مريم » ولم يقل « اذ قال الحواريون » ولما صرح أن تكون دعوى الايمان من الحوارين نعمة من الله على عيسى — وهي كاذبة — ولا أن تكون عن وحي من الله تعالى . ولكن هذا الأخير لا يرد على الزمخشري لانه فسر الوحي الى الحوارين بالايمان بأنه أمر الله اياهم بذلك على السنة الرسل ، أي أمره إياهم مع غيرهم اذ كلف الناس كافة بأن يؤمنوا بما تبيثهم به الرسل . ولكن يرد قوله أيضاً تسميتهم بالحواريين وما في سورتي آل عمران والصف من اجابتهم عيسى الى نصره . ولعله يرى ان هذا شأنهم في أول الدعوة ثم آمنوا بعد ذلك وصاروا أنصار الله ورسوله عيسى عليه السلام

وقد حكى أبو السعود بعد ما ذكرناه عنه الخلاف في إيمانهم . ومنشأ هذا الخلاف كلمة « يستطيع » وقد قرأ الكسائي « هل يستطيع ربك » قالوا أي سؤال ربك ، وهذه القراءة مروية عن علي وعائشة وابن عباس ومعاذ من علماء الصحابة

(رض) وقد صحح الحاكم عن معاذ أن النبي (ص) أقرأه « نستطيع ربك » ومثله في ذلك غيره لأن تلقين القرآن لا يتوقف على تصريح الصحابي برفعه ، وقرأ الجمهور (يستطيع ربك) وهذا الذي استشكل بأنه لا يصدر عن مؤمن صحيح الإيمان . وأجاب عنه القائلون بصحة إيمانهم من وجوه (١) أن هذا السؤال لاجل اطمئنان القلب بإيمان العيان لا للشك في قدرة الله تعالى على ذلك ، فهو على حد سؤال إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم رؤية كيفية أحياء الموتى ليطمئن قلبه بإيمان الشهادة والمعاناة مع إقراره بإيمانه بذلك بالغيب (٢) أنه سؤال عن الفعل دون القدرة عليه فغير عنه بلازمه (٣) أن السؤال عن الاستطاعة بحسب الحكمة الإلهية لا بحسب القدرة ، أي هل ينافي حكمة ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء أم لا ، فإن ما ينافي الحكمة لا يقع وإن كان مما تتعلق به القدرة ، كعقاب المحسن على إحسانه ، وإثابة الظالم المسيء على ظلمه (٤) أن في الكلام حذفاً تقديره : هل نستطيع سؤال ربك . ويدل عليه قراءة : هل تستطيع ربك ، والمعنى هل تستطيع أن تسأله من غير صارف يصرفك عن ذلك (٥) أن الاستطاعة هنا بمعنى الاطاعة ، والمعنى هل يطيعك ويحجب دعائك ربك إذا سأله ذلك .

وأقول ربما يظن الآكثرون أن هذا الوجه الأخير تكلف بعيد وليس كذلك . فالاستطاعة استفعال من الطوع وهو ضد الكره . قال تعالى (فقال لها وللأرض ائتما طوعاً أو كرهاً) وفي لسان العرب : الطوع نقيض الكره ، طاعه يطوعه وطاوعه ، والاسم الطواعة والطواعة (ثم قال) ويقال طعت له وأنا أطيع طاعة ، ولتفعله طوعاً أو كرهاً ، وطائعاً أو كرهاً ، وجاء فلان طائعاً غير مكره ... قال ابن سيده : وطاع يطاع وأطاع — لأن واتقاد ، وأطاعه اطاعة وانطاع له كذلك . وفي التهذيب : وقد طاع له يطوع إذا اتقاد له بغير الف ، فإذا مضى لامره فقد أطاعه . فإذا وافقه فقد طاوعه . اهـ فيهم من هذا أن اطاعة الأمر فعله عن اختيار ورضى ولذلك عبر به عن امتثال أوامر الدين لأنها لا تكون ديناً إلا إذا كانت عن اذعان ووازع نفسي . والذي أفهمه أن الاستفعال في هذه المادة كالاستفعال في مادة الاجابة ، فإذا كان « استجاب له » بمعنى أجاب دعاءه أو سؤاله — فمعنى استطاعه أطاعه ، أي اتقاد له وصار في طوعه

أو طوعاً له . والسين والتاء في المادتين على أشهر معانيهما وهو الطلب ، ولكنه طلب دخل على فعل محذوف دل عليه المذكور المترتب على المحذوف . فأصل استطاع الشيء . — طلب وحاول أن يكون ذلك الشيء طوعاً له فأطاعه وانقاد له ، ومعنى استجاب — سئل شيئاً وطلب منه أن يجيب إليه فأجاب . فهذا الشرح الدقيق تفهم صحة قول من قال من المفسرين ان يستطيع هنا بمعنى يطيع ، وان معنى يطيع يفعل مختاراً راضياً غير كاره ، فصار حاصل معنى الجملة "هل يرضى ربك ويختار أن ينزل علينا مائدة من السماء اذا نحن سألناه أو سأله لنا ذلك؟" ، والمائدة في اللغة الخوان الذي عليه الطعام ، فاذا لم يكن عليه طعام لا يسمى مائدة ، وقد يطلق لفظ المائدة على الطعام نفسه حقيقة أو مجازاً من اطلاق اسم المحل على الحال ، وهو اسم فاعل من ماد بمعنى تحرك أو من ماد أهله بمعنى نعشهم كما في الاساس أي أعاشهم وسد فقرهم ، كأنها هي تميد من يجلس إليها ويأكل منها . وقيل أنها بمعنى اسم المفعول على حد : عيشة راضية ﴿ قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ﴾ أي قال عيسى لهم اتقوا الله أن تقترحوا عليه أمثال هذه الاقتراحات التي كان سلفكم يقترحها على موسى لثلاث تكون فتنة لكم فان من شأن المؤمن الصادق الايمان أن لا يجرب ربه — أو أن يعمل ويكسب ولا يطلب من ربه أن يعيش بخوارق العادات ، وعلى غير السنن التي جرت عليها معاش الناس . أو المعنى اتقوا الله وقوموا بما يوجبه الايمان من العمل والتوكل عسى أن يعطيكم ذلك ، من باب قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)

﴿ قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ﴾ أي نطلبها لثلاث فوائد (احداها) اننا نريد أن نأكل منها لاننا في حاجة الى الطعام ولا نجد ما يسد حاجتنا ، وقيل المراد أكل التبرك (الثانية) نريد أن تطمئن قلوبنا بما تؤمن به من قدرة الله بمشاهدة خرقه للعادة ، أي بضم علم المشاهدة واللمس والذوق والشم الى علم السمع منك وعلم النظر والاستدلال (الثالثة) أن نعلم هذا النوع من العلم — أي علم المشاهدة — أن الحال والشان معك هو أنك

قد صدقتنا ما وعدتنا من ثمرات الايمان، كما استجابة الدعاء، ولو بخوارق العادات (الرابعة)
أن نكون من الشاهدين على هذه الآية عند بني اسرائيل فيؤمن المستعد للايمان
ويزداد الذين آمنوا ايماناً - فهذا ما نراه في توجيه أقوالهم ، على المختار من صحة ايمانهم
﴿ قل عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً

لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ أي لما علم عيسى عليه السلام
صحة قصدهم وأنهم لا يريدون تعجيزاً ولا تجربة دعا الله تعالى بهذا الدعاء ،
فاداه باسم الذات الجامع لمعنى الألوهية والقدرة والحكمة والرحمة وغير ذلك فقال
« اللهم » ومعناه يا الله ، ثم باسم الرب الدال على معنى الملك والتدبير والتربية
والاحسان خاصة، فقال « ربنا » أي ياربنا وما لكنا كلنا ومتولي أمورنا ومربينا ،
أنزل علينا مائدة سماوية ، جثامية أو ملكوتية ، يراها هؤلاء المقترحون بأبصارهم ،
ويأكلون منها بأفواههم أو بأرواحهم ، ولو لم يقل من السماء لشمل الطلب اعطائهم
مائدة من الارض ولو بطريقة عادية، فإن كل ما يعطى من الله تعالى يسمى انزالاً لتحقيق
معنى المطلق غير المقيّد بجهة من الجهات لله سبحانه فانه هو العلي القاهر فوق عباده
ثم وصف عيسى عليه السلام هذه المائدة بما أحب أن يستفاد من انزالها
فقال في وصفها « تكون لنا عيداً » أي عيداً خاصاً بنا معشر المؤمنين دون غيرنا،
أو تكون كرامة لنا في عيدنا. ثم قال « لاولنا وآخرنا » وهو بدل من قوله « لنا »
الذي ذكر أولاً لافادة الحصر والاختصاص ، أي عيداً لأول من آمن منا وآخر من
آمن، والمتبادر انه أراد بأولهم من كان آمن عند ذلك الدعاء وبآخرهم من يؤمن بعد
نزول المائدة ممن يشهد لهم من شهداء وغيرهم ، ويحتمل على بعد أن يراد أول
جماعته الحاضرين معه ايماناً وآخرهم ، وروي أن المعنى يأكل منها آخر القوم كما يأكل
أولهم أو كافي للفريقين

وكلمة العيد تستعمل بمعنى الفرح والسرور، وبمعنى الموسم الديني أو المدني
الذي يجتمع له الناس في يوم معين أو أيام معينة من السنة للعبادة أو لشيء آخر
من أمور الدنيا، ولذلك قال السدي في تفسير العبارة: أي تتخذ ذلك اليوم الذي
نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان الثوري: يعني يوماً نصلي فيه.

وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم . وقال سلمان الفارسي (رض) عظة لنا ولمن بعدنا

وقوله « وآية منك » معناه وتكون آية وعلامة منك على صحة نبوتي ودعوتي، ولعل المراد بنص قوله « منك » — مع العلم بأن كل شيء منه تعالى ولا سيما الآيات — النص على أن الآيات إنما تكون من الله وحده، أو أن تكون المائدة من لدنه تعالى بغير واسطة منه عليه السلام تشبه السبب كالأيات السابقة . ومما نقل عنه وعن نبينا عليها الصلاة والسلام إطعام العدد الكثير من الطعام القليل بخلق الله الزيادة فيه، وروي عن نبينا أيضا إسقاء العدد الكثير من الماء القليل اذ وضع يده فيه فصار يزيده ويفور من بين أصابعه . فأمثال هذه الآيات — وان كانت من الله ككل شيء — تحصل بما يشبه الاسباب ، وفيها مجال لاشتباه المرتاب ، لان كل من يأخذ من ذلك الطعام أو الماء فانما يأخذ من شيء كان موجودا وهو لم يشاهد حدوث الزيادة فيه . وينقل الناس مثل هذا عن غير الانبياء من الصالحين، كالسحرة والمشعوذين، وقد كان معروفا في بني اسرائيل ، ولذلك وصف الخواريون المائدة بما وصفوها به، وقال هو « وآية منك » لتوافق مطلوبهم فلا يقترحوا شيئا آخر ، وانني اذكر حكايتين عن بعض المعاصرين توضح ما أريد :

حدثني الثقة أن بعض رجال العلم والدين عاد مريضا من الرجال المعتقدين المشهورين بالكرامات فأقام عنده في حجرة النوم ساعة وكان قد نقه، ثم أراد الانصراف فألقى عليه أن يتعشى معه، ثم دعى بالخوان فنصب ولم يوضع عليه شيء من الطعام، فجلس اليه الشيخان وصار المزور يقترح على الزائر أن يذكر ما يشتهي من ألوان الطعام وكلما ذكر شيئا مد المزور صاحب الدار يده فأخرج صحننا من تحت كرسي أو أريكة بجانبه مملوء بذلك اللون وهو سخن يتصاعد بخاره ، حتى ذكر عدة ألوان لا تناسب بينها ولم تجر عادة البلد بالجمع بينها ، وأبعد من ذلك ان تكون طبخت ووضعت تحت ذلك الكرسي . فأمثال هذه الحكاية يعدها بعض من ثبتت روايتها عنده من الخوارق ، ويعدها بعضهم من الشعوذة والحيل التي اكتشف مثلها وهو موضوع الحكاية الثانية :

حدثني شيخ من كبار شيوخ الطريق والمناصب العلمية بواقعة وقعت لوالده — وكان معتقدا محترما — مع رجل غريب جاء مدينتهم وظهر على يديه عدة غرائب عدت من الكرامات، وقال: إن والده أخذ هذا الرجل مرة وطاف به في ضواحي البلد مدة طويلة انتهوا في آخرها إلى القبرة التي دفن فيها أجدادهم فزاروا قبورهم واستراحوا هنالك وشكوا ما عرض لهم من الجوع بطول المشي، فأظهر والد المحدثي للشيخ الغريب أنه يمكنهم أن يستضيفوا أجداده السادة الكرام، ثم نادى أحدهم واستجده ودس يده في تراب قبره فأخرج منه صحيفة فيها كروش غنم مطبوخة وهي محشوة بالرز واللحم والصنوبر، فأكلوا منها فاذا هي حارة، وقد استطابها الرجل الغريب جدا حتى توم أنها ليست من طعام الدنيا ولا أذكر أكان اختيار هذه الأكلة وإخراجها باقتراح الرجل أم باقتراح غيره وإنما أظن ظنا قويا أنها اقترحت

قال محدثي: وسر هذه المسألة أن والدي أمر قبل خروجه بأن تطبخ عندنا هذه الكروش ويأخذها أحد الخدم أو المريدن (الشك مني) فيدفنها في لك القبر في صحيفة مغطاة بحيث تبقى سخنة ولا يصيبها تراب، وإنما فعل ذلك لاختبار الرجل وحله إياه على مكاشفته بحقيقة ما يعمله من الغرائب في مقابلة أخباره إياه بسر هذه المسألة، ولا أتذكر ما كان من أمرها بعد ذلك فإني سمعت هذه القصة في أوائل العهد بطلب العلم.

فأمثال هذه الوقائع التي يعهدها الناس في كل زمان ويعلمون أن منها ما هو حيل أو صناعة تتلقى بالتعليم والتمرين — هي التي حملت بعض الناس على الشك والارتياب في آيات الأنبياء، وبعضهم على تسميتها سحرا مبينا، وبعضهم على التثبت فيها للفرقة بين الحق والباطل، وهو ما طلبه الحواريون لاجل تحصيل العلم اليقيني الذي تطمئن به قلوبهم وتقوم به حججهم على غيرهم، على ما اخترناه مع الجمهور من صحة إيمانهم قبل طلب المائدة، أو لاجل تحصيل اليقين في الإيمان بعد التسليم في الظاهر كما اختار الزمخشري وغيره، ولهذا الحكمة جعل الله تعالى الآية الكبرى لرسالة خاتم رسله (ص) علمية حتى لا يبقى مجال لارتياب أحد من طلاب الحق المخلصين فيها. وهي إتيان رجل أمي عاش بين الاميين إلى سن الكهولة بكتاب فيه أعلى العلوم الإلهية

والادبية والاجتماعية والشرعية وأخبار الامم والانبياء السابقين الذين لم يقرأ هو ولا قومه عنهم شيئاً، وغير ذلك من أخبار الغيب التي ظهر صدقها في زمنه وبعد زمنه الخ الخ وأما قوله عليه السلام «وارزقنا وأنت خير الرازقين» فمعناه وارزقنا منها أو من غيرها ما نتغذى به أجسامنا أيضاً وأنت خير الرازقين ترزق من تشاء بحساب، وترزق من تشاء بغير حساب. ومن محاسنه أنه أخذ ذكر فائدة المائدة المادية عن ذكر فائدتها الدينية الروحية، أو معناه وارزقنا الشكر عليها، وربما يقويه إنذار الله من يكفر بعد إنزالها إذ قال: ﴿قال إني منزلها عليكم﴾ قرأ ابن عامر وعاصم ونافع منزلها بالتشديد من التنزيل المفيد للتكثير أو التدرج، والباقون منزلها بالتخفيف من الانزال، وقيل إنها هنا بمعنى واحد. أي وعد الله عيسى بتنزيلها عليهم مرة أو مرارا، ولكنه رتب على هذا الوعد شرطاً أي شرط، فقال ﴿فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، مثل «إنا أعطيناك الكوثر» فصل لربك وأنحر. والمعنى أن من يكفر منهم بعد هذه الآية التي اقترحوها على الوجه الذي لا يحتمل الاشتباه ولا التأويل فإن الله تعالى يعذبه عذاباً شديداً لا يعذب مثله أحداً من سائر كفار العالمين كلهم أو عالمي أمتهم الذين لم يعطوا مثل هذه الآية. وإنما يعاقب الخاطئ والكافر بقدر تأثير الخطيئة أو الكفر، والبعد فيه عن الشبهة والعذر، وقدر ما أعطي الذي يكفر من موجبات الشكر، وأي شبهة أو عذر لمن يرى الآيات من رسوله ثم يقترح آية بينة على وجه مخصوص تشترك في العلم بها جميع حواسه، وينتفع بها في دنياء قبل آخرته، فيعطى ما طلب أو خيراً منه ثم ينكص بعد ذلك كله على عقبيه ويكون من الكافرين؟؟

وقد اختلف مفسرو السلف في المائدة أنزلت بالفعل أم لا؟ فروي عن بعضهم أنها نزلت، واختلف هؤلاء في الطعام الذي نزل — أي أعطي على وجه المعجزة من الله — فأبهمهم بعضهم، وقيل هو خبز وسمك، وصرح بعضهم بأن الخبز من الشعير، وقيل خبز ولحم، وقيل من ثمار من الجنة، وقيل كل شيء إلا اللحم. وقيل كان ينزل عليهم طعام أينما ذهبوا كما كان ينزل المن على بني إسرائيل. ولا يصح من أسانيد هذه الروايات شيء، ولذلك رجح ابن جرير نزولها انجازاً للوعد

وانه كان عليها مأكول لا نعينه ، بل قال غير جائز أن يكون سمكا وخبزنا ، وقال ان العلم به لا ينفع والجهل به لا يضر . ونقول اذاً انه يصدق بمثل ما كان ينزل على بني اسرائيل في التيه من المن الذي يجمعونه عن الحجارة وورق الشجر ، وعبرة ابن عباس عند ابن جرير وابن الانباري في كتاب الاضداد من طريق عكرمة : كان طعاما ينزل عليهم من السماء حيثما نزلوا ، ويصدق بما يأتي عن انجيل يوحنا من إطعام الألوف في عيد الفصح من خمسة أرغفة وسمكتين أكل منها أول ذلك الجمع كآخره وقال آخرون انها لم تنزل البتة قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وقال قائلون انها لم تنزل ، فروى ليث بن أبي سليم عن مجاهد في قوله « أنزل علينا مائدة من السماء » قال هو مثل ضربه الله ولم ينزل شيء . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . قال ابن جرير : حدثنا القاسم — هو ابن سلام — حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال : مائدة عليها طعام ، وعنه قال : أبوها حين عرض عليهم العذاب ان كفروا فأبوا أن تنزل عليهم . وقال أيضا : حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن انه قال في المسائدة : انها لم تنزل . وحدثنا بشر حدثنا يزيد وحدثنا سعيد عن قتادة قال : كان الحسن يقول لما قيل لهم « فن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » قالوا لا حاجة لنا فيها فلم تنزل . وهذه أسانيد صحيحة الى مجاهد والحسن . وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى وليس هو في كتابهم ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله وكان يكون موجودا في كتابهم بالتواتر ولا أقل من الآحاد والله أعلم . اهـ ثم ذكر الحافظ رأي الجمهور وترجيح ابن جرير له وذكر الرازي أن الذين قالوا بنفي نزولها احتجوا عليه بوجهين ذكرهما وأجاب عنهما فقال (أحدهما) ان القوم لما سمعوا قوله (أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) استغفروا وقالوا لا نريدها (والثاني) انه وصف المائدة بكونها عيدا لا ولهم وآخرهم فلو نزلت ل بقي ذلك العيد الى يوم القيامة . وبعد ذكر قول الجمهور بنزولها لوجب إنجاز الوعد الجازم غير المعلق قال — « والجواب عن الاول ان قوله « فن يكفر بعد منكم فاني أعذبه » شرط وجزاء لا تعلق له بقوله « اني منزلها عليكم »

والجواب عن الثاني أن يوم نزولها كان عيداً لهم ولمن بعدهم من كان على شرعهم اه
أقول: أما جوابه عن الحجة الاولى ففي غير محله لوجهين (أحدهما) أنها عبارة
عن خبر ان صح لا ترد صحته بكون جملة الوعيد الشرطية غير متعلقة بجملة الوعد ،
الا اذا قاله هؤلاء التابعيون الاجلاء من قبيل التفسير بالرأي ، والا قرب ان له
عندها (?) أصلاً مرفوعاً ، فالاولى ان يحمل على وجه يتفق مع صدق الوعد ، وهو (الوجه
الثاني) وذلك بأن يقال ان جملة الوعيد مرتبة على جملة الوعد لعطفها عليها بالفاء كما بيناه
آنفاً ، وهذا الترتيب كاف لحمل الحوارين على ترك طلبها بل طلب الاستقالة من
انزالها . وما كان مثل الحسن ومجاهد وقتادة من أئمة التفسير ليخفي عليهم ان الوعد
غير معلق بشرط وأنه انما جعل الوعيد مرتباً عليه ترتيباً ، ولكنهم رأوا ان هذا سبب
كاف في عدم معارضة الوعد لما روه من تنصل القوم واستقالتهم من ذلك الطلب واقالة
الله اياهم منه . وحينئذ لا يكون عدم انزالها إخلالاً للوعد ، فان من وعد غيره بشيء وأراد
أن ينجزه له مرتباً عليه تكليفاً أو تخويفاً حمل الموعد على عدم القبول لا يسمى مخالفاً
وأما جوابه عن الحجة الثانية فله وجه وان أمكن أن يقال جدلاً إنه دعوى تحتاج
الى اثبات إذ لا يثبت انه كان عند أتباع المسيح عيد للمائدة إلا بنص عن المعصوم أو
نقل يعتقد به من تاريخهم . وسيأتي ما عند النصارى من ذلك والظاهر ان الرازي
لم يطلع عليه ، ومنه يعلم ما في قول الحافظ ابن كثير: ان النصارى لا تعرف خبر
المائدة وانه ليس في كتابهم المقدس عندهم ، نعم ان كتابهم أو كتبهم ليس لها أسانيد
متصلة لا بالتواتر ولا بالآحاد . ولكن يقال مع ذلك انه لو كان لسلفهم عيد عام
للمائدة لكان من الشعائر التي تتوفر الدواعي على نقلها بالقول والعمل . وبحاجب بأنه
يجوز ان يكون المراد بالعيد اجتماع الحوارين وأمثالهم لصلاة ونحوها كما قيل ، فان
هذا يجوز أن ينسى لإخفائهم اياه في زمن الاضطهاد ، أو بأن الذين أظهروا النصرانية
بعد استخفاء أهلها بالاضطهاد لا يدخلون في عموم قوله (وآخرنا) لانهم بلغوا وهو
الذي أجاب به الرازي ، أو بان المراد بالعيد الذكري والموعظة لمؤمنيهم المتبعين
له عليه السلام كما تقدم عن سلمان (رض)

ويجوز أيضاً ان يكون العيد بغير اسم المائدة ، وان يكون معنى قوله « تكون

لنا عيداً» — تكون طعاماً للعيد . وهو يصدق باطعامه العدد الكثير من الخبز والسمك القليل في عيد الفصح كما يأتي قريباً .

ثم ان كتب النصارى من الاناجيل وغيرها قسماً أحدها قانوني وهو ما أقرته الكنيسة واعتمدته ، والثاني غير قانوني وهو مافرضته الكنيسة ولم تعتمده ، ومنه انجيل برنابا الذي صرح فيه بالتوحيد الخالص والبشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وانجيل الطفولية الذي ذكر فيه مسألة جعله هيئة من الطين كهيئة الطير نفخ فيها فطارت ، فيجوز ان يكون خبر هذه القصة في بعض الاناجيل التي رفضتها الكنيسة وفقدت بعد ذلك ، وقد صرح يوحنا في انجيله بأن الآيات التي عملها المسيح كثيرة لو كتبت كلها لا يسع العالم الكتب المكتوبة — واننا نرى بعض أصحاب الاناجيل الاربعة المعتمدة كتب منها ما لم يكتبه الآخرون

وقد صرحوا بأن أكثر كلام المسيح كان أمثالا ورموزاً ، ويعدون من هذه الرموز كل ما ورد من خبر الاكل والشرب في الملوك وكذلك بعض النصوص في الاكل والشرب في الدنيا . فما يدرينا أنهم أشاروا الى هذه القصة ببعض التأويلات حسب فهمهم واعتقادهم اذ كانوا ينقلون ذلك بالمعنى ثم نقل عنهم بالترجمة وقد فقدت الاصول ولا يعلم عنها شيء يقيني كما بينا ذلك من قبل بالنقول عنهم

وأنا أذكر هنا ما في هذه الاناجيل بمعنى قصة المائدة : جاء في أول الفصل السادس من انجيل يوحنا أن المسيح عليه السلام ذهب الى بحر الجليل (بحير طبرية) وتبعه خلق كثير لانهم رأوا آياته ، فصعد الى جبل وجلس هناك مع تلاميذه — وهم الحواريون — قال يوحنا (٤) وكان الفصح عيد اليهود قريباً ٥ فرفع يسوع عينيه ونظر ان جمماً كثيراً مقبل اليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزا لياكل هؤلاء ٦ وانما قال هذا ليمتحنه لانه هو علم ما هو مزعم أن يفعل ٧ أجابه فيلبس لا يكفيهم خبز بمئتي دينار لياخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً ٨ قال له واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سمعان بطرس ٩ هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان ولكن ما هذا لمثل هؤلاء ١٠ فقال يسوع اجعلوا الناس يتكئون ، وكان في المكان عشب كثير فاتكأ الرجال وعددهم خمسة آلاف ١١ وأخذ يسوع الارغفة وشكر ووزع على التلاميذ

والتلاميذ على المتكئين ، وكذلك كل من السمكتين بقدر ما شاؤا)

ثم بين أن المسيح عاتب التلاميذ على الشبع من ذلك الخبز وقال (٢٧) اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي ، للحياة الابدية التي يعطيكم ابن الانسان لان هذا الله الآب قد ختمه ٢٨ فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ٢٩ أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله ٣٠ فقالوا له فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ، ماذا تعمل ٣١ آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب انه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا ٣٢ فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء ٣٣ لان خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم ٣٤ فقالوا أعطنا في كل حين هذا الخبز ٣٥ فقال لهم يسوع انا هو خبز الحياة من يقبل الي فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدا ٣٦ ولكنني قلت لكم انكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون « الخ القصة وفيها تكرر انه هو خبز الحياة النازل من السماء لا المن الذي نزل على أجدادهم ، وان من يأكل جسده ويشرب دمه فله الحياة الابدية لانه يثبت فيه

فهذه القصة أولها يشير الى المائدة الجسدية ، وآخرها يشير الى المائدة الروحية ، وهي قد وقعت في عيد الفصح المتفق عليه عند اليهود والنصارى الى اليوم ، ولا يزال النصارى يحتفلون به ويأكلون فيه خبزا ويشربون خمرا باسم المسيح ويسمون العشاء الرباني . فهذا دليل على أن هذه الآية أصلا عندهم ، ونحن نعتقد أن القرآن مهيمن على كتبهم فاحكاما عن أنبيائهم فهو الحق اليقين ، وما نفاه فهو المنفي الذي لا يقبل الثبوت ، ومن الغريب أن يوحنا يثبت هنا ان التلاميذ قالوا للمسيح بعد ما رأوا إطعامه العدد الكثير من الطعام القليل : أية آية تصنع ليرى ونؤمن بك ، وانه قال لهم : انكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون . فهذا يوافق قول من قال انهم سألوا المائدة امتحانا ولم يكونوا مؤمنين حقا كما ادعوا وهو ظاهر الآيتين هنا ، وانما استدللنا على صحة إيمانهم بنسبتهم حواريين ، وبما في آكل عمران والصف ، على انه حكاية عنهم أيضا . والله أعلم بالسرائر

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد على أبو زيد

الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

٣

فها أنت ذا قد سمعت من الآيات ما يدل على أن مانع الزكاة مشرك بالله ، لانه آثر المال على الله^(١) وكافر بيوم المعاد ، لانه لو كان عنده جزم بل ظن به لجمه على الانفاق ، فلا إخالك تشك في أنه محروم من الجنة ، وان (مأواه جهنم وبئس المصير)

وهناك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الدالة على ما قلنا ، المؤيدة لما ذكرنا

أخرج ابن عساكر عن رسول الله (ص) أنه قال « أقسم الله تعالى ألا يدخل الجنة بخيل » وفي رواية للخطيب « يحلف الله بعزته وجلاله ألا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل »

وأخرج ابن أبي شيبة وهناد والنسائي والحاكم والبيهقي عنه (ص) « لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وفي رواية لابن عدي : « لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن أبدا »

(١) المنار : مثل هذا القول لا يمكن جملة على الشرك في الاعتقاد وإنما هو من باب حديث « تعس عبد الدينار » وباب (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)

فهذا رسول الله (ص) المبين للدين، الناطق عن الله، أراك أنت البخل لا يدخل الجنة، ولم يأت بالخبر الا مؤكدا بالقسم عن الله تعالى ولا يخفى أن البخل خلق في النفس يمنع صاحبه من بذل فضله لمن يحتاج اليه. والشح أشد من البخل، فهو أكثر منعا منه لصاحبه، وكلاهما ضد للايمان الذي يحمل صاحبه على بذل روحه في سبيل ربه، فضلا عن بذل ماله وفضله، فكيف يكون المانع للزكاة مؤمنا وهو لم يمنع الزكاة الا حرصا على المال، وإيثارا له، وشحابه على الله؟ فلا شك في كفره وحرمانه من الجنة كما أخبر الله ورسوله

وهنا بما تقول: أتيتنا بآيات في الصلاة وصفت تاركها بالشرك والكفر والنفاق، ولم تصف آيات الزكاة مانعها الا بالشرك والكفر فقط. فأقول لك: قد جاء في القرآن أيضا وصف المنافقين بمنع الزكاة. قال عز شأنه في سورة التوبة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) فقبض اليد هو امساكها عن الاتفاق الواجب من زكاة وغيرها، وقد علمت حال المنافقين ودرجتهم مما سبق، فلا حاجة الى الاعداد، والى هنا تنتهي من أدلة الزكاة وحدها واني أتلو عليك آيات في الصلاة والزكاة معا

(قال) الله تعالى في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى ان قال: وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فانظر كيف جمل البر الايمان بالله واليوم الآخر، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء

بالعهد، والصبر في الشدائد. وتراه قد ابتدأ بالإيمان وعقبه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لأنهما تابعان له، لا ينفكان عنه، ثم ذكر بعدهما الوفاء بالعهد والصبر في الشدائد، وهما من الاخلاق التي تدعو إليها الصلاة، وتثبتها في النفس، وقد عرفت ذلك فيما تقدم من الحكمة

ولما كان الإيمان يستلزم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وما يتبعهما من الاعمال والاخلاق، وكان محالاً — بحسب سنة الله تعالى — أن يوجد الإيمان في قلب المرء ويستقر من غير أن يحرك الجوارح لتلك الاعمال، ذيل الآية بقوله « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » أي أولئك الذين أقاموا الصلاة فأتوا بها معدلة مقومة، وآتوا الزكاة لمستحقها بنفس طيبة، واتصفوا بهذه الاخلاق الفاضلة، هم الذين صدقوا في إيمانهم، وهم الذين فعلوا ما يقيهم عذاب ربهم، دون غيرهم. وهذا نص صريح في أن من يدعي الإيمان من غير أن يكون مصلياً لله مزكياً، تكون دعواه باطلة كاذبة، اذ لم يأت عليها من أعماله بشاهد أو بينة^(١)

وقد قضت حكمة الله تعالى أن يكون الإيمان حياة الروح، كما أن الدم حياة للجسم، وكلاهما يحتاج الى ما يمدّه ويقويه، فكما أن الدم يطلب بطبيعته أن تأتي له الاعضاء بمواد تجهزها له، وتمده بها ليقوى ويزاد صلاحاً لتقوية الجسم على حاجاته، كذلك الإيمان يطلب عملاً صحيحاً تقوم به الجوارح من الصلاة والزكاة وغيرهما ليغذيّه ويزيده قوة فتقوى بقوته

(١) المنار: الاستدلال بعدم الاتيان بالبينّة وباستلزام الإيمان للعمل مجادل فيه، المشتغلون بالعلم بقولهم ان عدم الاتيان بالدليل لا يقتضي عدم المدلول وعدم البينة لا يقتضي كذب الدعوى، وعدم الملزوم يقتضي عدم اللازم دون العكس، ويعدون هذا الاستدلال من الخطايات. وستعلم ان له وجهاً صحيحاً

الروح ، وتستعد بزيادته النفس لأن تكون ملكية صالحة لجوار الله تعالى ، وأهلا للتمتع بجناته ورضوانه

وهذا هو السرّ في أن الايمان متى قام بالنفس صرف الجوارح في العمل حتما ، وأن الايمان لا يوجد في قلب امرئ لا يصلي أو لا يزكي ، كما سمعت من الآيات التي تقرن الايمان بالعمل على الدوام ، وتكذب من يدعي الايمان ولا يعمل ، لانه لو كان صادقا لاتي بالصلاة والزكاة التي تصدقه وتشهد له ، وقد علمت أن غير الصلاة والزكاة من الفضائل هو تابع لهما بالضرورة ، ولذلك تجدد الآيات تقرنهما بالايمان ، وتذكر غيرهما بهما ، وفي كثير من الآيات يستغنى بذكرهما بعد الايمان ، للاشارة الى ذلك (قال) تعالى في وصف المؤمنين في سورة النساء (والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما)

س لم قال (والمقيمين) فأتي بها منصوبة على غير المؤلف لنا من قواعد النحو في العطف ؟

ج لتنبية الذهن ، فهو تخصيص يظهر لك به قيمة المقيم للصلاة ، وتأکید للعناية بها ، اذ هي الاصل للفضائل كما أسلفنا ، والناحية عن الفحشاء والمنكر ، وقد أردفها بأختها الزكاة ، وجعلهما معا وسطا بين الايمان بالكتب المنزلة من السماء ، وبين الايمان بالله وبالأجزاء ، ليفيد أنهما مظهر الايمانين ، وأن المؤمن لا بد أن يتصف بالصفتين

وكأنه يقول : ان من لم يتحل بالصلاة والزكاة ، لا يكون مؤمنا بالله ، ولا خائفا من عذاب الله . اسمع قوله تعالى في سورة النور (في

بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والبصائر ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله (الآية)

تجد أنه جعل خوف هؤلاء الرجال من يوم القيامة وهوله ، وما يلاقهم هناك من حسابه ، سببا في ذكرهم ربهم ، وإقامة صلاتهم ، وإيتاء زكاتهم ، كما أن فعلهم الصلاة والزكاة نتيجة تقمهم بأن الله يشكرهم على فعلهم ، ويمتعهم بثمره أعمالهم ، فالآيات تنادي بأن من لم يقيم الصلاة ولم يؤت الزكاة لا يخاف ذلك اليوم - يوم الدين ، ولا يثق بثواب رب العالمين ، إذ النفس مفطورة على فعل الشيء متى ترجح لها فيه الخير ، والابتعاد عنه إذا علمت منه الضرر ، وهذه قاعدة نفسية ، تجري عليها جميع الأعمال البشرية ، فمن ادعى خلافها فهو كاذب . ألا تراك حين تعلم أنك إذا وضعت يدك في جحر الثعبان فإنه يلدغك ، أو أكلت طعاما فيه سم فإنه يقتلك ، لا تستطيع بحسب فطرتك أن تقدم عليه البتة ، اللهم الا إذا زال من نفسك هذا العلم بالضرر ، أو أصابك شيء في العقل فترجح لك النفع في الموت ، ولكن مادام العقل سليما ، والضرر مرجحا ، فانك لن يمكنك الإقدام عليه ، فارجع الى وجدانك ، وحقق منه ذلك ، فانك لا تشك في أن تارك الصلاة ومانع الزكاة ، لم يمنعه من أدائها ، الا ما قام بنفسه من ترجيح الخير في تركها ، وعدم يقينه بأن سيعذب على عدم المبالاة بهما ، ولو قرأت قوله تعالى عقب هذه الآية مباشرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الآية - لرأيت أنه يقابل الآية التي قبلها ،

ومن المعلوم في سنة القرآن أن يذكر الكافرين ، في مقابل المؤمنين ،
فيريك أن من يتخلى عن تلك الصفات انما هم الكفار ، ولا بد للمؤمنين
من الاتصاف بها ، فبها يعرفون ، وبها يميزون

(قال) تعالى في سورة المؤمنين (قد أفلح المؤمنون* الذين هم في
صلاتهم خاشعون* والذين هم عن اللغو معرضون* والذين هم للزكاة فاعلون)
جعل الفلاح للمؤمنين الخاشعين في صلاتهم ، الفاعلين لزكاتهم ، فأفهم
الآ فلاح لغير المؤمن ، كما أنه لا ايمان لمن لا يصلي خاشعا ، ويزكي محبا
س عهدنا من القرآن أن يذكر الزكاة بعد الصلاة من غير فصل ،
فلماذا فصل بينهما هنا بقوله « والذين هم عن اللغو معرضون » ؟

ج لينبهك الى نكتة جميلة ، وحكمة جليلة ، وهي ان الصلاة التي
ليس فيها خشوع لا يعابها ، وأنها لغو يتزهد المؤمنون عنها ، فليكن لك
من كلام الله عبرة ، ترجع فيما تطالبك به نفسك اليه ، وتقيس أخلاقك
وما تأتي به من الاعمال عليه ، فإلك من قسطاس مستقيم يزن الاعمال
بالضبط غيره ، ولا مقياس صحيح يحدد الصفات بالحق سواء (هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق — ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون)
(وقال) تعالى في سورة النمل (طس* تلك آيات القرآن وكتاب
مبين* هدى وبشرى للمؤمنين* الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
وهم بالآخرة هم يوقنون)

(وقال) في سورة لقمان (الم تلك آيات الكتاب الحكيم* هدى
ورحمة للمحسنين* الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم
يوقنون* أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

تراه هنا قد حصر الفلاح فيهم، وأفادك أمرا آخر وهو أن الصلاة والزكاة مع ملازمتها للإيمان بالآخرة، قد يأتي بهما المرء عن غير داعية الإيمان، إما للرياء أو الاكراه. وحينئذ لا يكون له حظ في هداية القرآن، ولا البشرى بالجنة والرضوان، ومن كان هذا حاله، لا تنفعه صلاته، ولا تقبل منه تققاته

(قال) تعالى في سورة براءة (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم ألا أنهم كفروا بالله وبرسوله، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون * فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وزهق أنفسهم وهم كافرون)

أنزل الله ذلك في شأن المنافقين الذين لم تكن صلاتهم عن إيمان فينشطوا إليها، ويرتاحوا بها، ولم تكن نفقاتهم عن اخلاص فينفقوا عن طيب نفس ورغبة في القبول، فبذلك كفروا، وجعل الله أموالهم وأولادهم فتنة لهم، ووبالا عليهم، وسينتقم منهم (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) من عيوب الشرك والنفاق

هذا وقد تضافرت الآيات الناطقة بأن الصلاة والزكاة هما علامتا الإيمان بالله، ودليلا الاخلاص له، وأنه لا يصح إيمان بدونهما، كما أنهما لا تقبلان من غير أن يكون الإيمان باعنا عليهما، وهما أنا ذا أزيدك على ما تقدم منها ما تقطع بعد تدبره بأن تارك الصلاة ومانع الزكاة لم يمس الإيمان قلبه

قال العزيز الحكيم في سورة السجدة الم (إنما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون * تتجافى

جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (وقال) تعالى في سورة الانفال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * اولئك هم المؤمنون حقا) وقد أتى في الآيتين بلفظ «انما» الذي يدل على الحصر، كأنه يقول سبحانه إنه لا يوجد الايمان الصحيح الا فيمن يكون هذا شأنهم، وتلك صفاتهم، فمن لم يهتز قلبه لذكر الله، ولا يخضع ويذعن لاوامره، فيرجو ثوابه، ويخاف عقابه، فليس بمؤمن وإن سمي نفسه مؤمنا، لان المؤمن يدور دائما بين خوف ورجاء، نخوفه عذاب ربه يزرجه عن المنكرات، ورجاؤه ثوابه يدعو الى المسارعة في الخيرات، فمن لم يك كذلك فاعتقد كذبه في دعوى الايمان، وحسبك شهادة الله لمن يقيم الصلاة ويعطي الزكاة بعد ما تقدم بقوله (اولئك هم المؤمنون حقا) بالحصر الموء كد بالحق . فهل بعد هذه أدلة، تشفي من الغلة، أو ينتظر برهان، أرقى من القرآن؟ ولنختم الموضوع بآيات أخرى ودلائل، لاتدع بمدعا قولا لقائل فنتلو قول الله الكريم (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) الآيات، ففيها يقول الله للمسلمين (فاذا انسلكوا اشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) وفيها يقول (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم — الى أن قال — لا يربون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون * فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين)

أمرهم بالآلا يعتقدوا بتوبتهم من الشرك والاعتماد الا اذا اتبعوا التوحيد باقامة هذين الركنين للدين ، لانهم بهما يصيرون مسلمين متآخين ، وعلى هذا سار الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، وقتال الخليفة أبي بكر باجماع الصحابة لما نهي الزكاة ، وعده إياهم خارجين بتركها مشهور ، وبه علم أن الاسلام أركانه متضامنة ، لا يقام الا باقامتها جميعها ، وينهدم بهدم أي ركن منها ، وقد عزز ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أيضا بالحديث الذي خرج به الامام أحمد ^(١) « أربع فرضهن الله في الاسلام فن جاء بثلاثة لم تعين عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا : الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت » وقد علمت مما تقدم أن من يقيم الصلاة بالخشوع ، ويؤتي الزكاة بالاخلاص ، لا يسمعه أن يترك غيرها من الفروض ، ولا يمتنع عن تقوى الله ما استطاع ، ولذلك اختصرنا عليهما اذ يوشك أن تضع كل فضيلة بضياعهما ، وعدم المبالاة بهما فاتقوا الله يا معشر المسلمين ، واعلموا أنكم لستم بمأجورين ، حتى تحذوا حدوسلفكم الصالحين ، فتكونوا بالصلاة والزكاة أمرين مؤتمرين وعلى يد التاركين لهما ضارين ، (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) تتعاونون على نشره ، وتكاثفون في احياء شعائره ، فتعملون كلمته ، وتجنون ثمرته

هذه نصيحتي أقدمها اليكم ، عسى أن تكون وسيلة لديكم ، فتطلبوا الحق من القرآن ، ولا تستبدلوا التقليد بالبرهان

هداني الله وإياكم
محمد علي أبو زبير

[المنار] عنوان هذه الرسالة والكثير من عباراتها مخالف في ظاهره لمذهب أهل السنة في عدم تكفير المسلم بترك فريضة أو فعل معصية، وموافق لمذهب الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة كترك أحد أركان الإسلام أو اقتراف القتل أو الزنا أو شرب الخمر، وقد تعارضت ظواهر نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب فأطلق اسم الكفر في بعض أحاديث صحيح مسلم على ترك الصلاة وعلى الطعن في النسب والنياحة على الميت وفي حديث الصحيحين «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (وفيها) إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالتقاتل والمقتول في النار» وقال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فساها مؤمنين . وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجمع أهل السنة بين هذه النصوص وأشباهاها بأن لفظ الكفر — ومثله الفسق والظلم — ورد في الكتاب والسنة بالمعنى اللغوي فأطلق على كفر النعمة وعلى الشرك وما في معناه من منافيات الايمان بالله ورسوله وتصديق ما جاء به الرسول (ص) عن الله تعالى . وكذلك الفسق والظلم — قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) والكافرون هم الظالمون * كذلك حققت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) وقال (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) فهذا الفسق دون ما قبله . وكذلك لفظ الشرك وهو أقبحها أطلق على مادون اتخاذ إله مع الله فسمي الرباء شركاً وجملة القول ان أهل السنة لا يكفرون أحداً من المسلمين بمعصية يرتكبها فعلاً كانت أو تركاً وان كانت من الكبائر ، الا أن بعض أئمة أهل السنة من الصحابة والتابعين قالوا بكفر تارك الصلاة كما تقدم في تعليقنا على حديث مسلم في أول هذه الرسالة، وأطلق جمهورهم كلمة « المرتدين » على مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول (ص) كما أطلقوه على من رجعوا عن الإسلام الى الشرك أو الايمان بنبوة الكذابين مسيئة والاسود العنسي ، ولكن قال علماء السنة ان الذين منعوا الزكاة تأولوا بأن أخذها خاص بالنبي (ص) لم يسموا مرتدين الا بالتبع اغيبرهم أو بمعنى الارتداد اللغوي . وان الاجماع انعقد في عهد الصحابة بأن من منع الزكاة متأولاً — ومثله من جحد ما في معناها وحكمها — تقام عليهم الحجة أولاً فان اعترفوا بوجوبها ولم يؤدوها لا يحكم بكفرهم بل يقاتلون قتال البغاة لا الكفار، كما قاتل الصحابة الخوارج ولم يكفروهم ولا عاملوهم معاملة الكفار في القتال

هذا — وان وراء هذه المسألة بحثاً آخر وهو : انه لا يعقل أن يكون المرء مؤمناً بالله تعالى وبرسوله وباليوم الآخر على الوجه الحق الذي دعا اليه القرآن ، ومسلماً مدعناً في ظاهره وباطنه لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يترك الصلاة التي هي عماد الاسلام وركنه الاعظم للعبادات الشخصية ، والزكاة وهي ركنه الاعظم الذي تقوم عليه حياته الاجتماعية ، غير مبال بنصوص الكتاب والسنة التي قرنتها بالايان ، وعدتهما أعظم أركان الاسلام ، وقد عد السلف العمل بما أمر الله ورسوله داخلًا في مفهوم الايمان ، والاذعان شرط لصحة الايمان بالاتفاق . وكيف يكون مدعناً من لا سلطان للامر والنهي على قلبه ، ولا يظهر لها أثر في عمله ؟

لقد أحسن من عبر عن المسألة بقوله « لا تكفر أحداً من أهل القبلة » أي من ثبت إسلامه باذعانه لما جاء به نبينا ، بأن كان يصلي معنا الى قبلتنا ، ويلتزم أحكامنا وشعائرناء ، فانتا لا نحكم بكفره لذنب يقتضيه بجهالة كثورة غضب ، أو نزوة شهوة ، أو فريضة يتركها بشغل عارض ، أو برد قارس ، ثم يتوب من قريب ، إذعانا لمقتضى الوعد والوعيد (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم * والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) لا إيمان لمن لا اذعان له ، ولا إذعان لمن لا اسلام له ، ولا اسلام لمن لا عمل له ، وأعمال الاسلام قسمان أركان كأن كان البيت يتوقف عليها وجوده ، وواجبات ومندوبات يتوقف عليها كماله ، فهذا هو الاسلام الديني وهناك اسلام آخر هو عبارة عن جنسية سياسية أو اجتماعية تنال بالوراثة أو

بالانتماء الى قوم يسمون مسلمين ، وهذا الاسلام لا يشترط فيه العلم بعقائد الاسلام الديني ولا القيام بأركانه وشعائره الظاهرة ، ولا ترك محرماته المجمع عليها ولا استباحها ، ولا ينافيه إنكار شيء من القرآن ولا استباح شيء من شرعه كتحریم تبرج النساء والخمر والقمار ، وإنما يعرف بالاسم وبمشاركة المسلمين في بعض احتفالات أعيادهم ومواسمهم المشروعة والمبتدعة ، وبعدم التزام شعائر دين آخر . واننا نرى بعض الملاحدة من هذا الجنس يريدون هدم الاسلام الديني بالاسلام الاصطلاحي الجنسي ، حتى انهم يديحون جعد المجمع عليه المعلوم منه بالضرورة وأولئك هم المرتدون المنافقون

مَدَامُ سَنَنْتُ دَارُ الدِّعْمَةِ وَالْإِشْنَانِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١١

أنواع أمراض الأحياء الطفيلية الميكروبية

هذه الامراض نوعان : منها ما عرف ميكروبه باليقين ، ومنها ما لم يعرف الى الآن. ومن أسباب ذلك أن جميع المجاهر أو النظارات المكبرة (الميكروسكوبات) الحالية لا تكشف الا ما بلغ طول قطره ١٦ و ٠ من الميكرومليمتر أو أكثر . أما ما قل عن ذلك فلا يمكن رؤيته الى الآن مطلقا ويسمى [بما وراء المجهر] (Ultra-microscopic) وهذه الميكروبات تمر خلال أحكم النواضح (المرشحات) مثل ميكروب الكلب وجذري البقر

أما الميكرومليمتر المذكور هنا — ويسمى أيضا [الميكرون] — فهو جزء من الف من المليمتر، ويرمز اليه بهذه العلامة (μ) في الافرنجية وبحرفي (مك) في العربية والميكروبات المعروفة اما نباتية أو حيوانية — كما سبق —

الامراض التي تنشأ من الميكروبات النباتية

الحُمى التيفودية Typhoid Fever

لفظ التيفود يوناني معناه [شبه التيفوس] ومعنى كلمة [تيفوس] الصاعقة،

سميت بذلك الحُمى المعروفة لانها تصعق المريض

(المجلد الثامن عشر)

(٨٥)

(المنار: ج ٩)

هذه الحى من الحيات الشهيرة المعدية وتمكث عادة نحو ثلاثة أسابيع ، وقد يُنكس فيها المريض مرة أو أكثر . وأهم مميزات طفح قرنفلي واسهال مع التهاب وتقرح في بقع (بايبر) وفي الغدد المنعزلة للأمعاء . ولاصابة الأمعاء فيها بالتقرح تسمى أيضا بالحى المعوية

الاسباب — هذه الحى لا تميز الا قليلا بين الذكر والانثى ، ولكن للعمر تأثيرا كبيرا فيها فهي تكثر في سن الشباب الى ٣٠ سنة وبعد ذلك تقل كثيرا ، غير انها قليلا ما تصيب الاطفال والشيخوخ ، واذا أصابت الاطفال كانت الاصابة خفيفة ومدتها قصيرة ، واضرارها بالأمعاء أقل مما في الشبان

تكثر هذه الحى بين شهري أغسطس ونوفمبر ، أو في فصل الحر والجفاف . واذا أصيب بها المرء مرة وقته من الاصابة بها مرة أخرى . وميكروها من الشكل الباسيلي ، كثير الحركة باهدابه ، طوله ميكرونان أو ثلاثة ، ويتكاثر بالانقسام ، ولا حبيبات له . ويوجد بكثرة في البراز وفي البول^(١) وفي اللعاب أيضا (في المضاعفات الرئوية) وفي العرق ، ويوجد كذلك في قيح الخراجات التي تنشأ من هذه الحى . وقد ينتقل من الام الى جنينها

فاذا وصل هذا الميكروب الى أي شيء مما يأكله الانسان أو يشربه انتشر المرض بين الناس . والذي اكتشفه هو [ايبرت Eberth] سنة ١٨٨٠ وهذا الميكروب يعيش حتى في الثلج ولا يقتله عصير المعدة الحامض ويقاوم درجة ٤٤ الى ٤٥ سنتي جراد مدة طويلة جدا ، ولذلك قد يصل الى الانسان من مثل القشدة المثلوجة وغيرها ، ويدخل هذا الميكروب كثيرا في الاسماك الصدفية أي المحار (كأم الخلول) التي تؤكل عادة بلا طبخ ويعيش فيها الميكروب وهي حية لغاية ١٨ يوما بدون أن يظهر عليها عرض مّا . واذا جف الطين وصار بحيث تثيره الريح عاش الميكروب فيه ٢٥ يوما فينتقل بذلك الى طعام الانسان وشرابه . وكذلك الذباب ينقله أيضا . وقد يعاق هذا الميكروب بالخضروات كالفجل والجرجير ونحوها مما يؤكل

(١) وجوده في البول كثير خصوصا في الاسبوع الثالث وفي طور النقاهة بل بعدها

غضا، فكل هذي الاشياء هي مما ينقل المرض من شخص الى آخر . وكثيرا ما تلوث الآبار أو الانهار أو أنابيب المياه من المراحيض التي يلقي فيها إفراز المرضى . وقد ثبت انه يعيش في قذارة المراحيض من ٣ الى ٥ أيام ولكن يوجد في هذه المواد القدرة من الميكروبات ما يقتله بعد ذلك

واذا عرض هذا الميكروب لنور الشمس مات بعد ٤ ساعات وقد يبقى الى ٨ ساعات ، واذا وجد في الارض مختبئا عاش شهرين كاملين

ومن الناس من يحمل هذا الميكروب في جسمه عدة أشهر بل عدة سنوات بعد الشفاء من الحمى ويكون سببا في عدوى الكثيرين ببوله وبرازه (١) ومن المحقق ان المراءة هي غالبا مسكن الميكروب في هؤلاء الحملة (خصوصا من النساء) وفيها يتكاثر بعد الشفاء (راجع صفحة ١٦ و ١٧ من هذا الجزء)

والطريق الوحيد للعدوى بهذا المرض هو الجهاز الهضمي فاذا وصل الى أي جزء منه — كالفم مثلا — اذا ذرته الرياح فدخل غباره في جوف الانسان فمن الجائز أن يصاب بهذا المرض، وان كان الغالب في العدوى ان يزدرده الانسان في الطعام أو الشراب الاعراض — مدة التفريخ تكون في أكثر الاحوال نحو أسبوعين وقد تكون ٥

أيام فقط أو ٢٢ يوما . ويتبدى المرض بإحساس المريض تدريجيا بضعف وتكسر في الجسم وبسأم العمل ويشعر بصداع وآلام في الاطراف والظهر وبالإقياء (فقد شهوة الطعام) وقد يحصل له غثيان أو قيء . وفي أغلب الاحوال لا يمكن للمريض أن يعين بالضبط مبدأ لهذه الاعراض — بخلاف بعض الحميات الاخرى التي تبدى فجأة — ويكون الصداع شديدا (وأكثر شكوى المريض منه) وفي كثير من الاحوال يحصل له إسهال . وقد يحاول المريض في أول الامر أن لا ينقطع عن عمله الا أنه في أواخر الاسبوع الاول يضطر الى ذلك ويلجأ الى الفراش . وكذلك تبدى الحرارة بالتدريج حتى تصير بعد أيام قلائل نحو ٤٠° ويسرع النبض وتزداد مرات التنفس . وفي نحو اليوم السابع أو العاشر يكون عند المريض

(١) خروج الميكروب مع البراز ليس متتابعا بل متقطعا فاذا وقف زمنا ما فقد يعود ثانية ، ولذلك فمن المتعذر القطع بطهارة الحامل منه وعدم عدواه لغيره

ذهول وضعف شديد ويحتمن خداه ويجف اللسان ولا يزال يشتكي من الصداع. ويحصل له أحيانا عرق غزير أو رعاف . ومن اليوم السادس الى اليوم الثاني عشر يظهر الطفح القرنفلي المخصوص وهو نقط أو بقع صغيرة وردية مستديرة مرتفعة قليلا عن سطح الجلد تزول بالضغط عليها ولا يحصل فيها نزف كما في التيفوس ، وتشاهد هذه النقط على البطن والصدر وقد ترى أيضا على الجنبين والظهر أو العضدين والفخذين ؛ ويتراوح عددها بين ٦ الى ٣٠ أو ٣٠ وقد تزيد على ذلك بكثير . وفي بعض الاحوال لا يكون لهذا الطفح وجود — خصوصا في مصر — وهو لا يظهر دفعة واحدة بل تدريجيا ، وتمكث كل نقطة ٣ أو ٤ أيام ثم تزول ويخلفها غيرها حتى نهاية الاسبوع الثالث أو بعده . وبعد الموت تزول هذه النقط

وفي الاسبوع الثاني يكون البطن منتفخا وبه آلام ، وبالضغط على الحفرة الحرقفية اليمنى يشعر المريض بالألم القليل، وقد يحس الطبيب بقراقر مخصصة. ويشد الاسهال ، ولكن في بعض الاحوال — خصوصا في مصر — يكون البطن معتقلا من أول المرض الى آخره ، وللهراز في هذا المرض رائحة كريهة مخصصة ولون أصفر يشبه حساء (شوربا) العدس المصري . وقد يحصل نزف من البطن يكون سببا في الموت أحيانا . ويكبر الطحال ويقل البول

أما الصداع فانه لا يمكث عادة بعد اليوم العاشر وقد يصاب المريض بالصمم الوقفي . وفي أواخر الاسبوع الثاني تبدى الحرارة في النزول تدريجيا حتى تصير طبيعية . هذا في الاحوال الحسنة

أما في الاحوال السيئة فيشتد الهذيان والنعاس الذي تعقبه الغيبوبة ، ويحصل الاهتزاز الوتري ، وتجتمع الاوساخ على الاسنان والشفتين وغيرها ويضعف القلب ويكثر السعال ويعسر الشفاء

وقد ينكس الانسان بعد الشفاء من هذا المرض ، فانه لوحظ أن نحو ١١ من ١١ مريضا في المئة ينكسون ، وقد تكون الفترة بين المرة الاولى والثانية ١١ يوما. وفي الغالب تكون مدة النكس مثل المدة الاولى في طولها ولكنها أخف منها ، وقد ينكس ثانية وثالثة ورابعة

وأهم تغير يحصل في الجسم بهذا المرض هو التهاب بقع (باير) المذكورة والغدد المنعزلة. وفي اليوم العاشر أو بعده بقليل تقترح هذه الاجزاء وقد ينقب البريتون فتخرق الامعاء ويحصل التهاب بريتوني شديد يعقبه الموت. أما التغيرات في بقية الاعضاء فهي كما ذكر سابقا في المقدمة، وكثيرا ما يشاهد في التيفود اذا طالت مدته تغير العضلات الذي ذكره [زنكر Zenker] فتستحيل اليافها الى مادة شفاقة كالشمع ثم تنفقت وتصبح حبيبات صغيرة وبذلك تفسد العضلات وقد يتولد فيها خراج

المضاعفات والاشكال المختلفة — مضاعفات هذا المرض كثيرة منها النزلة الشعبية والالتهاب الرئوي أو البليوراوي أو البريتوني أو السحائي، وغير ذلك كثير ومن أنواعها ما لا يمكن الا عشرة أيام ويسمى بالنوع المجهرض [Abortive] أو يطول الى ٦ أسابيع. ومن الناس من لا يشعر بالمرض لشدة خفته ولكنه قد ثقب أمعاؤه فجأة فيموت. واذا شفي المريض لا تعود اليه قواه العقلية والجسمية الا تدريجا فيحتاج في الاحوال البسيطة الى ثلاثة أشهر من مبداء المرض الى تمام نقاهته، أما في الحالات الشديدة أو المتضاعفة أو ذات النكس فيحتاج الى ٥ أو ٦ أشهر من مبداء المرض

الانذار (١) — عدد الوفيات بهذا المرض هو من خمس الى عشرين في المئة. ومن أشد الاشياء خطرا على الحياة ثقب الامعاء والنزف

المعالجة — هي كما سبق في باب الحميات، انما نذكر هنا بعدة مسائل (١) أن لا يعطى المريض مسهلا الا في أول المرض، وأفضل المسهلات عندئذ زيت الخروع، ولا يجوز بحال من الاحوال اعطاء مسهل شديد البتة (٢) يجب التزام الراحة التامة على الظهر حتى يتبرز المريض في اثناء مفرطح منعنا لكل حركة ويجب بقاء المريض على الغذاء السائل مدة ١٠ أيام على الاقل بعد نهاية المرض. والغرض من ذلك كله منع الانتفاخ والنزف (٣) من الاطباء من يعطي أدوية مطهرة للامعاء

(١) لفظ اصطلاحى يراد به الانباء بمصير المرض، وذلك مبني على ما يذكر في الكتب الطبية — تحت هذا العنوان — من الاحصائيات والملاحظات ونحوها

(كالسالول) والزئبق الحلو بمقادير صغيرة ، ولكن نفع هذه الاشياء قليل ، وغاية الامر انها قد تقلل الاسهال والرائحة الكريهة للبراز (٤) اذا زاد الاسهال عن أربع مرات يوميا وجب العلاج والا فلا (٥) لأبأس من شرب الماء بكثرة فانه منعش ويغسل سموم الجسم في العرق والبول . وماء الجير نافع جدا اذا مزج باللبن فانه يسهل هضمه ويمنع الغثيان والقيء ويمسك البطن ويقوي خلايا الجسم ، فان الجير لازم لحياة جميع الخلايا (٦) يعالج الصداع بوضع الماء المثلوج على الرأس أو بتعاطي الفيناستين (بقدر ٥ — ١٠ قمحات) أو غيره

الوقاية — (١) تطهر جميع مواد البراز والبول وغيرها بوضع مثل الفنيك عليها بنسبة ٥ في المئة لمدة ساعتين على الاقل قبل القائها في المراحيض
(٢) يغلى كل ما يستعمله المريض من ملابس وفرش وأواني وغيرها مدة نصف ساعة على الاقل

(٣) يجتنب إلقاء أي شيء مما يخرج من المريض أو يمسه في مجاري ماء الشرب أو تركه مكشوقا بحيث ينقله الذباب أو الريح ، بل يجب تغطية أواني البراز أو البول بخرقه مغمسة بمحلول الفنيك — بنسبة ٥ في المئة أيضا — منعاً لانتقال الميكروب بواسطة الذباب الى أهل المنزل

(٤) يجب غسل يدي كل من خالط هذا المريض بالماء والصابون ثم بمحلول السليمانى ١ في ١٠٠٠ أو بمحلول الفنيك أو بالغول (الكحول) النقي بوضعها فيه خمس دقائق قبل أن يمسه أي شيء من طعامه

(٥) في وقت انتشار هذا الوباء يجب غلي كل طعام وشراب . وأحسن طريقة لتطهير الخبز ونحوه امراره في لهب الكحول أو وضعه على الفحم الملتهب ، وينبغي أيضا الامتناع عن أكل الخضّر كالفجل والجرجير والفاكهة الا اذا غسلت جيدا بالماء الغالي وأزيلت قشورها وكذلك يجب اجتناب أكل الحيوانات البحرية المذكورة سابقا واللبن المثلوج

(٦) يلفح السليم بالحقن تحت الجلد بميكروب الحمى التيفودية بعد قتله ، وذلك بأن يربى ميكروب التيفود لمدة ٤٢ ساعة ثم يوضع في محلول ملح الطعام ١ في ١٠٠

ويقتل بعد ذلك بحرارة درجتها ٥٣ سنتيجراد لمدة ساعة وليحترس من رفع الحرارة أكثر من ذلك لأنها تفسد مادة التطعيم، ويحقن المريض مرتين بينهما فترة عشرة أيام. وعدد الميكروبات التي يجب أن تحقن في المرة الأولى نحو ٥٠٠ مليون وفي الثانية نحو ١٠٠ مليون، ويوصي بعضهم بحقنة ثالثة من ٢٠٠٠ مليون. ولحقن في زمن انتشار الوباء عيب وهو أن القابلية للمرض تزداد بعد الحقن لمدة قصيرة فيكون الإنسان فيها عرضة للإصابة. وأحسن الاوقات للحقن ما كان قبل قيام المسافر ونحوه الى مكان الوباء ببضعة أيام

(٧) تطهر الاواني اذا تعسر غليها بمحلول حامض الكبريتيك — بنسبة ٢ في المئة — ومزيتة أن الآثار التي تبقى منه لا تضر صحة الإنسان مطلقا بل ان طعمه المحضي مما يحرض شهوة الطعام ويعين على الهضم

(٨) لا يجوز للناقلين التبول أو التغوط في الطرقات، ولذا يجب تقصير الثياب وخلع المرء نعليه عند دخوله حجرات منزله. ولا يخفى أن من آداب الاسلام تقصير الثياب فان في اطالتها اسرافا وخيلاء وضرا صحيا عظيما

(٩) تبقى مخالطة الناقلين مدة ثلاثة أشهر على الأقل أو الى أن يظهر البحث البكتيريولوجي طهارتهم من الميكروبات تماما بعد عمله عدة مرات متباعدة والا وجب منعهم عن مس أي طعام أو شراب وتطهير أيديهم وملابسهم وفرشهم أو مفرزاتهم دائما وغلي كل طعام أو شراب مسوه قبل تناوله

طريقة فيدال لتشخيص الحميات

Widal's Test

هذه الطريقة مبنية على أن مصل دم المرضى بالتيفود يبطل حركة ميكروباته في بضع دقائق ثم يتراكم بعضها على بعض فيتكون منها أكوام وذلك ما يسمى بالافرجمية [Agglutination] وهي كلمة لاتينية معناها الحرفي (التفريجة) لان الميكروبات في اجتماعها تكون كأنها غريت بعضها ببعض بعد أن بطلت حركتها والاحسن أن نسمي ذلك (بالارتكام) والميكروبات في هذه الحالة لا تكون

ميتة كما يتوهم بعض الناس . وملخص هذه الطريقة عملا أن يؤخذ جزء من دم المريض في أنبوبة دقيقة مطهرة ، ثم تمزج نقطة من مصله بجزء أكبر من السائل الذي ربي فيه الميكروب بنسب مخصوصة أفضلها ما كان (من ١ الى ٣٠) وينظر اليه بالميكروسكوب بطريقة (النقطة المعلقة) فبعد نصف ساعة أو ساعة لا يشاهد غالبا ميكروب واحد منفردا ، وقد فسر العلماء ذلك بعدة تفاسير لا حاجة لذكرها لان الحقيقة مجهولة ، وهذه الطريقة لا تنجح الا بعد مضي بضعة أيام من المرض ، والاحسن أن يؤخذ الدم بعد الاسبوع الاول ، وفي بعض الاحوال لا تنجح مطلقا وتكون الحُمى حينئذ شديدة ومميتة ، وفي البعض الآخر يستمر نجاحها لعدة أشهر بعد انتهاء المرض . وهي تستعمل في الحميات الاخرى التي عرف ميكروبها باليقين كالحمى المالطية ، ويؤخذ الدم من شحمة الاذن أو الاصبع بالوخز بآبرة أو نحوها ولا يتعين استعمال المصل في طريقة فيدال هذه ، بل يجوز أن تعمل بدم متجمد فيذاب بقليل من الماء المقطر ويستعمل كالمصل ، ويجوز أيضا استعمال الميكروب الميت فانه يترك أيضا وكذلك الميكروبات غير المتحركة

الحُمى الباراتفودية Paratyphoid

كلمة [بارا] يونانية معناها « قريبة » لان هذه الحُمى تقرب جدا من التيفودية في أعراضها وسيرها بل في جميع مميزاتها تقريبا غير أنها تكون عادة أخف وطأة وأقصر مدة ، والبطن يكون — في النوع الاول منها — غالبا معتقلا ، وهي غير مميتة إلا نادرا . وتنتشر أحيانا بشكل وبائي ، وقد تحصل في جميع بقاع الارض . وأهم الاسباب في انتشارها الماء الملوث وميكروبها كميكروب الحُمى التيفودية الا في بعض أشياء قليلة من الوجهة البكتيريولوجية . أما في الشكل والحركة فهما سيان . وهذا الميكروب لا يترك بمصل دم الحُمى التيفودية . وهو نوعان: النوع الاول يسمى (أ) والثاني (ب) أما (أ) فانه أشد شبيها بميكروب التيفود ، وأما (ب) فانه أضر . وإذا مات الشخص بسبب هذه الحُمى كان غالبا مصابا بميكروب (ب) وقد تحرق أمعاء المصاب بسبب تقرح الغائث ولكن تكون بقع باير سليمة وفي بعض

الحالات لا يوجد شيء في الأمعاء ، وفي إصابة واحدة شوهدت ضخامة غدد المساريقا ، وفي كثير من الإصابات يكبر الطحال أما المعالجة والوقاية فهي كالتيقودية سواء بسواء . وهذه الحمى تقي من أصيب بها من مثلها ولا تقي من التيفود

الحُمى المالطية Malta Fever

تسمى هذه الحمى أيضا بحُمى البحر الأبيض المتوسط لانها كثيرة الحصول في شواطئه وفي جزائره ولكنها توجد أيضا في جنوب أفريقية والهند والصين وغير ذلك

الاعراض — طور التفريخ يتراوح بين بضعة أيام و ٣ أو ٤ أسابيع . وتبتدئ الاعراض تدريجيا كما في الحمى التيفودية ولكن لا يظهر فيها طفح ويكون البطن ممسكا ، ولا تنقرح فيه بقع (باير) ولا تضخم . والوفيات فيها قليلة (نحو ٢ في المئة) ولكنها تطول جدا فقد تمتد الى ٩ أشهر ، ويشفى منها المريض بالتدريج ويصير ضعيفا أصفر اللون وقد تلتهم مفاصله أو خصيتاه

أسبابها — لهذه الحمى ميكروب من النوع البزري وهو لا حركة له ولا أهداب (وان ادعى بعض الباحثين أن له أهدابا) أما ما يشاهد فيه من الحركة فهي حركة برون [Brown] وهو اسم امرئ نباتي يسمى (روبرت برون) شاهدها في قطرات الندى ولكنها ظاهرة طبيعية يمكن مشاهدتها في كل سائل فيه ذرات دقيقة فتتهز هذه الذرات مع حركة رحيوية قليلة حول نقطة معينة، وسببها اختلاف درجة الحرارة في السائل بالتبخير القليل الذي يحصل من سطحه

وأعظم ما يتقل ميكروب هذه الحمى الى الانسان هو لبن المعز، فان المعز تصاب كثيرا بهذا الميكروب في جزائر البحر الأبيض وفي جنوب أفريقية وغيرها بدون أن يظهر فيها عرض مّا لهذا المرض (إلا ضعفا في بعضها أو التهابا في ضروعها) ولكنها تفرز في لبنها كثيرا من هذا الميكروب

وللوقاية منه يجب اجتناب أكل أو شرب هذا اللبن أو ما يصنع منه كالزبدة أو

الجبن الحالم إلا إذا كان اللبن غلي قبل صنع الجبن منه. ويجوز أن يدخل الميكروب من جرح بالجلد إذا مسه هذا اللبن أو ينتقل بواسطة الحشرات الماصة للدم كالبعوض مثلا فإن الميكروب يعيش في جسمه أربعة أيام أو خمسة وهذه الحمى تصيب الذكر والانثى على السواء تقريبا وهي أكثر حدوثا في سن الشباب منها في الكبر ويكثر حصولها في أيام الحر

الدفتيريا Diphtheria

الدفتيريا كلمة يونانية معناها الغشاء ، وهي عبارة عن مرض معد رديء ، أهم مميزاته أنه يصيب الأغشية المخاطية للفم أو الحلق أو الأنف أو الحنجرة أو غير ذلك فيتكون غشاء أبيض فوق هذه الأجزاء المتهبة ، وقد يصيب هذا الغشاء أيضا سطحيات الجلد أو جروحه

وإذا أصاب الملتحمة (غشاء العين) أتلها في ٢٤ ساعة

الاسباب — هذا المرض يصيب الاطفال خصوصا بين السنة الثانية والعاشرة أو الثانية عشرة ويندر حصوله لغيرهم . وهو ينتشر بالهواء لمسافات قصيرة. ويخرج الميكروب في افرازات المصاب أثناء عطاسه أو سعاله مثلا ، أما نفسه الهادي فلا يضر . ويعيش ميكروب الدفتيريا مدة طويلة إذا سكن في طيات الثياب وهي مما ينقله الى مسافات أبعد من مسافة انتقاله في الهواء . ويعدي هذا المرض حتى في مبدئه قبل أن تظهر جميع أعراضه . ورطوبة المنازل والأهوية الفاسدة مهمات له ، وكذلك أمراض الحلق كالتهاب اللوزتين . وقد ينتقل الميكروب بالطعام أيضا الى مسافات بعيدة . وتصاب بعض الحيوانات به خصوصا انقطط والبقر فيعدي لبها حينئذ إذا لم يغلب ، ويصاب الحمام والدجاج والخيل والغنم بمرض يشبهه . والقول الراجح عند العلماء الآن ان مرض هذه الحيوانات المذكورة أخيرا لا علاقة له بمرض الانسان ولا ينتقل اليه ، ولكن لاختلاف بينهم في إصابة انقطط والبقر به فتظهر ثور وقروح دفتيريا في ضرعها . والفيران لا تصاب به ، أما تلك الحيوانات الداجنة التي لا تصاب به فقد تلوث بميكروب دفتيريا الانسان وتكون كحامل الامراض فتنتقله من مكان الى آخر ومن انسان الى انسان

ويرى بعض العلماء ان ميكروبها يعيش مدة طويلة في الطين، والهواء المحتبس في جوف الارض يخرج منه اذا ارتفعت مياهها -- كما سبق -- ويكثر هذا المرض في فصلي الخريف والشتاء وهو الزمن الذي تكثر فيه القرمزية والتهاب الحلق أو الخنجر أو اللوزتين

ويجوز أن يعود المرض المرء بعد شفائه . وميكروب هذا المرض يوجد في الطبقات العليا للاغشية المذكورة، واذا طال المرض وجد في الرئة والطحال والكليتين بل ربما وجد في الدم أيضا . وهو من الشكل الباسيلي اكتشفه كل من [Kiebs] سنة ١٨٨٣ [ولفلر Loeffler] سنة ١٨٨٤ وهما عالمان من علماء الالمان . وطول هذا الميكروب يختلف من ٣ الى ٤ ميكرون ، وهو غير متحرك ولا حييات له بل يتكاثر بالانقسام، ويعيش في الهواء ولكنه يمكنه أن يعيش في غير الهواء حتى في الفراغ ، ويبقى في السوائل المغذية وغيرها من المزارع مدة شهر واذا جفف عاش ٣ أو ٤ أسابيع ويقف نموه اذا زادت الحرارة عن ٤٠° أو نقصت عن ٢٠° ستجrad واذا شفي المصاب وجد الميكروب في حلقه في نصف عدد الناقهين لمدة ٣ أيام وفي أحوال قليلة يبقى ٣ أسابيع وقد يستمر الى ٥ أشهر بل ١٥ شهرا . ومن ذلك يعلم خطر الاسراع في خاط المصاب بغيره من الاطفال قبل مضي مدة طويلة . والافضل أن يفحص حلق الطفل أو أي موضع آخر الاصابة مرتين أو ثلاثا فحفا بكتيرولوجيا بأخذ جزء من افرازاته فاذا لم يوجد الميكروب بعد الفحص مرتين أو ثلاث مرات متفرقة يؤذن للطفل بأن يختلط بغيره

ومن يختلط بالمصاب أناس (٨ - ٣٠ ٪) أصحاء يحملون الميكروب في حلقهم وأفواههم^(١) لغيرهم ويبقون أصحاء ولكن بعد زمن يصبح ميكروبهم غير خطر غالبا على غيرهم لفقده قواه السامة ، ويسمي الاطباء مثل هؤلاء الناس بالحاملة الاصحاء . ويرى بعض العلماء أن باسيل هوفمان [Hofmann] الكاذب الذي يوجد أحيانا في حلق الاصحاء وأنوفهم قد ينقلب فيصير صادقا أي محدثا للدفتيريا الحقيقية

(١) خصوصا في أسنانهم لاسيما اذا كانت مصابة بداء ريج (راجع ص ٦٨ من الجزء الاول) وهو الذي يحدث سيلان قيح من السنخ (الحفرة التي فيها السن)

الاعراض — مدة التفريخ تختلف من يومين الى ستة أيام، وقد تكون يوماً أو ثمانية. وينتدئ المرض بالإقياء وبسامة وصداع أو بغثيان وفي ورعدة ثم لا يلبث المريض أن يشتكي من ألم في الحلق. فاذا نظر الى حلقه في هذا الوقت شوهد احمرار فيه وفي اللهاة وانتفاخ، أو احمرار والتهاب في اللوزتين. وبعد وقت قصير يرى الغشاء يتكون على سطح الاغشية الملتهبة وقد يظهر في وقت واحد على اللوزتين معاً، وقد يبدأ بواحدة منهما قبل الأخرى، ومن الجائز أن يظهر على غيرهما من أجزاء الحلق. وبسبب هذا الالتهاب تلتهب بعض الغدد اللعابية التي في العنق^(١) وقد يحدث من ذلك خراج فيها أو تموت الغدد ونسقط

وحارة الدفتيريا لانظام لها فقد تزيد عن ٤٠° ولكن الأغلب أنها تكون أقل من ذلك، وهذا الارتفاع تصحبه الأعراض الأخرى للحمى. وفي كثير من الاصابات يشتمل البول على زلال في وقت اشتداد المرض. أما اذا أصابت الانف فيعسر التنفس منه وينفخ غشائه المخاطي ويسيل منه مخاط وقيح أو دم وصيد فيتقرح بذلك جانبا الانف وما جاورها من الشفة. وخطر الالتهاب الأنفي الغشائي نادر جداً ولا عواقب له، ويندر أن يعدي الآخرين ولو أن الميكروبات تكون فيه كثيرة كغيره

واذا أصابت الدفتيريا الحنجرة (وهذا ما يسمى بالحنانق) كثرت السعال وصار له صوت مخصوص وعسر التنفس وبج الصوت وكثيراً ما يشتد الضيق حتى يختنق المريض وفي الاحوال الحنجرية يكون هذا الضيق غالباً هو السبب في الموت. واذا عمل المريض فتح في القصبة الهوائية فقد يموت بسبب المضاعفات الرئوية أو الضعف العام مع شلل القلب

أما في الاحوال الحلقية فالموت فيها يكون بشلل القلب وهو يحصل بسرعة عجيبة

المضاعفات — كثيرة منها التهابات الرئة والبيور والالتهاب الكلوي والشلل

(١) اذا أصابت الحنجرة أو الحلق أو اللوزتين أو الحفر الأنفية التهمت لها الغدد العنقية العليا الغائرة، واذا أصابت لثة الاسنان السفلى مثلاً أو مقدم اللسان (وذلك نادر) التهمت الغدد التي تحت الفك

الدفتيري، وأهم أعراضه شلل في سقف الحلق الرخو فيرجع الماء وغيره من السوائل من الأنف ويصاب المريض بالحنّة أو القنّة — وهي خروج صوته من أنفه — وتضعف رجلاه فلا يقوى على المشي طويلا ولا القيام ويصاب بالحول لشلل بعض عضلات العين الى غير ذلك من الاعراض التي تصيبه بسبب تأثير سم المرض في الاعصاب . وهذه الاعراض تبتدىء بعد الشفاء الظاهري بأيام أو أسابيع

المعالجة — يعزل المريض وتعطى له السوائل المغذية والمنعشات المنبهة للقلب فانه عرضة لان تحصل فيه استحالّة شحمية . وتجب المبادرة الى حقن المريض بمصل الدفتيريا وذلك من اختصاص الطبيب الذي يقدر الكمية المناسبة لحالة المريض ويجري عمل الحقن طبق الاصول الطبية

وللمبادرة الى حقن المريض من أوجب الواجبات لان التأخير يفسد خلايا الأعضاء وخصوصا القلب حتى اذا عمل للمريض الحقن بعد ذلك لا ينفعه شيئا . والمصل يبقى نافعا مدة سنة على الاقل اذا لم تفتح زجاجاته وحفظ في مكان مظلم بارد ويطهر الحلق بطرق كثيرة ، ومن أحسنها استعمال أقراص (الفرمانت) [Formamint] لسهولة تعاطيها عند الاطفال واذا احتيج الى تطهير أقوى ونزع لتلك الاغشية من الحلق فالاولى أن يخذل الطفل بالكلورفورم لينظف حلقة تنظيفا تاما بغير اجهاد له

أما الشلل الذي يعقب المرض فانه يزول من نفسه في شهرين أو أربعة أشهر، ومما يعجل في شفائه الراحة والمقويات والكهرباء والاغذية الجيدة والهواء النقي

الوقاية — تعرف من الكلام على أسباب هذا المرض ، واذا حقن الطفل الذي اختلط بمرض وقته الحقنة لمدة ٣ أسابيع تقريبا . والكمية اللازمة للوقاية هي ٥٠٠ الى ١٠٠٠ وحدة . أما الوحدة وتسمى وحدة [ارلينخ ^(١) Ehrlich] — وهو عالم ألماني يهودي — فهي الكمية التي اذا مزجت بمائة ضعف للكمية الكافية لقتل خنزير الهند البالغ وزنه ٢٥٠ جراما في ٤ أيام وقته من الموت اذا حقنت تحت جلده

(١) توفي هذه السنة (١٩١٥ م) خجاة بينا هو يعمل في معمله

سوء استعمال الحقن الواقي من الدفتيريا وغيرها

سبق قولنا انه اذا أصيب طفل بهذا المرض بقي الميكروب في حلقه مدة مختلفة بعد شفائه قد تمتد الى عدة شهور، فقد روى العلامة هيولت الانكليزي [Hewlett] حادثة وجود الميكروب في أحد المصابين بعد شفائه بخمسة عشر شهراً فالواجب اذا عزل المصاب عن غيره عزلاً تاماً وتطهير كل ملامسه أو خرج منه تطهيراً تاماً وعدم السماح له بالاختلاط بغيره الا بعد فحص حلقه فحصاً بكتيريولوجياً دقيقاً نحو ثلاث مرات متفرقات والتيقن من عدم وجود الميكروب أما الحقن بمصل الدفتيريا للوقاية فله عيب كبير. ذلك ان الوقاية به لا تتجاوز ثلاثة أسابيع، فاذا أصيب الطفل الذي عمل له هذا الحقن بمرض الدفتيريا بعد نهاية الثلاثة الاسابيع مثلاً وعالجناه من مرضه بالحقن فقد يصاب الطفل فوق مرضه بمرض آخر يسمى « مرض المصل » [Serum disease] أو « زيادة التأثير بالحقن » [Supersensitiveness] وهذا المرض كثيراً ما يكون خطراً ولعله أحد أسباب

كثرة المتوفين من الاطفال حتى بعد الحقن بمصل الدفتيريا

وأعراضه هي : غثيان وقيء وضعف في النبض مع سرعته وإحساس بالضجر والاختناق وسرعة في التنفس مع ضيقته وهود (هبوط) وتشنجات بل وغيبوبة. وهذه الاعراض تزول عادة بعد ساعة أو ساعتين ولكنها قد تمتد الشخص خصوصاً بالاختناق لا قباض الشعب الرئوية الصغيرة. هذا ولو كان الشخص الحقون مرتين سليماً فما بالك اذا كان مصاباً مع هذه الاعراض بالدفتيريا فان الوفاة تكاد تكون محققة

والمراد بهذا المرض المذكور هنا هو غير ما يحدث من الحقن (لنحو ٧٪) في نهاية الاسبوع الاول أو بعده مثل ظهور طفح متنوع الشكل وألم في المفاصل مع تورم فيها وحمى خفيفة فان هذه الاعراض لا اهمية لها وتزول في نحو ثلاثة ايام ولا خطر منها عادة أما المرض الذي نحن بصدده فيحدث اذا حقن شخص مرة للوقاية مثلاً من الدفتيريا ثم مضت مدة بعد حقنه نحو ١٢ يوماً أو أكثر ثم عدنا الى الحقن مرة

ثانية. وقد يحدث هذا المرض حتى اذا كانت الفترة بين الحقنين أربع سنوات أو أكثر وهذا المرض لا ينشأ عن سم في المصل بل عن نفس المصل بحيث اذا حقن مصل أي حيوان سليم مرتين متفرقتين بتلك الفترة فقد يحدث هذا المرض . لذلك ولغيره لا يجوز معالجة النزف بالحقن بالمصل أو بالدم كما سبق في صفحة ٤٩ من الجزء الأول

ومن طرائق اتقاء المرض المذكور أن يحقن نوعان مختلفان من المصل أعني أن يحقن للوقاية مصل مستخرج من الثور مثلاً وللعلاج مصل آخر مستخرج من الحصان كما هو المعتاد . وكذلك استعمال لبنات الكالسيوم قبيل الحقن أو في أيام استعماله فإن هذا الملح كثيراً ما يمنع هذه الاعراض الخطرة أو يخفف من وطأها بل قد يمنع الاعراض الأخرى المذكورة كالطفح وألم المفاصل وغيرها أيضاً . ومقدار هذا الملح في كل جرعة من ١٠ الى ٣٠ قحمة أي يختلف باختلاف السن وهو يذوب في الماء ويسهل امتصاصه في البنية واذا تعسر إعطاؤه من طريق الفم كما في الدفثيريا أذيب في الماء وحقن في الشرج أو أعطي مع اللبن فإن المريض لا يشعر به

ومن الطرق أيضاً لاتقاء تلك الاعراض التخدير العام بالاثير مثلاً وقت الحقن الثاني، ولكنها طريقة رديئة جداً وغير ميسورة في أكثر اصابات الاطفال خصوصاً اذا أصابت الدفثيريا حناجرهم

ويقار ان الحقن بالمصل الذي أزيل منه بعض المواد الزلائية الأولية [Proteins] يقلل التعرض للاصابة بتلك لاعراض. وعلم أن المصل الرقيق الذي لم يتكاثف بالتبخير أسهل امتصاصاً من الغليظ . هذا ولا يتوهم القارئ أني أنفر الناس من الحقن في الدفثيريا لعلاجها كلا ! ثم كلا ! بل الواجب المبادرة الى الحقن بالمصل المشتمل على وحدات كثيرة بحسب ما يراه الطبيب في الحالة^(١) وإنما كلامي السابق هو لبيان مضار الحقن للوقاية لا للعلاج

(١) في أحوال الدفثيريا الشديدة أو التي تأخر علاجها يجب البدء بحقن ١٠٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠ وحدة (Units) ويشكر الحقن كل ٦ أو ١٢ ساعة بحسب حالة المريض وسرعة انفصال الاغشية ، ولا يراعى في ذلك سن الطفل

وكذلك يجب حقن مَصُول أخرى كالمصل المضاد لسم البزور السلسلية اذا وجدت في الخلق بالبحث الميكروسكوبي أو عرفت بمثل الاعراض الآتية وهذه الميكروبات تصاحب ميكروب الدفتيريا في بعض الاحوال فتكون الحصى فيها شديدة ورائحة الخلق كريهة جداً . فان لم يعمل هذا الحقن أيضاً كان مصل الدفتيريا وحده غير واف بالغرض

الطاعون Plague

الطاعون — وقانا الله منه — داء اشهر كثيراً حتى بين الامم الغابرة ، وكانوا يخشونه أشد خشية لشدة فتكه بهم وسرعة انتشاره بينهم . ومن أشهر أو بئته التي حدثت في أوربة ما حدث في عصر يوستنيانوس الروماني في القرن السادس بعد الميلاد الاسباب — هذا المرض ينشأ من ميكروب باسيلى اكتشفه (كيتاساتو) (Kitasato) الياباني سنة ١٨٩٤ وهو يوجد أثناء حياة المريض في الدم وفي الغدد الملتهبة وفي البراز والبول وفي اللعاب اذا التهمت الرئة ، وبعد الموت يوجد في جميع أعضاء الجسم تقريباً . طول هذا الميكروب من ١ الى ١.٥ ميكرون وهو لاجبيبات له ولا حركة وان زعم بعضهم ان له أهداباً

ينتقل هذا الميكروب من شخص الى آخر بسرعة عظيمة ، خصوصاً اذا ساءت الاحوال الصحية بالازدحام ونقص التهوية وزيادة القاذورات في الاماكن والملابس وغيرها . وهو يصيب الناس في جميع الاعمار الى سن الخمسين وبعد ذلك يقل كثيراً . والاصابة به مرة تحمى عادة من الاصابة ثانية . وشدة الحر تعوق سيره أكثر من البرد هذا المرض يصيب كثيراً من الحيوانات مثل القردة والقطط والجِرَذان (جمع جِرَذ وهو الفأر الكبير) أما الخيل والانعام فهي لاتصاب به الا قليلاً وكذلك الطيور أهم مدخل لميكروب هذا المرض في الجسم طريقان : وهما طريق الرئة وطريق الجلد ، أما طريق المدة أو الامعاء فهو من الندرة بمكان بحيث لا يستحق الذكر وكيفية وصوله من طريق الرئة أن يستنشق الانسان مع الهواء الملوث به من نفثات المصاب بالطاعون الرئوي . أما طريق الجلد فهو من أعظم الطرق لنشر هذا

المرض ، ولايضاح ذلك نقول : ان الفيران كثيرا ما تصاب به فتموت. والفيران يأكل بعضها بعضا - كما سبق - فينتشر المرض بينها لهذا السبب وغيره. والفيران براغيث تنتقل منها الى الانسان فتلقحه بها وكذلك تلقح الفيران الاخرى ، وقد تلقح شخصا من شخص ولكنه نادر. واسم هذا النوع من البراغيث بالافرنجية [Pulex Cheopis] وهو أشهر أنواع البراغيث التي تعيش بدم الفيران في البلاد الحارة. ويتكاثر الميكروب في معدة البرغوث وأمعائه ويخرج في برازه فقط ، فاذا علق بخرطوم ، ووخز به الانسان لقحه بالمرض ، وقد يتلوث مكان الوخز من الانسان ببراز البرغوث الذي فيه كثير من ميكروبات الطاعون. ويبقى البرغوث قادرا على التلقيح لمدة تتراوح بين سبعة أيام و ١٥ يوما. وقد ينقل البق أيضا ميكروب الطاعون. ويحتمل أيضا أن يدخل الميكروب من بعض الجروح والسحجات كما في الاقدام الحافية فان لم توقف الغدد اللعابية الميكروبات وصلت الى الدم وأحدثت تسما عاما كما سيأتي

الاعراض - مدة التفريخ من يومين الى خمسة

ولهذا المرض ثلاثة أشكال شهيرة وهي : الطاعون الدملي والطاعون الدموي والطاعون الرئوي

أما أعراض الشكل الاول - وهو أكثر حدوثا - فهي الاحساس بالضعف العام والكلل والصداع والدوار والرعدة التي يعقبها ارتفاع في الحرارة ، وفي بعض الاحوال يصاب المريض في هذا الطور بشيء من الذهول مع مشية كمشية النشوان وارتعاش في حديثه وقد يصاب بتبهيج ورعب لا يعرف سببه أو يصاب بالغثيان والقيء أو الاسهال

وتكون الحمى في هذا المرض عالية ويصاحبها باقي أعراض الحمى كجفاف اللسان واسوداده ، ثم يصير المرء في حالة تشبه المصاب بالتيفوس فيهذي كثيرا ثم تصيبه الغيبوبة وتكثر الاوساخ على الشفتين والاسنان ويضعف النبض وتبرد الاطراف ويقل البول بل قد لا يفرز مطلقا في بعض الاحوال المميتة ، وبعد يومين أو ثلاثة تضخم الغدد اللعابية في الاربية أو الابط أو العنق

والغالب أن تصاب الغدد في جهة واحدة وهي الأربية، وحجم الورم الناشئ من ذلك يكون كحجم بيضة الدجاجة ويصعبه ألم شديد . وإذا طالت حياة المرء حصل له خراج في تلك الغدد في اليوم السابع عادة، وفي هذا الوقت قد تظهر دمل في الجلد أو جمرات خصوصا في الاطراف السفلى أو الاليتين أو القفا. وفي الاحوال الشديدة جدا يحصل نزف تحت الجلد قبيل الموت أو يكون النزف كنقط صغيرة كلدغ البراغيث وكلاهما قد يعم الجسم كله أو يكون ظاهرا حول الغدد الملتهبة . وقد يصاب المرء أيضا بالرعاف أو النزف الرئوي أو المعدي أو المعوي .

والموت يحصل عادة قبل اليوم السادس . والشفاء يبتدئ من اليوم السادس الى العاشر ولكن اذا تقيحت الغدد قد تطول مدة المرض بسبب الوباء التي فيها أما أعراض الشكل الدموي فيصاب المرء فجأة بأعراض الحمى البالغة، وقد يموت في ظرف ٢٤ ساعة لتسمم دمه . وفي هذا الشكل قد ترم الغدد قليلا ولكن لا تصل الى حجم النوع الاول مطلقا . ويسمى هذا النوع بالطاعون الصاعق فان المريض يصعق به فجأة فيغيب عن الوجود وترتفع حرارته فيموت سريعا . أما أعراض الشكل الثالث فتبتدئ كالشكل الاول ولكن بعد يوم أو يومين تظهر الأعراض الرئوية فيسرع التنفس ويكثر السعال مع النفث الكثير المشوب بالدم ويزول النوم ويكثر الهيجان والهذيان ، ويموت المريض في ظرف ثلاثة أيام وتكون الرئة في هذا النوع مصابة بالتهابات متعددة في فصيصاتها

ولا توجد الخيرجلات (وهي التهاب الغدد اللمفاوية) عادة في هذا الشكل، وفيه يوجد الميكروب في القطع الملتهبة من الرئة وفي البصاق

وهناك نوع آخر لا يهمننا كثيرا لقلته وفيه تكون الحمى قليلة والأعراض خفيفة بحيث يمكن للمريض أن يغدو ويروح مدة من أيام مرضه . ويسمى هذا الضرب بالطاعون الجولاني

الانذار — عدد الوفيات في هذا المرض كثير جدا فقد تصل الى ٥٠ ٪ بل الى ٨٠ ٪ والموت بين الجنس الابيض في الظروف الصحية الجيدة أقل منه في غير ذلك

المعالجة — تعالج الاعراض كل بما يناسبه حسب الاصول الطبية . وللطاعون مصل كصل الدفتيريا^(١) يحقن منه في اليوم الاول ثلاثة مقادير كل منها خمسون سنتي مترا مكعبا تحت الجلد أو في الاوردة — وهو الافضل في الاحوال الشديدة — ويتكرر بعد ذلك حقن مقادير صغيرة بضعة أيام . ومن أحسن أنواع هذا المصل مصل [يرسن Yersin] ولكن فائدته ليست بكبيرة

الوقاية — تكون بأشياء كثيرة أهمها ما يأتي :

(١) عزل المصاب

(٢) النظافة التامة في كل شيء

(٣) اباداة الفيران وأحسن طريقة لذلك أن تصطاد بالاشراك أو تسمم بالزرنيخ أو الفسفور ، أما اصطيادها بالقطط فعليه أنها هي نفسها قد تصاب بالطاعون فتكون من العوامل الناشرة للمرض بدل المقللة له

(٤) تنظيف الملابس ليتقي وجود البراغيث فيها

(٥) اباداة الحشرات الاخرى بقدر الامكان كالبق فانه قد ينقل الميكروب

من شخص الى آخر

(٦) يحقن الاصحاء مرتين اذا حصل الوباء بلقاح الطاعون وهو ميكرو به المقتول

بالحرارة فتحصل المناعة بسرعة حتى لا يخشى كثيرا من حصول المرض قبلها

(٧) يطهر كل ما يوجد في غرفة المريض بالغلي أو الحرق أو غيرها ، وقتل

الميكروب الذي يوجد في افرازاته بالأدوية المطهرة وبالحرق

(٨) لا يختلط المريض بالاصحاء الا بعد شهر من شفائه ، لان الميكروب قد وجد

في دم المطعون بعد النقاهة بثلاثة أسابيع

(٩) على الممرض للمطعون بالنوع الرثوي أن يتكلم بالقطن المنفوش ليحول

دون وصول الميكروب الى رثته ثم يحرق القطن

(١٠) تسد شقوق وفروج المنازل لكيلا تأوي اليها الجرذان

(١١) وانما يختلف عنه بانه يستخرج من الحصان بعد حقنه بالميكروب المقتول

لا بسم منه مصفى

الخطب الدينية

٣

﴿ خطبة من خطب القاسمي في النهي عن الحلف بالله والطلاق ﴾

الحمد لله الذي خلق الخلق على الاطلاق . فاطر السموات والارض وباسط الارزاق . فسبحانه هو العلي الرزاق . لا تنفذ خزائنه بكثرة الانفاق . أحمدته واشكره . وأتوب اليه وأستغفره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الخلاق ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد العالمين بالاتفاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين الى يوم التلاق . وسلم تسليما . أما بعد أيها الناس عليكم بالتقوى فانها ترضي الملك الخلاق . واحذروا من أن تجعلوا الله عرضة لآيمانكم . فان آيمان الخنث تمحق بركة الارزاق ، واحذروا من الحلف بالطلاق . فانه يمين الفساق ، فمن حلف بغير الله فقد عظمه ، ومن عظم غير الله صار من أهل النفاق ، وخالف الكتاب والسنة ومن خالفهما فليس له في الآخرة من خلاق . فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ألا ان الله ينهاكم ان تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وأنتم صادقون » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وآت الذي هو خير » واعلموا ان من حث في يمينه فعليه أداء الكفارة وهي عتق رقبة أو اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، فان عجز فصوم ثلاثة أيام ، ولا يجب التتابع في الصيام ، ويكفي في الكسوة ثوب أو سراويل أو قميص ، يوزع من كل عشرة على المساكين الذين ورد فيهم التخصيص ، ومن طلق زوجته ثلاث تطليقات شرعيات غير بدعيات فلا تحل له الا بنكاح جديد ، ومن أمسكها بعد الثلاث فقد خالف أمر الله المجيد ، وتعرض للوعيد الشديد ، ومن لعب

بالطلاق ، أو طلق امرأته من غير ما باس فقد تقضى الميثاق ، فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضبان ثم قال اتلعبن بكتاب الله وأنا بين أظهركم ، وقال صلى الله عليه وسلم « ابغض الحلال الى الله الطلاق » وقال صلى الله عليه وسلم « ايما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة » وقال تعالى (الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان) وقال تعالى (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) أي بالفراق ، فائقوا الله عباد الله في النساء وحقوق الزوجية ، وقوموا من مكارم الاخلاق مع الاهل بالسنة النبوية ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لأهلي » واشكروا نعمة الله في الازواج أيها المؤمنون ، فقد قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

﴿ خطبة أخرى له في آداب الكسب والمعاش ﴾

الحمد لله الذي رفع السماء لعباده سقفاً مبيناً ومهد الارض بساطاً لهم وفراشاً . وكور الليل على النهار فجعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً . لينتشروا في ابتغاء فضله ويفتقشوا به عن ضراعة الحاجات اتمعاشاً . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ردهم عليه عطاشاً . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا (؟) في نصرة دينه تشعروا وانكماشاً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله . واعلموا ان رب الارباب ، ومسبب الاسباب ، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب . والدنيا دار التمهّل والاضطراب . والتشمر والاكتساب . وليس التشمر في الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش . بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، ومدرجة اليها ، والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين . والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . وإن ينال رتبة الاقتصاد ، من لم يلازم في طاب المعيشة

منهج السداد ، ولم ينهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ، ما لم يتأدب في طلبها بأداب الشريعة ، وقد ورد في فضل الكسب والحث عليه آيات وأخبار ، قال الله تعالى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) وقال تعالى (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقال صلى الله عليه وسلم ، « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان » وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، ويجب على التاجر أن ينصح في المعاملة ، ويجب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا يحل له ان يثني على السلعة بما ليس فيها ، ولا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً ، ولا يكتم في وزنها ومقدارها شيئاً . ومن خالف ذلك كان ظالماً غاشاً ، والغش حرام قال صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » وقال تعالى (ويل للمطففين الذين اذا اكتبوا على الناس يستوفون * واذا كالوهم أو وزنهم يخسرون) وقال تعالى (وأوفوا الكيل اذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً) وعلى التاجر الرفق في التعامل والاحسان فيه ، قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأً سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » وقال صلى الله عليه وسلم « من انظر معسراً أو ترك له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله » وقال تعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين)

﴿ خطبة له في فضل الاخوة والصحبة والالفة ﴾

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طويلاً وامتناناً ، والف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخواناً ، ونزع القل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخذاناً ، وفي الآخرة رفقاء وخلاناً ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً واحساناً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله

واعلموا أن التحاب في الله تعالى والاخوة في دينه من أفضل القربات ، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ، وقد ورد في فضل الاخوة آيات كريمات وأخبار عالياً . قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ألف مألوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف » وعنه صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه » وعنه صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلاً في الله شوقاً إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » واعلم أن لاختيك عليك في اخوته وصحبته حقوقاً يجب الوفاء بها . فمنها حق في المال بأن تقوم بمحاجته من فضل مالك ، أو تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ، وحق في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات مع البشاشة و اظهار الفرح ، وحق على اللسان في السكوت عن عيوبه وفي ترك مماراته ، وفي النطق بالمحباب تودداً اليه وتقديراً لآحواله ، وحق في العفو عن الزلات والهفوات ، وحق في الدعاء له في حياته ومماته كما يدعو لنفسه ، وحق في الوفاء والاخلاص ، وذلك بالثبات على الحب وادامته الى الموت معه ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ، وحق في التخفيف وترك التكلف والتكليف ، فلا يكلف أخاه ما يشق عليه ، بل يروح سره من مهماته وحاجاته ، وجملة حقوق المسلم أن تسلم عليه اذا لقيه ، وتحييه اذا دعاك ، وتشمته اذا عطس ، وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنازته اذا مات ، وتبر قسمه اذا أقسم عليك ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك . وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتحاسدوا ولا تبأغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً كما أمركم الله » فاتركوا الضغائن من قلوبكم والاحقاد ، وتصالحوا على المحبة وسلامة الصدر والايثار وصدق الوداد ، وليعذر كل منكم لآخيه عما فرط منه ، ليفوز برضاء الله عنه . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » وقال صلوات الله عليه لمعاذ « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة ، وحفظ الجار ورحمة اليتيم ، ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح »

المعرفة بالله تعالى

بين ابن القيم في باب المعرفة من الجزء الثالث من (مدارج السالكين) الفرق بين المعرفة والعلم لغة وشرعا من خمسة وجوه ، ثم بين معناها في اصطلاح الصوفية وكلام أئمتهم فيها ، ثم شرح ما قاله شيخ الاسلام ابو اسماعيل الهروي فيها ، ونحن نقل ما هو خاص بالتصوف ، أي ما بعد الفروق الخمسة وهذا نصه :

والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن ان المعرفة عندهم هو العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه ، فلا يطابقون المعرفة على مدلول العلم وحده ، بل لا يصفون بالمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاتها وقواطعها ، وله حال مع الله ، فتشبه له بالمعرفة ، فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم صدق الله في معاملته ، ثم أخلص له في قصوده ونياته ، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم تطهر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته ، ثم صبر على أحكام الله في نعمه ولبائته ، ثم دعا اليه على بصيرة بدينه وآياته ، ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسوله ، ولم يشبهها بآراء الرجال وأذواقهم ، ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته . فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة ، اذا سمي به غيره على الدعوى والاستعارة^(١)

وقد تكلموا على المعرفة بآثارها وشواهدا فقال بعضهم : من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة منه ، فن ازدادت معرفته ازدادت هيبة — وقال أيضا — المعرفة توجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته . وقال لي بعض أصحابنا : ما علامة المعرفة التي يشيرون اليها ؟ فقلت له : أنس القلب بالله . قال لي : علامتها ان يحسن بقرب قلبه من الله فيجده قريبا منه . وقال الشبلي : ليس لعارف علاقة^(٢) ولا لمحب شكوى ، ولا لعبد دعوى ، ولا لخائف قرار ، ولا لاحد من الله فرار . وهذا كلام جيد ، فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها ، وتعلقه

(١) في ب « فاذا سمي به غيره فعلى الدعوى والاستعارة » (٢) في ب

بمعروفه فلا يبقى فيه علاقة بغيره ، ولا تمر به العلائق الا وهي مجتازة ، لا تمر مرور
استيطان . وقال أحمد بن عاصم : من كان بالله أعرف ، كان له أخوف . ويدل على
هذا قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقول النبي صلى الله عليه وسلم
« أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » وقال آخر : من عرف الله تعالى ضاقت عليه
الدنيا بسعتها . وقال غيره : من عرف الله تعالى اتسع عليه كل ضيق . ولا تنافي
بين هذين الأمرين ، فانه يضيق عليه كل مكان لا يساعد فيه على شأنه ومطلوبه ،
ويتسع عليه ما ضاق على غيره ، لانه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه ، فقلبه غير
محبوس فيه ، والاول في بداية المعرفة ، والثاني في نهايتها التي يصل اليها العبد .
وقال آخر : من عرف الله تعالى صفا له العيش فطابت له الحياة وهابه كل شيء ،
وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله . وقال غيره : من عرف الله قرت عينه بالله
وقرت به كل عين ، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ، ومن عرف
الله لم يبق له رغبة في سواه ، ومن ادعى معرفة الله وهو راغب في غيره كذبت
رغبته معرفته ، ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به وخافه ورجاه ، وتوكل عليه
وأناب اليه ولهج بذكره ، واشتاق الى لقاءه واستعجبا منه ، وأجله وعظمه على قدر
معرفته به ، وعلامة العارف أن يكون قلبه مرآة اذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذي
دعي الى الايمان به ، فعلى قدر جلاء تلك المرآة يتراءى له فيها الله سبحانه والدار
الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما قيل :

اذا سكن الغديرُ على صفاء وجُنُب أن يحركه النسيم

بدت فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو والنجوم

كذاك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم

وهذه رؤية المثل^(١) الأعلى كما تقدم ، ومن علامات المعرفة أن يدرك

الشاهد ، وتقني الشواهد ، وتنحل العلائق ، وتنقطع العوائق ، وتجلس بين يدي
الرب تعالى وتقوم وتضطجع على التأهب للقائه ، كما يجلس الذي شد أحماله وأزمع

(١) في ن « المثال »

(المجلد الثامن عشر)

(٨٨)

(المنار : ج ٩)

السفر على التأهب له ويقوم على ذلك ويضطجع عليه ، كما ينزل المسافر في المنزل فهو قائم وجالس ومضطجع على التأهب ، وقيل للجنيدي : ان أقواما يدعون المعرفة يقولون أنهم يصلون بترك الحركات من باب البر والتمتوى . فقال الجنيدي : هذا قول أقوام تكلموا بإسقاط الاعمال ، وهو عندي عظيم ؛ والذي يسرق ويرزني أحسن حالا من الذي يقول هذا ، ان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله والى الله رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بيني وبينها ومن علامات العارف انه لا يطالب ولا يخاصم ولا يعاتب ولا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له على أحد حقا ، ومن علاماته انه لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت ، لانه ينظر الى الاشياء بعين الفناء والزوال ، لانها في الحقيقة كالظلال والخيال . وقال الجنيدي : لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض يطأها البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شيء ، وكالمطر يستقي ما يحب وما لا يحب وقال يحيى ابن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيتين : بكاء على نفسه ، وثناؤ على ربه . وهذا من أحسن الكلام فانه يدل على معرفته بنفسه وعيوبه وآفاته ، وعلى معرفته بربه وكماله وجلاله ، فهو شديد الازراء على نفسه ، لهج بالثناء على ربه . وقال أبو يزيد : انما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له . يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله سبحانه وتعالى فتغنيم حقوقه عن حظوظهم

وقال آخر : لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين . وهذا يحتاج الى شرح ، فان ما هو دون ذلك يشغل القلب لكن يكون اشتغاله بغير الله ، فذلك اشتغال به سبحانه لانه اذا اشتغل بغيره لاجله لم يشغل عنه ، قال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة أركان : الهية والحياة والانس . وقيل لذي النون : بم عرفت الله ربك ؟ قال : عرفت ربي بربي ، ولولا ربي لما عرفت ربي . وقيل لعبد الله ابن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال بانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . فاني عبد الله باصل المعرفة التي لا يصح لأحد معرفة ولا إقرار بالله سبحانه الا به ، وهو المبينة والعلو على العرش

ومن علامات العارف أن يعتزل الخلق بينه وبين الله حتى كأنهم أموات لا يملكون له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً ، ويعتزل نفسه بينه وبين الخلق حتى يكون بينهم بلا نفس ، وهذا معنى قول من قال : العارف يقطع الطريق بخطوتين : خطوة عن نفسه وخطوة عن الخلق ؛ وقيل : العارف ابن وقته . وهذا من أحسن الكلام وأخصره ، فهو مشغول بوظيفة وقته عما مضى وصار في العدم وعما لم يدخل بعد في الوجود ، فهمه عمارة وقته الذي هو مادة حياته الباقية . ومن علاماته أنه مستأنس بر به مستوحش ممن يقطعه عنه ، ولهذا قيل : العارف من أنس بالله فأوحشه من الخلق وافقر إلى الله فأغناه عنهم ، وذلل لله فاعززه فيهم ، وتواضع لله فرفعه بينهم ، واستغنى بالله فأحوجهم إليه . وقيل : العارف فوق ما يقول ، والعالم دون ما يقول . يعني أن العالم علمه أوسع من حاله وصفته ، والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره ، وقال أبو سليمان الداراني : إن الله تعالى يفتح للعارف على فراشه ما لم يفتح له وهو قائم يصلي . وقال غيره : العارف تنطق المعرفة على قلبه وحاله وهو ساكت . وقال ذو النون : لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله

وقال بعضهم : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين . وهذا كلام ظاهره منسكجدا يحتاج إلى شرح ، فالعارف لا يراي الخلق طلباً للمنزلة في قلبه ، وإنما يكون رايؤه نصيحة وإرشاداً وتعليماً ليقتدى به ، فهو يدعو إلى الله بعلمه كما يدعو إليه بقوله ، فهو ينتفع بعمله وينفع به غيره ؛ وإخلاص المريد مقصور على نفسه ، فالعارف جمع بين الإخلاص والدعوة إلى الله ، فأخلاصه في قلبه ، وهو يظهر عمله وحاله ليقتدى به ، والعارف ينفع بسكوته والعالم إنما ينفع بكلامه * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق *

وقال ذو النون : الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين . وسئل الجنيد عن العارف فقال : لون الماء لون إنائه . وهذه كلمة رضى بها إلى حقيقة العبودية ، وهو أن يتلون بتلون أقسام العبودية ، فينأى تراه مصلياً إذ رأيت ذاكراً أو قارئاً أو معلماً أو متعلماً أو مجاهداً أو حاجباً أو مساعداً للضعيف أو مغنياً للمملوك ، فيضرب في كل غنيمة من

الغنائم بسهم ، فهو مع المتسبيين متسبب ، ومع المتعلمين متعلم ، ومع الغزاة غاز ، ومع المصلين مصل ، ومع المتصدقين متصدق ؛ فهو ينتقل في منازل العبودية من عبودية الى عبودية . وهو مقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه الى غيره

وقال يحيى بن معاذ : العارف كأن بآن . وهذا يفسر على وجوه (منها) انه كأن مع الخلق بظاهره بآن عنهم بسره وقلبه و (منها) انه كأن بر به بآن عن نفسه و (منها) انه كأن مع أبناء الآخرة بآن عن أبناء الدنيا و (منها) انه كأن مع الله بموافقته بآن عن الناس في مخالفته و (منها) انه داخل في الاشياء خارج منها . فان من الناس من هو داخل فيها لا يقدر على الخروج منها ، ومنهم من هو خارج عنها لا يقدر على الدخول فيها ، والعارف داخل فيها خارج منها . ولعل هذا أحسن الوجوه وقال ذوالنون : « علامة العارف ثلاثة : لا يظنى نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله » وهذا من أحسن الكلام الذي قيل في المعرفة وهو محتاج الى شرح ، فان كثيرا من الناس يرى أن التورع عن الاشياء من قلة المعرفة ، فان المعرفة متسعة الاكفاف واسعة الارجا ، فالعارف واسع موسع ، والسعة تطفى نور الورع ، فالعارف لا تنقص معرفته ورعه ، ولا يخالف ورعه معرفته . كما قال بعضهم ^(١) العارف لا ينكر منكرا ، لاستبصاره بسر الله في القدر ، فعنده ان مشاهدة القدر والحقيقة الكونية هو غاية المعرفة ، واذ شاهد الحقيقة عذ الخليقة ، لأنهم مأسورون في قبضة القدر . فمن يعذر أصحاب الكبائر والجرائم ، بل أرباب الكفر فهو أبعد خلق الله عن الورع ، بل غلام معرفته قد أطلق نور ايمانه

قوله : ^(٢) باطن العلم الذي ينقضه ظاهر الحكم — فانه يشير به الى ما عليه المنحرفون ممن ينسب الى السلوك ، فانهم يقع لهم أذواق ومواجيد وواردات تخالف الحكم الشرعي ، وتكون تلك معلومة لهم لا يمكنهم جردها فيعتقدونها ويتركون

(١) كتب في هامش الاصل « قوله بعضهم أي الملاحدة القائلين بوحدة

الوجود أعادنا الله من الزيغ والضلal » (٢) أي ذوالنون

ظاهر الحكم ، وهذا كثير جدا ، وهو الذي نقاه أئمة الطريق على هؤلاء ، وصاحوا بهم من كل ناحية ، وبدعواهم وضلوعهم به ، قوله ^(١) « ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك محارم الله » كثرة النعم تغطي العبد وتحمله دلى أن يصرفها في وجوهها وغير وجوهها ، وهي تدعو الى أن يتناول العبد بها ما حل وما لا يحل ، وأكثر المنعم عليهم لا يقتصرون في صرف النعمة دلى القدر الحلال بل يتعداه ^(٢) الى غيره وتسلو له نفسه ان معرفته بالله ترد عليه ما انتهت منه أيدي الشهوات والمخالفات ، ويقول : العارف لا تضره الذنوب كما تضر الجاهل . وربما يسول له أن ذنوبه خير من طاعات الجاهل ، وهذا من أعظم المكر . والامر بضد ذلك ، فيحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العارف ، واذا عوقب الجاهل ضعفا عوقب العارف ضعفين ، وقد دل على هذا شرع الله وقدره ، ولهذا كانت عقوبة الحر في الحدود مثلي عقوبة العبد ، وقال تعالى في نساء النبي صلى الله عليه وسلم (يأنس النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) فاذا مكنت النعمة على العبد فقابلها بالاساءة والعصيان كانت عقوبته أعظم فدرجته أعلى وعقوبته أشد

وقال أيضا ^(١) ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا ؟ يريد انه ليس من المعرفة يوصف المعرفة لغير أهلها سواء كانوا عباداً أو من أبناء الدنيا وقال أبو سعيد : المعرفة تأتي من عين الوجود ^(٢) وبذل المجهود . وهذا كلام حسن يشير الى أن المعرفة ثمرة بذل المجهود في الاعمال ، وتحقيق الوجود في الأحوال ، فهي ثمرة عمل الجوارح ، وحال القلب لا ينال بمجرد العلم والبحث ، فمن ليس له عمل ولا حال فلا معرفة له ، وسئل ذو النون عن العارف فقال : كان هاهنا فذهب . فسئل الجنيد عما أراد بكلامه هذا فقال : لا يحصره حال عن حال ، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل ، فهو مع كل أهل منزل بمثل الذي هم فيه ، يجد مثل الذي يجدون ، وينطق بمعالمها لينتفعوا ، وقال محمد بن الفضل : المعرفة حياة القلب مع الله . وسئل أبو سعيد : هل يصل العارف الى حال يحفو عليه البكاء ؟ فقال : نعم ! أما البكاء

(١) مقتضى ما قبله ان يقول : يتعدونه — أو : يتعداه أحدهم الخ اي ذو النون

(٢) كتب في هامش الاصل « لعله الجود »

في أوقات سيرهم الى الله فاذا نزلوا بمحائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك ، وقال بعض السلف : نوم العارف يقظة ، وأنفاسه تسبيح ، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل . انما كان نوم العارف يقظة لان قلبه حي فعيناه تمانان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وفاطرها ، جسده في الفراش ، وقلبه حول العرش ، وانما كان نومه أفضل من صلاة الغافل لأن بدن الغافل واقف في الصلاة وقلبه يسبح في خشوش الدنيا والاماني ، ولذلك كانت يقظته نوم لان قلبه موات ، وقيل : مجالسة العارف تدعوك من ست الى ست : من الشك الى اليقين ، ومن الرياء الى الاخلاص ، ومن الغفلة الى الذكر ، ومن الرغبة في الدنيا الى الرغبة في الآخرة ، ومن الكبر الى التواضع ، ومن سوء الطوية الى النصيحة

فصل

قال صاحب المنازل ﴿ المعرفة على ثلاث درجات ، ونخلق فيها على ثلاث فرق : الدرجة الأولى معرفة الصفات والنعمت ، وقد وردت أساميها بالرسالة ، وظهرت شواهدا في الصنعة ، بتبصر^(١) النور اقامت في السر ، وطيب حياة العقل لزرع الفكر ، وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم . وحسن الاعتبار ، وهي معرفة العامة التي لا تمنع شرائط اليقين الا بها ، وهي على ثلاثة أركان : اثبات الصفات باسمها من غير تشبيه ، ونفي التشبيه عنها من غير تعطيل ، والا يأس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها ﴾

قلت : الفرق بين الصفة والنعت من وجوه ثلاثة (أحدها) ان النعت يكون بالأفعال التي تتجدد كقوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار — وقوله — الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون * والذي نزل من السماء ماء بقدر نأثرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون * والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم

من الفلك والانعام متركبون) ونظائر ذلك. والصفة هي الأمور الثابتة اللازمة للذات كقوله تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) ونظائر ذلك

(الفرق الثاني) ان الصفات الذاتية لا يطلق عليها اسم النعوت كالوجه واليدين والقدم والاصابع وتسمى صفات، وقد أطلق عليها السلف هذا الاسم، وكذلك متكلمو أهل الاثبات سموها صفات، وأنكر بعضهم هذه التسمية كابي الوفاء ابن عقيل وغيره، وقال: لا ينبغي أن يقال نصوص الصفات. بل: آيات الاضافات، لان الحلي لا يوصف بيده ولا بوجهه، فان ذلك هو الموصوف، فكيف تسمى صفة؟ وأيضا فالصفة معنى يعم الموصوف فلا يكون الوجه واليد صفة. والتحقق ان هذا نزاع لفظي في تسميته، فالقصود إطلاق هذه الاضافات عليه سبحانه ونسبتها اليه والاخبار عنه بها منزهة عن التمثيل والتعطيل، سواء سميت صفات أو لم تسم

(الفرق الثالث) ان النعوت ما يظهر من الصفات ويشتهر ويعرفه الخاص والعام، والصفات أعم، فالفرق بين النعت والصفة فرق ما بين الخاص والعام، ومنه قولهم في تحلية الشيء: نعتة كذا وكذا - لما يظهر من صفاته، وقيل: هما لغتان لا فرق بينهما. ولهذا يقول نحاة البصرة «باب الصفة» ويقول نحاة الكوفة «باب النعت» والمراد واحد والامر قريب ونحن في غير هذا

فلنرجع الى المقصود وهو انه لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الاسلام وقاعدة الإيمان وشجرة ثمرة الاحسان، فمن جمعد الصفات فقد هدم أساس الاسلام والإيمان وثمره شجرة الاحسان، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان. وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسيء الظن به، وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل التبرك والكفر والكبائر فقال تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم

من الخاسرين) فاخبر سبحانه ان إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به ،
 وأنه هو الذي أهلكهم ، وقد قال في الظانين به ظن السوء (عليهم دائرة السوء) وغضب
 الله عليهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا) ولم يجرئ مثل هذا الوعيد في غير
 من ظن السوء به سبحانه . وجحد صفاته وانكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به
 ولما كان أحب الاشياء اليه حمده ومدحه والثناء عليه باسمائه وصفاته وأفعاله كان
 انكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به وهو شر من الشرك ، فالعطل شر من
 المشرك ، فانه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والظن في أوصافه هو
 والتشريك بينه وبين غيره في الملك ، فانهطلون أعداء الرسل بالذات ، بل كل شرك
 في العالم فأصله التعطيل ، فانه لولا تعطيل كاله أو بعضه وظن السوء به لما أشرك به ،
 كما قال امام الحنفاء وأهل التوحيد قومهم (أفكنا آلهة دون الله تريدون ؟ * فما
 ظنكم رب العالمين ؟) أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره ؟ وما (١)
 الذي ظنتم به حتى جعلتم معه شركاء ؟ أظنتم انه يحتاج الى الشركاء والاعوان ؟
 أم ظنتم انه يخفى عليه أحوال عبادته حتى يحتاج الى شركاء تعرفه بها كالمملوك ؟ أم
 لا يقدر وحده على استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قلس فيحتاج الى
 شفعاء يستعطفونه على عبادته ؟ أم ذليل فيحتاج الى ولي يتكبر به من القلة ، ويتعزز
 به من الذلة ؟ أم يحتاج الى الولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منها ومنه ؟ تعالى الله
 عن ذلك كله علواً كبيراً . والمقصود ان التعطيل مبدأ الشرك وأساسه ، فلا تجد
 معطلا الا وشركه على حسب تعطيله ، فمستقل ومستكثر

فصل

والرسل من أولهم الى خاتمهم — صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — أرسلوا
 بالدعوة الى الله وبيان الطريق الموصل اليه وبيان حال المدعوين بعد وصولهم اليه ،
 فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كل ملة على لسان كل رسول فعرفوا الرب
 المدعو اليه باسمائه وصفاته وأفعاله تعريفا مفصلا ، حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه

(١) لعل الاصل « أو ما » لأنه وجه آخر في تفسير الآية

وينظرون اليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ويدبر أمر مملكته ، ويسمع أصوات خلقه ويرى أفعالهم وحركاتهم ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم ، يأمر وينهى ، ويرضى وبغضب ، ويحب ويسخط ، ويضحك من قنوطهم وقرب غيره ، ويحبب دعوة مضطرم ، ويفيئ ملهوفهم ويعين محتاجهم ، ويجبر كسيرهم ، ويفني قهيرهم ، ويميت ويحيي ، وينع ويعطي ، يوئي الحكمة من يشاء^(١) وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كل يوم هو في شأن ، يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويفك عانيا ، وينصر مظلوما ، ويقسم ظلما ، ويرحم مسكينا ، ويفيئ ملهوف ، ويسوق الاقدار الى مواعيدها ، ويجريها على نظامها ، ويقدم ما يشاء تقديمه ، ويؤخر ما يشاء تأخير ، فأزمة الامور كلها بيده ، ومدار تدبير الممالك كلها عليه . وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة

(القاعدة الثانية) تعريفهم بالطريق الموصل اليه ، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه لرسله وأتباعهم ، وهو امتثال أمره واجتناب نهيه والايمان بوعده ووعيده

(القاعدة الثالثة) تعريف الحال بعد الوصول ، وهو ما تضمنه اليوم الآخر من الجنة والنار ، وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصراف

فقدت المعطلة والجهمية على رأس القاعدة الاولى فخالوا بين القلوب وبين معرفة ربها ، وسموا اثبات صفاته وعوله فوق خلقه واستوائه على عرشه — تشبيها وتجسيما وحشوا ، فنفروا عنه صبيان العقول ، وسموا نزوله الى سماء الدنيا ، وتكلمه بمشيئته ، ورضاه بعد غضبه وغضبه بعد رضاه ، وسمعه الحاضر لاصوات العباد ، ورؤيته المقارنة لافعالهم ونحو ذلك — حوادث ، وسموا وجهه الاعلى ويديه المبسوطتين وأصابه التي يضع عليها الخلائق يوم القيامة — جوارح وأعضاء ، مكرها منهم كبارا بالناس ، كن يريد التنفير عن العمل فيمكر في العبارة ويقول : مائع أصفر يشبه العذرة المائعة . أو يفتر عن شيء مستحسن فيسميه بأقبح الاسماء فعل الماكر المخادع ، فليس مع مخالف الرسل سوى المكر في القول والعمل

فلما تم للمعطلة مكرهم وسلك في القلوب المظلمة الجاهلة بمحقاق الايمان وما جاء

(١) لعله سقط من هنا : ويؤتي الملك من يشاء

٧٠٦ تنفير متجلي الرأي والذوق والشهوات عن السنة والآخرة [المنار: ج ٩ م ١٨]

به الرسول - ترتب عليه الإعراض عن الله وعن ذكره ومحبته والثناء عليه باوصاف كماله ونعوت جلاله ، فانصرفت قوى حبها وشوقها وأنسها إلى سواه وجاء أهل الآراء الفاسدة ، والسياسات الباطلة ، والاذواق المنحرفة ، والعوائد المستمرة ، فقعّدوا على رأس هذا الصراط وحالوا بين القلوب وبين الوصول إلى نبيها وما كان عليه وأصحابه ، وعابوا من خالفهم في قعودهم عن ذلك ورغب عما اختاروه لانفسهم ، ورموه بما هم أولى به منه كما قيل : رمتي بدائها وانسلت وجاء أصحاب الشهوات المعتنون بها الذين يعدون حصولها كيف كان الظفر في هذه الحياة والبنية فقعّدوا على رأس طريق المعاد والاستعداد للجنة ولقاء الله ، وقالوا : اليوم خمر ، وغدا أمر ، اليوم لك ولا تدري غدا لك أو عليك . وقالوا : لا ينبع ذرة منقودة ، بدرة موعودة

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل وقالوا للناس : خلوا لنا الدنيا ونحن قد خَلينا لكم الآخرة ، فإن طلبتم منا ما بأيدينا أحلناكم على الآخرة

أناس^(١) يُقَضُّون عَيْشَ النِّعَمِ ونَحْنُ نَحَالُ عَلَى الْآخِرَةِ
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِثْلًا يَزْعُونَ فَتِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ

فالإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها هو مبدأ الطريق ووسطه ، وغايته ، وهو روح السالكين ، وحاديهم إلى الوصول ، ومحرك عزائمهم إذا قفروا ، ومثير همهم إذا قصرُوا ، فإن سيرهم إنما هو على الشواهد ، فمن كان لا شاهد له فلا سير ولا طلب ولا سلوك له ، وأعظم الشواهد صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم ، وذلك هو الْعِلْمُ الذي رفع لهم في السير فشمروا إليه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها « من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رآه غادياً راحلاً لم يضع لبنة على لبنة ، ولكن رفع له علم فشمروا إليه » ولا يزال العبد في التواني والفتور والكسل حتى يرفع الله عز وجل له فضله ومنه علماً يشاهده بقلبه فيشير إليه ويعمل عليه ، فإن عطلت شواهد الصفات ووضعت أعلامها عن القلوب ، وطمست آثارها

(١) في ب « أناس » وفي سائر النسخ الناس

وضربت بسياط البعد ، وأسبل دونها حجاب الطرد ، وتخلفت مع المتخلفين ، وأوحى اليها القدر أن اقعدي مع القاعدين ، فإن أوصاف المدعو اليه ونعوت كماله وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب الى محبته وطلب الوصول اليه ، لان القلوب إنما تحب من تعرفه وتحافه وترجوه وتشتاق اليه وتلتذ بقربه وتطمئن الى ذكره ، بحسب معرفتها بصفاته ، فإذا ضرب دونها حجاب معرفة الصفات والإقرار بها ، امتنع منها بعد ذلك ما هو مشروط بالمعرفة وملزوم لها ، اذ وجود الملزوم بدون لازمه والمشروط بدون شرطه ممتنع

فحقيقة المحبة والانابة والتوكل ومقام الاحسان ممتنع على المعطل امتناع حصول المغل من معطل البذر بل أعظم امتناعا . كيف نصعد القلوب الى من ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا مباينا له ولا محايثا ، بل حظ العرش منه كحظ الآبار والوهاد والاماكن التي يرغب عن ذكرها ؟ وكيف تأله القلوب من لا يسمع كلامها ولا يرى مكانها ولا يُحِب ولا يُحَب ولا يقوم به فعل البتة ، ولا يتكلم ولا يكلم ولا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء ولا يقوم به رافة ولا رحمة ولا حنان ، ولاله حكمة ولا غاية يفعل ويأمر لاجلها ؟ فكيف يتصور التوكل على ذلك ، ومحبته والانابة اليه والشوق الى لقائه وروؤية وجهه الكريم في جنان النعيم وهو مستو على عرشه فوق جميع خلقه ؟ أم كيف تأله القلوب من لا يحب ولا يحب ولا يرضى ولا يفضى ولا يفرح ولا يضحك ؟ فسبحان من حال بين المعطلة وبين محبته ومعرفته والسرور والفرح به والشوق الى لقائه وانتظار لذة النظر الى وجهه الكريم والتمتع بخطابه في محل كرامته ودار ثوابه ! فلورآها أهلاً لذلك لمن عليها به وأكرمها به اذ ذاك أعظم كرامة يكرم بها عبده ، والله أعلم حيث يجعل كرامته ، ويضع نعمته (وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهولاً من الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله باعلم بالساكرين ؟ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته — أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون) وليس جحودهم صفاته سبحانه وحقائق أسمائه في الحقيقة تنزيها ،

وانما هو حجاب ضرب عليهم فظنوه تنزيها ، كما ضرب حجاب الشرك والبدع المضلة والشهوات المردية على قلوب أصحابها وزين لهم سوء أعمالهم فأرواها حسنة عدنا الى شرح كلامه . قوله «وقد وردت أساميها بالرسالة» الى آخره ، ذكر ان اثبات الصفات دل عليها الوحي الذي جاء من عند الله على لسان رسوله ، والحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة فاستدل بها على صفات صانعها ، والعقل الذي طابت حياته نزرع الفكر ، والقلب الذي حيي بحسن النظر بين التعظيم والاعتبار ؛ فاما الرسالة فانها جاءت باثبات الصفات اثباتا مفصلا على وجه ازال الشبهة وكشف الغطاء وحصل العلم اليقيني ورفع الشك والريب ، فتلجأت له الصدور واطمأنت به القلوب ، واستقر به الايمان في نصابه ، ففصلت الرسالة الصفات والنعوت والافعال أعظم من تفصيل الامر والنهي ، وقررت إثباتها أكل تقرير في أبلغ لفظ وأبعده من الاجمال والاحتمال وأمنعه من قبول التأويل ، وكذلك كان تأويل آيات الصفات وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد وأخباره ، بل أبعده منه لوجوه كثيرة ذكرتها في كتاب [الصواعق المرسلة ، على الجهمية والمعتلة] بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها كتأويل آيات الامر والنهي . فالباب كله باب واحد ومصدره واحد ومقصوده واحد ، وهو اثبات حقائقه والايمان بها ولذلك سطا على تأويل آيات المعاد قوم وقالوا : فعلنا فيها كفعل المتكلمين في آيات الصفات ، بل نحن أعذر ، فان اشمال الكتب الالهية على الصفات والعلو وقيام الافعال أعظم من نصوص المعادل لابدان بكثير ، فاذا ساغ لكم تأويلها فكيف يحرم علينا نحن تأويل آيات المعاد ؟ وكذلك سطا قوم آخرون على تأويل آيات الامر والنهي وقالوا : فعلنا فيها كفعل أولئك في آيات الصفات مع كثرتها وتنوعها . وآيات الاحكام لا تبلغ زيادة على خمسمائة آية — قالوا — وما يظن انه معارض من التعليقات لنصوص الصفات فعندنا معارض عقلي لنصوص المعاد من جنسه أو أقوى منه ، وقالوا ^(١) متأولو آيات الاحكام على خلاف حقائقها وظواهرها ^(٢) التي سوغ لنا ^(٣)

(١) لعل الاصل «قال» وما بمد فاعله (٢) وفي ب «فظواهرها» وهو غير ظاهر

(٣) هذا مقول المقول ، وصوابه : الذي سوغ لنا هذا القول القواعد الخ أي هو القواعد

هذا التأويل القواعد التي اصطلمتموها لنا وجعلتموها أصلاً ترجع اليها فلما طردناها كان طردنا ان الله ماتكم بشيء قط ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهي ولا له صفة تقوم به ولا يفعل شيئاً ، وطرد هذا الاصل لزوم تأويل آيات الامر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب

وقد ذكرنا في كتاب [الصواعق] ان تأويل آيات الصفات وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين . وزول الملك وتسلط أعداء الاسلام عليه انما كانت بسبب التأويل ، ويعرف هذان له اطلاع وخبرة بما جرى في العالم ، ولهذا يحرم عقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم لصحته ، لانه سبب لفساد العالم وتعطيل الشرائع ، ومن تأمل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسنة علم قطعاً بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها ، فانها وردت على وجه لا يحتمل معه (١) التأويل بوجه ، فانظر الى قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) هل يحتمل هذا التقسيم والتنويع تأويل إتيان الرب جل جلاله بإتيان ملائكته أو آياته ؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلاً أنه إتيانه بنفسه ؟ وكذلك قوله (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده - الى أن قال - وكلم الله موسى تكليماً) ففرق بين الإيحاء العام والتكليم الخاص ، وجعلهما نوعين ، ثم أكد فعل التكليم بالمصدر الراجع لتوهم ما يقوله المحرفون ، وكذلك قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) فنوع تكليمه الى تكليم بواسطة وتكليم بغير واسطة ، وكذلك قوله لموسى عليه السلام (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) ففرق بين الرسالة والتكليم ، والرسالة إنما هي بكلامه ، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « انكم ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس دونه سحاب » وكما ترون الشمس في الظهيرة صحوّاً ليس دونها سحاب » (٢) ومعلوم ان هذا البيان والكشف والاحتراز (١) في نوح « منه » (٢) ليس من التأويل ما قالوه في شرح الحديث من أن التشبيه فيه للرؤية لا للمرئي الذي لا يشبهه قمر ولا شمس ولا غيرهما (ليس كمثله شيء) ولا قولهم ان كيفية هذه الرؤية لا تعرف في الدنيا بل ما دونها من أمر الآخرة لا يمكن أن يعرف في الدنيا أيضاً

ثباتي ارادة التأويل قطعاً ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين

قوله « وظهرت شواهدا في الصنعة » هذا هو الطريق الثاني من طرق اثبات الصفات ، وهو دلالة الصنعة عليها ، فان المخلوق يدل على وجود خالقه وعلى حياته وعلى قدرته وعلى علمه ومشيتته ، فان الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا . وما فيه من الاتقان والإحكام ووقوعه على أكمل الوجوه ما يدل ^(١) على حكمة فاعله وعنايته ، وما فيه من الاحسان والنفعة ووصول المنافع العظيمة الى المخلوق — يدل على رحمة خالقه واحسانه وجوده ، وما فيه من آثار الكمال يدل على ان خالقه أكمل منه . فمعطي الكمال أحق بالكمال ، وخالق الاسماع والابصار والنطق أحق بان يكون سميعا بصيرا متكلما ، وخالق الحياة والعلوم والقدر والارادات أحق بان يكون هو كذلك في نفسه ، فما في المخلوقات شيء ^(٢) من أنواع التخصيصات من أدل شيء ^(٣) على ارادة الرب سبحانه ومشيتته وحكمته التي اقتضت التخصيص ، وحصول الاجابة عقيب سؤال المطلوب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات وعلى سمعه لسؤال عبيده وعلى قدرته على قضاء حوائجهم وعلى رأفته ورحمته بهم ، والاحسان الى المطيعين والتقرب اليهم والاكرام واعلاء درجاتهم — يدل على محبته ورضاه ، وعقوبته للعصاة والبنية وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب والسخط والإبعاد والطرد والإقصاء يدل على المقت والبنص ، فهذه الدلالات من جنس واحد عند التأمل ، ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده الى الاستدلال بذلك على صفاته ، فهو يثبت العلم برؤيته ووحدانيته ، وصفات كماله بآثار صنعه المشهودة والقرآن مملوء بذلك ، فيظهر شاهد اسم الخالق من نفس المخلوق ، وشاهد اسم الرازق من وجود الرزق والمرزوق ، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبثوثة في العالم ، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدار لا ينقطع لحظة واحدة ، واسم الحليم من حلمه عن الجناة والعصاة وعدم معاجلتهم ، واسم الغفور والتواب من مغفرة الذنوب وقبول التوبة ، ويظهر شاهد اسمه الحكيم من العلم بما في خلقه وأمره

(١) « ما » زائدة إما هنا وإما في أول الجملة (٢) لعل كلمة شيء زائدة

(٣) لعل الاصل : أدل شيء — أو — من أدل الاشياء

من الحكم والمصالح ووجوه المنافع، وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنی له شاهد في خلقه وأمره بعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فالخلق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته، وكل سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصانع وحذقه وتبريزه على غيره وتفرده بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعته، فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم العلوي والسفلي وهذه المخلوقات من بعض صنعته

واذا اعتبرت المخلوقات والمأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت والصفات وحقائق الاسماء الحسنی، وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عمی بمكابرة، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة كما قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير الى الاسماء الحسنی وحقائقها وتنادي عليها وتدل عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فانها من الملك الأعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير باثبات الصفات لربها فصامتة يهدي ومن هو قائل
فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت
كالمحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلاً وحساً وفطرة
ونظراً واعتباراً (١)

قوله « بتبصير النور القائم في السر » يعني ان النور الإلهي الذي جعله الله لعبده ويلقيه اليه ويودعه في سره هو الذي يبصره بشواهد صفاته، فكما قوي هذا النور في قلب العبد كان بصره بالصفات أتم وأكمل، وكلما قل نصيبه من هذا النور وطفئ مصباحه في قلبه طفي نور التصديق بالصفات واثباتها في قلبه. فانه إنما يشاهدها بذلك النور، فاذا فقدته لم يشاهدها وجاءت الشبه الباطلة مع تلك الظلمة فلم يكن له نصيب منها سوى الإنكار

(١) هذه الجملة من قوله « من دلالة المخلوقات » الى هنا سقطت من ن وح فقلناها من ب

قوله « وطيب حياة العقل لزرع الفكر » أي يدرك الصفات بذلك النور القائم في سره وطيب حياة عقله التي طيبها زرع الفكر الصحيح المتعلق بما دعا الله سبحانه عباده الى الفكر فيه بقوله (ويتفكرون في خلق السماوات والارض - وقوله أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق - وقوله - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) ^(١) فيتفكرون في الآيات التي بينها لهم فيستدلون بها على توحيده وصفات كماله وصدق رسله والعلم ببقائه ، ويتفكرون في الدنيا وانقضائها واضمحلالها وآفاتنا ، والآخرة ودوامها وبقائها وشرفها ، وقوله (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فالفكر الصحيح المؤيد بحياة القلب ونور البصيرة يدل على اثبات صفات الكمال ونعوت الجلال ، وأما فكر مصحوب بموت القلب وعمى البصيرة فائما يعطي صاحبه نفيها وتعطيلها

قوله « وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار » يعني انه ينضاف الى نور البصيرة وطيب حياة العقل حياة القلب بحسن النظر الدائر بين تعظيم الخالق جل جلاله وحسن الاعتبار بمصنوعاته الدالة عليه ، فلا بد من الامرين فانه ان غفل بالتعظيم عن حسن الاعتبار لم يحصل له الاستدلال على الصفات ، وان حصل له الاعتبار من غير تعظيم الخالق وحسن النظر في صنعه أتمر له اثبات صفات كماله ولا بد ، فاذا اجتمع له تعظيم الخالق وحسن النظر في صنعه أتمر له اثبات صفات كماله ولا بد ، والاعتبار هو أن يعبر نظره من الأثر الى الوثر ومن الصنعة الى الصانع ومن الدليل الى المدلول ، فينتقل اليه بسرعة لطف درك ، فينتقل ذهنه من المزمع الى لازمه ، قال الله تعالى (فاعتبروا يا أولي الابصار) والاعتبار افتعال من العبور وهو عبور القلب من المزمع الى لازمه ومن النظر الى نظيره ، وهذا الاعتبار يضعف ويقوى حتى يستدل صاحبه بصفات الله تعالى وكاله على ما يفعله لحسن اعتباره وصحة نظره ، وهو اعتبار الخواص واستدلالهم ، فانهم يستدلون بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وانه يفعل كذا ولا يفعل كذا ، فيفعل ما هو موجب حكمته وعلمه وغناه وحده ، ولا يفعل

(١) كذلك حذف هذه الآيات منها فنقلت من ب

ما يناقض ذلك ؛ وقد ذكر سبحانه هذين الطريقين في كتابه فقال تعالى في الطريق الاول (سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق — ثم قال في الطريق الثانية^(١) — أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فخلقاته دالة على ذاته وأسمائه وصفاته ، وأسماءه وصفاته دالة على ما يفعله ويأمر به وما لا يفعله ولا يأمر به مثال ذلك ان اسمه الحميد — سبحانه — يدل على انه لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، واسمه الحكيم يدل على انه لا يخلق شيئا عبثا ، واسمه الغني يدل على انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، واسمه الملك يدل على ما يستلزم حقيقة ملكه من قدرته وتديره وعطائه ومنعه وثوابه وعقابه ، وبث رسله في اقطار مملكته ، وإعلام عبيده بمراسيمه وعهوده اليهم ، واستوائه على سرير مملكته الذي هو عرشه المجيد ؛ فتنى قام بالعبد تعظيم الحق جل جلاله وحسن النظر في الشواهد والتبصر والاعتبار بها صارت الصفات والنعوت مشهودة لقلبه قبله له

قوله « وهي معرفة العامة التي لا تنفقد شرائط اليقين الابلها » لا يريد بالعامية الجهال الذين هم عوام الناس ، وإنما يريد ان هذه هي المعرفة التي وقف عندها العموم ولم يتعدوها ، وأما معرفة أهل الذوق والمحبة الخاصة فأخص من هذا كما سيأتي قوله « وهي على ثلاثة أركان اثبات الصفة من غير تشبيه » الى آخره — هذه ثلاثة أشياء

(أحدها) اثبات تلك الصفة فلا يعاملها بالنفي والانكار (الثاني) انه لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها الله به بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة فلا يعطل الصفة ولا يغير اسمها ويعيرها اسما آخر ، كما نسمي الجمجمة والمعلقة سمعه وبصره وقدرته وحياته وكلامه أعراضا ، ويسمون وجهه ويديه وقدمه سبحانه جوارح وأبعاضا ، ويسمون حكمته وغاية فعله المطلوبة عللا وأغراضا ، ويسمون أفعاله القائمة به حوادث ، ويسمون علوه على خلقه واستواءه على عرشه تميزا ، ويتوصلون بهذا المكر الكبار الى نفي ما دل عليه الوحي والعقل والفطرة وآثار الصنعة من صفاته ، فيسطون بهذه الاسماء التي سموها هم واباؤهم على نفي صفاته وحقائق أسمائه

(١) الطريق يذكر ويؤنث وما أرى التانيث هنا والتذكير قبله الا من النساخ

(الثالث) عدم تشبيهها بما للمخلوق ، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فالعارفون به المصدقون لرسله المقرون بكلمه يثبتون له الأسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه ، وبين التنزيه وعدم التعطيل ، فذهبهم حسنة بين سبقتين ، وهدي بين ضلالتين ، فصرطهم المنعم عليهم ، وصرط غيرهم صراط المغضوب عليهم والضاالين ، قال الامام أحمد رحمه الله : لا نزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين — وقال — التشبيه أن تقول : يد كيدي . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قوله « والإلّيس من ادرا كنها وابتغاء تأويلها » يعني ان العقل قد يؤس من تعرفه كنه الصفة وكيفيتها فانه لا يعلم كيف الله الا الله ، وهذا معنى قول السلف [بلا كيف] أي بلا كيف يعقله البشر ، فان من لا يعلم حقيقة ذاته وماهيته كيف يعرف كيفية نعوته وصفاته ؟ ولا يقدح ذلك في الايمان بها ومعرفة معانيها ، فالكيفية وراء ذلك ، كما انا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر ولا نعرف حقيقة كيفية مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق ، فمعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم ، فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله والجمال كله والعلم كله والقدرة كلها والعظمة كلها والكبرياء كلها ، من لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته السموات والارض وما فيهما وما بينهما وما وراء ذلك ، الذي يقبض سمواته بيده فتغيب كما تغيب الخردلة في كف أحدنا ، الذي نسبة علوم الخلائق كلها الى علمه أقل من نسبة نقرة عصفور من بحار العالم ، الذي لو أن البحر يمدده من بعده سبعة أبحر مداد ، وأشجار الارض من حين خلقت الى قيام الساعة أقلام ، قي المداد وفيت الأقلام ولم تنفذ كلماته ، الذي لو أن الخلق من أول الدنيا الى آخرها أنسهم وجنهم وناطقهم وأعجمهم جعلوا صفا واحدا ما أحاطوا به سبحانه ، الذي يضع السموات على اصبع من أصابعه والارض على اصبع والجبال على اصبع والأشجار على اصبع ثم يهزهن ثم يقول : أنا الملك . فقاتل الله الجهمية والمعتظة ! أين التشبيه هاهنا وأين التمثيل ؟ لقد اضمحل هاهنا كل موجود سواه فضلا عن أن يكون له ما يماثله في ذلك الكمال ويشابهه فيه .

فسمحان من حجب عقول هؤلاء عن معرفته وولاها ماتوات من وقوفها مع الافاظ التي لا حرمة لها والمعاني التي لاحقائق لها ، ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الالهية ما تفهمه من صفات المخلوقين فرت الى انكار حقائقها وابتغاء تحريفها وسمته تأويلًا ، فشبّهت أولا وعطّات ثانيا ، وأساءت الظن برهبها وبكتابه وبنييه وبأتباعه ، أما إساءة الظن بالرب فانها عطّات صفات كماله ونسبته الى انه أنزل كتابا مشتملا على ما ظاهره كفر وباطل ، وان ظاهره وحقائنه غير مرادة ، وأما إساءة ظنّها بالرسول فلانه تكلم بذلك وقرره وأكده ولم يبين للامة ان الحق في خلافه وتأويله ، وأما إساءة ظنّها بأتباعه فنسبتهم لهم الى التشبيه والتمثيل والجهل والحشو ، وهم عند أتباعه أجهل من أن يكفروهم الا من عاند الرسول وقصد نفى ما جاء به . والتوم عندهم في خفارة جهلهم قد حجبت قلوبهم عن معرفة الله وإثبات حقائق أسمائه وأوصاف كماله (له بقية)

تقريظ المطبوعات الجديدة*)

الخلق — مباحث علمية في النفس والعقل وقواها وكنه الاخلاق والعوامل المغيرة لها وتأثير العقل والبيئة والوراثة فيها . وماهية الفضيلة وتنوع درجاتها في أدوار الحياة وأنواعها وحدودها ، والرذيلة ونشأتها وأقسامها ودرمها

تأليف حسن افندي فتوح بنظارة (وزارة) المعارف ، طبع بمطبعة الجاهلية بمصر سنة ١٣٣٠ طبعاً نظيفاً على ورق متوسط بحرف بنط ٢٤ صفحاته ١٤٤ بالقطع الصغير وثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

عظة الناشئين — كتاب أخلاق وآداب واجتماع . تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني أستاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية في بيروت ، طبع بمطبعة الثبات في بيروت سنة ١٣٣٠ صفحاته ٦٦ بالقطع الصغير

ومن مباحثه : الاقدام — الصبر — الإخلاص — الشجاعة ، الشرف — المهجمة — واليقظة ، الثورة الادبية ، الامة والحكومة ، الغرور ، التجدد — الدين ، المدنية ، الحرية — الزعامة والرئاسة — السعادة ، القيام بالواجب ، الثقة — التعاون — التعصب ، ورتاء الارض الخ (*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

كتاب الارشاد الى تربية العقل — تأليف الدكتور محمود علي السركي طبيب
مستشفى المنيا الاميري ، طبع سنة ١٩١٣ بمطبعة (الآداب الشرقية) بالمنيا على ورق
متوسط صفحاته ١٤٨ بالقطع الوسط وثمنه ١٢ قرشا

من مباحث هذا الكتاب : الفهم والمعرفة ، كيفية تحصيل الاعمال ، كيفية الملاحظة ،
كيفية الحكم ، كيفية الاحساس ، كيفية العمل ، الارادة ، كيف تكون علاقة الانسان
مع غيره ، كيف يجب أن يكون الانسان ، كيف يتجنب الضرر ، معنى الحياة

جمال الزوجة — تأليف الاستاذ الشيخ مهدي أحمد خايل . طبع بمطبعة الجمالية
بمصر سنة ١٣٣٣ صفحاته ١٥٢ بالقطع الصغير ثمنه ٣٠ ويطلب من مكتبة المنار بمصر
جدير بالطلبة والشبان والشابات مطالعة هذا الكتاب فانه من أفيد ما كتب في
هذا الموضوع ، وقد توخى كاتبه فيه استعمال المفردات العربية لخلق النساء وحليهن
وغير ذلك وشرح هذه المفردات ، كما هو دأبه في تصانيفه التعليمية المفيدة

فصول الكتاب : نصائح للامهات ، ما يلزم للمولود المنتظر ، الاعتناء بصحة
الأولاد ، التسنين ، غذاء الطفل ، الارضاع المختلط ، الارضاع الصناعي ، تخفيف اللبن ،
غلي اللبن وتعقيمه ، الفطام ، الاعتناء بثدي الام عند الفطام . وفي كل فصل من هذه
بيان وايضاح وشرح لا يستغنى عنه من يعلم ما يجب عليه لأولاده وأتمه ونوعه

قبل الزواج وبعده — تأليف الدكتور ا . د نيسون لايت ، الانكليزي
وترجمه بالعربية محمد افندي عبد العزيز الصدر وطبع بالمطبعة الحميدية المصرية بمصر
طبعا نظيفا ، صفحاته ٧٠ بالقطع الصغير وثمنه ٣

مباحث هذا الكتاب : مستقبل الطفل ، متى أتزوج ، الميل الشهواني — فوائده
ومضاره ، التشریح الجنسي ، الولادة ، قانون الزوج ، قانون الزوجة . وفي الكتاب
جدول لافاقا ارضاع الطفل ومقدار كل رضعة من الماء واللبن من أول عمره الى
الشهر الثاني عشر فنحث الامهات والآباء على اقتنائه

تدبير حياة الرضيع الصحية من يوم ولادته الى يوم الفطام — تأليف الدكتور
نجيب افندي قناوي طبيب عيادة اللادي كرومر للاطفال بالاسكندرية . طبع بمطبعة

محمد الكازة بالاسكندرية سنة ١٣٢٩ طبعاً نظيفاً على ورق جيد وثمنه ثلاثة قروش، وهو من أنفع الكتب في هذا الباب

جرجي زيدان - كتاب فيه ترجمة حياة جرجي بك زيدان صاحب الهلال ومراثي الشعراء والكتّاب وحفلات التأبين وأقوال الكتّاب والمجلات والجرائد في القعيد وآثاره ومكاته العلمية الادبية وفي الكتاب رسوم القعيد شاباً وكهلاً طبع بمطبعة الهلال بمصر على ورق جيد سنة ١٩١٥ وصفحاته ١٤٧

تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان - الجزء الرابع - طبع بمطبعة الهلال على ورق متوسط سنة ١٩١٤ صفحاته ٣٢٨ بقطع المنار وثمنه ٢٠ - ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المنار بمصر

هذا الجزء هو ثمة أجزاء الكتاب، وبه تمت حياة المؤلف المملوءة جداً ونشاطاً وعملًا

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة العربية وعلومها وتراجم العلماء والادباء والشعراء ووصف مؤلفاتهم وأماكن وجودها، من عهد دخول الفرنسيين الى مصر سنة ١٢١٣ هـ الى هذه الايام، وقد قرظ المنار أجزاء هذا الكتاب الثلاثة ونشر انتقاد الاستاذ الاسكندري له، وأنصف مؤلفه فيما كتبه عن مؤلفاته

الحق المصنف بهذا الجزء جدولاً استغرق ٦ صفحات في تصحيح الاغلاط التي استفادها من المنتقدين على الاجزاء التي قبله، وذكر منهم الاب لويس شيخو والاب انستاس الكرملّي والشيخ احمد عمر الاسكندري واحد آل كاشف الغطاء وعيسى افندي المعلوف. وهؤلاء نشرت انتقاداتهم في مجلات المشرق ولغة العرب والمنار والعرفان، وذكر من المنتقدين الذين كاتبوه احمد بك تيمور. ولكنه لم يذكر الشيخ شبلي النعماني فانه كاتبه وكتب انتقاداً على تاريخ التمدن الاسلامي في المنار، غير انه كان في انتقاده شدة وغلظة ضاق بها صدر جرجي بك زيدان على سعيه

وفي هذا الجدول استدرأكت استفادها المؤلف من المطالعة وفي ذيله ترجمة حياته وذكر جميع مؤلفاته وفيه فهرس للاجزاء الاربعة

كتاب أصول علم الاقتصاد — تأليف الاستاذ ووكر الامريكي وتعريب محمد حمدي بك السيد من قضاة المحاكم الاهلية يطبع بمطبعة المنار طبعا نظيفا على ورق جيد وقد صدر الجزء الاول منه في أواخر سنة ١٣٣٣ وصفحاته ٢٥٨ وثمنه ٢٠ قرشا ولتلاميذ المدارس العليا ١٥ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر ان الحالة المالية والاقتصادية بمصر جعلت الحاجة ماسة الى وجود كتب في علم الاقتصاد والى مدرسين يدرسونه في المدارس ولا سيما في هذه البلاد التي كثرت فيها الشركات الزراعية والتجارية والصناعية واتسعت دائرة الاعمال المالية . وان بلادا كالبلاد المصرية في حالتها المدنية وتغلغل الافرنج فيها واداراتهم للمصارف والشركات فيها لا يمكن أن يحفظ أهلها ثروتهم أو أرضهم فضلا عن أن ينموها الا اذا كثروا فيهم العارفون بهذا العلم وبنوا أعمالهم المالية كلها على أصوله التي بنى عليها غيرهم ، فوجب على المصريين خاصة والعرب عامة تناول هذا الفن لان مصر اليوم هي أرقى بلاد العرب ثروة فاذا ارتقى هذا العلم فيها يكون ذلك مقدمة لارتقائه في غيرها

يظن كثير من الناس ان الاقتصاد كل الاقتصاد أن لا تنفق كثيرا ، أو ان تدخر من كسبك شيئا لوقت حاجتك ، وهذا وهم منشأ الجهل فان تناول علم الاقتصاد أوسع من ذلك واكبر من أن ينحصر بالتقتير والتضييق على من وسع عليهم في الرزق وأقل ما يقال فيه انه علم يبحث في (ايجاد الثروة) وهذه الكلمة تتضمن معرفة طبيعة الارض واستعدادها وكيفية توزيع محصولاتها وتكون الصناعة وارتقاؤها وتأثير العوامل الطبيعية والسياسية والادارية والمركز السياسي في ذلك . ثم هو يبحث في (انماء الثروة) وما يلزم لذلك من تأثير الصناعة واتقانها وتصرف مديري المصانع وعمل الصناع ورأس المال والقيمة الاعتبارية للنقدين أو ما يقوم مقامهما والمبادلة والارباح والاقوات وقيمة الايجار والتوزيع والاشتراك ومعاملة الدول وتبادل بعضها مع بعض . ثم ما لا غنى عن العمال وتأثير القوانين الادارية والسياسية في ذلك فالإقتصاد هو ما يوجد ثروة لامة والفرد وينميها أي أن تعلم كيفية كسب المال وكيفية انفاقه بما يعود عليك وعلى أمتك بالثراء ونعمة العيش

ولما أحس الناس بالحاجة الى هذا العلم في السنين الاخيرة كتب فيه بعض الكاتبين مقالات في الجرائد والمجلات ، وترجم آخرون بعض المختصرات ، وكان آخر ما ارتقت العناية اليه أن انبرى محمد حمدي بك السيد القاضي بالحاكم الاهلية الى ترجمة (أصول علم الاقتصاد السياسي) فأفرغ جهد المستطاع في نقله الى العربية مع ما يلزم لذلك من تعريب الاصطلاحات الفنية فأنجزه ترجمة وأتم طبع الجزء الاول منها وقد أوشك أن يتم طبع الجزء الثاني . ومن مميزات هذا الكتاب ان المؤلف قد وفى المسائل حقها ، وأعطاه من الايضاح قسطها ، وأبرزها في لغة العرب ببارة سهلة المتناول صحيحة التعبير واضحة المعنى غير متنطع ولا متعثر

كتاب دروس سنن الكائنات

في مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس علمية طبية اسلامية في الكيمياء والطبيعة والتشريح ووظائف الاعضاء وقانون الصحة وعلم الانسجة للدكتور محمد توفيق صدقي نشرتها مجلة المنار وطبعتها على نفقتها بمطبعتها على ورق جيد وقد تم طبع الجزء الاول فبلغت صفحاته ١٨٦ بقطع المنار وثمنه ٥ قروش ويطلب من مكتبة المنار وادارته بمصر

الدكتور محمد توفيق صدقي بحاثه منقب، مؤلف محقق، عرفه قراء المنار بآثاره من أول عهده بالكتابة العلمية لانه قلما كتب شيئاً في غير المنار. ودروسه هذه مبنية على البحث والاطلاع والتحقيق والجمع بين العلم والعمل فهي كتاب علمي طبي جدير بأن يدرس في المدارس العربية ولا سيما الدينية منها، لانه يقرب هذه العلوم من ذهن التلميذ ببارة عربية سلسلة، التزم فيها تعريب الاصطلاحات العلمية والتوفيق بين مسائل العلم المحققة ونصوص القرآن والحديث عند الحاجة الى ذلك ، لا لأن المراد مزج العلم بالدين في التعليم كما يتوهم من يرى أن الفصل بينها بتعليم كل منهما وحده أولى ، بل لان الغرض الاول من هذه الدروس أن يكون لرجال الدين الذين يعدون الارشاد والتعليم إمام صحيح بالعلوم التي يحتاجون اليها في التربية والارشاد من وجهين (أحدهما) تقوية الايمان بما ترشد اليه هذه العلوم من الآيات على

قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته ووحدانيته (وثانيهما) العلم بأن الارتفاع بها مطلوب شرعاً لا ممنوع كما يتوهمه الجاهلون. مثال هذا ان توقي ميكروبات الامراض والآفات التي تصيب الانسان والحيوان والنبات لا ينافي الايمان بالله ولا اتوكل عليه ولا مانقل في كتب الدين من نفي العدوى الجاهلية، فاذا لم يكن رجال الدين على بصيرة في ذلك لا يسهل عليهم القيام بوظيفة الارشاد الاسلامي الذي يجب أن يكون جامعاً بين حقوق الارواح والاجساد، ومصالح المعاش والمعاد

الالفاظ الكتابية: لعبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني — هذا الكتاب غني عن التعريف والتقرير وهو أشهر من نار على علم، وقد طبع مرات بأشكال مختلفة، ولعل آخر طبعة طبعها هي هذه التي طبعها محمد امين ومحمود توفيق بمطبعة الجالية بمصر سنة ١٣٢٩ على ورق أبيض بقطع رسالة التوحيد وجعلاً ثمنه أربعة قروش ويطلب منهما ومن مكتبة المنار بمصر

أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه — رسالة مقتبسة من كتاب قيمة الدهر الشهير تأليف أبي منصور الثعالبي، طبعه علي عطية بمطبعة الجالية بمصر على ورق أبيض صفحاته ١١٢ بقطع الاسلام والنصرانية وثمانه $\frac{1}{4}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر موضوع الرسالة ما قيل في شعر المتنبي انتقاداً وتقريراً وهو ما كتبه الثعالبي في النعيمة عند الكلام على ابي الطيب وقال في آخره انه يصلح ان يكون كتاباً مستقلاً وهو القائل في المتنبي: إنه نادرة الفلك واسطة عقد الدهر في صناعة الشعر.

ديوان عبد الرحمن شكري — طبع الجزء الثالث من هذا الديوان في مطبعة غرر زوي بالاسكندرية سنة ١٩١٥ فبلغت صفحاته ٧٤ فيها من القصائد والمقاطع ٥٥ ثمنه $\frac{1}{2}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر

شعر عبد الرحمن شكري معروف لقراء العربية فهو يطرق أبواباً لم يطرقها غيره لانه يقول الشعر للشعر لا للسعر فاذا كان الكون في نظر الشاعر قصيدة — كما يقول شكري — فان قصائده أبيات من تلك القصيدة كما يعلم من عناوين هذا الجزء ومنها: الربيع والصبا، بين الحقيقة، الخيال، الشعر والطبيعة، سحر الربيع، الحسن مرآة الطبيعة، وغير ذلك ومن قصائده الاخلاقية قصيدة تحت عنوان «صوت النذير» تمثل غيرته وشاعريته

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الآيات
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الآيات
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « منارا » كثر الطريق

مصر ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٣ — ١٥ العقب (خ ٢) ١٢٩٤ هـ ش ٨ نوفمبر ١٩١٥

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلتقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(١١٩) وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسِي ابْنَ مَرْيَمَ ءَانتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ سُبْحٰنَكَ ! مَا يَكُونُ
لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
(١٢٠) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ : أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ،
وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٢١) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ
(النار : ج ١٠) (٩١) (المجلد الثامن عشر)

عِبَادُكَ، وَإِنْ تَنْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٢) قَالَ اللَّهُ
هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢٣) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

انصال هذه الآيات بما قبلها جلي ظاهره، والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم،
فقوله تعالى ﴿واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من
دون الله﴾ معطوف على قوله تعالى «اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي
عليك» الخ والمعنى اذكر أيها الرسول للناس يوم يجمع الله الرسل فيسألهم جميعا عما
أجابتهم به أمهم اذ يقول عيسى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك الخ واذ يقول
له بعد ذلك : أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله أي يسأله :
أقالوا هذا القول بأمر منك أم هم افتروه وابتدعوه من عند أنفسهم ؟
ومعنى قوله «من دون الله» كائنين من دون الله — أوحال كونكم متجاوزين
بذلك توحيد الله وإفراده بالعبادة . فهذا التعبير يصدق باتخاذ إله أو أكثر مع الله
تعالى وهو الشرك ، فان عبادة الشريك المتخذ ، غير عبادة الله خالق السموات
والارض ، سواء اعتقد المشرك ان هذا المتخذ ينفع ويضر بالاستقلال — وهونادر —
أو اعتقد أنه ينفع ويضر بإقدار الله إياه وتفويضه بعض الأمر إليه فيما وراء الأسباب،
أو بالوساطة عند الله أي بحمله تعالى بما له من التأثير والكرامة على النفع والضرر، وهو
الاكثر الذي كان عليه مشركو العرب عند البعثة كما حكى الله عنهم في قوله
(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)
وقوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الخ —
(*) وافق عدد السورة عندنا ما اعتمده البصريون كما تقدم بيانه في أول تفسيرها

وقلما يوجد في البشر المتدينين من يتخذ إلهًا غير الله . تتجاوزا بعبادته الإيمان بالله الذي هو خالق الكون ومدبره ، فإن الإيمان الفطري المغروس في غرائز البشر هو أن تدبر الكون كله صادر عن قوة غيبية لا يدرك أحد كنهها ، فالموحدون أتباع الرسل يتوجهون بعباداتهم القولية والفعلية الى صاحب هذه القوة الغيبية وحده ، معتقدين انه هو الفاعل المطلق وحده ، وإن كل فعل ينسب الى غيره فانما ينسب اليه كذبا أو على انه فعله باقدار الله اياه عليه وتسخير له بمقتضى سننه في خلقه ، التي قام بها نظام الاسباب والمسببات بمشيئته وحكمته ، والمشركون يتوجهون تارة اليه وتارة الى بعض ما يستكبرون خصائصه من خلقه ، كالشمس والنجم ، وبعض مواليد الارض ، وتارة يتوجهون اليهما معا فيجعلون الثاني وسيلة الى الاول . ومن يشعر بسلطة غيبية تتجلى له في بعض الخلق فهو يخشى ضررها ويرجو نفعها ، ولا يمتد نظر عقله ولا شعور قلبه الى سلطة فوقها ، ولا يتفكر في خلق هذه الاكوان ، فمما أقرب الى الحيوان منه الى الانسان ، فلا يعد من العقلاء المستعدين لفهم الشرائع وحقائق الدين ، على أنه يصدق عليه انه اتخذ إلهًا من دون الله ، ولكن هذا النوع من الاتحاد غير مراد هنا لان الذين شرعوا للناس عبادة المسيح وأمه كانوا من شعوب مرتقية حتى في وثنيها ، ولها فلسفة دقيقة فيها ، وهم اليونان والرومان ، وبعض اليهود المطلعين على تلك الفلسفة جد الاطلاع . وجملة القول ان اتخاذ إله من دون الله يراد به عبادة غيره سواء كانت خالصة لغيره أو شركة بينه وبين غيره ، ولو بدعاء غيره والتوجه اليه ليكون واسطة عنده (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خفاء) أما اتخاذهم المسيح إلهًا فقد تقدم بيانه في مواضع من تفسير هذه السورة ، وأما أمه فعبادتها كانت متفقا عليها في الكنائس الشرقية والغربية بعد قسطنطين ، ثم أنكرت عبادتها فرقة البروتستانت التي حدثت بعد الاسلام بعدة قرون

ان هذه العبادة التي توجهها النصارى الى مريم والدة المسيح (عليها السلام) منها ما هو صلاة ذات دعاء وثناء ، واستغاثة واستشفاع ، ومنها صيام ينسب اليها ، ويسقى باسمها ، وكل ذلك يقرن بالخضوع والخشوع لذكرها ولصورها وتماثيلها ، واعتقاد السلطة الغيبية لها ، التي يمكنها بها في اعتقادهم أن تنفع وتضر في الدنيا والآخرة

بنفسها أو بواسطة ابنها، وقد صرحوا بوجوب العبادة لها، ولكن لا نعرف عن فرقة من فرقهم إطلاق كلمة (إله) عليها، بل يسمونها (والدة الإله) ويصرح بعض فرقهم بأن ذلك حقيقة لا مجاز، والقرآن يقول هنا أنهم اتخذوها وابناً إلهيين، والاتخاذ غير التسمية، فهو يصدق بالعبادة وهي واقعة قطعاً، وبين في آية أخرى أنهم قالوا (ان الله هو المسيح عيسى بن مريم) وذلك معنى آخر. وقد فسر النبي (ص) قوله تعالى في أهل الكتاب (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) أنهم اتبعوهم فيما يحلون ويحرمون لا أنهم سموهم أرباباً

وأول نص صريح رأيته في عبادة النصارى لمريم عبادة حقيقية ما في كتاب (السواعي) من كتب الروم الارثوذكس، وقد اطلعت على هذا الكتاب في دير بسمى (دير البلمند) وأنا في أول العهد بمأهد التعليم. وطوائف الكاثوليك يصرحون بذلك ويفخرون به. وقد زين الجزويت في بيروت العدد التاسع من السنة السابعة لمجلتهم (المشرق) إذ جعلوه تذكاراً لمرور خمسين سنة على اعلان البابا بيوس التاسع ان مريم البتول « حبل بها بلا دنس الخطية » وأثبتوا في هذا العدد عبادة الكنائس الشرقية لمريم كالكنائس الغربية، ومنه قول (الاب لويس شيخو) في مقالة له فيه عن الكنائس الشرقية « ان تعبد الكنيسة الارمنية للبتول الطاهرة أم الله لأمر مشهور » وقوله « قد امتازت الكنيسة القبطية بعبادتها للبتول المغبوظة أم الله » *

(*) اذا أردت نصاً من نصوص بعض فرقهم على هذه العبادة وما يستدلون به على أصلها وحقيقتها عندهم على طريقتهم في الاستدلال من العهد العتيق على عقائدهم فتأمل ما نشر في العدد الرابع عشر من مجلد السنة الخامسة من مجلة المشرق الكاثوليكية البيروتية بقلم « الاب انستاس الكرملي » وهو مقال موضوعه (أصل رهبانية الكرمل) فقد صرح فيه بأن لعبادة مريم العذراء أصلاً في العهد العتيق، وجعل عنوان اول فصل من هذا المقال « قدم التعبد للعذراء » وذكر في اوله عبارة سفر التكوين في عداوة الحية للمرأة ونسلها وفسر المرأة بالعذراء ثم قال :

« ألا ترى انك لا ترى من هذا النص شيئاً ينوه بالعذراء تنوياً جلياً الى ان جاء ذلك النبي العظيم ايليا الحي فابرز عبادة العذراء من حيز الرمز والابهام، الى عالم الصراحة والتبيان » ثم فسر هذه الصراحة وهذا التبيان بما في سفر الملوك الثالث =

من يسمع أو يقرأ سؤال الله تعالى لعيسى عن عبادة الله له ولأمه تنوق نفسه الى معرفة جوابه عليه السلام ، وتوجه الى السؤال والاستفهام ، فلذلك جاء كأمثاله بأسلوب الاستئناف ﴿ قال سبحانك ﴾ بدأ عليه السلام جوابه بتنزيهه إلهه وربّه عز وجل عن أن يكون معه إله ، خلافاً لمن قال ان التنزيه هنا إنما هو عن ذلك القول المسؤل عنه ، فذهب الى أن معنى الجملة : أنزهك تنزيهاً لا تقا من أن أقول ذلك ، أو من أن يقال ذلك في حقك ، وظن ان هذا هو الذي يقتضيه سياق النظم ، وستعلم ما فيه من الضعف ، وان ما اخترناه هو الحق .

وكلمة « سبحان » قيل انها علم للتسبيح ، وقيل انها مصدر لسبح الثلاثي كالغفران ، واستعملت مضافة باطراد الا ماشد في الشعر ، والتسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يليق به ، وهو من مادة السبح والسباحة وهي الذهاب السريع البعيد في البحر أو البر ، ومن الثاني سبح الخيل وقالوا فرس سبوح (كصبور) ومثله التمديس من القدس وهو الذهاب البعيد في الارض ، ثم استعمل التسبيح والتقديس في التنزيه . قالوا : ان التسبيح يدل على الإبعاد ولكن عن كل شر وسوء ، ولذا خص بتنزيه الله تعالى ، ويقابله اللعن فهو يدل على الإبعاد ولكن عن كل خير ، وكذلك لفظ الإبعاد والبعد غلب استعماله في مقام الشر ؛ (ألا بعداً لعاد قوم هود * أولئك في ضلال بعيد) قال الراغب : والتسبيح تنزيه الله تعالى ، وأصله المر السريع في عبادة الله تعالى ، وجعل ذلك في فعل الخير ، كما جعل الإبعاد في الشر ، فقليل أبعد الله ، = (بحسب تقسيم الكاثوليك) من امر إيليا لعلامه حين كانا في راس الكرمل ان يتطلع نحو البحر سبع مرات ، واخبار الغلام إياه بعد تطلعه المرة السابعة انه رأى سحابة قدر راحة الرجل طالعة من البحر . وقال (اي الكاتب للمقال) في تلك القرعة من السحاب : « فن ذلك النشيء (اول ما ينشا من السحاب) ؟ قلت ان هو الاصورة مريم على ما احقه المفسرون بل وصوره الحبل بلا دنس اصلي » الخ ثم قال « هذا هو اصل عبادة العذراء في الشرق العزيز ، وهو يرتقي الى المئة العاشرة قبل المسيح ، والفضل في ذلك عائد الى هذا النبي ايليا اله عظيم » ثم قال « ولذلك كان اجداد الكرمليين اول من آمن ايضا بالاله يسوع بعد الرسل والتلامذة واول من اقام للعذراء معبداً بعد انتقالها الى السماء بالنفس والجسد »

وجعل التسبيح عاما في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية . اه ثم أورد الشواهد من الآيات على إطلاق التسبيح بمعنى الصلاة وبمعنى الدلالة على التنزيه كتسبيح السموات والأرض وما فيها . والمراد بتسبيح النية العلم والاعتقاد . وفي كلمة « سبحانك » — ومثلها سبحان الله — مبالغة في هذا التنزيه أي مبالغة ، إذ تدل على المبالغة بمادتها الدالة بما أخذها الاشتقاق على البعد والايغال والتسبيح الطويل في هذا البحر المديد الطويل ، وبصيغتها الأصلية وهي التسبيح — التي هي مسعى اسم المصدر (سبحان) ومدلوله — فإن التفعيل يدل على التكثير ثم بالعدول عن هذه الصيغة التي هي مصدر إلى الاسم الذي جعل علماً عليها — على قول ابن جني — فإن اسم المصدر يدل على تأكيد معنى المصدر وثباته وحقيقته ، لأن مدلوله هو لفظ المصدر ، فانتقال الذهن منه إلى المصدر ومن المصدر إلى المعنى بمنزلة تكرار لفظ المصدر ، بل هو أبلغ وأدل على إرادة الحقيقة دون التجوز ، ولم أر أحداً سبقني إلى بيان هذا على كونه في غاية الظهور عند من تأمله [ومن شدة الظهور الخفاء]

قلنا ان عيسى عليه السلام بدأ جوابه بتنزيه الله عز وجل عن أن يكون معه إله ، فأثبت بهذا أنه على علم يقيني ضروري بأن الله تعالى منزّه في ذاته وصفاته عن ان يشارك في ألوهيته ، وانتقل من هذا إلى تبرئة نفسه العالمة بالحق ، عن قول ما ليس له بحق ، فقال :

﴿ ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ أي ليس من شأني ولا مما يصح وقوعه مني أن أقول قولاً ليس لي أدنى حق أن أقوله ، لأنك أيديتي بالعصمة من مثل هذا الباطل . ولا يخفى ان هذا أبلغ في البراءة من نفي ذلك القول وانكاره انكاراً مجرداً ، لأن نفي الشأن يستلزم نفي الفعل نفياً مؤيداً بالدليل ، فهو بتنزيه الله تعالى أولاً أثبت ان ذلك القول الذي سئل عنه — تمهيداً لإقامة الحجة على من اتخذوه وأمه إلهين — قول باطل ليس فيه شائبة من الحق ، ثم قفى على ذلك بأنه ليس من شأنه ولا مما يقع من مثله أن يقول ما ليس له بحق ، فنتيجة المقدمتين الثابتتين انه لم يقل ذلك القول

ثم أكد هذه النتيجة بحجة أخرى قاطعة على سبيل الترقى من البرهان الأدنى

[المنار : ج ١٠ م ١٨] اضافة نفس الى الله. دعوة عيسى الى التوحيد الخالص ٧٢٧

الراجع الى نفسه وهو عصمته عليه السلام، الى البرهان الاعلى الراجع الى ربه العالم، فقال ﴿ ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ أي ان كان ذلك القول قد وقع مني فرضا فقد علمته، لان علمك محيط بكل شيء، تعلم ما أسرته وأخفيه في نفسي، فكيف لا تعلم ما أظهرته ودعوت اليه فعله مني غيري؟ ولا أعلم ما تخفيه من علومك الذاتية التي لا تهديني اليها بنظر واستدلال كسبي، إلا ما تظهرني عليه بوحى وهبي. قيل ان اضافة كلمة نفس الى الله تعالى من باب المشاكلة، على أنها وردت بغير مقابل يسوغ ذلك كقوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة — ويحذركم الله نفسه) وقيل انها بمعنى الذات، والمهم فهم المعنى من هذا الاطلاق. وتنزيه الله تعالى عن مشابهة نفسه لأنفس خلقه معروف بالنقل والعقل، فاستشكل إطلاق الوحي للاسماء مع هذا ضرب من الجهل ﴿ انك أنت علام الغيوب ﴾ أي انك أنت المحيط بالعلوم الغيبية وحدك، لان علمك المحيط بكل ما كان وما يكون وما هو كائن علم ذاتي لا منتزع من صور المعلومات، ولا مستفاد بتلقين ولا بنظر واستدلال، وانما علم غيرك منك لا من ذاته، فاما أن يناله بما آتته من المشاعر أو العقل، واما أن يتلقاه مما تهيه من الالهام والوحي، أي وقد علمت أنني لم أقل ذلك القول. وشرط « ان » لا يقتضي الوقوع

ثم انه بعد تنزيه ربه، وتبرئة نفسه، واقامة البرهانين على براءته، بين حقيقة ما قاله لقومه، لان الشهادة عليهم لا تكون تامة كاملة، بحيث تظهر لهم هنالك حجة الله البالغة، الا باثبات ما كان يجب أن يكونوا عليه من أمر الدين والتوحيد بعد نفي ضده، فكان من شأن السامع لما سبق من النفي أن يسأل عما قاله في موضوعه، ولذلك قال ﴿ ما قلت لهم الا ما أمرتني به — أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ فهذا قول يتضمن انكار أن يكون أمرهم باتخاذهم وأمه إلهين واثبات ضده، أي ما قلت لهم في شأن الايمان وأصل الدين وأساسه الذي يفنى عليه غيره ولا يعتد بغيره دونه، الا ما أمرتني بالتزامه اعتقادا وتبليغا وهو الامر بعبادتك وحدك، مع التصريح بأنك ربي وربهم، وانني عبد من عبادك مثلهم، أي الا أنك خصصتني بالرسالة اليهم. فقوله « أن اعبدوا الله » تفسير للأمر به، وانما قال : ما قلت لهم

٧٢٨ دعوة عيسى الى التوحيد وتفويضه أمر الجزاء الى الله [المنار: ج ١٠ م ١٨]

الا ما أمرتني به ، ولم يقل ما أمرتهم الا بما أمرتني به ، أدبا مع الله تعالى ومراعاة لما ورد في السؤال « أنت قلت »

﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ﴾ أي وكنت قائما عليهم أراقبهم وأشهد على ما يقولون ويفعلون فأقر الحق وأنكر الباطل مدة دوام وجودي بينهم ﴿ فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ أي فلما توفيتني اليك كنت أنت المراقب لهم وحدك اذ انتهت مدة رسالتي فيهم ومراقبتي لهم وشهادتي عليهم ، فلا أشهد على ما وقع منهم وأنا لست فيهم ، وأنت شهيد عليهم وشهيد بيني وبينهم ، بما انك شهيد على كل شيء في ملكك ، وأنت اكبر شهادة ممن تجعلهم شهداء من خلقك ، (قل أي شيء أكبر شهادة ؟ قل الله شهيد بيني وبينكم)

وقد مر في هذه السورة ما يزيح تبرئة عيسى عليه السلام لنفسه ويؤيد قوله هنا ، وذلك قوله تعالى (٧٥) لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح عيسى بن مريم — وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار) فجملة « وقال المسيح يا بني اسرائيل » الخ حالية أي قالوا قولهم ذلك والحال ان المسيح أمرهم بضده ، وهو أن يعبدوا الله وحده

وفي اناجيلهم من بقايا التوحيد الذي أمرهم به مارواه يوحنا في انجيله عنه وهو قوله عليه السلام (٧ : ٣) وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك . ويسوع المسيح الذي أرسلته) وفي انجيل برنابا من تجريد التوحيد والاستدلال عليه بالآيات البينات ما هو جدير بأن يكون وحيا صحيحا من الله تعالى الى رسوله عيسى عليه الصلاة والسلام

ولما كان المراد من السؤال الذي أجيب عنه بهذا الجواب هو إقامة الحجة التي يظهر بها عدل الله تعالى يوم القيامة فيما يجزي به من اتخذه عيسى وأمه إلهين وغيرهم من قومه فوض عليه السلام أمر الجزاء الى الله تعالى بحسب ما تقتضيه شهادته تعالى وصفاته فقال ﴿ إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴾ أي ان تعذب أولئك الناس الذين أرسلتني اليهم قبلتهم ما أمرتني به من توحيدك وعبادتك

وحدك ، فضل من ضل منهم ، وقالوا ما لم أقله لهم ، واهتدى من اهتدى منهم فلم يعبدوا معك أحدا من دونك ، فانهم عبادك وأنت ربهم الاولى واللاحق بأمرهم ، ولست أنا ولا غيري من الخلق بأرحم بهم ، ولا بأعلم بحالهم ، وإنما تجزيهم بحسب علمك بظواهرهم وبواطنهم ، فأنت أعلم بالمومن الموحد ، والمشرك المثلث ، والطائع الصالح ، والعاصي الفاسق ، والمقر للكفر والفسق والمنكر لهما ، وأنت عالم الغيب والشهادة تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون * ولا تظلم أحدا مثقال ذرة . فالمراد إذا إن تعذب فانما تعذب من يستحق التعذيب منهم . ولا يمنع ارادة هذا المعنى إطلاق الضمير الراجع الى جملتهم فانه ضمير الجنس الذي يصدق ببعض الافراد ، وهو لم يرد بصيغة من صيغ العموم . ولذلك أطلقه في المقابل . وهو قوله : وان تغفر لهم الخ أي وان تغفر فانما تغفر لمن يستحق المغفرة منهم ، فانك أنت العزيز أي القوي الغالب على أمره ، الحكيم في جميع تصرفه وصنعه ، فيضع كل حكم وجزاء وفعل في موضعه . وهو أعلم بموضع العدل ، وموضع الرحمة والفضل

وهذا التوجيه أظهر من قول بعضهم ان تعذب من أشرك منهم فانهم عبادك ، وان تعذب من آمن منهم فانك أنت العزيز الحكيم . فإن هذا تعيين لمن يعذبه ومن يغفر له ، ينافيه إطلاق ضمير الجنس في مقام التفويض الذي مهد له بالبرائة مما قالوه فيه وفي أمه ، مخافا لما بلغهم عن ربه ، وثبات أن الله تعالى هو الرقيب عليهم ، والشهيد على كل شيء ، يقع منهم ومن غيرهم . فكأنه قال لربه : إنك أنت العليم بما كان منهم مدة وجودي بينهم وبعد وفاتي ، وأنت الشهيد عليهم ولا شهادة أكبر ولا أصدق من شهادتك ، فهما توقعه فيهم من عذاب فلا دافع له من دونك ، إذ لا يوجد أحد أرحم منك بعبادك فيرحمهم أو يسألك ان ترحمهم ، ومهما تمنحهم من مغفرة فلا يستطيع أحد حرمانهم منها بحوله وقوته ، لانك أنت العزيز الذي يغلب ولا يغلب ، ويمنع من شاء ما شاء ولا يمنع ، ولا يتحويلك عن ارادتك فانك أنت الحكيم الذي تضع كل شيء موضعه ، فلا يمكن لاحد غيرك ان يرجعك عنه ، بناء على ان غيره أولى منه . فمن ذا الذي يستطيع الاستدراك أو الاقليات عليك ؟

فهذا بيان ما يقتضيه التفويض المطلق الى الله تعالى وحده ، بل أقول إن في

جزء الشرط الاول اشارة الى ان تعذيب من يظن المخلوقون أنهم يستحقون المغفرة ان وقع من الله فلا يكون الا عدلا ، لانهم عباد الله المضافون اليه ، ومن شأن هذه الاضافة ان تفيدهم مغفرة منه ورحمة ، يدل على ذلك قوله تعالى (يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون * يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) وأمثالها من الآيات التي أضيف فيها لفظ عباد الى الله ، فاذا وقع عليهم العذاب فلا بد ان يكون سببه الذي خفي عن المخلوقين عظيما ، فالأدب التفويض - وفي جزء الشرط الثاني اشارة الى ان المغفرة ان أصابت من يظن المخلوقون انه يستحق العذاب فلا تكون من الله اعلى الا لغاية اقتضتها عزة الالهية ، وحكمة الربوبية ، فلا عبرة بالظواهر التي تبدو تلمخوليين بالنسبة الى علم علام الغيوب وحكمته ولا سيما في ذلك اليوم ، فالواجب ان يفوض اليه الامر كله ، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء . وبهذا تنجلي نكتة اختيار « العزيز الحكيم » هنا على « الغفور الرحيم » على خلاف المعروف من أسلوب القرآن في مراعاة مناسبة المقام في قرن الاسماء الالهية بالافعال والاحكام ، كما تقدم بيانه في تفسير (٤١: ٥) والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ٤٢ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم) فذكر عيسى عليه السلام لاسمي الله « العزيز الحكيم » في جزء شرطية المغفرة كذكره لكلمة « عبادك » في جزء شرطية التعذيب ، كل منهما وقع في محله الذي تقتضيه البلاغة في مقام التفويض فكان حجة له ، ولو أراد بكلامه الشفاعة والاسترحام لعكس ولكل مقام مقال ، ولولا هذا لكان كل منهما اعتراضا على الرب ، أو تعريضا بحكمه جل وعز ، وحاشا لعيسى عليه الصلاة والسلام من ذلك

ولما غفل من غفل من المفسرين عن هذا مع تصريح بعضهم بأن الكلام في تفويض الامر الى الله تعالى استشكلوا العبارة ، وحاروا فيما فهموه من دلالتها على جواز غفران الشرك ، وطفقوا يلمسون النكتة لترتيب الغفران على صفتي العزة والحكمة ، دون ما يتبادر من ترتيبه على صفتي المغفرة والرحمة ، واستنجدوا مذاهبهم الكلامية في ذلك فانجدت مفسري الاشعرية ، بما استطالوا به على

مفسري المعتزلة ، فقالوا ان المعنى ان تعذبهم فانهم عبيدك والمالك يتصرف بعبيده كما يشاء فلا يستل ولا يعترض عليه وان عذب اكلهم ايماناً واسلاماً واحساناً ، وقال بعضهم ان المراد فانهم عبيدك الارقاء في أسر ملكك ، الضعفاء عاجزون عن الامتناع من عقابك ، وان تغفر لهم ما كان من شركهم وكفرهم وما يتبعه من سوء أعمالهم فانك أنت القوي القادر على ذلك الحكيم فيه من حيث إن المغفرة مستحسنة لكل مجرم . قاله أبو السعود . وقال الآلوسي : والمغفرة للكافر لم يعدم فيها وجه حكمة ، لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول ، بل متى كان المجرم أعظم جرمًا كان العفو عنه أحسن لانه أدخل في الكرم ، وان كانت العقوبة أحسن في حكم الشرع من جهات آخر ، اه وظاهر هذا ان حكم الشرع في هذا الاصل من أصول الدين على خلاف المعقول ، وليس كذلك

وأجاب الرازي عن الاشكال الموهوم بأربعة وجوه (أحدها) ان ما ذكر في سؤال الله لعيسى يعلم منه ان قوما من النصارى حكوا عنه ما هو كفر — وحكي الكفر ليس بكافر بل مذنب بكذبه في هذه الحكاية فلماذا المعنى طلب المغفرة له

وهذا وجه أملاه عليه ما اعتاد من الجدل في الالفاظ وهو غافل عن حال من حكى الله عنهم ذلك القول ، وهو انهم يدعون ألوهية المسيح ويعبدونه ويعبدون أمه ، وعن حال من حكموه هم عنه ، وهو انه رسول الله اليهم ، وحكاية الشرك والكفر عن الرسول كفر في نفسه ، ويستلزم الكفر بالرسول واما الاخذ بما حكى عنه من الكفر !!

(الثاني) قوله «انه يجوز — على مذهبنا — من الله تعالى أن يدخل الكفار الجنة وأن يدخل الزهاد والعباد النار ، لان الملك ماله ولا اعتراض لأحد عليه . فذكر عيسى هذا الكلام ومقصوده منه تفويض الامور كلها الى الله وترك التعرض والاعتراض بالكلمة ، ولذا ختم الكلام بقوله (فانك أنت العزيز الحكيم) يعني أنت قادر على ما تريد ، حكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليك ، فمن أنا والخوض في أحوال الربوبية . وقوله ان الله لا يغفر الشرك (*) فنقول : ان غفرانه

(*) كذا في نسختنا المطبوعة واصل الاصل : وقوله (ان الله لا يغفر ان يشرك به) والا فهو حكاية لقول الله تعالى بمعناه

جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة، قالوا لان العقاب حق الله على المذنب وفي اسقاطه منفعة للمذنب وليس في اسقاطه على الله مضره فوجب أن يكون حسنا. بل دل الدليل السمي في شرعنا على أنه لا يقع، فلعل هذا الدليل السمي ما كان موجودا في شرع عيسى عليه السلام اه بحروفه

وهذا الوجه يخالف المعقول والمنقول من نصوص القرآن وصحاح الاحاديث من عدة وجوه لا حاجة في هذا الموضوع الى تفصيلها ^(١) وترجيح مذهب السلف وأهل الاثر بها على مذهب الاشاعرة في موضوع اثبات العدل والحكمة لله تعالى — لا عليه — وتزويجه عن ضدهما، ولا الى بيان كون العدل والحكمة لا يعقل أن يتحققا فيمن لافرق في أفعاله بين الاضداد، بحيث يكون الضدان عنده في الحسن والعدل والحكمة سواء، ولكننا نقول: ان حاصل هذا الوجه ان عيسى عليه السلام يميز ويستحسن الغفران للمشركين من قومه، بناء على انه حسن معقول في نفسه، وأنه لا يوجد مانع يمنع منه في شرعه. وهذا يخالف نص قوله تعالى المتقدم في هذه السورة (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم -- وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأما النار وما للظالمين من أنصار) ثم ان هذا الوجه يقتضي اختلاف دين الله الواحد، في هذا الاصل من أصول العقائد، وأن تكون ملة محمد (ص) أبعد من ملة عيسى عن رحمة الله ومغفرته، والنصوص تدل على انها أجدر من غيرها بهذه السعة، ومنها مسألة غفران الشرك لو كانت مما يشرعه الله ويرضاه، لان من جاء بها هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال فيه انه يرفع عن اليهود والنصارى اصرهم والاغلال التي كانت عليهم

وأما الوجه الثالث من أجوبة فتبه فبني على جواز توبة من قالوا ذلك الكفر، وهو بديهي البطلان، ولو صح لقيل: ان اليهود في القرآن: أن تقرر المغفرة للتائبين بذكر المغفرة والرحمة لا بذكر العزة والحكمة.

وأما الوجه الرابع فهو مبني على ما روي عن السدي مخالفا للجمهور من أن هذا السؤال

والجواب في الآيات كانا بعد رفع عيسى الى السماء (قال في تصويره) : يعني ان توفيتهم على الكفر وعذبتهم فانهم عبادك فلك ذاك ، وان اخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر الى نور الايمان وغفرت لهم ما سلف منهم فلك أيضا ذاك ، وعلى هذا التقدير فلا اشكال اهـ

وأقول: إن هذا لوجه أضعف من الوجه الذي قبله فجميع ما أورده الرازي ضعيف . وما كان ليخفى ضعفها بل سقوطها وبطلان كثير من مسائلها على ذكائه النادر ، وإطلاعه الواسع ، لولا عصبية المذاهب . ولكن قوله في أثناء شرح الوجه الثاني: ان مقصد عيسى عليه السلام من كلامه تفويض الامر الى الله عز وجل هو الحق المبين ، وقد هدانا الله تعالى الى تفسيره وشرح نكتة البلاغة فيه بأوضح تبين ،

وقد علم مما بيناه أن كلام عيسى عليه السلام لا يتضمن شيئاً من الشفاعة لقومه ، ويؤيد هذا عدة أحاديث (منها) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيح مسلم أن النبي (ص) تلا قول الله تعالى في ابراهيم (ص) [رب انهن أضلان كثيرا فمن تعني فانه مني] — الآية ، وقول عيسى عليه السلام [ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم] فرفع يديه وقال « اللهم أمتي أمتي » وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد — وربك أعلم — فسله: ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله (ص) بما قال — وهو أعلم — فقال الله « يا جبريل اذهب الى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوك » (ومنها) حديث ابن عباس في صحيح البخاري قال فيه : « ألا وانه يحاء برجال من أمتي يوم القيامة فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : أصحابي ، فيقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح (وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم — الى قوله — الحكيم) قال فيقال : انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم » وفي حديث أبي هريرة عند البخاري وغيره بهذا المعنى زيادة « فأقول بعداً لهم وسحقاً » وقد ورد هذا المعنى في عدة أحاديث في الصحاح والسنن في ألفاظها بعض اختلاف لا يغير المعنى . منها ان هؤلاء الذين أحدثوا بعده (ص) يذادون أي يطردون عن الحوض . واختلف العلماء فيهم فقليل هم الذين ارتدوا بعده عن الاسلام وقاتلهم أبو بكر وقيل

هم المنافقون وقيل هم المبتدعة . (ومنها) حديث أبي ذر عند أحمد والسنائي وابن مردويه انه (ص) قام بهذه الآية (ان تعذبهم فاعذبهم عبادك) الخ حتى أصبح يركع بها ويسجد فسأله أبو ذر عن ذلك فقال « اني سألت ربي سبحانه الشفاعة فأعطانيها وهي نائلة ان شاء الله تعالى من لا يشرك بالله شيئاً »

فهذه الاحاديث تدل على أن مقام التفويض غير مقام الشفاعة وان الشفاعة لا تنال أحداً يشرك بالله تعالى شيئاً . وفاقا لما جاء به الوحي على لسان عيسى (ص) كما تقدم في هذه السورة ولسان محمد (ص) كما تقدم في آيتين من سورة النساء . ووفقاً للآيات التي تنفي الشفاعة في الآخرة باطلاق أو تنفي قبولها ، أو تقيدها على تقدير حصولها بمثل قوله تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) بعد ما تقدم من تفويض عيسى أمر قومه الى ربه عز وجل بتلك العبارة البليغة ، في إثر تلك الاجوبة السديدة . تتوجه النفس الى معرفة ما يقوله الرب في ذلك اليوم العظيم وتسال عنه بلسان الحال أو المقال ان لم تسمعه وذلك قوله عز وجل

﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ قرأ الجمهور « يوم » بالرفع وهو خبر هذا . أي قال الله تعالى : ان هذا اليوم هو اليوم الذي ينفع فيه الصادقين صدقهم في إيمانهم وشهاداتهم ، وفي سائر أقوالهم وأحوالهم . وقرأه نافع بالنصب — وقيل بالبناء على الفتح — أي قال الله : هذا أي الذي قاله عيسى واقع أو كائن يوم ينفع الصادقين صدقهم . ثم بين هذا النفع بيانا مستأنفا فقال

﴿ لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه . ذلك الفوز العظيم ﴾ الجملة الاولى تقدم تفسيرها مرارا . وأما الجملة الثانية فهي بيان للنعيم الروحاني بعد ذكر النعيم الجثاني ، فان رضا الله تعالى عنهم ورضاهم عنه هو غاية السعادة الابدية في نفسه ، وفيما يترتب عليه من عطايه تعالى وإكرامه ، ومن كونهم يكونون ناعمين بذلك الإكرام مغتبطين به ، اذ لا مطلب لهم أعلى منه فتمتد أعناقهم اليه ، وتستشرف قلوبهم له حتى يتوقف رضاهم عليه ، وأما كونه سعادة في نفسه فيعلم من حال كل من كان في كنف انسان والد أو أستاذ أو قائد أو رئيس أو سلطان فان علمه برضاه عنه يجعله في غبطة وهناء وطمانينة قلب ، ويكون سروره وزهوه

بذلك على قدر مقام رئيسه الراضي عنه ، على حد البيت الذي يتمثل به الصوفية:

قوم تخالجهم زهوٌ بسيدهم والعبد يُزهى على مقدار مولاه

على ان رضاء رؤساء الدنيا لا يستلزم رضاء المرؤسين دائماً ، لان منهم الظالمين الذين لا يوفون أحداً حقه وان كانوا راضين عنه ، ورضاء أكرم الأكرمين يستلزم رضاء من رضي هو عنه لانه يعطيه أضعاف ما يستحق ، وفوق ما يؤمل ويرجو ، كما قال تعالى في سورة ألم السجدة (فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ورضوانه تعالى فوق كل شيء كما قال في سورة التوبة بمعنى ما هنا (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوانٌ من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم)

والفوز الظفر بالمطلوب مع النجاة من ضده أو مما يحول دونه . — وقال الراغب: الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامة . — فعناه مركب من سلب وإيجاب ، كما يدل عليه قوله تعالى (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وإطلاقه على الظفر بالمطلوب وحده — كما في الآية التي نفسرها وآية التوبة التي بمعناها وما يشابهها — مراعى فيه المعنى السلبي بالقرائن الحالية ، كما يقال في الجيش الذي يغلب عدوه ويظفر بالغنائم منه : انه فاز ، وهو اذا نال مراده من هدم قلعة ودك حصن فهلك تحت أنقاضه فلا يقال انه قد فاز . واذا كان المهم في الفوز المعنى الإيجابي يعدى بالباء فيقال: فاز بكذا ، واذا كان المهم بيان المعنى السلبي يعدى بمن فيقال: فاز من الهلاك ، قال تعالى (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) وإنما سميت الفلاة مفازة على سبيل التناؤل لانها مظنة الهلاك

والإشارة في قوله تعالى « ذلك الفوز العظيم » الى كل من النعيمين الجسماني والروحاني اللذين يحصلان بعد النجاة من أهوال يوم القيامة ، وقيل انه للثاني فقط ، والاول أصبح لانه الاكمل ، ولان مثل هذا الاطلاق ورد في إثر إطلاق الجزاء بالجنة وحدها في آيتين من سورة التوبة غير الآية التي أوردناها آنفاً ، وفي إثر إطلاق الجزاء بالجنة مع النجاة من عذاب النار كما تراه في آخر سورة الدخان ، وفي معناه ما في سورة المؤمن والحديد والصف والتغابن ، فان ذكر المغفرة فيها يتضمن

معنى النجاة من عذاب النار. فنسأل الله الكريم الرحمن الرحيم ، أن يجعلنا من أهل هذا الفوز العظيم ، بفضلِهِ واحسانِهِ ، وتوفيقنا لاسباب مرضاته .

ثم ختم جل جلاله هذه السورة بقوله ﴿ الله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ﴾ وهو مناسب لما قبله مباشرة ومناسب لأن يكون ختاماً لمجموع ما في هذه السورة . أما الاول فلما بين ما لأهل الصدق عنده من الجزاء الحق في مقعد الصدق ، بين عقبه سعة ملكه وبيان قدرته الدالين على كون ذلك الجزاء لا يقدر عليه غيره . وأما الثاني فلما كان أكثر آيات هذه السورة في محاجة أهل الكتاب عامة ، وبسط الحجج على بطلان أقوال النصارى في نبينهم خاصة ، وسائرهما في بيان أحكام الحلال والحرام ، مع النص على إكمال الدين بالقرآن ، وعلى وحدة الدين الإلهي واختلاف الشرائع والمناهج للأمم ، — ولما كان كل من ذينك القسمين في الاصول والفروع قد تكرر فيه الوعد والوعيد ، وتقي عليهما بذكر جمع الله تعالى للرسول يوم القيامة وسؤالهم عن التبليغ ، وجواب أحدهم الدال على شهادتهم على أقوامهم بالحق ، وتفويض أمرهم الى الله عز وجل —

لما كان ما ذكر كما ذكر ناسب أن تختم هذه السورة ببيان كون الملك كله والقدرة كلها لله وحده ، وإن ملك السموات والارض وما فيهن لله وحده ، كما يدل عليه تقديم الظرف — وهو خبر المبتدأ — وقد اختيرت كلمة « ما » في قوله « وما فيهن » على « من » الخاصة بمن يعقل ، وهو الذي من شأنه أن يملك ، لأن مدلولها أعم وأشمل ، وللإشارة الى أن يوم الجزاء الحق يستوي فيه من يعقل ومن لا يعقل ، فلا يملك معه أحد شيئاً ، لاحقيقة ولا مجازاً ، ويدخل في ذلك المسيح وأمه اللذين عبداً من دون الله ، فيتضمن الحصر التعريض بعبادتهما ، وبالاتكال على شفاعتهما ، اذ الملك والقدرة لله وحده (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وغاية الامر انه من عباد الله المكرمين (وقالوا : اتخذ الرحمن ولداً — سبحانه ، بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم : إني آله من دونه — فذلك نجزيه جهنم . كذلك نجزي الظالمين) صدق الله العلي العظيم

خلاصة سورة المائدة

انفردت هذه السورة بعدة مسائل في أصول الدين وفروعه وبتفصيل عدة أحكام أجملت في غيرها اجمالاً ، وأكثرها في بيان شؤون أهل الكتاب ومحاجتهم . ونحن نذكر قارئاً تفسيرنا بخلاصتها مراعين مناسبة بعض المسائل لبعض لا ترتيب ورودها في السورة ، وجعلنا ذلك على قسمين :

﴿ القسم الاول ماهو من قبيل الاصول والقواعد الاعتقادية أو العملية ﴾

(١) أهم الاصول التي انفردت بها السورة ، بيان إكمال الله تعالى للمؤمنين دينهم الذي ارتضى لهم بالقرآن ، وإتمام نعمته عليهم بالاسلام . (راجع ص ١٥٤ - ١٦٧ ج ٦) (*)

(٢) النهي عن سؤال النبي (ص) عن أشياء من شأنها أن تسوء المؤمنين إذا أبديت لهم لما فيها من زيادة التكليف مثلاً (راجع ص ١٢٥ - ٢٠٩ ج ٧) وقد علم من الآيات التي نزلت في هاتين المسألتين المتلازمتين ان كل حكم ديني من اعتقاد أو عبادة أو حلال أو حرام لم يدل عليه النص دلالة صريحة ولم تمض به السنة العملية من عهد النبي (ص) فليس من الدين الذي هو حجة الله على كل من بلغتهم دعوة الرسول بحيث يطالبون به في الدنيا ويستلونه عنه في الآخرة ، كما فصلنا ذلك في تفسيرهما مع بيان الفرق بين الاحكام الدينية والدنيوية . وأما ما دل عليه الكتاب أو السنة دلالة غير صريحة - ومنه أكثر ما اختلف أئمة العلم في دلالة - فهو حجة على من فهم منه الحكم لا على كل أحد كما بيناه في تفسير آية تحريم الخمر (٣) بيان ان هذا الدين مبني على العلم اليقيني في الاعتقاد والهداية في الاخلاق والاعمال ، وان التقليد باطل لا يقبله الله تعالى ، كما هو صريح الآية ١٠٧ (راجع ص ٢٠٥ ج ٧) وتقدم مثلها في سورة البقرة

(٤) بيان ان أصول الدين الإلهي على أسنة الرسل كلهم هي الايمان بالله

(*) الإشارة بحرف ج لأجزاء التفسير المطبوع على حديثه لا لأجزاء المنار

(المنار: ج ١٠) (٩٣) (المجلد الثامن عشر)

واليوم الآخر والعمل الصالح فمن اقامها كما أمرت الرسل من اية ملة - من ملل الرسل كاليهود والنصارى والصابئين - فلم أجزم عند ربهم ولا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون (ص ٤٧٦ ج ٦) وتقدم مثل ذلك في سورة البقرة

(٥) وحدة الدين واختلاف شرائع الانبياء ومناهجهم فيه

(٦) هيمنة القرآن على الكتب الالهية (ص ٤١٠ ج ٦)

(٧) بيان عموم بعثة النبي (ص) وأمره بالتبليغ العام وكونه لا يكلف من حيث

كونه رسولا الا التبليغ ، وان من حجج رسالته انه بين لأهل الكتاب كثيرا مما

كانوا يخفون من كتبهم وهو قسمان (أحدهما) ما ضاع منه قبل بعثة النبي (ص)

بناء على الاصل المبين في هذه السورة وهو أنهم نسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به

بانزاله فيها (وثانيهما) ما كانوا يكتُمونه من الاحكام اتباعا لاهوائهم مع وجوده في

الكتاب كحكم رجم الزاني ، وقد بينا كلا من القسمين في موضعه من هذه السورة.

ولولا ان محمدا الامي مرسل من عند الله لما علم شيئا من هذا ولا ذاك

(٨) عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس أن يضره أو يقدروا على

صده عن تبليغ رسالة ربه. وهذا من دلائل نبوته (ص) أيضا فكم حاولوا قتله

فأعيام وأعجزهم (ص ٤٧٣ ج ٦)

(٩) بيان ان الله أوجب على المؤمنين اصلاح أنفسهم أفرادها وجماعتها ، وانه

لا يضرهم من ضل من الناس اذا هم استقاموا على صراط الهداية ، أي لا يضرهم

ضلاله في دنياهم لان الله تعالى لا يجعل له سبيلا عليهم ، ولا يضرهم في أمر دينهم

وأخترتهم لأن الله تعالى لم يكلفهم إكراه الناس على الهدى والحق ، ولا ان يخلقوا

لهم الهداية خلقا ، وانما كلفهم ان يكونوا مهتدين في أنفسهم باقامة دين الله تعالى

في الاعمال الفردية والمصالح الاجتماعية ، ومنها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١٠) تأكيد وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما بينه الله تعالى من

لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم وتعليه ذلك

بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه

(١١) نفي الحرج من دين الاسلام (ص ٢٥٨ و ٢٦٩ ج ٦)

(١٢) تحريم الغلو في الدين والتشدد فيه ولو بتحريم الطيبات وترك التمتع بها، وتحريم الخبائث والاعتداء والاسراف في الطيبات (ص ٤٨٨ ج ٦ و ١٧ - ٣٢ ج ٧)
 (١٣) قاعدة إباحة الاضطرار للمحرّم لذاته فيما يضطر اليه كالطعام، ومنه أخذ الفقهاء قولهم : الضرورات تبيح المحظورات (راجع ص ١٦٧ ج ٦)

(١٤) قاعدة التفاوت بين الخبيث والطيب وكونهما لا يستويان في الحكم كما انهما لا يستويان في أنفسهما وفيما يترتب عليهما . وهذا أصل عظيم من أصول التحليل والتحريم في الطعام وغيره يدل على تعليل الاحكام الشرعية بالحكم والمصالح، وعلى عدم استواء جزاء الخبيث والطيب من الناس عند الله عز وجل (ص ١٢٢ ج ٧)
 وما كان تعليل الاحكام وبيان حكمتهما وفائدتهما الا لاجل توخيها - كاحكام الطهارة وتحريم الخمر والميسر وبعض الطعام واحكام الوصية والشهادة وإقسام الشهداء اليمين - وانك لتجد الذين يجهلون ذلك لاعراضهم عن حكم القرآن وأسرار السنة قد جعلوا أمر الوضوء والغسل تعديا محضاً لا يستلزم النظافة فعلاً ولا قصداً، وزعموا ان تحريم الخمر تعدي لا يدل على تحريم كل مسكر بناء على رأيهم ان الخمر ما كان من عصير العنب خاصة، فما القول في فهمهم لساائر الاحكام

(١٥) تحريم الاعتداء على قوم بسبب بغضهم وعداوتهم ، لانه يجب على المؤمنين أن يلتزموا الحق والعدل ولا يكونوا كأهل السياسة المدنية (ص ١٢٨ و ٢٧٤ ج ٦)

(١٦) وجوب الشهادة بالقسط والحكم بالعدل والمساواة بين غير المسلمين كالمسلمين ولو للاعداء على الاصدقاء وتأكد وجوب العدل فيها وفي سائر الاحكام والاعمال (ص ٢٧٦ و ٢٧٣ و ٣٩٤ و ٤١٢ و ٤٢٠ ج ٦)

(١٧) الامر المطلق العام في أول السورة بالوفاء بالعقود التي يتعاقد الناس عليها في جميع معاملاتهم الدنيوية من شخصية ومدنية ، وهذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة الاسلامية، وهي ان الله تعالى وكل أمر العقود التي يتعاملون بها الى عرفهم ومواضعاتهم لانها من مصالحهم التي تختلف باختلاف الاحوال ، فلم يقيدهم في احكامها وشروطها بقيود دائمة الا ما أوجبه الشرع مما لا يختلف باختلاف

الاحوال والعرف كتحريم أكل أموال الناس بالباطل كالربا والقمار ، فكل عقد يتعاقد عليه الناس لم يحل حراما ولم يحرم حلالا مما ثبت بالنص فهو جائز (١٨) ايجاب التعاون على البر والتقوى ومنه تأليف الجماعات الخيرية والعلمية وتحريم التعاون على الاثم والعدوان

(١٩) بيان ان الله تعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس في أمر دينهم ودينامهم ، فهو جعل تكويني باعتبار شرعي باعتبار آخر ، وهو يدل على علمه الواسع ، المحيط بالاشياء والحكم والمصالح والمنافع

(٢٠) مسألة موالاته المؤمنين للكافرين وبيان أن من آيات النفاق ومرض القلب المسارعة في موالاتهم من دون المؤمنين خوفا ان تدور الدائرة على المؤمنين فتكون لهم يد عند أعدائهم يستفيدون بها منهم (ص ٤٢٣ ج ٦)

(٢١) تفصيل أحكام الوضوء والغسل والتيمم مع بيان ان الله تعالى يريد ان يطهر الناس ويزكهم بما شرعه لهم من أحكام الطهارة وغيرها ، وشمول الطهارة في آية الوضوء لظاهر الطاهر والباطن . وهذا يدل على أن أحكام الطهارة كلها معقولة المعنى كما أشرنا اليه في المسألة الرابعة عشرة ، فيجب ان يتحرى بأداء ما ورد به الشرع ما تتحقق به الحكمة منه ، ويدل على أن الوسوسة في الطهارة مذمومة مخالفة لنص الشرع ومقصده

(٢٢) تفصيل أحكام حلال الطعام وحرامه وما حرم منه لكونه خبيثا في ذاته كالميتة وما في معناها والخنزير وما حرم لسبب ديني كالذي يذبح للاصنام (٢٣) تحريم الخمر وهو كل مسكر والميسر وهو البار ومنه ما يسمى في عرف الناس اليوم بالمضاربات

(٢٤) أحكام محرمات الاحرام

(٢٥) تفصيل أحكام الصيد للحل والحرم في أوائل السورة وأواخرها

(٢٦) حدود المحاربين الذين يفسدون في الارض ، ويخرجون على أئمة العدل ، وحد السرقة ، وما يتعلق بالحد كسقوطه بالتوبة بشرطه

(٢٧) أحكام الايمان وكفارتها وايمان الامناء والشهود

(٢٨) تأكيد أمر الوصية قبل الموت وأحكام الشهادة على الوصية وفي قضاياها وشهادة غير المسلم على المسلم ، والفرق بين الشهادة والاشهاد . وإننا بعد الاطالة في تفسير الآيات في الوصية والشهادة فيها لخصنا مسائلها في ١٥ مسألة

(٢٩) الامر بالتقوى في عدة آيات من هذه السورة تدخل في جمع الكثرة ، لان صلاح أمور الدنيا والدين يتوقف على التزامها ، وإنما يرجى بتكرار الامر بها في كل سياق بحسبه

(٣٠) بيان تفويض أمر الجزاء في الآخرة الى الله تعالى وحده كما حكاه سبحانه من قول المسيح في ذلك اليوم مقرونا بتعليله ودليله ، وكون النافع في ذلك اليوم هو الصدق في الظاهر والباطن ، جعلنا الله من أهله

﴿ القسم الثاني ما ورد من الاخبار والحجاج والاحكام ﴾

(في شان أهل الكتاب)

من الآيات في هذا القسم ما نزل في شأن أهل الكتاب عامة ، ومنه ما هو في أحد الفريقين خاصة . فن المشترك وصفهم بالغلو في دينهم المستلزم للتعصب الضار ، واتباعهم أهواء من ضل قبلهم من الوثنيين وغيرهم ، وبالغرور في دينهم وزعمهم انهم أبناء الله وأحباؤه ، وبأنهم مع ذلك نقضوا ميثاق ربهم ، ونسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به على ألسنة أنبيائهم ، ولم يقيموا التوراة والانجيل كما أوجب الله عليهم ، وقد فسد دعواهم أنهم أبناءه وأحباؤه بما يأتي ذكره قريبا وبين الله لهم حقيقة الامر وهي أنهم بشر ممن خلق الله ، لا مزية لهم على سائر البشر في انفسهم وذواتهم ، لان البشر انما يمتاز بعضهم على بعض بالعلوم الصحيحة والاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة ، لا بالنسب والالتواء الى الانبياء والصالحين وان كانوا مخالفين لهم في هدايتهم وذكر من جزائهم على سوء أعمالهم في الدنيا إلقاء العداوة والبغضاء بينهم ، وأنه يعذبهم في الدنيا بذنوبهم الشخصية والقومية كغيرهم ، وان ذلك يدحض دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، ودعاهم كافة الى الاسلام ، والايمان بخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، الذي بين لهم حقيقة دينهم الذي كان عليه سلفهم ، ودحض ما زادوا فيه

بالبرهان، وبين بعض ما كانوا يخفون أو يجهلون منه أحسن بيان
ووصف التوراة والانجيل أحسن وصف، وذكر من أخبار التوراة قصة ابني
آدم بالحق، ومن أحكامها عقوبات القتل واتلاف الاعضاء والجروح، ومن أخبار
الانجيل والمسيح ما هو حجة على الفريقين، وبين ان الكتابين أنزلا نورا وهدى
للناس، وانهم لو كانوا أقاموها لكانوا في أحسن حال، ولسارعوا الى الايمان بما
أنزله الله على خاتم رسله مصداقاً لأصلهما، ومبيناً لما طرأ عليهما، ومكملاً لدين
الانبياء جميعاً، على سنة الله في النشوء والارتقاء، التي هي أظهر في البشر منها في
سائر الاشياء، ولكنهم اتخذوا الاسلام هزواً ولعباً في جملة وفي صلاته، ووالوا عليه
المناصين له من أعدائه، فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم لذلك

ومما جاء في اليهود خاصة نعيًا عليهم وبيانًا لسوء حالهم — انهم نقضوا ميثاق الله
الذي أخذه عليهم في كتابهم ونسوا حظاً عظيماً مما ذكروا به، وحرفوا الكلم عن
مواضعه، وتركوا الحكم بالتوراة وأخفوا بعض أحكامها، وحكموا الرسول ولم يرضوا
بحكمه الموافق لها، وان من صفاتهم الغالبة عليهم قساوة القلب، والخيانة والمكر،
والكذب وقول الأثم، والمبالغة في سماع الكذب وأكل السحت، والسعي بالفساد في
الارض، وفي إيقاد نار الفتن والحرب، وانهم كانوا يقتلون الانبياء والرسل بغير حق،
وتمردوا على موسى اذ أمرهم بدخول الارض المقدسة وقتال الجبارين فعاقبهم الله
بالتيه في الارض، وانهم كانوا أشد الناس عداوة للؤمنين. حتى انهم يوالون عليهم
المشركين، بسبب ما ورثوه من تلك الصفات عن الغابرين. وذكر انه عاقبهم على
ذلك كله باللعن على السنة الرسل، وبالغضب والمسح، وهذه الصفات التي غلبت
عليهم في زمن البعثة وقبله تثبتها تواريخهم وتواريخ غيرهم، ومن المعلوم انها لم تكن
عاملة فيهم ولا شاملة لجميع أفرادهم، فقد أنصفهم الحكم العدل في هذه السورة وغيرها
بالحكم على الكثير منهم أو أكثرهم، ومنه قوله في هذه السورة (منهم أمة مقنصدة
وكثير منهم ساء ما يعملون) وبيننا في الموضوع ما كان بعد النبي (ص) من مساعدة
اليهود للمسلمين في الشام والاندلس

ومما جاء في النصارى خاصة انهم نسوا — كاليهود — حظاً مما ذكروا به،

وأهم قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، وقالوا ان الله ثالث ثلاثة ، ورد عليهم هذه العقيدة بالادلة العقلية . وبرائة المسيح منها ومن منتحلها يوم القيامة ، وبين لهم حقيقة المسيح وانه عبد الله ورسوله وروح منه ، وما أيده به من الآيات ، وحال حوار به وتلاميذه في الايمان . وبين أنهم أقرب الناس مودة للمؤمنين ، (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) فليراجع تفسير ذلك في أول الجزء السابع

وجملة الآيات الواردة في أهل الكتاب تشهد لنفسها أنها من عند الله تعالى لا من عند محمد بن عبد الله العربي الامي الذي لم يقرأ شيئاً من تلك الكتب ، على ان تلك الآيات ليست موافقة لها ولهم موافقة الناقل للمنقول عنه ، وانما هي فوق ذلك تحكم لهم وعليهم وفيهم وفي كتبهم حكم المهيمن السميع العليم

أحكام السورة الخاصة بأهل الكتاب

لو كان هذا القرآن من وضع البشر لشرع معاملة أهل الكتاب الموصوفين بما ذكر — ولا سيما الذين ناصبوا الاسلام العداء عند ظهوره — بأشد الاحكام وأقساها . ولكنه تنزيل من حكيم حميد ، أمر في هذه السورة بمعاملتهم بالعدل ، والحكم بينهم بالقسط ، وحكم بحل مؤاكلتهم ، وتزوج نسائهم ، وقبول شهادتهم ، والعفو والصفح عنهم ، وهذه الاحكام التي شرعت هذه المعاملة الفضلى لهم نزلت بعد إظهار اليهود للنبي (ص) والمؤمنين منتهى العداوة والغدر ، وبعد أن ناصبوه مع المشركين الحرب ، وهي تتضمن تأليف قلوبهم ، واكتساب مودتهم ، (راجع ص ١٩٥ ج ٦) وقد ختم الله تعالى السورة بذكر الجزاء في الآخرة بما يناسب أحكامها كلها ، كما بيناه في تفسير آخر آية منها .

روى أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي في سننه وبعض رواة التفسير عن جبير بن نفير قال : حججت فدخلت على عائشة فقالت لي يا جبير تقرأ المائدة ؟ فقلت نعم . فقالت أما انها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه ، وروى احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عبدالله بن عمرو قال : آخر سورة نزلت سورة المائدة

والفتح . وقد تقدم في آخر تفسير سورة النساء بعض ماورد في آخر ما نزل من القرآن من السور برمتها ومن الآيات ؛ وكان كل يروي ما وصل اليه علمه ، والله أعلم

﴿ تم تفسير سورة المائدة ﴾

﴿ يقول محمد رشيد مؤلف هذا التفسير قد وفقني الله تعالى لاتمام تفسير هذه السورة في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ وكنت بدأت بتفسيرها في مثل هذا الشهر من سنة ١٣٣١ وسبب هذا البطء اني أكتب التفسير لينشر في مجلة المنار فتارة أفسر في الجزء منه بضع آيات ، وتارة أفسر آية واحدة في عدة أجزاء . وقد يمر شهر أو أكثر ولا أكتب في التفسير شيئاً ، واسأل الله تعالى ان يوفقني لاتمام هذا التفسير بمنع العوائق والمباركة في الوقت وان يؤيدني فيه بروح من عنده ﴾

مكان الاسباب من الدين

﴿ فصل من مدارج السالكين في رد ما قاله صاحب المنازل في باب التلبس ﴾

قد عرفت ان هذا الباب مبناه على محو الاسباب وعدم الالتفات اليها والوقوف معها ، ولهذا سمي المصنف نصبها تلبساً ، ونحن نقول : ان الدين هو إثبات الاسباب والوقوف معها والنظر اليها والالتفات اليها ، وانه لا دين الا بذلك كما لا حقيقة الا به ، فالحقيقة والشرعية مبنيهما على اثباتها لا على محوها ، ولا تنكر الوقوف معها فان الوقوف معها فرض على كل مسلم لا يتم اسلامه وإيمانه الا بذلك ، والله تعالى أمرنا بالوقوف معها بمعنى انا نثبت الحكم اذا وجدت وتنفيه اذا عدمت ، ونستدل بها على حكمه الكوني ، فوقوفنا معها بهذا الاعتبار هو مقتضى الحقيقة والشرعية ، وهل يمكن حيوانا ان يعيش في هذه الدنيا الا بوقوفه مع الاسباب ؟ فيتجمع مساقط غيها وموقع قطرها ، ويرعى في خصبها دون جذبها ، ويسلمها ولا يحاربها ، فكيف وتنفسه في الهواء بها وتحركه بها وسمعه وبصره بها وغذاؤه بها ودواؤه بها وهدها بها وسعادته وفلاحه بها ، وضلاله وشقاؤه بالاعراض عنها والغائما ، فأسعد الناس في

الدارين أقومهم بالاسباب الموصلة الى مصالحهما ، وأشققهم في الدارين أشدهم تعطيلا لاسبابهما ، فالاسباب محل الامر والنهي والثواب والعقاب والنجاح والخسران ، وبالاسباب عرف الله ، وبها عبد الله ، وبها اطيع الله ، وبها تقرب اليه المتقربون ، وبها نال أولياؤه رضاه وجواره في جنته ، وبها نصرُوا حزبه ودينه ، وأقاموا دعوته ، وبها أرسل رسله وشرع شرائعه ، وبها اتقسم الناس الى سعيد وشقي ، ومهتد وغوي ، فالوقوف معها والالتفات اليها والنظر اليها هو الواجب شرعا كما هو الواقع قدرا ، ولا تكن من غلط حجابيه وكشف طبعه فيقول : لا تقف معها وقوف من يعتقد انها مستقلة بالاحداث والتأثير وانها أرباب من دون الله . فان وجدت أحدا يزعم ذلك أويظن انها أرباب وإله مع الله مستقلة بالإيجاد ، أو انها عون لله يحتاج في فعله اليها ، أو انها شركاء له فشأنك به ، فزق أديمه وتقرب الى الله بعداوته ما استطعت ، والافها هذا النفي لما أثبتته الله ! والالغاء لما اعتبره ! والإهدار لما حققه ! والخط والوضع لما نصبه ! والحوما كتبه ! والعزل لما ولاه ! فان زعمت انك تعزلها عن رتبة الإلهية فسبحان الله ! من ولاها هذه الرتبة حتى تجعل سعيك في عزلها عنها

ويا لله ما أجهل كثيراً من أهل الكلام والتصوف حيث لم يكن عندهم تحقيق التوحيد الا إلغاءها ومحوها وأهدارها بالكلية ، وانه لم يجعل الله في المخلوقات قوى ولا طبائع ولا غرائز لها تأثير موجبة ماء ، ولا في النار حرارة ولا احراق ، ولا في الدواء قوة مذهبة للداء ، ولا في الخبز قوة مشبعة ، ولا في الماء قوة مروية ، ولا في العين قوة باصرة ، ولا في الانف قوة شامة ، ولا في السم قوة قاتلة ، ولا في الحديد قوة قاطعة ؟ وإن الله لم يفعل شيئا بشيء ولا فعل شيئا لاجل شيء ، فهذا غاية توحيدهم الذي يحومون حوله ويبالغون في تقريره ، فلعمري لقد أضحكوا عليهم العقلاء ، وأشمتوا بهم الأعداء ، ومنهجوا لأعداء الرسل طريق إساءة الظن بهم ، وجنوا على الاسلام والقرآن أعظم جناية ، وقالوا نحن أنصار الله ورسوله الموكولون بكسر أعداء الاسلام وأعداء الرسل ، ولعمري الله لقد كسروا الدين وسلطوا عليه المبطلين . وقد قيل « إياك ومصاحبة الجاهل فانه يريد ان ينفعك فيضرك » فقف مع الاسباب حيث أمرت بالوقوف معها ، وفارقها حيث أمرت بمفارقتها ، كما فارقها الخليل وهو في

تلك السفرة من المنجنيق (الى النار) حيث عرض له جبريل أقوى الاسباب، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما اليك فلا. ودُر معها حيث دارت ناظرا الى من أزمته يديه، والتفت اليها التفات العبد المأمور الى تنفيذ ما أمر به والتجديق نحوه، وارعها حق رعايتها، ولا تغب عنها ولا تفن عنها، بل انظر اليها وهي في رتبها التي أنزلها الله إياها، واعلم ان غيبتك بمسببها عنها نقص في عبوديتك، بل الكمال ان تشهد المعبود وتشهد قيامك بعبوديته وتشهد ان قيامك به لا بك ومنه لا منك وبجوله وقوته لا بحولك وقوتك، ومتى خرجت عن ذلك وقعت في انحرافين لا بد لك من أحدهما: إما أن تغيب بها عن المقصود لذاته لضعف نظرك وغفلتك وقصور علمك ومعرفتك، وإما أن تغيب بالمقصود عنها بحيث لا تلتفت اليها، والكمال أن يسلمك الله من الانحرافين فتبقى عبدا ملاحظا للعبودية ناظرا الى المعبود، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة الا بالله

حرب أمم المدنية لا الملل الدينية

تسمي الجرائد العربية والاوروبية هذه الحرب المشتعلة في أوربة حرب الامم، ولا نرى لها مخالفا في صحة هذه التسمية، فقد أجمع الناس على ان جميع الامم الاوروبية المتحاربة موافقة لدولها على الاستمرار على هذه الحرب الى أن يقضى آخر رجل يقدر على استعمال السلاح فيها، وينفق آخر دينار في صناديقها، أو تقهر عدوها قهرا يخضع به لحكمها، ويدعن صاغرا لشروط الصلح التي تضعها حكومتها، ويقولون لنا ان النساء موافقات للرجال في هذا الامر، وان القسيسين والرهبان والاشتراكيين أيضا متفقون فيه مع رجال الحرب، الا ما تنقله الجرائد أنا بعد أن عن بعض النساء والاشتراكيين في ألمانية من الرغبة في عقد الصلح كراهة للحرب وأطيما من أوزارها، وأنينا من أهوالها وسوء آثارها، ولعل هذا من قبيل ما كانت تنقله في أول الحرب من كراهة الشعب الألماني كله لها ورغبته عنها، وكون عاهله هو الذي ساقه اليها سوفا، بل دعه اليها دعا، وكنا أول من خالفهم في ذلك على أن المعقول الذي لا يعقل غيره هو أنه يوجد في كل أمة محاربة كثير حتى

من أهل الرأي يكرهون الحرب لذاتها ويتمنون الصلح على علاته، والمعقول أن يكون أكثر هؤلاء الناس من أفراد الحكماء الراسخين، ومن النساء والاشتراكيين، ومن المتدينين الذين يفهمون أن الديانة المسيحية ديانة سلم وتواضع وزهد في المال والجاه والرياسة والملك—وما أكثر المتيمين اليها على هذا الفهم—فحيث يكثر هؤلاء، يكثر الميل إلى الصلح، والجنوح إلى السلم، وإن لم تكن الجرائد بنقل أخبار هؤلاء في بلادها وبلاد أحلافها، لثلا يغتر أعداؤها ويظنون أن أمهم غير متفقة على تأييد حكوماتها، وهي إنما تنقل عن شعوب أعدائها الميل إلى الصلح في سياق ذمها بالعجز والضعف، لا في سياق مدحها بكرهه القسوة والوحشية والافساد في الأرض، واستباح الطمع المفضي إلى اهلاك الحرث والنسل، ولذلك كانت تقول في أول الحرب أن الشعوب الجرمانية كارهة له مكرهة عليه، ويوشك أن تخرج على حكومتها وتثور عليها، ثم رجعوا عن ذلك ووصفوها بضده، فالجرائد السياسية لا تكتب إلا ما يمليه عليها الهوى، فهي تابعة لمهابة أهوائه تميل معها كيفما أمالتها

إلا أنها صادقة في قولها أن السواد الأعظم من الأمم الأوروبية مؤيد لدولها بما لها ورجالها واجماعها على الاستمرار في الحرب، إلى أن تنال ما ترجون النصر، وتكون كلمتها هي العليا، وكلمة أعدائها هي السفلى، فإن من يوجد في كل منها من محبي السلم يباعث الدين أو حب الإنسانية والميل إلى التواضع والقناعة مغلوبون على أمرهم، ووجودهم لا ينافي ما أجمع عليه الكتاب من أن هذه الحرب هي حرب الأمم لا الدول، فإن العبرة بالغالب والناذر لا حكم له، وقد جرت عادة الناس أن يطلقوا على جملة الأمة ما فتشوا فيها وثبت لاكثرها من الاعمال، أو اتصفت به من الصفات والاخلاق، وإن تستطيع دولة من دول أوربة الاستمرار على الحرب إذا كان الرأي الغالب في الأمة لا يؤيدها، إلا أن تكون الدولة الروسية التي ليس لأمتها رأي غالب ومن أعجب ما نقل اليينا عن الحكومة الانكليزية—ويحسن عده في هذا المقام من فضائلها التي تجري فيها على عرق—أنها حكمت أخيرا بوجود التجنيد الاجباري على العزّاب إلا من يرى ذلك مخالفا لوجدانه واعتقاده، وقد سبق لسلفها مثل ذلك في قانون وجوب التلقيح للوقاية من الجدري، وهذه الفضيلة مما امتاز به الانكليز

على غيرهم، وهم موافقون فيه لقاعدة من قواعد الاسلام تركها حكام المسلمين منذ قرون ان ما أجمع عليه الناس من تسمية هذه الحرب حرب الامم قد استثنوا منه الامة العثمانية بالنقل، كما استثنينا منه بعض الافراد من كل أمة بحكم العقل، فقد نقلت الينا بلاغات دول الخلفاء الرسمية، والبرقيات العامة والجرائد الغربية والشرقية، أن الشعب العثماني كاره لهذه الحرب، بل قالوا مرارا ان السلطان وولي عهده وسائر أهل بيته واكثر رجال دولته كانوا معارضين فيها، وما زالوا كارهين لها، بل قالوا أيضا ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا وما زالوا كذلك، وإن السبب المباشر لا يذنب دول الاحلاف الدولة بالحرب — وهو اعتداء البارجتين اللامنايتين (غوبن وبرسلو) على ثغور روسية — لم يكن بإذن من السلطان ولا الصدر الاعظم، بل لم يعلما به الا بعد وقوعه، وقد وعدا سفراء دول الاحلاف بعدم العود الى مثله، وإن أنور باشا ناظر الحرية هو الذي اتفق مع ألمانية على ضم الدولة اليها في هذه الحرب، فغلب نفوذه على نفوذ غيره من زعماء جمعيته بمساعدة الالمان، الذين كان قد وُكل اليهم أمر اصلاح الجيش العثماني بعد حرب البلقان. ولا تزال الجرائد تتخوّننا بأخبار كراهة العثمانيين لهذه الحرب في عاصمة الدولة وولاياتها، وما يأترون به لاسقاط الحكومة الاتحادية وانشاء حكومة جديدة تصالح الاحلاف وتتفق معهم، وبسمي صباح الدين أفندي ابن أخت السلطان الى ذلك واتفاق حزبه أخيرا مع حزب المشير شريف باشا وبعض رجال حزب الحرية والائتلاف على ذلك

أنا لم أصدق كل ما نشرته الجرائد في هذا الموضوع وإن كان بعضه رسميا، ولا أكذبه كله وإن كان سنده ضعيفا وأهيا، واعتقد ان أهل الحل والعقد من زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا وما زالوا متفقين مع الالمان، وإن السواد الاعظم من العثمانيين كاره لهذه الحرب في كل مكان، فهي حرب الدولة التي يتولى ادارتها الاتحاديون، لا حرب الامة العثمانية وإن أقرها المبعوثون، فإن المبعوثين في هذا العهد لا يمثلون الشعوب العثمانية ولا يعبرون عن رأيها، بل أكثرهم السنة لجمعية الاتحاد والترقي ومظهر لارادتها

إذا تمهد هذا فاعلم أيها القارئ أنني لم أقصد به المدح أو الذم للامم المتفقة على الحرب أو المختلفة فيها، ولا التخطئة أو التصويب لموقدي نارها، وإنما أريد ان أثبت

أنها حرب المدنية الاوربية الحديثة ، لا حرب دينية ولا مذهبية ، وهذه المدنية مادية لا روحية ، دنيوية لا دينية ، وغاية اصحابها ومقصدهم منها هو التمتع بالشهوات البدنية ، والعلو والعظمة في الارض ، والتكاثر في الاموال وضروب الزينة ، فهي لا تتفق مع شرعة المسيح (عليه السلام) في ورد ولا صدر ، ولا تسير في منهاجه في مبدأ ولا غاية ، ولو كان روح المسيحية الحق له سلطان غالب في أوربة لما وقعت هذه الحرب البتة ، كلا ان روح المسيحية مغلوب على أمره لسلطان المدنية المادية ، فوقدو نار الحرب إما من خلص الماديين ، وإما من متبعي أهوائهم في فهم الدين ، ولكن أهوال الحرب قد أيقظت في جمهور كل أمة منهم شعور الدين ، وكثر فيهم من يصلون ويدعون الله ان ينصرهم على أعدائهم ، كما هو شأن البشر في حال الكروب والخطوب (فاذا غشيمهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره كذاك رؤى للمسرفين ما كانوا يعملون) فهل يعتبر بهذه الحرب أولئك الخادعون المخدوعون الذين كانوا يعيرون الاديان ، بزعمهم أنها مثار البغي والعدوان ، ومسعر نيران الحرب بين الانسان وأخيه الانسان ، وانه لولاها لا أخت المدنية بين الناس ، وجمعت بين ما تفرق من الاجناس ؟ كلا إن الحياة المدنية هي التي تولد في النفوس المطامع التي لا حد لها ، وتقرن التنافس بالتحاسد ، وتسوق الحسد الى البغي والتقاتل ، وان الدين ينهى عن ذلك كله ، ولكن الناس كثير ما يخطئون في فهمه ، وكثيرا ما يتعمدون تحريف كلمه عن مواضعه ، فهم يسيئون استعماله كما يسيئون استعمال الحواس والعقل وغير ذلك من نعم الله تعالى ، فمن مقاصد الدين إزالة الخلاف من بين الناس فاتخذوه سببا من أسباب الخلاف (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) فالحرب سنة من سنن الاجتماع قد يخفف الدين شرورها بقدر ارتقائه واستمسك أهله به كما يبيناه في مقالة نشرناها في الجزء الثالث عنونها (حرب المدنية الاوربية ، والمقارنة بينها وبين المدنية الاسلامية والفتوحات العربية)

وليس المدنية المادية مثل هذا التأثير في نفسها ، فان وجد في أم المدنية من

يقبح الحرب أو يقبح ارتكاب القسوة فيها غيره على العمران ومحافظة على حقوق البشر غير مهتد في ذلك بتربية الدين ولا متأثر بفضائله فهو لا يكون الا كالتاجر الخوَّان لا يحجم عن صفقة الا خوفاً من الخسارة، فتى غلب على ظنه انه يرجح فيها لا يباي ما يفعل . اللهم الا الافراد من الحكماء ، الذين رجح العقل والفضيلة في نفوسهم على الاهواء ، كالفيلسوف هررت سبنسر الانكليزي الذي اهدى اليه عاهل الألمان وساما علميا فلم يقبله منه لانه قيصر حرب وهو عدو للحرب ، وإياك ان تظن في هذا الحكيم الكبير انه كان يبغض الالمان بغضاسياسيا لمناظرتهم لقومه فلبس عليهم وعلى الناس بما ادعاه من سبب رفض الوسام ، فكان ذلك من الرياء الفرسي الذي يغمز به الانكليز منتقدوهم كما صرحوا به في هذه الايام^(١) ، فان هذا الحكيم الكبير قد نصح لليابانيين بأن لا يولوا قومه الانكليز شيئا من شؤون بلادهم ، لان ذلك يكون ذريعة لعبثهم باستقلالهم ، فأني استقلال في الرأي واخلاص في النصيح أدل على الحكمة والفضيلة من هذا ؟

على ان هذا الفيلسوف لم يكن ماديا بل كان يشكو من انتصار المطامع المادية في البلاد الاوربية — حتى في بلاده — على الفضيلة كما حدثنا عنه شيخنا الاستاذ الامام . وانا نذكر في هذا المقام بعض ما دار بين حكيبي الشرق والغرب في زيارة الاول للثاني بداره في ١٠ اغسطس سنة ١٩٠٣ : بدأ المزور الزائر بسؤاله عما رأى من تغير الافكار في انكلترة وعما دخل الشرق من الافكار الاوربية ، وشكا اليه من سريان الافكار للمادية الى قومه وما يخشى من إضعافها للفضيلة، ثم دار بينهما ما يأتي قال الفيلسوف : الحق عند أوربة للقوة . قال الاستاذ الامام : هكذا يعتقد الشرقيون ، ومظاهر القوة هي التي حملت الشرقيين على تقليد الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منابها . قال الفيلسوف : محي الحق بالمرّة من عقول أهل أوربة وسترى الامم تحتبط بعضها ببعض ليتبين من هو الاقوى فيكون سلطان العالم .

(١) من الشواهد على هذا ما في مقالة (آراء الاميركيين في الحرب) المنشورة في جزء يناير سنة ١٩١٥ من المقتطف ، وأوضح منه مقالة لكاتب قصصي انكليزي كتبها لصديق له فرنسي ونشرت في المقطم

قال الاستاذ : عندي أمل ان هم الفلاسفة واجتهادهم في تقرير مبادئ الحق يحول دون ذلك . فقال الفيلسوف كلاما يدل على يأسه من ذلك . وقد كتب الاستاذ في مذكرته بعد الاشارة الى هذه المذاكرة مانصه :

« ماذا حركت مني كلمة الفيلسوف « الحق للقوة » الخ ؟ جاءت منه مصحوبة بشعاع الدليل فأثارت حرارة وهاجت فكرا ، لوجأت من ثرثار غيره كانت تأتي مقتولة ببرد التقليد ، فكانت (تكون) حيفة تعافها النفس فلا تحرك الاشمئزازا وغشيانا » هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيرا مما يفيد في راحة الانسان وتوفير راحته وتغذير نعمته (أعجزهم) ان يكتشفوا طبيعة الانسان ويعرضوها على الانسان حتى يعرفها فيعود اليها ، هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كان من الحديد اللامع المضيء ، افلا يتيسر لهم ان يجلبوا ذلك الصدا الذي غشي الفطرة الانسانية وبصقلوا تلك النفوس حتى يعود لها لمعانها الروحاني ؟ حار الفيلسوف في حال أوربا وأظهر عجزه مع قوة العلم فأين الدواء ؟ الرجوع الى الدين الخ الدين هو الذي كشف الطبيعة الانسانية وعرفها الى أربابها في كل زمان لكنهم يعودون فيجهلونهم ، اه الظاهر ان الاستاذ كان يريد ان يتوسع في هذا الموضوع كما يشير الى ذلك قوله في مذكرته « الخ » ولعله كان ينتظر فرصة مناسبة للمقام سواء كانت عملية كهذه الحرب أو قولية كقال ينشر في الصحف في تفضيل المدنية المادية على المدنية الدينية فيكتب مقالاتا يبين فيه الحق ويزيل فيه الالتباس مؤيدا بالحكمة الصحيحة وشواهد التاريخ ، وقد بينا شيئا من المقابلة بينها وبين المدنية الاسلامية في المقالة التي أشرنا اليها آنفا ان أصحاب النظر والاستقلال من هؤلاء العشاق للمدنية المادية — وقليل ما هم — كانوا يفرقون في حسن الظن بالمدنية المادية وبأهلها إغراقا بعنهم على الجزم بأن فكرة الحرب قد قضى عليها في أوربة قضاء مبرما فلن توقد لها هنالك نار ، وكانوا يقولون : ان وجد من الملوك والرؤساء من يسعى لها سعيها ، ويحاول ان يقدح لها زندهاء ، فان شعبه هو الذي يضرب على يده ، ويفت في عضده ، وقد كنا نختلف هؤلاء في الرأي ، ومنهم من هو أعلم منا بحال القوم ، ولكن رأيهم في ذلك خالف رأي من هو أعلم منا ومنهم بحال أوربة وفلسفتها . الا وهو شيخ فلاسفتها الاكبر ، هربرت سبنسر

كان أولئك المحسنون للظن ، من ذوي الاستقلال في الرأي ، لا ينكرون كالمقلدين سيئات هذه المدنية المادية ، ولكنهم يقولون إنها إذا قيسَت بسيئات المدنية الدينية كانت أقل منها وأخف ضررا ، ونحن نخالفهم في هذا أيضا ، ونقول ما كل سيئات المدنية القديمة صادرة عن الدين والفلسفة الروحية ، وما كل حسنات المدنية الحديثة صادرة عن الاتحاد والفلسفة المادية . ولا تضاد بين العلوم والأعمال المدنية ، وبين العقائد والأعمال الدينية ، وإنما نعني بالمدنية المدنية المذمومة ما كان مبنيا على جهود حياة بعد هذه الحياة الدنيا ، وحصر ثمرات أعمال البشر في التمتع بالذات الدنيوية من طعام وشراب وفرش وزينة ورياسة — ونعني بالمدنية الدينية ما كان مبنيا على أن للإنسان حياتين يجب عليه أن يأخذ حظه من أولاهما الدنيا المعروف ويستعد فيها للآخرى بالعمل الصالح ، على حد قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين) فان أصول الدين التي دعا إليها الرسل هي الثلاثة المنصوصة في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) من البديهي ان من لم يكن له حظ من وجوده الا التمتع بالذات الدنيا وزينتها لا يكون لهم من حياته الا تحصيل المال والجاه الموصل اليها بحق أو بغير حق ، وان الحق يكون عنده تابعا للقوة دون العكس ، فان وجد في أهل هذه المدنية المادية من يعترف بحق لضعيف فانما يعترف به لمنفعة يراعيها ، أو لمفسدة يتقيها ، ولو تنازع أقوياء هؤلاء على الضعفاء ، لما سلم ضعيف من الايذاء ، وقد كان من المصالح جعل بعض الدول الصغيرة في أوربة حاجزا بين الكبيرة المتعادية منها ، وتعاهدوا على ان تكون حرما آمنا لا يجنى عليها ، ولكنهم لم يرعوا هذه العهود ولا غيرها عند حاجتهم الى نقضها في هذه الحرب ، والدين لا يبيح ذلك . قال تعالى في العهود بين المسلمين والمشر كين (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) وقال في المؤمنين الذين لم يهاجروا الى النبي (ص) (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير)

الألقاب

بحث لغوي تاريخي في الألقاب الرسمية وغير الرسمية

منقول من الفصل الثاني من الباب الاول من المقالة الثالثة من الجزء الخامس من كتاب صبح الاعشي وللسلام فيه طرفان - قال :

الطرف الاول في أصول الألقاب وفيه جملتان

(الجملة الاولى في معنى اللقب والنعت ، وما يجوز منه ويمتنع)

أما اللقب فأصله في اللغة النبز - بفتح الباء ، قال ابن حُاجب النعمان في « ذخيرة الكتاب » : والنبز ما يخاطب به الرجل الرجل من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب اليه من كشفه ، وليس من باب الشتم والقذف

وأما النعت فأصله في اللغة الصفة . يقال : نعته ينعته نعتا اذا وصفه . قال في « ذخيرة الكتاب » : وهو متفق على أنه ما يختاره الرجل ويؤثره ويزيد في اجلاله ونباهته ، بخلاف اللقب . قال : لكن العامة استعملت اللقب في موضع النعت الحسن ، وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم اياه ، حتى وقع الاتفاق والاصطلاح على استعماله في التشريف والاجلال والتعظيم والزيادة في النباهة والتكرمة

قلت : والتحقيق في ذلك أن اللقب والنعت يستعملان في المدح والذم جميعا فن الألقاب والنعوت ما هو صفة مدح ومنها ما هو صفة ذم . وقد عرفت النحاة اللقب بأنه ما أدى الى مدح أو ذم ، فالموذي الى المدح كأمير المؤمنين ، وزين العابدين ؛ والموذي الى الذم كأنف الناقة وسعيد كرزوما أشبه ذلك ؛ والنعت تارة يكون صفة مدح ، وتارة يكون صفة ذم ، ولا شك أن المراد ههنا من اللقب والنعت ما أدى الى المدح دون الذم . وقد اصطاح الكتاب على أن سموا صفات المدح التي يوردونها في صدور المكاتبات ونحوها بصيغة الافراد كالامير والاميري

(المجلد الثامن عشر)

(٩٥)

(المنار: ج ١٠)

والاجل والاجلي والكبير والكبيري ونحو ذلك ألقابا . وصفات المدح التي يوردونها على صورة التركيب ، كسيف أمير المؤمنين وظهير الملوك والسلطين ، ونحو ذلك نعوتا . ولا معنى لتخصيص كل واحد منها بالاسم الذي سموه به الا مجرد الاصطلاح ، ولا نزاع في اطلاق اللقب والنعوت عليهما باعتبارين : فمن حيث انها صفات مؤدية الى المدح يطلق عليها اسم اللقب ، ومن حيث انها صفات لذوات قائمة بها يطلق عليها اسم النعت

وأما ما يجوز من ذلك ويمتنع ، فالجائز منه ما أدى الى المدح مما يحبه صاحبه ويؤثره ، بل ربما استحب ، كما صرح به النووي في «الاذكار» للاتفاق على استعماله قديما وحديثا . والممتنع منه ما أدى الى الذم والنقيصة مما يكرهه الانسان ولا يحب نسبته اليه ، قال النووي : وهو حرام بالاتفاق ، سواء كان صفة له ، كالاعمش ، والاجلح ، والاعمى ، والاحول ، والابرص ، والاشج ، والاعمفر ، والاحدب ، والاصم ، والازرق ، والاشتر ، والاثرم ، والاقطع ، والزمن ، والمقعد ، والاشل ، وما أشبه ذلك ؛ أو كان صفة لأبيه : كابن الاعمى ، أو لأمه : كابن الصورا ، ونحو ذلك مما يكرهه قال تعالى (ولا تبايزوا بالآلقاب بئس الآسمُ الفسوقُ بعد الايمان) قال : وانفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه الا بذلك ، ودلائل ذكره كثيرة مشهورة ، وهو أحد المواضع التي تجوز فيها الغيبة

الجملة الثانية في أصل وضع الألقاب والنعوت المؤدية الى المدح

واعلم أن القاب المدح ونعوته لم تزل واقعة على أشرف الناس وجلة الخلق في القديم والحديث ، فقد ثبت تلقيب ابراهيم عليه السلام بـ«الخليل» وتلقيب موسى عليه السلام بـ«الكليم» وتلقيب عيسى عليه السلام بـ«المسيح» وتلقيب يونس عليه السلام بـ«ذي النون» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقب قبل البعثة بـ«الامين» ووردت التواريخ بذكر ألقاب جماعة من العرب في الجاهلية : كذي يزن ، وذو المنار ، وذو نواس ، وذو رعين ، وذو جدن ، وغيرهم مما هو مشهور شائع .

وكذلك وقعت ألقاب المدح على كثير من عطاء الاسلام واشرافه كالصحابه رضوان الله عليهم فمن بعدهم من الخلفاء والوزراء وغيرهم ؛ فكان لقب أبي بكر « عتيقا » ثم لقب بـ « الصديق » بعد ذلك ، ولقب عمر « الفاروق » ولقب عثمان « ذا النورين » ولقب علي « حيدرة » ولقب حمزة بن عبد المطلب « أسد الله » ولقب خالد بن الوليد « سيف الله » ولقب عمرو^(١) بن عمرو « ذا اليدين » ولقب مالك بن النسيان الانصاري « ذا السيفين » ولقب خزيمه بن ثابت الانصاري « ذا الشهادتين » ولقب جعفر بن أبي طالب بعد استشهاده « ذا الجناحين »

وأما الخلفاء ، فخلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم ، فلما صارت الخلافة الى بني العباس وأخذت البيعة لابراهيم بن محمد لقب بـ « الامام » ثم تلقب من بعده من خلفائهم : فتلقب محمد بن علي بـ « السفاح » لكثرة ماسفح من دماء بني أمية. واختلف في لقبه بالخلافة ، ف قيل « القائم » وقيل « المهدي » وقيل « المرتضى » وألقاب الخلفاء بعده والى زماننا معروفة مشهورة على ما مر ذكره في المقالة الثانية. وعلى ذلك كانت القاب خلفاء بني أمية بالاندلس الى حين انقراضهم على ما هو مذكور في مكاتبة صاحب الاندلس ، على ما سيأتي في المكاتبات في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى ثم تعدت ألقاب الخلافة الى كثير من ملوك الغرب بعد ذلك ، وتلا الخلفاء في الالقاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعد ذلك ، فلقب أبو سلمة الخلال وزير السفاح بـ « وزير آل محمد » ولقب المهدي وزيره يعقوب بن داود بن طهمان « الاخ في الله » ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره « ذا الكفائيتين » ولقب أخاه الحسن بن سهل « ذا الرياستين » ولقب المعتمد على الله وزيره صاعد ابن مخلد « ذا الوزارتين » اشارة الى وزارة المعتمد والموفق ، وكان لقب اسماعيل ابن بلبل الشكور « الناصر لدين الله » كألقاب الخلفاء

وكذلك وقع التلقب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش ، فتلقب أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة بـ « أمير آل محمد » ، وقيل « سيف آل محمد » وتلقب أبو الطيب طاهر بن الحسين بـ « ذي اليمنين » ولقب المعتمد بالله حيدر

(١) في كتب اللغة والحديث ان اسمه الخرباق فلعل فيه خلافا

ابن كاووس بـ «الافشين» لانه أشروسني ، والافشين لقب على الملك بأشروسنة .
 ولقب اسحاق بن كيداح أيام المعتمد بـ «ذي السيفين» ولقب مؤنس في أيام
 المقندر بـ «المظفر» ولقب سلامة أخو نوح أيام القاهر بـ «المؤمن» ولقب أبو بكر
 ابن محمد بن طنجج^(١) الراضي بالله بـ «الاشيد» والاشيد لقب على الملك بفرغانة
 ثم وقع التلقب بالاضافة الى الدولة في أيام المكتفي بالله ، فلقب المكتفي
 أبا الحسين^(٢) بن القاسم بن عبيد الله « ولي الدولة » وهو أول من لقب بالاضافة
 الى الدولة ، ولقب المقندر بالله علي بن أبي الحسين^(٢) المتقدم ذكره « عميد الدولة »
 ووافت الدولة البويهية أيام المطيع لله والامر جار على التلقب بالاضافة للدولة
 فافتتحت ألقاب الملوك بالاضافة الى الدولة ، فكان أول من لقب بذلك من الملوك
 بنو بويه الثلاثة : فلقب أبو الحسن علي بن بويه بـ «عماد الدولة» ولقب أخوه
 أبو علي الحسن بـ «ركن الدولة» وأخوها أبو الحسين بـ «معز الدولة» ثم وافى
 [عضد الدولة] من بعدهم فاقترح أن يلقب بـ «تاج الدولة» فلم يجب اليه وعدل
 به الى «عضد الدولة» فلما بذل نفسه للمعاونة على الاتراك ، اختار له أبو اسحق
 الصابي صاحب ديوان الانشاء « تاج الملة » مضافا الى عضد الدولة ، فكان يقال
 «عضد الدولة وتاج الملة» ولقب أبو محمد الحسن بن حمدان أيام المتقي لله
 «ناصر الدولة» ولقب أخوه أبو الحسن علي بن حمدان « سيف الدولة »
 وبقي الامر على التلقب بالاضافة الى الدولة الى أيام القادر بالله فافتتح التلقب
 بالاضافة الى الدين . وكان أول من لقب بالاضافة اليه أبو نصر بهاء الدولة بن
 عضد الدولة بن بويه ، زيد على لقبه بهاء الدولة « نظام الدين » فكان يقال
 « بهاء الدولة ونظام الدين » قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقب به وأفرط ،
 حتى دخل فيه الكتاب والجند والاعراب والاكرد ، وسائر من طلب وأراد ،
 وكره (?) حتى صار لقباً على الاصل . ولا شك أنه في زماننا قد خرج عن الحد حتى
 تعاطاه أهل الاسواق ومن في معانهم ، ولم تصر به ميزة الكبير على صغيره ، حتى قال قائلهم
 (١) معنى طنجج عبد الرحمن كما في ابن خلكان (٢) لم يذكر في الضوء لفظ
 الاب في المحليين

طلع الدين مستغيثا الى الله وقال : العبادُ قد ظلموني !

يتسمون بي ، وحقت لا أعرف منهم شخصا ولا يعرفوني !

أما الديار المصرية فكان جريهم في الالقاب على ما ينتهي اليهم خبره من ألقاب الدولة العباسية ببغداد ، فتلقب خلفاء الفاطميين بها بنحو القاب خلفاء بني العباس ببغداد ، فكان لقب أول خلفائهم بها « المعز لدين الله » وثانيهم بها « العزيز بالله » وعلى ذلك الى أن كان لقب آخرهم « العاضد لدين الله » على ما تقدم في المقالة الثانية في الكلام على ملوك الديار المصرية

وتلقب وزراؤهم وكتابهم بالاضافة الى الدولة ، وممن لقب بذلك في دولتهم [ولي الدولة] بن أبي كدينة وزير المستنصر ، وأيضا [ولي الدولة] بن خيران كاتب الانشاء المشهور . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالي تلقب بـ « أمير الجيوش » . ثم تلقب الوزراء بعده بنحو [الفضل] و [المأمون] . ثم تلقبوا بالملك الفلاني ، كـ « الملك الفضل » و « الملك الصالح » ونحو ذلك على ماسأني بيانه ان شاء الله تعالى وكان الكتاب في أواخر الدولة الفاطمية الى أثناء الدولة الايوبية يلقبون بـ « الفضل والرشد والعماد » وما أشبه ذلك . ثم دخلوا في عموم التلقب بالاضافة الى الدين ، واختص التلقب بالاضافة الى الدولة كولي الدولة بكتاب النصارى ، والامر على ذلك الى الآن

الطرف الثاني في بيان معاني الالقاب وفيه تسع جل

الجملة الاولى في الالقاب الخاصة بآرباب الوظائف المعتمدة التي بها انتظام أمور المملكة وقوامها ، وهي قسمان (القسم الاول) الالقاب الاسلامية وهي نوعان : (النوع الاول) الالقاب القديمة المتداولة الحكم الى زماننا ، وهي صنفان :

الصنف الاول ألقاب آرباب السيوف ، وهي سبعة ألقاب

الاول — الخليفة . وهو لقب على الزعيم الاعظم القائم بأمر الأمة ، وقد اختلف في معناه ، فقيل : انه فعيل بمعنى مفعول ، كجريح بمعنى مجروح ، وقيل بمعنى مقتول ويكون المعنى انه يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى (اني جاعل في الارض

خليفة) على قول من قال: ان آدم عليه السلام أول من عمر الأرض وخلفه بنوه من بعده. وقيل: فعيل بمعنى فاعل، ويكون المراد أن يخلف من بعده^(١) وعليه حمل الآية من قال انه كان قبله في الأرض الجن وانه خلفهم فيها، واختاره النحاس في [صناعة الكتاب] وعليه اقتصر البغوي في [شرح السنة] والماوردي في «الاحكام السلطانية» قال النحاس: وعليه خوطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخليفة رسول الله وقد أجازوا أن يقال في الخليفة: خليفة رسول الله، لانه خلفه في أمته. واختلفوا هل يجوز أن يقال فيه خليفة الله؟ فجوز بعضهم ذلك لقيامه بحقوقه في خلقه محتجين بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك محتجين بأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت والله تعالى باق موجود الى الابد لا يغيب ولا يموت، ويؤيد ما نقل عن الجمهور بما روي أنه قيل لابي بكر رضي الله عنه: يا خليفة الله. فقال: لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: يا خليفة الله - فقال: ويلك! لقد تناولت متاولا بعيدا! ان أمي سمتني عمر، فلو دعوتني بهذا الاسم قلت، ثم كبرت فكنت أبا حفص، فلو دعوتني به قلت، ثم وليتموني أموركم فسميتموني أمير المؤمنين، فلو دعوتني به كفاك. وخص البغوي جواز اطلاق ذلك بآدم وداود عليهما السلام، محتجا بقوله تعالى في حق آدم (اني جاعل في الأرض خليفة) وقوله في حق داود (ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض) ثم قال: ولا يسمى أحد خليفة الله بعدها. قال في [شرح السنة] ويسمى خليفة وان كان مخالفا لسيرة أئمة العدل ثم قد كره جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل اطلاق اسم الخليفة على ما بعد خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره، محتجين بحديث «الخلافة بعدي ثلاثون» يعني ثلاثين سنة، وكان انقضاء الثلاثين بانقضاء خلافة الحسن، ولما انقضت الخلافة صارت ملكا. قال المعافى بن اسماعيل في تفسيره: وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل طلحة والزبير وكعبا وسلمان عن الفرق بين الخليفة والملك - فقال طلحة والزبير: لا ندري. فقال

(١) كذا في الضوء أيضا وفي نسخة أخرى والا ظهر من قبله

سلمان : الخليفة الذي يعدل في الرعية ، ويقسم بينهم بالسوية ، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده ؛ ويقضي بينهم بكتاب الله تعالى . فقال كعب : ما كنت أحسب أن في هذا المجلس من يفرق بين الخليفة والملك ، ولكن الله أهدى لهم سلمان حكما وعلما

واختلف في الهاء في آخره : فقيل أدخلت فيه للمبالغة كما أدخلت في رجل داهية وراوية وعلامة ونسابة وهو قول الفراء ، واستحسنه النحاس ناقلا له عن أكثر النحويين ، وخطأه علي بن سليمان محتجا بأنه لو كان كذلك لكان التأنيث فيه حقيقيا . وقيل : الهاء فيه لتأنيث الصيغة . قال النحاس : وربما أسقطوا الهاء منه وأضافوه فقالوا « فلان خليف فلان » يعنون خليفته

ثم الاصل فيه التذكير نظرا للمعنى لأن المراد بالخليفة رجل وهو مذكر ، فيقال أمر الخليفة بكذا على التذكير . وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على لفظ خليفة فيقال أمرت الخليفة بكذا ، وأنشد الفراء : « أبوك خليفة ولدته أخرى »

ومنه البصريون محتجين بأنه لو جاز ذلك لجاز [قالت طلحة] في رجل اسمه طلحة وهو ممتنع . فإن ظهر اسم الخليفة تعين التذكير باتفاق فتقول قال أبو جعفر الخليفة أو : قال الرازي الخليفة ونحو ذلك . وجمع على خلفاء ككريم وكرماء ، وعليه ورد قوله تعالى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) وعلى خلائف كصحيفة وصحائف ، وعليه جاء قوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) والنسبة اليه خلفي كما ينسب الى حنيفة حنفي . وقول الامامة درهم خليفتي ونحوه خطأ ، اذ قاعدة النسب أن يحذف من المنسوب اليه الياء وهاه التأنيث على ما هو مقرر في علم النحو . ومنهم في ذلك المقر الشهابي بن فضل الله رحمه الله في كتابه [التعريف] حيث قال : وأول ما نبدأ بالمكائبة الى الابواب الشريفة الخليفية ، ولعله سبق قلم منه ، والا فالسألة أظهر من أن يجهلها أو تخفى عليه

الثاني -- الملك . وهو الزعيم الاعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة ، وقد نطق القرآن بذكره في غير موضع كما في قوله تعالى (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وقال الملك اثنتوني به (الى غير ذلك من الآيات ، ويقال فيه ملك بكسر اللام

وملك باسكانها ومليك بزيادة ياء ، ومنه قوله تعالى (عند ملك مقتدر) قول الجوهري : والمملك مقصور من ممالك أو ممالك ، ويجمع على ملوك وأملاك . ويقال لموضع الملك المملكة

الثالث - السلطان . وهو اسم خاص في العرف العام بالملوك . ويقال : ان أول من لقب به [خالد بن برمك] وزير الرشيد ، لقبه به الرشيد تعظيما له ، ثم انقطع التلقب به الى أيام بني بويه فتلقب به ملوكهم فمن بعدهم من الملوك السلاجقة وغيرهم وهلم جرا الى زماننا

وأصله في اللغة الحجة قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان) يعني من حجة . وسمي السلطان بذلك لانه حجة على الرعية يجب عليهم الاتقياد اليه

واختلف في اشتقاقه : فقيل انه مشتق من السلاطة وهي القهر والغلبة ، لقهره الرعية واتقيادهم له ، وقيل مشتق من السليط ، وهو الشيرج في لغة أهل اليمن لانه يستضاء به في خلاص الحقوق ، وقيل من قولهم لسان سليط أي حاد ماض لمضي أمره ونفوذه . وقال محمد بن يزيد البصري : السلطان جمع واحد سليط كقفيز وقفزان ، وبمير وبعران

وحكى صاحب [ذخيرة الكتاب] أنه يكون واحدا ويكون جمعا ، ثم هو يذكر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحجة . وحكى الكسائي والفراء على التأنيث عن بعض العرب : قضت به عليك السلطان . قال العسكري في كتابه [الفروق] في اللغة : والفرق بينه وبين الملك أن الملك يختص بالزعيم الأعظم ، والسلطان يطلق عليه وعلى غيره . وعلى ما ذكره العسكري عرف الفقهاء في كتبهم ، اذ يطلقونه على الحاكم من حيث هو حتى على القاضي فيقولون فيمن ليس لها ولي خاص يزوجها السلطان ونحو ذلك . ومن حيث ان السلطان أعم من الملك يقدم عليه في قولهم السلطان الملك الفلاني ، ليقع السلطان أولا على الملك وعلى غيره ثم يخرج غير الملك بعد ذلك بذكر الملك

الرابع - الوزير . وهو المتحدث للملك في أمر مملكته . واختلف في اشتقاقه : فقيل مشتق من الوزر بفتح الواو والزاي وهو الملجأ ، ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر)

سمي بذلك لان الرعية يلجئون اليه في حوائجهم ، وقيل مشتق من الاوزار وهي الامتعة ، ومنه قوله تعالى (ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم) سمي بذلك لانه متقلد بخزائن الملك وأمتعته ، وقيل مشتق من الوزر بكسر الواو واسكان الزاي وهو الثقل ، ومنه قوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) سمي بذلك لانه يتحمل أثقال الملك ، وقيل مشتق من الازر : وهو الظهر ، سمي بذلك لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر . وتكون الواو فيه على هذا التقدير منقلبة عن همزة . وقد أوضحت القول في ذلك في [النفحات النثرية في الوزارة البدرية] قال القاضي في [عيون المعارف في أخبار الخلائف] وأول من لقب بالوزارة في الاسلام أبو سلمة حفص بن سلمان الخلال وزير السفاح . قال : وإنما كانوا قبل ذلك يقولون كاتب . ثم هو إما وزير تفويض : وهو الذي يفوض الامام اليه تدبير الامور برأيه وامضاءها على اجتهاده كما كانت الوزراء بالديار المصرية من لدن وزارة بدر الجمالي والى حين انقراضها ، واما وزير تنفيذ : وهو الذي يكون وسيطا بين الامام والرعايا معتمدا على رأي الامام وتديره . وهذه هي التي كان أهل الدولة الفاطمية يعبرون عنها بالوساطة . أما الوزارة في زماننا فقد تقاصرت عن ذلك كله حتى لم يبق منها الا الاسم دون الرسم . ولم تزل الوزارة في الدول تتردد بين أرباب السيوف والاقلام تارة وتارة الا أنها في زماننا في أرباب الاقلام

الخامس — الأمير . وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك ممن يوليه الامام وأصله في اللغة ذو الامر وهو فاعل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى آمر ، سمي بذلك لامتنال قومه أمره . يقال : أمر فلان . اذا صار أميراً ، والمصدر الامرة والامارة بالكسر فيهما ، والتأمر تولية الأمير ، وهي وظيفة قديمة

السادس — الحاجب . وهو في أصل الوضع عبارة عن يبلغ الاخبار من الرعية الى الامام ويأخذ لهم الاذن منه ، وهي وظيفة قديمة الوضع كانت لا ابتداء الخلافة فقد ذكر القاضي في [عيون المعارف] لكل خليفة حاجبا من ابتداء الامر والى زمانه : فذكر أنه كان حاجب أبي بكر الصديق رضي الله عنه « شديدا »

مولاه ، وحاجب عمر « يرفاً » مولاه، وحاجب عثمان « حمران » مولاه، وحاجب علي « قنبرا » مولاه، وعلى ذلك في كل خليفة ، ماعدا الحسن بن علي رضي الله عنهما فإنه لم يذكر له حاجبا ، وسمي الحاجب بذلك لأنه يحجب الخليفة أو الملك عن يدخل اليه بغير إذن . قال زياد لحاجبه « وليتك حجابي وعزلتك عن أربع : هذا المنادي الى الله في الصلاة والفلاح فلا تعوجنه عني ولا سلطان لك عليه ، وطارق الليل فلا تحجبه فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء في تلك الساعة ، ورسول الثغر فإنه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة، فأدخله عليّ وان كنت في لحافي، وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد »

ثم تصرف الناس في هذا القلب ووضعوه في غير موضعه ، حتى كان في أعقاب خلافة بني أمية بالاندلس ربما أطلق على من قام مقام الخليفة في الامر ، وكانوا في الدولة الفاطمية بالديار المصرية يعبرون عنه بصاحب الباب كما سبق بيانه في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب دولتهم . أما في زماننا فإنه عبارة عن يقف بين يدي السلطان ونحوه في الموابك ، ليلبغ ضرورات الرعية اليه ، ويركب أمامه بعضا في يده، ويتصدى لفصل المظالم بين المتداعين خصوصا فيما لا تسوغ الدعوى فيه من الامور الديوانية ونحوها . وله ببلاد المغرب والاندلس أوضاع تخصه في القديم والحديث ، على ما سيأتي ذكره في الكلام على مكاتباتهم في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

السابع — صاحب الشرطة . بضم الشين المعجمة واسكان الراء : وهو المعبر عنه في زماننا بالوالي ، وتجمع الشرطة على شرط بضم الشين المعجمة وفتح الراء . وفي اشتقاقه قولان : أحدهما انه مشتق من الشرط بفتح الشين والراء وهي العلامة، لانهم يجعلون لانفسهم علامات يعرفون بها ؛ ومنه أشرط الساعة يعني علاماتها ، وقيل من الشرط بالفتح أيضا : وهو رُذال المال ، لانهم يتحسّدثون في أرادل الناس وسفلتهم ممن لا مال له من اللصوص ونحوهم .

مَدِينَةُ
دَارُ الدِّعْوَةِ وَالْإِنْتِشَارِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٢

الهيضة - أو الكوليرا Cholera

داء وبيل ، سريع الانتشار ، وأوبئته تقتك بالام فتكا ذريعا
وكلمة كوليرا من كلمة يونانية معناها المِرة (وهي افراز الكبد المعروف الآن
بالصفراء) لان القيء والبراز يشتملان في أول الامر على الصفراء ، ويسمى هذا
المرض باللغة العربية [الهيضة] ويسميه المتأخرون من العرب بـ [الهواء الأصفر]
لانهم توهموا أنه ينشأ من تغير في الجو أو الهواء
ومنبع هذا الداء بلاد الهند بأسية ولذلك يسمى بالهيضة الآسيوية ومنها انتشر
في أقطار المسكونة ، وقد دخل مصر عدة مرات

الاسباب — لهذا المرض ميكروب خاص يشبه الضمة اكتشفه (كوخ) سنة
١٨٨٣ وهو لا يصيب عادة غير الانسان. طول هذا الميكروب [ميكرون] واحد أو
اثنان . وقد يجتمع منه اثنان فأكثر فيتألف منهما حارون ، وهو متحرك وله هذب
واحد غالبا في أحد طرفيه ولا حبيبات له وانما يتوالد بالانقسام
يوجد هذا الميكروب في براز المصابين وقد يوجد أحيانا في القيء أيضا ولا
يوجد في الدم ولا في الاعضاء ولا الانسجة وقد يستمر خروجه مع البراز حتى بعد
الشفاء بمدة ، وهو يسكن في الامعاء وأغشيتها المخاطية . وبعد الوفاة قد يوجد في جميع
أجزاء الجسم لانه ينفذ من الامعاء اليها

يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غبره ، والجفاف التام يقتله . وقد يعيش في الطين الرطب الى ٦٨ يوما ، وفي ماء الشرب عدة أشهر ، وفي البراز عدة أسابيع وحامض العصير المعدي يقتله ، ولكن هذا العصير لا يفرز إلا مع وجود الطعام فاذا شرب الانسان ماءً على الجوع خيف عليه العدوى لعدم وجود هذا الحامض حينئذ فيصل الميكروب الى الامعاء . وأمراض الجهاز الهضمي أو اضطراباته تهيئ المرء لقبول العدوى به

ولا يميز هذا الداء بين الذكر والأنثى ويصيب الناس في جميع الأعمار . والفاقة والضعف والادمان على الخمر مما يهيئ له وكذلك الإفراط في الطعام الكثير . ويكثر انتشاره في فصلي الخريف والصيف ، ولكن البرد يوقف سيره والاصابة به مرة تحمي غالبا من الاصابة به ثانية

ولا يصل هذا الداء الى الانسان الا بطريق القناة الهضمية فهو في ذلك كالحمى التيفودية سواء بسواء . ومما ينقله الى الطعام أو الشراب الذباب والنمل وغيرها

الاعراض — مدة التفريخ هي يومان عادة أو ثلاثة أيام ، وقد تكون أكثر من ذلك أو أقل

وقد يسبق جميع الاعراض إسهال أو يصاب المرء بمخمول وصداق ودوار وطنين وغير ذلك ، وتستمر هذه الحالة يوما أو اثنين أو ثلاثة ثم يشتد الاسهال دفعة واحدة وتزول الصفراء من البراز فيصير لونه كحساء الارز (أي مرق الارز المغلي) وتسمع في بطن المصاب قراقر كثيرة قلما يكون معها ألم . وبعد الاسهال بساعة أو أكثر يتبدى القيء فلا يبقى في المعدة شيء . ويصير لونه كلون البراز أي كحساء الارز أيضا ، ويشتد العطش ويجف اللسان ويبيض ويتألم المريض من جس معده ويصاب بتقلص مؤلم جدا في عضلات الساقين والقدمين أو الايدي والجذع (أي باقي الجسم) ثم يصاب المرء بالهمود (الهبوط) فيبرد الجسم ويزرق ، وتغور العينان ، ويبرد النفس وتنخفض الحرارة ويسرع النبض ويضعف جدا ولا يقدر المريض على الكلام ويزول الاسهال غالبا ولكن القيء يستمر ، ويقل إفراز البول أو ينقطع مطلقا لشدة ضعف الدورة الدموية ولنقص مائة الجسم بالقيء والاسهال . وكثيرا ما يموت المصاب في هذا الطور

فإذا جاوزه ترتفع الحرارة تدريجياً ويعود لون الجلد الى أصله وترتفع العينان بعد الغرور ويتحسن النبض ويفرز البول ويزول الخطر شيئاً فشيئاً حتى يشفى المريض المضاعفات والعواقب كثيرة — منها : الالتهاب الرئوي أو الپليوراوي وموت بعض الأجزاء (غفرينا) وسقوطها كالصفن والقضيب أو الأنف، وظلمة القرنية وتقرحها الانذار — تختلف الوفيات من ٤٠ -- ٦٠ في المئة . والمرض شديد الخطر على الصغار والشيوخ ومن كان ضعيف البنية أوسكيرا المعالجة — عند ظهور أعراض المرض الأولى تعطى الادوية القابضة وأحسنها الأفيون

فإذا اشتد الاسهال والقيء وألم الساقين حقن المريض بالمورفين^(١) تحت الجلد وأعطى قطعاً صغيرة من الثلج لمصها أما في طور الهبوط فيعطى المنعشات المنبهات وما يملأ العروق مما سبق ذكره في باب النزف (صفحة ٥٥ من الجزء الاول) إما حقناً تحت الجلد أو في الشرج أو في الاوردة وإما شراباً ، ويدفأ تدفئة جيدة بزجاجات الماء الساخن والاعطية الثقيلة وبالدلك للأطراف

وقد وجد الماجور [ليونارد روجس Leonard Rogers] أن الحقن بمحلول ملحي في الاوردة واعطاء البرمنجنات من الفم قد قلل الوفيات الى ٢٣ في المئة . وفائدة هذا الحقن أن يزيل الهمود ويقوى القلب ويعوض الجسم ما فقد من الاملاح . وأما البرمنجنات فيظن أنها تؤكسد سموم ميكروب الكوليرا وبذلك تبطل عملها . وتركيب هذا المحلول الملحي هو ١٢٠ قحمة من ملح الطعام و ٦ قمححات من كلوريد البوتاسيوم و ٤ قمححات من كلوريد الكالسيوم ، تذاب كلها في نصف لتر من الماء العقيم ثم يحقن منها نحو لترين في أحد أوردة الذراع (أعني عرق الباسليك الاوسط وهو الاكل بالعرية) وتكفي عادة حقنة واحدة . فإذا عاد الهمود عدنا باخرى ، ولكن اذا كان الهمود قليلاً فالأولى الحقن تحت الجلد . ونكون حرارة الحقنة

(١) هو أهم الاصول الفعالة في الأفيون ، سمي بذلك من كلمة يونانية معناها « إله الاحلام » لانه يحدث نوماً مريحاً ، وأحلاماً لذيدة

أعلى بقليل جدا من حرارة الجسم الطبيعية
أما طريقة إعطاء البرمنجنات فهي أن يشرب المريض مقادير قليلة من محلول
برمنجنات الكلسيوم بنسبة نصف قمحة في كل ٥٠٠ جرام ماء وتزاد هذه النسبة
تدریجا الى ٤ أو ٦ قمحات

الوقاية — خير من العلاج ، وتكون بأمور :

(١) عزل المرضى وتطهير مواد قثهم وبرازهم وسائر ما يستعملونه من ملابس
وأنية وفراش الخ، وإلقاء تلك المواد حيث نأ من تلويثها لأي شيء آخر
(٢) غسل الأيدي قبل مس أي طعام وتطهير جميع ما يأ كاه الأصحاء أو
يشربونه أو يستعملونه في ذلك كاه من أواني وغيرها بالغلي وخصوصا ماء الشرب
فيجب غليه دائما ، ويجب تجنب التخمر وكل ما يفسد الهضم
(٣) إبادة الذباب والتمل ومنعهما من الوصول الى مفرزات المرضى ثم الى
طعام الأصحاء وشرايهم

(٤) عدم أكل شيء غير مطبوخ في زمن الوباء
(٥) عدم الإذن للناقلين بالاختلاط بغيرهم الا بعد خلوة مفرزاتهم من
الميكروب بأن يعلم ذلك بالبحث البكتيريولوجي الدقيق ، وبعد ذلك يستحمون
وتغلى ملابسهم ويلبسون غيرها جديدا . وكذلك يبحث عن [الحالة الاصحاء]
وهم الذين خالطوا بعض المرضى فوصل الميكروب الى أمعائهم ولم يصابوا بالمرض ،
فهؤلاء يعزلون وتطهر مفرزاتهم حتى تخلو من الميكروب
(٦) أن تدفن الموتى بعيدا جدا عن الاماكن المسكونة بشرط أن لا يتلوث بجثثهم
ماء الشرب أو غيره ، ويفتسل [المغسل] ويظهر يديه بالجلال المطهرة، وكذلك
تطهر ملابس به بالغلي

هذا ويرى بعض أئمة الدين وجوب الغسل بعد تغسيل الميت لما روي عن
النبي (ص) أنه قال «من غسل ميتا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ» ولعل المراد بالوضوء
هنا غسل اليدين كما في قوله (ص) «الوضوء قبل الطعام حسنة وبعد الطعام حسنة»
وهذا كله مما يوافق قواعد الصحة كل الموافقة . ومثل [المغسل] كل من قام بدفن

الميت أو بتمر يرضه قبل الوفاة فيجب عليه غسل يديه خصوصا قبل أكله
(٧) يعمل التلقيح الواقي لمن شاء بميكروبات الكوايرا حسب طريقة هافكين
[Haffkine] فيحقن أولا سنتيمتر مكعب وبعد أربعة أيام أو خمسة يحقن غيره
أقوى منه . ويصاب الانسان بعد الحقن بصداع وحُمى وانحطاط مدة ثلاثة أيام
أو أربعة عقب كل حقنة منهما . وما قيل في عيب الحقن الواقي من التفود يقال
مثله هنا أيضا

الكزاز — التيتانوس Tetanus

التيتانوس كلمة يونانية معناها التشنج أو التقلص وهو اسم داء يسمى بالعربية
[الكزاز]

ينشأ هذا الداء من باسيل مخصوص يوجد في الطين وغيره كأوساخ الحدائق
والاسطبلات ، طوله ٤ الى ٥ ميكرونات ونحنه ٠.٥ من الميكرون وله أهداب ،
غير أنه قليل الحركة . ولا ينمي في جوّ فيه أثر من الأكسجين الخالص . ويتكون
في داخله حبيبات عند أحد طرفيه وهي كروية الشكل وأغلظ منه حتى شبه العلماء
هذا الميكروب عند تكون الحبيبة بمطرقة الطبل

الاسباب — يصيب هذا المرض الانسان في جميع الاعمار حتى الاطفال الرضع
عقب ولادتهم بقليل . وهو كثير الحصول في البلاد الحارة . والجنس الأسود أو
الأسمر أكثر عرضة له من غيرها . وأهم سبب لدخول الميكروب في الجسم إنما
هو الجرح أو السحج صغيرا كان أو كبيرا حتى ولو كان كوخز الابرة
أما إصابة الاطفال الرضع به فسيبها الغالب قذارة ما يقطع به الحبل السري ،
أو تعرض السرة لشيء قذر

وقد يصيب بعض الناس بدون أن تشاهد في أجسامهم إصابة ، ولعل السبب
في ذلك دخول الميكروب من سحج بسيط جدا لم يلتفت اليه أحد أو دخوله من
بعض الأغشية المخاطية فقد شاهد بعض الباحثين حبيباته في رجيع الانسان وفي رجيع
الانعام والخيول وغيرها . والانسان والخيول أكثر الحيوانات إصابة به

وإذا دخل الميكروب من الجرح عاش حيث دخل مدة قصيرة ومات بعد بضعة أيام. وهو لا ينتشر في البذرة البتة، وغاية ما يمكنه الوصول إليه هو بعض الغدد اللعابية القريبة من الجرح. وجميع الاعراض إنما تنشأ من امتصاص سمومه. وحييات هذا الميكروب تعيش عدة سنين ولو جفت وتقاوم درجة ٨٠° ستجrad مدة ساعة ولكن درجة الغليان تقتلها بعد خمس دقائق وحامض الفينيك بنسبة $\frac{1}{10}$ لا يهلك هذه الحبيبات في أقل من ١٥ ساعة ولذلك يجب تطهير الآلات الجراحية بالغلي مدة طويلة حتى يؤمن شربه، فقد شوهد كثرة الاصابة بهذا الداء بعد عمل الخزام أو عقب الحقن تحت الجلد أو في العضلات خصوصا بمادة الكينين لتأثير هذه المادة في كريات الدم البيضاء واعاقها عن قتل هذا الميكروب فيجد بيئة صالحة لنموه لا سيما وان الأكسجين الخالص غير موجود في تلك البيئة

وسكان جزائر سليمان في المحيط الاعظم في الشمال الشرقي من استراليا قد عرفوا شيئا من هذه الحقائق، فلذلك يصنعون سهاماً ويغمسون طرفها في مادة ازجعة ثم يلوثونها بقذارة المستنقعات ويحففونها فتوجد فيها بذور هذا الميكروب اللعين فاذا أصابت شخصا كانت السبب في موته غالبا

الاعراض — بعد دخول هذا الميكروب في الجرح ببضعة أيام يشعر المريض بيبس في قفاه وفي فكيه بحيث يتعسر عليه المضغ أو أن يفتح فاه وقد تستمر هذه الحال يوما أو يومين، وقد ينتقل الى الطور الثاني بأسرع من ذلك، فتبيس عضلات الجذع ييبس شديدا وتبيس عضلات الاطراف ييبس قليلا ثم يشتد تيبس الظهر وانقباض عضلاته حتى يتقوس ويكون تعبيره الى الخلف، وتبيس كذلك عضلات البطن والصدر — حتى يتعسر التنفس — وعضلات الاطراف السفلى، وأما الاطراف العليا فيكون تيبسها حول الكتفين والمرفقين وتبقى حركة الاصابع ميسورة. وفي هذا الوقت يشتد تقلص الفكين حتى لا يمكن فتحها الا بشق الانف، ومع ذلك لا يمكن الفصل بينها بأكثر من $\frac{1}{4}$ بوصة. وتقلص كذلك عضلات الوجه حتى ينشأ من تقلصها ما يشبه الضحك، ويسمى هذا الضحك المؤلم عند الاطباء [ضحك سردينية] وهي تلك الجزيرة المشهورة في البحر الابيض المتوسط لوجود

عشب سام فيها يذهب العقل ويحدث تشنجا في عضلات الفم يشبه الضحك فإذا وصل المرض الى هذا الحد صار المريض عرضة لاشتداد تقلص العضلات كلما مسه أي شيء ولو أطراف الاصابع أو كلما هز سريره . ومدة اشتداد هذا التقلص لحظات يتعسر عدها بالثواني وفيها يخشى عليه من الاختناق . والفترات بين هذه النوب تكون من نصف ساعة الى ساعة أو أكثر وكلما طال المرض نقصت وازدادت شدة التقلصات . ويكون المريض في تلك الفترات متألما جدا من انقباض عضلاته، ويكون تنفسه عسيرا، وصوته ضعيفا، ونبضه صغيرا سريريا، ولكن حرارته تكون عادة طبيعية غير انها قد ترتفع ارتفاعا فاحشا قبيل الوفاة، وتستمر في الارتفاع حتى بعد الوفاة فتصل الى أكثر من ٤٣ درجة ويحتمس البول أيضا. ويكون احساس المريض طول مدة المرض على آتمة وكذلك عقله الا قبيل الوفاة فقد يعتريه الهذيان، وأكثر اصابات الكزاز (التي تانوس) تنتهي بالوفاة بعد يوم أو ١٢ يوما . وسبب الموت اما نهكة قوى المريض أو اختناقه لتشنج عضلات التنفس أو الخنجر أو طروء بعض المضاعفات عليه كالتهاب الرئوي أو الشعبي . وقد تطول الحياة الى ٣ أو ٤ أسابيع، وقد يشفى المريض

الانذار — عدد الوفيات في الاحوال ذوات الجرح نحو من ٩٠ ٪ وفي الاحوال التي لم يشاهد فيها جرح نحو من ٥٠ ٪ والكزاز من الامراض القتالة جدا خصوصا عقب الاجهاض أو الوضع . وكلما كان الجرح شديدا أو متسعا كان الامل في الحياة ضعيفا جدا

المعالجة — يوضع المريض في الفراش في مكان مظلم لاجرة فيه ولا صوت، ويفذى بالسوائل وإن اضطررنا الى تغذيته بأنبوبة من أنفه أو بالحقن الشرجية، والاحسن أن تدخل الانبوبة من بين أسنانه اذا كان بعضها مفقودا . ومن الاطباء من يقلع بعضها من أجل ذلك ولكنه عمل غير محمود

ومن الواجب تنظيف الجرح قبل كل شيء . وتطهيره طهارة تامة لكي تقتل أو نزيل بقدر الامكان تلك الميكروبات منه ؛ ولكن مما يوجب الاسف أن ظهور الاعراض دليل كاف على أن السم قد وصل الى المراكز العصبية واتحد بها

وتعطى المسكنات بمقادير كبيرة ومن أحسنها بروميد اليوتاسيوم والافيون أو المورفين . ومن الاطباء من ينشق المريض الكلوروفورم مرة أو مرتين في اليوم لتخديره حتى ترتخي عضلات الفكين وحينئذ يمكن تغذيته

وللكزاز مصل يستخرج بطريقة استخراج مصل الدفثيريا . وتجب المبادرة بحقه بمقادير كبيرة جدا فيحقن منه ١٠ آلاف الى ٢٠ ألف وحدة في الاوردة أو ١٠ آلاف الى ٥٠ ألف تحت الجلد . ويتكرر الحقن يوميا حتى تتحسن الحالة . ومن الناس من يحقن هذا المصل في النخاع أو في المخ بإحداث ثقب في عظام الجمجمة يسمى عند الجراحين بالتربنة [Trephining] ولكنه عمل عسير مشكوك في نفعه والسبب في عسر شفاء هذا المرض أن سم الميكروب يسرى في الاعصاب المحركة ويلتصق بالمراكز العصبية التصاقا شديدا بحيث يتعذر ازالته منها بعد تمكنه ، زد على هذا ان بعضه يدور في الدم ويصل معه الى المراكز العصبية أيضا

الوقاية — عقب إصابة أي شخص بأي جرح يجب تنظيفه جيدا ثم تطهيره بكل الوسائل الممكنة واذا ظن أن الجرح تلوث بشيء قدر مما يحتمل وجود الميكروب فيه وجبت المبادرة الى الحقن قبل أن تبدئ الاعراض فيحقن ١٥٠٠ وحدة تحت الجلد ، ولذلك بادرت الحكومة الانكليزية باتباع هذه القاعدة مع جنودها ، فترى الاطباء الانكليز يحقنون كل جريح اشتبه في جرحه في أقرب وقت ممكن في ميدان القتال

وتطهير الجرح بالكي بالنار عقب حدوثه مباشرة كما تفعل العرب عمل محمود

الحمة

اسم لداء يسمى باللغات الافرنجية [Erysipelas] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي (الجلد الاحمر) ويسمى الانكليز هذا المرض أيضا بنار القديس أنطونيوس [Anthony] لتوهم عامتهم أنه قادر على شفاؤها . وهو من الامراض المعدية الشديدة ، وينشأ من ميكروب من الشكل المسمى : « البزور السلسلية » [Streptococcus erysipelatis]

الاسباب — أعظم الاسباب المهيئة لهذا المرض وجود أي جرح بالجسم يدخل

منه هذا الميكروب الخبيث مهما صغر الجرح . وفي أحوال قليلة جدا يحدث هذا المرض بدون جرح ظاهر ، ولكن اذا دقق في البحث فلا بد من وجود أي منفذ الى الجسم ولو سحج بسيط جدا أو دمل صغير أو خدش كخدش الدبوس . والعدوى لا تنتقل إلا الى المسافات القصيرة

وهو يصيب الاطفال الرضع والكبار فوق الاربعين اكثر من غيرهم ولكنه لا يميز بين الذكر والانثى

ومما يجعل الشخص أكثر تعرضا له من غيره إدمان الخمر وأمراض الكبد والسكري المزمنة والضعف أو الفاقة وكذلك البرد والرطوبة وكثرة الازدحام خصوصا اذا كان المكان رديء الهواء أو قذرا . ومن الاسباب أيضا استعداد مخصوص في الشخص نجعل حقيقة فان هذا المرض كثيرا ما يعاود شخصا عدة مرات ، فالوقاية منه لا تطول مدتها

أما ميكروبه هذا البزري فهو عديم الحركة ، وقطر كل بزة نحو ميكرون واحد . ويحصل الانقسام فيه في جهة واحدة فقط ولذلك تتكون منه السلاسل المذكورة . وهو يموت اذا بلغت الحرارة ٥٣° الى ٥٥° ستعجزاد وعرض لها ١٠ دقائق

الاعراض — في الاحوال التي يتعسر فيها مشاهدة الجرح أو السحج نرى أن هذا المرض يصيب الوجه على الاكثر ولذلك كان وصفنا الآتي قاصرا على وصف هذا العضو اذا أصيب به

ومدة التفريخ أيام معدودة فهي في أكثر الاحوال من ٣ الى ٦ وان كانت تطول في بعضها . ويتبدى المرض عادة بقشعريرة أو رعدة وصداع وغثيان وبيض اللسان ويحس المريض بالآلام عامة في جسمه ، وبعد بضع ساعات تظهر على الوجه بقعة حمراء مؤلمة خصوصا حيث يلتقي الجلد بالغشاء المخاطي كفتحة الفم أو الأذن أو الأنف . ثم تكبر هذه البقعة وترم ويشد احمرارها وألمها واذا ضغط عليها انبعجت ، ثم يمتد الورم بسرعة متفاوتة قترى أن السطح العالي الأحمر كأنه يسير في باقي الجلد . وفي بضعة أيام قد يتغطى الوجه كله قتره منتفخا جدا وكذلك الجفون حتى تتدلى . وترم الاذنان والشوأة (فروة الرأس) وتكون غالبا فقاعات أو فباخات ممتلئة بسائل

مصلي صديدي على الخدين أو الجفون ، وقد تنفجر قنزيد المصاب تشويها حتى
تتعذر معرفته . وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة من المكان الملتهب وتكون مؤلمة ،
ويقال انها تلتهب حتى قبل ظهور التهاب الجلد

وتكون الحمى عالية جدا حتى تزيد عن الاربعين في اليوم الثالث والرابع . وفي
السادس تميل للانخفاض فجأة ما لم يستمر التهاب الجلد أو يظهر التهاب جديد ، فهي
تابعة لحالة الالتهاب . وتكون الحمى مصحوبة بياقي أعراضها المعروفة

وهذا الالتهاب يمتد أيضا الى الأغشية المخاطية كغشية الحلق أو اللوزتين
وأحيانا الى أغشية الخنجر حتى يتعسر التنفس والازدراد . ويعتري المريض الهذيان ،
وقد تطرأ عليه الغيبوبة . وبينما نرى الالتهاب يمتد في جهة قد نشاهده يشفى حيث ابتداء
وسبب الموت نهكة القوى مع الهذيان والغيبوبة خصوصا في الشيوخ ومدمني
الحمر وغيرهم ممن ذكرنا من قبل

وإذا شفي المريض تقشرت البشرة مكان الالتهاب ويستمر التقشر بضعة أيام ،
وكثيرا ما نشاهد سقوط شعر الشواة

المضاعفات والعواقب — منها : المخرجات وموت الجلد وسقوطه وضخامة
الغدد اللمفاوية أو تقيحها — في النادر — والاختناق من تورم الخنجر والالتهاب
الرئوي أو اليلوراي في بعض الاحوال وكذلك الالتهاب السحائي
ويقال إن امتداد هذا المرض في الجلد تابع لسير الاوعية اللمفاوية ، ويقف
الالتهاب في الغالب حيث يلتصق الجلد التصاقا شديدا بالانسجة التي تحته كما يحصل
في الاربية عند رباط [پوپارت Poupart]

وانذار هذا المرض في أكثر الاحوال حميد ، ولكن يختلف خطره باختلاف
امتداد الالتهاب . وهو قاتل غالبا للشيوخ والسكريين وغيرهم ممن ذكرنا

المعالجة — المبدأ العام في معالجة هذا المرض هو استعمال المنعشات والمقويات
للمريض ، فيعطى كثيرا من اللبن والمرق وغيرهما من السوائل المغذية ، وبعض
المنعشات كالخمر — اذا لم يوجد ما يغني المسلم عنها — والنوشادر والاثير والاستركنين
وغیره . وصبغة فوق كلوريد الحديد نافعة جدا في هذا المرض حتى كانوا يعدونها شفاء

قطعا له ، فيعطى منها من ٣٠ - ٤٠ نقطة للشبان والكحول كل ٣ أو ٤ ساعات . وقد
وص بعضهم أيضا باستعمال الكنينين . وظهرت نتائج حسنة من استعمال المصل المضاد
لبزور هذا المرض [Anti - streptococcus Serum] فيحقن منه تحت
الجلد مرة أو مرتين يوميا ١٥ أو ٢٠ سنتيمترا مكعبا . وهذا المصل يستخرج من
الحصان بطريقة تشبه استخراج مصل الدفتيريا ، غير أنها تختلف عنها في أنه في مصل
الدفتيريا يحقن الحصان بسم الميكروب ولكن هنا يحقن الحصان بنفس الميكروب حيا ،
لان ميكروب الدفتيريا يفرز سما في السائل الذي يرزى فيه وأما ميكروب هذا المرض
فسمه كامن في جسمه فاذا حقن السائل الذي يرزى فيه لا يفيد . وطريقة ذلك أن
يقوى ميكروب الحمرة بحقنه في عدة أرناب فيكون ما حقن في الاخير أقوى مما حقن
في الاول ويزرع من كل منها جزء من الميكروب فتكون قوته متفاوتة ، ثم يحقن الحصان
بأضعف هذه الميكروبات سما ، وتترقى منه تدريجا الى أقواه . وفي نهاية سنة الحقن يؤخذ
مصل هذا الحصان فيكون فيه سم قاتل لميكروب الحمرة ، فاذا حقن المريض به أفاده
فائدة عظيمة

واذا اشتدت الحمى كان استعمال الماء البارد أو الفاتر نافعا فيها أيضا
وعلاج مكان الحمرة نفسه قليل الجدوى ، وغاية ما يعمل له أنه يدهن ببعض
المراهم أو نحوها كمرهم البوريك واذا اشتد توتر الجلد جاز تشريطه قليلا

النزلة الوافدة — الانفلونزا Influenza

الانفلونزا اسم ايطالي أولاتيني لمرض كانوا يظنون أنه من تأثير الكواكب
في الانسان، فلذا سموه بهذا الاسم الذي معناه (التأثير) ويسمي الاطباء المحدثون
من العرب هذا المرض بالنزلة الوافدة

الاسباب — هذا المرض كثيرا ما ينتشر في البلاد بشكل وبائي سريع
خصوصا اذا كانت القرى مزدحمة فيصاب به في وقت واحد مئات من الناس

وميكروب هذا المرض من النوع الباسيلي (المستطيل) اكتشفه [Pfeiffer] في سنة ١٨٩٢م وهو يوجد في بصاق المصابين وأنوفهم وقل أن يوجد في دمهم، وهو

٧٧٤ أعراض النزلة الوافدة واذارها وعلاجها. ميكروب الزكام [المنار: ج ١٠ م ١٨]

من أدق الميكروبات وأصغرها حجما فن طولها ٠.٥ الى ١.٥ ميكرون وهو ساكن لا حركة له ولا حبيبات ، ولا يعيش الا في الأكسجين . وكثيرا ما يصاحبه ميكروبات أخرى في هذا المرض . وإذا شفي المريض زالت منه الميكروبات بسرعة فلا يعدي بعد النقاهة كالدفتيريا مثلا ، وهو ينتقل من شخص الى آخر اذا اقترب منه بحيث يصل اليه بعض افرازات الانف أو الفم . والاستعداد لهذا المرض يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يعاوده مرارا ومنهم من لا يمسهم مرة واحدة في حياتهم وكثير من الناس يطلقون اسم (انفلونزا) على كل النزلات التي تعقب البرد كالزكام أو السعال ، ولكنه خطأ

الاعراض — مدة التفريح ساعات معدودة . ويبتدىء هذا المرض فجأة بألم شديد في الجبهة ومؤخر العينين وألم في عضلات القطن والفخذين وغيرها ، وقل أن تحدث فيه رعدة . والحرارة ترتفع في ساعات قليلة الى 39° أو 40° وتكون مصحوبة بباقي اعراض الحمى ، ويلتهب الحلق واللوزتان وتصبح رائحة النفس كريهة ، وقد يكثر العرق ولكن الغالب أن يكون الجلد جافا ، وتضعف قوى المريض ويشد به الارق والتألم . وقد يقتصر المرض على هذه الاعراض وتزول الحرارة فجأة بعد يوم أو يومين غير أن آلام الاطراف تستمر بعدها مدة وكذلك الضعف . وقد تطول مدة الحمى بضعة أيام ، أو ينكس المريض . ومن الناس من يصابون فوق ذلك بالنزلات الشعبية أو الرئوية ، ومنهم — وهم الاقل — من يصابون باضطراب في الجهاز الهضمي فيعثر بهم منصف وقيء واسهال وأحيانا اليرقان ، ومنهم أيضا من يصابون في جهازهم العصبي فيعثر بهم النعاس في أول الامر والهديان ثم يزول عنهم النوم ويحل محله الارق ، وتشتد عندهم الآلام العصبية والعضلية

وقد يحصل في هذا المرض طفح في الجلد

وانذار هذا المرض في الغالب حميد

والعلاج كعلاج باقي الحميات سواء بسواء

أما الزكام والسعال العاديان فينشآن غالبا من ميكروب آخر من الشكل البزري

يسمى « انزور الصغيرة النزلية » [*Micrococcus catarrhalis*] وهو يوجد

[المنار: ج ١٠ م ١٨] الحمى الخفية أو الالتهاب السحائي الوبائي وأسبابه ٧٧٥

كثيرا في الانف والحلق في اصابات البرد وفي البصاق بعد السعال الناشئ من
النزلات الشعبية وقد يوجد في الاشخاص الاصحاء ويوجد أيضا في الاطفال اذا
أصيبوا بالنزلات الشعبية الرئوية

الحمى الخفية الشوكية أو الالتهاب السحائي الوبائي

هذا المرض عرف أولا في [جنيفا Geneva] سنة ١٨٠٥ ومنذ سنة ١٨٦٠
صار منتشرا في الولايات المتحدة وألمانيا وغيرها . وهو كثيرا ما يشاهد أيضا في مصر
خصوصا في الاماكن التي يكثر فيها الازدحام كالسجون والمعاهد العلمية
ينشأ هذا المرض من [بزور مزدوجة Diplococcus] تسمى البزور السحائية
[Meningococci] تشاهد في الكريات البيضاء التي توجد في السائل المستخرج
من النخاع في هذا المرض ، وقد توجد هذه البزور أيضا خارج الكريات في السائل
نفسه، وأحيانا في دم المصاب وفي مفاصله اذا التهابت وكذلك في الرئتين اذا التهابتا
وفي الانف والحلقوم والاذن الوسطى. وهذا الميكروب اكتشف سنة ١٨٨٧ وهو يشبه
ميكروب السيلان ولا ينمو الا بوجود الأكسجين ولا في حرارة أقل من ٢٥° سنتجrad
الاسباب — يدخل هذا الميكروب من الحلقوم سواء وصل اليه من الفم أم من الانف.
ويوجد في حلقوم المرضى والناقلين كذلك وفي حلقوم بعض الاصحاء المخالطين للمريض .
وهو يصيب الصغار اكثر من غيرهم حتى ان ٨٠ ٪ من المصابين منهم تجد أن عمرهم أقل
من ١٦ سنة وهـ ٪ فقط فوق ٢٥ سنة، ولا يميز بين الذكور والاناث. وهذا المرض كثير
الحصول في أزمته البرد، لان الناس في تلك الازمنة يضطرون الى السكنى في أماكن
محبسة الهواء فيفسد وترتفع حرارته وتكثر رطوبته وبذلك يصير بيئة صالحة لنمو هذا
الميكروب الخبيث وان كان البرد الشديد يقتله، ولذلك لم يعرف هذا المرض بين سكان
المنطقة القطبية. ولهذا الهواء الفاسد تأثير سي في بنية المستنشقين له وهو يجذب بسخوته
الدم من الاحشاء الى ظاهر الجلد وذلك أيضا مما يضعف البنية ويعوق الاعضاء عن
اتمام وظائفها، فكأن الهواء الفاسد السخن سبب للعدوى من وجهتين (١) كونه بيئة
صالحة لنمو الميكروب و(٢) كونه مضعفا للبيئة عن مقاومته ، مفسدا للصحة . ولولا

ذلك لما كثر انتشار هذا المرض في أزمئة الشتاء. ومن المشاهدات العجيبة في العدوى بهذا المرض أن الأشخاص الذين يكونون في جهة معينة من المريض يصابون به بينما غيرهم في الجهة الأخرى لا يصابون، وما ذلك إلا لكون الهواء يهب على المريض من تلك الجهة التي فيها السليمون فيمر عليهم أولاً ثم على المريض ويحمل ذرات فيها الميكروب من نفسه أثناء الكلام أو السعال ونحوهما إلى الذين في الجهة الأخرى. وقد وجد أن نحواً من ٤٠ ٪ ممن يخالطون المريض قد يصيرون من (الحملة الأصحاء) الأعراض — في أحوال قليلة يتقدم المرض أعراض بسيطة كالصداع والغثيان، ولكن في أكثر الأحوال يتبدئ هذا المرض فجأة بألم شديد في الدماغ ورعدة أحياناً فيضطر المريض في الحال للامزمة الفراش وترتفع الحرارة بسرعة حتى تصل إلى ٤٠° ويشد الصداع خصوصاً في مؤخرة الرأس وتيبس عضلات القفا حتى يتعسر على المريض الانحناء إلى الأمام، ويبقى شاخصاً يبصره إلى السماء، وكذلك يقنعس المصاب أي يتقوس الظهر ويكون تقعره إلى الخلف، وتنشج الأيدي والأرجل وتكثر الآلام في الظهر والأطراف ويكون الجلد حساساً وقد يرتخي الجفنان أو أحدهما لشلل فيها وربما يشعر المريض بألم في أذنه وطين أو صمم ويقل شمه ويعتريه النعاس فالهذيان فالغيبوبة. وقد يصاب بنوبات تشبه الصرع فيتخطب كما يتخطب المصروع وفي كثير من الأحوال يظهر على وجهه ما يسمى بالثملة [Herpes] وهي فقاعات صغيرة مملئة بسائل. وتلتهب المفاصل أحياناً وقد ثقيج. ويتقرع البطن حتى يصير كالزورق، ويعظم الطحال ويكثر البول، وقد يوجد فيه زلال قليل أو أثر من السكر. وإذا رفع فخذ المريض — وهو ملقى على ظهره — بحيث يكون مع جسمه زاوية قائمة تعذر مد الساق حتى تكون مع الفخذ على خط مستقيم. وهذه العلامة — وتسمى علامة [Kernig] — من أهم ما يعرف به التهاب السحائي، وإذا مررت بأصبعك على جسم المريض ظهر خط أحمر حيث مرت الأصبع ويستمر نحو خمس دقائق أو أكثر ويسمى هذا الخط بالفرنسية [Tache Cérébrale] ومعناه [البقعة النخية] وهي من أهم علامات التهاب السحائي أيضاً، وتنشأ من شلل في أوعية الدم وهذا المرض خطر جداً على الحياة، وكثيراً ما يموت به المصابون بل منهم من

يموت في بضع ساعات أو بضعة أيام . وعدد الوفيات يختلف من ٣٠ الى ٧٠ ٪ .
ويوجد نوع آخر منه يصيب الاطفال الرضع فيقتلهم غالبا
واذا شفي المريض منه قام غالبا بصمم أو عمى أو استسقاء في الدماغ مع صداع
وتشنجات وضعف شديد في العقل أو الجسم أو شلل بعض الاعضاء . واذا أصاب
الصمم الاذنين قبل أن يتعلم الطفل الكلام بقي طول حياته أبكم أصم
وقليل من الناس من يشفي منه ولا يصيبه شيء

الصفة التشريحية — اذا شرحت الجثة بعد الوفاة من هذا المرض يُشاهد
التهاب حاد في الأم الحنون للمخ والنخاع الشوكي قترى الصديد والمواد المفاوية
متراكمة على سطح المخ في شقوقه (أي ما بين التلافيف) ويكون السطح الخلفي
للنخاع ملتهبا أكثر من السطح الامامي وخصوصا القسم القطبي منه . وفي بطينات
المخ يشاهد مصل عكر أو صديد، وفي القشرة السنجابية نقط نزفية أو بثور

وترى الرئتين والكبد والطحال والكليتين جميعا محترقة مع استحالة شحمية في
خلايا الكلية واستحالة حبيبية في ألياف العضلات الاختيارية . وقد نرى أيضا
نقطا نزفية في الشغاف والپليورا وأحيانا تقيحا في المفاصل

وكل هذه التغيرات المرضية التي تشاهد في الاحشاء ما عدا المخ والنخاع هي
تابعة لالتهاب السحايا وليست من أصل المرض وانما تنشأ من سموم الميكروب ومن
شدة ارتفاع الحرارة ونحو ذلك

المعالجة — أحسن علاج لهذا الداء استعمال المصل الخاص به فيصفي جزء
من السائل الذي في النخاع بالبرز القطبي ويستعاض عنه بمحجن ٣٠ سنتيمترا مكعبا كل
يوم أو كل يومين بحسب شدة المرض

والبرز القطبي وحده نافع في هذا المرض لتخفيف الضغط على المراكز العصبية
بسحب بعض المواد الاتهابية ولإزالة بعض سموم المرض

وباقى علاج هذا المرض كعلاج سائر الحميات ، ومن النافع فيه أيضا استعمال
مركبات الزئبق ويودور اليوتاسيوم في بعض الاحوال

الوقاية — عزل المريض كما تقدم في الحميات وتطهير كل افرازاته واتقاء القرب منه

والسكنى في الاماكن النقية الهواء ذات النوافذ الكثيرة من أحسن ما يتقى به هذا الداء. فلذا يجب تهوية الاماكن المسكونة ليلا ونهارا صيفا وشتاء . ولا يتوهم أحد أن الهواء المطلق الذي نرغب فيه هو مما يسمونه « بتيار الهواء » ويقولون إنه يجب اتقاؤه بل التيار الضار يكون بتعريض جزء من الجسم لهواء يغير باقي الهواء المحيط بالجسم في سرعته وفي درجة حرارته ، كالجلوس امام إحدى النوافذ من بيت دافئ مع تعريض جزء من البدن لهواء النافذة البارد . وأما خروج الانسان الى الاماكن الطلقة الهواء كالفلوات والبحار والمكث فيهازنا مأفانه لا يضر الصحيح البنية خصوصا اذا كان جسمه مدفأ جيدا بالملابس الكثيرة الجافة، ولكن اذا ابتلت هذه الملابس بالعرق أو بالماء خيف على المرء من ضرر البرد بالمكث في الهواء البارد

الجذام Leprosy

مرض شهير منذ العصور الغابرة سمي بذلك في العربية لانه يتر بعض الاعضاء، وهو من الأمراض المزمنة المتعذرة الشفاء، ينشأ من ميكروب من الشكل الباسيلي اكتشفه [هانسن Hansen] سنة ١٨٧٩ م يشبه ميكروب الدرن من عدة وجوه. وحقق هذا الميكروب في الحيوانات لم ينجح في احداث المرض فيها ما عدا القردة فانها تصاب باصابة موضعية وقتية . ويوجد الميكروب في دم المجذوم وفي الجلد والاعشية المخاطية والاعصاب والغدد اللعابية والحنجرة والكبد والطحال والخصيتين والكليتين ، ونادرا في الرئتين ، ولا يوجد في العظام ولا المفاصل ولا العضلات

الاسباب — هذا المرض قليل الوجود في أوربة ماعدا بلاد الترويح ويوجد في كثير من البلدان الافريقية والآسيوية والامريكية وكثير من جزائر المحيط الهادئ ، وهو يصيب الذكور أكثر من الاناث ، والصغار قبل سن الثلاثين أكثر من غيرهم، ومن النادر جدا أن يصيب الاطفال . وللوراثية بعض التأثير في احدثائه

يدخل ميكروب هذا الداء الى الجسم من منفذ أو أكثر من المنافذ الاتية : الانف أو أعلى الجهاز التنفسي أو الفم أو اللوزتين أو سحجات الجلد أو الجهاز التناسلي ومن العلماء من يرى أن بعض الحشرات تنقل هذا المرض من شخص الى

آخر، فقد وجد ميكروبه في البعوض (الناموس) والبق . ولم يشاهد ميكروبه في الارض ولا في الهواء^(١) ولا في الطعام ولا في الشراب ويرى بعض العلماء ان الافراط في أكل السمك خصوصا الفاسد مما يهيئ الجسم لقبول هذا الميكروب الخبيث

ويسكن هذا الميكروب في جميع أجزاء جسم المصاب حيث توجد أنسجة مريضة به ويخرج من جسم المجدوم في مخاطه ودموعه ولعابه ولبنه ومنيه وافرازات الاحليل والمهبل . وفي البراز يل يخرج أيضا مع خلايا البشرة التي تنفصل بالتدريج من الجلد . هذا فضلا عن خروجه بالضرورة مع ما ينسكب من قروح المريض ولكن أهم الاشياء التي يوجد فيها الميكروب هو افراز الانف فانه يوجد فيه بكثرة عند أقل بحث فيه

الاعراض — يبدأ هذا المرض بتوعك عام مع حمى خفيفة وتكسر في الجسم ثم تظهر بقع حمراء في الجلد قطرها يبلغ من نصف بوصة الى ثلاث أو أربع بوصات متفخخة قليلا ومستديرة أو غير منتظمة ، وقد يتكون من هذه البقع الحمراء حلقات وذلك بشفاء الجلد الذي في وسطها ، وتزول هذه البقع الحمراء أيضا اذا زالت الحمى ، وكثيرا ما تترك خلفها آثارا ملونة أو بيضاء . وقد تعود الحمى وتظهر هذه البقع آتيا بعد آن . وبعد ذلك تنقسم أعراض المرض الى قسمين فيصاب المريض اما بالجدام الدرني أو بالجدام الخدري ، وقد يجتمع فيه النوعان

أما في الجدام الدرني فتظهر في الجلد درنات مرتفعة حجمها قدر حبة الحمص أو البندق أو أكبر — تظهر أثناء ظهور البقع الحمراء أو بعدها بقليل . وهذه الدرنات قد تمكث زمنا طويلا وقد تزول تاركة خلفها بقعا ملونة، وكثيرا ما تتأكل فيتكون منها قروح يسيل منها صديد (أي سائل رقيق) قليل وهذه الدرنات تظهر على الأكثر في الوجه وفي ظهر اليدين والقدمين وغير ذلك ، قشوه الوجه ، وتغلظ الحواجب والانف والحدود والأذن ويكون شكل الوجه كوجه الاسد . ولذلك يسمى هذا

(١) اللهم إلا ما كان حول المريض مباشرة فقد توجد فيه ذرات من مخاطه حاملة لهذا الميكروب

المرض عند المصريين بالأسد أيضا

وكثيرا ما تقرح الجفون حتى يصل المرض الى طبقات العين وان كان العصب البصري والشبكية والزجاجية والبلورية كلها تنجو منه عادة . وتصيب الدرنات أيضا الأغشية المخاطية للحنك والحنجرة والالتهاب فيلفظ الصوت أو يضعف . وهذه القروح قد يزداد تأكلها حتى تصيب الاوتار فتقطعها والعظام فتتخرها والمفاصل فتفتتها وبذلك تبتز بعض الاجزاء

أما الجذام الحديري فتكون اصابة الاعصاب فيه أكثر ، وفي أول الداء يحصل احساس في بقع كثيرة من الجسم يشبه الاحساس بمشي النمل ووخز الابر يعقبه خدر ويكون الجلد في البقع المصابة اما أكمد (باهتا) أو ملونا ويضعف الشعر ويزول لونه ويكون سطح الجلد ناعما برأقا ، وتضخم الاعصاب حتى يمكن الاحساس ببعضها بغاية السهولة وذلك لالتهابها بسبب المرض . وبسبب مرض الاعصاب تضمر العضلات خصوصا ما بين مشط اليدين والقدمين ، وترتخي الايدي والاقدام ويكون شكل اليد كبرثن الاسد^(١) وقد يحصل في هذا النوع من الجذام قروح فوق المفاصل أيضا فتبتز الاعضاء خصوصا أطراف الايدي والاقدام وينجو من هذا البتر السلاميات الاولى للاصابع غالبا . وكثيرا ما تشفى هذه القروح فتبقى اليد بالسلاميات الاولى فقط

وسير هذا الداء موجب لليأس ويجعل الشخص المجذوم مكروها عند الناس مخيفا لهم بمنظره — وبعد زمن قد يمتد الى ١٥ سنة أو أكثر — يموت المصاب غالبا بمضاعفات المرض أو بطروء السل الرئوي أو التهاب الكلى أو بالدوسنطاريا وغير ذلك

الانذار — هذا المرض لم يعرف أن احدا أصيب به وشفي منه ، غاية الامر انه قد تتلطف الاعراض ويقف الداء مدة مآ

المعالجة — تعالج الاعراض بالطرق الطبية المعروفة عند الاطباء ، وتعطى للمريض الاغذية الجيدة السهلة الهضم ، ويوضع في مكان نقي الهواء بمعزل عن الناس . وبما ينفع فيه بعض النفع زيت كبد الحوت وزيت [حب الشلمغرا Chaulmoogra]

(١) البرائن للسباع بمنزلة الاصابع للناس

وجرعه في اليوم بتدئ من ٢٠ نقطة الى درهمين ويجب تعاطيه لمدة سنتين على الأقل . وهناك علاجات أخرى كالحقن باللقاح ونحو ذلك ولكنها غير محقق نفعها ويجب مدة المرض استعمال المطهرات للقروح وتضميدها جميعا

الوقاية — لما كانت كيفية العدوى بهذا الداء غير معروفة بالضبط وجب عزل المرضى والاحتراز من كل من يلامسهم أو يوجد معهم ، وهذا غاية ما يمكن أن يقال الآن في أسباب الوقاية من هذا الداء . وفي الحديث الصحيح «فر من المجذوم فرارك من الاسد» (*)

(*) المنار : رواه البخاري من حديث أبي هريرة معلقا — او موصولا على طريقة ابن الصلاح — ووصله آخرون واخرج ابن خزيمة له شاهدا من حديث عائشة . ويؤيد ما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الشريد عن أبيه قال : كان في وفد ثقيف مجذوم فأرسل اليه رسول الله (ص) «إنا قد بايعناك فأرجع» واختلف العلماء في الجمع والترجيح بين هذه الأحاديث وما في معناها كحديث أبي هريرة في الصحيحين « لا يوردن ممرض على مصح » (الممرض بصيغة اسم الفاعل صاحب الابل المريضة بالجرب مثلا والمصح صاحب الابل الصحيحة) وحديث النهي عن دخول ارض فيها الطاعون . وبين حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيره « لا عدوى » وحديث جابر ان النبي اخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال « كل » رواه الترمذي . فبعضهم يرجح العدوى ويؤول ما يعارضها وبعضهم يعكس ومما قاله هؤلاء ان ابا هريرة رجع عن حديث « لا عدوى » وانكره كما في البخاري . وبان الترمذي ذكر الاختلاف في حديث جابر على راويه ورجح وقفه على عمر . واقرب ما قالوه الى الطب والعقل قول البيهقي وغيره ان العدوى المنفية ما كانت تعتقده الجاهلية لا العدوى التي تحصل بالاسباب بقدر الله تعالى . وقول ابن قتيبة ومن واقفه : ان الامر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لامر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بطريق الملازمة والمخالطة وشم الرائحة ولذلك يقع في كثير من الامراض في العادة انتقال الداء من المريض الى الصحيح بكثرة المخالطة . حكاهما الحافظ ابن حجر في شرح البخاري . وذكر أن جمهور الفقهاء اثبتوا الخيار لكل من الزوجين في فسخ النكاح اذا وجد الجذام في الآخر

المعرفة بالله تعالى

٢

فصل

قل ﴿ الدرجة الثانية معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات ، وهي تثبت بعلم الجمع ، وتصفو في ميدان الفناء ، وتستكمل بعلم البقاء ، وتشارف عين الجمع ﴾ نشرح كلامه ومراده أولاً ثم نبين ماله وعليه فيه ، فكانت هذه الدرجة عنده أرفع مما قبلها ، لأن التي قبلها نظر في الصفات وهذه متعلقة بالذات الجامعة للصفات ، وإن كانت الذات لا تخلو عن الصفات فهي قائمة بها ، ولا نقول : إن صفاتها عنها ولا غيرها ، لما في لفظ الغير من الاجمال والاشتباه ، فإن الغيرين قد يراد بهما ما جاز افتراقهما ذاتاً أو زماناً أو مكاناً ؛ وعلى هذا فليست الصفات مغايرة للذات ، ويراد بالغيرين ما جاز العلم باحدهما دون الآخر فيفترقان في الوجود الذهني لافي الوجود الخارجي ، فالصفات غير الذات بهذا الاعتبار لانه قد يقع الشعور بالذات حال ما ينفل عن صفاتها فتتجرد عن صفاتها في شعور العبد لافي نفس الامر . وقوله « مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات » التفريق بين الصفات والذات في الوجود مستحيل ، وهو ممكن في الشهود بان يشهد الصفة ويذهل عن شهود الموصوف ، أو يشهد الموصوف ويذهل عن شهود الصفة ، فتجريد الذات أو الصفات انما يمكن في الذهن ، فالمعرفة في هذه الدرجة تعلقت بالذات والصفات جميعاً فلم يفرق العلم والشهود بينهما ، ولا ريب ان ذلك أكل من شهود مجرد الصفة أو مجرد الذات . ولا يريد الشيخ انك تسقط التفريق بين الذات والصفات في الخارج والعلم بحيث تكون الصفات هي نفس الذات ^(١) فهذا لا يقوله الشيخ وإن كان كثير من أرباب الكلام يقولون ان الصفات هي الذات . فليس مرادهم ان الذات نفسها

(١) في ب « بحيث تكون الذات هي نفس الصفات »

صفة ، فهذا لا يقوله عاقل ، وإنما مرادهم ان صفاتها ليست شيئاً غيرها . فان أراد هؤلاء ان مفهوم الصفة هو مفهوم الذات فهذا مكابرة ، وان أرادوا انه ليس هاهنا أشياء غير الذات انضمت اليها وقامت بها ، فهذا حق

والتحقيق ان صفات الرب جل جلاله داخله في مسمى اسمه ، فليس اسمه الله والرب والإله أسماء لذات مجردة لا صفة لها البتة ، فان هذه الذات وجودها مستحيل ، وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها ، واسم الله سبحانه والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال ، كالعلم والقدرة والحياة والارادة والكلام والسمع والبصر والبقاء والقدم وسائر الكمال الذي يستحقه لذاته ، فصفاته داخله في مسمى اسمه ، فتجريد الصفات عن الذات والذات عن الصفات فرض وخيال ذهني لاحقيقة له ، وهي أمر اعتباري لا فائدة فيه ولا يترتب عليه معرفة ولا إيمان ولا هو علم في نفسه ، وبهذا أجاب السلف الجهمية لما استدلوا على خلق القرآن بقوله الله (الله خالق كل شيء) فاجابهم السلف بان القرآن كلامه وكلامه صفاته وصفاته داخله في مسمى اسمه كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ووجهه ويديه ، فليس « الله » اسماً لذات لانعت لها ولا صفة ولا فعل ولا وجه ولا يدين ، ذلك إله معدوم مفروض في الازهان لا وجود له في الاعيان كإله الجهمية ، الذي فرضوه غير خارج عن العالم ولا داخل فيه ولا متصل فيه ولا منفصل عنه ولا محايث له ولا مباين ، وكإله الفلاسفة الذي فرضوه وجوداً مطلقاً لا يتخصص بصفة ولا نعت ولا له مشيئة ولا قدرة ولا ارادة ولا كلام ، وكإله الاتحادية الذي فرضوه وجوداً سارياً في الموجودات ظاهراً فيها هو عين وجودها ، وكإله النصارى الذي فرضوه قد اتخذ صاحبة وولداً وتدرع بناسوت ولده واتخذ منه حججاً ، فكل هذه الآلهة ماعلمته أيدي أفكارها . وإله العالمين الحق هو الذي دعت اليه الرسل وعرفوه باسمائه وصفاته وأفعاله فوق سمواته على عرشه بأئن من خلقه ، موصوف بكل كمال ، منزّه عن كل نقص ، لا مثال له ولا شريك ولا ظهير ، ولا يشفع عنده أحد الا بأذنه ، هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، غني بذاته عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بذاته

قوله « وهي تثبت بعلم الجمع ، وتصفو في ميدان الفناء » يعني ان هذه المعرفة الخاصة تثبت بعلم الجمع ، ولم يقل « بحال الجمع ولا بعينه ولا مقامه » فان علمه أولا هو سبب ثبوتها ، فان هذه المعرفة لا تنال الا بالعلم فهو شرط فيها ، وسيأتي الكلام — ان شاء الله تعالى — في الجمع عن قريب . فاذا علم العبد انفراد الرب سبحانه بالازل والبقاء والفعل وعجز من سواه عن القدرة على ايجاد ذرة أو جزء من ذرة ، وانه لا وجود له من نفسه فوجوده ليس له ولا به ولا منه ، وتوالي هذا العلم عن القلب لا يسقط ذكر غيره سبحانه عن البال والذكر ، كما سقط غناه وربوبيته وملكه وقدرته ، فصار الرب سبحانه وحده هو المعبود والمشهود المذكور ، كما كان وحده هو الخالق المالك الغني الموجود بنفسه أزلا وأبداً ، وأما ما سواه فوجوده وتوابع وجوده عارية ليست له ، وكما في العبد عن ذكر غيره وشهوده صفت هذه المعرفة في قلبه ، فلهذا قال « وتصفو في ميدان الفناء » واستعار الشيخ للفناء ميدانا وأضافه اليه لاتساع مجاله لأن صاحبه قد انقطع التفاته الى ضيق الاغيار ، وانجذبت روحه وقلبه الى الواحد القهار ، فهي تجول في ميدان أوسع من السماوات والارض ، بعد ان كانت مسجونة في سجون المخلوقات . فاذا استمر له عكوف قلبه على الحق سبحانه ونظر قلبه اليه كأنه يراه ، ورؤية تفردة بالخلق والامر والنفع والضر والعتاء والمنع — كملت في هذه الدرجة معرفته ، واستكملت بهذا البقاء الذي أوصله اليه الفناء وشارفت عين الجمع بعد علمه ، فغاب العارف عن معرفته بمعرفته وعن ذكره بمذكوره وعن محبته وارادته بمراده ومحبوبه فلذلك قال :

« ويستكمل بعلم البقاء ويشارف عين ^(١) الجمع » ولهذا المعرفة ثلاثة أركان ^(٢)

أشار اليها الشيخ بقوله « ارسال النصات على الشواهد ، وارسال الوسائط على المدارج ، وارسال العبارات على المعالم » شواهد الصفات هي التي يشهد بها ويدل عليها من الكتاب والسنة وشهادة العقل والفترة وآثار الصنعة فاذا تمكن العبد في التوحيد علم ان الحق سبحانه هو الذي علمه صفات نفسه بنفسه ، لم يعرفها العبد من ذاته ولا بغير تعريف الحق له بما أجراه له سبحانه على قلبه من معرفة تلك الشواهد ^(١) في المتن « بعين الجمع » ^(٢) في المتن « وهي ثلاثة أركان : ارسال » الخ

والانتقال منها الى شهود^(١) المدلول عليه ، فهو سبحانه الذي شهد لنفسه في الحقيقة ، اذ تلك الشواهد مصدرها منه فشهد لنفسه بنفسه بما قاله وفعله وجعله شاهداً لمعرفته . فهو الاول والاخر ، والعبد آلة محضة ومنفعل ومحل لجريان الشواهد وآثارها وأحكامها عليه ليس له من الامر شيء ، فهذا معنى ارسال الصفات على الشواهد ، فاذا أرسلها عليها تبين له ان الحكم للصفات دون الشواهد بل الشواهد هي آثار الصفات ، فهذا وجه

ووجه ثان أيضاً وهو أن الشواهد بوارق وتجليات تبدو للشاهد ، فاذا أرسل الصفات على تلك الشواهد توارى حكم تلك البوارق والتجليات في الصفات وكان الحكم للصفات فينبئذ يترقى العبد الى شهود الذات شهوداً علمياً عرفانياً كما تقدم قوله « وارسال الوسائط على المدارج » الوسائط هي الاسباب المتوسطة بين الرب والعبد التي بها تظهر المعرفة وتوابعها ، والمدارج هي المنازل وال مقامات التي يترقى العبد فيها الى المقصود ، وقد تكون المدارج الطرق التي يسلكها اليه ويدرج فيها ، فالرسال الوسائط التي من الرب على المدارج التي هي منازل السير وطرقه توجب كون الحكم لها دون المدارج فيغيب عن شهود المدارج بالوسائط وقد غاب عن شهود الوسائط بالصفات فيترقى حينئذ الى شهود الذات ، وحقيقة الامر أن يعلم أن الرب سبحانه ما أطلعته على معرفته الا بشواهد منه سبحانه و بوسائط ليست من العبد ، فهو قادر على قبض تلك الشواهد والوسائط وعلى اجرائها على غيره فان الامر كله له وتلك الوسائط لا توجب بنفسها شيئاً قال الله تعالى لرسوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لانتبدلك به علينا وكيلاً * الا رحمة من ربك - وقال للامة على لسانه - قل رأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من آله غير الله يأتيكم به - وقال تعالى - قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراككم به) ويعلم العبد ان ما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله من شواهد معرفته والايمان به هي معالم يهتدي بها عباده اليه ويعرفون بها كماله وجلاله وعظمته ، فاذا تيقنوا صدقه ولم يشكوا فيه وتفظوا لآثار أسمائه وصفاته في أنفسهم وفي سواهم انضم شاهد

(١) في ب « المشهود »

اعقل والفطرة الى شاهد الوحي والشرع ، فانتقلوا حينئذ من الخبر الى العيان ،
فالعبارات معلوم على المناق المطبوعة ، والمعلم هي الأمارت التي يعلم بها المطلوب ،
فلذا أرسل العارف كل معنى من معانيه الى مقصوده وصرف همه في تحريه
وناصبه ومصدره اجتماع همه عليه ، وتمكن في معرفة الذات التي لها صفات الكمال
ونعوت الجلال . وتتصوده أن يبين في هذه الأركان الثلاثة حل صاحب معرفة
الذات وكيف ترتب الاشياء في نظره ويعرف فيها الى المقصود .

مثال ذلك ان الشوهد أرسلته الى الصفات برسائلها عليها فانتقل من مشاهدتها
الى مشاهدة الصفات والوسائط التي كان يرها آية على ما ارجع انقل فانتقل منها
الى المدارج ولم يلقها وإنما اعلق به هي آية وعبارات التي كانت عنده ألفاظا
خارجة عن التعبير عنه فارت أمارت وصل الى الحقيقة عبر عنها . فبهذه الأركان
الثلاثة يصير من أهل معرفة الذات عنده

قوله ﴿ وهذه ^(١) معرفة خاصة التي تأس من أفق الحقيقة ﴾ أي تلك ونس
من ناحية الحقيقة . ولا ينس لأدركه ولا احساس في الله تعالى (فان آتسم منهم
رشدًا قد دفعوا اليهم أموالهم) اقول دوسى (أي آتست من جانب الطور انرا)
ولمقصود ان العارف اذا اعلق همه بفق حقيقة وأعرض عن أسباب ووسائط —
لايعرض ججود ونكار بل يعرض اشتغال ونظر الى دين المقصود — أوصله
ذلك الى معرفة الذات الجامعة لصفات الكمال والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

قل ﴿ الدرجة الثالثة معرفة مستخرقة في نفس التعريف ، لا يوصل اليها
الاستدلال . ولا يدل عليها شاهد ، ولا تستحقها وساية ، وهي على ثلاثة أركان :
مشاهدة الترتب ^(٢) والصعود عن العلم ، ومطاعة الجمع ، وهي معرفة خاصة الخاصة ﴿
انما كانت هذه المعرفة عنده أرفع مما قبلها لان ما قبلها متعلقة بالوسائط والشواهد
متعلقة الى المطلوب ، وهذه متعلقة بعين المقصود فقط ، طوية للرسائل والشواهد ،

(١) في المتن «وهي معرفة» الخ (٢) في المتن «القلوب» ولعلها غلط

فالسائط صاعدة عنها إلى وهي ذاتها على كل حال وشهيرة وقد استغرقت ادراكه لما هو فيه بحيث غاب عن معرفته بمعرفة وعن ذلك المذكور وعن وجوده بوجوده فقوله : مستغرقة في محض التعريف ، المعرفة صفة عبد وفعل والتعريف فعل الرب وتوقيفه ، فاستغرقت صفة العباد في فعل الرب ومعرفة نفسه اعمد . وقوله : لا يوصل اليها بالاستدلال ، يريد ان هذه المعرفة في الدرجة الثالثة لا يوصل اليها بسبب فن الأسباب قد انقضت فيها ، ومبطل قد انقضت دونها ، فلا يدل عليها شاهد غيرها ، بل هي شاهد نفسها ، فثبت هذه وجودها وديانها نفسها . ولا تجعل بالنكار هذا فالامور الوجدانية كذلك وديانها نفسها وشهادتها حقيقها ، فتصير هذه المعرفة للعارف كالامور الوجدانية . كالذرة والفرح والحب والخوف وغيرها من الامور التي لا يطلب من قامت به شاهدها عليه من سوى نفسها

ولعمرك ان هذه درجة من معرفة دقيقة ورتبة شريفة تقطع دونها أعناق مطايا السائرين ، فلذلك لا يوصل اليها بالاستدلال ولا يدل عليها شاهد ولا تستحقها وسيلة ، والاعمال والاحوال وانه مات كلها وسائل وهي لا تستحق هذه الدرجة من المعرفة وانما هي فضل من الفضل كله بيده وهم ذو فضل العظيم ، وكون الوسائل المذكورة لا تستحقها لاتنفع من اقياسها بها على أهم لوجوده وبذل انهم فيها ، ومع ذلك فلا تستحقها لوسائل

قوله : وهي على ثلاثة أركان : مشاهدة القرب والصعود عن العلم ومطالعة الجمع . انما كانت هذه الثلاثة أركاناً ، لما لان صاحب هذه المعرفة قد وصل من القرب الى مقام يليق به بحسب معرفته فكما كانت معرفته أهم كان قربه أهم ، فن شهود الوسائل ووسائل حجاب عن عين القرب ، وإعوانها وجودها حجاب عن أصل الايمان . وأما صعوده عن العلم فليس المراد به صعوده عن أحكامه فان ذلك سقوط ونزول الى الخفيض الأدنى . الصعود الى العلى ، رتبة المردانه يستعد بحكم العلم عن الوقوف معه وتوسيعه بينه وبين المصنوب فان الوسائل قد أطوي بساطها في هذا الشهود واعرفن ، أعني بساط الوقوف معها والنظر اليها فيدرك مشهوده ومعرفة به سبحانه لا بالعلم والخبر بل بمشاهدة العبد والعباد ، وان كان لم يصل الى

ذلك الا بالعلم والخبر لكنه قد صعد من العلم والخبر الى المعلوم المخبر عنه .
 وأما مطالعة الجمع فهي الغاية عند هذه الطائفة ، ونحن لانكر ذلك لكن : أي
 جمع هو ؟ هل هو جمع الوجود كما يقوله الاتحادي ؟ أم جمع الشهود كما يقوله صاحب
 الفناء في توحيد الربوبية ؟ أم هو جمع الارادة كلها في مراد الرب تعالى الديني الامرئي ؟
 فالشأن في هذا الجمع الذي مطالعته من أعلى أنواع المعرفة . نعم ها هنا جمع آخر مطالعته
 هي كل المعرفة وهو جمع الافعال في الصفات وجمع الصفات في الذات وجمع الاسماء
 في الذات والصفات والافعال ، فطالعة هذا الجمع هي غاية المعرفة وأعلى أنواعها ،
 وهي لعمر الله معرفة خاصة انخاصة ، والله المستعان وبه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله إله

[المنار]

ان أكثر الناس يرون هذا الكلام غريباً لا يكاد يفهم ، ويعمدون هذه المعرفة
 خيالية لانكاد تعقل ، ومثل هؤلاء العارفين في نظر جمهور أهل العلوم النظرية والفنون
 العملية ، كمثل خواص الادباء الذين يتمتعون بجمال المعاني الدقيقة ، متجالية في العبارات
 الرشيقة ، في نظر عوام أهل البلادة . ذوي العمى والفهاة ، — أو كمثل بعض أهل
 الذوق السليم ، العاشقين لجمال هذا الكون العظيم ، يؤمنون روضة غناء ، أو غابة غيباء ،
 يسابقون اليها أشعة الشمس ، ليمتعوا بجمالها الحس والنفس ، — في نظر مجرم فظ ،
 غليظ الطبع ، لا يرى حظاً من تلك الروضة الا أن يبحث أزهارها ، ويقطع أشجارها ،
 ليتخذ الاولى علماً لحماره ، والثانية وقوداً لناره ، أو كمثل المغرمين بآلات الطرب ،
 وسماع الالحان في العشق والادب ، في نظر العابد المتبتل ، أو المجوز التأكل ،
 على أن جميع اللذات المعنوية ما أشرنا اليها منها وما لم نذكر اليه هي مبادئ
 ووسائل لتلك اللذة الروحية العليا التي يجدها العارفون بالله تعالى ، فكل ما في الكون
 من الجمال والكمال فهو بعض جماله وكمال عجز وجل . اذ هو صنع الله الذي أتقن
 كل شيء . وكل طائفة من طوائف البشر المرتقية تتمتع بنوع من أنواع جمال
 الكون والعارفون بالله هم الذين يتمتعون بكل نوع من تلك الانواع تتمتعاً ارقى واعلى
 من تتمتع المفردين بالارتقاء فيه . ويتمتعون بما هو أعلى من ذلك وأجل واكمل .
 وقد ضربنا لذلك المثل ، والله اعلى واجل ،

باب الشعر والادب

شرف العلم وشماثل العلماء

نبدأ هذا الباب بقصيدة القاضي عبد العزيز الجرجاني الشهيرة
في شرف العلم وأخلاق العلماء وشماثلهم قال: —

يقولون لي فيك انقباض وانما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم
ولم أقض حق العلم ان كان كلما
وما زلت منحازا بعرضي جانبا
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
أثرها عن بعض ما لا يشينها
فأصبح عن عيب اللثيم مسلما
واني اذا ما فاتني الامر لم أبت
ولكنه ان جاء عفوا قبلته
وأقبض خطوي عن حظوظ كثيرة
واكرم نفسي ان أضاحك عابسا
وكم طالب رقي بنمائه لم يصل
وكم نعمة كانت على الحر نعمة
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
أشقى به غرسا وأجنيه ذلة

وأوازجلا عن موقف الذل أحجما
ومن أكرمه عزة النفس اكرما
بدا طمع صيرته لي سلما
من الذل أعدت الصيانة مفعما
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
مخافة أقوال العدا فيم أولما
وقدرحت في نفس الكريم معظما
أقلب فكري اثره متبذما
وان مال لم اتبعه هلا ولتيا
اذا لم أنلها وافر العرض مكرما
وان ألتقى بالمديح مذمما
اليه وان كان الرئيس المعظما
وكم مغمم يعتده الحر مغرما
لأخدم من لا قيت لكن لأخدما
اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظماء
ولكن أهانوه فهان ودنسوا نحياءه بالأطاع حتى تجها
وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من في الارض أرضاه منعا
ولكن اذا ما اضطررتي الضر لم أبت أقلب فكري منجدا ثم متيها
الى أن أرى ما لا أغص بذكره اذا قلت قد أسدى إلي وأنما

ومما يروى عن الامام الشافعي في معنى هذا الشعر قوله :

العلم من شرطه لمن خدمه أن يجعل الناس كلهم خدما
وواجب صوته عليه كما يصون في الناس عرضه ودمه
فن حوى العلم ثم أودعه بجهله غير أهله ظلمه
وكان كالمبتي البناء اذا تم له ما أراد هدمه

المراد من البيت الاول : ان من خدم العلم حق الخدمة ساد الناس وكان اماما
وقدوة لهم . وبذلك يجعلهم خدما له باختيارهم . وانما يكون هذا في الامه الحية التي
تعرف قدر العلم وأهله . وكذلك كان المسلمون في عصر الامام الشافعي ، وهو ما نرى
مثاله في امم الافرنج اليوم على كثرة علمائهم المبرزين . وقد نهى أحد ملوكهم ولده
ان يخاطبه بنعت « الجلالة » في حضرة شاعر الفرنسي الملق [فيكتور هيفو] .

والمراد من صون العلم في البيت الثاني المفسر في البيت الثالث ان يداعه غير
اهله هو ان تصان العلوم الكمالية التي هي فروض كفاية عن السفهاء فاسدي
الاخلاق ، فلا يلحق هؤلاء الا ما يجب عليهم شرعا لاداء عباداتهم وتصحيح
معاملاتهم . ثم يصرفون الى الاعمال اللائقة بهم لانهم ذلقوا العلوم العالية
يتخذونها ذرائع لمفاسدهم ، ويضلون الناس بحيلهم وسوء سيرتهم ، كما نرى مثاله في
رعاع الناس الذين يتعلمون ولا يتهذبون ثم يصيرون حكاما او معلمين

وللامام شعر آخر في هذا المعنى رواه السبكي في طبقات الشافعية بسنده الى
ابي عمر العناني قال : لما دخل الشافعي الى مصر كاهه أصحابه فقالوا فأنشأ يقول :

أثر دراً بين راعية الغنم وأثر منظوما لراعية النعم
لئن كنت قد ضيَّعت في شربلدة فلست مضيعا بينهم غرر الكلام
فان فرج الله الكريم بلطفه وأدركت أهلا للعلوم وللحكم
بثت مفيداً واستفدت وذادهم والا فمخزوت لديّ ومكتم
ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وروي السبكي بسند آخر يبين عن الشافعي ذكر لها سببا يدل على قدم التعصب
لهؤلاء الأئمة ، فقد نقل عن الحافظ ابن منده ان الربيع قال رأيت أشهب بن عبد
عبد العزيز ساجدا وهو يقول في سجوده : اللهم أمت الشافعي والا يذهب علم
مالك . فبلغ الشافعي ذلك فبسم وأنشأ يقول :

تمنى رجال أن أموتَ فان أمتَ قتلك سبيلٌ لست فيها بأوحد
وقل للذي ينبغي خلاف الذي مضى تهباً لاخرى غيرها فكان قد

ومما روي عنه من الشعر ، عند إرادة الهجرة الى مصر ، قوله : —

لقد أصبحت نفسي تتوق الى مصر ومن دونها ارض المهامه والفقّر
فوالله ما أدري للفوز والغنى أساق اليها أم أساق الى قبري

ومن شعره الذي يذكر فيه السفر ولوازمه ما روي عن صاحبه المزني قال : قدم
الشافعي بعض قدماته من مكة فخرج إخوان له يتلقونه واذا هو قد نزل منزلا الى
جانبه رجل جالس وفي حجره عود ، فلما فرغوا من السلام عليه قالوا له : يا أبا
عبد الله أنت في مثل هذا المكان ؟ فأنشأ يقول : —

وأترلني طول النوى دار غربة مجاورني من ليس مثلي يشاكله
خامقته حتى يقال سجيّة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ويروي أحامقه مكان خامقته . ومعنى حامقته ساعدته على حقه كما قال
الجوهري وابن منظور ، وأما عاقله فعناه غالبه في العقل ، فيفهم من البيت ان الامام

كان يجاري رفيقه العواد في هوسه بضرب العود ولا يتأني هذا الا اذا كان يرى باحته

أكثر شعر الامام الشافعي في الحكم والاخلاق، وروي عن أبي يعقوب البويطي أنه قال له: قلت للشافعي: قد قلت في الزهد فهل لك في الغزل شيء؟ فأشدني يا كاحل العين بعد النوم بالسهر
لو أن عيني اليك الدهر ناظرة
ما كان كحكك بالمنعوت للبصر
سقياً لدهر مضى ما كان أطيبه
لولا التفرق والتغيص بالسهر
ان الرسول الذي يأتي بلا عدة
مثل السحاب الذي يأتي بلا مطر

ومن كلامه في الشكوى من الاغنياء الالغيا البغلاء

وأنطق الدراهم بعد صمت
أناساً بعد ان كانوا سكوتا
فما عطفوا على أحد بفضل
ولا عرفوا لمكرمة بيوتا
وجدبر بهذا القول من عبر عن حاله بعد انفاق جميع ماله بهذين البيتين
يا لطف نفسي على مال أجود به
على المقلين من أهل المروءات
ان اعتذاري لمن قد جاء يسألني
ماليس عندي لمن احدى المصيبات

وقال في الصدقة

صديق ليس ينفع يوم بأس
قريب من عدو في القياس
وما ينبغي الصديق بكل عصر
ولا الاخوان الا للتأسي
عمرت الدهر متمسكاً بجهدي
أخا ثقة فأكداه التماسي
تنكرت البلاد علي حتى
كأن أناسها ليسو بناس

وقال في مثل ذلك

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة
واننا لا نرى ممن نرى أحدا
ان الكلاب لنهدا في مرابضها
والناس ليس بهاد شرهم أبدا
فأنج نفسك واستأنس بوحدتها
تلقى سعيدا اذا ما كنت منفردا

باب الامر اسلة والمناظرة

حال المسلمين اليوم وجماعة الدعوة والارشاد

حضرة السيد الامام العالم البصير والمصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد طرق سمعي ما وصلت اليه حال جمعية الدعوة والارشاد ومدرستها من الضعف بسبب نفاق المال القليل الذي جمع لها وبخل المسلمين . فأتى ذلك في قلبي تأثيرا محزنا لقعودنا عن العمل في الوقت الذي نهضت فيه أم العالم قاطبة . وحيث إن حبل رجائي مع ذلك لم ينقطع من ترك المسلمين لهذه الغفلة وهذا الجمود للذين أخرجوا مركزهم أشد الحرج في الهيئة الاجتماعية — رأيت أن أبعث اليكم بهذه الكلمة راجيا نشرها في مجلتكم المنيعة قياما بالنصيحة الواجبة على كل مسلم وتذكرا للمستعدين (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) :

أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه أعزاء ترفرف فوقهم أجنحة الامن والسعادة ، وكانوا خيرا على أنفسهم وعلى البشر بما وضعوا من النظام القويم ، والقوانين العادلة ، وبما كانوا يقومون به من الاعمال النافعة لأنفسهم وللناس . ولا عجب فقد كانوا في ذلك متبعين أوامر دينهم الحنيف . فلما انحرفوا عنها كما هو حالهم الآن شقوا وصاروا شرا وبلاء على أنفسهم وعلى البشر ، وأصبحوا عالة على الامم الاخرى في جميع مقومات الحياة وعبرة لمن يعقب ،

على ان أعظم ما تركه المسلمون من هداية دينهم وكان له الاثر السيئ في عامة شؤونهم هو فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » و « الدعوة الى الدين » . فقد أدى اغفال الفرض الاول الى انتشار المنكرات والفجور بالتدريج بين المسلمين كافة ، وفشو الجهل فيهم بأقبح أشكاله ، وأن صار الدين غريبا عن كل أعمالهم . وهذه الاعمال أثرت فيهم أعظم تأثير بالمواظبة عليها ، وعدم وجود من يقاومها أو

ينكرها ، فألفتها نفوسهم واستأنست بها فكانت ملاسكات وتقاليد وعادات . ولم يقف الشرع عند هذا الحد بل بالغ المسلمون في الامر فالتمس بعضهم نصوصا من الشرع يستبجحون بها ما أحدثوا في الدين فلما أعيام ذلك تأولوا كتاب الله وسنة رسوله بغير ما يؤيدان اليه وطبقوا بعض محدثاتهم عليهم ما هو موهين أنفسهم والناس انهم من الدين وما هي من الدين ، وان هم الا يكذبون .

وكان من عاقبة اهمالهم الفرض الثاني انتشار الكاذب عن الدين الاسلامي ونشويه أعدائه لسمعته ، وقلبهم لحقيقته ، حتى خفيت هذه الحقيقة عن مرديه أو المستعدين لقبوله . وقد فطنت لفوائد الدعوة الى الدين الامم المسيحية العظيمة الحية فتأفت عندهم الجمعيات ذات رؤوس الاموال الضخمة التي أوفدت رجال الدين الى مشارق الارض ومغاربها وزودتهم بالمال الوفير وعضدتهم بنفوذها فنجحت أعمالهم في نشر الدين المسيحي حتى بين المسلمين .

ألا إن البلاء الذي نزل بالمسلمين لعظيم . وما ينتظرهم منه ان لم يفيقوا من غفلتهم أعظم . وقد صاروا الآن امام أحد أمرين : إما العمل العاجل السريع ، واما الهلاك الاكيد والسقوط المريع . ولا مخرج من هذا البلاء إلا بالاقلاع عن هذه الخطة الذميمة الضارة ، والعمل بقواعد الدين الاسلامي الذي نعتقد ان فيه فلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة . وان أعظم ما ينبغي البدء به منها انما هو قيامنا بهذين الفرضين العظيمين « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » « الدعوة الى ديننا القويم » . ولكن لذلك وسائل لا بد من إعدادها وتوفيرها في الامة . اذ انه لا يستطيع القيام بذلك الواجب إلا اناسي يتخصصون له من أفراد المسلمين يكونون واسعي الاطلاع بعلوم الدين واقفين على حقه ثقة ملمين بطرف من العلوم الاجتماعية والعصرية على قدر حاجتهم منها كي يمكنهم تقريب ما يريدون من اذهان مخاطبيهم على اختلاف درجاتهم في العلم والاستعداد وتباينهم في الاخلاق والعادات . ولما كان أمثال هؤلاء لا وجود لهم الآن في الامة الاسلامية أو ما يوجد منهم ليس بالعدد الكافي - قضت الضرورة بإعداد هؤلاء الهداة اعدادا وانشأهم انشاء . وهذا ما فكر فيه استاذنا زاده الله توفيقا فاقترح تأسيس جمعية [جماعة الدعوة والارشاد

ومدرستها الجليلة وبذلك وصف الدواء لداء الامة الدفين الذي كاد يودي بحياتها. ان مهمة تعليم فئة من المسلمين ذلك التعليم الخاص وتربيتهم تلك التربية الدينية المحضة بين زواجع الفساد التي اكتسحت البلاد لمن الاعمال التي تتطلب كفاءة عظيمة واستعدادا خاصا - ولكن الاستاذ الذي لا ينثني له عزم أخذ على عاتقه القيام بانفاذ المشروع وحق للمسلمين ان يفرحوا ويتمهلوا وقد جاءهم الطبيب الماهر. ولكن ماذا حصل ؟

نشر المقترح دعوته بين المسلمين في انحاء المعمورة كافة فلبتها طائفة كل على قدر استعداد وقبوله للمشروع فكان المال الذي جمع كان قلاما جدا لا يفي بجزء مما يلزم لهذا العمل العظيم واقبضت أيدي سائر المسلمين وأما الاستاذ فقد بسط يده للعمل على قلة وسائله فولد المشروع وقوت برؤيته عبون المخلصين . ولكن ذلك المولود ككل مولود حي يحتاج الى عناية وغذاء كي ينمو ويشد ، غير أن ضن المسلمين بالمال كان سببا في سريان الضعف اليه حتى أشرف على الاضمحلال والعياذ بالله تعالى .

ولا يفوتني في هذا المقام ملاحظة التفاوت العظيم في إقبال الشعوب الاسلامية على المشروع . فمع ان المكان الذي اختير ليكون مقرا للجمعية ومدرستها هو مصر فان قومي المصريين لقلة ما ساعدوا كانوا كأنهم غير متصودين بالدعوة حتى انه ليصح أن يقال مع الخجل العظيم ان الجمعية أسست والمدرسة أنشأت من أموال غيرهم .

فأنتم يا مسلمي مصر بوجه خاص أعنيكم بالمقال . انه غير خليق بكم أن تقفوا ساكنين امام أعظم مشروع اسلامي وهو قد انشئ بينكم واحتفى بجواركم ولكم ثماره وشرفه قبل غيركم . ان اضمحلال هذا العمل لا قدر الله ان يسيء سمعة المصريين كثيرا كما ان نجاحه يشرفهم ويرفع قدرهم . ففي هذه الازمة الكبرى التي يجتازها العالم أجمع وتدوس فيها الامم الكبيرة باقدامها ظهور الامم الصغيرة أو الضعيفة ينبغي للشعب المصري الكريم الذي آتاه الله من الاستطاعة على خدمة دينه ما لم يؤثر غيره ان يقوم بالعمل الذي ينتظره منه العالم الاسلامي الذي يعده في مقام الامام

المرشد وهو تعصيد هذا المشروع الذي اذا قوي وعاش سيكون باذن الله تعالى ينبوع حياة الاسلام والمسلمين واساساً لسعادتهم المستقبلية .

ان المصريين يستطيعون ان يحرزوا هذا الفخر الخالد بالتبرع بشيء من مالهم لا يضرهم انفاقه ولا يغيثهم امساكه ، ان المشروع ضروري حيوي ونجاحه يدل على حياة كامنة في جسم الامة الاسلامية طالما أنكرها عليها محتقروها وحاسدوها كما ان موته لا قدر الله يشمت فينا أعداءنا ويجعلنا عرضة لهزه العالم أجمع وسخريته تقوم الامم الحية كل يوم بالاعمال العظام والمشروعات الكبرى لاغراض ثانوية أو كإلية ونجد الاموال تندفق على القائمين بها من جيوب أهل الغيرة من أهلها فلا يمضي وقت قصير حتى توضع لها أسس وطيدة ودعائم ثابتة ويجني القريب والبعيد من أفراد الامة ثمارها ، وهذا مشروع واحد أساسي لحفظ حياتنا الدينية والمدنية ، وسلاح لدفع الخطر الذي يهدد كيان الملة الاسلامية ، ونور لمحو الظلمة التي خيمت على العقول والقلوب ، ورحمة لمنع ماحل بنا من الشقاء والخطوب . فهل يموت رضيعا وفي جيوبنا درهم ؟ وهل نستطيع بعده ان ندعي المروءة والشجاعة ؟ انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ،

اي قوم ، ان المشروع كبير ولا يقوم به الا أعظم الرجال استعدادا وأبعدهم همة . ومثل هؤلاء قليل ظهورهم في الامة . وان الاستاذ صاحب الاقتراح بما هو عليه من التقوى والصلاح وما امتاز به من العلوم الشرعية وما كسبه من المعلومات الثمينة والاختبار العظيم بسياحاته العديدة في بلاد المسلمين وما وهبه الله من الاستعداد الفطري الزاخر المثل لا ريب انه أقدر الناس على تنفيذه على الوجه الاكمل ووضع أسسه الكفيلة ببقائه حتى يستطيع من يخلفه فيه ان يتبع خطاؤه بغير عناء .

ان الرجل ثالث ثلاثة نوابغ لم يوجد لهم نظير من عدة قرون وقد شهد الاستاذ الامام بكفائه وجعله موضع رجائه . فعلى المسلمين كافة والمصريين خاصة أن يستدركوا ما فاتهم من الانتفاع بمواهب سلفيه « جمال الدين » « ومحمد عبده » بأن لا يضيعوا الفرصة السانحة الآن . انكم ان أضعمتموها يخش أن لا تعود قبل عدة قرون . أقول وقولي هو الحق ، انه لو علم المسلمون حق العلم بقدر رجلهم الذي ضحي

أمواله وحياته ونفسه في سبيل مصلحتهم لغدوه بالأولاد قبل الأموال ، وبالنفس قبل الأولاد . لا مرأى في أن الأمة الإسلامية أشد الأم تأخراً في مضمار الحياتين الدينية والمدنية وهي لذلك أشدهم افتقاراً للعمل . فإن كنتم أيها المسلمون لا تعملون الآن فمتى تعملون ، وإن لم يعجبكم مشروع امامكم الرشيد فماذا أنتم من وسائط الحياة والعمل النافع تعدّون . وإن كنتم مقتنعين بصلاحية المشروع فمن ذا الذي قادر على تنفيذه كما ينبغي من بعده أفلا تذكرون ؟

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَعَنِ الْعَالَمِينَ . وَلَا يَتَوَقَّفُ نَصْرُ حَقٍّ عَلَى مُسَاعَدَتِنَا . فَاللَّهُ يَخْتَارُ أَنْصَرَةَ دِينِهِ مِنْ إِشَاءٍ . فَإِنْ لَمْ نَكُنْ مِنَ الْمَوْفِقِينَ ، فَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِينَا وَيُوَكِّلَ اللَّهَ بِهِ قَوْمًا آخَرِينَ . وَاللَّهُ غَيُورٌ عَلَى دِينِهِ وَحَافِظٌ لَهُ مِنَ الزَّوَالِ . وَلَا بَدَّ أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . فَظَهَرَ الدِّينُ مُحَقَّقٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى أَيْدِينَا فَسَيَكُونُ عَلَى أَيْدِي غَيْرِنَا » « هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لَتَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ » « إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ » وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ »

فمن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، يضاعف له القرض؟ ومن يسارع إلى جنة عرضها السموات والأرض؟ هذا أو أن العمل فاعملوا أيها المسلمون، وهاكم طريق الفلاح فاسلكوه لعلكم تهتدون .

يا قوم : أنذرتكم ونصحت لكم وأنا منكم ، واقع في التقصير مثلكم ، وأنا
أدعوكم وأدعو نفسي قبلكم ، بالتبرع بما تقدر عليه من مالي ومالكم ، لا يستقل مقل
عطاءً وإن قلَّ ، ولا يستكثر مكثر ما يستطيع أن يبذل . وها أنا ذا أخطو الخطوة
الاولى في هذه الكرة الثانية فادفع على قلة ثروتي خمسة عشر جنيها مصريا بعد أن
دفعتم في الكرة الاولى عشرين جنيها مصريا . ابغيتها ذخرا عند من خلقتني ولم
أَكُ شيئا ، فأقبلوا على تجارة أن تبور ، وهلموا الى التبرع بالقليل والكثير . وانظروا
الى ما نحن فيه من المحنة ، وادروا السيئة بالحسنة ، وأحرزوا بالقيام بتنفيذ
المشروع شرفا تحفظه لكم الاجيال المقبلة فلا بضيع ، ويكون لكم عند الله خير

شفيع، يوم يقوم الناس وتحشر الجموع.

هذا وانصافاً لمجلة المنار الاسلامية؛ وتقديراً لخدمتها في سبيل الغرض المقصود للجمعية، اذ دفع اشتراك خمس سنين سلفاً، وأتبرع باشتراك سنة لمن يبرز في انشاء أحسن مقالة في أحسن فكرة اصلاحية لخدمة الاسلام والمسلمين. فسدّد اللّهم أعمالنا، وأنزّل لنا سبيلنا، آمين

م. ن.

[المنار]

نشكر للكاتب غيرته على دينه وملكته، وشعبه المصري وسائر أمته، كما نشكر له حسن ظنه فينا، ونسأل الله ألا يجعل اطراءه فتنة لنا، ولا مدعاة الى ترجيح ظنه فينا على ما نعلمه من ضعفنا وعجزنا، ونرجوا ان يعذرنا اذا نحن لم نقبل منه الاشتراك عن خمس سنين سلفاً فحسبه من الوفاء للمنار ما جرى عليه من دفع اشتراك كل سنة سلفاً، فهو من السابقين بالخير اشتراكاً وأداءً

هذا— وإن الكاتب قد كان كتب مقالاً قبل هذا في معناه أكثر ما فيه المبالغة والاغراق في المدح والثناء على صاحب المنار فكان استحيائنا من نشره بل من قراءته أقوى وأشد من استحيائنا من رده، مع يقيننا باخلاص الكاتب واعتقاده أنه كتب بعض الحقيقة بلا غلو ولا مبالغة، وقد قلنا له إننا لانظن ان نشره يأتي بالفائدة التي ترمي اليها، وان كنت أحسن منا ظناً ولا بد أن تكتب في هذه الدعوى شيئاً فاجعل الكلام في موضوع العمل دون مدح العامل. — فجاءنا بهذا المقال، فلم نر بدا من نشره، لان ذلك من حق كاتبه علينا اذ لانعرف أحداً من الناس أشد غيرة، واخلاصاً منه لربه ودينه وأمته، وأي دليل أدل على الفيرة والاخلاص من بذل المال في سبيل الله؟ وقد علمنا علم اليقين اننا لو قبلنا أن نأخذ منه جميع ما بيده لافناقه في مشروع الدعوة والارشاد لبذله مرتاحاً، بل طالما عرض علينا بذل ماله ووقته فيما نراه من خدمة الدين وإقامة السنة، ولكننا نعلم ان عياله أحوج الى ذلك من مشروع لا يتوقف نجاحه على هذا المال القليل ولا يسقط بفقده، وقد كان ما بذله كتابة بهذه المقالة أكثر مما أثبتناه فيها فاستأذناه بتصحيحه فسكت بعد

مناقشة ومراجعة

واننا نستحسن ان نعيد بعض ما سبق لنا من الكلام في أسباب نشر بعض الرسائل والاسئلة المشتملة على الثناء وأقارب المدح لنا بنصها على خجلنا مما في بعضها من المبالغة وانتقاد كثير من الناس لنشر مثله، وأهم تلك الاسباب الامانة وبيان آراء الكتابين في الاصلاح الاسلامي والقائمين به لاهل عصرهم ولمن بعدهم وموافقة سلفنا الذين كانوا ينشرون مثل ذلك بنصه كما تراه في كتب الفتاوى، وكان كثير من هذه الفتاوى ينسخ في عصور العلماء الذين كتبوها وينشر في الاقطار

إن بيان ما ذكر من الاسباب لنشر ما اشتمل على المدح باب من أعظم أبواب التاريخ وأعمها فائدة، وليس هو من قبيل تدوين المداخل الشعرية في شيء، واننا نكره المداخل الشعرية المحضة، ويقابل هذا الباب في تاريخ الاصلاح باب الانتقاد وقد التزمنا نشر ما يحيئنا من الانتقاد على أقوالنا وأعمالنا حتى أننا ندعو الناس الى ذلك في منار كل عام ولم ندع أحدا قط الى المدح والتحميد وان كان من قبيل التعاون على البر والتقوى الذي يقصده صاحب هذه الرسالة

كتب الكاتب هذه الرسالة معبرا بهاعن بعض ما في نفسه من وجدان واعتقاد، راجيا ان يشعر بشعوره ويعتقد اعتقاده كثير من المسلمين فينهضوا بمشروع الدعوة والارشاد، ويجود كل له بما يستطيع على قدر ما آتاه الله من السعة والثروة، ولولا ذلك لما كتب حرفا. وقد نشرنا له ما كتب احتراماً لشعوره واعتقاده ولما فيه من التعاون على الدعوة الى الخير والامر بالمعروف الذي نصدينا له، وامكنا لانظن أن دعوته نجاب ولا أن أمنيته تصدق وان كنا من القائلين بتأثير الكلام في الجملة، وانما يكون التأثير بقدر استعداد من يقرأ الكلام ويسمعه، ولا يزال استعداد الامة الاسلامية للقيام بالاعمال الاجتماعية ضعيفا جدا، وهو في البلاد التي لها حكام من أهلها، أضعف منه في غيرها، وان كان هؤلاء الحكام صوريون لا استقلال لهم في سياسة ولا ادارة، فأرق مسلمي الهند ووثنيها هم أهل الولايات التي يتولى حكمها الانكليز بأنفسهم، وابعدهم عن الترقى والاصلاح من لهم حكام من أنفسهم، وسنبين رأينا في أغنياء بلادنا وأمتنا وأصناف الناس في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

خاتمة السنة الثامنة عشرة للمنار

وحاله في السنة الجديدة

بحمد الله نختتم السنة الثامنة عشرة للمنار كما افتتحناها بحمده وهو هو الذي يخذل في السراء والضراء وحين البأس ، فله الحمد والشكر والثناء الحسن عودا على بدء ، فقد لطف بنا في هذه العسرة العامة ، ورحمنا في هذه الفتنة الطامة ، التي لم تصب الذين ظلموا منا خاصة ، وغاية ما أصاب إدارة المنار ومطبعها من تأثير هذه الحرب ان قل دخلها وفقدت أكثر أصناف الورق بضعة أشهر لقلّة الوارد من أوربة ومضاعفة ثمنه أسعافا ، حتى ان هذا الجزء من المنار بدى بطبعه في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٣ وطبع بعضه في ربيع الآخر والكراسان الاخيران منه في شهر رجب سنة ١٣٣٤ ونحن قد كنا ابتعنا في أول سنة ١٣٣٣ ورقا يزيد عن حاجة المنار فيها بعد أن أمرنا المطبعة بأن تنقص ألف نسخة مما كان يطبع منه في مقابلة انقطاعه عن الممالك العثمانية وبعض البلاد التي تعذر ايصاله اليها ، ثم علمنا في أواخر السنة ان الورق قد نفذ ، لأن الأمر بانقاص المطبوع ما نفذ ، وما ذاك الا ذهول ونسيان ، وما قدر كان ، فعهدنا الى من يجلب لنا الورق من أوربة بطلب طائفة منه فلم يصل اليها بعض ما طلبنا الا بعد بضعة أشهر ، وهو لا يكفي لاصدار عشرة أجزاء من المنار وان نقصنا من المطبوع ألف عدد أو أكثر

فنحن مضطرون لقلّة الورق وخشية انقطاع ورودده كما يتوقع تجار الجلب ان نجعل كل جزء منه ثمانية كراريس (ملازم) فاذا يسر الله لنا ورقا تم السنة اثني عشر شهرا فيكون المجلد التاسع عشر كالمثل من عشر ، والا جعلناها عشرة أشهر فقط ، على ان ورقها أغلى ثمننا من ورق المجلدات الكاملة

هذا وان قراء المنار في مصر يعلمون أن دخله قد انقطع من عدة ممالك تعذر ارساله اليها في زمن الحرب ، فلم يبق له مورد يعتمد به الا منهم ، ويعلمون أيضا ان النفقات قد زادت ، وان كل شيء صار يشتري بالقد ، فترجو من مروءتهم العالية ان يتفضلوا باداء ما عليهم من قيمة الاشتراك فيكون جل الفضل لهم باستمرار هذه الخدمة للإسلام والانسان ، وقد دفعنا هذه الحاجة الى تذكير من لم يدفعوا للمنار شيئا مما عليهم منذ عشر سنين أو أقل أو أكثر ، فتمهم من بادر الى أداء جميع ما عليه ، ومنهم من جعله أقساطا ، ومنهم من مظل ونوى ، ومن أعرض بجانبه ونأى ، وسنبين أحوال هؤلاء الناس في المقالة التي وعدنا بها في تعليقنا على الرسالة المنشورة قبل هذه الخاتمة

ولم يرد علينا في هذه السنة نقد على المنار ولا نزال نطالب القراء بان يتعهدونا بالنصيحة ، والحمد لله أولا وآخرا

دي محمد

على بدء ،

لم تصب

الحرب

مضاغة

سنة

١٣٣٤

بعد أن

الممالك

الورق

وما قدر

بيل النيا

من المنار

لب ان

في عشر

، على

تعذر

ن أيضا

م العالية

متمرار

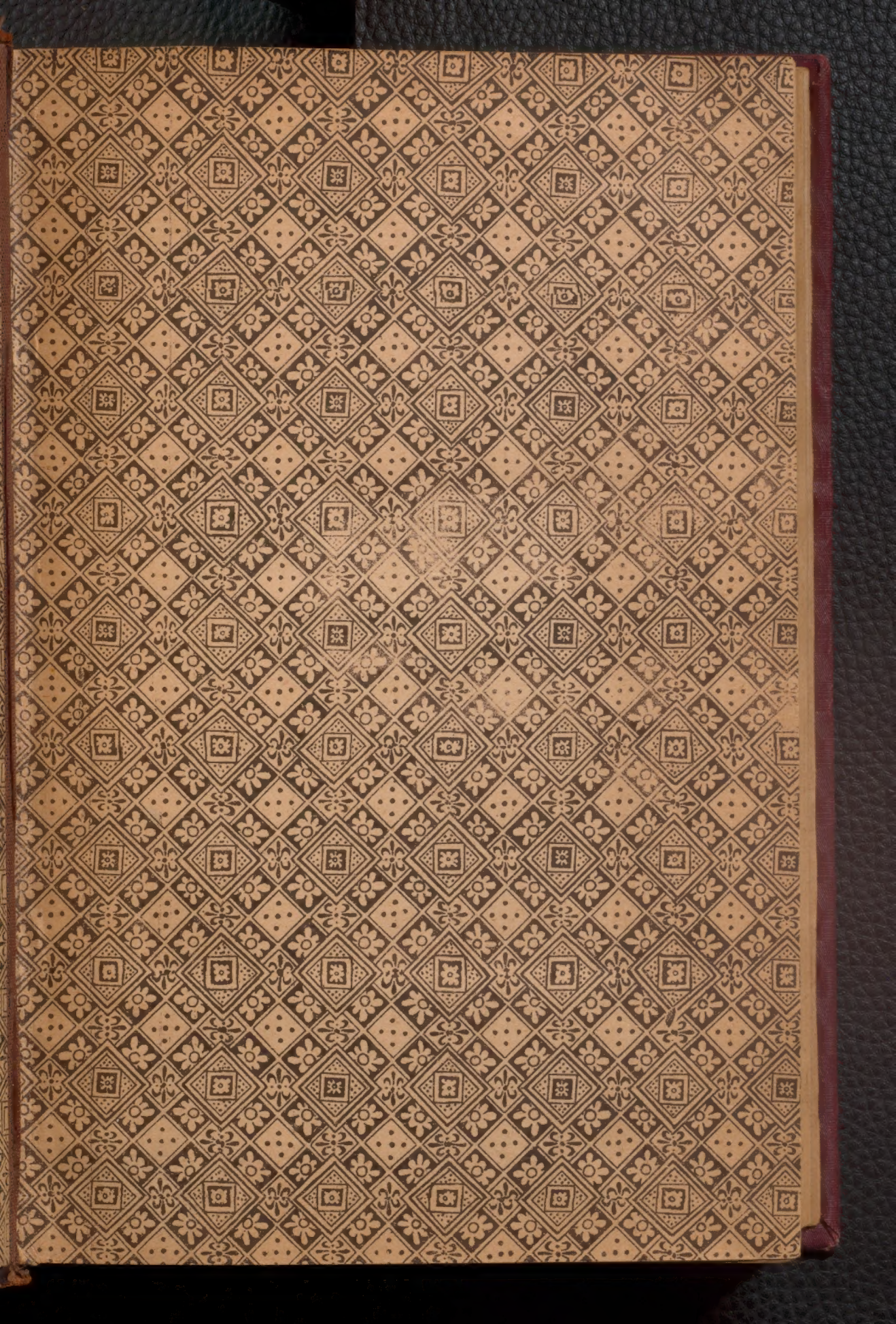
يدفعوا

جميع

بجانبه

الرسالة

اهدونا



22372

For Reference

Not to be taken from this room

NO. 705

